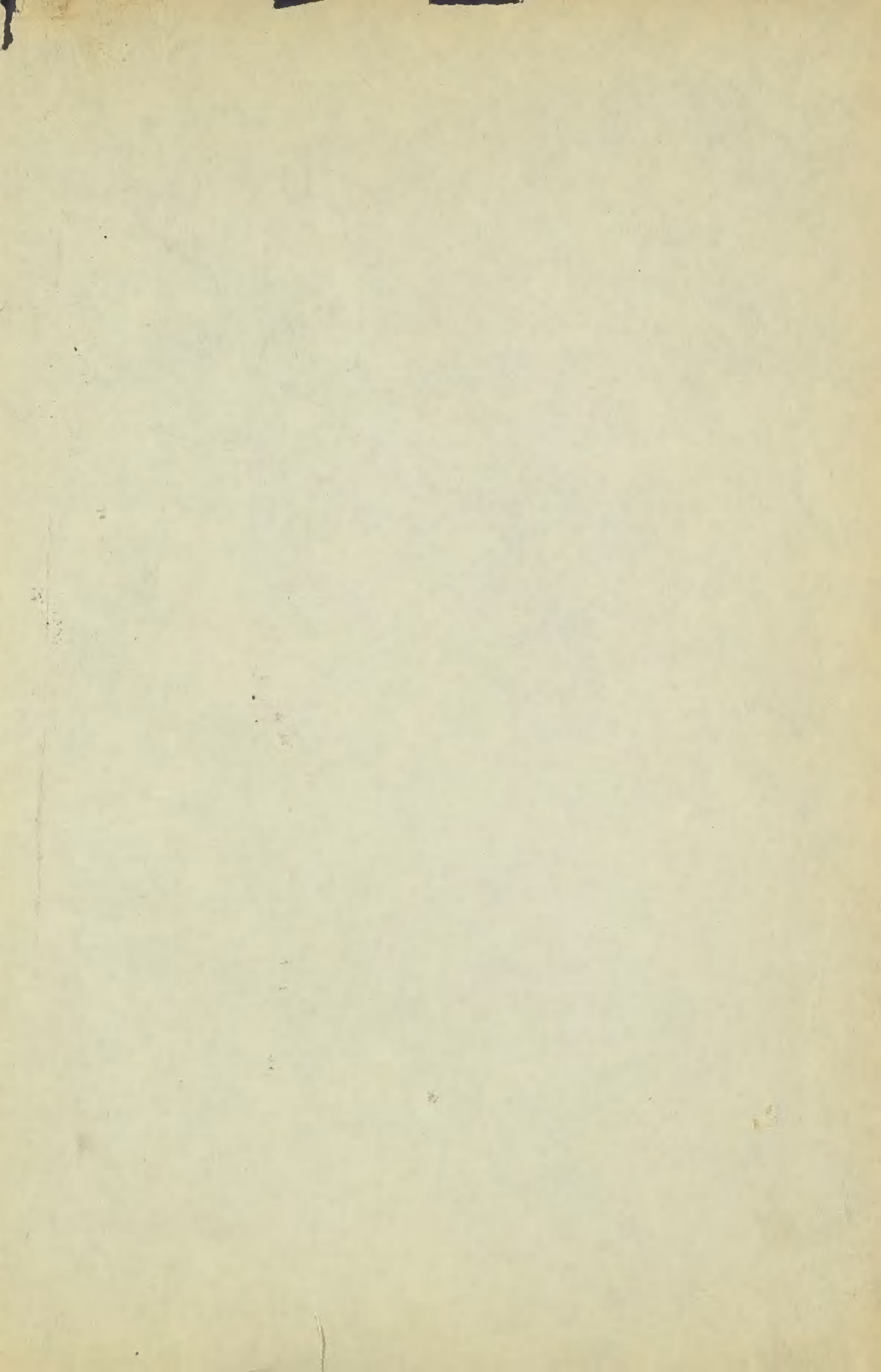

Columbia University Libraries
0045299013







الملل والنحل

للإمام أبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى

المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

الجزء الأول

صححه وعلق عليه

الأستاذ الشيخ أحمد فهمى محمد

المحامى الشرعى بالجيزة

خريج مدرسة القضاء الشرعى

الطبعة الأولى

١٣٦٨ هـ – ١٩٤٨ م

يطلب من ناشره

مكتبة الحسين التجارية

لصاحبها : محمود توفيق

مطبعة حجازى بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، خلق العالم أطوارا ، وصرفه كيف شاء عزة واقتدارا ، سبحانه أعز بالحق من اقتفاه ، وأذل بالباطل من اجتباه ، وصلاة وسلاما على صفوة خلق الله ، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

وبعد فهذا كتاب يحدثنا فيه الشهرستانى ، أولا عن الخلافات التى وقعت فى الوحدة الاسلامية . وقد كان أمر المسلمين جماعا وعقيدتهم ثابتة ، وهذه الخلافات ، وإن نظر إليها المؤرخ نظرة السياسة ، فان الباحث المفكر يرى أنها أثر من آثار سريان التفكير ، الذى انبثق من اندماج أجناس مختلفة وعناصر متباينة ، دخلت تحت لواء الاسلام ، فكانت ثمت آراء متضاربة ، وأفكار متجانفة متخالفة .

هذا وقد أرسل الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وجاهد فى الله حق جهاده فرأب الصدع ، ولم الشعث فألف الله بين القوم فكانوا على شعيرة واحدة ، وطريقة متوحدة ، إلا من أظهر وفاقا وأضمر نفاقا ، فلما أكمل الله دينه وأتم نعمته ، صعد رسوله إلى الرفيق الأعلى والمحل الأسنى ، وقد ترك أمته على المحجة البيضاء ، والطريقة الواضحة الغراء ، فلم يلبث أن شعب الأمر ودب الخلاف ، فاختلفت الصحابة فى موته وفى دفنه ، وثارت ثائرة الامامة ، وصبأ قوم فمنعوا الزكاة ، وارتد من لم يتمكن الايمان من قلبه ، ولكنهم كانوا إذا اختلفوا فى أمر رجعوا فيه إلى الله ورسوله ، فكان التوفيق منارهم والسداد صواهم ، وكان السمع والطاعة رائدهم (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) وقد تنازع الصحابة فى كثير من مسائل

الأحكام وهم سادات المؤمنين ، وأكمل الأمة إيمانا ، لكنهم بحمد الله ، لا يخرجهم تنازعهم هذا عن حظيرة الايمان ولايزحزحهم عن الحق والصدق وصراط الله السوى ، فهم يردون ما يتنازعون فيه إلى آى الذكر الحكيم وسنة النبي الكريم ، فجميعهم على اثبات ما نطق به الكتاب ، وما وردت به السنة ، لم يسوموا ذلك تأويلا ، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا ، فجعلوا الأمر ، واحدا ، ولم يحيدوا . كما حاد أهل الأهواء والبدع الذين جعلوا القرآن عضين ، وأقروا بعض ما عرفوه وأنكروا بعضه من غير فرقان مبين .

ثم اختلفوا على عثمان بن عفان رضى الله عنه لأمور نقموها منه ، وأخذوها عليه ، إلى أن قتل فى عقر داره ، فاشتجر الخلاف وظهر أثره الرائع فى واقعتى الجمل وصفين ، وفى فتنة الحكمين ، فخلف خلوف فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ، فصارت الأمة إلى أحزاب وشيع ، فكانت الخوارج وهم أول فرقة تجردت لتفريق الكلمة فى زمن عزة الاسلام وشوكته ، ولم تكن غايتهم لمنهج دينى أو سنة نبوية . ولكن غلواءهم أثرعا طفة سياسية خاطئة ، ثم ما نشب أن ظهرت الشيعة واندس فى صفوفهم من خرج عن المحجة ، ومن هم يكنون للاسلام البغضة ، فعملوا على انهيار أسسه ودك حصنه (ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

ثم نبتت . نابتة ، اختلفوا فى القدر والاستطاعة ، وتشعبت فرق ، خرجوا على ما ارتضاه الدين ، بله مانشأ عن الفتوح ودخول كثير من اليهود والنصارى والمجوس من الفرس . فى دين الله تعالى ، ليثأر هؤلاء لدولتهم ، وأولئك لدينهم وهم متأثرون بتعاليمهم . وما ورثوه عن آبائهم ، وأجدادهم ، الى ماتلا ذلك ، من نقل كتب فلاسفة اليونان ، وحكماء الهنود وزنادقة الفرس ، وبخاصة فى عصر المأمون الذى كان أول من أمر بنقل علوم الاغريق من فلسفة إلهية ، ومذاهب خلقية . ونفسية ، الى مافى نفسه ، من شغف . بالعلوم ، فوق ماجره ، تطور الحياة العقلية فى الأمة الاسلامية ، وما ألفوه ، من جدل كلامى . وما استشرفت

اليه ثقافتهم ؛ من اطلاع ، على ما كان للأمم القديمة ، من منطق وفلسفة ، وطب ، وفلك ، وموسيقى ، وأدب ، وسياسة ، وتاريخ ، مما أعدت نفوسهم الى أن تظهر نظريات . جديدة فى الالهيات ، وآراء حديثة فى تعرف الخير والشر ، وفى الارشاد العملى ، فى هذه الحياة ، الى آراء فى الروح ، والنفس والعقل ، مما لاعهد للمسلمين به من قبل ، وقد حذا حذو الخليفة ، فى النقل ، كثير من أعيان دولته ، وسرى هذا النقل فى الدولة العباسية ، فانتشرت مذاهب الفلاسفة ، والحكماء ، بين الناس ، واشتهرت كتبهم فى الأمصار ، وروجها فاسدو العقيدة ، ضعاف الايمان وأقبل من الفرق الاسلامية ، من أقبل ، وأكثروا من النظر فيها والتصفح لها ، فانجر على الاسلام وأهله من ذلك مالا يوصف من البلاء والمحنة فى الدين ، والزندقة والزيغ فى العقيدة ، فعظم بالفلسفة ضلال أهل البدع ، وزادتهم كفرا الى كفرهم . وظهرت فى أيام المأمون دعوة الباطنية ، وضررهم أشد من ضرر غيرهم ، ومن وضع أساس الباطنية ، هم من أولاد المجوس ، وقد أشرب فى قلوبهم الحقد على الاسلام ، وبغض النبي عليه الصلاة والسلام ، فعملوا على أن ينسلخ من الاسلام أهله ، وأن يطامنوا من قوته ، بما لبسوه ونمسوا به من روايات محرفة ، وأقوال مزخرفة ، وتأويلات فاسدة ، وعملوا على تشكيك المسلمين ، فيما انزل ، على نبيهم ، وما نطق به رسولهم ، الى استباحة المحرمات ، والانغماس فى اللذات والشهوات ، وترك العبادات ، الى غير أولئك من الفرق ، التى كشف عنها الامام الشهرستانى ، فكشف رحمه الله ، عن هذه الفرق ، وما لهم من مساو وقل من يوجد منهم على غير دين أبيه ، ومعلمه وأقربيه ، وداء الناس فى دينهم قديم ، ومن لم يكن ثبتا فى دينه ، ونظر فى الملل ، عثر فى الزلل ، وأشرف على اختلاف ، مود الى اتلاف ، وهو يكشف مايزيل هذه الشكوك ، بقبس هدى ؛ ونور بيان ، مما يبعث فى النفس الأسى ، على خلاف الأمة ، ويزيد الأسف على تفرقهم شيعا وأحزابا . وأكثر من ينتحل السنة فى عماء ، فالعامة

فى حيرة . وغشاء ، والقدرية للطعن درية . وحجة الرافضة ، عند الله تعالى داحضة . والحشوية ، فى غى . وركبت المرجية شموس المطى ، وسارت الخوارج على أقدام عوارج ، وحادت المعتزلة ، عن مهيع العلماء الأعلام ، وإن كانوا فرسان الكلام ، وأهل البيان فى الاسلام . وقد تجانفت اكثر الشيعة ، عن طريق الحقيقة والشريعة وغلوا فى دينهم . وسبوا صحابة نبيهم . ينتظرون أمامهم الغائب ، وهو بلا ريب غير آيب ، كما طال انتظار السبئية ، للامام على رضى الله عنه ، يرتقبونه فى السحاب ويقرئون عليها السلام ، وهو جهل فاضح ، بله انهم سدروا فى غلوائهم ، حتى أخرجوه من البشرية ، وتمثلوه مثال الالهية . وكان على غرار أولئك . طائفة الكيسانية ، وعقيدتهم فى أئمتهم ، من أنهم آلهة . تمثلوا بشرا ، وقد طال انتظارهم لابن الحنفيه ، كما طال انتظار الحربية ، على ابن ذى الجناحين ، والناوسية لجعفر الصادق ، إلى غير أولئك . من فرق ، قد أتى ، على ذكرها ، وكشف عن عقائدهم وما لهم من أفائك . وما لبسوا به على المسلمين من زندقة وإلحاد ، وما ذهب إليه جهم ، فى أفعال العباد ، فلا ذنب . لحاضر أو باد ، وما أخذت به المرجئة . فى اختلاف الوعيد ، فما أشبه الشقى بالسعيد ، وان الله عفو كريم ، عفوه قريب ، وكرمه عظيم ، وما صح عن المجبرة والخوارج ، فى عقاب الأطفال ، وما روى عن الميمونية ، من نكاح بنات البنين ، وبنات البنات . وتلك إحدى الهنات . الشائنات فقد سنوا ، فى ضلالهم سنة المجوس ، إلى ما ابتدعته الاباضية ، من جواز أن يبعث الله نبيا ، بغير دليل ، ولا آيات ، فأجازوا النبوة لسائر المخلوقات ، من معصوم جليل ، أو فاسد ضليل . وغير أولئك من شناعات تلك الفرق ، التى يسردها ، الشهرستانى فى كتابه ، ويشير اليها فى ثنيات سطوره . وبخاصة ماموه به بيان بن سمعان النهدى ، من أمر معبوده فى صورة إنسان . وأنه يهلك ويبقى وجهه . وما نادت به النجدية بأن من

أذنب منهم . فهو مؤمن . لا شية عليه . وغير خالع ثوب إيمانه . ومن أذنب من غيرهم . فهو كافر بربه ، يصلى عذابه . ويستحق عقابه . وما رأته الازارقه من أن المسلم يدار الكفر كافر . فكفروا المؤمنين . واستحلوا قتل الأطفال البريئين ، إلى غير أولئك ، مما تراه فى كتابه منشورا ، مسطورا .

ثم بعد أن انتهى ، من بيان الفرق الاسلامية . وما لهم ، من آراء ومعتقدات ، أخذ فى سرد ، الملل غير الاسلامية ، فأخذ فى ذكر أهل الكتاب . من اليهود والنصارى ؛ وأشهر فرقهم وما ارتآه أصحاب السبت ، من استقباح النسخ . وقالوا النسخ بداء . وهو محال على العليم الحكيم ، وما فعلته السامرة ، من عبادة العجل وما أعلنوه من ان لا نبوة لغير موسى ويوشع عليهما السلام ، وما اختلفت فيه النصارى . وبدلوه . وغيروه . فى انجيلهم . وقولهم فى الواحد الأحد إنه ثلاثة اقانيم ، وما ابتدعته ، الملكانية ، من امتزاج الكلمة بجسد المسيح ، وقد وصفوه ، بأنه ناسوت كلى لاجزئى ، وهوقديم أزلى . من قديم أزلى وما فعلته العيسويه . من ادعاء الربوية لعيسى عليه السلام وزعمت أنه كان قديما ، لا فى مكان ، ثم تجسم فصارجسدا وماتسيمته النسطورية من إسباغ اللاهوت . على عيسى عليه السلام واستئثاره ببدن الناسوت . ثم أخذ فى ذكر من لهم شبه كتاب وسرد المجوسية ، وأصحاب الاثنينيه ، والمانوية وسائر فرقهم . وما زاغت به عقائدهم . وما عبدوه ، من نيران . وما اتخذوه من أصنام وأوثان ، وما بدعته المانويه ، ومن نحا نحوهم اذ جعلوا مع الله صانعا ، وقالوا بتدبير ربين خالقين . هما النور والظلام . وما فرضه مانى ، من سنن وصلوات . وما كلفهم أن يأتوه . وما حرم عليهم من منكرات وسرد ما أباحته المزدكيه من استحلال النساء ، واستباحة الأموال . واعتبار الناس شركاء فيها . شركتهم فى الماء والنار . والكلأ . واستباحتهم قتل الأنفس لتخليصها من الشر ومزاج الظلمة ، بله

ما أتاه ديصان . من إثبات أصلين ، نور . وظلام . فالخير من النور والشر من الظلام ، فأثبتوا الهين متضادين . النور والظلمة . وجعلوا لهما ثالثا هو المعدل الجامع . وهو دون النور فى الرتبة وفوق الظلام فى المنزلة والكينوية وما ذهبوا اليه من أن الأصول ثلاثة النار والأرض والماء والعوالم إنما حدثت من تلك الأصول . إلى ما زعمته التناسخية من اعتقاد، تنقل الأرواح فى الأجساد المختلفة . وثواب المحسنين بالتنقل إلى أجساد بشرية . وعقاب المجرمين بتنقلهم فى أبدان العجماوات من البهائم ، وأبدية الدنيا . وأنه لا فناء لها .

ثم أخذ فى سرد بيوت النيران . وبناتها ، وأماكنها ، وماذهب اليه القوم من تعظيمها وان فى تعظيمها نجاة من عذاب النار ، ثم إنه انتقل ، الى الكلام . على أهل الأهواء والنحل وفى مذهبه أنهم هم الذين يقابلون أرباب الديانات والملل ، تقابل التضاد ، وذكر أنهم يعتمدون ، فى مذاهبهم ، على الفطرة السليمة ، والعقل الكامل ، والذهن الصافى ، فأخذ فى ذكر الصابئة ، وماذهبوا اليه من عبادة الملائكة وما تعصبوا به للروحانيات ، واعتبارهم الروحانيين . مبرئين ، عن القوى الجسدانية ، منزهين عن الحركات المكانية جبلوا على العلم . والطهارة ، وفطروا على التقديس والكرامة ، فاتخذوهم أربابا ، وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله تعالى ، وهو رب الأرباب ، وإله الآلهة ، وقد أوجبوا تطهير نفوسهم ، ليعلقوا من أولئك الروحانيين بسبب ، ثم أخذ فى سرد آرائهم ، وأقاويلهم وما أجابت به الحنفاء على ترهاتهم ، وأخذ يتكلم فى القوى ، وأقسامها ، وهو فى ذلك كله . متأثر ، بما نقل عن أرسطو طاليس فى فلسفته ، معتمد على ماجاء فى كتب ابن سينا ، فى إشاراته وشفائه ونجاته . وسرد الكلام على أصحاب الهياكل والأشخاص وأنها متوسطات ، تصلهم إلى بارئهم إذ أنه لابد للانسان من متوسط ولابد للمتوسط من أن يرى ففزعوا الى الهياكل ، واتخذوا السيارات أربابا آلهة ، والله تعالى رب الأرباب ، وإله الآلهة فكانوا

يتقربون الى الهياكل زلفى إلى الروحانيات ويتقربون الى الروحانيات ، قربى إلى البارىء تعالى .

ثم إنه أخذ يتكلم عن الحرنانيين ، وطريقتهم وما عبدوه من النجوم وما ذهبوا اليه فى تدبير البروج والأفلاك ; وما لها من قضاء فى الخير والشر وما استندوا اليه فى التنجيم ، وليس فيه غير الترجيم وماعبدوه من الكواكب وهى بين آفل وغائب ، لاتنفع شيئا ولا تضر ثم أخذ فى ذكر الفلاسفة ، والفلسفة اليونانية وما ذهبوا اليـــه فى فلسفتهم وحكمهم ، وما أظهروه من الطبعيات والإلهيات ثم الرياضيات . وما ابتكروه من علوم فى الوصول إلى فلسفتهم وأخذ يقارن بين فلاسفة اليونان وحكماء العرب وحكماء البراهمة الهنود ، ويرى أن حكماء الروم واليونان هم أساطين الحكمة ، وإلى متأخريهم هم وفلاسفة الاسلام نور انبثق قد تلقوه عن النبوات ويرى أصل الفلسفة والحكمة ومبناهما فى الروم ، وغيرهم عيال عليهم . وأخذ يتكلم عن الحكماء السبعة ويسرد ما لكل من رأى وما اطنبوا فيه من الأعراض والجواهر . والمركب والبسيط ، والمحرك والدائر والباقى والداثر ، وما أقدموا به على إبطال الشرائع وقولهم بتدبير الأربع الطبائع وما قال به بعضهم بخامس للأربع ، وهم فى طريق عاسفة . وفى حيرة راسفة ، فماذا فعلته الهيولانية فى قدم الهيولى الذى هو عندهم أصل الأشياء ومدبر الموات والاحياء بتحريك قوة فى الجواهر أصلية قديمة أزلية ; تجعل ميت الحيوان ناطقا وتنفرد بتدبير هذه الأكوان وما قالوه من قدم الجوهر القابل للأعراض وغير أولئك مما ذهبوا اليه مما تراه فى نقله . وأكثر الظن . أنه إنما يعتمد على ما كتبه ثامسطيوس . وفلوطرخس وما كتبه ابن سينا فى كتبه . وما شرح به اللام وأثولوجيا مما أثر عن أرسطوطاليس . وأفلاطون . وغيرهما ولم يشأ أن يتعب القارىء . فيما ذهبت اليه الفلاسفة من ألغاز ورموز ومعميات .

فأخذ فى سرد حكم لهم . تناولتها ألسن العرب ، ودونت ; فى ثنيات

كتبهم ، والحكمة لقاح الذكاء . وروحة النفس ثم بعد انتهى من الكلام عن فلاسفة اليونان . أخذ يتكلم عن فلاسفة الاسلام . ورأى أنهم جميعا سلكوا طريقة أرسطوطاليس واحتذوها فى فلسفتهم ، ولما كان لابن سينا فى نفسه من اجلال وإكبار . وقد رأى ان طريقته أدق عند الجماعة ونظره فى الحقائق أغوص اختار طريقته واختصر ما أثر عنه فأخذ يتكلم عن منطق ابن سينا . وهو فى الحق مأخوذ عن منطق أرسطو ثم سرد ما ارتآه ابن سينا فى الالهيات . ومسائلها التى ارتضاها فيها . ثم عقد ذلك بما ارتآه ابن سينا . فى الطبيعيات . وما له فيها من مقالات وهو خلاصة ما جاء فى كتاب ابن سينا النجاة ، ثم أخذ فى ذكر آراء العرب فى جاهليتهم وما انتهجوه من عبادة الأصنام ، وما لهم وما للهنود من بيوت للأوثان والأصنام وما للعرب من عادات وما لهم فى جاهليتهم من علوم وفنون . ومن كان منهم صابئا ومن كان يعبد الله . ويعتقد باليوم الآخر . وماحرموه على أنفسهم وما لهم من عادات فى الزواج والطلاق والحج . وما ياتونه فى حجهم ونسكهم ؛ وما لهم من خلال كريمة . وأخلاق ذميمة وعقائد صحيحة وأخرى سقيمته ، وما أقره الاسلام لهم ، وما حرمه عليهم .

ثم أخذ فى ذكر آراء حكماء الهنود ، إذ أنه يرى العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد ، والهند أمة كبيرة . وملة عظيمة . وآراؤهم مختلفة، وسرد ما عرفه عن البراهمة . وما ذهبوا إليه من قدم العالم . وأن له مديرا قديما مثيبا . ومعاقبا . ومن قال منهم بحدوث العالم وأن له محدثا فقالوا بالوحدانية ولكنهم نفوا النبوات . وأبطلوا إرسال الرسل . ونزول الكتب . وقالوا ليس بين الله تعالى وبين خلقه واسطة غير العقل . وما احتذاه العقلاء . فمن أراد أن يجعل نفسه نبيافليفعل وقد ذهبوا إلى أنه لا يجب على الخلق إلا معرفة الله عز وجل ، وترك المظالم . وقد ذهب بعضهم إلى أن العالم حادث وله محدث . إلا أن مدبرات العالم هى السبعة الأفلاك والبروج الاثنا عشر ،

وإمامهم ، وعميدهم برهما . وهو هندى الأصل ، ثم أخذ فى بيان مشهورى طوائفهم ، وما أخذوا به من عقائد وعادات .

فهذه أثارة مما تكلم فيه الشهرستانى ، فعنايته ، آية . على أنه ممن وفقه الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العالم من أرباب الديانات والملل وأهل الاهواء والنحل والوقوف على مصادرها ومواردها . واقتناص أوانسها وشواردها. أراد أن يجمع كل أولئك . فى مختصر يحوى جميع ما تدين به المتدينون . وما انتحله المنتحلون عبرة لمن استبصر ؛ واستبصارا لمن اعتبر . فانتحى رحمه الله ناحية فريدة . من استيعاب أمرهم . وما انتهجوه فى طريقتهم. مع كشف أسرارهم وبيان أغراضهم . دون أن يغفل الناحية التاريخية لكل فرقة وشعبة ولكل فيلسوف ، أو حكيم وذلك كله فى عبارات سلسة ، ولغة رصينة ، فجاء كتابه على صغر حجمه غزير المادة جم الفائدة . جامعا لشتيت أهل الملل والنحل ، مستقصيا غرائبهم . متقصيا أغراضهم .

ويقول الإمام السبكى فى طبقاته فى ترجمة الشهر ستانى صاحب كتاب الملل والنحل « وهو عندى خير كتاب صنف فى هذا الباب ، ومصنف ابن حزم وإن كان أبسط منه إلا أنه مبدد ليس له نظام ثم فيه من الحط على أئمة السنة ونسبة الأشاعرة إلى ما هم براء منه ما يكثر تعداده ، ثم ان ابن حزم نفسه لا يدرى علم الكلام حق الدراية على طريقة أهله » وتلك شهادة من امام جليل تدل على قدر الشهر ستانى وما لكتابه من منزلة سامية وما فيه من تحقيق وتدقيق .

هذا وقد ظهر من العلماء من ينصح بان لا ينظر فى كتب الملل والنحل غير الوثيق فى دينه وفى عقيدته وغير المتمكن من الحقيقة المنتهى إلى الطريقة مخافة الزيغ والضلال . وقد قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربى فى فتوحاته (لا يجوز النظر فى كتب الملل والنحل لأحد من القاصرين وأما صاحب الكشف فينظر فيها ليعرف من أى وجه تفرقت أقوالهم لا غير وهو آمن

من موافقتهم فى الاعتقاد) لـكن من يعنى بالتاريخ ، لا يسعه أن ينصرف عن ذلك ، بل لا بد له من المامة بتاريخ الفرق ونشأتها وما تأثرت به العقيدة من اختلاف أهواء أربابها وما تأثرت به وجهة التاريخ من ناحيتها وماجرى فيه القوم على عادتهم وما مضوا به فى طريقتهم وما حافظوا به على شاكلتهم

وكذلك من يشتغل بالفلسفة والحـكمة وأصول الدين وأصول الفقه ، لا بد له من احاطة بتاريخ الفرق ومقالاتهم ومنازعهم وما لهم من بحوث وآراء . تتصل بالعقائد والعادات . والمنازع والعبادات ليـكون على بينة من الأمر وليميز خبيثها من طيبها ويعرف حقهـــا من باطلها ، ويفرق من صحيحها وسقيمها .

هذا ولقد ذكر صاحب كشف الظنون أن نوحا أفندى مصطفى الرومى المصرى الحنفى المتوفى سنة ١٠٧٠ ترجم كتاب الملل والنحل للشهرستانى إلى اللغة التركية وبدار الـكتب نسخة من هذه الترجمة فى مجلد طبعت بمطبعة بولاق سنة ١٢٦٣ .

وقد عنى المسلمون قبلا بعلم مقالات الفرق . قال صاحب مفتاح السعادة طاش كبرى زاده عنـــه هو علم باحث عن ضبط المذاهب الباطلة المتعلقة بالاعتقادات الإلهية وموضوعه وغايته ومنفعته ظاهرة جدا .

وانما عنى به السابقون ليميز الله الخبيث من الطيب وليـكون المطلع على بينة من خبيثات القوم تتـكشف له العقائد الصحيحة من الفاسدة والآراء الصائبة من الفائلة . هذا وقد لقى كتاب الملل والنحل عناية كبرى من المشتغلين بالآثار الاسلاميـــة وبخاصة ممن يعنون بمقالات الفرق وما طرأ عليها من تطورات وما انتظمته من آراء وبحوث وقد ظهرت عنايتهم بدراستهم اياه وتوافرهم عليه واقبالهم على ما احتواه فترجم إلى لغات عدة ولقى صدورا رحبه وقد طبع بالعربية مرات فى الشرق والغرب ، ومما يؤسف له أن جميعها لم يلاق العناية الواجبة . فان فيها كثيرا من التصحيف والتحريف والأغاليط

والاخطاء وسقط كثير من الجمل . وقد انتهزت نهزة افترصتها من بين وقتى الملىء بالمشاغل والمقابلات والاستفتاءات وما تدفعنى إليه مهنة المحاماة من مراجعات ومذكرات فقرأته تباعا بمقدار ما يحتاجه الطابع مصححا ما أراه خطأ راجعا ما وقع فيه من تصحيف وتحريف إلى صوابه مكملا ما سقط من النسخ التى بأيدينا معتمدا على مظانها آخذا ممن أخذ منه الشهر ستانى فى زيادة ما أزيده وقد وضعت زياداتى بين قوسين ، فما كان بين القوسين أثناء الكتاب فهو مما زدته على النسخ مما سقط من النساخ أو من الطابعين إلى ما كشفته عن تاريخ من تعرض لذكرهم معلقا على بعض مايعن لى من موضوعات تحتاج إلى فضل بيان أو تزيل شبهه وتصحح عقيدة وتفسر آية أو تشرح حكمة أو حديثا أو تبين بلدا أو طائفة إلى غير ذلك مما يراه القارىء وذلك بقدر ما وسعه جهدى وما حبانى الله تعالى من منة وقوة وما اتسع له وقتى الكظيظ باعباء مهنتى راجعا إلى ما بين يدى من مكتبتى الفهمية من أسفار ما بين مطبوع أو مخطوط وقد نسبت ما أخذته لأصله وموطنه متابعة لامانة العلم ومسايرة لواجب الاشادة بصاحب الفضل وبيانا لما لسفنا الصالح من تبحر فى العلم وخوض عيابه وامعان فى التنقيب وتقص فى التدقيق فهم رحمة الله عليهم جهابذة أهل النظر وحضنة العلم وما أردت بعملى إلا أن يكون حافزا لمن يقع بصره على ما انتظمه الكتاب أن يستزيد مما رجعته اليه . وما لم أرجع إليه من مصنفات وأسفار فيستكمل ما بدأت كماله ويغوص على دقائق المسائل وغوامضها وينقب عن غرائبها ونوادرها ليتنسم مما تنسمت ويقتبس مما اقتبست فيستضىء بتلك المشكاة التى بها استضأت ويرد تلك الشرعة التى وردت . وبالله التوفيق ومنه الهداية . بله ان ما عنيت به فيه كفاء يفتح الباب لمن طرقه ويفيض الفيض لمن رغب فى زيادة الفائدة واستكمالها .

وقد وددت . أن أودع مقدمتى بعض المثل على ما أجريته وما محصته . وما زدته وصححته . ولكنى وجدتنى فى غنى عن ذلك بما يقع

عليه بصر القارىء . وما تهديه اليه زكانته . وفطانته ومايرشده إليه من رجوعه إلى النسخ . سواء أكانت مطبوعة أم مخطوطة . واكبر الظن أنه يدرك . ما بذلته من جهد وما عانيته . من بحث واستقراء وهو مجهود يرجع الفضل فيه الى توفيق الله تعالى والهامه فقد أقف عن لفظة . أجدها فى جميع النسخ فابحث واتقصى حتى يهديني الله إلى صوابها وذلك أثر من آثار الاخلاص وما بدا فى طلبة صديقى الوفى محمود أفندى توفيق . الكتبى الشهير من رغبة صادقة فى أن يخرج هذا الكتاب فى صحة وعناية . فطلب منى قراءته وتصحيحه . والتعليق عليه . فجزاه الله خير الجزاء ووفقنا الله عز وجل للقول الصدق والمذهب الحق ونسأله جل شأنه ألا تزل أقدامنا على الصراط السوى والمنهج الواضح المضى وأن يهب لنا العزم الصادق القوى . وييسر لنا الاهتداء بهديه . والاستنان بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وأن يبصرنا بطريقة من اتبع سنته واختار شريعته وعصمنا بعصمة الاسلام وجنبنا طريق الأوزار والآثام . « وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب »

هذا قد رأيت لزاما على أن أبدأ بترجمة قصيرة . للشهرستانى . وبعض أساتذته الذين أخذ عنهم علمه وفلسفته . فأقول . والله الهادى سواء السبيل .

الشهرستانى

أبو الفتح محمد بن أبى القاسم . عبد الكريم الشهرستانى الفيلسوف المتكلم على مذهب الأشعرى . كان اماما مبرزا . فقيها . متكلما . واعظا محاضرا .

تفقه على أحمد الخوافى . وعلى ابى نصر القشيرى . وغيرهما وبرع فى الفقه وقرأ الكلام على أبى القاسم الانصارى وسمع الحديث من على بن أحمد المدينى وقد كتب عنه ابن السمعانى وشاد بذكره . وعظم صيته

وقد تفرد فى علم الكلام . وصنف فيه كتبا كثيرة منها نهاية الأقدام فى

علم الكلام . تكلم فيه على عشرين قاعدة تشتمل على جميع مسائل الكلام
وله كتاب الملل والنحل . وهو هذا الكتاب . وكتاب المناهج . وكتاب
البينات وكتاب المضارعة . وكتاب تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام وكتاب
غاية المرام فى علم الكلام . وكتاب دقائق الأوهام وكتاب الارشاد الى عقائد
العباد . وكتاب المبدأ والمعاد وكتاب العيون والأنهار . وقصة موسى والخضر
وكتاب شرح سورة يوسف بعبارة لطيفة فلسفية . وكتاب الأقطار فى الأصول
وتزيد مصنفاته على عشرين مجلدا وقال فى تتمة صوان الحكمة . وكان يصنف
تفسيرا ويؤول الآيات على قوانين الشريعة والحكمة وغيرها . فقلت له هذا
عدول عن الصواب لايفسر القرآن إلا بتأويل السلف من الصحابة والتابعين
والحكمة أمر هو بمعزل عن تفسير القرآن وتأويله خصوصا ما كنت تؤوله
ولا تجمع بين الشريعة والحكمة أحسن مما جمعه الامام الغزالى رحمه الله ،
فامتلأ من ذلك غضبا . وكان الشهرستانى كثير المحفوظ . حسن المحاورة وله
مجالس مشهورة مذكورة عقدها بخوارزم وغيرها وقد دخل خوارزم واتخذ
بها دارا وسكنها مدة وأهلها علماء فقهاء أذكياء أغنياء . والمعيشة بينهم
موجودة . وأسباب الرزق عندهم غير مفقودة وبها من العلماء والأعلام .
ما كانت تموج بهم ، فكان يشار اليه فيها بالبنان ثم أنه تحول إلى خراسان .
وعلماؤها كانوا فى العلم فرسانه وساداته وأعيانه إلى ما نشأ فيهم . من أهل
اللغة والأدب والنظم والشعر . وكان فيها موضع اجلالهم وتبجيلهم ثم رحل
لبغداد وهى جنة الأرض . ومدينة السلام وقبة الاسلام وبها أرباب الغايات
فى كل فن وآحاد الدهر فى كل نوع وقد أقام ببغداد ثلاث سنين . وكان له
مجلس وعظ فى النظامية وظهر له قبول عند العوام وكان المدرس بها يومئذ
أسعد الميهنى . وكان بينهما صحبة . بالغة بخوارزم فقربه أسعد لذلك .

وكانت البلاد التى يقيم فيها . تموج بالعلماء وتذخر بالأعلام . فكان فى
طليعة العلماء . وفى مقدمة الحكماء تميز بما نشره من آراء جديدة . وهو معان

فى كل ماأتاه وما نشره بالقريحة الثاقبة والرويئة الصائبة . قد شمر ذيله . وأسهر ليله فكان أن أصاب المراد . وصادف المرتاد .

وكانت له مجالس . يشير فيها إلى اشارات فى أصول الحكمة تدعو إلى اكباره واجلاله . ومع جلالة قدره . ووفور عقله وفهمه . لم يسلم من ألسنة معاصريه ولا نافسيه . قال الخوارزمى فى تاريخ خوارزم واتخذ بها دارا وسكنا ثم تحول الى خراسان . وكان عالما حسن الخط واللفظ . لطيف المحاضرة طيب المعاشرة . ولولا تخبطه فى الاعتقاد . وميله الى هذا الالحاد . لكان هو الامام وكثيراً ما كنا نعجب من وفور فضله . وكمال عقله .

وذكر ابن السمعانى . أنه كان متهما بالميل إلى أهل القلاع (يعنى الاسماعيليه) والدعوة اليهم . والنصرة لطاماتهم وقال فى التحبير أنه متهم بالالحاد والميل إليهم . غال فى التشيع . وقد قال السبكى فى طبقاته . وما أدرى من أين ذلك لابن السمعانى . فان تصـــانيف أبى الفتح دالة على خلاف ذلك . ويقع لى أن هذا دس على ابن السمعانى فى كتابه التحبير . وإلا فلم يذكره فى الذيل . وقال فى لسان الميزان . فلعله كان يبدو منه ذلك على طريق الجدل أو كان قلبه أشرب محبة مقالتهم لكثرة نظره فيها .

والحق أقول أن ما اتهم به . هو منه براء فان تصانيفه آية على استمساك بالعقيدة واعتصام بالدين . وأنه يميل إلى أهل السنة والجماعة الا أنه كان يتابع مذهب الفلاسفة . ويذب عن آرائهم وأفكارهم . مما أدى لتهمته.

وقد كان لفهمه يلقب بالأفضل وبالفيلسوف وبالامام وكان مقربا من سرير السلطان الأعظم سنجر بن ملكشاه وصاحب سره .

وقد ذكر فى أول كتابه نهاية الأقدام .

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها   وسيرت طرفى بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر   على ذقن أو قارعا سن نادم

ولم يذكر لمن هذان البيتان وقد قيل إنهما لأبى بكر محمد بن باجة المعروف بابن الصائغ ، وقيل انهما لأبى على ابن سينا .

وكان الشهرستانى يروى بالاسناد المتصل إلى النظام ابراهيم بن سيار البلخى العالم المشهور إذ كان يقول : لو كان للفراق صورة لارتاع لها القلوب ولهد الجبال ولجمر الغضى أقل توهجا من حمله ، ولو عذب الله أهل النار بالفراق . لاستراحوا إلى ما قبله من العذاب : وكان يروى للدريدى قوله .

ودعته حين لا تودعه روحى ولكنها تسير معه

ثم افترقنا وفى القلوب لنا ضيق مكان وفى الدموع سعه

وقوله :

يا راحلين بمهجة فى الحب متلفة شقيه

الحب فيه بلية وبليتى فوق البليه

ومن كلماته قوله : لاتعب إنسانا بما لا يمكنه أن يعلم ، الصبر عما تحب ويضرك أشد من الصبر على ما تكرهه ، املك نفسك فى مواطن النوائب بالصبر ، وقال فى العالم العلوى : الشيخ أبهى من الشاب ، والوالد أشب من الولد ، وقال : من شرط المصنف . أن يحترز عن الزيادة على مايجب ، والنقصان مما يجب ، وتقديم ما يجب تأخيره ، وتأخير مايجب تقديمه ، وقال الانحاء ، التعاليمية ، التقسيم ، والتحليل ، والتحديد والبرهان ، وقد سئل ، عن مولده ، فقال ، سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وتوفى فى شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

أبو المظفر أحمد الخوافى

أبو المظفر أحمد بن محمد بن المظفر الخوافى ، وخواف ، قرية من أعمال نيسابور ، من كبار فقهاء الشافعية ، تفقه على أبى ابراهيم الضرير ، ثم على إمام الحرمين ، الامام أبى المعالى الجوينى ، فكان من عظماء أصحابه . واخصاء طلابه ، يذاكره فى ليله ونهاره ، ويختصه بمسامرته وأسراره ، وكان

الامام معجبا به ، وبفصاحته ، ويثنى على حسن مناظرته ، ويصفه بالفضل ، إذ كان أنظر أهل زمانه ، وأعرفهم بالجدل ، وقد درس فى حياة الامام ، ثم ولى قضاء طوس ونواحيها فى آخر أيامه ، وبقى مدة ثم عزل عنها من غير تقصير ، بل من حقد وحسد ، وكان دينا ، ورعا ناسكا ، لم يعرف له هنة ، سمع الحديث ، من أبى صالح المؤذن ، وغيره . وكان فى المناظرة أسدا لا يصطلى له بنار ، قادرا على قهر الخصوم ، وإرهاقهم إلى الانقطاع . قال معاصروه رزق من السعد فى المناظرة ، كما رزق الغزالى السعد فى المصنفات ، تفقه عليه عمر القطان ، ومحمد بن يحيى وغيرهما . وقد توفى بطوس سنة خمسمائة ، قال عبد الغافر ، ولم يخلف مثله .

أبو نصر القشيرى

عبد الرحيم بن أبى القاسم عبد الكريم القشيرى . كان أمام الأئمة ، وحبر الأمة . تفقه على أبيه . وتخرج به . وبرع فى الأصول والكلام ، والتفسير ، والنظم والنثر ، والمسائل الحسابية ، وقد أشبه أباه فى علومه ومجالسه

ولما مات أبوه لزم إمام الحرمين ، حتى صار له قدم راسخ ، فى المذهب والخلاف ، وكان له موقع عظيم عند الامام ، حتى إنه نقل عنه فى كتاب الوصية من النهاية ، مع كونه شابا حديث السن وكان تلميذا له ، قد سمع الحديث من جماعة . وكان له الخاطر الحسن والشعر المليح .

ثم تأهب ابو نصر للحج ، فلما وصل إلى بغداد عقد مجلس الوعظ وظهر له من القبول مالم يعهد لغيره قبله ، فكان الشيخ أبو اسحاق الشيرازى وغيره من الأئمة يحضرون وعظه ، وقد أطبق علماء بغداد على أنهم لم يروا مثله ، وكان يعظ فى المدرسة النظامية ، ورباط شيخ الشيوخ ، ثم ذهب إلى الحج فأقام ببغداد سنة ، ثم حج ثانية ، وعاد اليها ، وجرى له مع الحنابلة ، خصام وشجار . وجدال ، ونقاش . بلغت غاية الشدة ، بسبب الاعتقاد ، إذ كان هو وأبوه ، وشيخه إمام الحرمين وغيرهم ، من أكابر العلماء ، من رءوس

الأشاعرة ، وممن ينصرون مذهب أبى الحسن الأشعرى ، وقد تعصب له أبو السعد الصوفى عصبية زائدة فى الحد ، وانتهى الأمر إلى فتنة ووقائع ، بين الفريقين ، قتل فيه جماعة من الفريقين . وركب أحد أولاد نظام الملك حتى أسكن الفتنة ، وأسكت الثائرة ، وقد بلغ الخبر نظام الملك ، وهو باصبهان ، فسير اليه . من استدعاه فلما حضر عنده زاد فى اكرامه . واجلاله ثم جهزه إلى نيسابور ، وقال ابن عقيل ، كان النظام قد نفذ ابن القشيرى إلى بغداد فتلقاه الحنابلة بالسب ، وكان له عرض ، فأنف من هذا ، فأخذه النظام اليه ، ونفذ لهم البكرى . وكان ممن لا خلاق له . فأخذ يسب الحنابلة ، ويستخف بهم .

وحين استقر القشيرى بنيسابور ، لازم الوعظ والدرس ، والافتاء ، وكان يحفظ من الشعر ، والحكايات شيئا كثيرا ، ثم أصابه ضعف فى أعصابه وقيل أصابه فالج ، وهو فى عشر الثمانين من عمره ، فأقام لذلك مقدار شهر ثم توفى فى ضحوة نهار الجمعة . الثانى والعشرين من جمادى الآخرة ، سنة أربع عشرة وخمسمائة ، ودفن بمشهدهم المعروف بهم بنيسابور ، وقد أقيم له العزاء فى رباط شيخ الشيوخ ، وفيه يقول امام الحرمين .

يميس بغصن إذا ما بدا ويبدو كشمس ويرنو كريم
معانى النجابة مجموعة لعبد الرحيم بن عبد الكريم

أبو القاسم الانصارى

سلمان بن ناصر بن عمران ، ينتهى نسبه إلى ميمون بن مهران ، أبو القاسم الانصارى ، النيسابورى ، أحد تلامذة الامام أبى المعالى الجوينى ، المبرزين ، كان مقدما فى علمى الاصول ، والتفسير ، فقيها ، إماما فى علم الكلام ، زاهدا ، ورعا ، راسخا فى علم التصوف ، وروى الحديث عن أبى الحسين بن مكى ، وأبى الحسين عبد الغافر الفارسى ،

وكريمة المروزية . وجماعة غيرهم . وقد أثنى عليه ابن حبيب . وقال البوشنجى كان ذا دين وورع . وتقدم فى علم الـكلام . وله تصانيف فى أصول الدين

قال أبو بكر بن حبيب ، كان أبو القاسم يعنى المترجم إماما فى التفسير وعلم الـكلام . وقال عبد الغافر فى ذيلى تاريخ نيسابور سلمان بن ناصر ، الصوفى ، الامام الدين الورع ، الزاهد ، فريد عصره فى فقه ، بيته بيت الصلاح ، والتصوف والزهد ، وهو من جملة الأفراد فى علمى الأصول والتفسير خدم الامام أبا القاسم القشيرى مدة ، وحصل طرفا صالحا من العلم منه ، وسافر بعد ذلك إلى الحجاز ، وعاد إلى بغداد ثم خرج إلى الشام ، وزار مشاهد الأنبياء ، وبقى بها مدة ثم عاد إلى نيسابور ، واختلف إلى إمام الحرمين ، واستأنف تحصيل طريقته فى الأصول ، وتخرج بها ، وصنف تصانيف حسنة ، وكذلك صنف فى التفسير ، وأخذ فى الافادة ، وكان حسن الطريقة ، دقيق النظر ، واقفا على مسالك الأئمة وطرقهم فى علم الـكلام ، بصيرا بمواضع الأشكال ، مع قصور فى تقرير لسانه ، فـكانت معرفته فوق نطقه ، وكان له معرفة بالطريقة ، وقدم فى التصوف ، ونظر دقيق ، وفـكر فى المعاملة ، وتصاون فى النفس . وعفاف فى المطعم ، يكتسب بالوراقة ، ولا يخالط أحدا ، ولا يباسطه فى مطعم دنيوى . وسمع الحديث من المشايخ ، وكتب أكثر تصانيف الامام زين الاسلام بخطه ، عاش عيش الأبرار على سيرة السلف الصالحين ، وقد أقعد فى خزانة الـكتب بنظامية نيسابور ، اعتمادا على دينه ، وأصابه فى آخر عمره ، ضعف فى بصره ، ويسير وقر فى أذنيه . وقال أبو نصر الخطيبى ، سمعت محمود ابن أبى توبة الوزير يقول ، مضيت إلى باب بيت أبى القاسم الانصارى فاذا بالباب مردود ، وهو يتحدث مع واحد ، فوقفت ساعة وفتحت الباب فما فى الدار غيره . فقلت مع من كنت تتحدث . فقال كان هنا واحد من الجن كنت أكلمه ، قال ابن السمعانى أجاز لى مروياته . وسمعت محمد

ابن أحمد النوقانى ، يقول سمعت أبا القاسم الانصارى يقول كنت فى البادية فأنشدت :

سرى يخبط الظلماء والليل عاسف   حبيب بأوقات الزيارة عارف
فما راعنى الاسلام عليكم   أأدخل قلت ادخل ولم أنت واقف

فجاء بدوى ، وجعل يطرب ، ويستعيدنى . وقد شرح الارشاد فى أصول الدين ، لإمام الحرمين . وله كتاب القنية ، وتصانيف أخرى فى الفقه . توفى فى جمادى الآخرة سنة اثنتى عشرة وخمسمائة .

على بن أحمد المدينى

أبو الحسن المدينى ، على بن أحمد بن الاحزم ، النيسابورى ، المؤذن ، الزاهد ، الورع ، محدث نيسابور ، وإمامها وعالمها ، ومن جلة أعلامها ، كان كثير الاملاء ، أملى مجالس عن أبى زكريا المزكى ، وأبى عبد الرحمن السلمى ، وأبى بكر الحيرى ، وقد سمع الشهرستانى ، وغيره منه الحديث بنيسابور ، وقد توفى فى المحرم سنة أربع وتسعين وأربعمائة .

لست بقين من ذى الحجة سنة ١٣٦٧   عن جيزة الفسطاط
٢٧ من أكتوبر سنة ١٩٤٨   أحمد فهمى محمد
خريج مدرسة القضاء الشرعى



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين بجميع محامده كلها على جميع نعمائه كلها حمداً كثيراً طيباً مباركا كما هو أهله وصلى الله على محمد المصطفى رسول الرحمة خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة دائمة بركتها إلى يوم الدين كما صلى على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنه حميد مجيد .

لما وفقنى الله تعالى إلى مطالعة مقالات أهل العالم من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنِّحل(١) والوقوف على مصادرها ومواردها واقتناص أوانسها وشواردها ، أردت أن أجمع ذلك فى مختصر يحوى جميع ما تدين به المتدينون وانتحله المنتحلون ، عبرة لمن استبصر واستبصاراً لمن اعتبر وقبل الخوض فيما هو الغرض ، لابد من أن أقدم خمس مقدمات .

المقدمة الأولى : فى بيان أقسام أهل العالم جملة مرسلة .

المقدمة الثانية : فى تعيين قانون يبتنى عليه تعديل الفرق الاسلامية

المقدمة الثالثة : فى بيان أول شبهة وقعت فى الخليقة ومن مصدرها ومن مظهرها .

المقدمة الرابعة : فى بيان أول شبهة وقعت فى الملة الاسلامية وكيف

---

(١) جمع نحلة والنحلة بالكسر الدعوى والديانة ، ومنه الانتحال وهو ادعاء مالا أصل له .

انشعابها[١] ومن مصدرها ومن مظهرها

المقدمة الخامسة : فى السبب الذى أوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب .

المقـــدمة الأولى

فى بيان تقسيم أهل العالم جملة مرسلة

(١) من الناس من قسم أهل العالم بحسب الأقاليم السبعة وأعطى أهل كل إقليم حظه من اختلاف الطبائع والأنفس التى تدل عليها الألوان والألسن .

(٢) ومنهم من قسمهم بحسب الأقطار الأربعة التى هي الشرق والغرب والجنوب والشمال ، ووفر على كل قطر حقه من اختلاف الطبائع وتباين الشرائع .

(٣) ومنهم من قسمهم بحسب الأمم ، فقال كبار الأمم أربعة العرب والعجم والروم والهند ثم زاوج بين أمة وأمة فذكر أن (العرب والهند) يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء والحكم بأحكام الماهيات والحقائق واستعمال الأمور الروحانية (والروم والعجم) يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم إلى تقرير طبائع الأشياء والحكم بأحكام الكيفيات والكميات واستعمال الأمور الجسمانية .

(١) انشعب تباعد وتفرق كتشعب

(٤) ومنهم من قسمهم بحسب الآراء والمذاهب ، وذلك غرضنا فى تأليف هذا الكتاب ، وهم منهم منقسمون بالقسمة الصحيحة الأولى إلى أهل الديانات والملل وأهل الأهواء والنِّحل .

(ا) فأرباب الديانات مطلقا مثل المجوس واليهود والنصارى والمسلمين

(ب) وأهل الأهواء والآراء مثل الفلاسفة الدُهرية[1] والصابئة وعبدة الكواكب والأوثان والبراهمة ويفترق كل منهم فرقا فأهل الأهواء ليست تنضبط مقالاتهم فى عدد معلوم وأهل الديانات قد انحصرت مذاهبهم بحكم الخبر الوارد فيها ، فافترقت المجوس على سبعين فرقة واليهود على إحدى وسبعين فرقة والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة والمسلمون على ثلاث وسبعين فرقة ، والناجية أبدا من الفرق واحدة ، إذ الحق من القضيتين المتقابلتين فى واحدة ولا يجوز أن يكون قضيتان متناقضتان متقابلتان على شرائع التقابل إلا وأن تقتسما الصدق والكذب فيكون الحق فى احديهما دون الأخرى ومن المحال الحكم على المتخاصمين المتضادين فى أصول المعقولات بأنهما محقان صادقان ، وإذا كان الحق فى كل مسئلة عقلية وَاحدا فالحق فى جميع المسائل يجب أن يكون مع فرقة واحدة ، وإنما عرفنا هذا بالسمع وَعنهُ أخبر التنزيل فى قوله عز وجل « وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » وأخبر النبي عليه السلام « ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة والباقون هلكى

---

(١) الدهري بضم الدال الملحد الذى لا يؤمن بالآخرة القائل ببقاء الدهر وهو مولد

قيل : ومن الناجية قال أهل السنة والجماعة قيل : وما السنة والجماعة قال ما أنا عليه اليوم وأصحابى وقال لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق إلى يوم القيامه وقال عليه السلام « لا تجتمع أمتى على الضلالة

المقـــدمة الثانية

فى تعيين قانون يبنى عليه تعديد الفرق الاسلامية

اعلم أن لأصحاب المقالات طرقا فى تعديد الفرق الاسلامية لا على قانون مستند إلى نص ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود ، فما وجدت مصنفين منهم متفقين على منهاج واحد فى تعديد الفرق ، ومن المعلوم الذى لا مراء فيه أن ليس كل من تميز عن غيره بمقالة ما فى مسئلة ما عد صاحب مقالة ، فتكاد تخرج المقالات عن حد الحصر والعدد ، ويكون من انفرد بمسئلة فى أحكام الجوهر مثلا معدوداً فى عداد أصحاب المقالات فلا بد إذاً من ضابط فى مسائل هى أصول وقواعد يكون الاختلاف فيها اختلافا يعتبر مقالة ويعد صاحبه صاحب مقالة وما وجدت لأحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط إلا أنهم استرسلوا فى إيراد مذاهب الأمة كيف اتفق وعلى الوجه الذى وجد لا قانون مستقر ولا أصل مستمر فاجتهدت على ما تيسر من التقدير وتقدر من التيسير حتى حصرتها فى أربع قواعد هى الأصول الكبار

القاعدة الأولى : الصفات والتوحيد فيها وهى تشتمل على مسائل الصفات الأزلية اثباتا عند جماعة ونفيا عند جماعة وبيان صفات الذات

وصفات الفعل وما يجب لله تعالى وما يجوز عليه وما يستحيل وفيها الخلاف بين الأشعرية والكرامية والمجسمة والمعتزلة .

القاعدة الثانية : القدر والعدل وهى تشتمل على مسائل القضاء والقدر والجبر والكسب فى إرادة الخير والشر والمقدور والمعلوم اثباتا عند جماعة ونفياً عند جماعة ، وفيها الخلاف بين القدرية والبخارية والجبرية والأشعرية والكرامية .

القاعدة الثالثة الوعد والوعيد والأسماء والأحكام وهى تشتمل على مسائل الايمان والتوبة والوعيد والارجاء والتكفير والتضليل اثباتا على وجه عند جماعة ونفيا عند جماعة وفيها الخلاف بين المرجئة والوعيدية والمعتزلة والأشعرية والكرامية .

القاعدة الرابعة : السمع وَالعقل والرسالة والأمانة وهى تشتمل على مسائل التحسين والتقبيح والصلاح والأصلح واللطف والعصمة فى النبوة وشرائط الامامة نصا عند جماعة واجماعاً عند جماعة وكيفية انتقالها على مذهب من قال بالنص وكيفية إثباتها على مذهب من قال بالاجماع والخلاف فيها بين الشيعة والخوارج والمعتزلة والكرامية والأشعرية فاذا وجدنا انفراد واحد من أئمة الأمة بمقالة من هذه القواعد عددنا مقالته مذهبا وجماعته فرقة وإن وجدنا واحدا انفرد بمسألة فلا نجعل مقالته مذهبا وجماعته فرقة بل نجعله مندرجا تحت واحد ممن وافق سواها مقالته ورددنا باقى مقالته الى الفروع التى

لا تعد مذهبا مفرداً فلا تذهب المقالات إلى غير النهاية ، وإذا تعينت المسائل التى هى قواعد الخلاف تبينت أقسام الفرق وانحصرت كبارها فى أربع بعد أن تداخل بعضها فى بعض .

كبار الفرق الاسلامية أربع

(١) القـدرية (٢) الصفاتية (٣) الخوارج (٤) الشيعة .

ثم يتركب بعضها مع بعض ويتشعب عن كل فرقة أصناف فتصل إلى ثلاث وسبعين فرقة ولأصحاب كتب المقالات طريقان فى الترتيب أحـدهما أنهم وضعوا المسائل أصولا ثم أوردوا فى كل مسئلة مذهب طائفة طائفة وفرقة فرقة والثانى أنهم وضعوا الرجال وأصحاب المقالات أصولا ثم أوردوا مذاهبهم فى مسئلة مسئلة وترتيب هذا المختصر على الطريقة الأخيرة لأنى وجدتها أضبط للأقسام وأليق بأبواب الحساب وشرطى على نفسى ان أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غـير تعصب لهم ولا كسر عليهم دون أن أبين صحيحه من فاسـده وأعين حقه من باطله وان كان لا يخفى على الأفهام الذكية فى مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل .

المقـــدمة الثالثة

فى بيان أول شبهة وقعت فى الخليقة ومن مصدرها فى الأول ومن مظهرها في الآخر . اعلم أن أول شبهة وقعت فى الخليقة (شبهة إبليس لعنه الله ومصدرها استبداده بالرأى فى مقابلة النص وَاختياره الهوى فى

معارضة الأمر واستكباره بالمادة التى خلق منها وهى النار على مادة آدم عليه السلام وهى الطين وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات وسارت فى الخليقة وسرت فى أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلال وتلك الشبهات مسطورة فى شرح الأناجيل الأربعة انجيل لوقا ومارقوس[١] ويوحنا ومتّى ومذكورة فى التوراة متفرقة على شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع منه قال كما نقل عنه أنى سلمت أن البارى تعالى إلهى وإله الخلق عالم قادر ولا يسأل عن قدرته ومشيئته فانه مهما أراد شيئا قال له كن فيكون وهو حكيم إلا أنه يتوجه على مساق حكمته أسئلة قالت الملائكة ماهى وكم هى قال لعنه الله سبع .

الأول منها : أنه علم قبل خلقى أى شىء يصدر عنى ويحصل منى فلم خلقنى أولا وما الحكمة فى خلقه إياى .

والثانى : أن خلقنى على مقتضى إرادته ومشيئته فلم كلفنى بمعرفته وطاعته وما الحكمة فى التكليف بعد أن لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية

والثالث : إذ خلقنى وكلفنى فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فعرفت وأطعت فلم كلفنى بطاعة آدم والسجود له وما الحكمة فى هذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك فى معرفتى وطاعتى .

والرابع : إذ خلقنى وكلفنى على الاطلاق وكلفنى بهذا التكليف

---

(١) مارقوس : مرقس

على الخصوص فاذا لم أسجد فلم لعننى وأخرجنى من الجنة وما الحكمة فى ذلك بعد ان لم أرتكب قبيحا إلا قولى لا أسجد إلا لك .

والخامس : إذ خلقنى و كلفنى مطلقا وخصوصا فلم أطع فلعننى وطردنى فلم طرّقنى[1] إلى آدم حتى دخلت الجنة ثانيا وغررته بوسوستى فأكل من الشجرة المنهى عنها وأخرجه من الجنة معى وما الحكمة فى ذلك بعد أن لو منعنى من دخول الجنة استراح منى آدم وبقى خالدا فيها

والسادس : إذ خلقنى وكلفنى عموما وخصوصا ولعننى ثم طرقنى إلى الجنة وكانت الخصومة بينى وبين آدم فلم سلطني على أولاده حتى أراهم من حيث لا يروننى وتؤثر فيهم وسوستى ولا يؤثر فى حولهم وقوتهم وقدرتهم واستطاعتهم وما الحكمة فى ذلك بعد أن لو خلقهم على الفطرة دون من يحتالهم[2] عنها فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان أحرى بهم وأليق بالحكمة .

والسابع سلمت هذا كله خلقنى وكلفنى مطلقا ومقيدا وإذ لم أطع لعننى وطردنى وإذا أردت دخول الجنة مكنني وطرّقنى وإذا عملت عملى أخرجنى ثم سلطنى على بنى آدم فلم إذا استمهلته أمهلنى فقلت انظرنى[3] إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وما الحكمة فى ذلك بعد ان لو أهلكنى فى الحال استراح آدم والخلق منى وما بقى شر ما فى العالم أليس بقاء العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر قال فهذه

(١) طرقه : جعل له طريقا

(٢) يحتالهم : يحولهم ويزحزحهم عنها (٣) أنظره أخره .

حجتى على ما ادعيته فى كل مسئلة قال شارح الانجيل فأوحى الله تعالى
إلى الملائكة عليهم السلام قالوا له إنك فى تسليمك الأول إنى إلهك
وإله الخلق غير صادق ولا مخلص إذ لو صدقت إنى إله العالمين
ما احتكمت على بلِمَ فانا الله الذى لا إله إلا أنا لا أسأل عما أفعل
والخلق مسئولون هذا الذى ذكرته مذكور فى التوراة ومسطور فى
الانجيل على الوجه الذى ذكرته ، وكنت برهة من الزمان أتفكر
وأقول ان من المعلوم الذى لا مراء فيه أن كل شبهة وقعت لبنى آدم
فانما وقعت من اضلال الشيطان الرجيم ووساوسه نشأت من شبهاته
وإذا كانت الشبهات محصورة فى سبع عادت كبار البدع والضلالات
إلى سبع ولا يجوز أن يعدو شبهات فرق الزيغ والكفر هذه الشبهات
وإن اختلفت العبارات وتباينت الطرق فانها بالنسبة إلى أنواع
الضلالات كالبذور ويرجع جملتها إلى إنكار الأمر بعد الاعتراف
بالحق وإلى الجنوح إلى الهوى فى مقابلة النص ، هذا ومن جادل نوحا
وهودا وصالحا وإبراهيم ولوطا وشعيبا وموسى وعيسى ومحمدا
صلوات الله عليهم أجمعين كلهم نسجوا على منوال اللعين الأول فى
إظهار شبهاته وحاصلها يرجع إلى دفع التكليف عن أنفسهم وجحد
أصحاب الشرائع والتكاليف بأسرهم إذ لا فرق بين قولهم أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا
وبين قوله أأسجد لمن خلقت طينا وعن هذا صار مفصل الخلاف
وعز الاقتراف ، ما هو فى قوله تعالى وما منع الناس أن يؤمنوا إذ

جاءهم الهدى إلا أن قالوا (أبعث الله بشراً رسولا) فبين أن المانع من الايمان هو هذا المعنى كما قال فى الأول ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه وقال المتأخر من ذريته كما قال المتقدم أنا خير من هذا الذى هو مهين وكذلك لو تعقبنا أحوال المتقدمين منهم وجدناها مطابقة لأقوال المتأخرين كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل .

فاللعين الأول لما أن حكم العقل على من لا يحتكم عليه العقل لزمه أن يجرى حكم الخالق فى الخلق أو حكم الخلق فى الخالق والأول غلو والثانى تقصير فثار من الشبهة الأولى مذاهب الحلولية والتناسخية والمشبهة والغلاة من الروافض حيث غلوا فى حق شخص من الأشخاص حتى وصفوه بصفات الجلال ، وثار من الشبهة الثانية مذاهب القدرية والجبرية والمجسمة حيث قصروا وصفه تعالى بصفات المخلوقين فالمعتزلة مشبهة الأفعال والمشبهة حلولية الصفات وكل واحد منهم أعور بأى عينيه شاء ، فان من قال إنما يحسن منه ما يحسن منا ويقبح منه ما يقبح منا فقد شبه الخالق بالخلق ، ومن قال يوصف البارى تعالى بما يوصف به الخلق أو يوصف الخلق بما يوصف به البارى تعالى عز اسمه فقد اعتزل عن الحق ، وسِنخ(١) القدرية طلب العلة فى كل شيء وذلك من سِنخ اللعين الأول إذ طلب العلة فى الخلق أولا والحكمة فى

(١) السنخ بالكسر الأصل

التكليف ثانياً والفائدة فى تكليف السجود لآدم عليه السلام ثالثا وعنه نشأ (مذهب الخوارج) إذ لا فرق بين قولهم لا حكم إلا لله ولا يحكم الرجال وبين قوله لا أسجد الا لك أأسجد لبشر خلقته من صلصال وبالجملة (كلا طرفى قصد الأمور ذميم) (فالمعتزلة) غلوا فى التوحيد بزعمهم حتى وصلوا إلى التعطيل بنفى الصفات (والمشبهة) قصروا حتى وصفوا الخالق بصفات الأجسام (والروافض) غلوا فى النبوة والامامة حتى وصلوا إلى الحلول (والخوارج) قصروا حيث نفوا تحكيم الرجال وأنت ترى أن هذه الشبهات كلها ناشئة من شبهات اللعين الأول وتلك فى الأول مصدرها وهذه فى الآخر مظهرها واليه أشار التنزيل فى قوله تعالى : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » وشبهه النبى صلى الله عليه وسلم « كل فرقة ضالة من هذه الأمة بأمة ضالة من الأمم السالفة » فقال القدرية مجوس هذه الأمة ، وقال المشبهة يهود هذه الأمة ، والرافضة نصاراها ، وقال عليه السلام جملة « لتسلكن سبل الأمم قبلكم حذو القذة[1] بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » .

المقدمة الرابعة

فى بيان أول شبهة وقعت فى الملة الاسلامية وكيف انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها وكما قررنا أن الشبهات التى فى آخر

(١) القذة . ريش السهم

الزمان وهى بعينها تلك الشبهات التى وقعت فى أول الزمان ، كذلك يمكن أن يقرر فى زمان كل نبى ، ودور كل صاحب ملة وشريعة : ان شبهات أمته فى آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء أول زمانه من الكفار والمنافقين ، وأكثرها من المنافقين وإن خفى علينا ذلك فى الأمم السالفة لتمادى الزمان فلم يخف فى هذه الأمة أن شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافق زمن النبى عليه السلام إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى وسألوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدال فيه اعتبر حديث ذى الخويصرة[1] التميمى إذ قال اعدل يا محمد فإنك لم تعدل حتى قال عليه السلام : إن لم أعدل فمن يعدل فعاود اللعين وقال هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى وذلك خروج صريح على النبي عليه السلام ولو صار من اعترض على الامام الحق خارجيا أو ليس ذلك قولا بتحسين العقل وتقبيحه وحكما بالهوي فى مقابلة النص واستكباراً على الأمر بقياس العقل حتى قال عليه السلام سيخرج[2] من ضئضئ[3] هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية

(١) ذو الخويصرة التميمى وهو حرقوص بن زهير شهد مع على فى صفين ثم صار من الخوارج ومن أشدهم على علي وقتل سنة ٣٧ (أسد الغابة أول ص ٣٩٦) .

(٢) فى مسلم أنه سيخرج من ضئضئ هـذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود (مسلم ثالث ص ١١١)

(٣) والضئضئ الأصل ، وحكى بوزن قنديل ويروى بالصاد المهملة وهو بمعناه يريد أنه يخرج من نسله وعقبه خوارج الأمة

الخبر بتمامه .

واعتبر حال طائفة من المنافقين يوم أحد إذ قالوا (هل لنا من الأمر من شيء) وقولهم (لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلناها هنا) وقولهم (لو كانوا عندنا ما ماتوا وماقتلوا) فهل ذلك إلا تصريح بالقدر وقول طائفة من المشركين (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) وقول طائفة (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) تصريح بالجبر .

واعتبر حال طائفة أخرى حيث جادلوا فى ذات الله تفكراً فى جلاله وتصرفا فى أفعاله حتى منعهم وخوفهم بقوله تعالى « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال[١] » فهذا ما كان فى زمانه عليه السلام وهو على شوكته وقوته وصحة بدنه والمنافقون يخادعون فيظهرون الاسلام ويبطنون النفاق وإنما يظهر نفاقهم فى كل وقت بالاعتراض على حركاته وسكناته فصارت الاعتراضات كالبذور وظهر منها الشبهات كالزروع

وأما الاختلافات الواقعة فى حال مرضه وبعد وفاته بين الصحابة رضى الله عنهم فهى اختلافات اجتهادية كما قيل كان غرضهم فيها إقامة مراسم الشرع وادامة مناهج الدين فأول تنازع فى مرضه عليه السلام فيما رواه محمد بن اسماعيل[٢] البخارى باسناده

(١) شديد المحال : أى الوصول فى خفية من الناس إلى ما فيه حكمة

(٢) حبر الاسلام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري صاحب الصحيح والتصانيف سمع من ألف شيخ وكان من أوعية العلم يتوقد ذكاء ، ولم يخلف بعده مثله . توفى سنة ست وخمسين ومائتين (شذرات ثان ص ١٣٤)

عن عبد الله بن عباس[١] قال لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه قال ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي فقال عمر ان رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله وكثر اللغط فقال النبي عليه السلام قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع ، قال ابن عباس الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله .

الخلاف الثاني في مرضه أنه قال جهزوا جيش أسامة[٢] لعن الله من تخلف عنها فقال قوم يجب علينا امتثال أمره وأسامة قد برز من المدينة وقال قوم قد اشتد مرض النبي عليه السلام فلا تسع قلوبنا لمفارقته والحالة هذه فنصبر حتى نبصر أي شيء يكون من أمره وإنما أوردت هـذين التنازعين لأن المخالفين ربما عدوا ذلك من الخلافات المؤثرة في أمر الدين وهو كذلك وإن كان الغرض كله إقامة مراسم الشرع في حالة تزلزل القلوب وتسكين نائرة الفتنة المؤثرة عند تقلب الأمور .

---

(١) عبد الله بن عباس : حبر الأمة وربانيها وابن عم رسول الله صلعم وترجمان القرآن كف بصره آخرا فقال :

أن يذهب الله من عيني نورهما ... في لساني وقلبي منهما نور

قلبي ذكي وذهني غير ذي وكل ... وفي فمي صارم كالسيف مشهور

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي سنة ثمان وستين (شذرت أول ص ٧٥)

(٢) أسامة بن زيد حب رسول الله وابن حبه أمره على جلة أصحابه مع حداثة سنه وأمه أم أيمن حاضنة النبي صلعم توفي سنة أربع وخمسين (شذرات أول ص ٥٩)

الخلاف الثالث : فى موته عليه السلام قال عمر بن الخطاب[١] من قال ان محمداً مات قتلته بسيفى هذا وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى ابن مريم عليه السلام وقال أبو بكر[٢] بن قحافة من كان يعبد محمدا فان محمدا قدمات وَمن كان يعبد إله محمد فانه حى لا يموت وَقرأ هذه الآية (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) فرجع القوم إلى قوله وقال عمر كأنى ما سمعت هذه الآية حتى قرأها أبو بكر .

الخلاف الرابع : فى موضع دفنه عليه السلام أراد أهل مكة من المهاجرين ردَّه إلى مكة لأنها مسقط رأسه ومأنس نفسه وموطىء قدمه وموطن أهله وموقع رحله وأراد أهل المدينة من الانصار دفنه بالمدينة لأنها دار هجرته ومدار نصرته وأرادت جماعة نقله إلى بيت المقدس لأنه موضع دفن الانبياء ومنه معراجه إلى السماء ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة لما روى عنه عليه السلام الانبياء يدفنون حيث يموتون

---

(١) أبو حفص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، من أعز الله به الاسلام وقد اتسعت دائرة الاسلام فى خلافته ، وكان عادلا صلبا فى دين الله طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه لليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وله ثلاث وستون سنة (شذرات أول ص ٣٣)

(٢) أبو بكر الصديق . الخليفة عبد الله بن عثمان ومناقبه وسوالفه فى الاسلام لا تحصر وكان رئيسا فى الجاهلية واليه الديات ومعرفة الانساب وأسلم على يده جماعة والاجماع منعقد على صحة خلافته توفى فى السنة الثالثة عشرة عن ثلاث وستين سنة (شذرات أول ص ٢٤)

الخلاف الخامس فى الامامة وأعظم خـلاف بين الامة خلاف الامامة اذ ما سل سيف فى الاسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الامامة فى كل زمان وقد سهل الله تعالى ذلك فى الصدر الأول فاختلف المهاجرون والأنصار فيها وقالت الانصار منا أمير ومنكم أمير واتفقوا على رئيسهم سعد بن عبادة[١] الانصارى فاستدركه أبو بكر وعمر فى الحال بأن حضرا سقيفة بنى ساعدة[٢] وقال عمر كنت أزور[٣] فى نفسى كلاما فى الطريق فلما وصلنا إلى السقيفة أردت أن أتكلم فقال أبو بكر مه[٤] ياعمر فحمد الله وأثنى عليه وذكر ما كنت أقدره فى نفسى كأنه يخبر عن غيب فقبل أن يشتغل الانصار بالكلام مددت يدى اليه فبايعته وبايعه الناس وسكنت النائرة[٥] إلا أن بيعة أبى بكر كانت فلتة وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه فأيما رجل بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين[٦] (فانه لا يؤمر واحد منهما) تغرة[٧] أن يقتلا وإنما سكنت الانصار عن دعواهم لرواية أبى بكر عن النبى عليه السلام

---

(١) سعد بن عبادة سيد الخزرج وكان نقيب بنى ساعدة، وكان وجيها فى الأنصار وكان سيدا جوادا، وهو صاحب راية الأنصار فى المشاهد كلها توفى سنة خمس عشرة من الهجرة (أسد الغابة ج٢ ص ٢٨٣)

(٢) بنو ساعدة. قوم من الخزرج، وسقيفتهم بمكة بمنزلة دار لهم

(٣) زور الكلام: حسنه وقومه

(٤) مه، كلمة بنيت على السكون وهو اسم سمى به الفعل معناه اكفف، لأنه زجر فان وصلت نونت قلت مهٍ مَهْ

(٥) النائرة: نأرت نائرة هاجت هائجة

(٦) ما بين القوسين كان ساقطا من النسخ المطبوعة

(٧) وتغرة مصدر غررته إذا ألقيته فى الغرر

(الأئمة من قريش) وهذه البيعة هى التى جرت فى السقيفة، ثم لما عاد إلى المسجد انثال[١] الناس عليه وبايعوه عن رغبة ، سوى جماعة من بنى هاشم ، وأبى سفيان من بنى أمية ، وأمير المؤمنين على كرم الله وجهه كان مشغولا بما أمره النبي صلى الله عليه وسلم من تجهيزه ودفنه وملازمة قبره ، من غير منازعة ولا مدافعة .

الخلاف السادس فى أمر فدك[٢] والتوارث عن النبي عليه السلام ودعوي فاطمة عليها السلام وراثةً تارة ، وتمليكا أخرى ، حتى دفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النبي عليه السلام (نحن معاشر الأنبياء لانورث ماتركناه صدقة) .

الخلاف السابع ، فى قتال مانعى الزكاة ، فقال قوم لا نقاتلهم قتال الكفرة ، وقال قوم بل نقاتلهم ، حتى قال أبو بكر لومنعونى عقالا[٣] مما أعطوا رسول الله لقاتلتهم عليه ، ومضى بنفسه إلى قتالهم ، ووافقه الصحابة بأسرهم

---

(١) انثال الناس عليه أى اجتمعوا وانصبوا من كل وجه وهو مطاوع ثال يثول ثولا اذا صب مافى الاناء

(٢) فدك ، بالتحريك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة أفاءها الله على رسوله صلعم فى سنة سبع صلحا فهى مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكانت خالصة لرسول الله وفيها عين فوارة ، ونخيل كثير (معجم سادس ص ٣٤٢)

(٣) العقال الحبل الذى يعقل به البعير الذى كان يؤخذ فى الصدقة ، وقيل ما يساوي عقالا من الصدقة وفى رواية عناقا والعناق الأنثي من أولاد المعز

وقد أدى اجتهاد عمر فى أيام خلافته إلى رد السبايا والأموال اليهم وإطلاق المحبوسين منهم .

الخلاف الثامن ، فى تنصيص أبى بكر على عمر بالخلافة وقت الوفاة فمن الناس من قال قد وليت علينا فظا غليظا ، وارتفع الخلاف بقول أبى بكر لو سألنى ربى يوم القيامة لقلت وليت عليهم خير أهلهم

وقد وقع فى زمانهم اختلافات كثيرة ، فى مسائل ميراث الجد والاخوة والكلالة[١] وفى عقل[٢] الأصابع ، وديات الأسنان ، وحدود بعض الجرائم التى لم يرد فيها نص

وإنما أهم أمورهم الاشتغال بقتال الروم وغزو العجم ، وفتح الله الفتوح على المسلمين ، وكثرت السبايا والغنائم ، وكانوا كلهم يصدرون عن رأى عمر ، وانتشرت الدعوة وظهرت الكلمة ودانت العرب ولانت العجم .

الخلاف التاسع ، فى أمر الشورى واختلاف الآراء فيها ، حتى اتفقوا كلهم على بيعة عثمان[٣] رضى الله عنه وانتظم الملك واستقرت الدعوة فى زمانه ، وكثرت الفتوح وامتلأ بيت المال ، وعاشر الخلق على أحسن خلق وعاملهم بأبسط يد ، غير أن أقاربه من بنى أمية قد ركبوا نهابر[٤] فركبته

(١) الكلالة اسم لما عدا الولد والوالد من الورثة وقد سئل رسول الله ﷺ عن الكلالة فقال من مات وليس له ولد ولا والد

(٢) العقل : الدية والدية تمنع وتمسك الدماء من أن تسفك .

(٣) عثمان بن عفان القرشى الأموى ، ذو النورين ، أمير المؤمنين ، ثالث الخلفاء الراشدين ، ومن العشرة المبشرين بالجنة ، كان حييا ، سخيا ، هينا لينا ، قتل سنة ٣٥ (أسد الغابة ثالث ص ٣٧٦)

(٤) النهابير . والنهابر المهالك ، وغشى به النهابر أى حمله على أمر شديد =

وجاروا فجير عليه . ووقعت اختلافات كثيرة ، وأخذو عليه أحداثا كلها محالة على بنى أمية ، منها رده الحكم[١] بن أمية إلى المدينة بعد أن طرده النبى عليه السلام وكان يسمى طريد رسول الله ، وبعد أن تشفع الى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أيام خلافتهما فما أجابا إلى ذلك ، ونفاه عمر من مقامه باليمن أربعين فرسخا . ومنها نفيه أبا ذر[٢] الى الرَبَذَة[٣] وتزويجهُ مروان[٤] بن الحكم بنته ، وتسليمه خمس غنائم افريقية له وقد

=والنهابر جبال رمال مشرفه . وقال عمرو بن العاص لعثمان إنك قد ركبت لهذه الأمة نهابير من الأمور فركبوها منك وملت بهم فما لوا بك اعدل أو اعتزل ، يعني بالنهابر أمورا شدادا صعبة شبهها بنهابير الرمل لأن المشى يصعب على من يركبها .

(١) الحكم بن أبى العاص بن أمية ، عم عثمان أسلم يوم الفتح ، وهو طريد رسول الله صلعم نفاه من المدينة إلى الطائف ، فانه كان يتسمع سر رسول الله صلعم ولم يزل منفيا زمن الخليفتين ورده عثمان وقال كنت شفعت فيه الى رسول الله فوعدنى برده توفى فى خلافة عثمان (أسد الغابة ص٣٣ ثان)

(٢) أبو ذر جندب بن جناده الغفارى صادق الاسلام واللسان قال صلعم ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر (ص ٣٩ شذرات أول)

(٣) الربذة : من قرى المدنية على ثلاثة أميال من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة وبها قبر أبى ذر الغفاري وكان قد خرج اليها مغاضبا لعثمان وبها توفى سنة ٣٢ (معجم رابع ص ٢٢١)

(٤) مروان بن الحكم كان فقيها وكان كاتب السر لابن عمه عثمان ، وقد ولى مصر وملكها واستعمل عليها ابنه عبد العزيز ومهد قواعدها وكان يلقب خيط باطل قال أخوه عبد الرحمن

لحا الله قوما أمروا خيط باطل ... على الناس يعطى ما يشاء ويمنع

وقد عاد الى دمشق ومات فى رمضان وعهد بالأمر الى ابنه عبد الملك توفى سنة خمس وستين وله ثلاث وستون سنة (شذرات أول ص٧٣ أول)

بلغت مائتى الف دينار ، ومنها ايواؤه عبد الله بن سعد بن أبى سرح(٥) بعد ان أهدر النبى عليه السلام دمه ، وتوليته عبد الله بن عامر(١) البصرة حتى أحدث فيها ما أحدث ، الى غير ذلك مما نقموا عليه ، وكان أمراء جنوده معاوية بن أبى سفيان(٢) عامل الشام ، وسعد بن أبى وقاص(٣) عامل

---

(٥) عبد الله بن سعد بن أبى سرح أخو عثمان من الرضاع وكان يكتب الوحى ، ثم ارتد مشركا وأمر الرسول يوم الفتح بقتله ، ثم أسلم فحسن إسلامه ، وكان أحد العقلاء الكرماء ولاه عثمان مصر ، ففتح الله على يديه افريقية وكان فتحا عظيما ثم غزا الأساود من النوبة توفى سنة ست وثلاثين (أسد الغابه ج ٣ ص ١٧٣)

(١) عبد الله بن عامر بن كريز ابن خال عثمان بن عفان استعمله عثمان على البصرة سنة تسع وعشرين وهو فى الخامسة والعشرين فافتتح خراسان كلها وأطراف فارس وسجستان وكرمان وقتل فى ولايته كسرى يزدجرد واتخذ السوق بالبصرة وهو أول من لبس الخز بها . وأول من اتخذ الحياض بعرفة . وأجرى اليها العين وكان أحد الأجواد توفى سنة سبع وخمسين (أسد الغابة ثالث ص ١٩١)

(٢) معاوية ، ولى الشام لعمر وعثمان ، وولى الخلافة فسار بالرعية سيرة جميلة وكان من دهاة العرب وحكمائها يضرب به المثل : وهو أحد كتبة الوحى . توفى سنة ستين (شذرات أول ص ٦٥)

(٣) سعد بن أبى وقاص ، سعد بن مالك ، أمه حمنة بنت أبى سفيان ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، شهد مع رسول الله صلعم المشاهد كلها وهو أول من أراق دما ورمى بسهم فى سبيل الله ، ولاه عمر امرة الجيش بالقادسية فهزم الفرس . وانتصر جيشه بجلولاء وقد فتح مدائن كسرى بالعراق وبنى الكوفة ولى العراق لعمر ، ثم لعثمان ، ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة ومناقبه كثيرة وتوفى سنة خمسة وخمسين (أسد الغابة ثان ص ٢٩٠)

الكوفة وبعده الوليد بن عقبة[١] وعبـد الله بن عامر عامل البصرة، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح عامل مصر ، وكلهم خذلوه ورفضوه حتى أتى قدره عليه ، وقتل مظلوما فى داره ، وثارت الفتنة من الظلم الذى جرى عليه ولم تسكن بعد

الخلاف العاشر ، فى زمان أمير المؤمنين على[٢] كرم الله وجهه بعد الاتفاق عليه، وعقد البيعة له، فاول خروج خروج طلحة[٣] والزبير[٤] الى

---

(١) الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، أخو عثمان لأمه أسلم يوم الفتح ،وقد ولاه عثمان الكوفة ، وكان من رجال قريش ظرفا وحلما وشجاعة وأدبا وكان من الشعراء المطبوعين ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة ولكنه كان يحرض معاوية بكتبه وشعره توفى فى خلافة معاوية (أسد الغابة خامس ٩٠)

(٢) علي بن أبي طالب القرشى الهاشمى ، ابن عم الرسول وزوج البتول وأبو السبطين ، وأمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين كان أقضى أصحابه وكان فصيحا ، بليغا فتيا ، شجاعا ، زاهدا ، عادلا ، قتله ابن ملجم فى رمضان سنة أربعين (أسد الغابة رابع ص ١٦)

(٣) طلحة بن عبيد الله القرشى التيمى ، من السابقين الأولين ومن الأجواد يعرف بطلحة الخير ، وطلحة الفياض وطلحة الجود . أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى شهد أحدا وما بعدها وقتل يوم الجمل سنة ست وثلاثين وقد مسح على التراب عن وجهه وقال عزيز على أبا محمد أن أراك مجد لا تحت نجوم السماء وترحم عليه (أسد الغابة ٥٩ ثالث)

(٤)الزبير بن العوام ابن صفية عمة رسول الله صلعم وحواريه أول من سل سيفا فى سبيل الله . وشهد المشاهد مع الرسول صلعم وشهد فتح مصر وكان من الستة أصحاب الشورى وكان جوادا ؛ وانصرف عن قتال على يوم الجمل فقتله ابن جرموز فبشره على بالنار ولم يأذن له بمقابلته قتل سنة ست وثلاثين (أسد الغابة ثان ١٩٦)

مكة، ثم حمل عائشة(١) الى البصرة ، ثم نصب القتال معه ويعرف ذلك بحرب الجمل، والحق أنهما رجعا وتابا اذ ذكرهما أمرا فتذكرا فأما الزبير فقتله ابن جرموز(٢) وقت الانصراف وهو فى النار لقول النبى صلى الله عليه وسلم (بشر قاتل ابن صفية بالنار) وأما طلحة فرماه مروان بن الحكم بسهم وقت الاعراض(٣) فخر ميتا ، وأما عائشة وكانت محمولة على ما فعلت ثم تابت بعد ذلك ورجعت ، والخلاف بينه وبين معاوية ، وحرب صفين ، ومخالفة الخوارج ، وحمله على التحكيم ومغادرة عمرو بن العاص (٤) أبا موسى الاشعرى(٥) وبقاء الخلافة إلى الوفاة

---

(١) عائشة بنت أبى بكر أم المؤمنين زوج النبى ﷺ تزوجها بعد وفاة خديجة بثلاث سنين كان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض قال عطاء بن أبى رباح كانت عائشة من أفقه الناس وأحسن الناس رأيا فى العامة وقال عروة ما رأيت أحد أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة توفيت سنة سبع وخمسين (أسد الغابة خامس ص ٥٠١)

(٢) ابن جرموز . ممن خرج مع على . وقد استأذن عليه بعدأن قتل الزبير فلم يأذن له وقال للآذن بشره بالنار فقال أتيت عليا برأس الزبير أرجو لديه به الزلفة فبشرنى بالنار إذ جئته فبئس البشارة والتحفة وسيان عندى قتل الزبير وضرطة عنز بذى الجحفة وعاش . حتى ولى مصعب بن الزبير البصرة فاختفى ابن جرموز فقال مصعب ليخرج فهو آمن أيظن انى أقيده بابى عبدالله (يعنى أباه) ليسا سواء فقتل نفسه (أسد الغابة ثان ص ١٩٩)

(٣) وقت ان اعتزل فى بعض الصفوف

(٤) عمرو بن العاص . أسلم سنة ثمان . وكان من دهاة العرب ومن صالحى قريش سيره أبو بكر أميرا إلى الشام فشهد فتوحه وولى فلسطين لعمر . وفتح له مصر . ووليها وهو أحد الحكمين واستعمله معاوية على مصر توفى سنة ثلاث وأربعين (أسد الغابة رابع ص ١١٥)

(٥) أبو موسى الأشعرى . عبد الله بن قيس . أسلم وهاجر إلى الحبشة

مشهور، كذلك الخلاف بينه وبين الشراة(١) المارقين بالنهروان(٢) عقداوقولا، ونصب القتال معه فعلا، ظاهر معروف، وبالجملة كان على مع الحق والحق معه، وظهر فى زمانه الخوارج عليه مثل الأشعث(٣) بن قيس ومسعود (٤) بن فدكى التميمى وزيد بن حصين (٥) الطائى وغيرهم

وكان عامل رسول الله صلعم على زبيد وعدن. واستعمله عمر على البصرة وكان أحد الحكمين مات سنة أربع وأربعين (أسد الغابة ثالث ص ٢٤٥)

(١) الشراة من شرى الشر استطار لامن شرينا أنفسنا فى الطاعة وهم الخوارج

(٢) نهروان. كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي. وكان بها وقعة لأمير المؤمنين على مع الخوارج مشهورة (معجم ثامن ص ٣٤٧)

(٣) الأشعث بن قيس بن معديكرب الكندى. وفد مع كنده على النبي صلعم سنة عشر وأسلم وارتد بعد وفاة الرسول. ثم رجع وحسن اسلامه وزوجه أبو بكر بأخته ثم سكن الكوفة وشهد صفين مع على وكان ممن ألزم عليا بالتحكيم توفى سنة أربعين (أسد الغابة أول ص ٩٧)

(٤) وفى الطبرى وابن الأثير، وشرح نهج البلاغة، انه مسعر بن فدكى التميمى وكان على رأس الخوارج ومن شجعانهم.

(٥) زيد بن حصين الطائى من رءوس الخوارج وشجعانهم عرضت عليه أمرتهم فأباها، وقد خطبهم وهم فى بيته، وحثهم على الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر وحرضهم على القتال، وقد قتله أبو أيوب يوم النهروان سنة ٣٧ وذكر لعلي أنه قال لزيد أبشر يا عدو الله بالنار فقال زيد ستعلم غدا أينا أولى بها صليا فقال على هو أولى بها صليا (ابن كثير سابع ص ٢٨٥ وابن الاثير ثالث ص ١٥٠)

وكذلك ظهر فى زمانه الغلاة فى حقه مثل عبد الله بن سبأ(١) وجماعة معه ، ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة وصدق فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم (يهلك فيك اثنان محب غال ومبغض قال) وانقسمت الاختلافات بعده إلى قسمين ، احدهما الاختلاف فى الامامة والثانى الاختلاف فى الأصول . والاختلاف فى الإمامة على وجهين ، أحدهما القول بأن الامامة تثبت بالاتفاق والاختيار ، والثانى القول بأن الامامة تثبت بالنص والتعيين

فمن قال أن الامامة تثبت بالاتفاق والاختيار قال بامامة كل من اتفقت عليه الأمة ، أو جماعة معتبرة من الأمة ، إما مطلقا ، وإما بشرط أن يكون قرشيا على مذهب قوم ، وبشرط أن يكون هاشميا على مذهب قوم ، إلى شرائط أخر كما سيأتى ، ومن قال بالأول فقال بامامة معاوية وأولاده ، وبعدهم بخلافة مروان وأولاده

والخوارج اجتمعوا فى كل زمان على واحد منهم بشرط أن يبقى على مقتضى اعتقادهم ويجرى على سنن العدل فى معاملاتهم وإلا خذلوه وخلعوه وربما قتلوه

---

(١) عبد الله بن سبأ . تنسب اليه السبئية وهم الغلاة من الرافضة . وكان يهوديا من أمة سوداء فاظهر الاسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويلقى بينهم الشر وقد بدأ بالحجاز ثم بالبصرة . ثم بالكوفة ثم دخل دمشق أيام عثمان وعنه أخذ حلول الاله فى الأئمة . وهو الذى أثار فتنة عثمان . تهذب ابن عساكر (رابع ص ٤٢٨)

ومن قال أن الامامة تثبت بالنص اختلفوا بعد على عليه السلام فمنهم من قال إنما نص على ابنه محمد بن الحنفية[١] وهؤلاء هم الكيسانية[٢] ثم اختلفوا بعده، فمنهم من قال إنه لم يمت ويرجع فيملأ الأرض عدلا، ومنهم من قال انه مات وانتقلت الامامة بعده إلى ابنه أبى هاشم[٣] وافترقت هؤلاء فمنهم من قال الامامة بقيت فى عقبه وصية بعد وصية ومنهم من قال انتقلت إلى غيره واختلفوا فى ذلك الغير فمنهم من قال هو بيان[٤] بن سمعان النهدى ومنهم من قال هو

---

(١) محمد بن الحنفية، وهو محمد بن على، كان نهاية فى العلم غاية فى العبادة وكان شديد القوة، والكيسانية تقول أنه لم يمت. وأنه المهدى الذى يخرج آخر الزمان مات سنة إحدى وثمانين (شذرات أول ص ٨٨)

(٢) الكيسانية، هم أتباع المختار بن أبى عبيد الثقفي الذى قام بثأر الحسين وقتل أكثر الذين قاتلوه، وكان المختار يقال له كيسان وقيل أنه أخذ مقالته عن مولى لعلي اسمه كيسان (٣٥ مختصر الفرق بين الفرق)

(٣) أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية الهاشمى المدني وهو الذى أوصي إلى محمد بن على بن عبد الله بن عباس وصرف الشيعة إليه ودفع اليه كتبا. وأسر اليه أشياء توفي سنة ثمان وتسعين (شذرات أول ص ١١٣)

(٤) بيان النهدى هو بيان الزنديق قتله خالد بن عبدالله القسرى وأحرقه بالنار وهو بيان بن سمعان النهدى من بنى تميم ظهر بالعراق بعد المائة وقال بالهية علي ثم ابنه محمد ثم أبي هاشم ثم من بعده بيان وكتب إلى الباقر يدعوه إلى نفسه وأنه نبي (ميزان الاعتدال أول ص ١٦٦)

على بن عبد الله [١] بن عباس ومنهم من قال هو عبد الله [٢] بن حرث الـكندى

ومنهم من قال هوعبـــد الله [٣] بن معاوية بن عبـد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وهؤلاء كلهم يقولون ان الدين طاعة رجـل ويتأولون أحـكام الشرع كلها على شخص معين كما ستأتى مذاهبهم

---

(١) على بن عبدالله بن عباس جدالسفاح والمنصور كان سيدا شريفا وسيما أجمل قرشى وأكثره صـلاة ولذلك دعى بالسجاد ، نفاه الوليد الي الحميمة بالبلقاء فبقى بها الى أن مات سنة أربع عشرة ومائة (شذرات أول ص١٤٨)

(٢) عبدالله بن عمرو بن الحرث الكوفى الكندى ادعى الالهية وتبعه جماعة فى دولة بنى أمية وكان يقول بتناسخ الأرواح ، وفرض على أتباعه كل يوم وليلة سبع عشرة صلاة ، فى كل واحدة خمس عشرة ركعة ، فناظره صفرى فرجع عن معتقده وثبت على رأي الصفرية فتبرأ منه أتباعه ورجعوا إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر وقيل أنه عبد الله بن عمرو بن حرب الـكندى كان شيعته يدعون إلهيته ، وكان يدعى أن روح الاله انتقل من أبى هاشم اليه وكان يدعى لنفسه الالهية على معني الحلول وهو ممن قتلهم القسرى (لسان الميزان ثالث ص ٢٧٠) (والتبصير ص ١٩ و ٧٣)

(٣) عبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب الهاشمى من فتيان قريش وأجوادهم وشعرائهم ولم يكن محمود المذهب فى دينه وقد استولى عليه من يتهم بالزندقة وقد طلب الخلافة وثار فى أواخر دولة بنى أمية وتابعه جماعة مات سجينا سنة إحدى وثلاثين ومائة (لسان الميزان ثالث ص ٣٦٣)

وأمامن لم يقل بالنص على محمد بن الحنفية قال بالنص على الحسن[١] والحسين[٢] وقال لا إمامة فى إلا فى الأخوين الحسن والحسين ، ثم هؤلاء اختلفوا ، فمنهم من أجرى الامامة فى أولاد الحسن ، فقال بعده بامامة ابنه الحسن[٣] ثم ابنه عبد الله[٤] ثم ابنه محمد[٥] ثم أخيه ابراهيم[٦] الامام

---

(١) الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ وريحانته بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه ، فتمت بأيامه خلافة النبوة (وهى ثلاثون سنة) ثم نزل عنها سنة إحدى وأربعين وترك الأمر لمعاوية وسميت سنة الجماعة ومناقبة كثيرة وتوفى بالمدينة سنة خمسين (شذرات أول ص ٥١ و ٥٢ و ٥٦)

(٢) الحسين بن على ، سبط رسول الله ﷺ وريحانته جاءته كتب أهل العراق يستقدمونه فبلغ كربلاء واستشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين ، ومناقبه كثيرة (شذرات ص ٦٦ أول)

(٣) الحسن بن الحسن ، الملقب بالمثنى ، كان جليلا مهيبا فاضلا رئيسا ورعاً زاهدا ولى صدقات جده أمير المؤمنين على ، سأل عمه الحسين أن يزوجه احدي ، ابنتيه سكينه وفاطمة فاختار له فاطمة لشبهها بجدتها الزهراء ، فقيل ان امرأة مردودتها سكينة لمنقطعه القرين فى الجمال توفى سنة سبع وتسعين وله خمس وثمانون سنة (نور الأبصار ص ١١٢ ومقاتل المطالبين ص ١٢٩)

(٤) عبد الله بن حسن بن حسن كان خيرا فاضلا ، أخذه المنصور حين خرج ولداه وحبسه ومات في حبسه سنة أربع وأربعين ومائة (شذرات أول ض ٢١٥)

(٥) محمد بن عبد الله بن حسن ثار بالمدينة ، وبايعه القوم ، وأحبوه ، وكان يشبه رسول الله ﷺ فى خلقه ، وفى خلقه وكان أهل المدينة يعدون فيه من الكمال مالو جاز أن يبعث الله نبيا بعد محمد ﷺ لكان هو ، أرسل اليه المنصور من قتله سنة خمس وأربعين ومائة (ص ٢١٣ أول شذرات)

(٦) ابراهيم بن عبد الله بن حسن خرج بالبصرة سنة أربع وأربعين ومائة ودعا الى نفسه فتبعه كثير من القراء والعلماء فبث المنصور عليه العيون =

وقد خرجا فى أيام المنصور[١] فقتلا فى أيامه ومن هؤلاء من يقول برجعة محمد الامام، ومنهم من أجرى الوصية فى أولاد الحسين، وقال بعده بامامة ابنه على زين العابدين[٢] نصا عليه، ثم اختلفوا بعده، فقالت الزيدية بامامة ابنه زيد[٣] ومذهبهم أن كل فاطمى خرج وهو عالم زاهد شجاع سخى كان إماما واجب الاتباع، وجوزوا رجوع الامامة إلى أولاد الحسن، ومنهم من وقف وقال بالرجعة، ومنهم من ساق وقال بامامة كل من هذا حاله فى كل زمان وسيأتى تفصيل مذاهبهم . وأما الامامية[٤]

والأرصاد ، حتى قتله المنصور بعد أخيه سنة خمس وأربعين ومائة (شذرات أول ص ٢١٣)

(١) المنصور ، أبو جعفر عبد الله بن محمد بن على ، ثانى خلفاء بنى العباس كان مهيبا ذا حزم وعزم ، ودهاء ورأى وشجاعة وعقل وفيه جبروت وظلم لا يبالى أن يحرس ملكه بهلاك من كان ينافسه . توفى ببير ميمون سنة ثمان وخمسين ومائة وهو محرم وخلافته قرابة اثنين وعشرين عاما (شذرات أول ص ٢٤٤)

(٢) على بن الحسين ، زين العابدين : ما رؤى قرشى مثله، فى زمنه وكان= له فضل ودين وكان يسمى زين العابدين لعبادته : كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم فلما مات على فقدوا ما كانوا يؤتون به من الليل . توفى سنة ثلاث وتسعين (تهذيب التهذيب سابع ص ٣٠٥)

(٣) زيد بن على بن الحسين ، خرج فتبعه كثيرون وشايعه جماعة سموا بالزيدية ، بويع بالخلافة سرا ثم ظهر ، وقتل لثلاثة أيام من ظهوره سنة إحدى وعشرين ومائة ورفضته طائفة سميت بالرافضة (ص ١٥٨ شذرات أول)

(٤) الامامية هم الذين قالوا بالنص الجلى على إمامة على وكفروا الصحابة وهم الذين خرجوا علي علي وساقوا الامامة الى جعفر الصادق واختلفوا فى

فقالوا بامامة محمد بن على الباقر[١] نصا علية ثم بامامة جعفر[٢] بن محمد وصية إليه ، ثم اختلفوا بعده فى أولاده من المنصوص عليه وهم خمسة محمد وإسماعيل وعبد الله وموسى وعلى فنهم من قال بامامة محمد[٣] وهم العمارية . ومنهم من قال بامامة اسماعيل[٤] وأنكر موته فى حياة أبيه وهم المباركية ، ومن هؤلاء من وقف عليه وقال برجعته ، ومنهم من ساق الامامة فى أولاده نصا بعد نص إلى يومنا هذا وهم الاسماعيلية . ومنهم

المنصوص عليه بعده ، والذى استقر عليه رأيهم أن الامام الحق بعد رسول الله ﷺ على ثم ابنه الحسن ثم أخوه الحسين ثم ابنه على زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر ثم ابنه جعفر الصادق ثم ابنه موسى الكاظم ثم ابنه على الرضا ثم ابنه محمد التقي الجواد ثم ابنه علي التقى الزكى ثم ابنه الحسن العسكرى ثم ابنه أبو القاسم محمد القائم المنتظر المهدى . (دستور العلماء أول ص ١٨٨

(١) محمد الباقر بن على بن الحسين من فقهاء المدينة . قيل له الباقر لأنه بقر العلم أى شقه وعرف أصله ، وخفيه وتوسع فيه وهو أحد الأئمة الاثنى عشر على اعتقاد الامامية . له كلام نافع فى الحكم والمواعظ توفى سنة أربع عشرة ومائة (شذرات أول ص ١٤٩)

(٢) أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر وكان سيد بنى هاشم فى زمنه . وقد ألف تلميذه جابر بن حيان الصوفى كتابا ينتظم رسائله وهي خمسمائة ، (وهو عند الامامية من الاثنى عشر) توفى سنة ثمان وأربعين ومائة (شذرات أول ص ٢٢٠)

(٣) أبو جعفر محمد بن جعفر الصادق ، الملقب بالديباج ، خرج بمكة سنة مائتين ، وخلع نفسه . ومات بجرجان ونزل المأمون فى لحده . وكان عاقلا شجاعا يصوم يوما ويفطر يوما توفى سنة ثلاث ومائتين (شذرات ثان ص ٧)

(٤) اسماعيل بن جعفر الصادق ، أكبر اخوته وكان صالحا ، وكان أبوه شديد المحبة له توفى فى حياة أبيه سنة ١٣٣ فوجد عليه فرق الشيعة ص ٦٧

من قال بامامة عبد الله الأفطح[١] وقال برجعته بعد موته لأنه مات ولم يعقب، وَمنهم من قال بامامة موسى[٢] نصا عليه، إذ قال والده سابعكم قائمكم إلا وهو سمى صاحب التوراة، ثم هؤلاء اختلفوا، فمنهم من اقتصر عليه وَقال برجعته إذ قال لم يمت هو، ومنهم من توقف فى موته وهم الممطورة، ومنهم من قطع بموته وَساق الامامة إلى ابنه على[٣] بن موسى الرضا وهم القطعية، ثم هؤلاء اختلفوا فى كل ولد بعده الافائنا عشريه ساقوا الامامة من على الرضا إلى ابنه محمد ثم إلى ابنه على ثم إلى ابنه الحسن ثم إلى ابنه محمد القائم المنتظر الثانى عشر وقال هو حى لم يمت ويرجع فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً، وغيرهم ساقوا الامامة إلى الحسن العسكرى[٤] ثم قالوا بامامة أخيه جعفر[٥] وقالوا بالتوقف

---

(١) عبد الله الأفطح بن جعفر الصادق أمه فاطمه بنت الحسين بن الحسن وكان يجلس مجلس أبيه عند غيابه، وقد ادعى الامامة بوصية أبيه وسمى بالأفطح لأنه كان أفطح الرأس، والفطح عرض فى وسط الرأس، توفى بعد أبيه بسبعين يوما سنة ١٤٨ (فرق الشيعة ص ٧٨)

(٢) موسى الكاظم بن جعفر الصادق والد على الرضا كان صالحا عابدا جوادا حليما كبير القدر بلغه عن رجل الأذى له فبعث اليه بألف دينار وهو أحد الأئمة الاثنى عشر المعصومين على اعتقاد الامامية توفى سنة ثلاث وثمانين ومائة (شذرات أول ص ٣٠٤) (٣) أبو الحسن على الرضا بن موسى الكاظم أحد الأئمة الاثنى عشر زوجه المأمون بنته وجعله ولى عهده، وكان عالما جوادا، ذا جلال وهيبة، توفى بطوس وصلى عليه المأمون ودفنه بجوار قبر الرشيد سنة ثلاث ومائتين (ابن خلكان أول ص ٤٠٣)

(٤) الحسن العسكرى بن على بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم أحد الاثنى عشر الذين تعتقد الرافضة فيهم العصمه وهو والد المنتظر محمد صاحب السرداب (ثان شذرات ص ١٤١) (٥) جعفر بن على بن محمد بن على الرضا، حاد فى أول أمره، ثم تاب وقد أعقب كثيراً ويقال لولده الرضويون نسبة لجده الرضا توفى سنة ٢٧١ (فرق الشيعة ص ٩٥)

عليه أو قالوا بالشك فى حال محمد، ولهم خبط طويل فى سوق الامامة والتوقف والقول بالرجعة بعد الموت، والقول بالغيبة ثم بالرجعة بعد الغيبة، فهذه جملة اختلافات فى الامامة وسيأتى تفصيل ذلك عند ذكر المذاهب،

وأما الاختلافات فى الأصول فحدثت فى آخر أيام الصحابة بدعة معبد الجهنى [1]، وغيلان [2] الدمشقى، ويونس [3] الاسوارى فى القول بالقدر وإنكار إضافة الخير والشر إلى القدر، ونسج على منوالهم واصل ابن عطاء [4] الغزال وكان تلميذ الحسن البصرى [5] وتلمذ له عمرو بن

---

(١) معبد بن خالد الجهني كان أحد الأربعة الذين حملوا ألوية جهينة يوم الفتح، وهو أول من تكلم بالبصرة بالقدر، وقيل انه غيره، وفى سنة ثمانين صلبه عبد الملك وقيل بل عذبه الحجاج بأنواع العذاب وقتله (أسد الغابة رابع ص ٣٩٠ — شذرات أول ص ٨٨)

(٢) غيلان بن أبي غيلان، وهو غيلان بن مسلم. في القدر ضال مسكين وكان من أصحاب الحارث الكذاب وممن آمن بنبوته فلما قتل الحرث قام مقامه وكان من بلغاء الكتاب قتل سنة ثمانين (لسان الميزان ص ٤٢٤ رابع)

(٣) يونس الأسوارى أول من تكلم بالقدر، وكان بالبصرة فأخذ عنه معبد الجهنى ذكره الكعبي فى طبقات المعتزلة وذكر أنه كان يلقب بسيبويه (لسان الميزان ص ٣٣٥ سادس)

(٤) واصل بن عطا. المعتزلى المتكلم، كان ألثغ يبدل الراء غينا فتلافاها ولما قالت الخوارج بتكفير أهل الكبائر وقالت أهل السنة بفسقهم قال واصل لا مؤمنون ولا كفار فطرده الحسن، وصار له شيعة توفى سنة احدى وثلاثين ومائة (شذرات أول ص ١٨٢)

(٥) الحسن البصرى: أبو سعيد إمام أهل البصرة وخير أهل زمانه كان جامعا عالما رفيعا فقيها مأمونا عابدا ناسكا كثير العلم فصيحا جميلا وسيما، توفى سنة عشر ومائة (شذرات أول ص ١٣٦)

عبيد(٦) وزاد عليه فى مسائل القدر ، وكان عمرو من دعاة يزيد الناقص(١) أيام بنى أمية ثم والى المنصور وقال بامامته ومدحه المنصور يوماً فقال نثرت الحب للناس فالقطوا غير عمرو(٢) والوعيدية من الخوارج والمرجئة من الجبرية والقدرية ابتدأت بدعتهم فى زمان الحسن واعتزل واصل عنهم وعن أستاذه بالقول بالمنزلة بين المنزلتين وسمى هو وأصحابه معتزلة وقد تلمذ له زيد بن على(٣) وأخذ الأصول منه فلذلك صارت الزيدية كلهم معتزلة ومن رفض زيد بن على لأنه خالف مذهب آبائه فى الأصول وفى التبرى والتولى وهم من أهل الكوفة وكانوا جماعة سميت رافضة ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين فسرت أيام المأمون(٤) فخلطت مناهجها بمناهج الكلام وأفردتها فنا

(٢) عمرو بن عبيد البصرى العابد الزاهد المعتزلى القدرى صاحب الحسن ثم خالفه واعتزل حلقته فلذا قيل المعتزلة ، توفى بمران على طريق مكة وهو راجع منها ورثاه المنصور ، كما مدحه فى حياته توفى سنة اثنتين وأربعين ومائة (شذرات أول ص ٢١٠)

(١) يزيد بن الوليد الملقب بالناقص ، وكان فيه زهد وعدل وخير ولكنه قدرى ؛ ولى الخلافة فدعا الناس الى القدر وحملهم عليه وولايته خمسة أشهر ، وله عقب كثير توفى سنة ست وعشرين ومائة (شذرات أول ص ١٦٧)

(٣) زيد بن على بن الحسن . الامام الشهيد ، بايعه خلق كثير ، فأمر بالتوجه للحجاز ففعل فلحقته بالعذيب الشيعة وأخبروه أن الناس مجمعة عليه وما زالوا به حتى رجع إلى الكوفة يبايع سرا ، وبايعه وأرسل اليه أبو حنيفة ثلاثين ألف درهم وحث الناس على نصره ، وكان مريضا وكان قد أخذ عنه كثيرا قتل سنة احدى وعشرين ومائة (شذرات أول ص ١٥٨)

(٤) المأمون . عبد الله أبو العباس بن الرشيد ، قرأ العلم فى صغره وسمع الحديث من أبيه وعلماء عصره وبرع فى الفقه والعربية وأيام الناس ، ولما =

من فنون العلم، وسميتها باسم الكلام أما لأن أظهر مسئلة تكلموا فيها، وتقاتلوا عليها هى مسئلة الكلام، فسمى النوع باسمها، وأما لمقابلتهم الفلاسفة فى تسميتهم فنامن من فنون علمهم بالمنطق، والمنطق والكلام مترادفان، فكان أبو الهذيل العلاف[١] شيخهم الأكبر وافق الفلاسفة، فى أن البارى تعالى عالم بعلم، وعلمه ذاته، وكذلك قادر بقدرة، وقدرته ذاته، وأبدع بدعا فى الكلام والإرادة وأفعال العباد، والقول بالقدر والآجال والأرزاق كما سيأتى فى حكاية مذهبه وجرت بينه وبين هشام بن الحكم[٢] مناظرات فى أحكام التشبيه، وأبو يعقوب الشحام[٣]

= كبر عنى بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها، فجره ذلك الى القول بخلق القرآن وكان من أفضل بنى العباس حزما وعزما وحلما وعلما ورأيا ودهاء توفى سنة ٢١٨ (تاريخ الخلفاء ص ٢٠٤)

(١) محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول البصرى أبو الهذيل العلاف، شيخ المعتزلة ومصنف الكتب الكثيرة فى مذاهبهم؛ كان خبيث القول فارق الاجماع ورد نص كتاب الله وجحد صفات الله تعالى عما يقول علوا كبيرا وكان كذابا أفاكا مات سنة سبع وعشرين ومائتين (لسان الميزان جزء خامس ص ٤١٣)

(٢) هشام بن الحكم أبو محمد الشيبانى من أهل الكوفة سكن بغداد، وكان من كبار الرافضة ومشهوريهم وكان مجسما، وكان من الغلاة، يقول بالجبر الشديد، وكان ينقطع إلى يحى بن خالد وكان عارفا بصناعة الكلام له فيه مصنفات كثيرة، وكان من أصحاب جعفر الصادق مات بعد نكبة البرامكة بمديدة مستترا وقيل عاش الى خلافة المأمون (لسان الميزان ج٦ ص١٩٤

(٣) يوسف بن عبد الله الشحام أبو يعقوب البصرى شيخ أبى على الجبائى انتهت اليه رياسة المعتزلة بالبصرة فى وقته أخذ عن أبى الهذيل وكان على ديوان الخراج أيام الواثق وأنه كان قد وعظ العلوى صاحب الزنج لما =

والأدمي[١] صاحبا أبي الهذيل وافقاه فى ذلك كله ، ثم ابراهيم بن[٢] سيار النظام فى أيام المعتصم[٣] كان فى تقريره على مذاهب الفلاسفة ، وانفرد عن السلف يبدع فى الرفض والقدر وعن أصحابه بمسائل نذكرها

ومن أصحابه محمد بن شبيب[٤] وأبو شمر[٥] وموسى بن[٦] عمران والفضل الحدثى[٧]

= خرج بالبصرة فأراد قتله ثم تركه (لسان الميزان سادس ص ٣٢٥)

(١) الأدمى نسبة لمن يبيع الأدم ، وكان من تلاميذ أبى الهذيل ، من المعتزلة

(٢) ابراهيم بن سيار بن هانىء النظام أبو اسحاق البصرى من رءوس المعتزلة متهم بالزندقـــة وكان شاعرا أديبا بليغا وله كتب كثيرة فى الاعتزال والفلسفة . وكان شاطرا من الشطار مشهورا بالفسق وكان أشد النـاس ازراء على أهل الحديث مات فى خلافه المعتصم سنة بضـع وعشرين ومائتين (لسان الميزان أول ص ٦٧)

(٣) المعتصم بالله أبو اسحاق محمد بن الرشيد كان ذا شجاعة وقوة وهمة ، ولى الخلافة بعد المأمون ، وقد غزا الروم ، فانكاهم مات سنة سبع وعشرين ومائتين (تاريخ الخلفاء ص ٢٢٢)

(٤) محمد بن عبد الله بن شبيب البصرى من تلاميذ النظام ومن شيوخ المعتزلة ممن جمع بين الارجاء فى الايمـان وبين القول بنفى القدر : وهو من رجال منتصف القرن الثالث (التبصير ص ١٥ والفرق بين الفرق ص ٩٦)

(٥) أبو شمر ، ممن جمع بين الارجاء فى الايمان ونفى القول بالقدر : وهو من تلاميذ النظام فهو من رجال منتصف القرن الثالث (التبصير ص ١٥)

(٦) موسى بن عمران ، فى ابن حزم مونس وفى الانتصـار مويس وفى الخطط يونس بن عمرو ، وهو ممن جمع بين الارجاء والقول بنفى القـدر وترجح عندى أنه مويس بن عمران وهو من رجال القرن الثالث

(٧) الفضل الحدثى ، نسبة الى الحدثية بلد على الفرات وهو من أصحاب =

وأحمد[١] بن خابط ووافقه الاسوارى فى جميع ماذهب اليه من البدع وكذلك الاسـكافية[٢] أصحاب أبى جعفر[٣] الاسكافى وَالجعفرية أصحاب الجعفرين ، جعفر[٤] بن مبشر ، وجعفر[٥] بن حرب ثم ظهرت بدع بشر[٦] بن المعتمر من القول بالتولد والافراط فيه

— النظام و كان على شاكلة موسى ابن عمران ، وكلاهما من رجال منتصف القرن الثالث . وفى الانتصار ص ١٤٩ انه فضل الحذاء وكان معتزليا نظاميا إلى أن خلط وترك الحق فنفته المعتزله

(١) أحمـد بن خابط من أصحاب النظام وينتسب اليـه ويقول بالطفرة وبنفى الجزء الذى لا يتجزأ وذهب الى التناسخ مات أيام الواثق (التبصير ص ٨٠ الانتصار ص ١٤٨)

(٢) الاسكافيـة ، طائفة من المعتزلة وهم أصحاب أبى جعفر الاسكافى الذى يزعم أن الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء وإنما يقدر على ظلم المجانين تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا (ص ٤٥ اللباب أول)

(٣) محمد بن عبد الله الاسكافى البغدادى أبو جعفر أحد متكلمى المعتزلة له مناظرات مع الكرابيسى كان عجيب الشأن فى العلم والذكاء ، والصيانة ونبل الهمة وكان المعتصم يعظمه جدا توفى سنة أربعين ومائتين (لسان الميزان خامس ص ٢٢١)

(٤) جعفر بن مبشر الثقفى من رءوس المعتزلة وله تصانيف كثيرة فى الكلام وهو أخو الفقيه حسين ، وكان جعفر متكلما صاحب حديث وله خطابة وبلاغة وزهد وعفة توفى سنة أربع وثلاثين ومائتين (لسان الميزان ثان ص ١٢١)

(٥) جعفر بن حرب الهمذانى من كبار معتزلة بغداد له تصانيف أخـذ العلم عن أبى الهذيل ، وكان زاهدا عفيفا ورعا مات سنـة ست وثلاثمائة (لسان الميزان ثان ص ١١٣)

(٦) بشر بن المعتمر كوفى ، ويقال بغدادى من كبار المعتزلة انتهت اليـه رياستهم ، وكان يقع فى أبى الهذيل وخالف المعتزلة فى مسألة القـدر توفى سنة عشر ومائتين (لسان الميزان ثان ص ٣٣)

والميل إلى الطبيعيين من الفلاسفة ، والقول بان الله تعالى قادر على تعذيب الطفل ، وإذا فعل ذلك فهو ظالم ، إلى غير ذلك مما تفرد به عن أصحابه وتلمذله أبو موسى [١] المردار راهب المعتزلة وانفرد عنه بابطال اعجاز القرآن من جهة الفصاحة والبلاغة ، وفى أيامه جرت أكثر التشديدات على السلف لقولهم ، بقدم القرآن ، وتلمذله الجعفران وأبوزفر [٢] ومحمد بن سويد صاحب المردار وأبو جعفر الاسكافى وعيسى بن الهيثم [٣] صاحبا جعفر بن حرب والاشج [٤]

وممن بالغ فى القول بالقدر هشام [٥] بن عمر والفوطى والاصم [٦] من أصحابه ، وقدحا فى إمامة على ، بقولهما ، إن الامامة لا تنعقد إلا

---

(١) أبو موسى ، عيسى بن صبيح الملقب مردار من كبار المعتزلة أخذ عن بشر بن المعتمر ، توفى سنة ست وعشرين ومائتين (لسان الميزان رابع ص ٣٩٨ والتبصير ص ٤٧)

(٢) أبو زفر ، من مصنفى المعتزلة (لسان الميزان سادس ص ٣٧٩)

(٣) عيسى بن الهيثم الصوفى أبو موسى ، كان من جلة المعتزلة ثم خلط وعنه أخذ ابن الراوندى مات سنة خمس وأربعين ومائتين (لسان الميزان رابع ص ٤٠٨)

(٤) الأشج ، زعيم من زعماء المعتزلة عاصر الاسكافى (التبصير ص ٥٥)

(٥) هشام بن عمرو الفوطى بضم الفاء وإسكان الواو كان من أصحاب أبى الهذيل وكان داعية الى الاعتزال (لسان الميزان سادس ص ١٩٥)

(٦) الأصم ، عبد الرحمن ابن كيسان أبو بكر الأصم المعتزلى صاحب المقالات فى الأصول وكان من أفصح الناس وأروعهم وأفقههم ، وله تفسير عجيب ، وهو من طبقة العلاف وأقدم منه (لسان الميزان ثالث ص ٤٢٧)

باجماع الأمة عن بكرة أبيهم[١] ، والفوطى والأصم اتفقا على أن الله تعالى يستحيل أن يكون عالما بالأشياء قبل كونها ، ومنعا كون المعدوم شيئا ، وأبو الحسين[٢] الخياط وأحمد[٣] بن على الشطوى صحبا عيسى الصوفى ثم لزما أبا مجالد[٤] وتلمذ الكعبي[٥] لأبي الحسين الخياط ، ومذهبه بعينه مذهبه ، وأما معمر[٦] بن عباد السلمى ، وثمامة بن أشرس

(١) الصحيح على بكرة أبيهم وفى الحديث جاءت هوازن على بكرة أبيها ، يراد بها الكثرة وتوفير العدد وأنهم جاءوا جميعا وعلى طريقة واحدة .

(٢) عبد الرحيم بن محمد بن عثمان أبو الحسين الخياط أحد متكلمي المعتزلة كان رئيسا متقدما عالما بالكلام فقيها صاحب حديث واسع الحفظ يتقدم سائر المتكلمين من أهل بغداد وروى عن يوسف بن موسي القطان ، وقد توفى يوسف سنة ثلاث وخمسين ومائتين وهو صاحب كتاب الانتصار ووفاته بعد سنة ٣٠٠ بقليل (لسان الميزان ٤ ص ٨ وتهذيب التهذيب ١١ ص ٤٢٥) والانتصار ص ١٩

(٣) أحمد بن على الشطوى أبو الحسن ، كان من جلة المعتزلة مات سنة سبع وتسعين ومائتين (لسان الميزان أول ص ٢٢٣)

(٤) أبو مجالد الضرير أحمد بن الحسين كان متكلما فقيها ، صحب جعفر بن مبشر الثقفى وعنه أخذ علم الكلام وكان يفتى على مذهبه واليه انتهت رياسة المعتزلة ببغداد وكان ورعا زاهدا سمى الداعية توفى سنة ٢٦٨ (لسان الميزان أول ص ١٦٢)

(٥) عبد الله بن أحمد بن محمود البلخى أبو القاسم الكعبي من كبار المعتزلة وله تصنيف فى الطعن على المحدثين وقد انتهت اليه رياسة المعتزلة والي أبى على الجبائي والى أبى بكر بن الاخشيد وذكر ابن النديم له كتبا فى التفسير توفى سنة تسع عشرة وثلاثمائة (لسان الميزان ثالث ص ٢٥٥)

(٦) معمر بن عباد السلمى معتزلى من أهل البصرة ، ثم سكن بغداد وناظر النظام مات سنة خمس عشرة ومائتين (لسان الميزان ٦ ص ٧١)

النميرى[١] وعمرو بن بحر[٢] الجاحظ كانوا فى زمان واحد ، متقاربين فى الرأى والاعتقاد ، منفردين عن أصحابهم بمسائل نذكرها والمتأخرون منهم أبو على الجبائى[٣] وابنه أبو هاشم[٤] والقاضى عبد الجبار[٥] وأبو الحسين البصرى قد لخصوا طرق أصحابهم ،

---

(١) ثمامة بن أشرس أبو معن النميرى البصرى من كبار المعتزلة ومن رءوس الضلالة كان له اتصال بالرشيد ثم بالمأمون ، وكان ذا نوادر وملح وأراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه مات سنة ثلاث عشرة ومائتين (لسان الميزان ثان ص ٨٣)

(٢) عمرو بن بحر الجاحظ صاحب التصانيف ، من أئمة البدع ، وكان لا يصلى وكان ممن يرمى بالزندقة وكتبه مائة ونيف وسبعون كتابا فى فنون مختلفة وقد أوتى بسطة فى القول وبيانا عذبا فى الخطاب ومجالا فى الفنون ، توفى سنة خمسين ومائتين وكان موته بسقوط مجلدات العلم عليه (لسان الميزان ٤ ص ٣٥٥ وشذرات ثان ص ١٢١)

(٣) محمد بن عبد الوهاب الجبائى أبو على ، رأس المعتزلة ومن انتهت اليه رياستهم وله مصنفات منها الرد على تلميذه الأشعرى وله الرد على أبى الحسين الخياط والنظام وغيرهما من المعتزلة فيما خالفهم فيه توفى سنة ثلاث وثلاثمائة (لسان الميزان خامس ص ٢٧١)

(٤) عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب أبو هاشم الجبائى ، شيخ المعتزلة بعد أبيه ، وله تصانيف وكان بصيرا بالنحو واللغة توفى سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة (لسان الميزان رابع ص ١٦)

(٥) عبد الجبار بن أحمد الهمذانى القاضى المتكلم ، له تصانيف وكان من غلاة الشيعة بعد الأربعمائة ، ولى قضاء الرى وقزوين وغيرهما من الأعمال التى كانت لفخر الدولة ابن بويه مات سنة خمس عشرة وأربعمائة (لسان الميزان ثالث ص ٣٨٦)

وانفردوا عنهم بمسائل كما سيأتى ، وأما رونق علم الكلام فابتداؤه من الخلفاء العباسية ، هارون والمأمون ، والمعتصم ، والواثق والمتوكل .

وأما انتهاؤه فمن الصاحب[1] بن عباد ، وجماعة من الديالمة[2] وظهرت جماعة من المعتزلة متوسطين ، مثل ضرار[3] بن عمرو وحفص[4] الفرد ، والحسين[5] النجار ، من المتأخرين خالفوا الشيوخ فى مسائل ،

---

(١) اسماعيل بن عباد الصاحب أبو القاسم الطالقانى المشهور بالفضائل والمكارم والآداب ، أملى مجالس فى أيام وزارته ، وقد اشتهر بمذهب المعتزلة وكان داعية اليه وهو شافعى المذهب شيعى النحلة ، وكان يبغض من يميل إلى الفلسفة وكان حاضر الجواب فصيح اللسان وشاع فى أيامه المراء والالحاد مات سنة خمس وثمانين وثلاثمائة (لسان الميزان أول ص ٤١٣)

(٢) الديلم جيل من الأعاجم من بلاد الشرق سموا بأرضهم وهى فى الاقليم الرابع

(٣) ضرار بن عمرو القاضى معتزلى جلد له مقالات خبيثة ، وذكره ابن النديم ، وذكر له ثلاثين كتابا فيها الرد على المعتزلة والخوارج والروافض ولكنه كان معتزليا له مقالات ينفرد بها وشهد عليه ابن حنبل فأمر القاضى بضرب عنقه فهرب . وأخفاه يحي بن خالد فهو من رجال منتصف القرن الثالث (لسان الميزان ٣ ص ٢٠٣)

(٤) حفص الفرد : مبتدع ، قال النسائى صاحب كلام لا يكتب حديثه وكفره الشافعي فى مناظرته (لسان الميزان ثان ص ٣٣٠)

(٥) الحسين النجار ، رئيس النجارية ، فى اعتقادات فرق المسلمين انه الحسين ابن محمد النجار ص ٦٨ وفى مختصر الفرق بين الفرق ، أبو الحسين النجار البصرى ص ١٢٦ وفى التبصير ص ٦١ الحسين بن محمد النجار

وهو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار وكان من جلة المجبرة ومتكلميهم وله مع النظام مجالس ومناظرات وله كتب ، الاستطاعة والارجاء والقضاء والقدر وغيرها وقد أخذ عن بشر المريسى مذهبه فهرست ابن النديم ص ٢٥٤ (الجواهر المضية أول ص ١٦٤)

ونبغ جهم[١] بن صفوان فى أيام نصر[٢] بن سيار، وأظهر بدعته فى الجبر بترمذ، وقتله سلم[٣] بن أحوز المازنى فى آخر ملك بنى أمية بمرو. وكان بين المعتزلة وبين السلف فى كل زمان اختلافات فى الصفات وكانت السلف يناظرونهم عليها لا على قانون كلامى بل على قول اقناعي ويسمون الصفاتية، فمن مثبت صفات البارى تعالى معانى قائمة بذاته ومن مشبه صفاته بصفات الخلق، وكلهم يتعلقون بظواهر الكتاب والسنة، ويناضلون المعتزلة فى قدم الكلام على قول ظاهر، وكان عبد الله[٤] بن سعيد الكلابى وأبو العباس[٥] القلانسى والحارث المحاسبى[٦]

---

(١) جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندى الضال المبتدع رأس الجهمية قتله نصر بن سيار سنة ثمان وعشرين ومائة (لسان الميزان ثان ص ١٤٢)

(٢) نصر بن سيار ولاه هشام خراسان فأحسن الولاية والجباية فلم يزل واليا عليها عشر سنين حتى وقعت الفتنة فخرج يريد العراق فمات فى الطريق سنة ١٢٠ (المعارف ص ١٤١ وابن الاثير خامس ص ٨٩)

(٣) سلم بن أحوز من أمراء الأجناد وكان على شرطة نصر بن سيار (الطبرى تاسع ص ٦٦ وابن الاثير خامس ص ١٣٨)

(٤) عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب القطان البصرى أحد المتكلمين أيام المأمون، ودمر المعتزلة فى مجلس المأمون، وكان من ابة الحشوية وله مع عباد بن سليمان مناظرات، وكان ابن حنبل من أشد الناس عليه، ووفاته بعد الأربعين ومائتين بقليل والسبكي يذكر أنه من متكلمى أهل السنة (لسان الميزان ثالث ص ٢٩٠ طبقات الشافعية ثان ص ٥١)

(٥) أبو العباس القلانسى من متكلمى أهل السنة فى القرن الثالث، وله كتب ورسائل فى الرد على النظام وهو ممن يجيز امامة المفضول (طبقات الشافعية ثان ص ٥١ و الفرق بين الفرق ١١٠ و ٣٤٤)

(٦) الحارث بن أسد المحاسبي الزاهد الناطق بالحكمة صاحب المصنفات فى التصوف والأحوال، وله مصنفات نفيسة في السلوك والأصول، وهو =

أشبههم اتقانا وأمتنهم كلاما ، وجرت مناظرة بين أبي الحسن [١] على ابن اسماعيل الأشعري وبين أستاذه أبى على الجبائى فى بعض مسائل وألزمه أموراً لم يخرج عنها بجواب ، فأعرض عنه ، وانحاز إلى طائفة السلف ونصر مذهبهم على قاعدة كلامية ، فصار ذلك مذهبا منفرداً وقرر طريقته جماعة من المحققين مثل القاضى ابى بكر [٢] الباقلانى والأستاذ أبى اسحاق [٣] الاسفرائينى ، والأستاذ أبى بكر [٤] بن فورك وليس بينهم كثير اختلاف ، ونبغ رجل متنمس [٥] بالزهد من سجستان

= أحد شيوخ الجنيد توفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين (شذرات ثان ص ١٠٣)

(١) أبو الحسن الأشعرى على بن اسماعيل المتكلم البصرى ، صاحب المصنفات ناظر شيخه الجبائى فقصم ظهر كل مبتدع مرائى . واليه انتهت رياسة الدنيا فى الكلام وكان الامام المقتدى به توفى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة (شذرات ثان ص ٣٠٣)

(٢) القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى البصرى المتكلم المشهور كان على مذهب الأشعرى ، ومؤيدا اعتقاده ، وناصرا طريقته ، سكن بغداد وصنف التصانيف الكثيرة ، المشهورة فى علم الكلام وكان أوحد زمانه وانتهت اليه الرياسة فى مذهبه ، توفى سنة ثلاث وأربعمائة (ابن خلكان أول ص ٦٠٩)

(٣) أبو اسحاق الاسفرائينى ابراهيم بن محمد الملقب بركن الدين الفقيه الشافعى المتكلم الأصولى ، تبحر في العلوم وجمع شرائط الامامة له التصانيف الكثيرة ومنها كتابه جامع الحلى فى أصول الدين والرد على الملحدين بنيت له المدرسة المشهورة بنيسابور توفى سنة ثمانى عشرة وأربعمائة (ابن خلكان جزء أول ص [illegible])

(٤) أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الأصولى الأديب النحوى الواعظ الأصبهانى وبلغت مصنفاته فى أصول الفقه والدين ومعانى القرآن قريبا من مائة مصنف توفى سنة ست وأربعمائة (ابن خلكان أول ص ٦١٠)

(٥) متنمس : محتال

يقال له أبو عبد الله[١] ابن الكرام قليل العـــلم قد قمش[٢] من كل مذهب ضغثا[٣] وأثبته فى كتابه وروجه على أغتام[٤] غزنة[٥] وغور[٦] وسواد[٧] بلاد خراسان ، فانتظم ناموسه ، وصار ذلك مذهبا قد نصره محمود[٨] بن سبكتكين السلطان ، وصب البلاء على أصحاب الحديث

---

(١) محمد بن كرم السجستانى العابد المتكلم شيخ الكرامية وقد ابتدع فى المعبود أنه جسم لا كالأجسام وسجن لبدعته ثمانية أعوام بنيسابور ثم توجه إلى الشام ورجع ثانية إلى نيسابور فحبسه محمد بن عبد الله بن طاهر ثم أطلق وللكرامية رباط ببيت المقدس توفى سنة خمس وخمسين ومائتين (لسان الميزان خامس ص ٣٥٣)

(٢) قمش . جمع أرذلها

(٣) الضغث : قبضة حشيش مختلط الرطب باليابس

(٤) الأغتم . من لا يفصح شيئا ج غتم وأغتام

(٥) غزنة : يقـال لمجموع بلاد « هازاباستان » وغزنه قصبتها . وهى مدينـة عظيمة وولاية واسعه ، وكانت منزل بنى محمود بن سبكتكين (معجم سادس ص ٢٨٩)

(٦) غور : ولاية بين هراة وغزنة ، وهى بلاد باردة واسعة موحشة (معجم سادس ص ٣١٣)

(٧) سواد بلاد خراسان البلاد الآهلة . التي بها الزروع والأشجار . لما فيها من خضرة الزرع والأشجار ، والسواد يطلق على الخضرة

(٨) أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة سبكتكين الملقب أولا سيف الدولة ولقبه القادر بالله ، بيمين الدولة وأمين الدولة ، واشتهر به وقد انتظم له الأمر بعد أبيه ، وقد انتصر على بنى سامان ، وملك خراسان ، وغزا الهند وفتحها وملك سجستان ومناقبه كثيرة ، وكانت سيرته من أحسن السير توفى بغزنة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة (ابن خلكان ثانى ص ١١٠)

والشيعة من جهتهم ، وهو أقرب مذهب إلى مذهب الخوارج ، وهم مجسمة وحاشا غير محمد[١] بن الهيصم فانه مقارب .

المقـــدمة الخامسة

في السبب الذى أوجب ترتيب هذا الكتاب ، على طريق الحساب وفيها إشارة إلى مناهج الحساب ، لما كان مبنى الحساب على الحصر والاختصار ، وكان غرضى من تأليف هذا الكتاب ، حصر المذاهب مع الاختصار ، اخترت طريق الاستيفاء ترتيبا ، وقدرت أغراضى على مناهجه تقسيما وتبويبا ، وأردت أن أبين كيفية طرق هذا العلم ، وكمية أقسامه ، لئلا يظن بى أنى من حيث أنا فقيه ومتكلم ، أجنبى النظر فى مسالكه ومراسمه ، أعجمى القلم بمداركه ومعالمه ، فآثرت من طريق الحساب أحكمها وأحسنها ، وأقمت عليه من حجج البرهان أوضحها وأمتنها ، وقدرتها على علم العدد ، وكان الواضع الأول منه استمداد المدد فأقول مراتب الحساب تبتدئ من واحد وتنتهى إلى سبع ، ولا تجاوزها البتة .

المرتبة الأولى : صدر الحساب وهو الموضوع الأول ، الذى يرد

(١) محمد بن الهيصم شيخ الكرامية ، ومتكلمهم وقد حكى فى كرام التخفيف والفتح وذكر أنه المعروف فى ألسنة مشايخهم وأنه بمعنى كرامه أو بمعنى كرام ، الثانى أنه كرام بالكسر على لفظ جمع كريم (لسان الميزان خامس ص ٣٥٤)

عليه التقسيم الأول ، وهو فرد لا زوج له باعتبار ، وجملة يقبل التقسيم والتفصيل باعتبار ، فمن حيث أنه فرد فهو لا يستدعى آختا تساويه فى الصورة ، والمدة من حيث هو جملة فهو قابل للتفصيل ، حتى ينقسم إلى قسمين ، وصورة المدة يجب ان يكون من الطرف إلى الطرف ، ويكتب تحتها حشواً ، مجملات التفاصيل ، ومرسلات التقدير ، والتقرير والنقل ، والتحويل ، وكليات وجوه المجموع ، وحكايات الألحاق والموضوع بارزاً من الطرف الأيسر كميات مبالغ المجموع .

والمرتبة الثانية : منها الأصل وشكلها محقق ، وهو التقسيم الأول الذي ورد على المجموع الأول ، وهو زوج ليس بفرد ، ويجب حصره فى قسمين لا يعدوان إلى ثالث ، وصورة المدة يجب أن تكون أقصر من الصدر بقليل ، إذ الجزء أقل من الكل ، ويكتب تحتها حشو ما يخصها من التوجيه والتنويع والتفيصل ، ولها أخت تساويها فى المدة وإن لم يجب أن تساويها فى المقدار .

المرتبة الثالثة : من ذلك الأصل وشكله أيضا محقق ، وهو التقسيم الثانى ، الذى ورد على الموضوع الأول والثانى ، وذلك لا يجوز أن ينقص عن قسمين ، ولا يجوز أن يزيد على أربعة أقسام ، ومن جاوز من أهل الصنعة فقد أخطأ ، وما علم وضع الحساب ، وسنذكر السبب فيه وصورة مدته أقصر من مدة منها الأصل بقليل وكذلك يكتب تحتها ما يليق بها حشواً وبارزاً .

المرتبة الرابعة : منها المطموس وشكلها هكذا ط ، وذلك يجوز أن يجاوز الأربعة ، وأحسن الطرق أن يقتصر على الأقل ومدتها أقصر مما مضى .

المرتبة الخامسة : من ذلك الصغير وشكله هكذا ص ، وذلك يجوز إلى حيث ينتهى التقسيم والتبويب والمدة أقصر مما مضى .

المرتبة السادسة : منها المعوج وشكله هكذا ، وذلك أيضا يجوز إلى حيث ينتهى التفصيل .

المرتبة السابعة : من ذلك المعقد وشكله هكذا ىلل ولكن يعد من الظرف إلى الطرف لا على أنه أخت صدر الحساب بل من حيث أنه النهاية التى تشاكل البداية . فهذه كيفية صورة الحساب نقشا ، وكمية أبوابها جملة ، ولكل قسم من الأبواب أخت تقابله ، وزوج يساويه فى المدة ، لا يجوز اغفال ذلك بحال ، والحساب تاريخ وتوجيه .

والآن نذكر كمية هذه الصورة وانحصار الأقسام فى سبع ، ولم صار الصدر الأول فردا لا زوج له فى الصورة . ولم انحصرت منها الأصل فى قسمين لا يعدوان إلى ثالث ، ولم انحصرت من ذلك الأصل فى أربعة ، ولم خرجت الأقسام الأخر عن الحصر ، فأقول :

إن العقلاء الذين تكلموا فى علم العدد والحساب ، اختلفوا فى الواحد أهو من العدد أم هو مبدأ العدد ، وليس داخلا فى العدد ، وهذا

الاختلاف إنما ينشأ من اشتراك لفظ الواحد ، فالواحد يطلق ويراد به ما يتركب منه العدد ، فان الاثنين لا معنى له إلا واحد مكرر أول تكرير . وكذلك الثلاثة والأربعة ، ويطلق ويراد به ما يحصل منه العدد أى هو علته ، ولا يدخل فى العدد أى لا يتركب منه العدد ، وقد تلازم الواحدية جميع الأعداد ، لا على أن العدد تركب منها بل كل موجود فهو فى جنسه أو نوعه أو شخصه واحد ، يقال إنسان واحد ، وشخص واحد ، وفى العدد كذلك ، فان الثلاثة فى أنها ثلاثة واحدة ، فالواحدة بالمعنى الأول داخلة فى العدد وبالمعنى الثانى علة للعدد وبالمعنى الثالث ملازمته للعدد ، وليس من الأقسام الثلاثة قسم يطلق على البارى تعالى معناه ، فهو واحد لا كالآحاد ، أى هذه الوحدات ، والكثرة منه وحدات ويستحيل عليه الانقسام بوجه من وجوه القسمة .

وأكثر أصحاب العدد على أن الواحد لا يدخل فى العدد ، فالعدد مصدره الأول اثنان ، وهو ينقسم إلى زوج وفرد ، فالفرد الأول ثلاثة والزوج الأول أربعة . وما وراء الأربعة فهو مكرر ، كالخمسة فانها مركبة من عدد وفرد ، ويسمى العدد الدائر ، والستة مركبة من فردين ويسمى العدد التام . والسبعة مركبة من فرد وزوج ويسمى العدد الكامل . والثمانية مركبة من زوجين وهى بداية أخرى . وليس ذلك من غرضنا . فصدر الحساب فى مقابلة الواحد الذى هو علة العدد ، وليس يدخل فيه ، ولذلك هو فرد لا أخت له ، ولما كان العدد مصدره من اثنين

صار منها المحقق محصوراً فى قسمين ، ولما كان العدد منقسما إلى فرد وزوج ، صار من ذلك الأصل محصورا فى أربعة ، فان الفرد الأول ثلاثة والزوج الأول أربعة وهى النهاية وماعداها مركب منها ، فكان البسائط العامة الكلية فى العدد واحد واثنان وثلاثة وأربعة وهي الكمال . وما زاد عليها فمركبات كلها ولا حصر لها فلذلك لا تنحصر الأبواب الأخر فى عدد معلوم . بل تتناهى بما يتناهى به الحساب ، ثم تركيب العدد على المعدود وتقدير البسيط على المركب فمن علم آخر . وسنذكر ذلك عند ذكرنا مذاهب قدماء الفلاسفة ، فاذا نجزت المقدمات على أوفى تقرير ، وأحسن تحرير ، شرعنا فى ذكر مقالات أهل العالم ، من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا لعله لا يشذ عن أقسامها مذهب . ونكتب تحت كل باب وقسم ما يليق به ذكرا ، حتى يعرف لم وضع ذلك اللفظ لذلك الباب ، ونكتب تحت ذكر الفرقة المذكورة ما يعم أصنافها مذهبا ، واعتقاداً . وتحت كل صنف ما خصه وانفرد به عن أصحابه ، ونستوفى أقسام الفرق الاسلامية ثلاثا وسبعين فرقة ونقتصر فى أقسام الفرق الخارجة عن الملة الحنيفية على ما هو أشهر وأعرف أصلا وقاعدة ، فنقدم ما هو أولى بالتقديم ونؤخر ما هو أجدر بالتأخير ، وشرط الصناعة الحسابية أن يكتب بازاء المعدود من الخطوط ما يكتب حشواً ؛ وشرط الصناعة الكتابية أن يترك الحواشى على الرسم المعهود عفوا ، فراعيت شرط الصناعتين ومددت الأبواب على

شرط الحساب وتركت الحواشي على رسم الكتاب وبالله أستعين، وعليه أتوكل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

مذاهب أهل العـــالم

من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنِّحل

من الفرق الاسلاميـة وغيرهم، ممن لهم كتاب منزل محقق مثل اليهود والنصارى، وممن له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية وممن ليس له حدود وأحكام دون كتاب، مثل الصابئة الأولى وممن ليس له كتاب ولا حدود وأحكام شرعية. مثل الفلاسفة الأولى، والدهرية، وعبدة الـكواكب وَالأوثان، والبراهمة، نذكر أربابها وأصحابها، ونقل مآخذها ومصادرها عن كتب طائفة طائفة على موجب اصطلاحها بعد الوقوف على مناهجها، وَالفحص الشديد عن مباديها وعواقبها

ثم أن التقسيم الصحيح الدائر بين النفي والاثبات، هو قولنا أن أهل العالم انقسموا من حيث المذاهب إلى أهل الديانات، وإلى أهل الأهواء فان الانسان إذا اعتقد عقدا، أوقال قولا، فاما أن يكون فيه مستفيدا من غيره، أو مستبدا برأيه. فالمستفيد من غيره مسلم مطيع، وَالدين هو الطاعة والتسليم والمطيع هو المتدين، والمستبد برأيه محدث مبتـدع. وفى الخـبر عن النبي عليه السلام (ما شقى امرؤ عن مشورة ولا سعد باستبداد برأي). وربما يكون المستفيد من غيره مقلدا قد وجد مذهبا

اتفاقياً ، بأن كان أبواه أو معلمه على اعتقاد باطل فيتقلده منه ، دون أن يتفكر فى حقه أو باطله ، وصواب القول فيه أو خطئه ، فحينئذ لا يكون مستفيداً ، لأنه ما حصل على فائدة وعلم ، ولا اتبع الأستاذ على بصيرة ويقين ، إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ، شرط عظيم فليعتبر ، وربما يكون المستبد برأيه مستنبطاً مما استفاده ، على شرط أن يعلم موضع الاستنباط وكيفيته ، فحينئذ لا يكون مستبداً حقيقة ، لأنه حصل العلم بقوة تلك الفائدة (لَعَلِمَهُ الذين يستنبطونه منهم) ، وهو ركن عظيم فلا تغفل .

فالمستبدون بالرأى مطلقا هم المنكرون للنبوات ، مثل الفلاسفة والصابئة ، والبراهمة ، وهم لا يقولون بشرائع وأحكام أمرية ، بل يضعون حدودا عقلية حتى يمكنهم التعايش عليها .

والمستفيدون هم القائلون بالنبوات ، ومن قال بالأحكام الشرعية فقد قال بالحدود العقلية ، ولا ينعكس .

أرباب الديانات والملل من المسلمين وأهل الكتاب وممن له شبهة كتاب ، نتكلم ها هنا فى معنى الدين[1]

---

(١) والدين : الاسلام وقد دنت به وفى حديث على ، محبة العلماء دين يدان به ، والدين الجزا . وفى حديث ابن عمر ولا تسبوا السلطان فان كان لا بد فقولوا اللهم دنهم كما يدينونا أى اجزهم بما يعاملونا به ، والدين الحساب ومنه قوله مالك يوم الدين وقيل معناه مالك يوم الجزاء وقوله : ذلك الدين القيم أى ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوى والدين الطاعة قال عمرو ابن كلثوم : =

والملة(١) والشرعة(٢) والمنهاج(٣) والاسلام(٤) والحنيفية(٥)

= وأياما لنا غرا كراما عصينا الملك فيها أن ندينا

والدين العادة والشأن تقول العرب ما زال ذلك ديني وديدنى أى عادتى وفى التنزيل ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك قال قتادة في قضاء الملك وفى الحديث ، انه عليه السلام كان على دين قومه ، ليس به ما كانوا عليه من شرك وانما أراد انه كان على ما بقى منهم من ارث ابراهيم من الحج والنكاح وغير ذلك من أحكام الايمان وقيل هو من الدين وهو العادة يريد به أخلاقهم الكريمة من الكرم والشجاعة وغير ذلك .

(١) والملة الشريعة والدين وفى الحديث لا يتوارث أهل ملتين ، الملة الدين ، كملة الاسلام والنصرانية واليهودية ، وقيل هى معظم الدين وجملة ما تجىء به الرسل : وفى التنزيل حتى تتبع ملتهم قال أبو اسحق الملة فى اللغة السنة والطريقة أى سنتهم وطريقهم .

(٢) الشريعة ، والشرعة ما سن الله من الدين وأمر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البر ومنه قوله تعالى ثم جعلناك على شريعة من الأمر ، وقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا . الشرعة فى الدين والمنهاج فى الطريق وقيل الشرعة والمنهاج جميعاً الطريق والطريق ههنا الدين وقيل الشرعة معناها ابتداء الطريق والمنهاج الطريق المستقيم وقال ابن عباس شرعة ومنهاجا سبيلا وسنة وقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا شرع أى أظهر وقوله شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، أى أظهروا لهم .

(٣) منهج الطريق وضحه والمنهاج كالمنهج وفى التنزيل لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والنهج الطريق المستقيم

(٤) والاسلام والاستسلام الانقياد ، والاسلام من الشريعة اظهار الخضوع واظهار الشريعة والتزام لما أتى به النبى صلعم وقال ثعلب الاسلام باللسان ، والايمان بالقلب .

(٥) الحنيفية فى الاسلام الميل اليه والاقامة على عقده ، والحنيفية ملة الاسلام وفي الحديث أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة وتوصف به الملة فيقال ملة حنيفية .

والسنة[١] والجماعة[٢] فانها عبارات وردت فى التنزيل ، ولكل واحدة منها معنى يخصها، وحقيقة توافقها، لغة واصطلاحا ، وقد بينا معنى الدين أنه الطاعة والانقياد وقد قال تعالى : « إن الدين عند الله الاسلام » وقد يرد بمعنى الجزاء يقال كما تدين تدان ، وقد يرد بمعنى الحساب يوم الميعاد والتناد ، قال تعالى : « ذلك الدين القيم » فالمتدين هو المسلم المطيع المقر بالجزاء والحساب يوم التناد والميعاد قال الله تعالى : «ورضيت لكم الاسلام دينا » .

ولما كان نوع الانسان محتاجا إلى اجتماع مع آخر من بنى جنسه فى إقامة معاشه ، والاستعداد لميعاده ، وذلك الاجتماع يجب أن يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون ، حتى يحفظ بالتمانع ماهوله ، ويحصل بالتعاون ماليس له ، فصورة الاجتماع على هذه الهيئة هى الملة ، والطريق الخاص الذى يوصل إلى هذه الهيئة ، هو المنهاج ، والشرعة والسنة ، والاتفاق على تلك السنة هى الجماعة ، قال الله تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا »

ولن يتصور وضع الملة وشرع الشرعة ، إلا بواضع شارع يكون

(١) السنة ، الأصل فيها الطريقة والسيرة وإذا أطلقت فى الشرع فانما يراد بها ما أمر به النبي صلعم ونهى عنه وندب اليه قولا أو فعلا مما لم ينطق به الكتاب العزيز ولهذا يقال فى أدلة الشرع الكتاب والسنة أى القرآن والحديث

(١) الجماعة عدد كل شيء وكثرته ، وهم من اجتمعوا على الدين ولم تفرقهم الاهواء ومنه حديث الحسن اتقوا هذه الاهواء فان جماعها الضلالة .

مخصوصا من عندالله ، بآيات تدل على صدقه ، وربما تكون الآية مضمنة في نفس الدعوى ، وربما تكون ملازمة ، وربما تكون متأخرة .

ثم اعلم أن الملة الكبرى هي ملة إبراهيم عليه السلام ، وهي الحنيفية التي تقابل الصبوة[1] تقابل التضاد ، وسنذكر كيفية ذلك ان شاء الله تعالى ، قال الله تعالى « ملة أبيكم إبراهيم »

والشريعة ابتدأت من نوح عليه السلام قال الله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا » .

والحدود والأحكام ، ابتدأت من آدم ، وشيث ، وإدريس عليهم السلام ، وختمت الشرائع والملل ، والمناهج والسنن ، بأكملها وأتمها حسنا وجمالا بمحمد عليه السلام ، قال الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » :

وقد قيل خص آدم بالأسماء ، وخص نوح بمعاني تلك الأسماء وخص إبراهيم بالجمع بينهما ، ثم خص موسى بالتنزيل ، وخص عيسى بالتأويل ، وخص المصطفى بالجمع بينهما ، على ملة أبيكم إبراهيم ، ثم كيفية التقرير الأول ، والتكميل بالتقرير الثاني ، بحيث يكون مصدقا كل واحد ما بين يديه من الشرائع الماضية ، والسنن السالفة ، تقديرا للأمر

---

(١) الصبوة جهلة الفتوة وفي حديث الفتن لتعودن فيها أساود صُبىّ هي جمع صاب كغاز وغزى وهم الذين يصبون إلى الفتنة أي يميلون اليها وفي الحديث وشاب ليست له صبوة أي ميل إلى الهوى .

على الخلق، وتوفيقا الدين على الفطرة . فمن خاصية النبوة أن لا يشاركهم فيها غيرهم .

وقد قيل ان الله عز وجل أسس دينه على مثال خلقه ، ليستدل بخلقه على دينه . وبدينه على وحدانيته .

* * *

المسلمون، قد ذكرنامعنى الاسلام ، ونفرق هاهنا بينه وبين الإيمان ، والاحسان ، ونبين ما البدء ، وما الوسط ، وما الكمال ، والخبر المعروف في دعوة جبريل عليه السلام ، حيث جاء على صورة أعرابى وجلس حتى ألصق ركبته بركبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال يا رسول الله ما الاسلام . فقال أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، وأن تقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة . وتصوم شهر رمضان . وتحج البيت ان استطعت إليه سبيلا ، قال صدقت ، ثم قال ما الايمان ، قال عليه السلام ، أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره ، قال صدقت ، ثم قال ما الاحسان ، قال عليه السلام . أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك ، قال صدقت ، ثم قال متى الساعة . قال عليه السلام ما المسئول عنها بأعلم من السائل . ثم قام وخرج ، فقال النبي عليه السلام ، هذا جبريل جاء كم يعلمكم دينكم ، ففرق في التفسير ، بين الاسلام . والايمان ، إذ الاسلام قد يرد بمعنى الاستسلام

ظاهراً ، ويشترك فيه المؤمن والمنافق ، قال الله تعالى : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) ففرق التنزيل بينهما ، فكان الاسلام بمعنى التسليم ، والانقياد ظاهرا موضع الاشتراك فهو المبدأ ، ثم إذا كان الاخلاص معه ، بأن يصدق الله وملائكتهُ وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويقر عقدا[1] بأن القدر خيره وشره من الله تعالى : بمعنى أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه كان مؤمنا حقا

ثم إذا جمع بين الاسلام والتصديق ، وقرن المجاهدة بالمشاهدة وصار غيبه شهادة فهو الكمال . فكان الاسلام مبدأ ، والايمان وسطا والاحسان كمالا ؛ وعلى هذا شمل لفظ المسلمين الناجي وَالهالك ، وقد يرد الاسلام وقرينه الاحسان ، قال الله تعالى (بلى من أسلم وَجهه لله وهو محسن) وعليه يحمل قوله تعالى (ورضيت لكم الاسلام دينا) وقوله (إن الدين عند الله الاسلام) وقوله (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) وقوله (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وعلى هذا خص الاسلام بالفرقة الناجية .

* * *

أهل الأصول المختلفون فى التوحيد وَالعدل وَالوعد والوعيد والسمع والعقل ، نتكلم هاهنا فى معنى الأصول والفروع ، وسائر الكلمات

(١) عقده ، عقدا أكده ، ومنه عقد العهد واليمين يعقدهما عقدا وعقدهما أكدهما (والذين عقدت أيمانكم)

قال بعض المتكلمين ، الأصول معرفة البارى تعالى بوحدانيته وصفاته ، ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم . وبالجملة كل مسئلة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين ، فهى من الأصول ، ومن المعلوم أن الدين إذا كان منقسما إلى معرفة وطاعة ، والمعرفة أصل ، والطاعة فرع ، فمن تكلم فى المعرفة والتوحيد كان أصوليا ، ومن تكلم فى الطاعة والشريعة كان فروعيا ، والأصول هو موضوع علم الكلام ، والفروع هو موضوع علم الفقه .

وقال بعض العقلاء ، كل ما هو معقول ويتوصل إليه بالنظر والاستدلال ، فهو من الأصول ، وكل ما هو مظنون ويتوصل إليه بالقياس والاجتهاد ، فهو من الفروع

وأما التوحيد ، فقد قال أهل السنة ، وجميع الصفاتية إن الله تعالى واحد فى ذاته لا قسيم[1] له ، وواحد فى صفاته الأزلية لا نظير له ، وواحد فى أفعاله لا شريك له ، فلا قديم غير ذاته ، ولا قسيم له فى أفعاله ، ومحال وجود قديمين ، ومقدور بين قادرين . وذلك هو التوحيد والعدل ، وعلى مذهب أهل السنة ، ان الله تعالى عدل فى أفعاله ، بمعنى أنه متصرف فى مِلكه ومُلكه ، يفعل مايشاء ، ويحكم مايريد ، فالعدل وضع الشىء موضعه ، وهو التصرف فى الملك على مقتضى المشيئة ، والعلم ، والظلم بضده ، فلا يتصور منه جور فى الحكم ، وظلم فى التصرف .

---

(١) لا قسيم له ، أى لا شريك له ، وقسيم المرء الذى يقاسمه أرضا أو دارا أو مالا بينه وبينه .

وَعلى مذهب أهل الاعتزال، العدل مايقتضيه العقل من الحكمة وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة .

وأما الوعد والوعيد فقال أهل السنة الوعد والوعيد كلامه الأزلى وعد[١] على ماأمر، وأوعد على مانهى، فكل ما نجا واستوجب الثواب فبوعده، وكل من هلك واستوجب العقاب فبوعيده، فلايجب عليه شيء من قضية العقل .

وقال أهل العدل لاكلام فى الأزل، وإنما أمر ونهى، ووعد وأوعد بكلام محدث[٢]، فمن نجا فبفعله استحق الثواب، ومن خسر فبفعله استوجب العقاب، والعقل من حيث الحكمة يقتضى ذلك .

وأما السمع والعقل، فقال أهل السنة، الواجبات كلها بالسمع، والمعارف كلها بالعقل، فالعقل لا يحسن ولايقبح ولايقتضى، ولا يوجب، والسمع لايعرف، أى لايوجد المعرفة بل يوجب .

---

(١) وعد فى الخير وأوعد فى الشر قال عامر بن الطفيل
ولا يرهب المولى ولا العبد صولتى ولا اختتى من صولة المتهدد
وانى وان أوعدته أو وعدته لمخلف ايعادى ومنجز موعدى
قال ابن سيده وفى الخير الوعد والعدة وفى الشر الايعاد والوعيد فاذا قالوا أوعدته بالشر أثبتوا الألف مع الياء .

(٢) عقيدة أهل السنة أن كلام الله قديم، وكلام واحد، أمر ونهى وخبر واستخبار، على معنى التقدير، وكل ما ورد فى الكتب من الله تعالى باللغات المختلفة العبرية والعربية والسريانية كلها عبارات تدل على معنى كتاب الله تعالى ولو جاء أضعاف أضعافه لم تستغرق معانى كلامه فمعاني كلام الله لا تستغرقها عبارات المعبرين . قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا .

وقال أهل العدل ، المعارف كلها معقولة بالعقل ، واجبة بنظر العقل وشـــكر المنعم واجب قبل ورود السمع ، والحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح . فهذه القواعد هى المسائل التى تكلم فيهـا الأصول ، وسنذكر مذهب كل طائفة مفصلا إن شاء الله تعالى ، ولكل علم موضوع ومسائل قد ذكرناهما بأقصى الامكان .

* * *

المعتزلة وغيرهم من الجبرية والصفاتية ، والمختلطة منهم الفريقان من المعتزلة والصفاتيـة متقابلتان تقابل التضاد ، وكذلك القـدرية والجبرية ، والمرجئة والوعيدية ، والشيعة والخوارج ، وهذا التضاد بين كل فريق وفريق ، كان حاصلا فى كل زمان ، ولكل فرقة مقالة على حيالها وكتب صنفوها ، ودولة عاونتهم ، وصولة طاوعتهم .

* * *

المعتزلة[1] ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركا ، وقالوا لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى ، احترازاً عن وصمة اللقب ، إذا كان الذم به متفقا عليه ، لقول النبي عليه السلام (القدرية مجوس هذه الأمة) ، وكانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق ، على أن الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد ، فكيف يطلق لفظ الضد على الضد ، وقد

(١) المعتزلة أصحاب واصل بن عطاء الغزال لما اعتزل مجلس الحسن البصرى يقرر ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت المنزلة بين المنزلتين فطرده ، فاعتزله وتبعه جماعة سموا بالمعتزلة .

قال النبي عليه السلام (القدرية خصماء الله فى القدر) ، والخصومة فى القدر ، وانقسام الخير والشر على فعل الله ، وفعل العبد لن يتصور على مذهب من يقول بالتسليم والتوكل ، وإحالة الأحوال كلها على القدر المحتوم والحكم المحكوم .

فالذى يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد ، القول بأن الله تعالى قديم ، والقدم أخص وصف ذاته ، ونفوا الصفات القديمة أصلا ، فقالوا هو عالم لذاته ، قادر لذاته ، حى لذاته ، لا بعلم وقدرة وحياة ، هي صفات قديمة ومعانى قائمة به ، لأنه لو شاركته الصفات فى القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته فى الالهية .

واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق ، فى محل ، وهو حرف وصوت[1] ، كتب أمثاله فى المصاحف ، حكايات عنه ، فاىما وجد فى المحل عرض فقد فنى فى الحال .

واتفقوا على أن الارادة ، والسمع ، والبصر ، ليست معانى قائمة بذاته لكن اختلفوا فى وجوه وجودها ومحامل معانيها كما سيأتى .

واتفقوا على رؤية الله تعالى بالأبصار فى دار القرار ، ونفى التشبيه عنه من كل وجه ، جهة ومكانا وصورة وجسما ، وتحيزاً ، وانتقالا ،

(١) كلام الله ليس بحرف ولا صوت لأن الحرف والصوت يتضمنان جواز التقدم والتأخر وذلك مستحيل على القديم سبحانه وما دل من كتاب الله تعالى على أن متعلقات الكلام لا نهاية لها دليل على أنه ليس بحرف ولا صوت لوجوب التناهى فيما صح وصفه به .

وزوالا ، وتغيراً ، وتأثراً .

وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها ، وسموا هذا النمط توحيداً

واتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله ، خيرها وشرها ، مستحق على ما يفعله ثواباً ، وعقاباً فى الدار الآخرة ، والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شر وظلم ، وفعل هو كفر ومعصية ، لأنه لو خلق الظلم كان ظالما ، كما لو خلق العدل كان عادلا .

واتفقوا على أن الحكيم لا يفعل إلا الصلاح والخير ، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد .

وأما الأصلح واللطف ففى وجوبه خلاف عندهم وسموا هذا النمط عدلا .

واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب ، والعوض والتفضل . ومعنى آخر وراء الثواب ، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها ، استحق الخلود فى النار ، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار ، وسموا هذا النمط وعداً ووعيداً .

واتفقوا على أن أصول المعرفة وشكر النعمة واجب ، قبل ورود السمع ، والحسن والقبيح يجب معرفتهما بالعقل ، واعتناق الحسن واجتناب القبيح ، واجب كذلك ، وورود التكاليف ألطاف للبارى تعالى ، أرسلها إلى العباد بتوسط الأنبياء عليهم السلام ، امتحاناً واختباراً

(ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حى عن بينة)

واختلفوا فى الامامة والقول فيها نصا واختياراً كما سيأتى عند مقالة كل طائفة طائفة .

والآن نذكر ما يختص بطائفة طائفة من المقالة التى تميزت بها عن أصحابها .

الواصلية

الواصلية أصحاب أبى حذيفة واصل[١] بن عطاء الغزال ، كان تلميذ الحسن[٢] البصرى ، يقرأ عليه العلوم والأخبار ، وكان فى أيام عبد الملك[٣] وهشام[٤] بن عبد الملك ، وبالمغرب الآن منهم شرذمة قليلة ، فى بلد

---

(١) واصل بن عطاء البصرى الغزال المتكلم البليغ قديم المعتزلة وشيخها وأول من أظهر المنزلة بين المنزلتين ، وقد اعتزل عن الحسن لما خالفه وجلس اليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولاتباعهما معتزلون توفى سنة ١٣١ وولد بالمدينة سنة ثمانين (لسان الميزان سادس ص ٢١٤ وابن خلكان ثان ص ٢٢٤)

(٢) أبو سعيد الحسن البصرى من سادات التابعين وكبرائهم وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة ، وكان فصيحا حكيما توفى فى مستهل رجب سنة ١١٠ (ابن خلكان أول ص ١٦٠)

(٣) عبد الملك بن مروان الخليفة المروانى عد فى الفقه فى طبقة ابن المسيب وما رؤى شاب كان أشد تشميرا ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتاب الله منه توفى سنة ست وثمانين (شذرات أول ص ٩٧)

(٤) هشام بن عبد الملك ، الخليفة ، كانت خلافته عشرين سنة إلا شهرا وكان ذا رأى وحزم وحلم شديد الجمع للمال قليل البذل وكان متيقظا لا يغيب عنه شىء من أمر ملكه توفى سنة خمس وعشرين ومائة (شذرات أول ص ١٦٣)

إدريس[١] بن عبد الله الحسنى ، الذى خرج بالمغرب فى أيام أبى جعفر[٢] المنصور ، ويقال لهم الواصلية .

واعتزالهم يدور على أربع قواعد .

القاعدة الأولى : القول بنفى[٣] صفات البارى تعالى ، من العلم ، والقدرة والارادة ، والحياة ، وكانت هذه المقالة فى بدئها غير نضيجة ، وكان واصل ابن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر ، وهو الاتفاق على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين ، قال من أثبت معنى ، وصفة قديمة أثبت إلهين ، وإنما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة ، وانتهى نظرهم فيها إلى رد جميع الصفات ، إلى كونه عالما قادراً ، ثم الحكم بأنهما صفتان ذاتيتان هما اعتباران للذات القديمة ، كما قاله الجبائى[٤] أو حالتان كما قاله

---

(١) ادريس بن عبد الله بن الحسن بن على خرج على المنصور سنة تسع وستين ومائة ، وهرب إلى المغرب فقام معه أهل طنجه وهو جد الشرفاء الادريسيين وقد نشرت دعوته وبقى ولده يتوارثون ملك المغرب ومن سلالته أدارسة العصر الحاضر ومات أيام الرشيد سنة ١٩٣ (شذرات أول ص ٢٦٩ و ٣٣٩) .

(٢) أبو جعفر عبد الله بن محمد ولي الخلافة فى الحجة سنة ١٣٦ وتلقب بالمنصور بالله وهو أول من تلقب من الخلفاء وكان عالما بليغا حازما ، ذكيا سريا توفى فى ذى الحجة ١٥٨ (خلاصة الذهب المسبوك ص ٤٣)

(٣) الحق ، أن علم الله تعالى وقدرته وحياته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه ، صفات له أزلية ، ونعوت له أبدية ، وإنما نقول للنافين ، أنه فى نفى الصفة نفى للموصوف .

(٤) أبو على محمد بن عبد الوهاب المعروف بالجبائى أحد أئمة المعتزلة كان اماما فى علم الكلام أخذ هذا العلم عن يعقوب الشحام البصرى رئيس المعتزلة بالبصرة توفى سنة ٣٠٣ (ابن خلكان أول ص ٦٠٨)

أبو هاشم[١] ومال أبو الحسين[٢] البصرى ، إلى ردهما إلى صفة واحدة ، وذلك عين مذهب الفلاسفة ، وسنذكر تفصيل ذلك ، وكانت السلف تخالفهم فى ذلك إذ وجدوا الصفات مذكورة فى الكتاب والسنة .

القاعدة الثانية : القول بالقدر وإنما سلك فى ذلك مسلك معبد[٣] الجهنى ، وغيلان[٤] الدمشقى ، وقرر واصل بن عطاء هذه القاعدة أكثر ما كان يقرر قاعدة الصفات ، فقال إن البارى تعالى حكيم عادل ، لا يجوز أن يضاف إليه شر وظلم ، ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر ، وأن يحكم عليهم شيئا ، ثم يجازيهم عليه ، فالعبد هو الفاعل للخير والشر ، والايمان ، والكفر والطاعة والمعصية ، وهو المجازى على فعله ، والرب تعالى أقدره على ذلك كله ، وأفعال العباد محصورة فى الحركات والسكنات ، والاعتمادات ، والنظر ، والعلم .

(١) أبو هاشم عبد السلام بن أبي على محمد الجبائى ، المتكلم كان هو وأبوه من كبار المعتزلة ولهما مقالات على مذهب الاعتزال وكتب الكلام مشحونة بمذهبهما ، واعتقادهما وتوفى سنة ٣٢١ (ابن خلكان ص ٣٦٧) .

(٢) أبو الحسين محمد بن على الطيب البصرى المتكلم المعتزلى وهو أحد أئمتهم ، المشار اليه وكان جيد الكلام مليح العبارة غزير المادة توفى سنة ٤٠٣ (ابن خلكان أول ص ٦٠٩)

(٣) معبد بن عبد الله الجهنى كان أول من تكلم فى القدر ونهى الحسن البصرى الناس عن مجالسته ، صلبه عبدالملك فى القدر وقيل بل عذبه الحجاج بأنواع العذاب وقتله سنة ثمانين (شذرات أول ص ٨٨ — ميزان ثالث ص ١٨٣)

(٤) غيلان بن مسلم ، المقتول فى القدر ضال مسكين وكان من بلغاء الكتاب ومن أصحاب الحرث الكذاب وممن آمن بنبوته فلما قتل الحرث قام مقامه وقد ناظره الأوزاعى فأفتى بقتله ، قتل أيام هشام بن عبد الملك (لسان الميزان رابع ص ٤٢٤)

وقال يستحيل أن يخاطب العبد بافعل، وهو لا يمكنه أن يفعل وهو يحس من نفسه الاقتدار والفعل. ومن أنكره فقد أنكر الضرورة واستدل بآيات على هذه الكلمات(١).

ورأيت رسالة نسبت إلى الحسن البصرى كتبها إلى عبد الملك ابن مروان وقد سأله. عن القول بالقدر والجبر، فأجابه بما يوافق مذهب القدرية، واستدل فيها بآيات من الكتاب، ودلائل من العقل، ولعلها لواصل بن عطاء، فما كان الحسن، ممن يخالف السلف فى أن القدر خيره وشره من الله تعالى، فان هذه الكلمة كالمجمع عليها عندهم. والعجب أنه حمل هذا اللفظ الوارد فى الخبر على البلاء والعافية، والشدة، والراحة، والمرض، والشفاء، والموت، والحياة، إلى غير ذلك من أفعال الله تعالى، دون الخير، والشر، والحسن، والقبيح الصادرين من اكساب العباد. وكذلك أورده جماعة المعتزلة فى المقالات من أصحابهم

(١) ذهب فى هذا مذهب القدرية في ان الله تعالى غير خالق لاكساب العباد ولا لشىء من أعمال الحيوان والناس هم الذى يقدرون اكسابهم وليس لله عز وجل فى اكسابهم ولا فى أعمال سائر الحيوان صنع ولا تقدير ومن ذهب إلى هذا فهو مشرك بربه، لدعواه ان العباد يخلقون مثل خلق الله من الاعراض التى هى الحركات والسكون، فى العلوم والارادات والاقوال والاصوات وقد قال الله تعالى فى ذم اصحاب هذا القول (ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار) (والله خلقكم وما تعملون) والقدرية من اقدم الفرق والمعتزلة وريثتها ولما اظهر واصل بدعته فى المنزلة بين المنزلتين، وضم دعواه الى قول القدرية فقال الناس يومئذ لواصل انه مع كفره قدرى وجرى المثل بذلك فى كل من جمع بين خصلتين فاسدتين

القاعدة الثالثة : القول بالمنزلة بين المنزلتين[1] والسبب فيه أنه دخل واحد على الحسن البصرى فقال : يا إمام الدين لقد ظهرت فى زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر ، يخرج به عن الملة ، وهم وعيدية الخوارج ، وجماعة يرجون ، أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان ، بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الايمان ، ولا يضر مع الايمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الأمة ، فكيف تحكم لنا فى ذلك اعتقاداً فتفكر الحسن فى ذلك وقبل أن يجيب قال : واصل بن عطاء أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ، ولا كافر مطلق ، بل هو فى منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة[2] من اسطوانات المسجد ، يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن اعتزل عنا ، واصل ، فسمى هو وأصحابه معتزلة .

ووجه تقريره أنه قال ، أن الايمان عبارة عن خصال خير إذا

---

(١) كان علماء التابعين ، مع أكثر الأمة يقولون ان صاحب الكبيرة من أمة الاسلام مؤمن لاعتقاده بالرسل والكتب المنزلة ويقينه بأن ما جاء من عند الله حق ولكنه فاسق بكبيرته وفسقه لا ينفى عنه الايمان والاسلام ولكن واصلا زعم ان الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر وجعل الفسق منزلة بين منزلتى الكفر والايمان .

(١) الاسطوانة : السارية والغالب انها تكون من بناء بخلاف العمود فانه من حجر واحد وجمعها أساطين

اجتمعت سمى المرء مؤمناً ، وهو اسم مـدح ، والفاسق لم يستجمع خصال الخير ، ولا استحق اسم المدح فلا يسمى مؤمناً ، وليس هو بكافر مطلق أيضاً ، لأن الشهادة وسائر أعمال الخـير موجودة فيه ، لا وجه لإنكارها . لـكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار خالداً فيها إذ ليس فى الآخرة إلا الفريقان (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) لـكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الـكفار ، وتابعه على ذلك عمرو بن عبيد بعد أن كان موافقاً له فى القدر وإنـكار الصفات .

القاعدة الرابعة : قوله فى الفريقين من أصحاب الجمل[1] وأصحاب صفين[2] ، ان أحدهما مخطئ لا بعينه ، وكذلك قوله فى عثمان وقاتليه وخاذليه ، قال أحد الفريقين فاسق لا محالة ، كما أن أحـد المتلاعنين فاسق لا بعينه ، وقد عرفت قوله فى الفاسق . وأقل درجات الفريقين أنه لا يقبل شهادتهما كما لا يقبل شهادة المتلاعنين ، فلم يجوز قبول شهادة على وطلحة والزبير على باقة بقل[3] وجوز أن يكون عثمان وعلىّ على

(١) أصحاب الجمل : عائشة وطلحة ، والزبير رضى الله عنهم في قتالهم لعلي ، وواقعة الجمل سنة ست وثلاثين ، وسميت بالجمـل المسمى عسكرا وكانت تركبه السيدة عائشة اشتراه عامل عثمان على البصرة عبد الله بن عامر من اليمن بمائتي دينار (مروج الذهب ثان ص ٢٤٢)

(٢) أصحاب صفين : معاوية ، وعمرو بن العاص ، فى قتالهما لعلي وقد بدأ القتال فى صفر سنة ٣٧ وقتل بصفين عمار بن ياسر (مروج ثان ص ٢٥٧)

(٣) الباقة من البقل حزمة منه أما من الزهر فطاقة والبقل من النبات ما كان ينبت فى بزره ولا ينبت فى أرومة ثابتة .

الخطأ . هذا قول رئيس المعتزلة . ومبدأ الطريقة فى أعلام الصحابة ، وأئمة[١] العترة ، ووافقه عمرو بن عبيد على مذهبه وزاد عليه فى تفسيق أحد الفريقين لا بعينه ، بأن قال لو شهد رجلان من أحد الفريقين . مثل على . ورجل من عسكره أو طلحة والزبير لم تقبل شهادتهما وفيه تفسيق الفريقين ، وكونهما من أهل النار[٢] . وكان عمرو من رواة الحديث معروفا بالزهد وواصل مشهورا بالفضل والأدب عندهم .

الهذيليـــة

أصحاب أبى الهذيل محمد بن الهذيل العلاف شيخ المعتزلة . ومقدم الطائفة ، ومقرر الطريقة والمناظر عليها ، أخذ الاعتزال عن عثمان[٣] ابن خالد الطويل ، عن واصل بن عطاء ، ويقال أخـذ واصل عن أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنيفية ، ويقال أخـذه عن الحسن بن أبى الحسن البصرى . وإنما انفرد عن أصحابه بعشر قواعد .

الأولى : أن البـارى تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته ، قادر بقـدرة ،

(١) عترة الرجل وأسرته وفصيلته رهطة الادنون ، وعترة النبى صلى الله عليه وسلم ولد فاطمة البتول عليها السلام ويراد بالعترة هنا آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) وهذا غلواء منه فان أهل السنة والجماعة يقولون بصحة اسلام الفريقين فى حرب الجمل ، وعلى ، كان على الحق فى قتالهم وأصحاب الجمل كانوا مخطئين فى قتـال على ، ولم يكن خطؤهم كفرا ولا فسقا . يسقط شهادتهم وأجازوا الحكم بشهادة عدلين من كل فرقة من الفريقين

(٣) الظاهر انه عثمان بن خاش البصرى ، وقد ذكر عمرو بن عبيد فى مسألة من الاعتزال فجره عمرو إلى بدعته فهى آفته (لسان الميزان رابع ص ١٣٤)

وقدرته ذاته ، حى بحياة وحياته ذاته [١] ، وإنما اقتبس هذا من الفلاسفة الذين اعتقـدوا أن ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه ، وإنما الصفات ليست وراء الذات معانى قائمة بذاته ، بل هي ذاته ، وترجـع إلى السلوب [٢] ، واللوازم [٣] كما سيأتى ، والفرق بين قول القـائل عالم لذاته لا بعلم ، وبين قول القائل عالم بعلم هو ذاته ، أن الأول نفى الصفة ، والثانى اثبات ذات هو بعينه صفة هى بعينها ذات .

وان أثبت أبو الهذيل هذه الصفات وجودها للذات ، فهى بعينها

---

(١) يرى أبو الهذيل بقوله إلى أن علم البارى هو هو وقدرته هى هو : ولو كان كما قاله لم يكن عالمـا ولا قادرا ، ولكن علمه قدرته وقدرته علمه وكان لا يتحقق الفرق بينهما إذا كانا يرجعان إلي ذات واحدة ، وعقيدتنا أن نعلم ان للبـارى حياة وقدرة وعلما وإرادة وكلاما وسمعا وبصرا فالله يقول انزله بعلمه ، وقد أحاط بكل شىء علما ، وقال ذو القوة المتين وقال فعال لمـا يريد ، وقال وما تشاءون إلا أن يشاء الله ، فهذه آيات على العـلم والقدرة والارادة والمشيئة ، ولا يجوز فيما ذكرناه من صفات القديم سبحانه أن يقال أنها هى هو وإنما هي صفات له موجودة به قائمة بذاته مختصة به ، وأن كل صفة له لم تـكن إلا أزلية قديمة .

(٢) السلوب ج سلب وهو انتزاع النسبة تعريفات ص ٨٢ وفى دستور العلما ثان ص ١٧٨ السلب ما يقابل الايجاب أى انتزاع النسبة .

(٣) اللازم ما يمتنع انفكاكه عن الشىء وهو نوعان لازم الماهية ما يمتنع انفكاكه عن الماهية من حيث هى مع قطع النظر عن العوارض كالضحك بالقوة عن الانسان وكالزوجية للاربعة فانه أينما تحقق ماهية الاربعـة امتنع انفكاك الزوجية عنها ولازم الوجود ما يمتنع انفكاكه عن الماهية مع عارض مخصوص ويمكن انفكاكه عن الماهية من حيث هى هى كالسواد للحبشى

أقانيم[١] النصارى أو أحوال أبى هاشم .

الثانية : أنه أثبت إرادات لا محل لها يكون البارى تعالى مريداً بها ، وهو أول من أحدث هذه المقالة وتابعه عليها المتأخرون .

الثالثة : قال فى كلام البارى تعالى ، أن بعضه لا فى محل وهو قوله كن ، وبعضه فى محـل كالأمر والنهي والخبر والاستخبار ، وكان أمر التكوين عنده غير أمر التكليف[٢] .

الرابعة : قوله فى القدر مثل ما قاله أصحابه إلا أنه قدرى الأولى جبرى الآخرة ، فان مذهبـه فى حركات أهل الخلدين[٣] فى الآخرة أنها كلها ضرورية لا قدرة للعباد عليها ، وكلها مخلوق للبارى تعالى إذ لو كانت مكتسبة للعباد لكانوا مكلفين بها .

الخامسة : قوله إن حركات أهل الخلدين تنقطع ، وأنهم يصيرون إلى سكون دائم خمودا ، وتجتمع اللذات فى ذلك السكون لأهل الجنة

---

(١) الاقانيم الاصول واحدها أقنوم قال الجوهرى وأحسبها رومية ، وعند النصارى الاب ، والابن وروح القدس :

(٢) فهو يزعم أن قول الله سبحانه للشيء كن ، حادث لا في محـل ، وسائر كلامه حادث فى جسم من الأجسام ، وكل كلامه عنده أعراض وهذا خلط ، إذ فرق بين عرضين من جنس واحد ، فى حاجة أحدهما إلى محل واستغناء الآخر عن المحل .

(٣) الخلد دوام البقاء فى دار لا يخرج منها ودار الخلد الآخـرة لبقاء أهلها فيها ، وأهل الخلدين من يخلدون فى الجنة ومن يخلدون فى النار

أو تجتمع الآلام فى ذلك السكون لأهل النار وهذا قريب من مذهب جهم إذ حكم بفناء الجنة والنار[١] ، وإنما التزم أبو الهذيل هذا المذهب ، لأنه لما ألزم فى مسئلة حدوث العالم ، أن الحوادث التى لا أول لها كالحوادث التى لا آخر لها ، إذ كل واحدة لا تتناهى ، قال إنى لا أقول بحركات لا تتناهى أولا ، بل يصيرون إلى سكون دائم ، وكأنه ظن أن ما ألزم فى الحركة لا يلزمه فى السكون

السادسة : قوله فى الاستطاعة أنها عرض من الأعراض غير السلامة ، والصحة ، وفرق بين أفعال القلوب ، وأفعال الجوارح ، فقال لا يصح وجود أفعال القلوب منه ، مع عدم القدرة والاستطاعة معها فى حال الفعل ، وجوز ذلك فى أفعال الجوارح ، وقال بتقدمها فيفعل بها فى الحال الأولى وإن لم يوجد الفعل إلا فى الحالة الثانية ، قال فحال يفعل غير حال فعل ، ثم ما تولد من فعل العبد فهو فعله غير اللون والطعم والرائحة ، وكل ما لا يعرف كيفيته ، وقال فى الادراك والعلم الحادثين فى غيره عند اسماعه وتعليمه أن الله تعالى يبدعهما فيه ، وليسا من أفعال العباد .

السابعة : قوله فى الفكر قبل ورود السمع ، أنه يجب عليه أن يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر ، وان قصر المعرفة استوجب

---

(١) فأبو الهذيل ، يريد بهذا ، القول بفناء مقدورات الله عز وجل حتى لا يكون بعد فناء مقدوراته قادرا على شىء ، وقوله فى ذلك شر من قول جهم بفناء الجنة والنار لان جهما يقول ان الله قادر فى ذلك الوقت على أن يخلق أمثالها .

العقوبة أبداً[١] ، ويعلم أيضا حسن الحسن ، وقبح القبيح ، فيجب عليه الاقدام على الحسن ، كالصدق ، والعدل ، والاعراض عن القبيح ، كالكذب ، والجور ، وقال أيضا بطاعات لا يراد بها الله تعالى[٢] ولا يقصد بها التقرب اليه ، كالقصد إلى النظر الأول (ولا يمكنه قبل النظر) الأول (التعرف به إليه) فانه لم يعرف الله تعالى بعد ، والفعل عبادة ، وقال فى المكره إذا لم يعرف التعريض والتورية فيما أكره عليه ، فله أن يكذب ويكون وزره موضوعا عنه .

الثامنة : قوله فى الآجال والأرزاق أن الرجل إن لم يقتل مات فى ذلك الوقت ، ولا يجوز أن يزاد فى العمر ، أو ينقص ، والأرزاق على وجهين .

---

(١) مذهب أهل السنة والجماعة أنه لا يجب على الخلق شىء إلا بأمر يرد من قبل الله تعالى على لسان رسول مؤيداً بالمعجزة ، إذ لا طريق فى العقل الى معرفة وجوب شىء على الخلق فالله سبحانه يقول و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ، «وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا» وقال «رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» ، فالعقل لا يكون طريقا لمعرفة الوجوب ، غير انه ارتضى الأشاعرة وجوب معرفة الله قبل ورود الشرع .

(٢) رتب ، على ضلالته هذه ، أن ليس فى الأرض دهرى ولا زنديق إلا وهو مطيع لله تعالى فى أشياء كثيرة وإن عصاه من جهة كفره ، وقال أهل السنة ان الطاعة لله عز وجل ممن لا يعرفه إنما تصح فى شىء واحد وهو النظر والاستدلال الواجب عليه قبل وصوله الى معرفة الله تعالى فان يفعل ذلك يكن مطيعا لله تعالى لأنه قد أمره به وإن لم يكن قصد بفعله لذلك النظر الأول التقرب إلى الله عز وجل ولا تصح منه طاعة لله سواها إلا أذا قصد بها التقرب اليه .

أحدهما ما خلق الله تعالى من الأمور المنتفع بها، يجوز أن يقال خلقها رزقا للعباد، فعلى هذا من قال ان أحداً أكل وانتفع بما لم يخلقه الله رزقا، فقد أخطأ، لما فيه أن فى الأجسام ما لم يخلقه الله.

والثانى ما حكم الله به من هذه الأرزاق للعباد، فما أحل منها فهو رزقه، وما حرم فليس رزقا، أى ليس مأمورا بتناوله.

التاسعة حكى الكعبي عنه أنه قال إرادة الله غير المراد، فارادته لما خلق هى خلقه له، وخلقه للشىء عنده غير الشىء، بل الخلق عنده قول لا فى محل، وقال انه تعالى لم يزل سميعا بصيرا بمعنى سيسمع وسيبصر، وكذلك لم يزل غفورا رحيما محسنا خالقا رازقا مثيبا معاقبا مواليا معاديا آمراً ناهيا بمعنى أن ذلك سيكون.

العاشرة: حكي عنه جماعة أنه قال الحجة لا تقوم فيما غاب إلا بخبر عشرين[1] فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر، ولا تخلو الأرض عن جماعة هم أولياء الله معصومين، لا يكذبون ولا يرتكبون الكبائر فهم الحجة لا التواتر، إذ يجوز أن يكذب جماعة ممن لا يحصون عدداً، إذ لم يكونوا أولياء الله، ولم يكن فيهم واحد معصوم، وصحب أبا الهذيل أبو يعقوب الشحام والآدمى وهما على مقالته وكانت سنه مائة سنة توفى فى أول خلافة المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين.

---

(١) استدل على ان العشرين حجة بقوله تعالى: ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وهو لا يريد بهذا إلا تعطيل الاخبار الواردة فى الاحكام الشرعية من فوائدها.

النظاميـــة

أصحاب إبراهيم بن سيار النظام[١] ، وقد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة ، وخلط كلامهم بكلام المعتزلة ، وانفرد عن أصحابه بمسائل .

الأولى منها ، أنه زاد على القول بالقدر خيره وشره منا ، قوله إن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصى ، وليست هى مقدورة للبارى تعالى خلافا لأصحابه فانهم قضوا بأنه قادر عليها لكنه لا يفعلها لأنها قبيحة

ومذهب النظام أن القبح إذا كانت صفة ذاتية للقبيح ، وهو المانع من الاضافة إليه فعلا ، ففى تجويز وقوع القبيح منه قبح أيضا ، فيجب أن يكون مانعا ، ففاعل العدل لا يوصف بالقدرة على الظلم[٢] وزاد أيضا على هذا الاختيار ، فقال إنما يقدر على فعل ما يعلم أن فيه صلاحا لعباده ، ولا يقدر على أن يفعل لعباده فى الدنيا ما ليس فيه صلاحهم ، هذا فى تعلق قدرته بما يتعلق بأمور الدنيا ، وأما أمور الآخرة فقال ، لا يوصف البارى تعالى بالقدرة على أن يزيد فى عذاب أهل النار شيئا ، ولا على أن ينقص منه شيئا ، وكذلك لا ينقص من نعيم أهل الجنة ، ولا أن يخرج أحداً من أهل الجنة ، وليس ذلك مقدورا له ، وقد

---

(١) المعتزله يموهون على الاغمار بدينه ، ويوهمون انه كان نظاما للكلام المنثور والشعر الموزون وإنما كان ينظم الخرز فى سوق البصرة ، فقيل له النظام (الفرق بين الفرق ص ١١٣)

(٢) وقد اكفرته البصرية من المعتزلة فى هذا القول وقالوا ان القادر على العدل

ألزم عليه أن يكون الباري تعالى مطبوعا مجبورا على ما يفعله ، فان القادر على الحقيقة من يتخير بين الفعل والترك ، فأجاب أن الذى ألزمتمونى فى القدرة ، يلزمكم فى الفعل ، فان عندكم يستحيل أن يفعله وإن كان مقدوراً ، فلا فرق ، وإنما أخذ هذه المقالة من قدماء الفلاسفة حيث قضوا ، بأن الجواد لا يجوز أن يدخر شيئا (لا يبذله) ، فما أبدعه وأوجده هو المقدور، ولو كان فى علمه ومقدوره ما هو أحسن وأكمل مما أبدعه نظاما وترتيبا وصلاحا لفعل .

الثانية قوله فى الارادة ان البارى تعالى ليس موصوفا بها على الحقيقة[1] فاذا وصف بها شرعا فى أفعاله ، فالمراد بذلك أنه خالقها ومنشئها على حسب ما علم ، وإذا وصف بكونه مريدا لأفعال العباد ، فالمعنى به أنه آمر بها (وناه عنها) ، وعنه أخذ الكعبي مذهبه فى الارادة .

الثالثة : قوله ان أفعال العباد كلها حركات فحسب ، والسكون حركة اعتماد ، والعلوم والارادات حركات النفس ، ولم يرد بهذه الحركة حركة النقلة ، وإنما الحركة عنده مبدأ تغير ما ، كما قالت الفلاسفة من

= يجب أن يكون قادرا على الظلم والقادر على الصدق يجب أن يكون قادرا على الكذب وإن لم يفعل الظلم والكذب لقبحهما أو غناه عنهما وعلم بغناه عنهما لأن القدرة على الشيء يجب أن تكون قدرة على ضده ، ولزم من قوله أن الله تعالى لا يقدر على الظلم والكذب أنه لا يقدر على الصدق والعدل والقول بهذا كفر فما يؤدي اليه مثله (الفرق بين الفرق ص ١١٦)

(١) معتزلة البصريين وأهل السنة يخالفونه في هذا ، وهم يعتقدون أن الله عز وجل مريد على الحقيقة غير أن أهل السنة قالوا أنه لم يزل مريداً بارادة أزلية ومعتزلة البصرة انه مريد بارادة حادثة لا فى محل وهم وأهل السنة قد أكفروا من نفى ارادة الله عز وجل (الفرق بين الفرق ص ١٦٦)

إثبات حركات، فى الكيف، والكم، والوضع، والاين، والمتى، إلى أحوالها

الرابعة ووافقهم أيضا فى قولهم، ان الانسان فى الحقيقة هو النفس والروح، والبدن آلتها وقالبها[١] (وهذه بعينها مقالة الفلاسفة)، غير أنه تقاصر عن إدراك مذهبهم، فمال إلى قول الطبيعية منهم، أن الروح جسم لطيف مشابك للبدن، مداخل للقالب بأجزائه مداخلة المائية فى الورد، والدهنية فى السمسم، والسمنية في اللبن، وقال إن الروح هي التى لها قوة، واستطاعة، وحياة، ومشيئة، وهى مستطيعة بنفسها، والاستطاعة قبل الفعل.

الخامسة: حكى الكعبي عنه أنه قال، إن كل ما جاوز محل القدرة من الفعل، فهو من فعل الله تعالى بايجاب الخليقة، أى أن الله تعالى طبع الحجر طبعا، وخلقه خلقة، إذا دفعته اندفع، وإذا بلغ قوة الدفع مبلغها عاد الحجر إلى مكانه طبعا، وله فى الجواهر وأحكامها خبط مذهب، يخالف المتكلمين والفلاسفة.

السادسة: وافق الفلاسفة فى نفى الجزء الذى لا يتجزأ[٢] وأحدث

(١) يقتضى قوله، أن الانسان لا يرى على الحقيقة وانما يرى الجسد الذى فيه الانسان، فلزم أن لا يكون أحد رأى أباه وامه وانما رأى قالبيهما ولزم أن يكون الجماد والحيوان، والملائكة والجن ليس هو حينئذ واحدا من أولئك وانما هو روح فى جسده وهو الحياة المشابكة للجسد، فيوجب أن لا يرى واحد وانما المرئى قالبه وهذا خلط وخبط.

(٢) فهو يقول بانقسام كل جزء لا الى نهاية وفى ضمن قوله، إحالة كون الله تعالى محيطا بآخر العالم عالما بها، والله تعالى يقول، وأحصى كل شىء عددا، والى ما يلزم على هذا القول من قدم العالم، وهذا مستحيل، لا يقبله =

القول بالطفرة لما ألزم مشى نملة على صخرة من طرف إلى طرف ، انها قطعت ما لا يتناهى ، وكيف يقطع ما يتناهي ما لا يتناهى ، قال يقطع بعضها بالمشى وبعضها بالطفرة[1] وشبه ذلك بحبل شد على خشبة معترضة وسط البئر طوله خمسون ذراعا وعليه دلو معلق وحبل طوله خمسون ذراعا علق عليه معلاق[2] فيجر به الحبل المتوسط فان الدلو يصل إلى رأس البئر وقد قطع مائة ذراع بحبل طوله خمسون ذراعا فى زمان واحد وليس ذلك إلا ان بعض القطع بالطفرة ولم يعلم ان الطفرة قطع مسافة أيضا موازية لمسافته فالالزام لا يندفع عنه وإنما الفرق بين المشى والطفرة يرجع إلى سرعة الزمان وبطئه .

السابعة قال ان الجوهر مؤلف من أعراض اجتمعت ووافق هشام بن الحكم فى قوله ان الألوان والطعوم والروائح أجسام ، فتارة يقضى بكون الأجسام أعراضا ، وتارة يقضى بكون الأعراض أجساما .

الثامنة من مذهبه ان الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على

= العقل ، وكلمه أبو الهذيل فى أن أجزاء الجزء لا تتناهى ، فقال لو كان كل جزء من الجسم لا نهاية له لكانت النملة إذا دبت على البقلة لا تنتهى إلى طرفها فقال انها تطفر بعضا ، وتقطع بعضا ، وهذا منه كلام لا تقبله عقول العقلاء لأن ما لا يتناهى كيف يمكن قطعه بالظفرة فصار قوله مثلا سائرا يضرب لكل من تكلم بكلام لا تحقيق له ولا يتقرر فى العقل معناه (الفرق بين الفرق ص ١٢٣ — التبصير ص ٤٣)

(١) الطفرة فى اللغة الوثبة ، والمراد هنا انتقال جسم من أجزاء المسافة إلى أجزاء أخرى منها من غير أن يحاذى ما بينهما من أجزائها ، والنظام ممن قال بالطفرة

(٢) المعلاق : ويقال له معلوق وهو ما يعلق عليه الشىء

ماهى عليها الآن معادن ونباتاً وحيواناً وإنساناً ولم يتقدم خلق آدم عليه السلام (على) خلق أولاده ، غير ان الله تعالى أكمن بعضها فى بعض ، فالتقدم والتأخر إنما يقع فى ظهورها من مكانها دون حدوثها ووجودها[1]، وإنما أخذ هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة .

وأكثر ميله أبداً إلى تقرير مذاهب الطبيعيين منهم دون الالهيين .

التاسعة قوله فى إعجاز القرآن انه من حيث الاخبار عن الأمور الماضية والآتية ومن جهة صرف الدواعى عن المعارضة ومنع العرب عن الاهتمام به جبراً وتعجيزاً حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظما[2]

العاشرة قوله فى الاجماع انه ليس بحجة فى الشرع وكذلك القياس فى الأحكام الشرعية لا يجوز أن يكون حجة وإنما الحجة فى قول الامام المعصوم[3]

---

(١) هذا ، يخالف ما أجمع عليه سلف الأمة ، مع أهل الكتاب ، من أن الله تعالى خلق اللوح والقلم قبل خلق السموات والأرض وإنما يذهب بهذا الى انكار حدوث الأجساد والأعراض بدعواه وجود جميعها فى كل حال على شريطة كمون بعضها وظهور بعضها من غير حدوث شيء منها فى حال الظهور وهذا الحاد وكفر

(٢) هذا عناد منه لقوله تعالى . لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، وما غرضه إلا انكار نبوة من تحدى العرب بأن يعارضوه بمثله .

(٣) دفعه لحجة الاجماع ، والقياس يريد به ابطال أحكام فروع الشريعة لابطاله طرقها .

الحادية عشر ميله إلى الرفض ووقيعتــه فى كبار الصحابة[1] قال أولا لاأمامة إلا بالنص والتعيين ظاهراً مكشوفا . وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم على على كرم الله وجههُ فى مواضع وأظهره اظهاراً لم يشتبه على الجماعة إلا أن عمر كتم ذلك ، وهو الذى تولى بيعة أبى بكر يوم السقيفة ، ونسبه إلى الشك يوم الحديبية فى سؤاله عن الرسول عليـه السلام حين قال ألسنا على الحق أليسو على الباطل قال نعم قال عمر فلم نعطى الدنية فى ديننا[2] قال هذا شك فى الدين ووجدان خرج فى النفس مما قضى وحكم وزاد فى الفرية فقال ان عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتى ألقت المحسن من بطنها وكان يصيح أحرقوا الدار بمن فيها ، وما كان فى الدار غير على وفاطمة والحسن والحسين ، وقال

---

(١) ما وقيعته فيهم إلا لتوحيدهم وايثارهم دينهم على هواهم وما مثله فى طعنه مع ضلالته إلا كما قال حسان بن ثابت .

ما أبالى أنب بالحزن تيس   أم لحانى بظهر غيب لئيم

وكما قال الفرزدق

ما ضر تغلب وائل أهجوتها   أم بلت حيث تناطح البحران

وكما قال العربى : هل يضر السحاب نبح الكلاب

(٢) وعاد عمر إلى رسول الله صلعم فقال يارسول الله ألست برسول الله قال بلى قال ألسنا على الحق قال بلى قال أليس عدونا على الباطل قال بلى قال فلم نعطي الدنية فى ديننا فقال انى رسول الله ولن أعصيه ولن يضيعنى فانطلق الى أبي بكر فقال له مثل ذلك فأجابه بنحو ما أجاب رسول الله ثم قال ودع عنك ما ترى ياعمر . فكان عمر يقول :

ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذى صنعت يومئذ مخافة كلامى الذى تكلمت به حين رجوت أن يكون خيرا (امتاع الاسماع ص ٢٩٥ — وابن هشام ثالث ص ٣٦٦)

تغريبه نصر بن الحجاج من المدينـة إلى البصرة ، وإبداعه التراويح ، ونهيهم عن متعة الحج ، ومصادرته العمال ، كل ذلك احداث.[١]

ثم وقع فى عثمان وذكر أحداثه . من رده الحكم بن أميـــة إلى المدينة وهو طريد رسول الله ، ونفيه أبا ذر وهو صديق رسول الله ، وتقليده الوليد بن عقبة الكوفة وهو من أفسد الناس ، ومعاوية الشام وعبد الله بن عامر البصرة ، وتزويجه مروان بن الحكم بنته وهم أفسدوا عليه أمره ، وضربه عبد الله بن مسعود على إحضار المصحف وعلى القول الذى شافهه به كل ذلك احداثه ، ثم زاد على خزيه ذلك بأن عاب عليا[٢] وعبد الله[٣] بن مسعود لقولهما أقول فيها برأيى ، وكذب ابن مسعود فى روايته[٤] (السعيد من سعد فى بطن أمه والشقى من شقى فى بطن أمه) وفى روايته انشقاق القمر[٥] ، وفى تشبيهه الجن بالبط ، وقد أنكر

---

(١) فى الجزء الثالث من شرح ابن أبى الحديد من ص ١٤٧ الى ص ١٨١ ردود قيمة على ما طعن به على عمر وتزييف تلك الطعون

(٢) فقد زعم ان عليا سئل عن بقرة قتلت حمارا فقال أقول فيها برأيى ثم قال بجهله من هو حتى يقضى برأيه (الفرق بين الفرق ص ١٣٤)

(٣) وعاب ابن مسعود فى قوله فى حديث بروع بنت واشق الرواسية الكلابية أقول فيها برأيى فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ، (مختصر الفرق ص ١٥٧ — الاصابه سابع ص ٢٩)

(٤) فى رواية عن النبى ﷺ وانما أنكر على ابن مسعود روايته لأن هذا خلاف قول القدرية فى دعواها أن السعادة والشقاء ليستا من قضاء الله عز وجل وقدره

(٥) وانما أنكر انشقاق القمر مع ذكر الله تعالى فى كتابه « اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ، امعانا =

(رؤية) الجن رأساً[1] إلى غير ذلك من الوقيعة الفاحشة فى الصحابة رضى الله عنهم أجمعين .

الثانية عشر قوله فى التفكر قبل ورود السمع إنه إذا كان عاقلا متمكناً من النظر يجب عليه تحصيل معرفة البارى تعالى بالنظر والاستدلال وقال بتحسين العقل وتقبيحه فى جميع ما يتصرف فيه من أفعاله ، وقال لا بد من خاطرين أحدهما يأمر بالاقدام والآخر بالكف ليصح الاختيار .

الثالثة عشر تكلم فى مسائل الوعد والوعيد ، وزعم ان من خان فى مائة وتسعة وتسعين درهما بالسرقة أو الظلم لم يفسق بذلك ، حتى تبلغ خيانته نصاب الزكاة وهو مائتا درهم فصاعدا ، فحينئذ يفسق ، وكذلك فى سائر نصب الزكاة[2] .

= فى الالحاد وهو شر من المشركين اذ أنهم لما رأوا انشقاقه زعموا أن ذلك واقع بسحر ، ومنكر المعجزة شر ممن تأولها

(١) أن انكاره رؤية الجن أصلا ، يلزمه أن لا يرى بعض الجن بعضا وأن أجاز رؤيتهم ، فليس ثمت ما يدعو الى تكذيب ابن مسعود فى دعواه رؤيتهم : اللهم الا امعانه فى ضلاله وكفره :

(١) ما رأى أحد رأيه بل قال قوم فى نصاب القطع انه ربع دينار أو قيمته وبه قال الشافعى وأصحابه وقال مالك بربع دينار أو ثلاثة دراهم وقال أبو حنيفة فى عشرة دراهم فصاعدا واعتبره قوم بأربعين درهما أو قيمتها وأوجب الاباضية القطع فى قليل السرقة وكثيرها ولو كان التفسيق بنصاب القطع لما فسق من يغصب الألوف من الدنانير اذ لاقطع عليه كما لا يفسق من سرق الألوف من غير حرز أو من الابن اذ لا قطع فيهما

وقال فى المعاد ان الفضل على الأطفال كالفضل على البهائم[1] ووافقه الأسوارى[2] فى جميع ما ذهب اليه . وزاد عليه بأن قال ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة على ما علم انه لا يفعله ولا على ما أخبر أنه لا يفعله[3] مع أن الانسان قادر على ذلك لأن قدرة العبد صالحة للضدين ومن المعلوم ان أحد الضدين واقع وفى المعلوم انه سيوجد دون الثانى والخطاب لا ينقطع عن أبى لهب وان أخبر الرب تعالى بأنه سيصلى ناراً ذات لهب ، ووافقه أبو جعفر الاسكافى وأصحابه من المعتزلة وزاد عليه بأن قال ان الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء . وإنما يوصف بالقدرة على ظلم الأطفال والمجانين . وكذلك الجعفران جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب وافقاه ، وما زادا عليه إلا ان جعفر بن مبشر قال فى فساق الأمة من هو شر من الزنادقة والمجوس[4] وزعم ان اجماع

---

(١) فلقد زعم أن ليس لأطفال المؤمنين تفضيل بدرجة أو نعمة . على الحيات والعقارب ، بل لقد اشتط فزعم انه لا يفضل على الأنبياء عليهم السلام الا بمثل ما يفضل به على البهائم ، كافأه الله وحشره مع الكلاب والخنازير والحيات والعقارب

(٢) عمرو بن فايد الأسوارى يكنى أبا على ، كان يذهب الى القدر والاعتزال ولا يقيم الحديث ، وكان منقطعا الى محمد بن سليمان أمير البصرة وأخذ عن عمرو ابن عبيد وله معه مناظرات ومات بعد المائتين سنة (لسان الميزان رابع ص ٣٧٢)

(٣) فهو يذهب الى أن ما علم الله تعالى أن لا يكون لم يكن مقدورا لله تعالى فقوله هذا يوجب أن تكون قدرة الله متناهية ومن كانت قدرته متناهية فذاته متناهية ، والقول بهذا كفر .

(٤) زعمة هذا . يجعل الموحد الذى ليس بكافر شرا من الثنوى الكافر .

الصحابة على حد شارب الخمر كان خطأ ، إذ المعتبر فى الحدود النص والتوقيف[١] وزعم ان سارق الحبة الواحدة فاسق منخلع من الايمان[٢] وكان محمد بن شبيب ، وأبو شمر ، وموسى بن عمران من أصحاب النظام إلا أنهم خالفوه فى الوعيد وفى المنزلة بين المنزلتين ، وقالوا صاحب الكبيرة لا يخرج من الايمان بمجرد ارتكاب الكبيرة ، وكان ابن مبشر يقول فى الوعيد ان استحقاق العقاب والخلود فى النار بالكفر يعرف قبل ورود السمع ، وسائر أصحابه يقولون التخليد لا يعرف إلا بالسمع ، ومن أصحاب النظام الفضل الحدثى ، وأحمد بن خابط قال ابن الراوندي[٣] انهما كانا يزعمان ان للخلق خالقين ، أحدهما قديم وهو

(١) شارك ببدعته هذه نجدات الخوارج فى انكارها حد الخمر وقد أجمع فقهاء الأمة على تكفير من أنكر حسه الخمر النيء وانما اختلفوا فى حد شارب النبيذ اذا لم يسكر منه ، فان سكر فعليه الحد عند فريق الرأى والحديث .

(٢) أنه يخالف بذلك أسلافه الذين قالوا بغفران الصغائر عند اجتناب الكبائر .

(٣) أحمد بن يحي ابن الراوندى الملحد ، كان يلازم الرافضة والزنادقة قال ابن الجوزى كنت أسمع عنه بالعظائم حتى رأيت فى كتبه مالم يخطر على قلب عاقل ، (شذرات ثان ص ٢٣٥) ويقول ابن خلكان ، أبو الحسين أحمد بن يحي بن اسحاق الراوندى العالم المشهور له مقالة فى علم الكلام وكان من الفضلاء فى عصره وله فى الكتب المصنفة نحو مائة وأربعة عشر وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام وقد انفرد بمذاهب نقلها عنه أهل الكلام توفى سنة خمس وأربعين ومائتين (ابن خلكان أول ص ٣٣)

البارى تعالى ، والثانى محدث ، وهو المسيح عليه السلام لقوله تعالى : إذ تخلق من الطين كهيئة الطير[١] وكذبه الكعبي فى رواية الحدثى خاصة لحسن اعتقاده فيه .

الخابطيـــة

الخابطية أصحاب أحمد بن خابط ، وكذلك الحدثية أصحاب فضل ابن الحدثى كانا من أصحاب النظام ، وطالما كتب الفلاسفة أيضا ، وضما إلى مذهب النظام ثلاث بدع .

الأولى اثبات حكم من أحكام الالهية فى المسيح عليـه السلام موافقة للنصارى على اعتقادهم ، ان المسيح عليه السلام هو الذى يحاسب الخلق فى الآخرة ، وهو المراد بقوله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) وهو الذى أتى فى ظلل من الغمام[٤] وهو المعنى بقوله تعالى (ويأتى ربك) وهو المراد بقول النبي عليه السلام (ان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن) وقوله (يضع الجبار قدمه فى النار) ، وزعم أحمد بن خابط أن المسيح تدرع بالجسد الجسمانى ، وهو الكلمة القديمة المتجسدة كما قالت النصارى .

---

(١) وكان ابن خابط يقول أن عيسى بن مريم ابن الله لا على معنى الولادة ولكن على معنى انه تبناه

(١) فى قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر والى الله ترجع الأمور »

الثانية القول بالتناسخ [1] زعما أن الله تعالى أبدع خلقه أصحاء سالمين ، عقلاء بالغين ، فى دار سوى هذه الدار التى هم فيها اليوم ، وخلق فيهم معرفته والعلم به ، وأسبغ عليهم نعمه ، ولا يجوز أن يكون أول ما يخلقه إلا عاقلا ناظراً معتبراً ، فابتدأهم بتكليف شكره ، فأطاعه بعضهم فى جميع ما أمرهم به ، وعصاه بعضهم فى جميع ذلك ، وأطاعه بعضهم فى البعض ، دون البعض ، فمن أطاعه فى الكل أقره فى دار النعيم التى ابتدأهم فيها ، ومن عصاه فى الكل أخرجه من تلك الدار إلى دار العذاب وهى النار ، ومن أطاعه فى البعض وعصاه فى البعض أخرجه إلى دار الدنيا ، فألبسه هذه الأجسام الكثيفة ، وابتلاه بالبأساء والضراء ، والشدة والرخاء ، والآلام ، واللذات ، على صور مختلفة ، من صور الناس ، وسائر الحيوانات ، على قدر ذنوبهم ، فمن كانت معاصيه أقل ، وطاعته أكثر ، كانت صورته أحسن ، وآلامه أقل ، ومن كانت ذنوبه أكثر ، كانت صورته أقبح ، وآلامه أكثر ، ثم لا يزال يكون الحيوان فى الدنيا كرة بعد كرة ، وصورة بعد أخرى ، ما دامت معه ذنوبه ، وطاعاته ، وهذا عين القول بالتناسخ ، وكان فى

---

(١) قال بالتناسخ قوم من الفلاسفة قبل الاسلام وكان سقراط من جملتهم ، وفى الاسلام فريق من القدرية وفريق من غلاة الروافض وما نى الثنوى ، اذ ذكر أن أرواح الصديقين اذا خرجت من أبدانهم انصلت بعمود الصبح الى أن تبلغ النور الذى فوق الفلك . ويكونون فى السرور دائما ، اما ارواح اهل الضلال فانها تتناسخ فى اجسام الحيوان من حيوان الى آخر حتى تصفو فتصل الى النور الذى فوق الفلك (التبصير ص ٨٠).

زمانهما شيخ المعتزلة أحمد[1] بن أيوب بن مانوس وهو أيضاً من تلامذة النظام ، قال مثل ما قال أحمد بن خابط فى التناسخ ، وخلق البرية دفعة واحـــدة ، إلا أنه قال متى صارت النوبة إلى البهيمية ، ارتفعت التكاليف ، ومتى صارت النوبة إلى رتبة النبوة والملك ارتفعت التكاليف أيضاً ، وصارت النوبتان عالم الجزاء .

ومن مذهبهما أن الديار خمس ، داران للثواب .

إحداهما فيها أكل وشرب وبعال[2] وجنات وأنهار .

والثانية دارفوق هذه الدار ليس فيها أكل ولا شرب ولا بعال بل ملاذ روحانية ، وروح وريحان ، غير جسمانية .

والثالثة دار العقاب المحض وهى نار جهنم ليس فيها ترتب بل هى على نمط التساوى .

والرابعة دار الابتداء وهي التى خلق الخلق فيها قبل أن تهبط إلى الدنيا وهى الجنة الأولى .

والخامسة دار الابتلاء ، وهى التى كلف الخلق فيها بعد أن اجترحوا فى الأولى .

وهذا التكوين والتكرير لا يزال فى الدنيا حتى يملأ المكيالان ،

---

(١) فى الفرق بين الفرق ، أنه احمد بن أيوب بن بانوش ، وفى التبصير أنه احمد بن بانوش وكان تلميذا بن خابط وهو ارجانى ، ليس بمرضى عنه (الفرق ص ٢٥٥ — التبصير ٨٠ — لسان الميزان أول ص ١٣٩)

(٢) البعال : الجماع وملاعبة الرجل أهله كالتباعل والمباعلة .

مكيال الخير ، ومكيال الشر ، فاذا امتلأ مكيال الخير ، صار العمل كله طاعة ، والمطيع خيراً خالصاً ، فينقل إلى الجنة ، ولم يلبث طرفة عين ، فان مطل الغنى ظلم ، وفى الخبر (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) وإذا امتلأ مكيال الشر صار العمل كله معصية ، والعاصى شراً محضا ، فينقل إلى النار ، ولم يلبث طرفة عين ، وذلك قوله تعالى (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) .

البدعة الثالثة حملهما كل ما ورد فى الخبر من رؤية البارى تعالى مثل قوله عليه السلام (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته) على رؤية العقل الأول ، الذى هو أول مبدع وهو العقل الفعال ، الذى منه تفيض الصور على الموجودات ، وإياه عنى النبى عليه السلام (أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر ، فأدبر فقال وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أحسن منك بك أعز وبك أذل وبك أعطى وبك أمنع) فهو الذى يظهر يوم القيامة ، وترتفع الحجب بينه وبين الصور التى فاضت منه ، فيرونه كمثل القمر ليلة البدر ، فأما واهب العقل فلا يرى البتة ، ولا يشبه إلا مبدع بمبدع .

وقال ابن خابط ، إن كل نوع من أنواع الحيوانات أمة على حيالها لقوله تعالى (ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) ، وفى كل أمة رسول من نوعه لقوله تعالى (وان من أمة إلا خلا فيها نذير) ولهما

طريقة أخرى فى التناسخ ، وكأنهما مزجا كلام التناسخية والفلاسفة والمعتزلة بعضها[1] ببعض .

البشرية

أصحاب بشر بن المعتمر كان من أفضل علماء المعتزلة ، وهو الذى أحدث القول بالتولد[2] وأفرط فيه ، وانفرد عن أصحابه بمسائل ست

الأولى : منها أنه زعم أن اللون والطعم والرائحة والادراكات كلها من السمع والرؤية يجوز أن تحصل متولدة من فعل الغير ، فى

(١) قالا : إن الله خلق الخلق فى أبدان صحيحة وعقول تامة في دار ليست دار الدنيا ، وخلق لهم معرفته وأتم عليهم نعمته وأمرهم بشكره ، والانسان ، هو الروح ، لا قالبه المشاهد ، والروح عالم قادر ، والحيوان كله جنس واحد وجميعها فى محل التكليف فمن أطاعه ، أقره ومن عصاه ، أخرجه إلى النار ومن عصاه ، فى البعض وأطاعه فى البعض بعثه إلى دار الدنيا وألبسه هذه القوالب ، وابتلاه تارة بالشدة وتارة بالراحة وتارة بالألم وتارة باللذة ، وجعل قوما في صورة الناس وقوما فى صورة الطيور ، وقوما فى صورة السباع ، وقوما فى صورة الدواب ، وقوما فى صورة الحشرات ، ودرجاتهم على قدر معاصيهم ، فمن كانت معصيته أقل فصورته فى الدنا أحسن ، أو أكثر فقالب روحه أقبح ، والروح لا يزال فى دنياه ينتقل من قالب إلى قالب ، على قدر طاعته أو معصيته ، من قوالب الناس والدواب حتى تتمحض طاعاته فينتقل إلى دار النعيم ، أو معاصيه فالى دار الجحيم . (الفرق بين الفرق ٢٥٦ — ٢٥٧ ، التبصير ٨٠ و ٨١)

(٢) ماذهب اليه بشر من التولد مخالف لاجماع المسلمين لأن أهل السنة لايقولون بالتولد أصلا فالحوادث كلها لا بد لها من محدث صانع ، أما المعتزله فيقولون به لا يفرطون إذ لا يقولون بالتولد إلا فى الحركات والاعتمادات بدعته زائدة علي بدعهم .

الغير ، إذا كانت أسبابها من فعله ، وإنما أخذ هـذا من الطبعيين ، إلا أنهم لا يفرقون بين المتولد والمباشر بالقدرة ، وربما لا يثبتون القدرة على منهاج المتكلمين ، وقوة الفعل وقوة الانفعال غير القدرة التى يثبتها المتـكلم .

الثانية : قوله ان الاستطاعة هى سلامة البنية ، وصحة الجوارح وتخليتها من الآفات ، وقال لا أقول يفعل بها فى الحالة الأولى ، ولا فى الحالة الثانية ، لـكنى أقول الانسان يفعل ، والفعل لا يكون إلا فى الثانية

الثالثة : قوله ان الله تعالى قادر على تعذيب الطفل ولو فعل كان ظالما إياه ، إلا أنه لا يستحسن أن يقال فى حقـه ، بل يقال لو فعل ذلك كان الطفل بالغا عاقلا عاصيا بمعصية ارتـكبها مستحقا للعقاب ، وهذا كلام متناقض(١) .

الرابعة : حـكى الكعبى عنه أنه قال ، إرادة الله تعالى فعل من أفعاله وهى على وجهين ، صفة ذات ، وصفة فعل ، فأما صفة الذات فهو جل وعز لم يزل مريدا لجميع أفعاله ، ولجميع طاعات عباده ، وأنه حكيم ، ولا يجوز أن يعلم الحـكيم صلاحا وخيرا لا يريده ، وأما صفة الفعل فان أراد بها فعل نفسه فى حال إحـداثه فهى خلق له ، وهى قبل الخلق لأن ما به يكون الشيء لا يجوز أن يكون معه ، وإن أراد بها فعل عباده

(١) إلى أن أصحابنا يقولون أن الله تعالى قادر على تعذيب لطفل ولو فعل ذلك كان عدلا منه .

فهو الآمر[١] به .

الخامسة : قال ان عند الله تعالى لطفا لو أتى به ، لآمن جميع من فى الأرض إيمانا يستحقون عليه الثواب استحقاقهم لو آمنوا من غير وجوده ، وأكثر منه ، وليس على الله تعالى أن يفعل ذلك بعباده ، ولا يجب عليه رعاية الأصلح ، لأنه لا غاية لما يقدر عليه من الصلاح ، فما من أصلح إلا وفوقه أصلح ، وإنما عليه أن يمكن العبد بالقدرة والاستطاعة ، ويزيح العلل بالدعوة والرسالة ، والمفكر قبل ورود السمع يعلم البارى تعالى بالنظر والاستدلال ، وإذا كان مختاراً فى فعله فيستغنى عن الخاطرين ، فان الخاطرين لا يكونان من قبل الله تعالى ، وإنما هما من قبل الشيطان ، والمفكر الأول لم يتقدمه شيطان يخطر الشك بباله ولو تقدم فالكلام فى الشيطان كالكلام فيه .

السادسة : قال من تاب عن كبيرة ، ثم راجعها عاد استحقاقه العقوبة الأولى ، فانه قبل توبته بشرط أن لا يعود[٢].

---

(١) يذهب فى زعمه أن ليست لله تعالى إرادة على الحقيقة ، فاذا قيل أن الله عز وجل أراد شيئا من فعله فمعناه أنه فعله وإذا قيل إنه أراد من غيره فعلا فمعناه أنه أمره به وزعم أن وصفه بالارادة فى الوجهين جميعا مجاز كما أن وصف الجدار فى قول الله تعالى : (جدارا يريد أن ينقض) مجاز وقد أكفره البصريون مع أصحابنا فى نفيه إرادة الله عز وجل ، ويقيننا أن الله عز وجل مريد على الحقيقة ، وأنه لم يزل مريدا بارادة أزلية.

(٢) هذا منه قول بخلاف اجماع المسلمين لأن المعتزلة وان قالوا بمنزلة بين المنزلتين وان الفاسق يخلد فى النار فانهم لا يقولون أنه يعاقب في النار على ما تاب منه من الذنوب والأفعال (التبصير ص ٤٦)

المعمرية

أصحاب معمر بن عباد السلمى وهو أعظم القدرية فى تدقيق القول بنفى الصفات ، ونفى القدر خيره وشره من الله ، والتكفير والتضليل على ذلك ، وانفرد عن أصحابه بمسائل .

منها أنه قال أن الله تعالى لم يخلق شيئا غير الأجسام[1] فأما الأعراض فانها من اختراعات الأجسام ، اما طبعا كالنار التى تحدث الاحراق ، والشمس الذى تحدث الحرارة والقمر الذى يحدث التلوين وأما اختياراً كالحيوان ، يحدث الحركة ، والسكون ، والاجتماع ، والافتراق ومن العجب أن حدوث الجسم وفناءه عنده عرض ، فكيف يقول أنهما من فعل الأجسام ، وإذا لم يحدث البارى تعالى عرضا ، فلم يحدث الجسم وفناءه ، فان الحدوث عرض ، فيلزمه أن لا يكون لله تعالى فعل أصلا ، ثم ألزم أن كلام البارى تعالى اما عرض أو جسم ، فان قال هو عرض ، فقد أحدثه البارى ، فان المتكلم على أصله من فعل الكلام أو يلزمه أن لا يكون لله تعالى كلام هو عرض ، وإن قال هو جسم فقد أبطل قوله أنه أحدثه فى محل ، فان الجسم لا يقوم بالجسم ، فاذا لم يقل هو باثبات الصفات الأزلية ، ولا قال بخلق الأعراض فلا يكون

---

(١) هذا خلاف قوله تعالى (قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار . وخلاف قوله تعالى فى صفة نفسه (له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شىء قدير) .

لله تعالى كلام يتكلم به على مقتضى مذهبه ، وإذا لم يكن له كلام لم يكن آمراً ناهيا ، وإذا لم يكن أمر ونهى ، لم تكن شريعة أصلا ، فأدى مذهبه إلى خزى[1] عظيم .

ومنها أنه قال الأعراض لا تتناهى[2] فى كل نوع ، وقال كل عرض قام بمحل فانما يقوم به لمعنى أوجب القيام ، وذلك يؤدى إلى التسلسل[3] ، وعن هـذه المسئلة سمى هو وأصحابه أصحاب المعانى وزاد على ذلك فقال الحركة إنما خالفت السكون بمعنى أوجب المخالفة لا بذاتها ، وكذلك مغايرة المثل ومماثلته وتضاد الضـد ، كل ذلك عنده لمعنى .

ومنها ما حكى الكعبى عنه ، أن الارادة من الله تعالى للشيء غير الله ، وغير خلقه للشيء ، وغـير الأمر ، والأخبار ، والحكم فأشار إلى أمر مجهول لا يعرف ، وقال ليس للانسان فعل سوى الارادة

---

(١) فاذا لم يكن كلام لم يكن له أمر ونهى وتكليف ، وهذا يؤدى إلى رفع التكليف وإلى رفع أحكام الشريعة وما أراد غيره لأنه قال بما يؤدى اليه

(٢) قوله بحدوث أعراض لانهاية لها يؤديه إلى القول بأنه اقدر من الله لأن الله عنده أنه ماخلق غير الأجسام وهى محصورة عندنا وعنده ، والجسم إذا فعل عرضا فقد فعل معه ما لا نهاية له من الأعراض ومن خلق ما لا نهاية له ينبغى أن يكون أقدر مما لا يخلق إلا متناهيا فى العدد (الفرق بين الفرق ص ١٣٨)

(٣) بله ، ما فى هذا من الحاد من وجهين ، أحدهما قوله بحوادث لانهاية لها ، وهذا يوجب وجود حوادث لا يحصيها الله تعالى وذلك عناد لقوله : وأحصى كل شيء عددا : والثانى انه يؤدى الى القول بأن الانسان أقدر من الله تعالى

مباشرة كانت أو توليــدا ، وأفعاله التكليفية من القيام والقعود والحركة والسكون فى الخير والشر كلها مستندة إلى إرادته ، لا على طريق المباشرة ، ولا على التوليد وهذا عجب ، غير أنه إنما بناه على مذهبه فى حقيقة الإنسان ، وعنده الإنسان معنى أو جوهر غير الجسد وهو عالم قادر مختار حكيم ليس بمتحرك ولا ساكن ولا متلون ولا متمكن ولا يرى ولا يلمس ولا يحس ولا يحل موضعا دون موضع ولا يحويه مكان ، ولا يحصره زمان[1] ، لكنه مدبر للجسد ، وعلاقته مع الجسد علاقة التدبير والتصرف ، وإنما أخذ هذا القول من الفلاسفة حيث قضوا باثبات النفس الانسانى أمراما هو جوهر قائم بنفسه ولا متحيز ولا متمكن ، وأثبتوا من جنس ذلك موجودات عقلية ، مثل العقول المفارقة ، ثم لما كان ميل معمر بن عباد إلى مذهب الفلاسفة ميز بين أفعال النفس التى سماها إنسانا ، وبين القالب الذى هو جسده فقال فعل النفس والارادة فحسب ، والنفس إنسان ، ففعل الانسان هو الإرادة ، وما سوى ذلك من الحركات والسكنات والاعتمادات فهى من فعل الجسد .

---

(١) وصف الانسان بما يوصف به الاله سبحانه لأنه وصفه بأنه عالم قادر مختار حكيم وهذه الأوصاف واجبة لله تعالى ، ثم نزه الانسان عن ان يكون متحركا او ساكنا او متلونا إلى آخره والله سبحانه منزه عن هذه الأوصاف فقوله ، يؤدى إلى عبادة الانسان لوصفه إياه ، بما يوصف به الاله ، بله أن قوله ان الانسان معنى او جوهر غير الجسد ، عالم قادر يلزم عليه أن لا ان يكون فى الدنيا من رأى انسانا قط ، ومن هذه مقالته فلا يعد من جملة العقلاء إلى مافيه من كفر وإلحاد

ومنها أنه يحكى عنه أنه كان ينكر القول بان الله تعالى قديم، لأن القديم أخذ من قدم يقدم فهو قديم ، وهو فعل كقولك أخـذ منه ما قدم وماحدث ، وقال أيضاهو يشعر بالتقادم الزمانى ، ووجود البارى تعالى ليس بزمانى .

ويحكى عنه أنه قال ، الخالق غير المخلوق والأحداث غير المحدث .

وحكى جعفر بن حرب عنه ، أنه قال إن الله تعالى محـال أن يعلم نفسه ، لأنه يؤدى إلى أن يكون العالم والمعلوم واحدا ، ومحـال أن يعلم غيره ، كما يقال محال أن يقدر على الموجودات من حيث هو موجود ، ولعل هذا النقل فيه خلل ، فان عاقلا ما لا يتكلم بمثل هذا الكلام غير المعقول [1]، ولعمرى لما كان الرجل يميل إلى الفلاسفة ، ومن مذهبهم انه ليس علم البارى تعالى علما انفعاليا ، أى تبعا المعلوم ، بل علمه علم فعلى فهو من حيث هو فاعل عالم، وعلمه هو الذى أوجب الفعل ،وإنما يتعلق بالوجود حال حدوثه لا محالة ولا يجوز تعلقه بالمعدوم على اسـتمرار عدمه وأنه علم وعقل ، وكونه عقلا وعاقلا ومعقولا شىء واحد، فقال ابن عباد لا يقال يعلم نفسه لأنه يؤدي الى تمايز بين العالم والمعلوم ولا يعلم غيره لأنه يؤدى إلى أن يكون علمه من غيره تحصل ، فاما ان لا يصح النقل ،وإما أن يحمل على مثل هذا المحمل ،ولسنا من رجال ابن عباد فنطلب لـكلامه وجها

(١) يدفعه ، ان يذكر الذاكر نفسه ، ومتى جاز ان يذكر الذاكر نفسه جاز ان يعلم العالم نفسه

المـــــردارية

المردارية أصحاب عيسى بن صبيح ، المكنى بأبي موسى الملقب بالمردار وقد تلمذ لبشر بن المعتمر وأخذ العلم منه ، وتزهد ، ويسمى راهب المعتزلة وإنما انفرد عن أصحابه بمسائل

الأولى منها ، قوله فى القدر ان الله تعالى يقدر على أن يكذب ويظلم ولو كذب وظلم ، كان آلها كاذبا ظالما تعالى ، (الله) — عن قوله[١]

الثانية قوله فى التولد مثل قول أستاذه وزاد عليه بأن جوز وقوع فعل واحد من فاعلين على سبيل التولد [٢].

الثالثة قوله فى القرآن أن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظما وبلاغة[٣] وهو الذى بالغ فى القول بخلق القرآن ، وكفر من قال بقدمه ، فانه قد أثبت قديمين وكفر أيضا من لابس السلطان وزعم أنه لا يرث ولا يورث ، وكفر من قال أن أعمال العباد مخلوقة لله تعالى ، ومن قال أنه يرى بالأبصار وغلا فى التكفير ، حتى قال هم

---

(١) فهذ القول لا يليق الا بدينه الرقيق الذى ليس له تحقيق (التبصير ص ٤٧)

(٢) حكى ابو زفر عنه انه اجاز وقوع فعل واحد من فاعلين مخلوقين على سبيل التولد مع انكاره على اهل السنة ما اجازوه من وقوع فعل من فاعلين احدهما خالق والآخر مكتسب وقد اكفره سائر المعتزلة فى قولة بتولد فعل واحد من فاعلين ، فهذا راهبهم قد اكفروه (الفرق بين الفرق ص ١٥٢)

(٣) هذا عناد منه لقول الله تعالى : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ، ولا غرض له إلا انكار نبوة من تحدي العرب بأن يعارضوه بمثله (الفرق بين الفرق ص ١٢٨) .

جميعا كافرون فى قولهم لا إله إلا الله ، وقد سأله إبراهيم السندى(١) مرة عن أهل الأرض جميعاً فكفرهم ، فاقبل عليه ابراهيم ، وقال الجنة التى عرضها السموات والارض لا يدخلها إلا أنت وثلاثة وافقوك فخزى ، ولم يجد ولم يجد جوابا ، وقد تلمذ له الجعفران وأبو زفر ومحمد بن سويد وصحبه أبو جعفر محمد بن عبد الله الاسكافى وعيسى بن الهيثم وجعفر بن حرب والأشج ، وحكى الكعبي عن الجعفرين أنهما قالا إن الله تعالى خلق القرآن فى اللوح المحفوظ ، ولا يجوز أن ينتقل ، اذ يستحيل أن يكون الشيء الواحد فى مكانين فى حالة واحدة ، وما نقرؤه فهو حكاية عن المكتوب الأول فى اللوح المحفوظ ، وذلك فعلنا وخلقنا ، قال وهو الذى أختاره من الأقوال المختلفة فى القرآن ، وقالا فى تحسين العقل وتقبيحه أن العقل يوجب معرفة الله تعالى بجميع أحكامه وصفاته قبل ورود الشرع ، وعليه أن يعلم أنه إن قصر ولم يعرفه ولم يشكره عاقبه عقوبة دائمة ، فأثبت التخليد واجبا بالعقل .

الثمامية

الثمامية أصحاب ثمامة بن أشرس النميرى ، كان جامعاً بين سخافة الدين ، وخلاعة(٢) النفس مع اعتقاده بأن الفاسق مخلد فى النار إذا مات على فسقة من غير توبة ، وهو فى حال حياته فى منزله بين المنزلتين .

(١) ابراهيم بن السندى بن شاهك ، ولى الكوفة والجاحظ يروى عنه كثيرا فى كتبه ، وأبوه كان على الجسرين ، وقد نعت الجاحظ ابراهيم بأنه مولى أمير المؤمنين (الجهشيارى ص ٢٣٦ — عيون الأخبار ص ١٢١ — رسائل الجاحظ ص ٤٧)

(٢) قال أبو محمد ، ثم نصير إلى ثمامة فنجده من رقة الدين ، وتنقص =

وانفرد عن أصحابه بمسائل :

منها قوله الأفعال المتولدة لافاعل لها إذ لم يمكنه إضافتها إلى فاعل أسبابها، حتى يلزم أن يضيف القول إلى ميت، مثل ما إذا فعل السبب ومات ووجد المتولد بعده، ولم يمكنه إضافتها الى الله تعالى، لانه يؤدى الى الفعل القبيح، وذلك محال فتحير فيه، وقال المتولدات أفعال لافاعل لها[1]

ومنها قوله فى الكفار والمشركين والمجوس واليهود والنصارى والزنادقة يصيرون فى القيامة ترابا. وكذلك قوله فى البهائم والطيور وأطفال المؤمنين.

ومنها قوله، الاستطاعة: هى السلامة وصحة الجوارح وتخليتها من الآفات وهي قبل الفعل.

ومنها قوله، أن المعرفة متولدة من النظر وهو فعل لا فاعل له كسائر المتولدات.

ومنها قوله، فى تحسين العقل وتقبيحه، وإيجاب المعرفة قبل ورود السمع مثل أصحابه، غير أنه زاد عليهم، فقال من الكفار من لا يعلم خالقه

الاسلام والاستهزاء به وإرساله لسانه على ما لا يكون على مثله رجل يعرف الله تعالى ومن المحفوظ عنه المشهور انه رأى قوما يتعادون يوم الجمعة إلى المسجد لخوفهم فوت الصلاة فقال انظروا إلى البقر، انظروا إلى الحمير ثم قال لرجل من اخوانه، ماصنع هذا العربى بالناس (تأويل مختلف الحديث ص ٦٠)

(١) إن هذا القول يؤدى إلى القول بنفى الصانع إذ لو جاز أن يكون فعل بلا فاعل لجاز ان يكون كل فعل بلا فاعل كما لو جاز أن تكون كتابة بلا كاتب جاز أن كل كتابة بلا كاتب، وهذا مالا يقبله العقلاء

وهو معذور[١]، وقال ان المعارف كلها ضرورية ، وإن من لم يضطر إلى معرفة الله تعالى فهو مسخر للعباد كالحيوان[٢]

ومنها قوله لا فعل للانسان إلا الارادة ، وما عداها فهو حدث لا محدث له ، وحكى ابن الراوندى[٣] عنه أنه قال ، العالم فعل الله تعالى بطباعه ، ولعله أراد بذلك ما تريده الفلاسفة من الإيجاب بالذات دون الايجاد على مقتضى الارادة لـكن يلزمه على اعتقاده ذلك ما لزم الفلاسفة من القول بقدم العالم إذا الموجب لا ينفك عن الموجب . وكان ثمامة فى أيام المأمون وعنده بمكان .

---

(١) وكان يحرم السبى ، لأن المسبي عنده ماعصى ربه إذ لم يعرفه ، ويقول : لا يجوز سبي النساء من دار الـكفر وان من سبي امرأة ثم ألم بها فهو زان وان ولده ولد زنا ، وثمامة من اولاد السبايا (الفرق بين الفرق ص ١٥٨ التبصير ص ٥٨)

(٢) فكان يقول ان من لم يعرف الله سبحانه وتعالى ضرورة فليس عليه أمر ولا نهى ، وان الله خلقه للسخرة والاعتبار ، لا للتكليف والاختبار كما خلق البهائم لذلك ثم رتب على هذا فقال عوام الدهرية والزنادقة فى الآخرة لا تكون فى جنة ولا فى نار وان الله يجعلهم فى الآخرة ترابا وكذلك كان يقول فيمن مات فى حال الطفولة (التبصير ص ٤٨)

(٣) ابو الحسين احمد بن يحي الراوندى ، العالم المشهور ، له مقالة فى علم الـكلام ، وكان من الفضلا فى عصره وله من الـكتب نحو مائة وأربعة عشر كتابا ، وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام ، وقد انفرد بمذاهب ، وكان فى أول امره جميل المذهب ثم انسلخ لأن علمه كان اكثر من عقله وقيل انه تاب عند موته ، وقد توفى سنة خمس واربعين ومائتين (ابن خلكان اول ص ٣٣ — تكملة الفهرست ص ٤)

الهشـــامية

الهشامية أصحاب هشام بن عمرو الفوطي ، ومبالغته فى القـدر أشد وأكثر من مبالغة أصحابه ، وكان يمتنع من إطلاق إضافات أفعال إلى الباري تعالى ، وإن ورد بها التنزيل .

منها قوله ان الله لا يؤلف بين قلوب المؤمنين بل هم المؤتلفون باختيارهم ، وقد وَرد فى التنزيل (ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم)

ومنها قوله ان الله تعالى لا يحبب الايمان الى المؤمنين ولايزينه فى قلوبهم ، وقد قال تعالى (حبب اليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم) .

ومبالغته فى نفى إضافة الطبع والختم والسد وأمثالهاأشدوأصعب، وقد ورد جميعها فى التنزيل قال الله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) وقال (بل طبع الله عليها بكفرهم) وقال (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا)

وليت شعرى ما يعتقده الرجل من إنكار ألفاظ التنزيل وحيـا من الله تعالى ، فيكون تصريحا بالكفر أو انكار ظواهرها من نسبتها إلى البارى ، ووجوب تأويلها ، وذلك غير مذهب أصحابه

ومن بدعه فى الدلالة على البارى تعالى قوله ، ان الأعراض لاتدل على كونه خالقا ، ولا تصلح الأعراض دلالات ، بل الأجسام تدل على كونه خالقا وهذا أيضا عجب (١) .

---

(١) وقد رتب على هذا انقال : ان انشقاق القمر ، وفلق البحر ، وقلب

ومن بدعه فى الأمامة قوله ، انها لا تنعقد فى أيام الفتنة واختلاف الناس ، وإنما يجوز عقدها فى حال الاتفاق والسلامة ، وكذلك أبو بكر الأصم من أصحابهم كان يقول ، الامامة لا تنعقد الا باجماع الامة على بكرة أبيهم ، وإنما أراد بذلك الطعن فى امامة على رضى الله عنه ، إذ كانت البيعة فى أيام الفتنة من غير اتفاق من جميع الصحابة إذ بقى فى كل طرف طائفة على خلافه[١] .

ومن بدعه أن الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن ، إذ لا فائدة فى وجودهما ، وهما جميعا خاليتان ممن ينتفع ويتضرر بهما ، وبقيت هذه المسألة منه اعتقادا للمعتزلة[٢]

وكان يقول بالموافاة ، وان الايمان هو الذى يوافى الموت ، وقال من (أطاع) الله جميع عمره وقد علم أنه يأتى بما يحبط أعماله ولو بكبيرة لم يكن مستحقا للوعد ، وكذلك على العكس ، وصاحبه[٣] عبادَ من

العصا حية ، لايدل على شيء من المعجزات ولا على صدق الرسول فى دعواه الرسالة

(١) إذ ثبت ان أهل الشام كانوا على خلافه إلى ان مات ، ومن العجب ان يقول بأمامة معاوية لاجتماع الناس عليه بعد قتل على .

(٢) وقال بتكفير من قال ان الجنة والنار مخلوقتان وأخلافه من المعتزله شكوا فى وجودهما اليوم ولم يقولوا بتكفير من قال انهما مخلوقتان ومن انكر كون النار مخلوقة يقال له يوم القيامة ما اخبر الله عنه وهو قوله انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون .

(٣) عباد بن سليمان الضمرى من كبار المعتز له وبينه وبين عبد الله بن سعيد مناظرة ، وكان فى ايام المأمون وقد زعم ان بين اللفظ والمعنى طبيعة

المعتزلة ، وكان يمتنع من اطلاق القول بأن الله تعالى خلق الكافر لان الكافر (كفر وإنسان) والله لا يخلق الكفر ، وقال النبوة جزاء على عمل وأنها باقية ما بقيت الدنيا

وحكى الاشعرى عن عباد أنه زعم أنه لا يقال ان الله لم يزل قائلا ولا غير قائل ، ووافقه الاسكافى على ذلك قالا ولا يسمى متكلما ، وكان الفوطى يقول إن الأشياء قبل كونها معدومة ليست أشياء ، وهى بعد أن تعدم عن وجود تسمى أشياء ، ولهذا المعنى كان يمنع القول بأن الله تعالى قد كان لم يزل عالما بالأشياء قبل كونها ، فانها لا تسمى أشياء ، قال وكان يجوز القتل والغيلة على المخالفين لمذهبه وأخذ أموالهم غصبا وسرقة ، لاعتقاده كفرهم واستباحة دمائهم (١)

الجاحظية

أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ كان من فضلاء المعتزلة ، والمصنف لهم ، وقد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة ، وخلط وروج بعبارته

مناسبة ، نردوا عليه ذلك وقد أخذ عن هشام الفوطى وكان الجبائى يصفه بالحذق وقد ملأ الأرض كتبا وخلافا ، وخرج عن حد الاعتزال إلى الكفر والزندقة (لسان الميزان ثالث ص ٢٢٩ — التبصير ص ٤٦)

(١) وكان أهل السنة يقولون فى الفوطى وأتباعه أن دماءهم وأموالهم حلال للمسلمين وفيه الخمس ، وليس على قاتل الواحد منهم قود ولا دية ولا كفارة بل لقاتله عند الله القربى والزلفى (الفرق بين الفرق ص ١٥١)

البليغة وحسن براعته اللطيفة ، وكان فى أيام المعتصم والمتوكل[١] ، وانفرد عن أصحابه بمسائل

منها قوله إن المعارف كلها ضرورية طباع ، وليس شيء من ذلك من أفعال العباد ، وليس للعباد كسب سوى الارادة ، وتحصل أفعاله طباعا[٢] كما قال ثمامة

ونقل عنه أيضا أنه أنكر أصل الارادة وكونها جنسا من الأعراض فقال ، إذا انتفى السهو عن الفاعل وكان عالما بما يفعله فهو المريد على التحقيق ، وأما الارادة المتعلقة بفعل الغير فهو ميل النفس إليه . وزاد على ذلك باثبات الطبائع للأجسام كما قال الطبيعيون من الفلاسفة ، وأثبت لها أفعالا مخصوصة بها ، وقال باستحالة عدم الجوهر ، فالأعراض تتبدل والجوهر لا يجوز أن يفنى

ومنها قوله فى أهل النار أنهم لا يخلدون فيها عذابا بل يصيرون

---

(١) المتوكل على الله جعفر بن المعتصم ولى الخلافة بعد موت الواثق فأظهر السنة ، ونصر أهلها ، ورفع المحنة واستقدم المحدثين الى سامرا واكرمهم واجزل عطاياهم قتل سنة أربع وأربعين ومائتين (تاريخ الخلفا ، ص ٢٩٩)

(٢) إذا كانت أفعاله طباعا لا كسبا لزم أن لا يكون له عليها ثواب ولا عقاب إذ لا يثاب ولا يعاقب على ما لا يكون كسبا له كما لا يثاب ولا يعاقب على لونه وتركيب بدنه إذ لم يكن ذلك من كسبه ، وهذا يخالف قوله تعالى : (كل امرىء بما كسب رهين)

إلى طبيعة النار ، وكان يقول النار تجذب أهلها إلى نفسها دون أن يدخل أحد فيها[1]

ومذهبه مذهب الفلاسفة فى نفى الصفات ، وفى إثبات القدر خيره وشره من العبد مذهب المعتزلة

وحكى الكعبي عنه فى نفي الصفات أنه قال يوصف البارى تعالى بأنه مريد بمعنى أنه لا يصح عليه السهو فى أفعاله ولا الجهل ولا يجوز أن يغلب ويقهر ، وقال إن الخلق كلهم من العقلاء عالمون بأن الله تعالى خالقهم ، وعارفون بأنهم محتاجون إلى النبي ، وهم محجوجون بمعرفتهم ، ثم هم صنفان عالم بالتوحيد وجاهل به ، فالجاهل معذور ، والعالم محجوج

ومن انتحل دين الإسلام فان اعتقد أن الله تعالى ليس بجسم ولا صورة ، ولا يرى بالأبصار وهو عدل لا يجور ولا يريد المعاصى ، وبعد الاعتقاد والتبيين أقر بذلك كله فهو مسلم حقا ، وإن عرف ذلك كله ثم جحده وأنكره ، أو دان بالتشبيه والجبر فهو مشرك كافر حقا ، وإن لم ينظر فى شىء من ذلك واعتقد أن الله ربه وأن محمدا رسول الله فهو مؤمن لا لوم عليه ولا تكليف عليه غير ذلك

وحكى ابن الراوندى عنه أن القرآن جسد يجوز أن يقلب مرة رجلا ومرة حيوانا وهذا مثل ما يحكى عن أبى بكر الأصم ، أنه

(١) انه يبطل برأيه الرغبة والرهبة والثواب والعقاب من الله تعالى حيث يقول : (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)

زعم أن القرآن جسم مخلوق ، وأنكر الأعراض أصلا ، وأنكر صفات البارى تعالى

ومذهب الجاحظ هو بعينه مذهب الفلاسفة إلا أن الميل منه ومن أصحابه إلى الطبيعيين منهم أكثر منه إلى الالهيين

الخياطيـــة

أصحاب أبى الحسين بن أبى عمرو الخياط أستاذ أبى القاسم بن محمد الكعبي وهما من معتزلة بغداد على مذهب واحد ، إلا أن الخياط غالى فى إثبات المعـدوم شيئا . وقال الشىء ما يعلم ويخبر عنه . والجوهر جوهر فى العـدم . والعرض عرض ، وكذلك أطلق جميع أسماء الأجناس والأصناف حتى قال ، السواد سواد فى العدم فلم يبق إلا صفة الوجود والصفات التى تلتزم الوجود والحدوث ، وأطلق على المعدوم لفظ الثبوت[1] وقال فى نفى صفات البارى مثل ما قاله أصحابه وكذا القول فى القدر والسمع والعقل وانفرد الكعبى عن أستاذه بمسائل

منها قوله أن إرادة البارى تعالى ليست صفة قائمة بذاته ولا هو

---

(١) قد زاد فى قوله على جميع القدرية . فوصف المعدوم بأنه جسم فيلزمه أن يجوز كون المعدوم رجلا راكبا جملا وبيده سيف مسلط ، يصول عليه ويلقنه مثل هذه البدع ، والقدرية وان قالوا فى المعدوم انه شىء وجوهر وعرض وسواد وبياض فانهم لايقولون انه جسم وانه قابل للاعراض وهذا القول منه يوجب كون الأجسام قديمة ويفضي به إلى نفى الصانع (التبصير ص ٥١)

مريد لذاته ، ولا إرادته حادثة فى محل أو لا فى محل ، بل إذا أطلق عليه أنه مريد ، فمعناه أنه عالم قادر غير مكره فى فعله ولا كاره ، ثم إذا قيل أنه مريد لأفعاله فالمراد به أنه خالق لها على وفق علمه ، وإذا قيل هو مريد لأفعال عباده ، فالمراد به أنه آمر بها راض عنها

وقوله فى كونه سميعا بصيرا راجع إلى ذلك أيضا فهو سميع بمعنى أنه عالم بالمسموعات و بصير بمعنى أنه عالم بالمبصرات

وقوله فى الرؤية كقول أصحابه نفيا وإحالة[1] غير أن أصحابه قالوا يرى البارى تعالى ذاته ويرى المرئيات وكونه مدركا لذلك زائدا على كونه عالما ، وقد أنكر الكعبى ذلك قال معنى قولنا يرى ذاته ويرى المرئيات أنه عالم بها فقط

الجبائية والبهشمية

أصحاب أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى وابنه أبى هاشم عبد السلام وهما من معتزلة البصرة انفردا عن أصحابهما بمسائل وانفرد أحدهما عن صاحبه بمسائل

أما المسائل التى انفردا بها عن أصحابهما

---

(٢) قال كثير منهم أنه لايرى شيئا ولايبصر بحال وليس معبودهم على هذا القول الا كما نهى ابراهيم الخليل عليه السلام أباه عن عبادته حيث قال (إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولايبصر ولا يغنى عنك شيئا)(التبصير ص ٣٧)

فمنها أنهما أثبتا إرادات حادثة لا فى محل يكون البارى تعالى بها موصوفا مريدا ، وتعظيما لا فى محل إذا أراد أن يعظم ذاته ، وفناء لا فى محل إذا أراد أن يفنى العالم ، وأخص أوصاف هذه الصفات يرجع إليه من حيث أنه تعالى أيضا لا فى محل ، وإثبات موجودات هى أعراض أو فى حكم الأعراض لا محل لها ، كاثبات موجودات هى جواهر أو فى حكم الجواهر لا مكان لها ، وذلك قريب من مذهب الفلاسفة حيث أثبتوا عقلا هو جوهر ، لا فى محل ولا فى مكان وكذلك النفس الكلى والعقول المفارقة

ومنها أنهما حكما بكونه تعالى متكلما بكلام يخلقه فى محل ، وحقيقة الكلام عندهما أصوات مقطعة وحروف منظومة ، والمتكلم من فعل الكلام لا من قام به الكلام ، إلا أن الجبائى خالف أصحابه خصوصا بقوله يحدث الله تعالى عند قراءة كل قارىء كلا ما لنفسه فى محل القراءة . وذلك حين ألزم أن الذى يقرؤه القارئ ليس بكلام الله ، والمسموع منه ليس بكلام الله ، فالتزم هذا المحال من إثبات أمر غير معقول ولا مسموع ، وهو إثبات كلامين فى محل واحد

واتفقا على نفى رؤية[1] الله تعالى بالأبصار فى دار القرار ، وعلى

(١) مذهب أهل السنة ، ان القديم سبحانه يرى ، وتجوز رؤيته بالأبصار ، اذ ان ما صح وجوده جازت رؤيته كسائر الموجودات ، وآياته قوله تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام ، واللقاء يقع لغة على الرؤية وبخاصة ، حيث لا يجوز التلاقى بالذوات والتماس بينهما . وقوله (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقوله (الذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (ولا يرهق وجوههم قتر ولا

القول بإثبات الفعل للعبد خلقا وإبداعا ، وإضافة الخير والشر والطاعة والمعصية إليه استقلالا، واستبدادا . وأن الاستطاعة قبل الفعل ، وهى قدرة زائدة على سلامة البنية وصحة الجوارح ، وأثبتا البنية شرطا فى قيام المعانى التى يشترط فى ثبوتها الحياة

واتفقا على أن المعرفة وشكر المنعم ومعرفة الحسن والقبيح واجبات عقلية . وأثبتا شريعة عقلية ورد الشريعة النبوية إلى مقدرات الأحكام وموقتات الطاعات التى لا يتطرق إليها عقل ولا يهتدى إليها فكر ، وبمقتضى العقل والحكمة يجب على الحكيم ثواب المطيع وعقاب العاصى ، إلا أن التأقيت والتخليد فيه يعرف بالسمع ، والايمان عندهما اسم مدح وهو عبارة عن خصال الخير إذا استجمعت سمى المتحلى بها مؤمنا . ومن ارتكب كبيرة فهو فى الحال يسمى فاسقا لا مؤمنا ولا كافرا وإن لم يتب ومات عليها فهو مخلد فى النار

واتفقا على أن الله تعالى لم يدخر عن عباده شيئا مما علم أنه إذا فعل فعل بهم أتوا بالطاعة والتوبة من الصلاح والأصلح واللطف لأنه قادر

ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) ولازيادة على نعيم الجنة غير رؤية الله عز شأنه . وهذا ما فسر به رسول الله ﷺ وفى قصة موسى عليه السلام (قال رب ارنى أنظر اليك قال لن ترانى) ولو لم تكن الرؤية جائزة ، ما تمناها نبى وقد قال ﷺ لصحابته : انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون ولا تضارون فى رؤيته

عالم جواد حكيم لا يضره الاعطاء ولا ينقص من خزائنه المنع ، ولا يزيد فى ملكه الادخار، وليس هو الأصلح أو هو الالذ ، بل هو الأجود فى العاقبة ، والأصوب فى العاجل ، وإن كان ذلك مؤلما مكروها ، وذلك كالحجامة والفصد وشرب الأدوية ، ولا يقال انه تعالى يقدر على شىء هو أصلح مما فعله بعبده والتكاليف كلها الطاف ، وبعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وشرع الشرائع وتمهيد الأحكام والتنبيه على الطريق الأصوب ، كلها الطاف

ومما تخالفا فيه أما فى صفات البارى تعالى فقال الجبائى ، عالم لذاته قادر حىّ لذاته ، ومعنى قوله لذاته ، أى لا يقتضى كونه عالما صفة هى حال علم أو حال يوجب كونه عالما

وعند أبى هاشم هو عالم لذاته ، بمعنى أنه ذو حالة هى صفة معلومة وراء كونه ذاتا موجودا ، وإنما يعلم الصفة على الذات لا بانفرادها فأثبت أحوالا هى صفات ، لا معلومة ولا مجهولة ، أى هي على حيالها لا تعرف كذلك بل مع الذات ، قال والعقل يدرك فرقا ضروريا بين معرفة الشىء مطلقا ، وبين معرفته على صفة ، فليس من عرف الذات عرف كونه عالما ، ولا من عرف الجوهر عرف كونه متحيزاً قابلا للعرض ، ولاشك أن الانسان يدرك اشتراك الموجودات فى قضية ، وافتراقها فى قضية ، وبالضرورة نعلم أن مااشتركت فيه ، غيرماافترقت به ، وهذه القضايا العقلية لا ينكرها عاقل ، وهى لا ترجع إلى لذات ولا إلى أعراض

وراء الذات ، فانه يؤدى إلى قيام العرض بالعرض ، فتعين بالضرورة انها أحوال . فكون العالم عالما حال هي صفة وراء كونه ذاتا أى المفهوم منها غير المفهوم من الذات ، وكذلك كونه قادرا حياً وخالفه والده وسائر منكرى الأحوال ، ثم أثبت للبارى تعالى حالة أخرى أوجبت تلك الأحوال ، وردوا الاشتراك والافتراق إلى الألفاظ وأسماء الأجناس ، وقالوا ليست الاحوال تشترك فى كونها أحوالا ، وتفترق فى خصائص ، كذلك نقول فى الصفات وإلا فيؤدى إلى إثبات الحال للحال ويفضى إلى التسلسل ، بل هى راجعة ، اما إلى مجرد الألفاظ إذا وضعت فى الاصل على وجه يشترك فيها الكبير ، لان مفهومها معنى أو صفة ثابتة فى الذات على وجه يشمل أشياء ويشترك فيها الكبير ، فان ذلك مستحيل ، ويرجع ذلك إلى وجوه واعتبارات عقلية هى المفهومة من قضايا الاشتراك والافتراق . وتلك الوجوه كالنسب والاضافات والقرب والبعد وغير ذلك مما لا يعد صفات بالاتفاق ، وهذا هو اختيار ، أبى الحسين البصري وأبى الحسن الاشعري ، وبنوا على هذه المسئلة (المعدوم شيء) فمن أثبت كونه شيئا كما نقلنا عن جماعة المعتزلة فلا يبقى من صفات الثبوت إلا كونه موجوداً ، فعلى ذلك لا يثبت القدرة فى إيجادها أثر ما سوى الوجود ، والوجود على مذهب نفاة الأحوال لا يرجع إلا إلى اللفظ المجرد ، وعلى مذهب مثبتى الأحوال هو حالة لا توصف بالوجود والعدم ، وهذا كما ترى من التناقض والاستحالة ، ومن نفاة الاحوال

من يثبته شيئا ، ولا يسميه بصفات الاجناس ، وعند الجبائى أخص وصف البارى تعالى هو القدم ، والاشتراك فى الاخص يوجب الاشتراك فى الأعم ، وليت شعرى كيف يمكنه إثبات الاشتراك والافتراق والعموم والخصوص حقيقة وهو من نفاة الأحوال ، فأما على مذهب أبى هاشم فلعمرى هو مطرد ، غير أن القدم إذا بحث عن حقيقة رجع الى نفى الأولية ، والنفي يستحيل أن يكون أخص وصف .

واختلفا فى كونه سميعا بصيراً ، فقال الجبائى معنى كونه سميعاً بصيرا أنه حى لا آفة به ، وخالفه ابنه وسائر أصحابه ، أما ابنه فصار إلى أن كونه سميعاً حال وكونه بصيرا حال ، سوى كونه عالما لاختلاف القضيتين والمفهومين والمتعلقين والأثرين ، وقال غيره من أصحابه معناه كونه مدركا للمبصرات مدركا للمسموعات

واختلفا أيضا فى بعض مسائل اللطف ، فقال الجبائى فمن يعلم البارى تعالى من حاله أنه لو آمن بلا لطف لكان ثوابه أقل لقلة مشقته ، ولو آمن بلا لطف لكان ثوابه أكثر لعظم مشقته ، أنه لا يحسن منه أن يكلفه الا مع اللطف ، ويسوى بينه وبين المعلوم من حاله أنه لا يفعل الطاعة على كل وجه إلا مع اللطف ويقول أن لو كلفه مع عدم اللطف لوجب أن يكون مستفسدا حاله غير مزيح لعلته ، ويخالفه أبو هاشم فى بعض المواضع فى هذه المسئلة قال يحسن

منه تعالى أن يكلفه الايمان على استواء الوجهين بلا لطف .

واختلفا في فعل الألم، للعوض فقال الجبائي يجوز ذلك ابتداء لأجل العوض ، وعليه آلام الاطفال ، وقال ابنه إنما يحسن ذلك بشرط العوض والاعتبار جميعا .

وتفصيل مذهب الجبائى فى الأعواض على وجهين .

أحدهما أنه يقول التفضيل بمثل الأعواض ، غير أنه تعالى علم أنه لا ينفعه عوض إلا على ألم متقدم

والوجه الثانى أنه إنما يحسن ذلك لأن العوض مستحق ، والتفضل غير مستحق ، والثواب عندهم يتفضل على التفضل بأمرين .

أحدهما تعظيم وإجلال للمثاب يقترن بالنعيم .

والثانى قدر زائد على التفضل، فلم يجب إذا أجرى العوض مجرى الثواب لأنه لا يتميز عن التفضل بزيادة مقدار ، ولا بزيادة صفة .

وقال ابنه يحسن الابتداء بمثل العوض تفضلا ، والعوض منقطع غير دائم .

وقال الجبائي يجوز أن يقع الانتصاف من الله تعالى للمظلوم من الظالم باعواض يتفضل بها عليه ، إذا لم يكن للظالم على الله فى عوض شىء ضره به .

وزعم أبو هاشم أن التفضل لا يقع به انتصاف ، لأن التفضل ليس يجب فعله .

وقال الجبائى وابنه لا يجب على الله شىء لعباده فى الدنيا ، إذ لم يكلفهم عقلا وشرعا . فاما إذا كلفهم فعل الواجب فى عقولهم واجتناب القبيح وخلق فيهم الشهوة للقبيح والنفور من الحسن ، وركب فيهم الاخلاق الذميمة فانه يجب عليه عند هذا التكليف اكمال العقل ونصب الادلة ، والقدرة ، والاستطاعة ، وتهيئة الآلة ، بحيث يكون مزيحا لعللهم فيما أمرهم ، ويجب عليه أن يفعل بهم ادعى الأمور الى فعل ما كلفهم به وأزجر الاشياء لهم عن فعل القبيح الذى نهاهم عنه ولهم فى مسائل هذا الباب خبط طويل (١).

وأما كلام جميع المعتزلة فى النبوات والامامة (فانه) يخالف كلام البصريين ، فان من شيوخهم من يميل إلى الروافض . ومنهم من يميل إلى الخوارج . والجبائي وأبو هاشم قد وافقا أهل السنة فى الامامة أنها بالاختيار ، وان الصحابة مترتبون فى الفضل ترتبهم فى الامامة ، غير أنهم ينكرون الكرامات أصلا

(١) ومن ضلالات الجبائى أنه سمى الله مطيعا لعبده إذا فعل مراد العبد وكان سبب ذلك ان قال يوما لأبى الحسن الأشعرى ما معنى الطاعة عندك فقال موافقة الأمر ، وسأله عن قوله فيها فقال الجبائى حقيقة الطاعة عندى موافقة الارادة وكل من فعل مراد غيره فقد أطاعه فقال له أبو الحسن يلزمك على هذا الأصل أن يكون الله مطيعا لعبده إذا فعل مراده فالتزم ذلك فقال له أبو الحسن ، خالفت اجماع المسلمين وكفرت برب العالمين ولو جاز أن يكون الله مطيعا لعبده لجاز أن يكون خاضعا له ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . (المختصر للرسعنى ص ١٢١)

للاولياء من الصحابة وغيرهم[١] ، ويبالغون فى عصمة الأنبياء عن الذنوب كبائرها ، وصغائرها حتى يمنع الجبائى القصد إلى الذنب الاعلى تأويل ، والمتأخرون من المعتزلة مثل القاضى عبد الجبار[٢] وغيره انتهجوا طريقة أبى هاشم ، وخالفه فى ذلك أبو الحسين[٣] البصرى وتصفح أدلة الشيوخ ، واعترض على ذلك بالتزييف والابطال .

---

(١) لئن أنكروا الكرامات ، لقد أثبتها الموحدون لاستفاضة الخبر عن صاحب سليمان فى إتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف إليه ومنها رؤية عمر على منبره بالمدينة جيشه بنهاوند حتى قال يا سارية الجبل وسمع سارية ذلك الصوت على مسافة زهاء خمسمائة فرسخ حتى صعد الجبل وفتح منه الكمين للعدو وكان ذلك سبب الفتح ومنها قصة سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأسد ، وقصة عمير الطائى مع الذئب حتى قيل له كليم الذئب وقصة اهبان بن صيفى وأبى ذر الغفارى مع الوحش وما أشبه ذلك كثير مما حرمه أهل القدر بشؤم بدعتهم وليس فى جوازها قدح فى النبوات لأن الناقض للعادة فيه دلالة على الصدق فتارة يدل على الصدق فى دعوى النبوة وتارة يدل على الصدق فى الحال (أصول الدين ص ١٨٤)

(٢) عبد الجبار بن أحمد الهمذانى القاضى المتكلم ، وكان من غلاة الشيعة وكان فقيها شافعيا ، ولى قضاء الري ، صنف فى مذهبه وذب عنه ودعا اليه وقد صنف دلائل النبوة فأجاد فيه ، وكان شافعيا فى الفروع معتزليا فى الاصول توفى سنة ٤٦٥ . (لسان الميزان ص ٣٨٦)

(٣) أبو الحسين محمد بن على الطيب البصرى المتكلم على مذهب المعتزلة وهو أحد أئمتهم الأعلام المشار اليه فى هذا الفن وكان جيد الكلام مليح العبارة غزير المادة ، وله التصانيف النافعة فى أصول الفقه منها المعتمد ومنه أخذ الرازى كتاب المحصول ، وتوفى سنة ٤٣٦ (ابن خلكان أول ص ٦٠٩)

وانفرد عنهم بمسائل

منها نفى الحال، ومنها نفى المعدوم شيئا، ومنها نفى الاكوان أعراضا، ومنها قوله أن الموجودات تتمايز بأعيانها وذلك من توابع نفى الحال، ومنها رده الصفات كلها إلى كون البارى تعالى عالما قادرا مدركا، وله ميل إلى مذهب هشام بن الحكم، ان الاشياء لا تعلم قبل كونها، والرجل فلسفى المذهب الا أنه روج كلامه على المعتزلة فراج عليهم لقلة معرفتهم بمسالك المذاهب

الجــــبرية

الجبر هو نفى الفعل حقيقة من العبد وإضافته الى الرب تعالى.

والجبرية أصناف، فالجبرية الخالصة هى التى لا تثبت للعبد، فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا، والجبرية المتوسطة أن تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا، فاما من أثبت للقدرة الحادثة اثرا ما، فى الفعل وسمى ذلك كسبا فليس بجبرى، والمعتزلة يسمون من لم يثبت المقدرة الحادثة فى الابداع، والاحداث استقلالا، جبريا، ويلزمهم أن يسموا من قال من أصحابهم بان المتولدات أفعال لا فاعل لها جبريا، اذ لم يثبتوا للقدرة الحادثة فيها أثرا، والمصنفون فى المقالات عدوا النجارية والضرارية من الجبرية، وكذلك جماعة الكلابية من الصفاتية والاشعرية سموهم تارة حشوية، وتارة جبرية، ونحن سمعنا إقرارهم على أصحابهم من النجارية والضرارية فعددناهم من الصفاتية.

الجهميــــة

الجهمية أصحاب جهم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ[1] وقتله سلم بن أحوز المازنى بمرو[2]، فى آخر ملك بنى أمية، ووافق المعتزلة فى نفى الصفات الازلية وزاد عليهم بأشياء

منها قوله لا يجوز أن يوصف البارى تعالى بصفة يوصف بها خلقه، لأن ذلك يقتضى تشبيها، فنفى كونه حيا عالما، وأثبت كونه قادرا فاعلا خالقا[3]، لأنه لا يوصف شىء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق.

ومنها إثباته علوما حادثة للبارى تعالى لا فى محل، قال لا يجوز أن يعلم الشىء قبل خلقه، لأنه لو علم ثم خلق أفبقى علمه على ما كان، أو لم يبق، فان بقى فهو جهل، فان العلم بأن سيوجد غير العلم بأن قد وجد، وإن لم يبق فقد تغير، والمتغير مخلوق ليس بقديم، ووافق فى هذا

---

(١) ترمذ مدينة مشهورة من أمهات المدن راكبة على نهر جيحون، من الشرق، ولها ربض ويحيط بها سور، وأسواقها مفروشة بالآجر. (معجم ثامن ص ٣٨٢)

(٢) مرو، أو مرو الشاهجان وهى مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها، والنسبة اليها مروزى على غير قياس، والثوب مروى على القياس (معجم ثامن ص ٣٣)

(٣) فقال: انما يقال فى وصفه أنه قادر موجد فاعل، خالق محيي، مميت لأن هذه الصفات لا تطلق على العبيد، وأنها مختصة به وحده (التبصير ص ٦٤) (الفرق بين الفرق ص ١٩٩)

مذهب هشام بن الحكم كما تقرر، قال وإذا ثبت حدوث العلم فليس يخلو إما أن يحدث فى ذاته تعالى، وذلك يؤدى إلى التغير فى ذاته وأن يكون محلا للحوادث، وأما أن يحدث فى محل، فيكون المحل موصوفا به لا البارى تعالى. فتعين أنه لا محل له، فاثبت علوما حادثة بعدد المعلومات الموجودة

ومنها قوله فى القدرة الحادثة ان الانسان ليس يقدر على شىء ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور فى أفعاله، لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق فى سائر الجمادات، وينسب إليه الأفعال مجازا كما ينسب إلى الجمادات، كما يقال أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وتحرك الحجر، وطلعت الشمس، وغربت، وتغيمت السماء، وأمطرت، وأزهرت الأرض، وأنبتت إلى غير ذلك[1] والثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال

(١) هذا القول خلاف ما تجده العقلاء فى أنفسهم، لأن كل من يرجع الى نفسه يفرق فى نفسه بين ما يرد عليه من أمر ضرورى لا اختيار له فيه وبين ما يختاره ويضيفه لنفسه، فالعاقل يفرق بين حركة ضرورية كحركة المرتعش، وحركة المختار، وانه ليجد فرقا بينهما، ومن أنكر هذه التفرقة لا يعد من العقلاء. فله ما ورد فى القرآن، من قوله، يعملون، ويعقلون ويكسبون حجة عليهم وكذا قوله تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) ولو لم يكن للعبد اختيار. كان الخطاب معه محالا والثواب والعقاب عنه ساقطين كالجماد وقد رد الله على الجبرية والقدرية حيث قال وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ومعناه وما رميت من حيث الخلق اذ رميت من حيث

جبر ، قال وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضا كان جبرا

ومنها قوله إن حركات أهل الخلدين تنقطع ، والجنة والنار يفنيان بعد دخول أهليهما فيهما ، وتلذذ أهل الجنة بنعيمها ، وتألم أهل النار بجحيمها ، إذ لا يتصور حركات لا تتناهى آخرا ، كما لا تتصور حركات لا تتناهى أولا ، وحمل قوله تعالى خالدين فيها على المبالغة والتأكيد دون الحقيقة فى التخليد ، كما يقال خلد الله ملك فلان ، واستشهد على الانقطاع بقوله تعالى (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) فالآية اشتملت على شريطة واستثناء ، والخلود والتأييد لا شرط فيه ولا استثناء[1]

ومنها قوله من أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده لأن العلم والمعرفة لا يزولان بالجحد فهو مؤمن ، قال والايمان لا يتبعض ، أى لا ينقسم إلى عقد وقول وعمل ، قال ولا يتفاضل أهله فيه ، فايمان الأنبياء ، وإيمان الأمة على نمط واحد ، إذ المعارف لا تتفاضل ، وكان السلف كلهم من أشد الرادين عليه ، ونسبته إلى التعطيل المحض ، وهو أيضا موافق للمعتزلة فى نفى الرؤية وإثبات خلق الكلام وإيجاب المعارف بالعقل قبل ورود الشرع

الكسب ولكن الله رمى من حيث الخلق والكسب ، خلقه خلقا لنفسه ، كسبا لعبده ، فهو مخلوق لله تعالى من وجهين (التبصير ص ٦٣)

(١) فمن ضلالاته أن الجنة والنار تفنيان كما تفنى سائر الأشياء ، لكنه عز وجل قادر بعد فنائهما على أن يخلق أمثالهما ، وعقيدة أهل السنة إنهم قالوا بتأييد الجنة ونعيمها وتأييد جهنم وعذابها وأكفروه فى قوله (التبصير ص ٦٤ والفرق بين الفرق ص ١٠٣ و ص ٣١٩)

النجـــارية

أصحاب الحسين بن محمد النجار وأكثر معتزلة، الرى[١] وما حواليها على مذهبه، وهم وإن اختلفوا أصنافا، إلا أنهم لم يختلفوا فى المسائل التى عددناها أصولا، وهم برغوثية[٢] وزعفرانية[٣] ومستدركة[٤]، وافقوا المعتزلة فى نفى الصفات من العلم والقدرة والارادة والحياة والسمع والبصر، ووافقوا الصفاقية، فى خلق الأعمال، قال النجار، البارى تعالى مريد لنفسه كما هو عالم لنفسه فالزم عموم التعلق فالتزم، وقال هو مريد الخير والشر والنفع والضر، وقال أيضا معنى كونه مريدا أنه غير مستكره ولا مغلوب، وقال هو خالق أعمال العباد خيرها وشرها حسنها وقبيحها، والعبد مكتسب لها وأثبت تأثيرا للقدرة الحادثة،

---

(١) الرى مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات وهى محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال من بلاد الفرس (معجم رابع ص ٣٥٥)

(٢) نسبة إلى محمد بن عيسى الملقب ببرغوث، الكاتب رأس البرغوثية ورد فى مختصر الفرق بين الفرق ص ١٢٦ وفى الفصل ثالث ص ٢٢ وجاء فى اعتقادات الرازى برغوسية بالسين وهو خطأ

(٣) وأما المذهب فهم الزعفرانية وهى فرقة من البخارية ينتمون الى رئيس لهم يقال له الزعفراني ومن مذهبهم أن القرآن محدث وان كلام الله غيره فهو مخلوق ويقولون مع ذلك أن القول بخلق القرآن كفر فيعتقدون المتناقض (اللباب ص ٥٠٣)

(٤) المستدركة، قوم من الزعفرانية سموا بهذا الاسم لأنهم زعموا انهم استدركوا على أسلافهم ما خفى عليهم (التبصير ص ٦٢)

وسمى ذلك كسبا على حسب ما يثبته الأشعرى ، ووافقه أيضا فى أن الاستطاعة مع الفعل ، وأما فى مسئلة الرؤية فأنكر رؤية الله تعالى بالأبصار وأحالها ، غير أنه قال يجوز أن يحول الله تعالى القوة التى فى القلب من المعرفة إلى العين فيعرف الله بها ، ويكون ذلك رؤية ، وقال بحدوث الكلام لكنه انفرد عن المعتزلة بأشياء

منها قوله إن كلام البارى تعالى إذا قرئ فهو عرض ، وإذا كتب فهو جسم ، ومن العجب أن الزعفرانية [1] قالت كلام الله غيره ، وكل ما هو غيره فهو مخلوق [2] ، ومع ذلك قالت كل من قال

---

(١) الزعفرانية اتباع الزعفرانى الذى كان بالرى وكان يعبر عن مذهبهم بعبارات متناقضة فكان يقول كلام الله تعالى غيره وإن كل ماهو غيره فهو مخلوق ثم كان يقول الكلب خير ممن يقول : إن كلام الله مخلوق ومن كان كلامه على هذا النمط كان الكلام فى عقله لا فى دينه . (التبصير ص ٦٢)

(٢) فأول أبو بكر قوما من أهل مكة ، على أن الروم تغلب فارس ، فغلبت الروم فارس فقرأها عليهم فقالوا يابن أبى قحافة ، كلامك هذا أم كلام صاحبك قال ليس بكلامى ولا كلام صاحبى ولكنه كلام الله عز وجل

قال فروة بن نوفل أخذ خباب بيدى فقال تقرب ما استطعت واعلم أنك لن تتقرب اليه بشىء أحب اليه من كلامه ، وقال ابن مسعود فى خطبة له ان أصدق الحديث كلام الله عز وجل ، وقال ان القرآن كلام الله تعالى فمن كذب على القرآن فانما يكذب على الله عز وجل ، وقال ابن عباس فى قوله عز وجل قرآنا عربيا غير ذى عوج ، قال غير مخلوق وقال عمر القرآن كلام الله وقال عثمان : لو أن قلوبنا طهرت ماشبعنا=

القرآن مخلوق فهو كافر ، ولعلهم إذا رأوا بذلك الاختلاف

=من كلام ربنا ، وأخذ على على تحكيمه فقال ماحكمت مخلوقا ما حكمت الا القرآن . وقد ثبت عن الصحابة إضافة القرآن إلى الله تعالى وتمجيده بأنه كلام الله تعالى ، وقد روى عن النبي صلعم أنه قال: ما تكلم العباد بكلام أحب إلى الله تعالى من كلامه وما أناب العباد إلى الله عز وجل بكلام أحب اليه من كلامه « يعني القرآن »

وقال الحسن كلام الله تعالى إلى القوة والصفاء . وأعمال بنى آدم إلى الضعف والتقصير ، قال عمرو بن دينار القرآن كلام الله ليس بمخلوق وسئل ابن راهويه عن القرآن ، فقال القرآن كلام الله وعلمه ، ووحيه ليس بمخلوق وعلى هذا مضى صدر هذه الأمة لم يختلفوا فى ذلك . فانه من الله ، واليه يعود ، كما قال . اليه يصعد الكلم الطيب ،سئل على بن الحسين عن القرآن ، فقال ليس بخالق ولا مخلوق وهو كلام الخالق ، وقال جعفر بن محمد الصادق من زعم أنه مخلوق ، يقتل ولا يستتاب ، وسئل مالك ابن أنس ماتقول فيمن يقول القرآن مخلوق فقال هو عندى كافر فاقتلوه . وقال القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، فالقرآن كلام الله وصفه ذاته . غير مخلوق ، ومن قال أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم ، وقال وكيع القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق ، فمن زعم أنه مخلوق . فقد زعم أن القرآن محدث ومن زعم أن القرآن محدث فقد كفر ، وقد كان من السلف من يرى بدعة القول بخلق القرآن من المقاتل ومن زعمها فهو زنديق وقد قال أبو حنيفة من قال القرآن مخلوق فهو كافر وقال الشافعي القرآن كلام الله غير مخلوق ولما كلمه حفص الفرد فقال القرآن مخلوق فقال الشافعى كفرت بالله العظيم ، وكتب بشر إلى منصور بن عمار ، أخبرنى ، القرآن خالق أو مخلوق فكتب اليه ، عافانا الله وإياك من كل الفتنة وجعلنا وإياك من أهل السنة والجماعة ، فانه ان يفعل فأعظم به من نعمة ، وإلا فهى الهلكة وليست لأحد على الله تعالى بعد المرسلين حجة نحن نرى أن الكلام فى القرآن بدعة يشارك فيها السائل والمجيب ، تعاطى السائل ماليس له ، وتكلف المجيب ماليس عليه ، وما أعرف خالقا إلا الله ومادون الله فمخلوق والقرآن كلام

وإلا فالتناقض ظاهر ، والمستدركة (١) منهم زعموا أن كلامه غيره وهو مخلوق لكن النبي صلى الله عليه وسلم قال (كلام الله غير مخلوق) والسلف أجمعت على هذه العبارة . فوافقناهم وحملنا قولهم غير مخلوق أي على هـــذا الترتيب والنظم من الحروف والأصوات، بل هو مخلوق على غير هذه الحروف بعينها ، وهذه حكاية عنها . وحكى الكعبي عن النجار أنه قال البارى تعالى بكل مكان ذاتا ووجودا ، لا على معنى العلم والقدرة ، والزمه محالات على ذلك ، وقال في المفكر قبل ورود السمع مثل ماقالت المعتزلة أنه يجب عليه تحصيل المعرفة بالنظر والاستدلال ، وقال في الايمان أنه عبارة عن التصديق ،

الله عز وجل فانه بنفسك وبالمختلفين فيه معك إلى أسمائه التي سماه الله تعالى بها تكن من المهتدين ولا تسم القرآن باسم من عندك فتكون من الضالين جعلنا الله واياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون

ولقد كفر السلف الصالح من قال بخلق القرآن ، لأن القول بهذا يؤدى إلى أن القرآن محدث ، وقيام الحادث به تعالى يستلزم نفي الصانع لأن مايكون محلا للحادث يكون حادثا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فالقرآن كلام الله قائم به قديم بقدمه ، ليس بحرف ولاصوت حتى يلزم كون الله محلا للحوادث تعالى الله عما يصفون (الأسماء والصفات ص ٢٣٩)

(١) المستدركة ، افترقوا فرقتين ، فقالت فرقة منهم أن النبي ﷺ قال : كلام الله تعالى مخلوق ، وقالوا قاله على هذا الترتيب بهذه الحروف ، وقالوا وكل من لم يقل ان النبي صلعم قال هذا فهو كافر ، وقالت الفرقة الأخرى أن النبي صلعم لم يقل أن كلام الله تعالى مخلوق ، ولم يتكلم بهذه الكلمة على هذا الترتيب ولكنه يعتقد أن كلام الله تعالى مخلوق وتكلم بكلمات تدل على أن القرآن مخلوق . (التبصير ص ٦٢)

ومن ارتكب كبيرة ومات عليها من غير توبة عوقب على ذلك ، ويجب أن يخرج من النار ، فليس من العدل التسوية بينه وبين الكفار فى الخلود ، ومحمد[١] بن عيسى الملقب ببرغوث وبشر[٢] بن غياث المريسى والحسين النجار متقاربون فى المذهب وكلهم أثبتوا كونه تعالى مريدا لم يزل لكل ما علم أنه سيحدث من خير وشر وإيمان وكفر وطاعة ومعصية وعامة المعتزلة يأبون ذلك

الضـــرارية

أصحاب ضرار بن عمرو وحفص الفرد واتفاقهما فى التعطيل أنهما قالا البارى تعالى عالم قادر على معنى أنه ليس بجاهل ولا عاجز ، وأثبتا لله تعالى ماهية لا يعلمها إلا هو ، وقالا إن هذه المقالة محكية عن أبى حنيفة[٣] رحمه الله ،

(١) محمد بن عيسى ، وبرغوث لقب به ، وكان على مذهب النجار فى أكثر مذاهبه وخالفه فى تسمية المكتسب فاعلا ، وفى الفرق بين الفرق أن النجارية ثلاث فرق البرغوثية والزعفرانية والمستدركة (الفرق بين الفرق ص ١٩٧)

(٢) أبو عبد الرحمن بشر بن غياث المريسى الفقيه الحنفى المتكلم ، هو من موالى زيد بن الخطاب أخذ الفقه من أبى يوسف إلا أنه اشتغل بالكلام ، وجرد القول بخلق القرآن ، وحكى عنه أقوال شنيعة وكان مرجئا وإليه تنسب المريسيه وكان يناظر الامام الشافعى توفى سنة ٢١٨ (ابن خلكان أول ص ١١٣)

(٣) أبو حنيفة النعمان بن ثابت الامام الفقيه الكوفى ، كان عالما عاملا زاهدا عابدا ورعا تقيا كثير الخشوع دائم التضرع إلى الله تعالى توفى سنة ١٥٠ (ابن خلكان ثانى ص ٢١٥)

وجماعة من أصحابه وأراد بذلك أنه يعلم نفسه شهادة لا بدليل ولا خبر ونحن نعلمه بدليل وخبر ، وأثبتا حاسة سادسة للانسان يرى بها البارى تعالى يوم الثواب فى الجنة . وقالا أفعال العباد مخلوقة للبارى تعالى حقيقة والعبد يكتسبها حقيقة ، وجوزوا حصول فعل بين فاعلين ، وقالا يجوز ان يقلب الله الأعراض أجساما ، والاستطاعة (عجزا) والعجز بعض الجسم وهو جسم ، ولا محالة تبقى زمانين وقالا الحجة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاجماع فقط فما ينقل عنه فى أحكام الدين من أخبار الآحاد فغير مقبول(١) .

ويحكى عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله(٢) بن مسعود

---

(١) أما حقيقة هذه الاضافة فى اللغة فأنه خبر واحد وإن الرواى له واحد فقط لا اثنان ولا أكثر من ذلك ، غير أن الفقهاء والمتكلمين قد تواضعوا علي تسمية كل خبر قصر على إيجاب العلم بأنه خبر واحد . وسواء عندهم رواه الواحد أو الجماعة التى تزيد على الواحد

وهذا الخبر لايوجب العلم ولكن يوجب العمل ان كان ناقله عدلا ولم يعارضه ماهو أقوى منه فمتى صح اسنادها وكانت متونها غير مستحيلة فى العقل كانت موجبة للعمل بها دون العلم وكانت بمنزلة شهادة العدول عند الحاكم فى أن يلزمه الحكم بها فى الظاهر وإن لم يعلم صدقهم فى الشهادة ، وبهذا النوع من الخبر أثبت الفقهاء أكثر فروع الأحكام الشرعية فى العبادات والمعاملات وسائر أبواب الحلال والحرام وضللوا من أسقط وجوب العمل بأخبار الآحاد (التمهيد ص ١٩٤ والفرق بين الفرق ص ٣١٢)

(٢) عبدالله بن مسعود الهذلى احد القراء الأربعة من السابقين ؛ ومن علماء الصحابة هاجر الهجرتين ، وصلي إلي القبلتين وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة ، وكان صاحب نعل رسول الله ، وقد قال ﷺ لو كنت مؤمرا أحدا

وحرف أبى(١) بن كعب ويقطع بأن الله تعالى لم ينزله(٢) وقال فى

من غير مشورة لأمرت ابن أم عبد » وكان أول من جهر بالقرآن بمكة ، وقد كان أقرب الناس هديا ودلا وسمتا برسول الله ﷺ ، ومن أقربهم إلى الله زلفى وسيره عمر إلى الكوفة وكتب إلى أهلها : إنى قد بعثت عمار ابن ياسر أميرا وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا وهما من النجباء ، من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أهل بدر فاقتدوا بهما واطيعوا واسمعوا قولهما وقد آثرتكم بعبد الله على نفسى ، توفى سنة اثنين وثلاثين (أسد الغابة ثالث ص ٢٥٧ شذرات أول ص ٣٨)

(١) ابى بن كعب بن قيس الانصارى الخزرجى أول من كتب لرسول الله ﷺ مقدمه المدينة : سيد القراء ، وهو أحد الاربعة الذين جمعوا القرآن أمر الله نبيه أن يقرأ عليه سورة لم يكن وسماه له وناهيك بها وقال له ليهنك العلم يا أبا المنذر فكناه بها ، كما كناه عمر ، بابنه الطفيل . وكان عمر يقول أبى سيد المسلمين ، وقال النبى ﷺ ارحم أمتى بامتى أبو بكر وأشدهم فى دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبى بن كعب ولكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح ، وقد اختلف فى تاريخ وفاته وترجح عندى انه مات فى خلافة عثمان سنة ثلاثين (أسد الغابة أول ص ٤٩ وتهذيب التهذيب أول ص ١٨٧ شذرات أول ص ٣٢)

(٢) قراءة ابن مسعود هى قراءة عاصم بن بهدله ابي النجود شيخ الاقراء بالكوفة ، وقد أقراها أبابكر بن عياش ، وهي القراءة التى كان يعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود ، وفى تاريخ المصاحف بيان لحروف ابن مسعود ، ومصحفه ، أما قراءة ابى فقد أخذ بها عبدالله بن حبيب أبو عبدالرحمن السلمى مقرىء الكوفة واليه انتهت القراءة تجويدا وضبطا وممن أخذ عنه عاصم ، وبتاريخ المصاحف بيان لمصحفه ، والقراءتان متوافرتان ولهما قراءة تجرى مجرى التفسير المشهور . وانكار حرف منهما يكون انكارا لبعض القرآن ، وانكار بعضه كانكار كله ، وهو كفر فوق ما فيه من نسبته اليهما

المنكر قبل ورود السمع ، أنه لا يجب عليه شيء بعقله حتى يأتيه الرسول فيأمره وينهاه ، ولا يجب على الله تعالى شيء بحكم العقل .

وزعم ضرار أيضا أن الامامة تصلح فى غير قريش حتى إذا اجتمع قرشي و نبطي قدمنا النبطي ، اذ هو أقل عددا وأضعف وسيلة فيمكننا خلعه إذا خالف الشريعة .

والمعتزلة وان جوزوا الامامة فى غير قريش الا أنهم لا يقدمون النبطى على القرشى .

الصفاتية

اعلم أن جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر ، والكلام والجلال والاكرام والجود والانعام والعزة والعظمة ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقا واحدا . وكذلك يثبتون صفات جبرية ، مثل اليدين ، والرجلين ، (والوجه) ولا يؤولون ذلك إلا أنهم يقولون بتسميتها صفات جبرية ،

الافتيات على الله فى مصحفيهما

ولقد زاد فى غلوائه فشك فى جميع عامة المسلمين وقال لا أدرى لعل سرائر العامة كلها شرك وكفر . وهذا خلاف اجماع أهل السنة حيث قالوا . انا نقطع ان فى عوام المسلمين مؤمنين عارفين براء من الكفر والشرك (غاية النهاية أول ص ٣٤٧ و ص ٤١٣ وتاريخ المصاحف ص ٥٣ وص ٥٤ والفرق من الفرق ص ٢٠٢ والتبصير ص ٣٣)

ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون ، سمى السلف صفاتية ، والمعتزلة معطلة ، فبلغ بعض السلف فى إثبات الصفات إلى حـد التشبيه بصفات المحدثات . واقتصر بعضهم على صفات دلت الأفعال عليها ، وما ورد به الخبر فافترقوا فيه فرقتين ، منهم من أولها على وجه يحتمل اللفظ ذلك ، ومنهم من توقف فى التأويل ، وقال عرفنا بمقتضى العقل أن الله تعالى ليس كمثله شيء ، فلا يشبه شيئا من المخلوقات ، ولا يشبهه شيء منها ، وقطعنا بذلك إلا أنا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه مثل قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) ومثل قوله (خلقت بيدى) ومثل قوله (وجاء ربك) إلى غير ذلك . ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها ، بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بأنه لا شريك له وليس كمثله شيء ، وذلك قد أثبتناه يقينا ، ثم إن جماعة من المتأخرين زادوا على ما قاله السلف فقالوا لابد من اجرائها على ظاهرها والقول بتفسيرها كما وردت من غير تعرض للتأويل ولا توقف فى الظاهر . فوقعوا فى التشبيه الصرف ، وذلك على خلاف ما اعتقده السلف ، ولقد كان التشبيه صرفا خالصا فى اليهود لعنهم الله ، لافى كلهم ، بل فى القرائين[١] منهم إذ أوجدوا فى التوراة

---

(١) القراءون ، فرقة من اليهود ، وهم بنو مقرا ومعنى مقرا الدعوة ، وهم يحكمون نصوص التوراة ولا يلتفتون إلى قول من خالفها ويقفون مع النص دون تقليد من سلف وهم مع الربانيين من العداوة بحيث لا يتناكحون ولا يتجاورون ، ولا يدخل بعضهم كنيسة بعض (خطط المقريزى رابع ص ٣٦٩)

ألفاظا تدل على ذلك ، ثم الشيعة فى هذه الشريعة وقعوا فى غلو وتقصير ، أما الغلو فتشبيه بعض أئمتهم بالاله تعالى الله وتقدس ، وأما التقصير فتشبيه الاله بواحد من الخلق ، ولما ظهرت المعتزلة والمتكلمون من السلف رجعت بعض الروافض عن الغلو والتقصير ، ووقعت فى الاعتزال ، وتخطت جماعة من السلف إلى التفسير الظاهر ، فوقعت فى التشبيه .

أما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل ولا استهدفوا للتشبيه ، فمنهم مالك[1] بن أنس رضى الله عنه إذ قال الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة[2]

---

(١) الامام أبو عبدالله مالك بن أنس الاصبحى المدنى أمام دار الهجرة واحد الأئمة الاعلام قال ما أفتيت حتى شهد لى سبعون أني أهل لذلك وقل رجل كنت أتعلم منه ومات حتى يستفتيني ، وكان على ضعفه وكبر سنه لا يركب فى المدينة ويقول : لا أركب فى بلد فيه جسد رسول الله ﷺ مدفون ، وقال الشافعى رضى الله عنه إذا ذكر العلماء فمالك النجم ، توفى بالمدينة ودفن بالبقيع سنة تسع وسبعين ومائة (شذرات أول ص٢٨٩)

(٢) قال يحيى بن يحيى ، كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى فكيف استوى ، فاطرق مالك رأسه ، حتى علاه الرحضاء ثم قال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا فأمر به أن يخرج ، وسئل ربيعة الرأى عن قول الله تبارك وتعالى (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى قال الكيف مجهول والاستواء غير معقول ويجب على وعليك الايمان بذلك كله ، وقال سفيان بن عيينه : كل ما وصف الله تعالى من نفسه فى كتابه ، فتفسيره تلاوته والسكوت عليه وما أحسن ماذهب اليه متاخرو =

ومثل أحمد[١] بن حنبل وسفيان[٢] وداود[٣] الأصفهانى ومن تابعهم ، حتى انتهى الزمان ، إلى عبد الله بن سعيد الكلابى وأبى العباس القلانسى والحرث بن أسد المحاسبي ، وهؤلاء كانوا من جملة السلف إلا أنهم باشروا علم الكلام وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية ، وبراهين أصولية ، وصنف بعضهم ودرس بعض ، حتى جرى بين أبى الحسن الأشعرى وبين أستاذه[٤] مناظرة فى مسئلة من مسائل الصلاح والأصلح فتخاصما

= أهل السنة ، إلى أن الاستواء هو القهر والغلبة ، وذلك شائع فى اللغة قال الشاعر فى بشر بن مروان

قد استوى بشر على العراق ‏ ‏ ‏ ‏ من غير سيف ولا دم مهراق

يريد انه غلب أهله من غير محاربة (الاسماء والصفات ص ٤٠٥)

(١) الامام أحمد بن محمد بن حنبل الذهلي الشيبانى ، أحد الاعلام ، وكان إماما فى الحديث وضروبه إماما فى الفقه ودقائقه إماما فى السنة ودقائقها إماما فى الورع وغوامضه إماما فى الزهد وحقائقه توفى سنة إحدى وأربعين ومائتين (شذرات ثان ص ٩٦)

(٢) سفيان بن سعيد الثورى الفقيه سيد أهل زمانه علما وعملا ، ومات سفيان بالبصرة متواريا وكان صاحب مذهب وقد وجد فى القرن الرابع سفيانيون توفى سنة إحدى وستين ومائة (شذرات أول ص ٢٥٠)

(٣) الامام داود بن على الاصفهانى ثم البغداوى الفقيه الظاهرى صاحب التصانيف ، وكان حافظا مجتهدا أمام اهل الظاهر . وكان زاهدا متقللا كثير الورع توفى سنة سبعين ومائتين (شذرات ثان ص ١٥٨)

(٤) استاذه ابو على الجبائى ، أخذ عنه علم الجدل والنظر ومما يبيض وجوه اهل السنة وابان به وجه الحق إلا بلج مناظرته مع شيخه الجبائى التى بها قصم ظهر كل مبتدع مراء (شذرات ثان ص ٣٠٣)

وانحاز الأشعرى إلى هذه الطائفة، فأيد مقالتهم بمناهج كلامية، وصار ذلك مذهبا لأهل السنة والجماعة، وانتقلت سمة الصفاتية إلى الأشعرية ولما كانت المشبهة والكرامية من مثبتى الصفات عددناهم فرقتين من جملة الصفاتية .

الأشعرية

الأشعرية أصحاب أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى المنتسب إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما ، وسمعت من عجيب الاتفاقات أن أبا موسى الأشعرى كان يقرر بعينه ما يقرره الأشعرى فى مذهبه ؛ وقد جرت مناظرة بين عمرو بن العاص وبينه فقال عمرو ان أجد أحدا اخاصم اليه ربى ، فقال أبو موسى أنا ذلك المتحاكم إليه ، قال عمرو يقدر على شيئا ثم يعذبنى عليه قال نعم ، قال عمرو ولم ، قال لانه لا يظلمك فسكت عمرو ولم يحر جوابا .

قال الأشعرى الانسان إذا فكر فى خلقته من أي شيء ابتدأ وكيف دار فى أطوار الخلقة كورا بعد كور ، حتى وصل إلى كمال الخلقة وعرف يقينا أنه بذاته لم يكن ليدبر خلقته ، ويبلغه من درجة إلى درجة ، ويرقيه من نقص إلى كمال ، عرف بالضرورة أن له صانعا قادرا عالما مريدا ، اذ لا يتصور صدور هذه الأفعال المحكمة من طبع لظهور آثار الاختيار فى الفطرة . وتبين آثار الإحكام والاتقان فى الخلقة فله صفات دلت أفعاله عليها لا يمكن جحدها . وكما دلت الأفعال على

كونه عالما قادرا مريدا ، دلت على العلم والقدرة والارادة لأن وجه الدلالة لا يختلف شاهدا وغائبا .

وأيضا لا معنى للعالم حقيقة الا أنه ذو علم ، ولا للقادر إلا أنه ذو قدرة ، ولا للمريد إلا أنه ذو إرادة ، فيحصل بالعلم الإحكام والإتقان ، ويحصل بالقدرة الوقوع والحدوث ، ويحصل بالارادة التخصص بوقت دون وقت ، وقدر دون قدر ، وشكل دون شكل ، وهذه الصفات لن يتصور أن يوصف بها الذات إلا وأن يكون الذات حيا بحياة للدليل الذى ذكرناه ، وألزم منكرى الصفات الزاما لا محيص لهم عنه ، وهو انكم وافقتمونا إذ قام الدليل على كونه عالما قادرا فلا يخلو اما أن يكون المفهومان من الصفتين واحدا أو زائدا ، فان كان واحدا فيجب أن يعلم بقادريته ، ويقدر بعالميته ، ويكون من علم الذات مطلقا علم كونه عالما قادرا ، وليس الأمر كذلك فعرف أن الاعتبارين مختلفان ، فلا يخلو اما أن يرجع الاختلاف إلى مجرد اللفظ وإلى الحال وإلى الصفة وبطل رجوعه إلى اللفظ المجرد ، فان العقل يقضى باختلاف مفهومين معقولين لو قدر عدم الالفاظ رأسا ما ارتاب فيما يصوره وبطل رجوعه إلى الحال فان إثبات صفة لا توصف بالوجود ولا بالعدم إثبات واسطة بين الوجود والعدم والاثبات والنفى وذلك محال ، فتعين الرجوع إلى صفة قائمة بالذات ، وذلك مذهبه .

على أن القاضى أبا بكر الباقلانى[1] من أصحاب الأشعري ، قد رد قوله فى إثبات الحال ونفيها وتقرر رايه على الاثبات ، ومع ذلك أثبت الصفات معانى قائمة به لا أحوالا ، وقال الحال الذى أثبته أبو هاشم هو الذى نسميه صفة ، خصوصا إذا أثبت حالة أوجبت تلك الصفات

قال أبو الحسن البارى تعالى عالم بعلم ، قادر بقدرة ، حى بحياة ، مريدا بارادة ، متكلم بكلام ، سميع بسمع ، بصير ببصر وله فى البقاء اختلاف رأى قال وهذه صفات أزلية قائمة بذاته ، لا يقال هى هو ولا غيره ، ولا لاهو ولا لاغيره .

والدليل على أنه متكلم بكلام قديم ، ومريد بارادة قديمة قال قام الدليل على أنه تعالى ، ملك والملك من له الأمر والنهى ، فهو آمر ناه ، فلا يخلو اما أن يكون آمرا بأمر قديم أو بأمر محدث ، فان كان محدثا فلا يخلو اما أن يحدثه فى ذاته ، أو فى محل أولا فى محل ويستحيل أن يحدثه فى ذاته ، لأنه يؤدى إلى أن يكون محلا للحوادث ، وذلك محال ويستحيل أن يكون فى محل لأنه يوجب أن يكون المحل به موصوفا ، ويستحيل أن يحدثه لافى محل لأن ذلك غير معقول ، فتعين أنه قديم قائم به صفة له .

---

(١) القاضى ابو بكر محمد بن الطيب ، المعروف بالباقلانى المتكلم المشهور كان على مذهب الشيخ ابى الحسن الاشعرى . ومؤيدا اعتقاده وناصرا طريقته وقد صنف التصانيف الكثيرة المشهورة فى علم الكلام وغيره وكان فى علمه اوحد زمانه توفى سنة ٤٠٣ (ابن خلكان اول ص ٦٠٩)

وكذلك التقسيم فى الارادة والسمع والبصر قال ، وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات المستحيل والجائز والواجب ، والموجود والمعدوم ، وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصح وجوده من الجائزات وإرادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الصفات وكلامه واحد هو أمر ونهى ، وَخبر واستخبار ، ووعد ووعيد ، وهذه الوجوه ترجع إلى اعتبارات فى كلامه لا إلى عدد فى نفس الكلام .

والعبارات والألفاظ المنزلة على لسان الملائكة إلى الأنبياء عليهم السلام دلالات على الكلام الأزلى ، والدلالة مخلوقة محدثة والمدلول قديم أزلى ، والفرق بين القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو ، كالفرق بين الذكر والمذكور ، فالذكر محدث والمذكور قديم[1] .

(١) قال الله جل ثناؤه . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ، وقال والطور وكتاب مسطور فى رق منشور ، وقال جل وعلا . بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وقال تعالي وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله وقال عز وجل . قل اوحي الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا . فالقرآن الذى نتلوه كلام الله تعالي وهو متلو بالسنتنا على الحقيقة ، مكتوب فى مصاحفنا ، محفوظ فى صدورنا ومسموع باسماعنا ، غير حال فى شىء منها ، إذ هو من صفات ذاته ، غير بائن منه ، وهو كما ان البارى عز وجل معلوم بقلوبنا مذكور بالسنتنا ، مكتوب فى كتبنا معبود فى مساجدنا مسموع باسماعنا ، غير حال فى شىء منها واما قراءتنا ، وكتبنا وحفظنا فهي من اكتسابنا ، واكسابنا مخلوق لاشك فيه قال الله عز وجل ، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وسمى رسول الله ﷺ تلاوة القرآن فعلا (الاسماء والصفات ص ٢٥٨)

وخالف الأشعرى بهذا التدقيق جماعة من الحشوية إذ قضوا بكون الحروف والكلمات قديمة ، والكلام عند الأشعرى معنى قائم بالنفس سوى العبارة بل العبارة دلالة عليه من الانسان ، فالمتكلم عنده من قام به الكلام . وعند المعتزلة من فعل الكلام ، غير أن العبارة تسمى كلاما ، إما بالمجاز وإما باشتراك اللفظ ، قال وإرادته واحدة قديمة أزلية متعلقة بجميع المرادات من أفعاله الخاصة ، وأفعال عباده من حيث أنها مخلوقة لا من حيث أنها مكتسبة لهم ، فمن هذا قال أراد الجميع خيرها وشرها ونفعها ، وضرها وكما أراد وعلم أراد من العباد ماعلم . وأمر القلم حتى كتب فى اللوح المحفوظ . فذلك حكمه وقضاؤه وقدره الذى لا يتغير ولا يتبدل . وخلاف المعلوم مقدور الجنس محال الوقوع . وتكليف ما لا يطاق جائز على مذهبه ، للعلة التى ذكرنا ، ولأن الاستطاعة عنده عرض ، والعرض لا يبقى زمانين ، فى حال التكليف لا يكون المكلف قط قادرا ، ولأن المكلف لن يقدر على إحداث ما أمر به ، فاما أن يجوز ذلك فى حق من لا قدرة له أصلا على الفعل فمحال ، وإن وجد ذلك منصوصا عليه فى كتابه ، قال والعبد قادر على أفعال العباد ، إذ الانسان يجد من نفسه تفرقة ضرورية بين حركات الرعدة والرعشة وبين حركات الاختيار والارادة . والتفرقة راجعة إلى أن الحركات الاختيارية حاصلة (بحيث أن القدرة تكون متوقفة) على اختيار القادر ، فمن هذا قال المكتسب هو المقدور بالقدرة الحادثة

والحاصل تحت القدرة الحادثة ، ثم على أصل أبى الحسن ، لا تأثير للقدرة الحادثة فى الأحداث ، لأن جهة الحدوث قضية واحـــدة لا تختلف بالنسبة إلى الجوهر والعرض ، فلو أثرت فى قضيه الحدوث لأثرت فى حدوث كل محدث ، حتى يصلح لأحداث الألوان والطعوم والروائح ، ويصلح لاحداث الجواهر والأجسام ، فيؤدى إلى تجويز وقوع السماء والارض بالقدرة الحادثة ، غير أن الله تعالى أجرى سنته بأن يخلق عقيب القدرة الحادثة أو تحتها ومعها الفعل الحاصل إذا أراده العبد وتجرد له ، ويسمى هذا الفعل كسبا ، فيكون خلقا من الله تعالى ، إبداعا وإحداثا وكسبا من العبد : (مجعولا) تحت قدرته

والقاضى أبو بكر الباقلانى تخطي عن هذا القدر قليلا ، فقال الدليل قد قام على أن القدرة الحادثة لا تصلح للايجاد ، ولكن ليست تقتصر صفات الفعل أو وجوهه واعتباراته على جهة الحدوث فقط ، بل هاهنا وجوه أخر وراء الحدوث ، من كون الجوهر جوهرا متحيزا قابلا للعرض ، ومن كونه العرض عرضا ولونا وسوادا وغير ذلك ، وهذه أحوال عند مثبتى الأحوال

قال فجهة كون الفعل حاصلا بالقدرة الحادثة أو تحتها نسبة خاصة يسمى ذلك كسبا ، وذلك هو أثر القدرة الحادثة ، قال فاذا جاز على أصل المعتزلة أن يكون تأثير القدرة أو القادرية القديمة فى حال هو الحدوث والوجود ، أو فى وجه من وجوه الفعل ، فلم لا يجوز أن يكون تأثير

القدرة الحادثة فى حال هى صفة للحادث ، أو فى وجه من وجوه الفعل وهو كون الحركة مثلا على هيئة مخصوصة وذلك أن المفهوم من الحركة مطلقا ، ومن العرض مطلقا غير والمفهوم ، من القيام والقعود غير ، وهما حالتان متمايزتان فان كل قيام حركة ، وليس كل حركة قياما ، ومن المعلوم أن الانسان يفرق فرقا ضروريا بين قولنا أوجد ، وبين قولنا صلى وصام ، وقعد وقام ، وكما لا يجوز أن يضاف إلى البارى تعالى جهة ما يضاف إلى العبد ، فكذلك لا يجوز أن يضاف إلى العبد جهة ما يضاف إلى البارى تعالى ، فأثبت القاضى تأثيرا للقدرة الحادثة وأثرها هى الحالة الخاصة ، وهى جهة من جهات الفعل حصلت من تعلق القدرة الحادثة بالفعل ، وتلك الجهة هى المتعينة ، لأن تكون مقابلة بالثواب والعقاب ، فان الوجود من حيث هو وجود ، لا يستحق عليه ثواب وعقاب ، خصوصا على أصل المعتزلة ، فان جهة الحسن والقبح هى التى تقابل بالجزاء ، والحسن والقبح صفتان ذاتيتان وراء الوجود فالموجود من حيث هو موجود ليس بحسن ولا قبيح ، قال فاذا جاز لكم إثبات صفتين هما حالتان ، جاز لى إثبات حالة هى متعلقة القدرة الحادثة ، ومن قال هى حالة مجهولة ، فبيّنا بقدر الامكان جهتها ، وعرفناها إش[1] هى ، ومثلناها كيف هى .

---

(١) ايش عربية عامية منحوتة من أى شىء ، وقيل ايش في معنى أى شىء كما يقال ويلمه فى معنى ويل لامه على الحذف لكثرة الاستعمال

ثم ان إمام الحرمين أبا المعالى[1] الجوينى قدس الله روحه ، تخطى عن هـذا البيان قليلا ، قال أما نفى القدرة والاستطاعة مما يأباه العقل والحس . وأما إثبات قدرة لا أثر لها بوجه فهى كنفى القدرة أصلا ، وأما إثبات تأثير فى حالة لا تعقل كنفى التأثير ، خصوصا والأحوال على أصلهم لا توصف بالوجود والعدم ، فلا بد إذاً من نسبة فعل العبد إلى قدرته حقيقـة لا على وجه الاحـداث والخلق ، فان الخلق يشعر باستقلال إيجاده من العـدم ، والانسان كما يحس من نفسه الاقتدار يحس من نفسه أيضا عـدم الاستقلال ، فالفعـل يستند وجوداً إلى القدرة ، والقدرة تستند وجودا إلى سبب آخر يكون نسبة القدرة إلى ذلك السبب كنسبة الفعـل إلى القدرة ، وكذلك يستند سبب إلى سبب ، حتى ينتهى إلى مسبب الأسباب ، فهو الخالق للأسباب ومسبباتها . المستغنى على الاطلاق ، فان كل سبب ، مستغن من وجه محتاج من وجه ، والبارى تعالى هو الغنى المطلق الذى لا حاجة له ولا فقر ، وهذا الرأى إنما أخذه من الحـكماء الالهيين . وأبرزه فى معرض الـكلام ، وليس يختص نسبة السبب إلى السبب على أصلهم بالفعل

---

(١) ابو المعالى عبد الملك بن عبد الله الجوينى الفقيه الشافعى الملقب ضياء الدين المعروف بامام الحرمين أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعى وقد أجمع على امامته ، وغزارة مادته وتفننه فى العـلوم من الأصول والفروع والأدب وغير ذلك ، وله مصنفات كثيرة توفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة (ابن خلـكان أول ص ٣٦١)

والقدرة ، بل كل ما يوجد من الحوادث . فذلك حكمه ، وحينئذ يلزم القول بالطبع ، وتأثير الأجسام فى الأجسام إيجادا ، وتأثير الطبائع فى الطبائع إحداثا . وليس ذلك مذهب الاسلاميين ، كيف ورأى المحققين من الحكماء أن الجسم لا يؤثر فى إيجاد الجسم ، قالوا الجسم لا يجوز أن يصدر عن جسم ، ولا عن قوة ما فى جسم ، فان الجسم مركب من مادة وصورة ، فلو أثر لأثر من جهته ، أعنى بمادته وصورته . والمادة لها طبيعة عدمية ، فلو أثرت لأثرت بمشاركة العدم ، والثانى محال ، فالمقدم إذاً محال ، فنقيضه حق ، وهو أن الجسم وقوة ما فى جسم لا يجوز أن يؤثر فى جسم ، وتخطى من هو أشد تحققا . وأغوص تفكرا عن الجسم وقوة فى الجسم إلى كل ما هو جائز بذاته فقال كل ما هو جائز بذاته . لا يجوز أن يحدث شيئا ما ، فانه لو أحدث لأحدث بمشاركة الجواز ، والجواز له طبيعة عدمية ، فلو خلى الجائز وذاته كان عدما فلو أثر الجواز بمشاركة العدم لأدى إلى أن يؤثر العدم فى الوجود وذلك محال ، فاذاً لا يوجد على الحقيقة إلا واجب الوجود بذاته . وما سواه من الأسباب معدات لقبول الوجود . لا محدثات لحقيقة الوجود ، ولهذا شرح سنذكره .

فمن العجب أن مأخذ كلام الامام أبى المعالى إذا كان بهذه المثابة فكيف يمكن إضافة الفعل إلى الأسباب حقيقة ، هذا ونعود إلى كلام صاحب المقالة .

قال أبو الحسن الأشعرى إذا كان الخالق على الحقيقة هو البارى تعالى لا يشاركه فى الخلق غيره ، فأخص وصفه تعالى هو القدرة على الاختراع . قال وهذا هو تفسير اسمه تعالى الله . وقال أبو إسحاق الاسفراينى [١] أخص وصفه ، وهو كون يوجب تمييزه على الأكوان كلها ، وقال بعضهم نعم يقينا ان ما من موجود إلا ويتميز عن غيره بأمر ما ، وإلا فيقتضى أن تكون الموجودات كلها مشتركة متساوية والبارى تعالى موجود ، فيجب أن يتميز عن سائر الموجودات بأخص وصف . إلا أن العقل لا ينتهى إلى معرفة ذلك الأخص ولم يرد به سمع فيتوقف ، ثم هل يجوز أن يدركه العقل ففيه خلاف أيضا وهذا قريب من مذهب ضرار ، غير أن ضرارا أطلق لفظ الماهية ، وهو من حيث العبارة منكر .

ومن مذهب الأشعري أن كل موجود فيصح أن يري ، فان المصحح للرؤية إنما هو الوجود ، والبارى تعالى موجود ، فيصح أن يرى ، وقد ورد فى السمع أن المؤمنين يرونه فى الآخرة [٢] قال الله

---

(١) ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الاسفرايني الملقب بركن الدين الفقيه الشافعى المتكلم الأصولى ، أحد من بلغ حد الاجتهاد من العلماء لتبحره فى العلوم واستجماعه شرائط الامامه وله كتاب جامع الحلى فى أصول الدين والرد على الملحدين ، بنيت له المدرسه المشهورة بنيسابور توفى سنة ثمانى عشرة واربعمائة (ابن خلكان أول ص ٤)

(٢) قال علماء أهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا

=وأجمعوا على وقوعها في الآخرة ، وأن المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى ، كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وما ذهبت اليه المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة ان الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا ، وهذا الذي قالوه ، خطأ صريح ، وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى ، وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله ﷺ وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها اجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة وكذلك باقي شبههم ، وأجوبتها مشهورة مستفاضة في كتب الكلام ، وما اتى به ثمت ، ثم مذهب أهل الحق ان الرؤية قوة يجعلها الله في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الاشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك هذا وقد روى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله ﷺ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة وقال جرير بن عبد الله ، كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وعن أبي هريرة أن ناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله ﷺ هل تضارون في القمر ليلة البدر قالوا لا يارسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يارسول الله قال رسول الله فانكم سترونه كذلك وعن صهيب أن رسول الله ﷺ قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيئا أزيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ، قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى ، والاحاديث في هذا الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله اعلم (لباب التأويل سابع ص ١٥٤)

تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) إلى غير ذلك من الآيات والأخبار .

قال ولا يجوز أن يتعلق به الرؤية على جهة ومكان وصورة ومقابلة واتصال شعاع ، أو على سبيل انطباع ، فان ذلك مستحيل .
وله قولان فى ماهية الرؤية .

أحدهما أنه علم مخصوص ويعنى بالخصوص أنه يتعلق بالوجود دون العدم .

والثانى أنه إدراك وراء العلم لا يقتضى تأثيرا فى المدرك ولا تأثيرا عنه .

وأثبت السمع والبصر للبارى تعالى صفتين هما إدراكان وراء العلم يتعلقان بالمدركات الخاصة بكل واحد بشرط لوجود .

وأثبت اليدين والوجه صفات جبرية ، فنقول ورد بذلك السمع فيجب الاقرار به ، كما ورد ووصفوه ، إلى طريقة السلف من ترك التعرض للتأويل ، وله قول أيضا فى جواز التأويل ، ومذهبه فى الوعد والوعيد والأسماء والأحكام والسمع والعقل مخالف المعتزلة من كل وجه .

قال الايمان هو التصديق بالقلب ، وأما القول باللسان والعمل على الاركان ففروعه ، فمن صدق بالقلب أى أقر بوحدانية الله تعالى ، واعترف بالرسل تصديقا لهم فيما جاؤا به من عند الله تعالى بالقلب ،

صح إيمانه، حتى لو مات فى الحال كان مؤمناً ناجيا، ولا يخرج من الايمان إلا بانكار شىء من ذلك. وصاحب الكبيرة إذا خرج من الدنيا من غير توبة يكون حكمه إلى الله تعالى، اما أن يغفر له برحمته واما أن يشفع فيه النبي صل الله عليه وسلم، إذ قال (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى)، واما أن يعذبه بمقدار جرمه ثم يدخله الجنة برحمته ولا يجوز أن يخلد فى النار مع الكفار، لما ورد به السمع من إخراج من كان فى قلبه ذرة من الايمان، قال ولو تاب لا أقول بأنه يجب على الله قبول توبته بحكم العقل، إذ هو الموجب فلا يجب عليه شىء، بل ورد السمع بقبول توبة التائبين، وإجابة دعوة المضطرين، وهو المالك فى خلقه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، فلو أدخل الخلائق بأجمعهم الجنة لم يكن حيفا، ولو أدخلهم النار لم يكن جورا، إذ الظلم هو التصرف فيما لا يملكه المتصرف، أو وضع الشىء فى غير موضعه، وهو المالك المطلق فلا يتصور منه ظلم ولا ينسب اليه جور.

قال والواجبات كلها سمعيـــــة، والعقل ليس يوجب شيئا ولا يقتضى تحسينا وتقبيحا، فمعرفة الله تعالى بالعقل تحصل، وبالسمع تجب، قال الله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وكذلك شكر المنعم وإثابة المطيع، وعقاب العاصى، يجب بالسمع دون العقل ولا يجب على الله تعالى شىء ما بالعقل، لا الصلاح ولا الأصلح، ولا اللطف، وكل ما يقتضيه العقل من الحكمة الموجبة فيقتضى نقيضه

من وجه آخر :

وأصل التكليف لم يكن واجبا على الله تعالى، إذ لم يرجع اليه نفع ولا اندفع به عنه ضر ، وهو قادر على مجازاة العبيد ، ثوابا وعقابا ، وقادر على الافضال عليهم ابتداء تكرما وتفضلا ، والثواب والتفضل والنعيم واللطف كله منه فضل ، والعقاب والعذاب كله عدل ، (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون)

وانبعاث الرسل من القضايا الجائزة لا الواجبة ولا المستحيلة ، ولكن بعد الانبعاث (صار) ، تأييدهم بالمعجزات[1]

---

(١) إن الله تبارك وتعالى قادر على خلق الايمان فى قلوب عباده ابتداء من غير واسطة ولكن أرسل اليهم رسلا تعرفهم معالم دينه ، وجميع تكليفاته وذلك الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده ، يبلغهم كلامه ، ويعرفهم أحكامه وجائز أن تكون تلك الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الانبياء وجائز أن تكون الواسطة من جنس البشر كلانبياء مع أممهم ، ولا مانع لهذا من جهة العقل وإذا جاز هذا فى دليل العقل وقد جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام ، بمعجزات دلت على صدقهم فوجب تصديقهم فى جميع ما أتوا به ، لأن المعجز مع التحدى من النبي ، قائم مقام قول الله عز وجل صدق عبدى فاطيعوه واتبعوه ، لأن معجز النبي شاهد على صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة معجزة لأن الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهى على ضربين ، فضرب منها هو على نوع قدرة البشر ، ولكن عجزوا عنه ، فعجزهم عنه دل على أنه من فعل الله ودل على صدق النبي ﷺ كتمنى الموت فى قوله فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، فلما صرفوا عن تمنيه ، مع قدرتهم عليه ، علم أنه من عند الله تعالى ، ودل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم والضرب الثانى ، ماهو خارج عن قدرة البشر كاحياء الموتى ، وقلب

وعصمتهم[1] من الموبقات من جملة الواجبات ، إذ لا بد من طريق للمستمع يسلكه ، فيعرف به صدق المدعى ، ولا بد من إزاحة العلل ، فلا يقع فى التكليف تناقض ، والمعجزة فعل خارق للعادة مقترن بالتحدى ، سليم عن المعارضة ، فينزل منزلة التصديق بالقول من حيث القرينة ، وهو منقسم إلى خرق المعتاد ، وإلى إثبات غير المعتاد .

= العصاحية ، واخراج ناقة من صخرة ، و كلام الشجر ، والجماد ، والحيوان ونبع الماء من بين الاصابع وغير ذلك من المعجزات التى عجز البشر عن مثلها ، فاذا أتى النبى بشىء من تلك المعجزات الخارقه ، للعادات ، علم أن ذلك من عند الله ، وان الله عز وجل هو الذى أظهر ذلك المعجز على يد نبيه ، ليكون حجة له على صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل ، وقد ثبت بدليل العقل والبرهان القاطع ان الله تعالى قادر على خلق الاشياء وابداعها من غير سبق لها ، واخراجها من العدم إلى الوجود وانه قادر على قلب الاعيان ، وخوارق العادات (لباب التأويل ثـ ن ص ٢٢١)

(١) العصمة ، ملكة اجتناب المعاصى مع التمكن منها أو هى قوة ، يودعها الله فى عبده ، تمنعه عن ارتكاب شىء من المعاصى ، والمكروهات مع بقاء الاختيار أو لطف من الله يحمل عبده على فعل الخير ويمنعه عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء والامتحان وقد أجمع أهل الملل والشرائع على وجوب عصمتهم عن تعمد الكذب فيما دل المعجز القاطع على صدقهم فيه كدعوى الرسالة : وما يبلغونه عن الله إذ لو جاز عليهم الافتراء لبطلت دلالة المعجزة ، وهو محال : واما سائر الذنوب فهى اما كفر وقد أجمعت الأمة على عصمتهم منه

وأما غير الكفر ، فالكبائر منعها الجمهور ، أما الصغائر ، عمدا فجوزه الجمهور الا الجبائى أما صدور الصغائر سهوا فهو جائز اتفاقا (شرح المواقف ثان ص ٤٢٩ دستور العلماء ثان ص ٣٢٥)

والكرامات للأولياء حق ، وهى من وجه تصديق للأنبياء ، وتأكيد المعجزات .

والإيمان والطاعة بتوفيق الله تعالى ، والكفر والمعصية بخذلانه والتوفيق عنده خلق القدرة على الطاعة ، والخذلان خلق القدرة على المعصية ، وعند بعض أصحابه تيسير أسباب الخير هو التوفيق ، وبضده الخذلان .

وما ورد به السمع من الأخبار عن الأمور الغائبة مثل القلم واللوح والعرش والكرسى والجنة والنار ، فيجب اجراؤها على ظاهرها والإيمان بها كما جاءت ، إذ لا استحالة فى إثباتها ، وما ورد من الأخبار عن الأمور المستقبلة فى الآخرة ، مثل سؤال القبر ، والثواب ، والعقاب فيه ، ومثل الميزان ، والحساب ، والصراط ، وانقسام الفريقين ، (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) حق ، يجب الاعتراف به ، واجراؤها على ظاهرها إذ لا استحالة فى وجودها ، والقرآن عنده معجز من حيث البلاغة والنظم والفصاحة ، إذ خير العرب بين السيف وبين المعارضة ، فاختاروا أشد القسمين اختيار عجز عن المقابلة .

ومن أصحابه من اعتقد أن الأعجاز فى القرآن من جهة صرف(١)

(١) زعم النظام ان اعجاز القرآن ، بالصرفة ، أى ان الله صرف العرب عن معارضته ، وسلب عقولهم ، وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمر خارجى

الدواعى ، وهو المنع من المعتاد ، ومن جهة الأخبار عن الغيب .

وقال الامامة تثبت بالاتفاق والاختيار ، دون النص والتعيين(٤)

وقال المرتضي من الشيعة بل صرفهم بان سلبهم العلوم التى يحتاج اليها فى المعارضة ، فهذا الصرف خارق للعادة فصار كسائر المعجزات . وهذا قول فاسد بدليل قوله تعالي قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية ، فانه يدل علي عجزهم مع بقاء قدرتهم ، ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم : لمنزلته منزلة اجتماع الموتى ، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره . هذا مع ان الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز إلى القرآن ، فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة اعجاز بل المعجز هو الله تعالي حيث سلبهم القدرة على الاتيان بمثله . ويلزم من القول بالصرفة زوال الاعجاز بزوال زمان التحدى ، وخلو القرآن من الاعجاز وفى ذلك خرق لاجماع الأمة أن معجزة الرسول العظمى باقية ، ولا معجزة له باقية على أنه لو كانوا صرفوا ، لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به فى الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وعجيب الرصف لأنهم لم يتحدوا اليه ، ولم تلزمهم حجته . فلما لم يوجد فى كلام من قبله مثله علم أن القول بالصرفة ظاهر البطلان ، بله انه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا وانما يكون المنع معجزا فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره . فى نفسه وليس هذا باعجب مما ذهب اليه فريق منهم ، ان الكل قادرون على الاتيان بمثله ، وإنما يتأخرون عنه لعدم العلم بوجه ترتيب ، لو تعلموه لوصلوا اليه به (الاتقان ثان ص ١١٨ شرح المواقف ثان ص ٤٢١ اعجاز القرآن بهامش الاتقان أول ص ٤٥)

(١) اختلف فى طريق ثبوت الامامة ، من نص أو اختيار ، فقال الجمهور الأعظم من أصحابنا ومن المعتزلة والخوارج والنجارية . ان طريق ثبوتها الاختيار من الأمة باجتهاد أهل الاجتهاد منهم واختيارهم من يصلح لها وكان جائزا ثبوتها بالنص غير أن النص لم يرد فيها على واحد بعينه فصارت الامة فيها إلى الاختيار وزعمت الامامية . والجارودية من الزيدية

إذ لو كان ثم نص لما خفى ، والدواعى تتوافر على نقله .

واتفقوا فى سقيفة بنى ساعدة على أبى بكر رضى الله عنه ، ثم اتفقوا على عمر ، بعد تعيين أبى بكر رضى الله عنهما ، واتفقوا بعد الشورى على عثمان رضى الله عنه ، واتفقوا بعده على علىّ رضى الله عنه ، وهم مترتبون فى الفضل ترتبهم فى الامامة :

وقال لا نقول فى عائشة وطلحة والزبير إلا أنهم رجعوا عن الخطأ

والراوندية من العباسية ان الامامة طريقها النص من الله تعالى على لسان رسوله ﷺ على الامام ثم نص الامام على الامام بعده واختلف هؤلاء فى علة وجوب النص عليه فمنهم من بناه على أصله فى أبطال الاجتهاد ، ومنهم من بناه على أصله فى وجوب عصمة الامام وزعم أن العصمة لا تعرف بالاجتهاد وإنما يعرف المعصوم بالنص ، فأما البترية والجريرية من الزيدية فقد وافقوا الفريق الأول فى الاختيار ، وإنما خالفوهم فى تعيين الأولى بالامامة ودليل الجمهور أن النص على الامام لو كان واجبا على الرسول صلى الله عليه وسلم بيانه لبينه على وجه تعلمه الأمة علما ظاهرا لا يختلفون فيه ، لأن فرض الامامة يعم الكافة معرفته كمعرفة القبلة واعداد الركعات ، ولو وجد النص منه هكذا لنقلته الأمة بالتواتر ولعلموا صحته بالضرورة كما اضطروا إلى سائر ما تواتر الخبر فيه فلما كنا مع كثرة عددنا وزيادتنا على جميع فرق المدعين للنص غير مضطرين إلى العلم بذلك علمنا أن النص على واحد بعينه للامامة لم يتواتر النقل ، فيه وانما روي فيه أخبار آحاد من جهة الروافض وليست لهم معرفة بشروط الأخبار ولا رواتهم ثقات ، وبإزائها أخبار أشهر منها فى النص على غير من يدعون النص عليه وكل منها غير موجب للعلم وإذا لم يكن فيه ما يوجب العلم صارت المسألة اجتهادية وصح فيها الاختيار والاجتهاد ، (أصول الدين ص ٢٧٩)

وطلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنـة ، ولا نقول فى معاوية وعمرو بن العاص إلا أنهما بغيا على الامام الحق ، فقاتلهم على مقاتلة أهل البغى .

وأما أهل النهروان فهم الشراة[١] المارقون عن الدين بخبر النبي صلى الله عليه وسلم[٢] . ولقـد كان على عليه السلام على الحق فى جميع أحواله يدور الحق معه حيث دار .

المشبهـــة

ان السلف من أصحاب الحديث لما رأوا توغل المعتزلة فى

---

(١) الشراة الخوارج ، لشرتهم ، على المسلمين ، أما هم فقالوا لقوله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله أى يبيعها ويبذلها فى الجهاد وثمنها الجنة وقيل لقـولهم إنا شرينا أنفسنا فى طاعة الله أى بعناها بالجنة حين فارقنا الأئمة الجائرة ، والواحد شار ، قال قطرى بن الفجاءة ، وهو خارجى

رأت فئة باعوا الاله نفوسهم   بجنات عدن عنده ونعيم

وقال عمرو بن هبيرة وهو من الخوارج

إنا شرينا لدين الله أنفسنا   نبغى بذاك لديه أعظم الجاه

(٢) قال على عليه السلام إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ وآله فلئن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب على رسول الله صلعم وإذا حدثتـكم فيما بيننا عن نفسى فان الحرب خدعة وإنما أنا رجل محارب ، سمعت رسول الله صلعم يقول يخرج فى آخر الزمان قوم أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام قولهم من خير أقوال أهل البرية ، صلاتهم أكثر من صلاتكم . وقراءتهم أكثر من قراءتكم لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فاقتلوهم فان قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة (شرح ابن أبى الحديد أول ص ٢٠٢)

علم الله، ومخالفة السنة التي عهدوها من الأئمة الراشدين . ونصرهم جماعة من بني أمية على قولهم بالقدر، وجماعة من خلفاء بني العباس على قولهم بنفي الصفات، وخلق القرآن، تحيروا في تقرير مذهب أهل السنة والجماعة، في متشابهات آيات الكتاب . وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم، فأما أحمد بن حنبل . وداود بن علي الاصفهاني . وجماعة من أئمة السلف فجروا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث، مثل مالك بن أنس، ومقاتل(١) بن سليمان وسلكوا طريق السلامة فقالوا نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل . بعد أن نعلم قطعا أن الله عز وجل لا يشبه شيئا من المخلوقات . وأن كل ما تمثل في الوهم فانه خالقه ومقدره، وكانوا يحترزون عن التشبيه(٢) إلى غاية أن قالوا من حرك يده عند

---

(١) أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي بالولاء، الخراساني المروزي أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدث بها وكان مشهوراً بتفسير كتاب الله العزيز وله التفسير المشهور وأخذ الحديث عن مجاهد وعطاء وغيرهما وكان من العلماء الأجلاء قال الشافعي الناس كلهم عيال على ثلاثة على مقاتل بن سليمان في التفسير وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر وعلى أبي حنيفة في الفقه توفي بالبصرة سنة خمسين ومائة (ابن خلكان ثان ص ١٤٧)

(٢) تعالى الله عن التشبيه . فالتشبيه يتنافى مع الألوهية، لأنه إذا كان له من خلقه شبيه وجب أن يجوز عليه من ذلك الوجه ما يجوز على شبيهه، وإذا جاز ذلك عليه لم يستحق اسم الاله كما لا يستحقه خلقه الذي شبه به،

قراءته (خلقت بيدى[١]) أو أشار باصبعه عند روايته (قلب المؤمن اصبعين بين من أصابع الرحمن) وجب قطع يده وقلع إصبعه

وقالوا إنما توقفنا فى تفسير الآية وتأويلها لأمرين

أحدهما المنع الوارد فى التنزيل فى قوله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) فنحن نحترز من الزيغ

والثانى أن التأويل أمر مظنون بالاتفاق ، والقول فى صفات البارى تعالى بالظن غير جائز فربما أولنا الآية على غير مراد البارى تعالى فوقعنا فى الزيغ بل نقول كما قال الراسخون فى العلم ، كل من

فيتبين أن اسم الاله والتشبيه لا يجتمعان ، كما أن إسم الاله ونفي الابداع عنه لا يأتلفان (الأسماء والصفات ص ٩٧)

(١) عن الحرث الهاشمى قال رسول الله ﷺ « أن الله عز وجل خلق ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده ، وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتى لايسكنها مدمن خمر ولا ديوث فقالوا يارسول الله قد عرفنا مدمن خمر فما الديوث قال ﷺ الذى ييسر لأهله السوء » هذا حديث مرسل وفيه أن ثبت ، دلالة على أن الكتب ههنا بمعنى الخلق ، وإنما أراد خلق رسوم التوراة وهى حروفها وأما المكتوب فهو كلام الله عز وجل ، وهو صفة من صفات ذاته غير ما تبين منه ، واليد لا تحمل على الجارحة ، إذ تعالى الله عن أن يكون له جارحة واليد بمعنى القدرة ، والنعمة وذكرت تشريفا لشأن التوراة ، وإعلاما بغرس الكرامة لأهل الجنة (الأسماء والصفات ص ٣١٨)

عنـد ربنا آمنا بظاهره ، وصدقنا بباطنه ، ووكلنا علمه إلى الله تعالى ، ولسنا مـكلفين بمعرفة ذلك ، إذ ليس من شرائط الايمان وأركانه

واحتاط بعضهم أكثر احتياط ، حتى لم يفسر اليد بالفارسية ولا الوجه ولا لاستواء ولا ما ورد من جنس ذلك ، بل ان احتـاج فى ذكرها إلى عبارة عبر عنها بما ورد لفظا بلفظ . فهذا هو طريق السلامة وليس هو من التشبيه فى شيء ، غير أن جماعة من الشيعة الغـالية ، وجمـاعة من أصحـاب الحديث الحشـوية صرحـوا بالتشبيه مثل الهشاميين من الشيعة ، ومثل مضر وكهمس[1] وأحمـد الهجيمى[2] وغيرهم من أهل الشيعة قالوا ، معبودهم صورة ذات أعضاء وأبعاض . أما روحانيـة أو جسمانية يجـوز عليه الانتقال والنزول والصعـود والاستقرار والتمكن

فاما مشبهة الشيعة فستاتى مقالاتهم فى باب الغلاة ، وأما مشبهه الحشوية فذكر الاشعرى عن محمد بن عيسى ، أنه حكى عن مضر وكهمس واحمد الهجيمى ، انهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة ، وأن المخلصين من المسلمين يعاينونه فى الدنيا والاخرة اذا بلغوا من

---

(١) الظاهر أنه كهمس بن المنهال السدوسى أبو عثمان البصرى اللؤلؤى . وكان قدريا ضعيفا لم يحدث عنه الثقات (تهذيب التهذيب ثامن ص ٤٥١)

(٢) أحمد بن عطاء الهجيمى البصرى كان داعية إلى القدر متعبدا مغفلا (لسان الميزان أول ص ٢٢١)

الرياضة والاجتهاد إلى حد الاخلاص والاتحاد المحض ، وحكى الكعبي عن بعضهم انه كان يجوز الرؤية فى الدنيا (يرونه ويراهم) ، وحكى عن داود [1] الجواربى أنه قال أعفونى عن الفرج واللحية واسالونى عما وراء ذلك وقال أن معبودهم جسم ولحم ودم وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ورأس ولسان وعينين واذنين ومع ذلك جسم لا كالاجسام ولحم لا كاللحوم ، ودم لا كالدماء ، وكذلك سائر الصفات ، وهو لايشبه شيئا من المخلوقات ، ولا يشبهه شيء

وحكى عنه أنه قال هو أجوف من أعلاه إلى صدره ، مصمت ما سوى ذلك ، وأن له وفرة سوداء ، وله شعر قطط ، وأما ماورد فى التنزيل من الاستواء والوجه واليدين والجنب والمجيء والاتيان والفوقية وغير ذلك فأجروها على ظاهرها أعنى ما يفهم عند الاطلاق على الأجسام ، وكذلك ماورد فى الأخبار من الصورة فى قوله عليه السلام خلق آدم على صورة الرحمن [2]) وقوله حتى يضع الجبار

---

(١) داود الجواربى رأس الرافضة والتجسيم من مرامى جهنم قال يزيد بن هرون : الجواربى ، والمريسي كافران ، وإنما داود عبر جسر واسط فانقطع الجسر فغرق من مكان عليه فخرج شيطان وقال أناداود ، الجواربى وحكى عنه المردار التشبيه وقد أخذ داود عن هشام الجواليقى وأخذ قوله أن معبوده له جميع أعضاء الانسان إلا الفرج واللحية (لسان الميزان ثالث ص ٤٢٧ انتصار ص ٦٧)

(٢) عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ لا تقبحوا الوجه فان الله خلق آدم على صورة الرحمن ، ذهب بعض أهل النظر إلى أن الصور كلها لله تعالى على

قـدمه فى النار)[١] وقوله (قلب المؤمن بين إصبعين من أصـابع

معنى الملك والفعل ثم ورد التخصيص فى بعضها بالاضافة تشريفا وتـكريما كما يقال ناقة الله ، وبيت الله ، ومسجد الله وعـبر بعضهم بأنه سبحانه ابتدأ صورة آدم لا على مثال سبق ، ثم اخترع من بعده على مثله فخص بالاضافة . والله أعلم (الأسماء والصفات ص ٢٩١)

(١) عن أنس : قال رسول الله ﷺ لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط . وعزتك ويزوى بعضها إلى بعض ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشىء الله خلقا فيسكنه فضول الجنة وفى رواية حتى يضع فيها رب العالمين قدمه . وأخرى حتى يضع الله عليهـا قدمة . وأخرى حتى يضع الرب قدمه وأخرى حتى يضع الله فيهـا رجله، قال أبو سليمان وذكر القدم ههنا يحتمل أن يكون المراد به من قدمهم الله للنار من أهلها فيقع بهم استيفاء عدد أهل النار وكل شىء قدمته فهو قدم . كما قيل لما هدمته هدم ولمـا قبضته قبض ، ومن هذا قوله عز وجل أن لهم قدم صدق عند ربهم ، أى ما قدموه من الأعمال الصالحة ويؤيده قوله . فى الحديث ، وأما الجنة فان الله ينشىء لها خلقا . فاتفق المعينان أن كل واحدة من الجنة والنار تمد بزيادة عدد يستوفى عدة أهلها فتمتلىء عند ذلك ، وثمت وجه آخر وهو إن هذه الأسماء مثال يراد بها إثبات معان لاحظ لظـاهر الأسماء فيها من طريق الحقيقة وإنما أريد بوضع الرجل عليها نوع من الزجر لها والتسكين من غربها كما يقول القائل للشىء يريد محوه وإبطـاله جعلته تحت رجلي ووضعته تحت قدمى وخطب رسول الله ﷺ عام الفتح فقال ألا إن كل دم ومأثرة فى الجاهلية فهو تحت قدمى هاتين ألا سقاية الحـاج وسدانة البيت ، يريد محو تلك المآثر وابطـالها وفى أساس البلاغة فيضـع قدمه عليها ، فيسكنها ويكسر سورتها كما يضع الرجل قـدمه على الشىء المضطرب فيسكنه وفى الفائق . فيضع قدمه عليها ، وضع القدم على الشىء مثل للردع والقمع فكانه قال يأتيها أمر الله فيكفها عن طلب المزيد فترتدع وما أكثر ما تضرب العرب الأمثال فى كلامها باسماء الأعضاء وهى لا تريد

الرحمن[١]) وقوله (خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا)[٢] وقوله (وضع

أعيانها » كما تقول فى الرجل يسبق منه القول أو الفعل ثم يندم عليه قد سقط فى يده ، أى ندم وقام على رجل ، وقام على ساق إذا جد فى الطلب ، فما ذكر ليست إلا أمثالا » والأصل إن نجربها على ظاهرها من غير تكييف ولا تشبيه وبالله العصمة ، ونسأله التوفيق ، والسداد (الأسماء والصفات ص ٣٤٨ أساس البلاغة ثان ص ١٣٢ الفائق ثان ص ١٥٧)

(١) قال ﷺ إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله عز وجل » يصرفه كما يشاء ثم قال رسول الله ﷺ اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك » وفى أخرى وقلب ابن آدم ، وفى أخرى أن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين ، وثمت روايات أخرى قال أبو حاتم ومعناه أنهم تحت قدرته وملكه ، وخصت القلوب بالذكر ، لأن الله تعالى جعل القلوب محلا للخواطر والارادات والعزوم والنيات وهى مقدمات الأفعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة لها فى الحركات والسكنات ودل بذلك على أن أفعالنا مقدورة لله تعالى مخلوقة لا يقع شىء دون إرادته ومثل لأصحابه قدرته القديمة بأوضح ما يعقلون من أنفسهم لأن المرء لا يكون أقدر على شىء منه على ما بين أصبعيه ويحتمل أنها بين نعمتى النفع والدفع أو بين أثريه فى الفضل والعدل يؤيده أن فى بعض هذه الاخبار ، إذا شاء أزاغه وإذا شاء أقامه ، ويوضحه قوله في سياق الخبر « يا مقلب القلوب ثبت قلبى » وإنما ثنى لفظ الأصبعين والقدرة واحدة لأنه على المعهود من لفظ المثل » وزاد عليه غيره فى تأكيد التأويل الأول بقولهم ما فلان إلا في يدى ، وما فلان إلا فى كفى ، وما فلان إلا فى خنصرى يريد بذلك إثبات قدرته عليه ، لا أن خنصره يحوى فلانا وكيف يحويه وهي بعض من جسده ، وقد يكون فلان أشد بطشاً وأعظم منه جسما (الأسماء والصفات ص ٣٤١)

(٢) عن سلمان ، قال ﷺ » ان الله تبارك وتعالى خمر طينة آدم عليه السلام اربعين يوما ، ثم ضرب بيده فما كان من طيب خرج بيمينه ، وما كان من خبيث خرج بيده الاخرى ثم خلطه فمن ثم يخرج الحى من

يده أو كفه على كتفى) وقوله (حتى وجدت برد أنامله على كتفى(٨))

الميت ، ويخرج الميت من الحى ، قيل أن سلمان أخذ أمثال هذا من أهل الكتاب حتى أسلم بعده ؛ وروى من وجه آخر ضعيف مرفوعا وتعالى الله عن التبعيض وليس معنى اليد الجارحة وإنما هو صفة جاء بها التوقيف ، فنحن نطلقها على ما جاءت ولانكيفها ، واليد بمعني القدرة ، والنعمة ، أو ان يحمل ذلك على صفة تعلقت بخلق آدم تشريفا له ، فتعلقت بخلقه قدرته لامن طريق المباشرة ، ولامن حيث المماسة (الاسماء والصفات ص ٣٢٧)

(٨) قال عبد الرحمن بن عائش الحضرمى ، صلي بنا رسول الله ﷺ ذات غداة فقال له قائل ما رأيتك أصفر وجها منك الغداة فقال مالى وقد تبدى لي ربى فى أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد قال قلت أنت أعلم أى رب ، قال فيم يختصم الملأ الاعلى يامحمد قلت أنت أعلم أى رب ، فوضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين ثندؤتى فعلمت مافى السماء والارض ، وتلا هذه الآية وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين » قال فيم يختصم الملأ الاعلى يامحمد قلت فى الكفارات رب ، قال وماهن قلت المشى على الاقدام إلى الجماعات والجلوس فى المساجد خلاف الصلوات وأسباغ الوضوء . فى المكاره قال من يفعل يعش بخير ويمت بخير ويكن من خطيئته كيوم ولدته أمه ، ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام وان تقوم بالليل والناس نيام . سل تعطه قلت اللهم انى أسالك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تتوب على وإذا أردت فتنة بقوم فتوفنى غير مفتون فتعلموهن فوالذى نفسى بيده أنهن لحق » وقد روى بروايات أخرى ، وان ذلك كان فى النوم ثم تأويله علي وجهين (أحدهما) أن يكون معناه وأنا فى أحسن صورة كأنه زاده كمالا وحسنا ، وتغير بعده لشدة الوحى والثاني انه بمعنى الصفة ، ومعناه انه تلقاه بالاكرام ، وأما فوضع كفه وفى رواية يده فتأويله اكرام الله إياه وانعامه عليه حتى وجد برد النعمة ؛ يعنى روحها وأثرها فى قلبه ، فعلم مافى السماء والأرض ، وانه تعالي لايجوز عليه ولا على صفاته مماسة أو

إلى غير ذلك أجروها على ما يتعارف فى صفات الأجسام وزادوا فى الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبى عليه السلام ، وأكثرها مقتبسة من اليهود ، فان التشبيه فيهم طباع حتى قالوا اشتكت عيناه فعادته الملائكة ، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت [1] عيناه ، وان العرش ليئط من تحته كأطيط الرحل الجديد ، [2] وإنه ليفضل من

مباشرة تعالى الله علوا كبيرا وفى ثبوت هذا الحديث نظر والله أعلم (الاسماء والصفات ص ٢٩٩)

(١) ان قول اليهود حتى رمدت عيناه ، تشبيه وقول منكر ، بل هو كفر ، وقد ثبتت العين من حيث أنها صفة لامن حيث الحدقة ، قال الله عز وجل ولتصنع على عيني » وقال تعالى فانك باعيننا واصنع الفلك باعيننا فتحمل العين على الرؤية أو الحفظ والكلاءة ، وقد اتفق المسلمون على تنزيه الله سبحانه عن مشابهة خلقه ، وليس بنا الا التنزيه والتفويض ، أو التنزيه مع التأويل ، ولقد قال سفيان بن عيينة ما وصف الله تبارك وتعالى بنفسه فى كتابه فقراءته تفسيره ، ليس لأحد أن يفسره بالعربية ولا بالفارسية (الاسماء والصفات ص ٣١٢)

(٢) عن جبير بن مطعم قال جاء أعرابى إلي رسول الله ﷺ فقال يارسول الله نهكت الأنفس وجاعت العيال وهلكت الأموال استسق لنا ربك فانا نستشفع بالله عليك وبك على الله تعالي فقال النبي ﷺ سبحان الله سبحان الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجوه أصحابه رضى الله عنهم فقال ويحك اتدرى ما الله، ان شأنه أعظم من انه لايستشفع به على أحد انه لفوق سمواته على عرشه وانه عليه لهكذا (إشارة بيده مثل القبة) وانه ليئط به أطيط الرحل بالراكب ، والتشبيه بالقبة انما وقع للعرش وهذا الكلام إذا جرى على ظاهره كان فيه نوع من الكيفية والكيفية عن الله تعالى وعن صفاته منفية ، فعقل أن ليس المراد منه تحقيق هذه الصفة ولا تحديده

كل جانب أربعة أصابع

وروى المشبهة عن النبى عليه السلام أنه قال (لقينى ربى فصافحنى وكافحنى ووضع يده بين كتفى حتى وجدت برد أنامله) وزادوا على التشبيه قولهم فى القرآن أن الحروف والأصوات والرقوم المكتوبة قديمة أزلية ، وقالوا لا يعقل كلام ليس بحرف ولا كلمة واستدلوا فيه بأخبار ، منها ما روى عن النبى عليه السلام (ينادى الله تعالى يوم القيامة بصوت يسمعه الأولون والآخرون) ورووا أن موسى عليه السلام كان يسمع كلام الله كجر السلاسل ، وقالوا أجمعت السلف على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال هو مخلوق فهو كافر بالله ، ولا نعرف من القرآن إلا ما هو بين أظهرنا

على هذه الهيئة ، وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله وجلاله ، جل جلاله سبحانه وإنما قصد به إفهام السائل من حيث يدركه فهمه إذ كان أعرابيا جلفا لا علم له بمعانى مادق من الكلام وما لطف منه عن درك الافهام ، وفى الكلام حذف واضمار فمعنى قوله أتدري ما الله فمعناه أتدرى ما عظمة الله وجلاله ، وقوله أنه ليئط به ، معناه أنه ليعجز عن جلاله وعظمته حتى يئط به إذا كان معلوما أن أطيط الرحل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه ولعجزه عن احتماله ، نقرر لهذا النوع من التمثيل عنده معنى عظمة الله وجلاله وارتفاع عرشه ليعلم أن الموصوف بعلو الشأن وجلالة القدر وفخامة الذكر لا يجعل شفيعا إلى من هو دونه فى القدر وأسفل منه فى الدرجة ، تعالى الله أن يكون مشبها بشىء ، أو مكيفا بصورة خلق أو مدركا بحس (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) (الأسماء والصفات ص ٤١٧)

فنسمعه ونقرؤه ونكتبه ، والمخالفون . أما المعتزلة فوافقونا على أن هذا الذى فى أيدينا كلام الله وخالفونا فى القدم . وهم محجوجون أيضا بإجماع الأمة

وأما الأشعرية فوافقونا عَلَى أن القرآن قديم ، وخالفونا فى أن الذى فى أيدينا ليس فى الحقيقة كلام الله ، وهم محجوجون أيضا بإجماع الأمة أن المشار اليه هو كلام الله ، فأما اثبات كلام هو صفة قائمة بذات البارى تعالى لا نبصرها ولا نكتبها نقرؤها ولا نسمعها ، فهو مخالفة الأجماع من كل وجه ، فنحن [١] نعتقد ان ما بين الدفتين كلام الله

(١) قال الله جل ثناؤه . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وقال تعالى والطور وكتاب مسطور فى رق منشور » وقال جل وعلا (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وقال وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله . وقال عز وجل « قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا فالقرآن الذى نتلوه كلام الله تعالى وهو متلو بالسنتنا على الحقيقة مكتوب فى مصاحفنا محفوظ فى صدورنا مسموع باسماعنا غير حال فى شيء منها إذ هو من صفات ذاته غير بائن منه ، وهو كما أن البارى عز وجل معلوم بقلوبنا مذكور بألسنتنا مكتوب فى كتبنا معبود فى مساجدنا مسموع بأسماعنا غير حال فى شيء منها ، وأما قراءتنا وكتابتنا وحفظنا فهى من اكتسابنا وأكسابنا مخلوق لا شك فيه قال الله عز وجل وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وسمى رسول الله ﷺ تلاوة القرآن فعلا وقد قال ﷺ لا حسد الا فى اثنتين رجل أتاه الله القرآن فهو يتلوه أناء

أنزله عَلَى لسان جبريل عليه السلام فهو المكتوب فى المصاحف وهو فى اللوح المحفوظ ، وهو الذى يسمعه المؤمنون فى الجنة من البارى تعالى ، بغير حجاب ولا واسطة ، وذلك معنى قوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) وهو قوله تعالى لموسى (إنى أنا الله رب العالمين) ومناجاته من غير واسطة حين قال (وكلم الله موسى تكليما قال (وأنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى[1]) وروى عن النبي عليه السلام أنه قال (إن الله تعالى كتب التوراة بيده وخلق وخلق جنة عدن بيده ، وخلق آدم بيده وفى التنزيل (وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء)

قالوا فنحن لانريد من أنفسنا شيئا ، ولاتندارك بعقولنا أمرا لم يتعرض له السلف ، قالوا مابين الدفتين كلام الله . قلنا هو كذلك واستشهدوا عليه بقوله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك

الليل والنهار فيقول لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل ، ورجل أتاه الله مالا فهو ينفقه فى حقه فيقول لو أوتيت مثل ما أوتى هذا عملت مثل مايعمل ، ولولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد أن يتكلم به . والقرآن كلام الله تعالى ، وصفة من صفات ذاته ليس شيء من كلامه خلقاً ولا مخلوقاً ولا فعلا ولا مفعولا ولا محدثا ولا حدثا ولا إحداثا (الأسماء والصفات ص ٢٥٨)

(١) فهذا كلام سمعه موسى عليه السلام ، باسماع الحق إياه ، بلا ترجمان بينه وبينه . دله بذلك على ربوبيته ، ودعاه إلى وحدانيته ، وأمره بعبادته وإقامة الصلاة لذكره ، وأخبره أنه اصطنعه لنفسه . واصطفاه برسالته وبكلامه وأنه مبعوث إلى الخلق بأمره (الأسماء والصفات ص ١٩٠)

فأجره حتى يسمع كلام[1] الله) ومن المعلوم أنه ما سمع إلا هذا الذى نقرؤه ، وقال إنه لقرآن كريم[2] فى كتـاب مكنون لا يمسـه إلا المطهرون تنزيلٌ منْ رب العالمين) وقال (فى صُحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة)[3] وقال (إنا أنزلناه فى ليلة القدْر)[4]

---

(١) يقول إنسان يأتى ، فيسمع ما تقول ويسمع ما انزل الله فهو آمن حتى يسمع كلام الله عز وجل وحتى يبلغ مأمنه من حيث جاء . وفى هذه الآية دلالة على بطلان من قال المعارف ضرورية وفى الآية دلالة على أن المتلو والمسموع كلام الله لأن الشرع والعرف جعلا الحكاية كعين المحكى ، وقال البخارى فأما القرآن المتلو المثبت فى المصاحف المسطور فى المكتوب ، الموعى فى القلوب فهو كلام الله تعالى ليس بمخلوق قال الله عز وجل (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) (مجمع البيان ثالث ص ٦ والأسماء والصفات ص ٢٦٠)

(٢) أن الذى تلونا عليك لقرآن كريم ، عام المنافع كثير الخير ينال الأجر العظيم بتلاوته والعمل بما فيه وقيل كريم عند الله تعالى أكرمه الله تعالى وأعزه لأنه كلامه وقيل كريم لأنه كلام رب العزة ولأنه محفوظ عن التغيير والتبديل ولأنه معجز ولأنه يشتمل على الأحكام والمواعظ وكل جليل وخطير وعزيز فهو كريم ، وهذا القرآن منزل من عند الله تعالى (مجمع البيان خامس ص ٢٢٦)

(٣) أخبر سبحانه بجلالة قدر القرآن عنده فقال فى صحف مكرمة أى هـذا القرآن فى كتب معظمة عنـد الله وهي اللوح المحفوظ مرفوعة فى السماء السابعة ، أو رفعها الله عن دنس الأنجاس مطهرة من الشك والشبهة والتناقض . ومن كل دنس ، بأيدى سفرة ، كتبة الملائكة ، وقيل السفراء بالوحى بين الله تعالى وبين رسله ، كرام على ربهم ، بررة مطيعين ، صالحين متقين ، كرام عن المعاصى يرفعون أنفسهم عنها (مجمع البيان خامس ص ٤٣٨)

(٤) أنزل الله القرآن فى ليلة القـدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا .

وقال (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن)[١] إلى غير ذلك من الآيات

ومن المشبهة من مال إلى مذهب الحلولية ، وقال يجوز أن يظهر الباري تعالى بصورة شخص كما كان جبريل عليه السلام ينزل فى صورة أعرابى وقد تمثل لمريم عليها السلام بشرا سويا ، وعليه حمل قول النبي صلى الله عليه وسلم (لقيت ربى فى أحسن صورة [٢]) وفى التوراة عن موسى عليه السلام شافهت الله تعالى فقال لى كذا

والغلاة من الشيعة مذهبهم الحلول ، ثم الحلول قد يكون بجزء وقد يكون بكل على ماسيأتى تفصيل مذاهبهم ان شاء الله تعالى

ثم كان ينزله جبريل على محمد ﷺ نجوما ، أو ابتدأ انزاله ليلة القدر وقال مقاتل أنزله من اللوح المحفوظ إلى السفرة وهم الكتبة من الملائكة فى السماء الدنيا وكان ينزل ليلة القدر من الوحى على قدر ما ينزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فى السنة كلها إلى مثلها من القابل (مجمع البيان خامس ص ٥١٨)

(١) شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، الذى عليه مدار الدين والايمان هاديا للناس ، ودالا لهم على ما كلفوه من العلوم وهذه الآية وما ذكر من آيات فيها دلالة على أن ما نزل ، وما نتلوه ، هو كلام الله عز وجل ، تنطق به ألسنتنا ، ويسطر فى مصاحفنا ويحفظ فى صدورنا ، ويسمع بأسماعنا ، وهو غير مخلوق ، وهو كلام الله الذى يسره على لسان خلقه ولولا أنه يسره ما استطاع أحد أن يتكلم بكلام الله عز وجل

(٢) عن ابن عباس ، قال فيه أحسبه يعنى فى المنام ووردت روايات دالة على أن ذلك كان فى النوم ، ثم تأويله عند أهل النظر على وجهين أحدهما ، أن يكون معناه وأنا فى أحسن صورة ، كأنه زاده كمالا وحسنا وجمالا عند رؤيته والثاني أنه بمعنى الصفة ومعناه أنه لقاه بالاكرام والاجمال ، وفى ثبوت هذا الحديث نظر والله أعلم (الأسماء والصفات ص ٣٠٠)

الكرامية (١)

أصحاب أبي عبدالله محمد بن كرام ، وإنما عددناه من الصفاتية فانه كان ممن يثبت الصفات ، الا أنه ينتهى فيها إلى التجسيم والتشبيه ، وقد ذكرنا كيفية خروجه وانتسابه إلى أهل السنة ، وهم طوائف يبلغ عددهم إلى اثنتى عشرة فرقه . وأصولها ستة ، العابدية والنونية والزرينية والاسحاقية والواحدية ، وأقربهم الهيصمية . ولكل واحد منهم رأى الا أنه لم يصدر ذلك عن علماء معتبرين ، بل عن سفهاء أغتام جاهلين . فلم نفردها مذهبا ، وأوردنا مذهب صاحب المقالة ، وأشرنا إلى مايتفرع منه ، نص أبو عبدالله على أن معبوده على العرش استقرارا . وعلى أنه بجهة فوق ذاتا ، وأطلق عليه اسم الجوهر ، فقال فى كتابه المسمى عذاب القبر . انه احدى الذات احدي الجوهر ، وانه مماس للعرش من الصفحة العليا ، وجوز الانتقال والتحول والنزول ومنهم من قال انه على بعض اجزاء العرش ، وقال بعضهم امتلأ العرش به ، وصار

(١) زعيمهم محمد بن كرام كان من سجستان فنفى عنها فوقع فى غرجستان فاغتر بظاهر عبادته أهل شرمين وافشين وانخدعوا بنفاقه وبايعوه علي خرافاته وخرج معه قوم إلى نيسابور فى أيام محمد بن طاهر بن عبد الله فاغتر بما كان يريه من زهده جماعة من أهل السواد فدعاهم إلى بدعه وأفشى فيهم ضلالاته واتبع بها قوم من اتباعه وتمردوا على نصرة جهالاته وما أحدثه من البدع فى الاسلام أكثر من أن يمكن جمعه فى هذا المختصر (التبصير ص ٦٥)

المتأخرون منهم إلى أنه تعالى بجهة فوق ومحاذ للعرش ثم اختلفوا فقال العابدية ان بينه وبين العرش من البعد والمسافة مالو قدر مشغولا بالجواهر لاتصلت به

وقال محمد بن الهيصم[1] ان بينه وبين العرش بعدالا يتناهى وأنه مباين للعالم بينونة أزلية ونفى التحيز والمحاذاة وأثبت الفوقية والمباينة وأطلق أكثرهم لفظ الجسم عليه ، والمقاربون منهم قالوا يعنى بكونه جسما ، أنه قائم بذاته ، وهذاهو حد الجسم عندهم ، وبنوا على هذا أن من حكم على القائمين بأنفسهما أن يكونا متجاورين أو متباينين فقضى بعضهم بالتجاور مع العرش ، وحكم بعضهم بالتباين ، وربما قالوا كل موجودين ، فاما أن يكون أحدهما بحيث الآخر كالعرض مع الجوهر واما أن يكون بجهة منه ، والبارى تعالى ليس بعرض ، اذهو قائم بنفسه ، فيجب أن يكون بجهة من العالم ، ثم أعلى الجهات وأشرفها جهة

---

(١) محمد بن الهيصم ، متكلم الكرامية ، وقد ذهب إلى أنه تعالى ذات موجودة منفردة بنفسها عن سائر الموجودات لا تحل شيئا حلول الاعراض ولا تمازج شيئا ممازجة الأجسام بل هو مباين للمخلوقين إلا أنه فى جهة فوق بينه وبين العرش بعد لا يتناهى ، هكذا يحكي المتكلمون عنه ولم أره في شىء من تصانيفه وأحالوا ذلك لأن مالا يتناهى لا يكون محصورا بين حاصرين وأنا استبعد عنه هذه الحكاية لأنه كان أزكى من أن يذهب علية فساد هذا القول (ابن أبى الحديد أول ص ٢٩١)

فوق ، فقلنا هو بجهة فوق بالذات ، حتى اذا رؤي من تلك الجهة[1] .

ثم لهم اختلاف فى النهاية ، فمن المجسمة من أثبت النهاية له من ست جهات ، ومنهم من أثبت النهاية من جهة تحت ، ومنهم من أنكر النهاية ، فقال هو عظيم ، ولهم فى معنى العظمة خلاف ، فقال بعضهم معنى عظمته أنه مع وحدته على جميع أجزاء العرش ، والعرش تحته ،

---

(١) ذكر ابن كرام فى كتابه عذاب القبر ، أنه تعالى مماس للعرش والعرش مكان له ولما نظر اتباعه إليه فروا مما فيه من الشنعة فقالوا لا نقول أنه مماس للعرش وليت شعري أي تفرقة بينهما لولا غباوة الخلق وغفلتهم عن التحقيق وسأل بعض اتباع الكرامية فى مجلس محمود بن سبكتكين سلطان زمانه ، رحمه الله ، امام زمانه أبا إسحاق الاسفرايني رحمه الله عن هذه المسألة ، فقال هل يجوز أن يقال الله سبحانه وتعالي على العرش ، وأن العرش مكان له ، فقال لا وأخرج يديه ، ووضع إحدى كفيه علي الأخرى وقال كون الشيء يكون هكذا ثم لا يخلو ، أن يكون مثله ؛ وأن يكون أكبر منه أو أصغر منه ، فلا بد من مخصص خصصه ، وكل مخصوص يتناهى ، والمتناهى لا يكون ألها مخصصا ومنتهي ، وذلك علم الحدوث فلم يمكنهم أن يجيبوا عنه فأغروا بة رعاعهم ، حتى دفعهم عنه السلطان بنفسه فلما ، دخل عليه وزيره أبو العباس الأسفرايني قال له محمود ، أين كنت ، بلديك هذاقد حطم معبود الكراميين على رءوسهم ولما ورد عليهم هذا الالزام تحيروا فقال قوم منهم أنه أكبر من العرش وقال قوم إنه مثل العرش وارتكب ابن المهاجر منهم قوله إنعرضه عرض العرش ، وهذه الأقوال كلها متضمنة لاثبات النهاية وذلك علم الحدوث لايجوز أن يوصف به صانع العالم (التبصير ص ٦٦)

وهو فوق ، كله على الوجه الذى هو فوق جزء منه ، وقال بعضهم معنى عظمته أنه يلاقى مع وحدته من جهة واحدة أكثر من واحد ، وهو يلاقى جميع اجزاء العرش وهو العلى العظيم

ومن مذهبهم جميعا قيام كثير من الحوادث بذات البارى تعالى ومن أصلهم أن مايحدث فى ذاته ، إنما يحدث بقدرته ومايحدث مباينا لذاته فانما يحدث بواسطة الاحداث ، ويعنون بالاحداث الايجاد والاعدام الواقعين فى ذاته بقدرته من الاقوال والارادات ، ويعنون بالمحدث ما باين ذاته من الجواهر والأعراض ، فيفرقون بين الخلق والمخلوق ، والايجاد ، والموجود ، والموجد ، وكذلك بين الاعدام ، والمعدوم ، فالمخلوق انما يقع بالخلق ، والخلق يقع فى ذاته بالقدرة ، والمعدوم انما يصير معدوما بالاعدام الواقع فى ذاته بالقدرة ، وزعموا أن فى ذاته سبحانه حوادث كثيرة مثل الأخبار عن الأمور الماضية ، والآتية ، والكتب المنزلة على الرسل عليهم السلام ، والقصص والوعد والوعيد ، والأحكام ، ومن ذلك التسمعات والتبصرات ، فيما يجوز أن يسمع ويبصر ، والايجاد والاعدام هو القول والارادة ، وذلك قوله كن للشىء الذى يريد كونه ، وارادته لوجود ذلك الشىء ، وقوله للشىء كن صورتان

وفسر محمد بن الهيصم الايجاد والاعدام بالارادة والايثار ، قال وذلك مشروط بالقول شرعا اذ ورد فى التنزيل (انما قولنا لشىء إذا

أردناه أن نقول له كن فيكون) وقوله (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون [١])

وعلى قول الأكثرين منهم ، الخلق عبارة عن القول والارادة ، ثم اختلفوا فى التفصيل ، فقال بعضهم لكل موجود إيجاد ، ولكل معدوم إعدام ، وقال بعضهم إيجاد واحد يصلح لموجدين ، إذا كانا من جنس واحد ، وإذا اختلف الجنس تعدد الايجاد ، وألزم بعضهم لو افتقر كل موجود ، أو كل جنس إلى إيجاد فليفتقر كل إيجاد إلى قدرة ، فالتزم تعدد القدرة تعدد الايجاد ، قال بعضهم أيضا تتعدد القدرة بتعدد الأجناس المحدثات ، وأكثرهم على أنها تتعدد بتعدد أجناس الحوادث التى تحدث فى ذاته ، من الكاف والنون . والارادة والتسمع والتبصر وهى خمسة أجناس

ومنهم من فسر السمع والبصر بالقدرة على التسمع والتبصر ، ومنهم من أثبت لله تعالى السمع والبصر أزلا ، والتسمعات والتبصرات هى إضافة المدركات إليهما ، وقد أثبتوا لله تعالى مشيئة قديمة متعلقة بأصول المحدثات وبالحوادث التى تحدث فى ذاته ،وأثبتوا

---

(١) أى نأمر به مرة واحدة فاذا هو كائن كما قال الشاعر

إذا ما أراد الله أمرا فانما   يقول له كن فيكون

أى أنه تعالى لا يحتاج إلى تأكيد فيما يأمر به فانه تعالى لا يمانع ولا يخالف لأنه الواحد القهار (ابن كثير ٣ ن ص ٦٥٩)

إرادات حادثة تتعلق بتفاصيل المحدثات ، وأجمعوا على أن الحوادث لا توجب لله تعالى وصفا ولا هى صفات له ، فتحدث فى ذاته هذه الحوادث من الأقوال والارادات والتسمعات والتبصرات ، ولا يصير بها قائلا ولا مريداً ولا سميعا ولا بصيراً ، ولا يصير بخلق هذه الحوادث محدثا ولا خالقا ، وإنما هو قائل بقائليته ، وخالق بخالقيته ، ومريد بمريديته ،[1] وذلك قدرته على هذه الأشياء

ومن أصلهم أن الحوادث التى يحدثها فى ذاته واجب البقاء ، حتى يستحيل عدمها إذ لو جاز عليها العدم لتعاقب على ذاته الحوادث ولشارك الجوهر فى هذه القضية ، وأيضا فلو قدر عدمها فلا يخلو إما أن يقدر عدمها بالقدرة ، وأما باعدام يخلقه فى ذاته ، ولا يجوز أن يكون عدمها بالقدرة ، لأنه يؤدى إلى ثبوت المعدوم فى ذاته ، وشرط الموجد والمعدم أن يكونا متباينين لذاته . ولو جاز وقوع معدم فى

---

(١) زعموا أن كل اسم يشتق له من أفعاله ، كان ذلك الاسم ثابتا فى الأزل مثل الخالق والرازق والمنعم ، وقالوا أنه كان خالقا قبل أن خلق . إذ هو خالق بخالقيته . ثم طردوا فقالوا عالم بعالمية قادر بقادرية لا بعلم ولا بقدرة وإن كان له علم وقدرة وعجب ، ما ابتدعوه ، من قائلية ، وخالقية ومريدية ، فقد أحدثوا ألفاظا لم يتكلم بها عربى ولا عجمى ، والا عجب أن زعيمهم ذكر فى كتاب عذاب القبر . كيفوفية الله . وليت شعرى كيف أطلق التكيف عليه وكأنه أراد أن يخترع لفظة تساير عقله المضطرب ، وتدل علي ضلالته ، وجهالته (التبصير ص ٦٧)

ذاته بالقدرة من غير واسطة اعدام ، لجاز حصول سائر المعدومات، ثم يجب طرد ذلك فى الموجد ، حتى يجوز وقوع موجد محدث فى ذاته ، وذلك محال عندهم ، ولو فرض انعدامها بالاعدام لجاز تقدير عدم ذلك الاعدام فيتسلسل ، فارتكبوا لهذا التحكم استحالة عدم ما يحدث فى ذاته

ومن أصلهم أن المحدث انما يحدث فى ثانى حال ثبوت الأحداث بلا فصل ، ولا أثر للاحداث فى حال بقائه

ومن أصلهم أن ما يحدث فى ذاته من الأمر فنقسم إلى أمر التكوين ، وهو فعل يقع تحته المفعول ، وإلى ما ليس أمر التكوين ، وذلك اما خبر ، وأما أمر التكليف ، ونهى التكليف ، وهى أفعال من حيث دلت على القدرة ، ولا يقع تحتها مفعولات ، هذا هو تفصيل مذاهبهم فى محل الحوادث ، وقد اجتهد ابن الهيصم فى ارمام مقالة أبى عبد الله فى كل مسئلة ، حتى ردها من المحال الفاحش إلى نوع يفهم فيما بين العقلاء ، مثل التجسيم ، فانه أراد بالجسم القائم بالذات ، ومثل الفوقية ، فانه حملها على العلو ، وأثبت البينونة الغير المتناهية وذلك الخلاء الذى أثبتها بعض الفلاسفة ، ومثل الاستواء فانه نفى المجاورة والمماسة والتمكن بالذات ، غير مسئلة محل الحوادث ، فانها ما قبلت المرمة فالتزمها كما ذكرنا ، وهى من أشنع المحالات عقلا ، وعند القوم أن الحوادث تزيد على عدد المحدثات بكثير ، فيكون فى ذاته أكثر من

عدد المحدثات عوالم من الحوادث ، وذلك محال شنيع ، ومما أجمعوا عليه من اثبات الصفات قولهم : البارى تعالى عالم بعلم قادر بقدرة ، حى بحياة ، شاء بمشيئة ، وجميع هذه الصفات قديمة أزلية قائمة بذاته ، وربما زادوا السمع والبصر كما أثبته الأشعرى ، وربما زادوا اليدين والوجه صفات قائمة به ، وقالوا له يد لا كالأيدى ، ووجه لا كالوجوه[1] وأثبتوا جواز رؤيته من جهة فوق ، دون سائر الجهات ، وزعم ابن الهيصم ان الذى أطلقه المشبهة على الله عز وجل من الهيئة ، والصورة والجوف ، والاستدارة والوفرة والمصافحة والمعانقة ونحو ذلك لا يشبه سائر ما أطلقه الكرامية ، من أنه خلق آدم بيده ، وأنه استوى على عرشه ، وأنه يجيء يوم القيامة لمحاسبة الخلق ، وذلك أنا لا نعتقد من ذلك شيئا على معنى فاسد ، من جارحتين وعضوين تفسيرا لليدين

---

(١) أطلقت الكرامية عليه سبحانه : لفظ اليدين والوجه ، وقالوا لا نتجاوز الاطلاق ولا نفسر ذلك ولا نتأوله وإنما نقتصر على اطلاق ما ورد به النص وأثبت الأشعرى اليدين صفة قائمة بالبارى سبحانه وكذلك الوجه من غير تجسيم ، وقالت المجسمة إن لله تعالى يدين هما عضوان له وكذلك الوجه والعين وأثبتوا له رجلين قد فضلتا عن عرشه : وساقين يكشف عنهما يوم القيامة ، وقدما يضعهما فى جهنم فتمتلىء وأثبتوا ذلك معنى لا لفظا وحقيقة لا مجازا ، فاما أحمد بن حنبل فلم يثبت عنه تشبيه ولا تجسيم أصلا ، وإنما كان يقول بترك التأويل فقط ، ويطلق ما أطلقه الكتاب والسنة ، ولا يخوض فى تأويله ، ويقف على قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) وأكثر المحصلين من أصحابه على هذا القول ، (ابن أبى الحديد أول ص ٢٩٥)

ولا مطابقة المكان واستقلال العرش بالرحمن تفسيرا للاستواء ولا ترددا فى الاماكن التى تحيط به تفسيرا للمجىء ، وإنما ذهبنا فى ذلك إلى اطلاق ما أطلقه القرآن فقط ، من غير تكييف (ولا) تشبيه ، ومالم يرد به القرآن والخبر ، فلا نطلقه كما أطلقه سائر المشبهة والمجسمة وقال البارى تعالى . عالم فى الأزل بما سيكون على الوجه الذي سيكون ، وشاء لتنفيذ علمه فى معلوماته ، فلا ينقلب علمه جهلا ، ومريد لما يخلق فى الوقت الذي يخلق بارادة حادثة ، وقائل لكل ما يحدث بقوله كن حتى يحدث ، وهو الفرق بين الأحداث والمحدث . والخلق والمخلوق[1]

وقال نحن نثبت القدر خيره وشره من الله تعالى ، وأنه أراد الكائنات كلها خيرها وشرها ، وخلق الموجودات كلها حسنها وقبيحها

(١) ذهبت الكرامية إلى أن الحوادث تحل فى ذاته فاذا أحدث جسما أحدث معنى حالا فى ذاته وهو الاحداث فحدث ذلك الجسم مقارنا لذلك المعنى أو عقيبه قالوا وذلك المعنى هو قول كن وهو المسمى خلقا . والخلق غير المخلوق ، قال الله تعالى (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) قالوا لكنه قد أشهدنا ذواتها تدل على أن خلقها غيرها وصرح ابن الهيصم فى كتاب المقالات بقيام الحوادث بذات الله تعالى فقال أنه إذا أمر أو نهى أو أراد شيئا كان أمره ونهيه وإرادته كائنة بعد أن لم تكن وهى قائمة به ، لان قوله منه يسمع وكذلك إرادته منه توجد ، قال وليس قيام الحوادث بذاته دليلا على حدوثه وانما يدل على الحدوث تعاقب الاضداد التى لا يصلح أن يتعطل منها والبارى تعالى لا تتعاقب عليه الاضداد (ابن أبى الحديد جزء أول ص ٢٩٧)

ونثبت للعبد فعلا بالقدرة الحادثة ، نسمى ذلك كسبا ، والقدرة الحادثة مؤثرة فى اثبات فائدة زائدة ، على كونه مفعولا مخلوقا للبارى تعالى ، تلك الفائدة هى مورد التكليف ، والمورد هو المقابل بالثواب والعقاب

واتفقوا على أن العقل يحسن ويقبح قبل الشرع ، وتجب معرفة الله تعالى بالعقل كما قالت المعتزلة ، إلا أنهم لم يثبتوا رعاية الصلاح والأصلح واللطف عقلا كما قالت المعتزلة ، وقالوا الايمان هو الاقرار باللسان فقط دون التصديق بالقلب ، ودون سائر الأعمال ، وفرقوا بين تسمية المؤمن مؤمنا فيما يرجع إلى أحكام الظاهر ، والتكليف وفيما يرجع إلى أحكام الآخرة ، والجزاء ، فالمنافق عندهم مؤمن فى الدنيا حقيقة ، مستحق للعقاب الأبدى فى الآخرة .

وقالوا فى الأمامة إنها تثبت باجماع الأمة دون النص والتعيين ، كما قال أهل السنة إلا أنهم قالوا يجوز عقد البيعة لإمامين فى قطرين[1] وغرضهم إثبات إمامة معاوية بالشام ، باتفاق جماعة من الصحابة ،

---

(١) يذهبون إلى أن عليا ومعاوية كانا أمامين محقين في وقت واحد وكان واجبا على أتباع كل واحد منهما طاعة أميره ، ولو كان كما قالوا لوجب أن يكون كل واحد منهما ظالما فى مقاتلة صاحبه لأن من زاحم إماما عادلا محقا كان مبطلا ظالما . ومن العجب قول أتباعه ان عليا كان إماما على وفق السنة وكان معاوية إماما على خلاف السنة ، وكانت طاعة كل واحد منهما واجبة على أتباعه فيا عجبا من طاعة واجبة خلاف السنة (التبصير ص ٦٨ الفرق بين الفرق ص ٢١١)

وإثبات إمامة أمير المؤمنين على بالمدينة والعراقين[١] باتفاق جماعة من الصحابة ، ورأوا تصويب معاوية فيما استبد به من الأحكام الشرعية قتالا على طلب قتلة عثمان رضى الله عنه ، واستقلالا بمال بيت المال ، ومذهبهم الأصلى اتهام على رضى الله عنه ، فى الصبر على ما جرى مع عثمان رضى الله عنه ، والسكوت عنه وذلك عرق نزع[٢]

الخوارج من ذلك ، والمرجئة ، والوعيدية ، كل من خرج على الإمام الحق ، الذى اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا ، سواء كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم على التابعين باحسان ، والأئمة فى كل زمان

والمرجئة صنف آخر تكلموا فى الايمان ، والعمل إلا أنهم وافقوا

---

(١) العراقان المصران البصرة والكوفة ، ويقال لهما البصرتان وقد مصرت البصرة أيام عمر ، وكان ابن أبى ليلى يقول ما رأيت بلدا أبكر إلى ذكر الله من أهل البصرة ، وقيل ، بيوتها الذهب ونهرها عجب أوله الرطب وأوسطه العنب وآخره القصب ، والكوفة ، المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسميها قوم خد العذراء ، وكان على يقول الكوفة كنز الايمان وحجة الاسلام وسيف الله ورمحه يضعه حيث شاء والذى نفسى بيده لينتصرن الله بأهلها فى شرق الأرض وغربها كما انتصر الحجاز وكان سلمان الفارسى يقول أهل الكوفة أهل الله وهى قبة الاسلام ويحن إليها كل مؤمن ، والعراق أعدل أرض الله هواء وأصحها مزاجا وماء ، فلذلك كان أهل العراق هم أهل العقول الصحيحة ، والآراء الرجيحة ، والشمائل الظريفة ، والبراعة فى كل صناعة (معجم ثان ص ١٩٢ سادس ص ١٣٥ سابع ص ٢٩٧)

(٢) فى الحديث إنما هو عرق نزعه يقال نزع اليه فى الشبه إذا أشبهه ، ويقال للمرء اذا أشبه أخواله ، نزعه اليهم عرق الخال قال الفرزدق:

أشبهت أمك ياجرير فانها نزعتك والأم اللئيمة تنزع

الخوارج فى بعض المسائل التى تتعلق بالامامة

والوعيدية داخلة فى الخوارج ، وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة ، وتخليده فى النار ، فذكرنا مذاهبهم فى أثناء مذاهب الخوارج [١]

الخوارج

اعلم أن أول من خرج على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه جماعة ، ممن كان معه فى حرب صفين ، وأشدهم خروجا عليه ومروقا من الدين الأشعث بن قيس ومسعر بن فدكى التميمى ، وزيد[٢] ابن حصن الطائى ، حين قالوا ، القوم يدعوننا إلى كتاب الله ، وأنت

---

(١) الخوارج جمع الخارجة وهم الذين نزعوا أيديهم عن طاعة ذى السلطان من أئمة المسلمين ، بدعوى ضلالة وعدم انتصاره للحق ولهم فى ذلك مذاهب ابتدعوها وأراء فاسدة اتبعوها والى بعض الخوارج أشار الصلتان العبدى بقوله :

أرى أمة شهرت سيفها ... وقد زيد فى سوطها الأصبحى
بنجدية وحرورية ... وأزرق يدعو إلى أزرقى
فلتنا أننا المسلمون ... على دين صديقنا والنبى

والسياط التى يعاقب بها السلطان الأصبحيه وتنسب الى ذى أصبح الحميرى وكان ملكا من ملوك حمير وهو أول من اتخذها وهو جد مالك بن أنس الفقيه رضى الله عنه (الكامل وشرحه سابع ص ٨٦ و ص ١٠١)

(٢) زيد بن حصن الطائى من رءوس الخوارج ، قال أبو بلال مرداس فى الخروج :

أبعد ابن وهب ذى النزاهة والتقى ... ومن خاض فى تلك الحروب المهالكا
أحب بقاء أو أرجى سلامة ... وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا
فيارب سلم نيتى وبصيرتى ... وهب لى التقى حتى ألاقى أولئكا

(العقد ثان ص ٣٩٩)

تدعونا إلى السيف ، حتى قال أنا أعلم بما فى كتاب الله ، انفروا إلى بقية الأحزاب ، انفروا إلى من يقول كذب الله ورسوله . وأنتم تقولون صدق الله ورسوله قالوا لترجعن الأشتر[١] عن قتال المسلمين ، وإلا لنفعلن بك كما فعلنا بعثمان ، فاضطر إلى رد الأشتر بعد أن هزم الجمع وولوا مدبرين ، وما بقي منهم إلا شرذمة قليلة فيهم حشاشة قوة . فامتثل الأشتر أمره ، وكان من أمر الحكمين ، أن الخوارج حملوه على التحكيم أولا ، وكان يريد أن يبعث عبد الله بن عباس . فما رضى الخوارج بذلك ، وقالوا : هو[٢] منك ، فحملوه على بعث أبى موسى

(١) مالك بن الحرث النخعي الكوفى المعروف بالأشتر . أدرك الجاهلية من تابعى الكوفة ، وكان من أصحاب على وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها وولاه على مصر فلما كان بالقلزم شرب شربة عسل فمات وكان رئيس قومه ، وممن يسعى فى الفتنة وألب على عثمان وشهد حصره وكانت وفاته سنة سبع وثلاثين وقد نعاه على إلى قومه وأثنى عليه ثناء حسنا (تهذيب التهذيب عاشر ص ١١)

(٢) لما قال أهل الشام أنا قد رضينا واخترنا عمرو بن العاص . وقال الأشعث والقراء الذين صاروا خوارج فيما بعد قد رضينا نحن واخترنا أبا موسى الأشعرى فقال لهم على فانى لا أرضى بأبى موسى ولا أرى أن أوليه فقال الأشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكى فى عصابة من القراء إنا لا نرضى إلا به فانه قد كان حذرنا ما وقعنا فيه فقال على فانه ليس لى برضا وقد فارقنى وخذل الناس عنى وهرب منى حتى أمنته بعد شهر ولكن هذا ابن عباس ، أوليه ذلك قالوا : والله ما نبالي أكنت أنت أو ابن عباس ؟ ولا نريد إلا رجلا هو منك ومن معاوية سواء ليس إلا واحد منكما أدنى من الآخر . قال على : فانى أجعل الأشتر فقال الأشعث : وهل سعر الأرض

الأشعرى ، على أن يحكما بكتاب الله تعالى ، فجرى الأمر على خلاف مارضى به ، فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه ، وقالوا : لم حكمت الرجال ، لا حكم إلا لله ، وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان

وكبار فرق الخوارج ستة الأزارقة ، والنجدات ، والصفرية ، والعجاردة ، والأباضية ، والثعالبة ، والباقون فروعهم ، ويجمعهم القول بالتبريء من عثمان وعلى ، ويقدمون ذلك على كل طاعة ، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك ، ويكفرون أصحاب الكبائر ، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً واجباً

المحكمة الأولى هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علىّ عليه السلام حين جرى أمر الحكمين ، واجتمعوا بحروراء[1] من ناحية الكوفة ، ورئيسهم عبد الله بن[2] الكواء ، وعتاب بن الأعور ، وعبد الله بن وهب الراسبي ، وعروة[3] بن حدير ،

علينا إلا الأشتر وهل نحن الا فى حكم الأشتر قال على : وما حكمه ؟ قال حكمه أن يضرب بعضنا بعضا بالسيف حتى يكون ما أردت وما أراد (ابن أبى الحديد أول ص ١٨٩)

(١) حروراء بفتحتين وسكون الواو وراء أخرى وألف ممدودة قرية بظاهر الكوفة وقيل موضع على ميلين منها نزل بها الخوارج الذين خالفوا عليا فنسبوا اليها (معجم ثالث ص ٢٥٩)

(٢) عبد الله بن الكواء من رءوس الخوارج وله أخبار كثيرة مع على وكان يلزمه ويعينه فى الأسئلة وقد رجع عن مذهب الخوارج وعاود صحبة على ، (لسان الميزان ثالث ص ٣٢٩)

(٣) عروة بن أدية ، وهو عروة بن عمرو بن حدير وأدية جدته من

ويزيد [1] بن عاصم المحاربى ، وحرقوص بن زهير المعروف بذى الثدية ، وكانوا يومئذ فى إثنى عشر ألف رجل ، أهل صيام وصلاة ، أعنى يوم النهروان ، وفيهم قال النبي صلى الله عليه وسلم بحقر صلاة أحدكم فى جنب صلاتهم ، وصوم أحدكم فى جنب صيامهم ، ولكن لايجاوز ايمانهم تراقيهم ، وهم المارقة الذين قال فيهم (سيخرج من ضئضىء هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) وهم الذين أولهم ذو الخويصرة

محارب نسب اليها وقيل بل كانت ظئرا له ، وهو من رءوس الخوارج وقد ضعفه الجوزجانى وهو أول من حكم بصفين وكان له أصحاب واتباع وشيعة ظفر به ابن زياد ، فقال له ابن زياد لأمثلن بك فقال اختر لنفسك القصاص ما شئت ، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه وصلبه على باب داره ، فقال لأهله وهو مصلوب انظروا إلى هؤلاء الموكلين فاحسنوا اليهم فانهم أضيافكم ، فقتل فى خلافة معاوية سنة ثمانية وخمسين (لسان الميزان رابع ص ١٦٣ المعارف ص١٤١ ابن أبى الحديد أول ص٣٨٠ ابن الأثير رابع ص ٤٢ العقد الفريد أول ص ٢٧١)

(١) يزيد بن عاصم المحاربى من رءوس الخوارج ، ولما خطب على فقال الله أكبر كلمة حق يراد بها باطل ان سكتوا عممناهم وإن تكلموا حججناهم وإن خرجوا علينا قاتلناهم فوثب يزيد بن عاصم المحاربى فقال الحمد لله غير مودع ربنا ، ولا مستغنى عنه اللهم أنا نعوذ بك من اعطاء الدنية فى ديننا فان اعطاء الدنية فى الدين ادهان فى أمر الله عز وجل ، وذل راجع بأهله الى سخط الله ، يا على أبا لقتل تخوفنا ، أما والله انى لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات ، ثم لتعلمن أينا أولى بها صليا ، ثم خرج بقومه هو وأخوة له ثلاثة هو رابعهم فاصيبوا مع الخوارج بالنهروان وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيله (طبرى سادس ص ٤١)

وآخرهم ذو الثدية ، وإنما خروجهم فى الزمن الأول على أمرين :

أحدهما بدعتهم فى الامامة ، إذ جوزوا أن تكون الامامة فى غير قريش[1] وكل من ينصبونه برأيهم وعاشر الناس على مامثلوا له من

---

(١) صفة الامام الذى يلزم العقد له ، يجب أن يكون على أوصاف منها : (١) أن يكون قرشيا من الصميم . ودليله أمور منها قول النبى ﷺ (الأئمة من قريش ما بقى منهم اثنان ، وقوله للعباس « إنما أوصى وقريشا بالناس وبهذا الأمر ، وإنما الناس تبع لقريش فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم ، واحتجاج أبى بكر وعمر فى السقيفة ، واذعان الأنصار ، بله انطباق الصدر الأول من المهاجرين والأنصار وقول سعد لأبى بكر (نحن الوزراء وأنتم الأمراء (٢) ومنهـا أن يكون من العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضيا من قضاة المسلمين ، لاجماع الأمة على ذلك ممن قال بالنص والاختيار ، ولأنه هو الذى يولى القضاة والحـكام ، وينظر فى أحكامهم وما يوجب صرفهم وجرحهم ونقض أحكامهم ولن يملك علمه بذلك وتمكنه منه إلا بأن يكون مثلهم فى العلم أو فوقهم ، بله اجماع الأمة على أن للامام أن يباشر القضاء والأحـكام بنفسه ، ولا يستخلف قضيا ، ما استغنى بنفسه ونظره . ولن يصلح للحكم إلا من صلح أن يكون قاضيا من قضاة المسلمين . (٣) ومنها أن يكون ذا بصيرة بأمر الحرب . وتدبير الجيوش والسرايا وسد الثغور وحماية البيضة وحفظ الأمة والانتقام من ظالمهـا والأخذ لمظلومهـا وما يتعلق به من مصالحها ، فانه إذا لم يكن عالما بذلك لحق الخلل فى جميعه وتعدي الضرر بجهله بذلك الى الأمة وطمع فى المسلمين عدوهم (٤) ومنها أن يكون ممن لا تلحقه رقة ولا هوادة في اقامة الحدود ولا جزع لضرب الرقاب ، فانه اذا لم يكن بهذه الصفة قصر عما لاجله أقيم من اقامة الحد ، واستخراج الحق واضر فشله فى هذا الأمـر بما نصب له (٥) ومنها أن يكون من أمثلهم فى العلم وغيره الا أن يمنع عارض من اقامة الأفضل فيسوغ نصب المفضول ، لأن الأخبار المتظاهرة عن النبى ﷺ فى

العدل واجتناب الجور كان إماما ، ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه ، وإن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله ، أو قتله ، وهم أشد الناس قولا بالقياس ، وجوزوا أن لا يكون في العالم إمام أصلا وان احتيج اليه فيجوز أن يكون عبدا أو حرا أو نبطيا أو قريشيا

والبدعة الثانية أنهم قالوا اخطأ على فى التحكيم ، إذ حكم الرجال لا حكم إلا لله تعالى ، وقد كذبوا عَلَى على عليه السلام من وجهين : أحدهما فى التحكيم أنه حكم الرجال ، وليس ذلك صدقا ، لأنهم هم الذين حملوه على التحكيم ، والثانى أن تحكيم الرجال جائز فان القوم

وجوب تقدمة الأفضل قال النبي ﷺ يؤم القوم أفضلهم ، وقوله . أئمتكم شفعاؤكم فانظروا بمن تستشفعون وفى خبر آخر أئمتكم شفعاؤكم إلى الله : فقدموا خيركم ، وقوله (من تقدم على قوم من المسلمين يرى أن فيهم من هو أفضل منه فقد خان الله ورسوله والمسلمين ، إلى اجماع الأمة فى الصدر الأول على طلب الأفضل ، وإنما جاز العقد المفعول وترك الأفضل لخوف الفتنة والتهارج وليس من صفته أن يكون معصوما ولا عالما بالغيب ولا أفرس الأمة ولا أن يكون من بنى هاشم فقط دون غيرهم من قبائل قريش لأن الامام وكيل الأمة وهى من ورائه في تسديده وتقويمه ، وإذا وجب عليه ما يوجب خلعه خلعوه ، وليس يحتاج إلى أن يكون معصوما ، إلى اعتراف الخلفاء الراشدين بأنهم غير معصومين هذا أبو بكر يقول أطيعونى ما أطعت الله فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم وهذا عمر يقول : رحم الله امرأ أهدى إلينا عيوبنا . إلى أنه لا يجب أن يكون من بني هاشم دون غيرها من غيرها ، فظاهر الخبر لا يقتضيه والعقل لايوجبه : وقد قال ﷺ الأئمة من قريش ، (التمهيد ص ١٨١)

هم الحاكمون فى هذه المسئلة ، وهم رجال ولذا قال على عليه السلام كلمة حق أريدبها باطل (١) وتخطوا عن التخطئة إلى التكفير ، ولعنوا عليا عليه السلام فيما قاتل الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين ، فقاتل الناكثين وما اغتنم أموالهم وما سبى ، ذراريهم ونساءهم وقاتل مقاتلة القاسطين ، وما اغتنم أموالهم ولا سبى ، ثم رضى بالتحكيم ، وقاتل مقاتلة المارقين واغتنم أموالهم وسبى ذراريهم ، وطعنوا فى عثمان للأحداث التى عدوها عليه وطعنوا فى أصحاب الجمل وأصحاب صفين ، فقاتلهم على عليه السلام بالنهروان مقاتلة شديدة ، فما انفلت منهم إلا أقل من عشرة ، وما قتل من المسلمين إلا أقل من عشرة ، فانهزم اثنان منهم إلى عمان (٢) واثنان إلى كرمان (٣) واثنان إلى سجستان (٤) واثنان

(١) إن عليا بينما هو يخطب يوما إذ قام اليه رجل من الخوارج فقال ياعلى : أشركت فى دين الله الرجال ولا حكم إلا لله ، فتنادوا من كل جانب لاحكم إلا لله ، لاحكم إلا لله ، فقال على الله أكبر ، كلمة حق يراد بها باطل أما إن لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا ، لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ، ولا نمنعكم الفىء ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تبدءونا ، ثم رجع إلى مكانه الذى كان فيه من خطبته (ابن كثير سابع ص ١٨١ ابن جرير سادس ص ٤١)

(٢) عمان ، اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند ، تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع إلا أن حرها يضرب به المثل وأكثر أهلها فى أيامنا خوارج أباضية (معجم سادس ص ٢١٥)

(٣) كرمان ، ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان وهى كثيرة النخل والزروع والمواشى وتشبه بالبصرة فى كثرة التمور وجودتها وسعة الخيرات (معجم سابع ص ٢٤١)

(٤) سجستان ، ناحية كبيرة وولاية واسعة ، وهى جنوبى هراة وبها

إلى الجزيرة (١) وواحد إلى تل موزن (٢) واثنان الى اليمن وظهرت بدع الخوارج فى هذه المواضع منهم وبقيت إلى اليوم (٣)

وأول من بويع بالامامة من الخوارج عبدالله بن وهب الراسبى فى منزل زيد بن حصن ، بايعه عبدالله بن الكواء وعروة بن حدير ويزيد بن عاصم المحاربى ، وجماعة معهم ، وكان يمتنع عليهم تحرجا ، ويستقبلهم ويومى إلى غيرهم تحرزا ، فلم يقنعوا إلا به ، وكان يوصف برأى ونجدة ، فتبرأ من الحكمين ، وممن رضى بقولهما ، وصوب أمرهما وكفروا أمير المؤمنين عليا عليه السلام ، وقالوا إنه ترك حكم الله ، وحكَّم الرجال ،

وقيل إن أول من تلفظ بهذا رجل من بنى سعد بن زيد بن مناة

نخل كثير ، وتمر وفى رجالهم عظم خلق وجلاد (معجم خامس ص ٣٧)

(١) الجزيرة هي التى بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر وهى صحيحة الهواء جيدة الربع والنماء واسعة الخيرات بها مدن جليلة ، وحصون وقلاع كثيرة (معجم ثالث ص ٩٦)

(٢) تل موزن ، بفتح الزاى وقياسة فى العربية كسرها وهو بلد قديم بين رأس عين وسروج (معجم ثان ص ٤٠٩)

(٣) اختلفوا فيما يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها فذكر الكعبي ان الذى يجمعهم إكفار على وعثمان والحكمين واصحاب الجمل وكل من رضى بتحكيم الحكمين والاكفار بارتكاب الذنوب ووجوب الخروج على الامام الجائر وقال الأشعرى الذي يجمعهم اكفار على وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضى أو صوب الحكمين أو أحدهما ووجوب الخروج على السلطان الجائر ، والخوارج اقدم الفرق ، واظهر مذهب أدمجت فيه الأفكار الدينية فى الخلافات السياسية ،

ابن تميم يقال له الحجاج[١] بن عبيد الله يلقب بالبرك ، وهو الذى ضرب معاوية على إليته لما سمع بذكر الحكمين ، وقال أتحكم فى دين الله ، لا حكم إلا الله ، تحكم بما حكم القرآن به ، فسمعها رجل فقال طعن والله ، فانفذ ، فسموا المحكمة بذلك ، ولما سمع أمير المؤمنين على عليه السلام هذه الكلمة ، قال كلمة عدل يراد بها جور ، انما يقولون لا امارة ، ولا بد من امارة برة أو فاجرة

ويقال إن أول سيف سل من سيوف الخوارج سيف عروة بن أدية وذلك أنه أقبل عَلَى الاشعث فقال ما هذه الدنية يا أشعث ، وما هذا التحكيم ، أشرط أوثق من شرط الله تعالى ، ثم شهر السيف والأشعث تولى فضرب به عجز البغلة فشبت البغلة فنفرت اليمانية فلما رآى ذلك الأحنف مشى هو وأصحابه الى الأشعث فسألوه الصفح ففعل ، وعروة بن أدية نجا بعد ذلك من حرب النهروان ، وَبقى إلى أيام معاوية ثم أتى إلى زياد بن[٢] أبيه ومعه مولى له ، فسأله زياد عن

---

(١) الحجاج بن عبد الله الصريمى ولقبه البرك ، أحد الخوارج الثلاثة الذين تعاهدوا على قتل على ومعاوية وعمرو بن العاص ، وقد أخذ وأوقف بين يدى معاوية فأمر بحبسه ولما قتل على أطلقه (مروج الذهب ثانى ص ٢٨٩ و ٢٩٤)

(٢) زياد بن أبيه الأمير ، وهو زياد بن سمية ويقال زياد بن عبيد ، فلما استلحقه معاوية قيل زياد بن أبى سفيان كان قوى المعرفة جيد السياسة وافر العقل ، كان من شيعة على وولاه امرة القدس ثم صار أشد الناس على آل على وشيعته ، توفى سنة ثلاث وخمسين وهو على أمرة العراق لمعاوية وأخباره شهيرة (لسان الميزان ص ٤٩٣)

أبى بكر وعمر ، فقال فيهما خيراً ، وسأله عن عثمان فقال كنت أتولى عثمان على أحواله فى خلافته ست سنين ، ثم تبرأت منه بعد ذلك للأحداث التى أحدثها ، وشهد عليه بالكفر ، فسأله عن أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، فقال أتولاه إلى أن حكم ، ثم أتبرأ منه بعد ذلك ، وشهد عليه بالكفر ، فسأله عن معاوية فسبه سباً قبيحاً ، ثم سأله عن نفسه ، فقال أولك لزنية ، وآخرك لدعوة ، وأنت فيما بينهما بعد عاص ربك ، فأمر زياد بضرب عنقه ، ثم دعا مولاه وقال صف لى أمره وأصدق فقال أطنب أم أختصر فقال بل اختصر ، فقال ما أتيته بطعام فى نهار قط ولا فرشت له فراشاً بليل قط ، هذه معاملته واجتهاده ، وذلك خبثه واعتقاده

الأزارقة[1] أصحاب أبى راشد ، نافع بن الأزرق الذين خرجوا مع نافع[2] من البصرة إلى الأهواز فغلبوا عليها وعلى كورها وما وراءها من بلدان فارس ، وكرمان فى أيام عبد الله بن الزبير ، وقتلوا عماله بهذه النواحى ، وكان مع نافع من أمراء الخوارج عطية[3] بن الأسود الحنفى

---

(١) لم يكن للخوارج قوم أكثر منهم عددا وأشد منهم شوكة وقد غلبوا على بلاد الاهواز وأرض فارس وكرمان أيام عبد الله بن الزبير

(٢) نافع بن الأزرق الحرورى من رءوس الخوارج واليه تنسب طائفة الأزارقه خرج آخر دوله يزيد بن معاوية وكان يعترض الناس بما يحير العقل ، واشتدت شوكته ، قل سنه خمس وستين (لسان الميزان سادس ص ١٤٤)

(٣) عطيه بن الاسود الحنفى اليشكرى ، من رءوس الخوارج وهو ممن

وعبد الله[1] بن الماحوز وأخواه عثمان ، والزبير ، وعمر بن عمير[2] العنبرى، وقطرى بن الفجاءة المازنى ، وعبيدة بن هلال اليشكرى[3] .

صار إلى البصرة مع نافع بن الأزرق ثم إلى اليمان ثم كان ممن أجمعوا بعد ذلك على نجدة بن عامر الحنفى (الكامل وشرحه سابع ص ٢٢٩)

(١) عبد الله بن الماحوز وبنو الماحوز هم الزبير ، وعثمان وعلى وعبد الله وعبيد الله بنو بشير بن يزيد المعروف بالماحوز وهم من بنى الحرث بن سليط وكلهم من أمراء لأزارقه (الكامل وشرحه ص ٢٢٩ سابع)

(٢) عمر بن عمير العنبرى من رءوس الخوارج وهو من بنى تميم وكان ابنه عطيه من فرسان بنى تميم وشجعانهم ، وقد أبلى مع المغيرة وهو الذى يقول

يدعى رجال للعطاء وإنما يدعى عطية للطعان الأجرد

(الكامل وشرحه ثامن ص ١٢)

(٣) عبيدة بن هلال اليشكرى من رءوس الخوارج وفرسانهم ، وكان على ميمنة جيشهم ، وكان الشراة والمسلمون يتواقفون ويتساءلون فيما بينهم عن أمر الدين وغير ذلك على أمان وسكون أتاه أبو حزابة التميمى فقال له فاى الرجلين أشعر أجرير أم الفرزدق قال عليك وعليهما لعنة الله أيهما الذى يقول :

وطوى الطراد مع القياد بطونها طى التجار بحضرموت برودا

قال جرير قال فهو أشعرهما ، وكان عبيدة إذا تكاف الناس ناداهم ليخرج إلى بعضكم فيخرج اليه فتيان من العسكر فيقول لهم أيما أحب اليكم أقرأ عليكم القرآن ، أو أنشدكم الشعر ، فيقولون له أما القرآن فقد عرفناه مثل معرفتك ، فأنشدنا فيقول لهم يافسقه والله قد علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن ثم لا يزال ينشدهم ويستنشدهم حتى يملوا ثم يفترقون ، وكان فارسا شجاعا ، وقد صرع المغيرة بن المهلب ، وكان يقول يومئذ

أنا ابن خير قومه هلال شيخ على دين أبي بلال
وذاك ديني آخر الليالى

وصخر بن حنبا التميمى وصالح[١] بن مخراق العبدى وعبد ربه[٢] الكبير ، وعبد ربه[٣] الصغير فى زهاء ثلاثين ألف فارس ، ممن يرى رأيهم ويتخرط فى سلكهم فأنفذ إليه عبدالله[٤] بن الحرث بن نوفل النوفلى بصاحب

فقال رجل المغيرة كنا نعجب كيف تصرع والآن نعجب كيف تنجو وكان إذا تكلم فما سمع ناطق قط ينطق كان أبلغ قولا منه (الأغانى سادس ص ١٤٩ ابن الأثير رابع ص ٨١ ابن أبى الحديد أول ص ٤٠١ الطبرى سابع ص ٥٦)

(١) صالح بن مخراق من رؤساء الخوارج ، وقد جمع جموعه ، وقال : ياقوم أنكم اقررتم عين عدوكم وأطمعتموه فيكم بما يظهر من خلافكم فعودوا إلي سلامة القلوب ، واجتماع الكلمة ، فأغار على السرح ، فشق ذلك على المهلب ، واختلف مع قطرى ، فحمل فتى من الشراة على صالح فطعنه فانفذه (ابن أبى الحديد أول ص ٤٠١)

(٢) عبد ربه الكبير ، من رءوس الخوارج وكان بائع رمان ومن موالى قيس بن ثعلبة (شرح النهج أول ص ٣٠٤)

(٣) عبد ربه الصغير أحد موالى قيس بن ثعلبة ، من رءوس الخوارج ، وكان معلم كتاب وقد بايعته طائفة منهم فى حرب المهلب (شرح نهج البلاغة أول ص ٤٠٣)

(٤) عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب الملقب ببه ، ولى البصرة سنة ٦٤ وبايعه اهلها وقال الفرزدق فى بيعته

وبايعت أقواما وفيت بعهدهم   وببة قد بايعته غير نادم

وكانت أمه ترقصه

لتنكحن ببه   :   جارية فى قبة   :   تمشط راس لعبه

ولما كانت الفتنة ، لزم بيته وكان يتدين وقال ما كنت لاصلح الناس بفساد نفسي ، فكتب اهل البصرة إلى ابن الزبير فكتب الي انس بن مالك يأمره بالصلاة بالناس فصلى بهم اربعين يوما ، حتي قدم عمر بن عبيدالله بن معمر التيمى اميرا على البصرة ، (ابن الاثير رابع ص ٥٨ الطبرى سابع ص ٣٣)

جيشه مسلم(١) بن عبيس بن كريز بن ربيعة بن حبيب فقتله الخوارج وهزموا أصحابه فأخرج إليهم أيضا عثمان(٢) بن عبيد الله بن معمر التميمى فهزموه فأخرج إليهم حارثة بن بدر الغدانى(٣)، فى جيش كثير فهزموه

(١) مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة، أمر على الجيش، وكان فارسا شجاعا دينا، فلما نفد من جسر البصرة أقبل على الناس، وقال انى ماخرجت لامتيار ذهب ولا فضة، وانى لأحارب قوما إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم فمن كان من شأنه الجهاد فلينهض، ومن أحب الحياة فليرجع، فرجع نفر يسير، ومضي الباقون معه، فلما صاروا بدولاب خرج اليهم نافع بن الازرق فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتلى وتضاربوا بالسيوف والعمد، فقتل فى المعركة ابن عبيس، وهو على أهل البصرة وذلك فى جمادى الآخرة سنة خمس وستين. وقتل نافع بن الازرق يومئذ أيضا، فعجب الناس من ذلك، وأن الفريقين تصابروا حتى قتل منهم خلق كثير وقتل رئيس العسكرين (الأغاني سادس ص ١٤٣)

(٢) عثمان بن عبيد الله بن معمر، من قواد الامويين، وكان أخوه عبد الله من ولاة تميم، فأرسله إلى نافع بن الأزرق في جيش فلقيهم بدولاب فقتل عثمان وهزم جيشه الطبرى سابع ص ٨٥)

(٣) حارثة بن بدر الغـدانى من قواد الأمويين، وكان صاحب شراب وقد ثبت بازاء الخوارج يناوشهم القتال، وجرت بينه وبين الخوارج وقائع، كان له فيها النصر فقال شاعر من تميم

فلولا ابن بدر للعراقين لم يقم بما قام فيه للعراقين إنسان

إذا قيل من حامى الحقيقة أومأت اليه معد بالاكف وقحطان

وكان حارثة مستهترا بالشراب معاقرا للخمر وفيه يقول رجل من قومه

ألم تر أن حارثة بن بدر يصلى وهو أكفر من حمار

ألم تر أن للفتيان حظا وحظك فى البغايا والعقار

وقد عقدت له الرياسة وأمر قومه بالثبات وقال لهم إذا فتح الله عليكم

وخشى أهـل البصرة على أنفسهم وبلدهم من الخوارج فأخرج إليهم المهلب[١] بن أبى صفرة فبقى فى حرب الأزارقة تسع عشرة سنة إلى أن فرغ من أمرهم فى أيام الحجاج ، ومات نافع قبل وقائع المهلب مع الأزارقة وبايعوا بعده قطرى[٢] بن الفجاءة ، وسموه أمير المؤمنين

وبدع الأزارقة ثمانية إحداها أن كفر عليا عليه السلام ، وقال إن الله أنزل فى شأنه (ومن النـاس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام) وصوب عبد الله بن ملجم لعنـه الله وقال إن الله أنزل فى شأنه (ومن[٣] الناس من يشرى نفسه

فللعرب زيادة فريضتين ، وللموالي زيادة فريضة ولكنه انهزم وأصحابه وتبعهم الخوارج فالقي الناس أنفسهم فى الماء فغرق منهم بدجيل الاهواز خلق كثير (ابن أبى الحديد أول ص ٣٨٣)

(١) المهلب بن أبى صفرة الأزدى أمير خراسان صاحب الحروب والفتوح غزا الهند وهزم العدو ، وحارب الأزراقة وأباد منهم الوفا ولم ير أمير أيمن نقيبة ولا أشجع لقاء ولا أبعد مما يكره ولا أقرب مما يحب منه توفى سنة اثنين وثمانين (شذرات اول ص٥٤ ، ٧٣ ، ٩٠)

(٢) قطرى بن الفجاءة رأس الخوارج ،وكان مجربا فى الحروب وهو الذى قال

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحك لن تراعى
فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبرا فى مجال الموت صبرا ... فما نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حى ... وداعيه لأهل الأرض داع

عثر به فرسه فقتل واتى الحجاج براسه سنة تسع وتسعين (شذرات اول ص ٨٦)

(٣) كذبوا ، وائتفكوا فقد قال ابن عباس وانس وجماعة أن هذه الآية نزلت فى صهيب بن سنان الرومى ، وذلك انه لما أسلم بمكة وأراد أن يهاجر

ابتغـاء مرضات الله) وقال عمران بن[١] حطان وهو مفتى الخوارج ، وزاهدها وشاعرها الأكبر فى تصويبه ؛ ابن[٢] ملجم لعنه الله

تبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وأنبل ما فى كنانته ثم قال يا معشر قريش قد علمتم انى من ارماكم رجلا وأنتم والله لاتصلون إلى حتى أرمي بكل سهم فى كنانتى ثم اضرب بسيفى ما بقى فى يدى منه شىء . ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم دللتكم على مالى وقنيتى بمكة وخليتم سبيلى قالوا نعم فلما قدم على النبى ﷺ قال «ربح البيع صهيب» ونزلت (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد» .

وأما الاكثرون فحملوا ذلك على أنها نزلت فى كل مجاهد فى سبيل الله كما قال تعالى . ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ؛ وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله الآية (ابن كثير أول ص ٢٤٧)

(١) عمران بن حطان السدوسى ويكنى أبا سماك شاعر فصيح من شعراء الشراة ودعاتهم ؛ والمقدمين فى مذهبهم وكان من القعـدة لأن عمره طال ، فضعف عن الحرب وحضورها فاقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه ، وكان قبل أن يفتن بالشراة مشتهرا بطلب العلم والحـديث ، ثم بلى بذلك المذهب فضل وهلك ، وقد أدرك صدرا من الصحابة ، وروى عنهم وروى عنه أصحاب الحديث وهو تابعى ثقة ، قيـل كانت له بنت عم كانت ترى رأى الخوارج فتزوجها ليردها عن ذلك فصرفته إلى مذهبها وكان عمران من نظراء جرير والفرزدق فى الشعر وهو القائل

حتى متى تسقى النفوس بكأسها ريب المنون وانت لاه ترتع

مات متواريا سنة أربع وثمانين (أغانى جزء ١٦ص ١٤٦ ميزان الاعتدال ثانى ص ٢٧٦)

(٢) أراد ابن ملجم أن يتزوج قطام بنت علقمه وقيل بنت شجنه ؛ من تيم الرباب وكان على قتـل أباها وأخاها يوم النهروان وكانت ترى رأى الخوارج فقالت لا اقنع منك الا بصداق اسميه لك وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وأمة وان تقتل عليا فقال لها لك ما سالت فـكيف لى به قالت تروم

يا ضربة من منيب ما أراد بها ألا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إنى لأذكره يوما فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا(١)

وعلى هذه البدعة مضت الأزارقة وزادوا عليه تكفير عثمان، وطلحة، والزبير، وعائشة، وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم وسائر المسلمين معهم، وتخليدهم فى النار

وفى الثانية أنه كفر القعدة(٢)، وهو أول من أظهر البراءة من

ذلك غيلة فإن سلمت أرحت الناس من شر، وأقمت مع أهلك وأن أصبت صرت إلى الجنة ونعيم لا يزول، فأنعم لها وفي ذلك يقول ابن أبي مياس المرادى

ولم أر مهرا ساقه ذو سماحة كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب على بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من على وإن غلا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

ويروى أن عليا كان يخطب مرة ويذكر أصحابه، وابن ملجم تلقاء المنبر فسمع وهو يقول والله لا ريحنهم منك، فلما انصرف على إلى بيته أتى به ملببا فأشرف عليهم، فقال ماتريدون فخبروه بما سمعوا فقال ماقتلنى بعد فخلوا عنه وكان على يتمثل ببيت عمرو بن معد يكرب

أريد حباءه ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

(الكامل وشرحه سابع ص ١٢٢ الطبرى سادس ص ٨٧)

(١) نقضه الفقيه الطبرى أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعى فقال

يا ضربة من شقى ما أراد بها إلا ليهدم من ذى العرش بنيانا
إنى لأذكره يوما فالعنه أيها والعن عمران ابن حطانا

وقال محمد بن أحمد الطيب يرد على عمران

يا ضربة من غدور صار ضاربها أشقى البرية عند الله انسانا
إذا تفكرت فيه ظلت العنه وألعن الكلب عمران بن حطانا

(الكامل وشرحه سابع ص ٨٤)

(٢) قال نافع: الدار دار كفر إلا من أظهر إيمانه ولا يحل أكل ذبائحهم ولا تناكحهم ولا توارثهم ومتى جاء منهم جاء فعلينا أن نمتحنه وهم ككفار

القعدة على القتال ، وإن كان موافقا على دينه ، وكفر من لم يهاجر إليه

والثالثة إباحته قتل أطفال المخالفين ، والنسوان

والرابعة اسقاطه الرجم عن الزانى إذ ليس فى القرآن ذكره ، وإسقاطه حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال ، مع وجوب الحد على قاذف المحصنات من النساء

الخامسة حكمه بأن أطفال المشركين فى النار مع آبائهم(١)

السادسة أن التقية غير جائزة فى قول ولا عمل

السابعة تجويزه أن يبعث الله تعالى نبيا يعلم أنه يكفر بعد نبوته، أو كان كافراً قبل البعثة ، والكبائر والصغائر إذا كانت بمثابة عنده وهى كفر ، وفى الأمة من جوز الكبائر والصغائر على الأنبياء عليهم السلام فهى كفر

الثامنة اجتمعت الأزارقة على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر ملة ، خرج به عن الاسلام جملة ، ويكون مخلدا فى النار مع سائر الكفار ، واستدلوا بكفر ابليس لعنه الله ، وقالوا ما ارتكب إلا كبيرة ، حيث أمر بالسجود لآدم فامتنع ، وإلا فهو عارف بوحدانية الله تعالى

العرب لاتقبل منهم إلا الاسلام والسيف والقعد بمنزلتهم والتقية لا تحل لأن الله تعالى يقول : إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقال عز وجل فيمن كان على خلافهم « يجاهدون فى سبيل الله ولايخافون لومة لائم (الكامل للمبرد ثالث ص ١٦٩)

(١) جاء مولى لبنى هاشم إلى نافع فقال له ان أطفال المشركين فى النار وان من خالفنا مشرك فدماء هؤلاء الأطفال لنا حلال قال له نافع كفرت وادللت بنفسك قال له ان لم آتك بهذا من كتاب الله فاقتلنى « قال نوح

النجدات العاذرية ، أصحاب نجدة بن عامر الحنفى . وقيل عاصم ، وكان من شأنه ، أنه خرج من اليمامة مع عسكره ، يريد اللحوق بالأزارقة فاستقبله أبو فديك[1] . وعطية بن الأسود الحنفى ، فى الطائفة الذين خالفوا نافع بن الأزرق ، فأخبروه بما أحدثه نافع من الخلاف بتكفير القعدة عنه ، وسائر الأحداث ، والبدع[2] وبايعوا نجدة ، وسموه أمير

رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا . فهذا أمر الكافرين وأمر أطفالهم فشهد نافع أنهم جميعا فى النار ورأى قتلهم (الكامل للمبرد ثالث ص ١٦٩)

(١) ابو فديك ، عبد الله بن ثور من بنى قيس بن ثعلبة من رءوس الخوارج وممن أجمع على نجدة بن عامر الحنفى (الطبرى سابع ص ٥٧)

(٢) لقى نجدة وأصحابه قوما من الخوارج بالعرمة ، فقال لهم أصحاب نجدة ان نافعا . قد كفر القعد ، ورأى الاستعراض ، وقتل الأطفال فانصرفوا مع نجدة ، فلما صار باليمامة كتب إلى نافع بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان عهدى بك وأنت لليتيم كالأب الرحيم ، وللضعيف كالأخ البر لا تأخذك فى الله لومة لائم . ولا ترى معونة ظالم كذلك كنت أنت وأصحابك ، أما تذكر قولك لولا انى أعلم ان للامام العادل مثل أجر جميع رعيته ، ما توليت أمر رجلين من المسلمين . فلما شربت نفسك ، فى طاعة ربك ، ابتغاء رضوانه وأصبت من الحق نصه وركبت أمره ، تجرد لك الشيطان ، ولم يكن احد اثقل عليه وطأة منك ومن اصحابك فاستمالك واستهواك واستغواك وأغواك فغويت ، فأكفرت الذين عذرهم الله فى كتابه من قعد المسلمين وضعفتهم فقال جل ثناؤه وقوله الحق ، ووعده الصدق (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ، ثم سماهم أحسن الأسماء فقال (ما على المحسنين من سبيل) ثم استحللت قتل الأطفال وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتلهم (عن ابن عمر قال وجدت امرأة مقتولة فى بعض تلك المغازى فنهى رسول

الله ﷺ « عن قتل النساء والصبيان) وفى رواية « اقتلوا المشركين واستحيوا شرخهم » (والشرخ الصغار الذين لم يدركوا) وقال الله عز ذكره ولا تزروا زرة وزر أخرى » وقال فى القعد خيرا وفضل الله من جاهد عليهم ، ولا يدفع منزلة أكثر الناس عملا منزلة من هو دونه أو ماسمعت قوله عز وجل (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر) فجعلهم الله من المؤمنين وفضل عليهم المجاهدين باعمالهم ورأيت أن لا تؤدى الامانة إلى من خالفك والله يأمر ان تؤدى الامانات إلى أهلها فاتق الله وانظر لنفسك ، (واتق يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) فان الله عز ذكره بالمرصاد ، وحكمه العدل ، وقوله الفصل والسلام ، فكتب اليه نافع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد أتاني كتابك تعظني فيه ، وتذكرني وتنصح لى وتزجرني وتصف ما كنت عليه من الحق ، وما كنت أوثره من الصواب ، وأنا أسأل الله جل وعز أن يجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وعبت علي ما دنت به من إكفار القعد ، وقتل الأطفال واستحلال الامانة فسأفسر لك ، لم ذلك ان شاء الله أما هؤلاء القعد فليسو كمن ذكرت ممن كان بعهد رسول الله ﷺ لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون إلى الهرب سبيلا ، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقا ، وهؤلاء قد فقهوا فى الدين ، وقرءوا القرآن ، والطريق لهم نهج واضح ، وقد عرفت ما قال الله عز وجل فيمن كان مثلهم إذ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض فقيل لهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقال فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وقال وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم فخبر بتعذيرهم وأنهم كذبوا الله ورسوله ، وقال سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ، فانظر إلى أسمائهم وسماتهم وأما أمر الاطفال فان نبي الله نوحا عليه السلام كان أعلم بالله يانجدة منى ومنك ، فقال «رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا » فسماهم بالكفر وهم أطفال وقبل أن يولدوا فكيف كان ذلك فى قوم نوح ولا تكون تقوله فى قومنا والله يقول (أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى

الزبير) وهؤلاء كمشركى العرب لاتقبل منهم جزية وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الاسلام ، وأما استحلال أمانات من خالفنا فان الله عز وجل أحل لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم فدماؤهم حلال طلق ، وأموالهم فيء للمسلمين فاتق الله وراجع نفسك فانه لاعذر لك إلا بالتوبة ولن يسعك خذلاننا والقعود عنا وترك ما نهجناه لك من طريقتنا ومقالتنا والسلام على من أقر بالحق وعمل به ، لقد سار نافع فى غلوائه على ما خيلت له نفسه ، أمم مثلهم ، والاية وهى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) نزلت فى طائفة ممن تكلموا بالاسلام وخرجوا مع المشركين فى بدر فأصيبوا فيمن أصيب من المشركين وقيل انهم قيس بن الفاكه والحرث بن زمعة ، وقيس بن الوليد وابو العاص بن أمية ، وعلى بن أمية ، وقد خرجوا مع المشركين ببدر فقتلوا كفارا أما آية فرح المخلفون فقد نزلت فى جماعة من المنافقين تخلفوا عن رسول الله ﷺ ولم يخرجوا معه إلى غزوة تبوك طلبا للراحة والدعة وعدولا عن تحمل المشاق فى طاعة الله ومرضاته ، أما آية وجاء المعذروق بالتخفيف ، من يأتون بالعذر وبالتشديد من يتعذرون كأن لهم عذرا ولم يكن ، أوهم المقصرون ، فهم ومن كذبوا الله ورسوله فيما كانوا يظهرونه من الايمان مسيئون فقوم عذروا ، وتكلفوا عذرا بالباطل وتخلف آخرون من غير تكلف عذر واظهار علة جرأة على الله ورسوله وما ذهب اليه فى دعاء نوح ، فهو من نافع فى منتهى السخف فان نوحا لما صنع به قومه وعلم انه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن دعا عليهم دعاء غضب باهلاكهم بيد الله ولم يطلب استحلال قتلهم ، وقتل أطفالهم بيده ولا بأيدى من آمن به وقد قال رسول الله ﷺ لا تقتلوا الذرية فى الحرب قالوا يارسول الله أوليس هم أولاد المشركين قال او ليس خياركم أولاد المشركين أما اكفاركم فان الله خوف بها كفار مكة ، وبانهم ليسوا أفضل من قوم نوح وعاد وثمود لا فى القوة ولا فى الثروه ولا فى كثرة العدد والمدد فاذا هلك هؤلاء فما الذى يؤمنكم ان ينزل بكم ما نزل بهم الكم براءة من العذاب فى الكتب السالفة أن لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخاليه ، فليس فيها ، ما تغالى فيه نافع ، ومن

المؤمنين ، ثم اختلفوا على نجدة فأكفره قوم منهم لأمور نقموها عليه منها أنه بعث ابنه مع جيش إلى أهل القطيف فقتلوا وسبوا نساءهم وقوموها على أنفسهم ، وقالوا إن صارت قيمهن فى حصصنا فذاك وإلا رددنا الفضل ، ونكحوهن قبل القسمة وأكلوا من الغنيمة قبل القسمة فلما رجعوا إلى نجدة وأخبروه بذلك قال فلم يسعكم ما فعلتم ، قالوا لم نعلم أن ذلك لايسعنا فعذرهم بجهالتهم .

واختلف أصحابه بعد ذلك فمنهم من وافقه وعذر[1] بالجهالات فى

العجب أن يجعل الموحدين كمشركى العرب وتحل دماؤهم أموالهم ، ودماؤهم وأموالهم حرام لاتحل إلا بحقها ، فتدباء وأصحابه بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين . (الكامل ثالث ص١٧٥ مجمع البيان ثان ص٩٨ ثالث ص ٥٦ و٥٩ خامس ص ١٩٣ شرح الكامل سابع ص ٢٣٧)

(١) وكان السبب فى ذلك أنه بعث ابنه ، مع جند من عسكره إلى القطيف فأغاروا عليها وسبوا منها النساء والذرية وقوموا النساء على أنفسهم ونكحوهن قبل اخراج الخمس من الغنيمة وقالوا إن دخلت النساء فى قسمنا فهو مرادنا ، وان زادت قيمهن على نصيبنا من الغنيمة غرمنا الزيادة من أموالنا ، فلما رجعوا إلى نجدة سألوه عما فعلوا من وطء النساء ومن أكل طعام الغنيمة قبل اخراج الخمس منها وقبل قسمة أربعة أخماسها بين الغانمين فقال لهم ، لم يكن لكم ذلك ، فقالوا لم نعلم ان ذلك لا يحل لنا ، فعذرهم بالجهالة ثم قال ان الدين أمران أحدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسله ، وتحريم دماء المسلمين وتحريم غصب أموال المسلمين والاقرار بما جاء من عند الله تعالى جملة فهذا واجب معرفته على كل مكلف ، وماسواه فالناس معذورون بجهالته حتى يقيم عليه الحجة فى الحلال والحرام فمن استحل باجتهاده شيئا محرما فهو معذور ، ومن خاف العذاب على المجتهد المخطىء قبل قيام الحجة عليه فهو كافر (الفرق بين الفرق ص ٦٧)

الحكم الاجتهادى ، وقالوا الدين أمران

أحدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسله عليهم السلام ، وتحريم دماء المسلمين يعنون موافقيهم ، والاقرار بما جاء من عند الله جملة ، فهذا واجب على الجميع ، والجهل به لا يعذر فيه

والثانى ما سوي ذلك فالناس معذورون فيه إلى أن يقوم عليهم الحجة فى الحلال والحرام ، قالوا ومن خاف العذاب على المجتهد المخطىء فى الأحكام ، قبل قيام الحجة عليه فهو كافر ، واستحل نجدة بن عامر دماء أهل العهد والذمة وأموالهم فى دار التقية ، وحكم بالبراءة ممن حرمها ، وتولى أصحاب الحدود من موافقيه[١] وقال لعل الله تعالى يعفو عنهم ، وان عذبهم ففى غير النار ، ثم يدخلهم الجنة ، فلا تجوز البراءة[٢] عنهم ، وقال من نظر نظرة أو كذب كذبة صغيرة وأصر

---

(١) ان النجدات من الخوارج لايكفرون أصحاب الحدود من موافقيهم ويقول من استحل باجتهاده شيئا محرما فهو معذور ، وزاد على ذلك أن تولاهم وقال لعل الله يعذبهم بذنوبهم فى غير نار جهنم ثم يدخلهم الجنة ، فهو يخالف بذلك اجماع المسلمين ، ويتألى على الله فيما ذهب اليه .

(٢) وزعم ان النار يدخلها من خالفه ، وهذا ضلال ، اذ أن العصاة خالفوه ، أم أطاعوه يعاقبون فى النار ثم يخرجون منها بشفاعة المصطفى ﷺ وبشفاعة العلماء والزهاد والعباد وشفاعة أطفال المؤمنين فمن لم تسعه شفاعة هؤلاء وكان قد سبق لهم الايمان فانه يخرج من النار برحمة الله جل جلاله وكثير من عصاة المؤمنين يغفر لهم قبل ادخال النار ، أما بشفاعة المختار ، وأما برحمة الجبار ، ولا يبقى فى النار من فى قلبه مثقال ذرة من الايمان ، والمؤمن لايصير كافرا بالمعصية ولا يخرج بها عن الايمان لأن

عليها فهو مشرك ، ومن زنا وشرب وسرق غير مصر عليه فهو غير مشرك ، وغلظ على الناس فى حد الخمر تغليظا شديدا ولما كاتب عبد الملك بن مروان وأعطاه الرضا نقم عليه أصحابه فيه فاستتابوه فأظهر التوبة فتركوا النقمة عليه ، والتعرض له ، وندمت طائفة على هذه الاستتابة ، وقالوا أخطأ ، وما كان لنا أن نستتيب الامام وما كان له ان يستتيب باستتابتنا اياه ، فتابوا عن ذلك وأظهروا الخطأ ، وقالوا له تب عن توبتك وإلا نابذناك فتاب من توبته وفارقه ابو فديك وعطية ووثب عليه أبو فديك فقتله ثم برىء أبو فديك من عطية ، وعطية من أبى فديك ، وانفذ عبدالملك بن مروان ، عثمان بن عبيد الله بن معمر ، إلى حرب أبى فديك فحاربه أياما فقتله ، ولحق عطية بأرض سجستان ويقال لأصحابه العطوية ، ومن أصحابه عبد الكريم ابن عجرد زعيم العجاردة ، وإنما قيل للنجدات العاذرية لأنهم عذروا بالجهالات فى أحكام الفروع ، وحكى الكعبي عن النجدات ان التقية

معصيته كائنة فى طرف من الأطراف لاتنافى ايمانا ، فى القلب وقد قال الله تعالى (انا لانضيع أجر من أحسن عملا) وقال ﷺ لا يبقى فى النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان ولا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من الكبر أى من الكفر ، ومثقال ذرة من الايمان اعتقاد مستخلص عن الشرك والافك والشك ، والشبهة ، ومتى ما اختلط به شائب من شوائب الكفر والبدع لم يستحق صاحبه اسم الايمان كما بينه الشافعى فى قوله (الشرك يشركه الشرك والاسلام لايشركه الشرك) (الفرق بين الفرق ص ٦٨ التبصير ص ١٠٦)

جائزة فى القول والعمل كله ، وان كان فى قتل النفس . قال

وأجمعت النجدات على أنه لاحاجة للناس إلى امام[١] قط، وإنما عليهم أن يتناصفوا[٢] فيما بينهم ، فان رأوا أن ذلك لايتم إلا بامام يحملهم عليه فاقاموه جاز

ثم افترقوا بعد نجدة ، إلى عطوية[٣] ، وفديكية[٤] ، وبرئ كل واحد منهما عن صاحبه بعد قتل نجدة وصارت الدار لابى فديك إلا من تولى نجدة[٥] ، وأهل سجستان ، وخراسان ، وكرمان ، وقهستان

---

(١) قال جمهور أصحابنا من المتكلمين والفقهاء مع الشيعه والخوارج وأكثر المعتزلة . بوجوب الامامة ، وأنها فرض واجب امامته وواجب اتباع المنصوب له ، وانه لابد للمسلمين من امام ينفذ أحكامهم ويقيم حدودهم ويغزي جيوشهم . ويزوج الايامى ويقسم الفيء بينهم (أصول الدين ص ٢٧١)

(٢) وقد زعم الاصم أن الناس لو كفوا عن المظالم لاستغنوا عن الامام . فذهابه أن الامة اذا تناصفت استغنت عن الامام يدفعه أنهم مع التناصف لا بد لهم من قائم بحفظ أموال اليتامي والمجانين وتوجيه السرايا إلى حرب الأعداء والذب عن البيضة ونحوها من الاحكام التى يتولاها الامام أو منصوب من قبله (أصول الدين ص ٢٧١ - ٢٧٢)

(٣) العطوية ، من الخوارج نسبوا إلي عطية بن الاسود اليمامى الحنفى (تاج عاشر ص ٢٤٦)

(٤) الفديكيه قوم من الخوارج نسبوا إلى أبى فديك الخارجى أحد بنى قيس بن ثعلبه ، وقد اختاره نجدة . ثم ان أبا فديك انفذ إلى نجدة بعد من قتله ، ثم تولاه بعد قتله طوائف من أصحابه بعد أن تفرقوا عليه . وقالوا قتل مظلوما (تاج سابع ص ١٦٦ ابن أبى الحديد أول ص ٣٨١)

(٥) هم فرقة من النجدات بعدوا عن اليمامة وكانوا بناحية البصرة ، شكوا فيما حكى من أحداث نجدة ، وتوقفوا فى أمره وقالوا لاندرى هل أحدث تلك الاحداث أم لا فلا نبرأ منه إلا باليقين (الفرق بين الفرق ص ٦٩)

من الخوارج ، عَلَى مذهب عطية ، وقيل كان نجـدة بن عامر ، ونافع بن الأزرق ، قد اجتمعا بمكة مع الخوارج على ابن الزبير ، ثم تفرقا عنه فاختلف نافع ونجدة ، فصار نافع إلى البصرة ، ونجـدة إلى اليمامة ، وكان سبب اختلافهما أن نافعا قال التقية[١] لا تحل ، والقعـود عن

---

(١) التقية الاظهار باللسان خلاف ما ينطوى عليه القلب للخوف على النفس .

وقالوا انما كانت التقية فى جدة الاسلام قبل استحـكام الدين وقوة المسلمين فأما اليوم فقد أعز الله الاسلام والمسلمين فليس لأهل الاسلام أن يتقوا من عدوهم قال يحي البكاء قلت لسعيد بن جبير فى أيام الحجاج أن الحسن يقول التقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس فى الامان تقيه انما التقية فى الحرب وقيل انما تجوز التقية لصون النفس عن الضرر لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان وللتقية أحكام :

(١) إنما تكون التقية إذا كان الرجل فى قوم كفار ويخاف منهم على نفسه وماله فيداريهم بلسانه وقلبه مطمئن بايمانه

(٢) لو أنه افصح بالايمان والحق حيث تجوز له التقية كان ذلك أفضل

(٣) انما تجوز فيما يتعلق باظهار الموالاه والمعاداة ، وقد تجوز فيما يتعلق باظهار الدين فاما ما يرجع ضرره إلى الغير كالقتل والزنا وغصب الأموال والشهادة بالزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البته

(٤) ظاهر الآية (إلا أن تتقوا منهم تقاة) يدل على أن التقية انما تحل مع الكفار الغالبين إلا أن مذهب الشافعي أن الحاله بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة على النفس

(٥) التقية جائزة لصون النفس ، وكذا لصون المال لقوله ﷺ حرمة مال المسلم كحرمة دمه ولقوله من قتل دون ماله فهو شهيد ، ولأن الحاجة إلى المال شديدة ، والماء إذا بيع بالغبن سقط فرض الوضوء وجاز الاقتصار

القتال كفر ، واحتج بقول الله تعالى (إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) وبقوله تعالى (يقاتلون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) وخالفه نجدة وقال التقية جائزة واحتج بقوله تعالى (إلا أن تتقوا منهم تقاة[١]) وبقوله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون

على التيمم دفعا لذلك القدر من نقصان المال فكيف لا يجوز ههنا

(٦) قال مجاهد : هـذا الحكم كان ثابتا فى أول الاسلام لأجل ضعف المؤمنين فأما بعد قوة دولة الاسلام فلا ، وروى عوف عن الحسن أنه قال التقية جائزة للمؤمنين إلى يوم القيامة ، وهذا القول أولى لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان (لباب التأويل أول ص ٢٨٣ الرازي ثان ص ٤٥١)

(١) فالتقية جائزة فى الدين عند الخوف على النفس ، وقال الطبري وقال أصحابنا انها جائزة فى الاحوال كلها عنـد الضرورة وربما وجبت فيها بضرب من اللطف والاستصلاح وظاهر الروايات تدل على أنها واجبة ان من خاف فى بعض البلدان من شر الكفار فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته كما قال البخارى عن أبى الدرداء أنه قال انا لنكشر فى وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم وقال ابن عباس ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان ، وكذا قال ابو العاليه وأبو الشعثاء ، والضحاك والربيع بن أنس ويؤيد ما قالوه قول الله تعالى : من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان وقال البخارى قال الحسن التقية إلى يوم القيامة عند الخوف على النفس وقد رؤي رخصة فى جواز الافصاح بالحق ، وروى الحسن أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لاحدهما أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم قال أفتشهد أنى رسول الله فقال نعم ثم دعا بالآخر فقال أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم ثم قال أفتشهد أنى رسول الله فقال انى أصم قالها ثلاثا كل ذلك يجيبه بمثل الأول فضرب عنقه فبلغ ذلك رسول الله فقال أما ذلك المقتول فمضى على صدقه ويقينه وأخذ

يكتم ايمانه) وقال القعود جائز ، والجهاد إذا أمكنه أفضل ، (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) وقال نافع هذا فى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم حين كانوا مقهورين ، وأما فى غيرهم مع الامكان فالقعدة كفر لقوله تعالى (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) .

البيهسية (٦)

أصحاب أبى بيهس الهيصم بن جابر ، وهو أحد بنى سعد ابن ضبيعة ، وقد كان الحجاج طلبه أيام الوليد فهرب إلى المدينة فطلبه بها عثمان بن حيان (٧) المرى ، فظفر به وحبسه ، وكان يسامره

بفضله فهنيئا له وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه فعلى هذا تكون التقية رخصة والافصاح بالحق فضيلة (ابن كثير أول ص ٣٥٧ الطبرسى أول ص ٤٣٠)

(٦) البيهسية ينسبون إلى بيهس من بنى سعد بن ضبيعة بن قيس واسمه هيصم بن جابر أقبل على ابن إباض فقال ان نافعا غلا فكفر وانك قصرت فكفرت ، تزعم ان من خالفنا ليس بمشرك وانما هم كفار النعم لتمسكهم بالكتاب واقرارهم بالرسول وتزعم ان مناكحتهم ومواريثهم والاقامة فيهم حل طلق وأنا أقول ان أعداءنا كاعداء رسول الله ﷺ تحل لنا الاقامة فيهم كما فعل المسلمون فى اقامتهم بمكة ، وأحكام المشركين تجرى فيها وازعم ان مناكحهم ومواريثهم تجوز لأنهم منافقون يظهرون الاسلام وان حكمهم عند الله حكم المشركين ، هذا ، وقد كان الهيصم مفسدا فى الأرض فقتله عثمان بن حيان المرى والى المدينة ، بعد ان قطع يديه ، ورجليه أيام الوليد (الكامل ثالث ص ١٧٣ المعارف ص ٢٠٦ الاغانى ص ١١ ص ٩٢)

(٧) عثمان بن حيان المرى وفى التقريب بالزاى ونون المزنى أبو المغراء الدمشقى ، مولى أم الدرداء ، استعمله الوليد على المدينة ، سنة ٩٣ ، وعرف

إلى أن ورد كتاب الوليد بأن يقطع يديه ورجليه ، ثم يقتله ، ففعل به ذلك ، وكفر أبو بيهس ابراهيم [١] وميمونا [٢] فى اختلافهما فى بيع الأمة ، وكذلك كفر الواقفية ، وزعم أنه لا يسلم أحد حتى يقر بمعرفة الله تعالى ، ومعرفة رسله ، ومعرفة ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ، والولاية لأولياء الله تعالى ، والبراءة من أعداء الله ، فمن جملة ماورد به الشرع ، مما حرم الله ، وجاء به الوعيد فلا يسعه إلا معرفته بعينه ، وتفسيره والاحتراز عنه ، ومنه ماينبغى أن يعرفه باسمه ، ولا يضر أن لا يعرفه بتفسيره ، حتى يبتلى به ، وعليه أن يقف عند مالا يعلم ، ولا يأتى بشىء ألا بعلم ، وبرىء أبو بيهس عن

بالجور ، وقد وصفه به عمر بن عبد العزيز ، مات سنة خمسين ومائة (تهذيب التهذيب سابع ص ١١٣ التقريب ص ١٤١)

(١) ابراهيم ، وكان من الاباضية ، وقد باع جاريته في الاعراب فقال له ميمون كيف تبيع جارية مؤمنة إلى الكفرة ، فقال له ابراهيم ان الله تعالي أحل البيع وقد مضى أصحابنا وهم يستحلون ذلك فتبرأ منه ميمون وتوقف آخرون ، وقد تبع ابراهيم على اجازة هـذا البيع قوم يقال لهم الضحاكية وأجازوا نكاح المسلمة من كفار قومهم فى دار التقية فأما دار حكمهم فلا يستحلون ذلك وقد كفروا ابراهيم إذ لم يتبرأ من أهل الوقف (الفرق بين الفرق ص ٨٧)

(٢) ميمون ، بن عمران ، وكان من الخوارج على مذهب العجاردة ، ثم خالفهم ورجع إلى مذهب القدرية فى باب القدر ، والارادة والاستطاعة ثم اختار من دين المجوس استحلال بنات البنات وبنات البنين وأباح لاتباعه التزوج بهن وكذلك أباح لهم التزوج ببنات الاخوة والاخوات وكان ينكر سورة يوسف ويقول أنها ليست من القرآن (التبصير ص ٨٣)

الواقفية[١] ، لقولهم إنا نقف فيمن واقع الحرام ، وهو لا يعلم أحلال واقع أم حرام ، قال كان من حقه أن يعلم ذلك ، والايمان هو أن يعلم كل حق من باطل وأن الايمان هو العلم بالقلب ، دون القول والعمل ، ويحكى عنه أنه قال الايمان هو الاقرار والعلم ، وليس هو أحد الأمرين دون الآخر

وعامة البيهسية على أن العلم والاقرار والعمل كله إيمان ، وذهب قوم منهم إلى أن ما يحرم سوى ما في قوله تعالى (قل لا أجد فيما أوحى إلىّ محرما ، على طاعم يطعمه) وما سوى ذلك فكله حلال

ومن البيهسية قوم يقال لهم العونية ، وهم فرقتان فرقة تقول من رجع إلى دار الهجرة إلى القعود برئنا منه ، وفرقة تقول بل نتولاهم ، لأنهم رجعوا إلى أمر كان حلالا لهم ، والفرقتان اجتمعتا على أن الامام إذا كفر كفرت الرعية الغائب منهم والشاهد

---

(١) الواقفية ، طائفة من الخوارج ، الاباضية ، وقصتهم ، ان رجلا من الاباضية اسمه ابراهيم أضاف جماعة من أهل مذهبه وكانت له جارية على مذهبه قال لها قدمى شيئا فابطأت فحلف ليبيعنها من الأعراب وكان فيما بينهم رجل اسمه ميمون ، من العجاردة فقال له تبيع جارية مؤمنة من قوم كفار فقال « واحل الله البيع وحرم الربا » وعليه كان أصحابنا وطال الكلام بينهما حتى تبرأ كل واحد منهما من صاحبه وتوقف قوم منهم فى كفرهما وكتبوا إلى علمائهم فرجع الجواب بجواز ذلك البيع وبوجوب التوبة على ميمون وعلى كل من توقف فى نصر ابراهيم فمن ههنا افترقوا ثلاث فرق الابراهيمية والميمونية والواقفية (التبصير ص ٣٥)

ومن البيهسية صنف يقال لهم أصحاب التفسير، زعموا أن من شهد من المسلمين شهادة أخذ بتفسيرها وكيفيتها ، وصنف يقال لهم أصحاب السؤال قالوا إن الرجل يكون مسلما إذا شهد الشهادتين وتبرأ وتولى وآمن بما جاء من عند الله جملة ، وإن لم يعلم فيسأل ما افترض الله عليه ولا يضره أن لا يعلم حتى يبتلى به فيسأل ، وإن واقع حراما لم يعلم تحريمه فقد كفر ، وقالوا فى الأطفال بقول الثعلبية ، إن أطفال المؤمنين مؤمنون ، وأطفال الكافرين كافرون ، ووافقوا القدرية فى القدر ، وقالوا إن الله تعالى فوض إلى العباد ، فليس لله فى أعمال العباد مشيئة ، فبرئت منهم عامة البيهسية . وقال بعض البيهسية إن واقع الرجل حراما لم يحكم بكفره حتى يرفع أمره إلى الامام والوالى ويحده ، وكل ماليس فيه حد فهو مغفور ، وقال بعضهم إن السكر إذا كان من شراب حلال فلا يؤاخذ صاحبه بما قال فيه وفعل ، وقالت العونية السكر كفر ، ولا يشهدون أنه كفر ما لم ينضم إليه كبيرة أخرى من ترك الصلاة ، أو قذف المحصن ، ومن الخوارج أصحاب [1] صالح بن مسرح ولم يبلغنا

---

(١) صالح بن مسرح أحد بني امرىء القيس وكان أحد الخوارج الصفرية وكان ناسكا وصاحب عبادة وله أصحاب يقرئهم القرآن ، ويفقههم فى الدين ويقص عليهم القصص وكان يدعو إلى مجاهدة أئمة الضلال وقد سرح اليه الحجاج أيام بشر بن مروان ، الحرث بن عميرة الهمذانى فقتل صالح بالمدبج من أرض الموصل ، سنة ست وسبعين (ابن أبى الحديد أول ص ٤٠٩ الطبرى سابع ص ٢١٧)

عنه أنه أحدث قولا تميز به عن أصحابه فخرج على بشر بن مروان[١] ، فبعث إليه بشر ، الحارث بن عميرة[٢] أو الأشعث بن عميرة الهمدانى أنفذه الحجاج لقتاله ، فأصابت صالحا جراحة فى قصر جلولاء فاستخلف مكانه شبيب بن يزيد الشيبانى ويكنى أبا الصّحارى وهو الذى غلب على الكوفة ، وقتل من جيش الحجاج أربعة وعشرين أميراً (من) أمراء الجيوش ، ثم انهزم إلى الأهواز وغرق فى نهر الأهواز وذكر اليمان[٣] ابن رباب أن الشبيبية يسمون مرجئة الخوارج لما ذهبوا إليه من الوقف فى أمر صالح ، ويحكى عنه أنه برىء منه وفارقه ثم خرج يدعى

(١) بشر بن مروان بن الحكم الاموى ، أمير كان سمحا جوادا ولي أمرة العراقين لأخيه عبد الملك ، فى سنة خمس وسبعين بالبصرة وهو أول أمير مات بالبصرة ، توفى عن نيف وأربعين سنة (الأعلام أول ص ١٤٧)

(٢) الحرث بن عميره الهمدانى من قواد الأمويين وهو الذى يقول فيه اعشى همدان

ان المكارم أكملت أسبابها	لابن الليوث الغر من قحطان
الفارس الحامى الحقيقة معلما	زاد الرفاق وفارس الفرسان
الحرث بن عميرة الليث الذى	يحمى العراق إلى قرى كرمان
ود الازارق لو يصاب بطعنة	ويموت من فرسانهم مائتان

وقد قتل صالح بن مسرح فكر عليه شبيب ، فضارب الحرث حتى صرع واحتمله أصحابه وانهزموا فكان أول جيش هزمه شبيب (الكامل ثالث ص ٢٠٢ الطبرى سابع ص ٢٢١)

(٣) اليمان بن رباب خراسانى قال الدارقطنى ضعيف من الخوارج ، وهو من جلتهم ورؤسائهم وكان أولا ثعلبيا ثم انتقل إلى قول البيهسية وكان نظارا متكلما ، مصنفا للكتب ، وله كتاب التوحيد وكتاب الرد على المعتزلة فى القدر وكتاب الرد على المرجئة وكتاب الرد على حماد بن أبى حنيفة (لسان الميزان سادس ص ٣١٦ فهرست ابن النديم ص ٢٢٥)

الامامة لنفسه ومذهب[1] شبيب ما ذكرناه من مذهب البيهسية إلا أن شوكته وقوته ومقاماته مع المخالفين ، مما لم يكن لخارج من الخوارج ، وقصته مذكورة فى التواريخ

العجاردة

أصحاب عبد الكريم[2] بن عجرد ، وافق النجدات فى بدعهم ، وقيل إنه كان من أصحاب أبى بيهس ثم خالفه وتفرد بقوله : تجب البراءة عن الطفل حتى يدعى إلى الاسلام ، ويجب دعاؤه إذا بلغ وأطفال المشركين فى النار مع آبائهم : ولا يرى المال فيئا حتى يقتل صاحبه : وهم يتولون القعدة إذا عرفوهم بالديانة ، ويرون الهجرة فضيلة

---

(١) ومن العجب العاجب أن الخوارج خرجوا على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وقالوا لم خرجت من بيتها والله تعالى يقول « وقرن فى بيوتكن » مع ان شبيبا خرج ومعه أمه غزالة وامرأته جهيرة مع مائة وخمسين امرأة قلدن السيوف واعتقلن الرماح : وانتبرت أمه المنبر وخطبت ولما غرق شبيب بايع الخوارج امه وجوزوا امامتها فهلا تلوا هذه الآية عليها ومن معها ومنعوهن الفتنة ، غير ان الخذلان لا يقاس عليه (والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم (التبصير ص ٣٦)

(٢) عبدالكريم بن عجرد « وعجرد كعملس » ، وهو رئيس العجاردة ، وكان من اتباع عطية بن أسود الحنفى وقد حبسه السلطان ، ولما اختلف من اتباعه ميمون وشعيب ، فى المشيئة كتب اليه اتباعه وهو فى حبس السلطان فى ذلك : فكتب فى جوابهم انما نقول ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا نلحق بالله سوءا : فوصل الجواب اليهم بعد موت ابن عجرد ، وادعى ميمون أنه قال بقوله لأنه قال : لانلحق بالله سوءا وقال شعيب بل قال بقولى : لأنه قال نقول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (الفرق بين الفرق ص ٧٤)

لا أفرضا ، ويكفرون بالكبائر ، ويحكى عنهم أنهم ينكرون[1] كون سورة يوسف من القرآن ، ويزعمون أنها قصة من القصص ، قالوا ولا يجوز أن تكون قصة العشق من القرآن ، ثم إن العجاردة افترقت أصنافا ولكل صنف مذهب على حياله إلا أنهم لما كانوا من جملة العجاردة أوردناهم على حكم التفصيل فى الجدول والضلع[2]

(١) الصلتية أصحاب عثمان بن أبى الصلت[3] أو الصلت بن أبى الصلت تفردوا عن العجاردة بأن الرجل إذا أسلم توليناه ، وتبرأنا من أطفاله حتى يدركوا ، فيقبلوا الاسلام ، ويحكى عن جماعة منهم أنهم قالوا ليس لأطفال المشركين والمسلمين ولاية ولا عداوة حتى يبلغوا فيدعوا

---

(١) انكارهم أن سورة يوسف من القرآن ، خروج على كتاب الله تعالى وكفر به ، فمنكر بعض القرآن كمنكر كله هذا وقد ثبت فضلها بما رواه أبى بن كعب عن النبى صلعم قال علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله تعالى عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لايحسد مسلما » وقال صلعم من قرأ سورة يوسف فى كل يوم أو فى كل ليلة بعثه الله يوم القيامة وجماله مثل جمال يوسف ولا يصيبه فزع يوم القيامة وكان من خيار عباد الله الصالحين

(٢) اكتفينا عن الجدول والضلع بالرقم

(٣) الصلتيه ، فى التبصير والفرق بين الفرق أنهم اتباع صلت بن عثمان » وفى الاعتقادات والتعريفات والمقريزى أنهم اتباع عثمان بن أبى الصلت وهم كالعجاردة ، وعندهم أن من دخل فى مذهبهم فهو مسلم ، قالوا ومن أسلم واستجار بنا توليناه ، وبرئنا من أطفاله حتى يبلغوا فيدعوا إلى الاسلام فيقبلوا (التبصير ص ٣٣ والفرق ص ٧٦ والمقريزى رابع ص ١٧٩ والتعريفات ص ٩٠ والاعتقادات ص ٤٨)

إلى الإسلام فيقروا أو ينكروا

(٢) الحمزية أصحاب حمزة[1] بن أدرك وافقوا الميمونية فى القدر وفى سائر بدعها إلا فى أطفال مخالفيهم والمشركين فانهم قالوا هؤلاء كلهم فى النار ، وكان حمزة من أصحاب الحصين بن الرقاد الذى خرج بسجستان من أهل أوق وخالفه خلف الخارجى فى القول بالقــدر واستحقاق الرياسة فبرىء كل واحد منهما عن صاحبه وجوز حمزة إمامين فى عصر واحد مالم تجتمع الكلمة أو تقهر الأعداء

(٣) الخلفية أصحاب خلف[2] الخارجى وهم خوارج كرمان ومكران

(١) حمزه بن أدرك الشامى الخارجى ، عاش بسجستان ، وخراسان ومكران وقهستان وكرمان ، وهزم الجيوش الكثيرة وكان فى الأصل من العجاردة الجازميه ، ثم خالفهم فى باب القدر والاستطاعة فقال فيهما بقول القدرية فاكفرته الجازمية فى ذلك ، ثم زعم ان أطفال المشركين فى النار ، فاكفرته القدرية فى ذلك ثم انه والى القعد من الخوارج مع قوله بتكفير من لا يوافقه على قتال مخالفيه ، واعتباره اياهم مشركين وقد ظهر أيام الرشيد سنة ١٧٩ وبقى إلى صدر من خلافة المأمون وقد بدأ بقتال البيهسية من الخواج وقتل الكثير منهم فسموه أمير المؤمنين قال طلحة بن فهد فى ذلك

أمير المؤمنين على رشاد وخير هداية نعم الأمير
أمير يفضل الأمراء طرا كما فضل السها القمر المنير

وقد بعث اليه المأمون بكتاب يستدعيه فيه إلى طاعته فما ازداد الا عتوا فى أمره ، حتى خرج اليه عبد الرحمن النيسابورى فهزم حمزة وقتلت الألوف من أصحابه وانفلت منهم حمزة جريحاً ومات فى هزيمته ، (المقريزى رابع ص ١٧٩ الفرق بين الفرق ص ٧٦)

(٢) الخلفية اتباع خلف الذى قاتل حمزة الخارجى ، والخلفية لايرون القتال إلا مع امام منهم وقد كفوا أيديهم عن القتال لفقدهم من يصلح

خالفوا الحمزية فى القول بالقدر وأضافوا القدر خيره وشره إلى الله تعالى ، وسلكوا فى ذلك مذهب أهل السنة ، وقالوا الحمزية ناقضوا حيث قالوا لو عذب الله العباد على أفعال قدرها عليهم أو على مالم يفعلوه كان ظالما ، وقضوا بأن أطفال المشركين فى النار ، ولا عمل لهم ولا شرك فهذا من أعجب ما يعتقد من التناقض

(٤) الشعيبية أصحاب شعيب بن محمد وكان مع ميمون من جملة العجاردة إلا أنه برىء منه حين أظهر القول بالقدر(١) قال شعيب إن الله خالق أعمال العباد والعبد مكتسب لها قدرة وإرادة ، مسئول عنها خيرا وشرا مجازى عليها ثوابا وعقابا ولا يكون شىء فى الوجود إلا بمشيئة الله تعالى ، وهو على بدع الخوارج فى الإمامة والوعيد وعلى بدع العجاردة فى حكم الأطفال وحكم القعدة والتولى والتبرى

(٥) الميمونية أصحاب ميمون(٢) بن خالد كان من جملة العجاردة إلا

للامامة منهم ، وصارت الخلفية إلى قول الازارقة فى شىء واحد وهو دعواهم ان أطفال مخالفيهم فى النار ، وهم لايرون أن الخير والشر من الله تعالى (الفرق بين الفرق ص ٧٥ الاعتقادات ص ٤٨)

(١) وكان السبب انه كان لميمون على شعيب مال فتقاضاه فقال له شعيب اعطيكه إن شاء الله فقال له ميمون قد شاء الله ذلك الساعة فقال شعيب لو كان قد شاء ذلك لم أستطع الأن اعطيكه فقال ميمون قد أمرك الله بذلك وكل ما أمر به فقد شاء وما لم يشأ لم يأمر به فافترقت العجاردة عند ذلك ، فتبع قوم شعيبا ، وتبع آخرون إلى ميمون (الفرق بين الفرق ص ٧٤)

(٢) الميمونية ، اتباع ميمون بن عمران ، وكان على مذهب العجاردة من الخوارج ، ثم أنه خالف العجاردة فى الارادة والقدر والاستطاعة

أنه تفرد عنهم باثبات القدر خيره وشره من العبد وإثبات الفعل للعبد خلقا وإبداعا، وإثبات الاستطاعة قبل الفعل، والقول بأن الله تعالى يريد الخير دون الشر، وليس له مشيئة فى معاصى العباد. وذكر الحسين الكرابيسى (١) فى كتابه الذى حكى فيه مقالات الخوارج أن الميمونية يجيزون نكاح بنات البنات، وبنات أولاد الإخوة والأخوات، وقال إن الله حرم نكاح البنات وبنات الإخوة والأخوات ولم يحرم نكاح بنات أولاد هؤلاء، ويحكى الكعبي والأشعرى عن الميمونية انكار أن تكون سورة يوسف من القرآن، وقالوا بوجوب قتل السلطان وحده، ومن رضى بحكمه، فأما من أنكره فلا يجوز قتاله إلا إذا أعان عليه أو طعن فى دين الخوارج، أو صار دليلا للسلطان. وأطفال الكفار عندهم في الجنة

وقال فيها بقول القدرية المعتزلة عن الحق، ووافق المجوس فيما أباحوه، من نكاح بنات الأولاد، وبنات البنين، وبنات أولاد الاخوة والأخوات اذ آية التحريم لم تشملهن وانكر سورة يوسف ويقول انها ليست من القرآن، فلا يجوز من كان مثلهم ان يعد من فرق الاسلام (خطط رابع ص ١٧٩ الفرق من الفرق ص ٢٦٤)

(١) ابو على الحسين بن على المهلبي الكرابيسى، وكان من المجبرة، عارفا بالحديث، والفقه. وله تصانيف، وكان حافظا لمصنفاته وله كتاب المدلسين في الحديث، وكتاب الامامة غمز فيه على على، وكتابه فى القضاء يدل على سعة علمه وتبحره، ويقال انه من جملة مشايخ البخارى توفى سنة ٢٥٦ (لسان الميزان ثان ص ٣٠٣ فهرست ابن النديم ص ٢٥٦)

(٦) الأطرافية فرقة[١] على مذهب حمزة فى القول بالقدر إلا أنهم عذروا أصحاب الأطراف فى ترك مالم يعرفوه من الشريعة إذا أتوا بما يعرف لزومه من طريق العقل وأثبتوا واجبات عقلية كما قالت القدرية ورئيسهم غالب بن شاذان من سجستان وخالفهم عبد الله السرنوى[٢] وتبرأ منهم، ومنهم المحمدية أصحاب محمد بن رزق وكان من أصحاب الحصين ثم برئ منه

(٧) الجازمية[٣] أصحاب جازم بن على (فرقة) على قول شعيب فى أن الله تعالى خالق أعمال العباد ولا يكون فى سلطانه إلا ما يشاء، وقالوا بالموافاة وأن الله تعالى إنما يتولى العباد على ما علم أنهم صائرون إليه

---

(١) الاطرافية، سموا بذلك، لقولهم ان من لم يعلم أحكام الشريعة من أصحاب أطراف العالم فهو معذور، وقد وافقوا أهل السنة فى أصولهم (اعتقادات ص ٤٨ تعريفات ص ١٩)

(٢) السرنوى، نسبته إلى سرنو، من قرى استراباذ من نواحى طبرستان (معجم خامس ص ٧٦)

(٣) الجازميه، أصحاب جازم، هؤلاء أكثر عجاردة سجستان، وقد قالوا فى باب القدر والاستطاعة والمشيئة بقول أهل السنة، ان لا خالق الا الله، ولا يكون إلا ماشاء الله، وأن الاستطاعة مع الفعل واكفروا الميمونية الذين قالوا فى باب القدر والاستطاعة بقول القدرية، ثم ان الجازمية خالفوا أكثر الخوارج فى الولاية والعداوة، وقالوا انهما صفتان لله تعالى وان الله يتولى العبد على ماهو صائر اليه من الايمان أو الكفر وانه تعالى لم يزل محبا لاوليائه ومبغضا لاعدائه وفى التعريفات الجازمية هم أصحاب جازم بن عاصم وافقوا الشعيبية (الفرق بين الفرق ص ٧٣ تعريفات ص ٥٠)

فى آخر أمرهم من الإيمان ويتبرأ منهم عَلَى ما علم أنهم صائرون إليه فى آخر أمرهم من الكفر، وَأنه سبحانه لم يزل محبا لأوليائه مبغضا لأعدائه، وَيحكى عنهم أنهم يتوقفون فى أمر علىّ عليه السلام ولا يصرحون بالبراءة[1] عنه، ويصرحون بالبراءة فى حق غيره

(٨) الثعالبة من ذلك أصحاب ثعلبة[2] بن عامر كان مع عبدالكريم ابن عجرد يداً واحدة إلى أن اختلفا فى أمر الطفل فقال ثعلبة أنا على

---

(١) أهل السنة الزموا الجازمية على قولها بالموافاة أن يكون على وطلحة والزبير وعثمان من أهل الجنة لانهم من أهل بيعة الرضوان الذين قال الله تعالى فيهم (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة)، وقالوا لهم إذا كان الرضا من الله تعالى عن العبد انما يكون عن علم أنه يموت على الايمان، وجب أن يكون المبايعون تحت الشجرة على هذه الصفة وكان على وطلحة والزبير منهم، وعثمان بايع له النبي عليه السلام وجعل يده بدلا عن يده وصح بهذا بطلان قول من أكفر هؤلاء أو توقف فى أمر على (الفرق بين الفرق ص ٧٣)

(٢) فى المقريزى، انه ثعلبه بن عامر. وفى التبصير، والفرق بين الفرق أنه ثعلبه بن مشكان وسبب اختلافه مع ابن عجرد. أن رجلا من العجاردة خطب إلى ثعلبة بنته، فقال له بين مهرها فارسل الخاطب امرأة إلى أم تلك البنت يسألها هل بلغت البنت، فان كانت قد بلغت وقبلت الاسلام على الشرط الذى تعتبره العجاردة لم يبال كم كان مهرها فقالت أمها هى مسلمة فى الولاية بلغت أم لم تبلغ فاخبر بذلك عبد الكريم بن عجرد وثعلبة بن مشكان فاختار عبد الكريم البراءة من الاطفال قبل البلوغ وقال ثعلبة نحن على ولايتهم صغارا وكبارا إلى أن يبين لنا منهم انكار للحق فلما اختلفا فى ذلك برىء كل واحد منهما من صاحبه وصار ثعلبة اماما (المقريزى رابع ص ١٧٩ التبصير ص ٣٣ الفرق بين الفرق ص ٨٠)

ولايتهم صغاراً وكباراً حتى نرى منهم إنكاراً للحق ورضى بالجور فتبرأت العجاردة من ثعلبة

نقل عنه أيضاً أنه قال ليس لهم حكم فى حال الطفولية من ولاية وعداوة حتى يدركوا ويدعوا فان قبلوا فذلك وان أنكروا كفروا وكان يرى أخذ الزكوات من عبيدهم ، وقال انى لا أبرأ منه بذلك ولا أدع اجتهادى فى خلافه ، وجوز ان يصير سهام الصدقة سهما واحدا فى حال التقية

(٩) الرشيدية أصحاب رشيد الطوسى[١] ويقال لهم العشرية . وأصلهم أن الثعالبة كانوا يوجبون فيما سقى بالانهار والقنى نصف العشر . فاخبرهم زياد بن[٢] عبد الرحمن ان فيها العشر ولا يجوز البراءة ممن قال فيها نصف العشر قبل هذا ، فقال الرشيد ، ان لم تجز البراءة منهم فانا نعمل بما عملوا فافترقوا فى ذلك فرقتين

(١٠) الشيبانية . أصحاب شيبان[٣] بن سلمة ، الخارج فى أيام

(١) الطوسى نسبه طوس وهى مدينة بخراسان وفى بعض بساتينها قبر على بن موسى الرضا ، وبها قبر الرشيد (معجم سادس ص ٧٠)

(٢) زياد بن عبد الرحمن رأس الزيادية ، وقد أكفر أصحابه شيبان بن سلمه الخارجى فى قوله بتشبيه الله سبحانه لخلقه (الفرق بين الفرق ص ٨١)

(٣) شيبان بن سلمة من رءوس الخوارج ، خرج فى أيام أبى مسلم صاحب دولة بنى العباس وأعان أبا مسلم على أعدائه فى حروبه ، ثم أخفر عهده . فارسل اليه أبو مسلم يدعوه إلى البيعة ، فقال شيبان أنا أدعوك إلى بيعتى . وسجن رسل أبى مسلم . فسار إلى شيبان . بسام بن ابراهيم فقتله سنة ١٣٠ (الفرق بين الفرق ص ٨١ الطبرى تاسع ص ١٠٢)

أبى مسلم[١] وهو المعين له، ولعلى الكرمانى[٢] على نصر بن سيار[٣]، وكان من الثعالبة، فلما أعانهما برئت منه الخوارج، فلما قتل شيبان ذكر قوم توبته، فقالت الثعالبة لا تصح توبته، لأنه قتل الموافقين

(١) أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم الخراسانى القائم بالدعوة العباسية، اختلف فى نسبه اختلافا كثيرا، فقيل من اصبهان، وقيل من خراسان وقيل من العرب، ونسبه أبو دلامة إلى الاكراد فقال:

أبا مجرم ما غير الله نعمة	على عبده حتى يغيرها العبد
أفى دولة المنصورة حاولت غدرة	ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد
أبا مجرم خوفتنى القتل فانتحى	عليك بما خوفتني الاسد الورد

وكان السفاح كثير التعظيم لأبى مسلم لما صنعه ودبره، وكان أبو مسلم كثيرا ما ينشد

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت	عنه ملوك بنى مروان اذ حشدوا
مازلت أسعى بجهدى فى دمارهم	والقوم فى غفلة بالشام قد رقدوا
حتى طرقتهم بالسيف فانتبهوا	من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما فى أرض مسبعة	ونام عنها تولى رعيها الأسد

وقد قتله المنصور سنة سبع وثلاثين ومائة (ابن خلكان أول ص ٣٥٢)

(٢) على بن جديع الكرمانى، طابق أبا مسلم على حرب نصر بن سيار، وساعده فى دعوته، وحاربا نصرا ومضى أبو مسلم وعلى فى طلبه فوجداه قد خلف امرأته ونجا بنفسه وقد أرسل شيبان إلى ابن الكرمانى يستنصره على أبى مسلم فأبى، لكن أبا مسلم قتل الكرمانى سنة ١٣٠. (الطبرى تاسع ص ١٠٤)

(٣) نصر بن سيار، ابو الليث ولاه هشام خراسان فلم يزل واليا عليها عشر سنين حتى وقعت الفتنة، وظهر أمر أبى مسلم فكتب إلى مروان بن محمد يعلمه حال أبى مسلم

أرى بين الرماد وميض جمر	فأحج بأن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى	وان الحرب مبدؤها الكلام
فقلت من التعجب ليت شعرى	أأيقاظ أمية أم نيام

لنا فى المذهب ، وأخذ أموالهم ، ولا تقبل توبة من قتل مسلما ، وأخذ ماله إلا بأن يقص من نفسه ، ويرد الأموال أو يوهب له ذلك

ومن مذهب شيبان أنه قال بالجبر ، ووافق جهم بن صفوان فى مذهبه الجبر ، وَنفى القدرة الحادثة

وينقل عن زياد بن عبد الرحمن الشيبانى أبى خالد ، أنه قال : إن الله تعالى لم يعلم حتى خلق لنفسه علما ، وإن الأشياء إنما تصير معلومة له عند حدوثها ووجودها

ونقل عنه أنه تبرأ من شيبان وكفره حين نصر الرجلين فوقعت عامة الشيبانية بجرجان[1] ونسا[2] ، وأرمنية[3] ، والذى تولى شيبان وقال بتوبته عطية الجرجانى وأصحابه

فكتب اليه الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فاحسم الثؤلول قبلك فقال نصر اما صاحبكم فقد أعلمكم الا نصر عنده ثم انه خرج يريد العراق فمات فى الطريق بناحية ساوه (المعارف ص ١٤١ الطبرى تاسع ص ٩٢)

(١) جرجان مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان ، ويرتفع منها من الابريسم وثياب الابريسم ما يحمل إلى جميع الآفاق وهى مدينة حسنة على واد عظيم (معجم ثالث ص ٧٥)

(٢) نسا ، مدينة بخراسان وهى مدينة وبيئة جدا يكثر بها خروج العرق المدينى حتى ان فى الصيف قل من ينجو منه من أهلها (معجم ثامن ص ٢٨٢)

(٣) أرمينيه اسم لصقع عظيم واسع فى جهة الشمال ، وهما كبرى ، وصغري وحدهما من بردعة إلي باب الأبواب ، ومن الجهة الأخرى إلى بلاد الروم (معجم أول ص ٢٠٣)

المكرمية (١)

أصحاب مكرم بن عبد الله العجلى ، من جملة الثعالبة ، وتفرد عنهم بأن قال : تارك الصلاة كافر ، لا من أجل ترك الصلاة . ولكن لجهله بالله تعالى وطرد هذا فى كل كبيرة يرتكبها الانسان : وقال إنما يكفر لجهله بالله تعالى ، وذلك أن العارف بالله تعالى وأنه المطلع على سره وعلانيته ، والمجازى عَلَى طاعته ومعصيته ، لن يتصور منه الاقدام على المعصية ، والاجتراء على المخالفة مالم يغفل عن هذه المعرفة ، ولا يبالى التكليف فيه ، وعن هذا قال النبى صلى الله عليه وسلم (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن) الخبر ، وخالفوا الثعالبة فى هذا القول ، وَقالوا بإيمان الموافاة ، والحكم بأن الله تعالى إنما يوالى عباده ويعاديهم على ما هم صائرون إليه من موافاة الموت . لا على أعمالهم التى هم فيها ، فان ذلك ليس بموثوق به إصراراً عليه مالم يصل المرء إلى آخر عمره ونهاية أجله حينئذ إن بقى على ما يعتقده ، فذلك هو الايمان فيواليه وان لم يبق فيعاديه . وكذلك فى حق الله تعالى حكم الموالاة والمعاداة على ما علم منه حال الموافاة

المعلومية والمجهولية : كانوا فى الأصل جازمية ، إلا أن المعلومية

---

(١) المكرمية . فى المقريزى والفرق والتبصير ، إنهم اتباع أبى مكرم وفي الاعتقادات اتباع مكرم ، ومن قوله ان تارك الصلاة كافر لجهله بالله . وكذا فى سائر الكبائر إذ يقول إن المذنبين كلهم جاهلون بالله (المقريزى رابع ص ١٨٠ الفرق ص ٨٢ التبصير ص ٣٤ اعتقادات ٥٠)

قالت من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه وصفاته فهو جاهل به حتى يصير عالما بجميع ذلك فيكون مؤمنا ، وقالت الاستطاعة مع الفعل والفعل مخلوق العبد فبرئت منهم الجازمية

وأما المجهولية ، (فانها) قالت من علم بعض أسمائه تعالى وصفاته وجهل بعضها فقد عرف الله تعالى ، وقالت أفعال العباد مخلوقة لله تعالى

الأباضية

الأباضية أصحاب عبد الله[1] بن أباض الذى خرج فى أيام مروان[2] بن محمد فوجه إليه عبد الملك[3] بن محمد بن عطية فقاتله

---

(١) عبد الله بن أباض من بنى مرة بن عبيد من بنى تميم ، رأس الاباضية من الخوارج وهم فرقة كبيرة وكان هو فيما قيل رجع عن بدعته فتبرأ منه أصحابه واستمرت نسبتهم اليه (المعارف ص ٢٠٥ لسان الميزان ثالث ص ٢٤٨)

(٢) مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ويلقب بالجعدى نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم وبالحمار لكثرة محاربته للخارجين ، والصبر على مكاره الحرب وكان مشهورا بالفروسية والاقدام ، والدهاء والعسف ، قتل سنة اثنتين وثلاثين ومائة تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٦٩)

(٣) عبد الملك بن محمد بن عطيه من قواد مروان بن محمد ، وهو من سعد هوازن ، وقد أمره أن يقاتل الخوارج ، فقتل أبا حمزة الخارجى ، ثم قتل عبد الله بن يحيى طالب الحق ، وحمل رأسه إلى مروان بالشام سنة ثلاثين ومائة ثم رجع إلى صنعاء وولاه مروان على الحج ، فخرج عليه ابنا جمانه المراديان فقتلاه ، (ابن الأثير خامس ص ١٥٨ ابن كثير عاشر ص ٣٦ الطبرى تاسع ص ١١٠)

بتبالة[١] ، وقيل إن عبد الله بن يحي الأباضى[٢] كان رفيقا له فى جميع أحواله وأقواله ، وقال إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين» ومنا كحتهم جائزة ، وموارثتهم حلال ، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال ، وما سواه[٣] حرام ، وحرام قتلهم وسبيهم فى السرغيلة ، إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة

وقالوا إن دار مخالفيهم من أهل الاسلام دار توحيد ، إلا معسكر السلطان فانه دار بغى ، وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم ، وقالوا فى مرتكبي الكبائر إنهم موحدون لا مؤمنون ، وحكى الكعبي عنهم أن الاستطاعة عرض من الأعراض ، وهى قبل الفعل بها يحصل الفعل ، وأفعال العباد مخلوقة لله تعالى إحداثا وابداعا ، ومكتسبة للعبد حقيقة لا مجازاً ، ولا يسمون إمامهم أمير المؤمنين ولا أنفسهم مهاجرين ، وقالوا العالم يفنى كله إذا فنى أهل التكليف

قال وأجمعوا على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر

---

(١) تبالة : بلدة مشهورة من أرض تهامة فى طريق اليمن ، فتحت سنة عشر : وهى مما يضرب المثل بخصبها قال لبيد :

فالضيف والجار الجنيب كأنما هبطا تبالة مخصبا اهضامها

(معجم ثان ص ٣٥٧)

(٢) عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي وكان داعية الاباضية وقد جرح سنة ١٣٠ وفيها قتل بتباله (شذرات أول ص ١٧٧)

(٣) والذى استحلوه الخيل والسلاح ، فأما الذهب والفضة فانهم يردونهما على أصحابهما عند الغنيمة (الفرق بين الفرق ص ٨٣)

النعمة لا كفر الملة، وتوقفوا فى أطفال المشركين، وجوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام وأجازوا أن يدخلوا الجنة تفضلا

وحكى الكعبي عنهم أنهم قالوا بطاعة لا يراد بها الله تعالى كما قال أبو الهذيل

ثم اختلفوا فى النفاق أيسمى شركا أم لا، قالوا إن المنافقين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا موحدين، إلا أنهم ارتكبوا الكبائر فكفروا فى الكبيرة لا بالشرك، وقالوا كل شيء أمر الله تعالى به فهو عام ليس بخاص، وقد أمر به المؤمن والكافر وليس فى القرآن خصوص، وقالوا لا يخلق الله تعالى شيئا إلا دليلا على وحدانيته، ولا بد أن يدل به واحداً

وقال قوم منهم يجوز أن يخلق الله تعالى رسولا بلا دليل، ويكلف العباد بما يوحي إليه، ولا يجب عليه اظهار المعجزة ولا يجب على الله تعالى ذلك إلى أن يظهر دليلا ويخلق معجزة. وهم جماعة متفرقون فى مذاهبهم تفرق الثعالبة والعجاردة

الحفصية

الحفصية[١] منهم أصحاب حفص بن أبى المقدام، تميز عنهم بأن

(١) الحفصية، اتباع حفص بن أبي المقدام أحد أصحاب عبد الله ابن إباض تفرد بقوله من عرف الله تعالى وكفر بما سواه من رسول وغيره فهو كافر وليس بمشرك ويقول ان بين الايمان والشرك معرفة الله فانها

قال ، إن بين الشرك والايمـان خصلة واحدة ، وهى معرفة الله تعـالى وحده ، فمن عرفه ثم كفر بمـا سواه من رسول أو كتاب ، أوقيامة ، أو جنـة أو نار ، وارتكب الـكبائر من الزنا والسرقة وشرب الخمر فهو كافر ، لـكنه برىء من الشرك

الحارثية

الحارثية[١] أصحاب الحارث الاباضى خالف الاباضية فى قوله بالقدر على مذهب المعـتزلة ، وفى الاستطاعة قبل الفعل ، وفى إثبات طاعة لا يراد بها الله تعالى

اليزيدية

اليزيدية[٢] أصحاب يزيد بن أنيسة الذى قال بتولى المحكمة الأولى

خصلة متوسطة بينهما ، وأنكر عليـه الأباضية ذلك ، (المقريزى رابع ص ١٨٠ التعريفات ص ٦١)

(١) الحارثية ، هم اتباع حارث بن مزيد الاباضى ، وقد خالفوا الاباضية فى القدر أى كون أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وفى كون الاستطاعة قبل الفعل وقد أكفرهم سائر الاباضية فى قولهم فى باب القدر بمثل قول المعتزلة لأن جمهورهم على قول أهل السنة فى ان الله تعالى خالق أعمال العباد وفى ان الاستطاعة مع الفعل وزعمت الحارثية أنه لم يكن لهم أمام بعد المحـكمة الأولى الا عبد الله بن أباض وبعده حارث بن مزيد الأباضى (الفرق بين الفرق ص ٨٤ التعريفات ص ٥٥)

(٢) يزيد بن أنيسه الخارجى وكان من البصرة ثم انتقـل إلى تون من أرض فارس ، وكان على رأى الاباضية من الخوارج ثم انه خرج بقوله

قبل الأزارقة وتبرأ ممن بعدهم إلا الأباضية فإنه يتولاهم ، وزعم أن الله تعالى سيبعث رسولا من العجم ، وينزل عليه كتابا قد كتب فى السماء وينزل عليه جملة واحدة ، ويترك شريعة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ويكون على ملة الصابئة المذكورة فى القرآن ، وليست هى الصابئة الموجودة بحران[1] وواسط[2] ، وتولى يزيد من شهد المصطفى عليه السلام من أهل الكتاب بالنبوة ، وإن لم يدخل فى دينه ، وقال إن أصحاب الحدود من موافقته وغيرهم كفار مشركون ، وكل ذنب صغير أو كبير فهو شرك

الصفرية

الصفرية[1] الزيادية أصحاب زياد بن الأصفر ، خالفوا الأزارقة

بان شريعة الاسلام تنسخ فى آخر الزمان ، برسول من العجم ينزل عليه كتاب ، واتباعه هم الصابئون ، المذكورون فى القرآن ، وكان مع ضلالته يتولى من شهد لمحمد ﷺ بالنبوة من أهل الكتاب وإن لم يدخل فى دينه وسماهم بذلك مؤمنين . وليس بجائز ان تعد اليزيدية من فرق الاسلام ، وهى تعد اليهود من المسلمين . وتقول بنسخ شريعة الاسلام (الفرق بين الفرق ص ٢٦٣ التعريفات ص ١٧٤)

(١) حران بتشديد الراء مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة اتور على طريق الموصل والشام والروم وكانت منازل الصابئة وهم الحرانيون معجم ثالث ص ٤٤١)

(٢) واسط وهى غير واسط الحجاج وهي قرية بالفرج من نواحى الموصل بين مرقه وعين الرصد (معجم ثامن ٣٨٧)

(٣) الصفرية بالضم ويكسر قوم من الحرورية نسبوا إلى عبد الله بن صفار ويكون من النسب النادر أو إلي رئيسهم زياد بن الاصفر أو

والنجدات والأباضية فى أمور

منها أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال ، إذا كانوا موافقين فى الدين والاعتقاد ، ولم يسقطوا الرجم ولم يحكموا بقتل أطفـــال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم ، وقالوا التقية جائزة فى القول دون العمل وقالوا ما كان من الأعمال عليه حد واقع ، فلا يتعدى بأهله الاسم الذى لزمه به الحد ، كالزنا والسرقة والقذف ، فيسمي زانيا سارقا قاذفا لا كافراً مشركا ، ومن كان من أهل الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصـلاة فانه يكفر بذلك ، ونقل عن الضحاك[1] منهم أن جوز تزويج المسلمات من كفار قومهم فى دار التقية ، دون دار العلانية ، ورأى زياد بن الأصفر جميع الصدقات سهما واحداً فى حال التقية

ويحكى عنـه أنه قال نحن مؤمنون عند أنفسنا ولا ندري لعلنا خرجنا من الايمان عند الله ، وقال الشرك شركان ، شرك هو طاعة

إلى صفرة ألوانهم ، وتصديق ذلك قول ابن عاصم الليثي وكان يري رأى الخوارج فتركه وصار مرجئا .

فارقت نجدة والذين تزرقوا وابن الزبير وشيعة الكذاب
والصفر الاذان الذين تخيروا دينا بلا ثقة ولا بكتاب

او سموا بذلك لخلوهم من الدين ويتعين حينئذ كسر الصاد . وقد صوبه لاصمعى وقال خاصم رجل منهم صاحبه فى السجن فقال له أنت والله صفر من الدين (تاج ثالث ص ٣٣٧ الكامل ثالث ص ١٧٣)

(٥) الضحاك بن قيس الخارجى الشيبانى وهو آخر من كان خرج من ناحية الجزيرة فى جمع من الخوارج حتى أتى الكوفة وبها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عاملا عليها فحاربه عنها فهزمه الضحاك وظفر بالكوفة فاقبل مروان ابن محمد اليه فالتقيا بكفر توثا سنة ١٢٨ فقتل الضحاك (المعارف ص ١٤٢)

الشيطان ، وشرك هو عبادة الأوثان . والكفر كفران ، كفر بالنعمة وكفر بإنكار الربوبية . والبراءة براءتان ، براءة من أهل الحدود سنة ، وبراءة من أهل الجحود فريضة

رجال الخوارج

ولنختم المذاهب بذكر رجال الخوارج من المتقدمين ، عكرمة ، وأبو هارون العبدى ، وأبو الشعثاء[1] . وإسماعيل بن سميع ، ومن المتأخرين اليمان بن رباب ، ثعلبي ثم بيهسى ، وعبد الله بن يزيد ، ومحمد

---

(١) أبو الشعثاء : جابر ابن زيد الازدى عالم أهل البصرة وتلميذ ابن عباس ، كان لا يماكس فى ثلاث فى الكرى إلى مكة وفى الرقبة يشتريها لتعتق وفى الاضحية وقال لا نماكس فى شىء يتقرب به إلى الله قال ابن سيرين كان أبو الشعثا مسلما عند الدينار والدرهم وكان يفق بالبصرة وكان إذا وقع في يده ستوق كسره ، ورمى به لئلا يغر به مسلم والستوق الدرهم المغشوش قالت هند بنت المهلب وكانت من أحسن النساء وذكروا عندها جابر بن زيد فقالوا انه كان أباضيا فقالت كان جابر بن زيد أشد الناس انقطاعا إلى والى أمى فما أعلم عنه شيئا وكان لا يعلم شيئا يقربني إلى الله عز وجل إلا أمرنى به ولا شيئا يباعدنى عن الله الا نهانى عنه وما دعانى إلى الاباضية قط ولا أمرنى بها وكان ليأمرني أين أضع الخمار ، ووضعت يدها على الجبهة . وكان جابر بن عبدالله إذا سأله أهل البصرة عن مسألة يقول كيف تسألونا وفيكم أبو الشعثاء وقال له يابن زيد انك من فقهاء البصرة وانك ستستفتى فلا تفتين إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية فانك إن فعلت غير ذلك فقد هلكت واهلكت توفى سنة ثلاث وتسعين (تاريخ الاسلام للذهبي ص ٤٦ ابن كثير تاسع ص ٩٣)

ابن حرب ، ويحي بن كامل أباضى ، ومن شعرائهم عمران بن حطان ، وحبيب بن حدرة[١] . صاحب الضحاك بن قيس ، ومنهم أيضا جهم ابن صفوان ، وأبو مروان غيلان بن مسلم ، ومحمد بن عيسى برغوث وكلثوم بن حبيب المهلبي ، وأبو بكر محمد بن عبدالله بن شبيب البصرى وعلى بن حرملة ، وصالح بن قبة بن صبيح بن عمرو ، ومؤنس بن عمران البصرى ، وأبو عبدالله بن مسلمة ، والفضل بن عيسى الرقاشى[٢] ،

---

(١) حبيب بن حدره ، مولى ابنى هلال بن عامر ومن شعراء الخوارج ومن شعره :

قد أصبنا العيش عيشا ناعما ... واصبنا العيش عيشا رنقا
وأصبت الدهر دهرا أشتهى ... طبقا منه وألوى طبقا
وشهدت الخيل فى ململومة ... ماترى منهن إلا الحدقا
يتساقون بأطراف القنا ... من نجيع الموت كاسا دهقا
فطراد الخيل قد يؤنقنى ... ويرد اللهو عني الأنقا

وقال يرثى ملحان الشيبانى عامل الضحاك على الكوفة

كائن كملحان من شار أخى ثقة ... وابن علقمة المستشهد الشاري
من صادق كنت أصفيه مخالصتي ... فباع دارى بأعلى صفقة الدار
اخوان صدق أرجيهم واخذلهم ... اشكو إلي الله خذلانى واخفارى

(الطبرى سابع ص ٢٦٨ تاسع ص ٦٥)

(٢) الفضل بن عيسى الرقاشى ابن أخى يزيد الرقاشى يروى عن أنس ، وضعفوه سئل عنه ابن معين فقال كان قاصار جل سوء ، قيل فحديثه قال لاتسأل عن القدرى الخبيث ، وقال أبو سلمة النبوذ كى لم يكن أحد ممن يتكلم فى القدر أخبث قولا من الفضل الرقاشى . وكان واعظا وقال أيوب لو ان

وأبو زكريا يحيى بن أصفح ، وأبو الحسين محمد بن مسلم الصالحى ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن الخالدى ، ومحمد بن صدقة ، وأبو الحسين على بن زيد الأباضى ، وأبو عبد الله محمد بن الكرام ، وكلثوم بن حبيب المرى البصرى

والذين اعتزلوا إلى جانب : فلم يكونوا مع على رضى الله عنه فى حروبه ولا مع خصومه وقالوا لا ندخل فى غمار الفتنة من الصحابة ، عبد الله[1] بن عمر ، وسعد[2] بن أبى وقاص ، ومحمد بن

فضيلا ولد أخرس لكان خيرا له وهو معتزلى ضعيف الحديث (ميزان الاعتدال ثان ص ٣٣١ تهذيب التهذيب ثامن ص ٢٨٣)

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى ، أسلم مع ابيه وهو صغير لم يبلغ الحلم لم يشهد بدرا لصغره ، وشهد اليرموك وفتح مصر وافريقية ، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ حتى انه ينزل منازله ويصلى فى كل مكان صلى فيه وكان ابن عمر من أئمة المسلمين ، شديد الاحتياط والتوقى لدينه في الفتوى وكل ما تأخذ به نفسه حتي انه ترك المنازعة فى الخلافة مع كثرة ميل أهل الشام اليه ومحبتهم له ولم يقاتل فى شىء من الفتن ولم يشهد مع على شيئا من حروبه حين اشكلت عليه ثم كان بعد ذلك يندم على ترك القتال معه ، قال جابر بن عبد الله مامنا إلا من مالت به الدنيا ومال بها ماخلا عمر وابنه عبد الله وكان يكثر الحج وكان كثير الصدقة وربما تصدق فى المجلس الواحد بثلاثين ألفا ، قال نافع سمعت ابن عمر وهو ساجد يقول قد تعلم يارب مايمنعني من مزاحمة قريش على الدنيا إلا خوفك توفى سنة ثلاث وسبعين (أسد الغابة ثالث ص ٢٢٧)

(٢) سعد بن مالك ، وهو سعد بن أبى وقاص أسلم قبل أن تفرض الصلاة وهو أحد الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة ، وأحد العشرة سادات الصحابة وأحد الستة أصحاب الشورى شهد المشاهد كلها وابلى يوم أحد

مسلمة[1] الأنصارى ، وأسامة بن زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله

بلاء عظيما وهو أول من أراق دما فى سبيل الله وأول من رمى بسهم فى سبيل الله وقد قال ﷺ اللهم استجب لسعد إذا دعاك وكان لا يدعو إلا استجيب له ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة ولم يكن مع أحد من الطوائف المتحاربة بل لزم بيته وأراد ابنه عمر وابن أخيه هاشم بن عتبه أن يدعو إلى نفسه بعد قتل عثمان فلم يفعل وطلب السلامة فلما اعتزل طمع فيه معاوية وفى عبد الله بن عمر وفى محمد بن مسلمة فكتب اليهم يدعوهم إلى أن يعينوه على الطلب بدم عثمان ويقول انكم لا تكفرون ما اتيتموه من خذلانه إلا بذلك فاجابه كل واحد منهم يرد عليه ما جاء به وكتب اليه سعد أبيات شعر :

معاوى داؤك الداء العياء	وليس لما تجيء به دواء
أيدعونى أبو حسن على	فلم أردد عليه ما يشاء
وقلت له اعطنى سيفا قصيرا	تميز به العداوة والولاء
اتطمع فى الذى أعيا عليا	على ما قد طمعت به العفاء
ليوم منه خير منك حيا	وميتا أنت للمرء الفداء

وكان يقال له المستجاب لقول النبى ﷺ اتقوا دعوة سعد فلما شاطره عمر ماله قال له سعد لقد هممت قال له عمر بان تدعو على قال نعم قال إذا لا تجدنى بدعاء ربى شقيا وهجاه رجل من الشعراء يوم القادسية فقال :

ألم تر ان الله أظهر دينه	وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة	ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فقال سعد اللهم اكفنى يده ولسانه فقطعت يده وبكم لسانه توفى بالعقيق سنة خمس وخمسين (أسد الغابة ثان ص ٢٩٠ العقد الفريد أول ص ٥٢)

(١) محمد بن مسلمة الأنصارى الاوسى ، شهد المشاهد الا تبوك ، وكان صاحب العمال أيام عمر ، كان عمر إذا شكى اليه عامل أرسل محمدا يكشف الحال وهو الذى أرسله عمر إلى عماله ليأخذ شطر أموالهم لثقته به واعتزل الفتنة بعد قتل عثمان واتخذ سيفا من خشب وقال بذلك أمرنى رسول الله ﷺ

صلى الله عليه وسلم ، وقال قيس[٢] بن أبى حازم كنت مع على فى جميع أحواله وحروبه ، حتى قال يوم صفين انفروا إلى بقية الأحزاب انفروا إلى من يقول كذب الله ورسوله ، وأنتم تقولون صدق الله ورسوله ، فعرفت إيش كان يعتقد فى الجماعة فاعتزلت عنه

المرجئـــة

الأرجاء على معنيين أحدهما التأخير قالوا أرجه وأخاه أى أمهله وأخره ، والثانى إعطاء الرجاء ، أما اطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح ، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد ، وأما بالمعنى الثانى فظاهر ، لأنهم كانوا يقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة

وقيل الأرجاء تأخير صاحب الكبيرة إلى القيامة فلا يقضى عليه

قال حذيفه بن اليمان انى لاعلم رجلا لاتضره الفتنه محمد بن مسلمه ، أتيناه بالربذة فاذا فسطاط مضروب وإذا فيه محمد بن مسلمه فسألناه فقال لانشتمل على شىء من أمصارهم حتى ينجلى الأمر عما انجلى ، فهو لم يشهد من حروب الفتنة شيئا ، ومات بالمدينة وهو لم يستوطن غيرها سنة ست وأربعين (أسد الغابة رابع ص ٣٣٠)

(١) قيس بن أبى حازم الأحمسى البجلى بصرى ساق له ابن عدى أحاديث ولم يذكر لاحد فيه قولا ولا مطعنا ثم قال أرجو انه لا بأس به وكان ثقة كثير العبادة وكان مع على ثم خرج عليه ، أما أخوه حازم فبقى مع على إلى أن قتل بصفين سنة سبع وثلاثين (لسان الميزان ثان ص ١٦١ ابن الاثير ثالث ص ١٥٢)

بحكم ما فى الدنيا من كونه من أهل الجنة . أو من أهل النار ، فعلى هذا المرجئة والوعيدية فرقتان متقابلتان . وقيل الارجاء تأخير علىّ عليه السلام عن الدرجة الأولى إلى الرابعة ، فعلى هذا ، المرجئة ، والشيعة فرقتان متقابلتان

والمرجئة أصناف أربعة ، مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة

ومحمد بن شبيب والصالحى والخالدى من مرجئة القدرية ونحن إنما نعد مقالات المرجئة الخالصة

اليونسية

اليونسية أصحاب يونس[١] النميرى ، زعم أن الايمان هو المعرفة بالله والخضوع له وترك الاستكبار عليه والمحبه بالقلب ، فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن . وما سوى المعرفة من الطاعة فليس من الايمان . ولا يضر تركها حقيقة الايمان ، ولا يعذب على ذلك إذا كان الايمان خالصا واليقين صادقا

وزعم أن ابليس كان عارفا بالله وحده ، غير أنه كفر باستكباره

---

(١) يونس بن عون النميرى واتباعه اليونسية ، وهم غير اليونسية اتباع يونس بن عبد الرحمن القمى ، الذين يزعمون أن النصف الأعلى لله مجوف والادنى مصمت وهؤلاء من الامامية ، أما اتباع ابن عون فمن المرجئة (التبصير ص و ٧١ اعتقادات ص ٧٤)

عليه (أبى واستكبر وكان من الكافرين)

قال ومن تمكن فى قلبه الخضوع لله والمحبة له، على خلوص ويقين لم يخالفه فى معصية، وإن صدرت منـــه معصية فلا يضر يقينه وإخلاصه، والمؤمن إنما يدخل الجنة بإخلاصه ومحبته لا بعلمه وطاعته

العبيـــدية

العبيدية أصحاب عبيد[1] المكتب، حكى عنه أنه قال: ما دون الشرك مغفور لا محالة، وإن العبد إذا مات على توحيـــده لم يضره ما اقترف من الآثام، واجترح من السيئات

وحكى اليمان عن عبيد المكتب وأصحابه أنهم قالوا إن علم الله تعالى لم يزل شيئا غيره، وكذلك دين الله لم يزل شيئا غيره، وزعم أن الله تعالى عن قولهم على صورة إنسان[2]، وحمل عليه قوله صلى الله عليه وسلم (خلق آدم على صورة الرحمن)

---

(١) عبيد بن مهران المكتب الكوفى، روى عن مجاهد والشعبي وغيرهما قال أبو حاتم ثقة صالح الحديث، وقال ابن سعد كان ثقة قليل الحديث، وروى عنه السفيانان وفضيل وغيرهم (تهذيب التهذيب سابع ص ٧٤)

(٢) هذا كفر صريح وشرك بواح، إذ صرح بان الله على صورة انسان وقد زعم بأن آدم على صفة الرحمن، فالله تعالى وآدم عنده مثلان مشتبهان فى اجتماع صفات الكمال، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وقد أبنا أنفا ما يحمل عليه قوله ﷺ خلق آدم على صورة الرحمن فراجعه.

الغسانية

أصحاب غسان[١] الكوفى زعم أن الايمان هو المعرفة بالله تعالى وبرسوله، والاقرار بما أنزل الله مما جاء به الرسول فى الجملة دون التفصيل، والايمان يزيد ولا ينقص، وزعم أن قائلا لوقال أعلم أن الله قد حرم أكل الخنزير، ولا أدرى هل الخنزير الذى حرمه هذه الشاة أم غيرها كان مؤمنا، ولو قال إن الله فرض الحج إلى الكعبة، غير أنى لا أدرى أين الكعبة، ولعلها بالهند، كان مؤمنا، ومقصوده أن أمثال هذه الاعتقادات أمور وراء الايمان لا أنه شاك فى هذه الأمور، فان عاقلا لا يستجيز من عقله أن يشك فى أن الكعبة إلى أى جهة، وأن الفرق بين الخنزير والشاة ظاهر

ومن العجب أن غسانا كان يحكي عن أبى حنيفة رحمه الله مثل مذهبه ويعده من المرجئة، ولعله كذب، ولعمرى كان يقال لأبى حنيفة وأصحابه مرجئة السنة . وعده كثير من أصحاب المقالات من جملة

(١) غسان الكوفى المرجىء وليس هو غسان بن ابان المحدث كما وهم بعضهم فان ابن ابان يمامى وذاك كوفى، وقد زعم فى كتابه ان قوله فى هذا الكتاب ان الايمان يزيد ولا ينقص كقول ابى حنيفه فيه وهذا غلط منه عليه لأن أبا حنيفة قال أن الايمان هو المعرفة والاقرار بالله تعالى وبرسله وبما جاء من الله تعالى ورسله فى الجملة دون التفصيل وانه لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل الناس فيه، وغسان قد قال بانه يزيد ولا ينقص (ميزان الاعتدال ثان ص ٣٢١ الفرق بين الفرق ص ١٩١)

المرجئة ، ولعل السبب فيه أنه لما كان يقول الايمان هو التصديق بالقلب ، وهو لا يزيد ولا ينقص ، ظنوا به أنه يؤخر العمل عن الايمان والرجل مع تحرجه فى العمل كيف يفتى بترك العمل ، وله سبب آخر ، وهو أنه كان يخالف القدرية ، والمعتزلة الذين ظهروا فى الصدر الأول والمعتزلة كانوا يلقبون كل من خالفهم فى القدر مرجئا ، وكذلك الوعيدية من الخوارج ، فلا يبعد أن اللقب إنما لزمه من فريقى المعتزلة والخوارج والله أعلم

الثوبانية

أصحاب أبى ثوبان المرجىء ، الذين زعموا أن الايمان هو المعرفة والاقرار بالله تعالى وبرسله عليهم السلام ، وبكل ما لا يجوز فى العقل أن يفعله ، وما جاز فى العقل تركه فليس من الايمان ، وأخر العمل كله من الايمان[١]

(١) فارقوا اليونسية والغسانية بايجابهم فى العقل شيئا قبل ورود الشرع بوجوبه ، ولا طريق فى العقل إلى معرفة وجوب شىء على الخلق ، فانه لا يجب على الخلق شىء إلا بامر يرد من قبل الله تعالى على لسان رسول مؤيد بالمعجزة ، وأصله فى كتاب الله وهو قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا » وقوله تعالى ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك وقوله تعالى . ألم يأتكم نذير . . . وقوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فبين أن لا دليل على الخلق الا قول الرسل فبان أن مجرد العقول لا دليل فيه على الخلق من قبل التعبد (التبصير ص ١٠٤)

ومن القائلين بمقالتـه أبومروان غيلان[١] بن مروان الدمشقى ، وأبو شمر[٢] ، وموسى بن عمران ، والفضل الرقاشي ، ومحمـــد[٣] بن شبيب ، والعتابى ، وصالح[٤] قبة

وكان غيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد . وفى الامامة إنها تصلح فى غير قريش ، وكل من كان قائما بالكتاب والسنة كان مستحقا لها ، وأنها لا تثبت إلا باجماع الأمة ، والعجب أن الأمة اجتمعت على أنها لا تصلح لغير قريش ، وبهذا دفعت الأنصار عن دعواهم (منا أمير

---

(١) غيلان ، ذكره في التبصير أنه غيلان بن مسلم ، وفى تهذيب التهذيب انه غيلان بن أبى غيلان المقتول فى القدرضال مسكين وهو غيلان بن مسلم كان من بلغاء الكتاب ، ومن أصحاب الحرث الكذاب وممن آمن بنبوته فلما قتل الحرث قام غيلان مقامه ، وقد أخذ عن معبد الجهنى البصرى بدعة القدر ، وقد ناظره الأوزاعي وأفتى بقتله فقتل(لسان الميزان رابع ص٤٢٤ تهذيب التهذيب عاشر ص٢٢٦)

(٢) ابو شمر ، جمع بين الارجاء والقدر من أصحاب النظام وهو رأس الشمريه (تبصير ص ١٥)

(٣) محمد بن شبيب الدمشقي وهو غير محمد بن شبيب الزهرانى البصرى الذى روى عن الشعبي والحسن فانه محدث ثقة . أما الدمشقي فهو من أصحاب النظام وممن جمع بين الارجاء والقدر (تهذيب التهذيب تاسع ص ٢١٨ (التبصير ص ١٥) .

(٤) يظهر أنه صالح بن محمد الترمذى ، وكان مرجئا جهميا داعية يبيع الخمر ويبيح شربه رشاهم فولوه قضاء ترمذ فكان يؤدب من يقول الايمـان قول وعمل ، وكان ابن راهويه إذا اذكره بكى من تجرئه على الله تعالى (ميزان أول ص ٤٥٩)

ومنكم أمير) فقد جمع غيلان خصالا ثلاثا القـــدر ، والارجاء والخروج

والجماعة التى عددناهم اتفقوا على أن الله تعالى لو عفا عن عاص فى القيامة ، عفا عن كل مؤمن عاص هو فى مثل حاله ، وإن أخرج من النار واحدا أخرج من هو فى مثل حاله

ومن العجب ، أنهم لم يجزموا القول بأن المؤمنين من أهل التوحيد يخرجون لا محالة من النار

ويحكى عن مقاتل بن سليمان أن المعصية لا تضر صاحب التوحيد والايمان ، وأنه لا يدخل النار مؤمن . والصحيح من النقل عنه ، أن المؤمن العاصى يعذب يوم القيامة على الصراط وهو على متن جهنم ، يصيبه لفح النار ولهبها فيتألم بذلك على مقدار المعصية . ثم يدخل الجنة ومثل ذلك بالحبة على المقلاة المؤججة بالنار ، ونقل عن بشر بن غياث المريسى أنه قال إن أدخل أصحاب الكبائر النار فانهم سيخرجون عنها بعد أن عذبوا بذنوبهم ، وأما التخليد فيها فمحال وليس بعدل

وقيل ان أول من قال بالارجاء الحسن[1] بن محمـــد بن على بن أبى طالب ، وكان يكتب فيه الكتب إلى الأمصار ، إلا أنه ما أخر

---

(١) الحسن بن محمد بن الحنفية الهاشمى العلوى ، روي أنه صنف كتابا فى الارجاء ثم ندم عليه وكان من عقلاء قومه وعلمائهم توفى سنة احدى ومائة وقيل سنة خمس وتسعين (شذرات أول ص ١٢١)

العمل عن الايمان كما قالت المرجئة اليونسية والتوبانية ، لكنه حكم بأن صاحب الكبيرة لا يكفر إذا الطاعات وترك المعاصى ليست من أصل الايمان ، حتى يزول الايمان بزوالها

التومنيه

أصحاب أبى معاذ التومنى[١] الذى زعم أن الايمان هو ما عصم من الكفر ، وهو اسم لخصال إذا تركها التارك كفر ، ولو ترك خصلة واحدة منها كفر ، ولا يقال للخصلة الواحدة منها إيمان ، ولا بعض إيمان وكل معصية صغيرة أو كبيرة لم يجمع عليها المسلمون بأنها كفر ، لا يقال لصاحبها فاسق ، ولكن يقال فسق وعصى . وقال تلك الخصال هي المعرفة ، والتصديق والمحبة والاخلاص ، والاقرار بما جاء به الرسول

قال ومن ترك الصلاة والصيام مستحلا كفر ، وان تركها على نية القضاء لم يكفر ، ومن قتل نبيا أو لطمه كفر ، لا من أجل القتل واللطم ، ولكن من أجل الاستخفاف ، والعداوة ، والبغض ، والى هذا المذهب مال ابن الراوندى ، وبشر المريسى ، قالا الايمان هو التصديق بالقلب واللسان جميعا ، والكفر هو الجحود والانكار والسجود للشمس والقمر والصنم ليس بكفر فى نفسه ، ولكنه علامة الكفر .

---

(١) نسبة إلى تومن ، وظنى أنها من قرى مصر منها أبو معاذ التومنى ، رأس الطائفة المعروفة بالتومنية وهم فرقة من المرجئة الخ (اللباب أول ص١٨٧)

الصـــالحية

أصحاب صالح[١] بن عمر والصالحى ، ومحمد بن شبيب وأبو شمر ، وغيلان ، كلهم جمعوا بين القدر والارجاء ، ونحن وإن شرطنا أن نورد مذاهب المرجئة الخالصة ، الا أنه بدا لنا فى هؤلاء ، لانفرادهم عن المرجئة بأشياء .

فأما الصالحى ، فقال الايمان هو المعرفة بالله تعالى على الاطلاق ، وهو أن للعالم صانعا فقط والـكفر هو الجهل به على الاطلاق ، قال وقول القائل ثالث ثلاثة ليس بكفر لـكنه لا يظهر إلا من كافر ، وزعم أن معرفة الله تعالى المحبة والخضوع له ، ويصح ذلك مع جحد[٢] الرسول ، ويصح فى العقل أن يؤمن بالله ولا يؤمن برسوله ، غير أن الرسول عليه السلام قد قال (من لا يؤمن بى فليس بمؤمن بالله تعالى

---

(١) صالح بن عمرو الصالحي من شيوخ المعتزلة ، وهو من الواقفية فى وعيد مرتكبي الـكبائر وقد أجاز من الله تعالي مغفرة ذنوبهم من غير توبة (الفرق بين الفرق ص ٩٦)

(٢) من الايمان ، ان يوقن ببعث الرسل ، وانزال الكتب ، مبينة للثواب والعقاب ، وقد أيد الله رسله بالمعجزات الدالة على صدقهم وأوجب على لسانهم معرفة التوحيد والشريعة ، وكل ما قالوه فهو صدق ، وكل ما فعلوه فهو حق ، ومن الكفر جحدهم ، وانكار رسالتهم ، اذ لا يكون مؤمنا من جحد رسولا .

وزعم أن الصلاة ليست بعبادة[1] لله تعالى ، وأنه لا عبادة الا الايمان

---

(١) كيف هذا ، والصلاة في اللغة الدعاء ، وقد قال ﷺ ان الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ ادعوني أستجب لكم وقال ﷺ الدعاء مخ العبادة . والصلاة عماد الدين وعصام اليقين ، ورأس القربات ، وغرة الطاعات . وزهرة العبادات ، وبها مناجاة الله في الجماعات ، والخلوات وقد قال ﷺ الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين وقال مفتاح الجنة الصلاة ، وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب اليه من الصلاة ولو كان شيء أحب اليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد . وما قصد الله بعبادته غير الوصول اليه والقرب منه بالانس به ، بذكره وتسبيحه وحمده ، والتدبر فيه ، والتبصر في ملكوته . والصلاة تنتظم كل أولئك وهي وسيلة العلم بالمعبود وذكره بالثناء عليه ، بالحمد والتسبيح . والتهليل والتكبير ، والدعاء والمناجاة . والابتهال والضراعة . وهي بهذا أرفع العبادات . وقد تعبد الله بها ملائكته وثمرتها اقبال الله على عبده ومثوبتها فوزه ، بالقرب والرفعة من عنده ، وقد جعل الله الصلوات في أوقاتها الخمس تمحيصا للسيئات وكفارات للخطيئات ورفعة للدرجات وتاركها منكرا لوجوبها كافر ومن تركها تكاسلا مع اعتقاد وجوبها فهو فاسق . يستتاب أو يعزر ، ويحبس حتى يصلي ، وقد قال ﷺ خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن لم يترك شيئا منهن استخفافا بحقهن ، كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ، ان شاء عذبه . وان شاء أدخله الجنة ، والله تعالى يقول (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، ولشرفها عند الله تعالى سأل ابراهيم الخليل عليه السلام ربه أن يجعله مصليا فقال (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي » وقال ﷺ استقيموا ولن تحصوا واعملوا وخير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء الا مؤمن وقال : اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) والله تعالى يقول واسجد واقترب » وقد قال

به وهو معرفته وهو خصلة واحدة ، لا يزيد ولا ينقص ، وكذلك الكفر خصلة واحدة لا يزيد ولا ينقص .

وأما أبو شمر المرجىء القدري ، فانه زعم أن الايمان هو المعرفة بالله عز وجل ، والمحبة والخضوع له بالقلب والاقرار به أنه واحد ، ليس كمثله شيء ، ما لم يقم عليه حجة الأنبياء عليهم السلام . فاذا قامت الحجة فالاقرار بهم ، وتصديقهم من الايمان ، والمعرفة والاقرار بما جاؤا به عن عند الله غير داخل فى الايمان الأصلى ، وليس كل خصلة من خصال الايمان إيمانا ولا بعض ايمان واذا اجتمعت كانت كلها ايمانا ، وشرط فى خصال الايمان معرفة العدل ، يريد به القدر خيره وشره من العبد ، من غير أن يضاف الى البارى تعالى منه شيء .

وأما غيلان بن مروان من القدرية المرجئة ، (فقد) زعم أن الايمان

ﷺ الصلاة قربان كل تقى ، وقال ان أول مايحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فان صلحت فقد أفلح وأنجح وأن فسدت فقد خاب وخسر فان انتقص من فريضته شيئا فان الرب عز وجل يقول انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك وفى الحديث لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ، والله يقول : إن صلاتى ونسكي ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، بدأ بالصلاة لأنها أخص العبادات المتكررة لله لاشتمالها على أنواع متعددة مجتمعة فيها ، ونسكي تلاها بالنسك وهو التعبد وقد يكون ذبحا ويكون صلاة ومحياى ومماتى أشعار وأعلام بان الملك لله الواحد القهار . وفيما ذكرناه غناء ، يكشف أن الصلاة غرة العبادات

هو المعرفة الثابتة بالله والمحبة وَالخضوع له والاقرار بما جاء به الرسول وبما جاء من عند الله والمعرفة الأولى فطرية ضرورية فالمعرفة على أصله نوعان ، فطرية ، وهو علمه بأن للعالم صانعا ، ولنفسه خالقا ، وهذه المعرفة لا تسمى ايمانا ، انما الايمان هو المعرفة الثابتة المكتسبة .

تتمة رجال المرجئة كما نقل ، الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب ، وَسعيد[1] بن جبير ، وطلق[2] بن حبيب ، وعمرو[3] ابن مرة ، ومحارب[4] بن دثار ، ومقاتل ابن سليمان ، وذر[5] ،

(١) أبو عبد الله ، وقيل ابو محمد سعيد بن جبير الاسدى بالولاء ، مولى بني والبة كوفى ، أحد أعلام التابعين وكان أسود ، أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر ، قال له ابن عباس حدث فقال أحدث وأنت ههنا فقال أليس من نعمة الله عليك أن تحدث وأنا شاهد فان أصبت فذاك وان أخطأت علمتك وقد أخذ عنه القراءة وسمع منه التفسير واكثر روايته عنه ، وكان أعلم التابعين بالطلاق ، وكان يلعب بالشطرنج استدبارا ، قتله الحجاج فى شعبان سنة خمس وتسعين (ابن خلكان أول ص ٢٥٦)

(٢) طلق بن حبيب العنزى من التابعين ، صدوق فى الحديث ، وكان يرى الارجاء ، وكان ممن يخشى الله تعالي ، وهو من العباد ذكر فيمن مات بين التسعين والمائة (تهذيب التهذيب جزء خامس ص ٣١)

(٣) عمرو بن مرة الجملى المرادى الكوفى الأعمى كان ثقة ، مامونا على ما عنده ، قال مغيرة لم يزل فى الناس بقية حتى دخل عمرو فى الارجاء فتهافت الناس فيه توفى سنة ثمانى عشرة ومائة (تهذيب التهذيب جزء ثامن ص ١٠٢)

(٤) محارب بن دثار السدوسى قاضى الكوفة ثقة ، ثبت مشهور وقال ابن سعد لا يحتجون به ، ولى القضاء لخالد بن عبد الله القسرى توفى سنة ست عشرة ومائة (شذرات أول ص ١٥٢)

(٥) ذر بن عبد الله بن زرارة المرهبي الهمدانى الكوفي كان مرجئا ، وكان من عباد أهل الكوفة ويقص قتله الحجاج سنة ثمانين (تهذيب التهذيب ثالث ص ٢١٨)

وعمر[١] بن ذر ، وحماد[٢] بن أبى سليمان ، وأبو حنيفة ، وأبو يوسف[٣] ومحمد بن الحسن ، وقديد[٤] بن جعفر ، وهؤلاء كلهم أئمة الحديث لم يكفروا أصحاب الكبائر بالكبيرة ، ولم يحكموا بتخليدهم فى النار خلافا للخوارج والقدرية .

الشيعة

الشيعة هم الذين شايعوا عليا عليه السلام على الخصوص ، وقالوا

---

(١) عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمدانى الكوفى ، كان ثقة بليغا وكان يرى الارجاء ، وكان رأسا فيه وقد ذهب بصره وقد توفى سنة ثلاث وخمسين ومائة ولم يشهده الثورى (تهذيب التهذيب سابع ص ٤٤٤)

(٢) حماد بن أبى سليمان مسلم الأشعرى ، مولاهم ، فقيه الكوفة كان يرى بالارجاء وكان جوادا بالدنانير والدراهم ، سخيا على الطعام يفطر كل ليلة خمسمائة انسان ، وكان سريا محتشما ، صدوق اللسان ، ولا يقول بخلق القرآن وينكر على من يقوله توفى سنة عشرين ومائة (تهذيب التهذيب ثالث ص ١٦ شذرات الذهب ص ١٥٧ »

(٣) القاضى أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الكوفى ، صاحب أبى حنيفة ، كان فقيها عالما حافظا وقد خالف أبا حنيفة فى مواضع كثيرة ، وروى عنه محمد بن الحسن ، وكان الرشيد يكرمه ويجله ، وكان حظيا عنده مكينا ، وهو أول من دعى بقاضى القضاة وأول من غير لباس العلماء إلى الهيئة التى هم عليها ، وكان يحفظ التفسير والمغازى وأيام العرب ومن قوله العلم شىء لايعطيك بعضه حتى تعطيه كلك وأنت إذا أعطيته كلك من اعطائه البعض على غرر ، توفى سنة اثنتين وثمانين ومائة ، (ابن خلكان ثان ص ٤٠٠)

(٤) قديد بن جعفر كان فقيها من أصحاب الرأى ، وأخذ عن أبى حنيفة وله يد فى علم الكلام (الجواهر المضية أول ص ٤١٣)

بإمامته وخلافته نصا، ووصية، إما جليا أو خفيا، واعتقدوا أن الامامة لا تخرج من أولاده[1]، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، قالوا وليست الامامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الامام بنصبهم، بل هى قضية أصولية، هو ركن الدين لا يجوز للرسول عليه السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه الى العامة وإرساله ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولى، والتبرى قولا، وفعلا وعقدا، لا فى حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية فى ذلك، ولهم فى تعدية الامامة كلام وخلاف كثير، وعند كل تعدية وتوقف مقالة، ومذهب وخبط، وهم خمس فرق، كيسانية، وزيدية، وامامية، وغلاة واسمعيلية، وبعضهم يميل فى الأصول الى الاعتزال، وبعضهم الى السنة، وبعضهم الى التشبيه

الكيسانية

أصحاب كيسان، مولى أمير المؤمنين على عليه السلام

---

(١) زعمت الامامية انها اليوم فى أحد مخصوص من أولاد على، واختلفوا فى ذلك الذى ينتظرون خروجه وقالت الغلاة من الروافض ان الامامة فى الأصل في على وولده ثم أخرجوها إلى جماعة من غير قريش أما بدعواهم وصية بعض الأئمة اليه، وأما بدعواهم تناسخ الروح من الامام إلى من زعموا ان الامامة انتقلت اليه (أصول الدين ص ٢٧٦)

وقيل تلميذ للسيد محمد بن الحنفية يعتقدون فيه إعتقادا بالغا، من احاطته بالعلوم كلها، واقتباسه من السيدين الأسرار بجملتها، من علم التأويل والباطن ، وعلم الآفاق والأنفس ، ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل، حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية ، من الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وغيرها، على رجال ، فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول الى طاعة الرجل . وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة ، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ . والحلول ، والرجعة بعد الموت . فمن مقتصر على واحد ، معتقد أنه لا يموت ، ولا يجوز أن يموت . حتى يرجع ، ومن معد حقيقة . الامامة الى غيره ، ثم متحسر عليه . متحير فيه . ومن مدع حكم الامامة وليس من الشجرة ، وكلهم حيارى منقطعون ، ومن اعتقد أن الدين طاعة رجل ولا رجل له ، فلا دين له ، ونعوذ بالله من الحيرة ، والحور بعد الكور [١]

المختاريه

المختارية أصحاب المختار بن عبيد[٢] كان خارجيا . ثم صار زبيريا

---

(١) نعوذ بالله من الحور بعد الكور ، الحور النقصان والرجوع ، والكور الزيادة أخذ من كور العمامة ، وقيل الرجوع بعد الاستقامة والنقصان بعد الزيادة وروي عن النبي ﷺ أنه كان يتعوذ من الحور بعد الكور أى من النقصان بعد الزيادة

(٢) المختار بن أبي عبيد الثقفى ، كان أبوه من جلة الصحابة وولد المختار

ثم صار شيعيا ، وكيسانيا ، قال بامامة محمد بن الحنفية بعد علىّ ، وقيل لا بل بعد الحسن والحسين ، وكان يدعو الناس إليه ، ويظهر أنه من رجاله ودعاته ، ويذكر علوما مزخرفة ينوطها به ، ولما وقف محمد ابن الحنفية على ذلك ، تبرأ منه ، وأظهر لأصحابه أنه إنما نمس[1] على الخلق ، ذلك ليتمشى أمره ، ويجتمع الناس عليه ، وإنما انتظم له ما انتظم بأمرين ، أحدهما انتسابه الى محمد بن الحنفية علما ودعوة ، والثانى قيامه بثار الحسين عليه السلام ، واشتغاله ليلا ونهارا ، بقتال الظلمة الذين اجتمعوا على قتل الحسين ، فمن مذهب المختار أنه يجوز البداء[2] على الله تعالى ، والبداء له معان ، البداء فى العلم ، وهو أن يظهر

عام الهجرة ، وليست له صحبة ، وهو ضال مضل ، كذاب كان يزعم أن جبريل ينزل عليه ، وكان ممن خرج على الحسن بن على رضى الله عنهما فى المدائن ، ثم صار مع ابن الزبير بمكة فولاه الكوفة فغلب عليها ، ثم أخذ يطالب بدم الحسين وثأره واجتمع عليه كثير من الشيعة ، وكان يظهر لهم الأعاجيب ، وقتل قتلة الحسين ، وكان يرسل المال إلى ابن عمر وابن عباس وابن الحنفية وغيرهم فيقبلونه منه وكان ابن عمر زوج صفية أخت المختار ، وقد قيل لابن عمر : إن المختار يزعم أن الوحى يأتيه فقال صدق قال تعالى (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) وقد سار إليه مصعب بن الزبير من البصرة فى جمع كثير من أهل الكوفة وأهل البصرة فقتل المختار بالكوفة سنة سبع وستين وكانت إمارته على الكوفة سنة ونصف سنة (أسد الغابة رابع ص ٣٣٦ لسان الميزان سادس ص ٦ ابن كثير سابع ص ٢٩١)

(١) نمس ، من الناموس والناموس ما ينمس به الرجل من الاحتيال والناموس المكر والخداع ، والتنميس التلبيس

(٢) السبب الذى جوزت الكيسانية البداء على الله تعالى أن مصعب بن

له صواب على خلاف ما أراد وحكم ، والبداء فى الأمر وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك ومن لم يجوز النسخ ظن أن الأوامر المختلفة فى الأوقات المختلفة متناسخة .

وانما صار المختار الى اختيار القول بالبداء لأنه كان يدعى علم ما يحدث من الأحوال، إما بوحى يوحي إليه ، واما برسالة من قبل الامام ، فكان إذا وجد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة ، فان وافق كونه قوله جعله دليلا عَلَى صدق دعواه . وان لم يوافق قال قد بدا لربكم ، وَكان لا يفرق بين النسخ والبداء .

قال إذا جاز النسخ فى الأحكام جاز البداء فى الأخبار ، وقد قيل إن السيد محمد بن الحنفية تبرأ من المختار حين وصل إليه أنه قد لبس على الناس انه من دعاته ورجاله ، وتبرأ من الضلالات التى ابتدعها المختار من التأويلات الفاسدة والمخاريق المموهة .

الزبير بعث اليه عسكرا قويا فبعث المختار إلى قتالهم أحمد بن شميط مع ثلاثة آلاف من المقاتلة وقال لهم أوحى إلى أن الظفر يكون لكم فهزم ابن شميط فيمن كان معه ، فعاد إليه فقال أين الظفر الذى قد وعدتنا . فقال له المختار هكذا كان قد وعدنى ثم بدا فانه سبحانه وتعالى قد قال يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، والبداء ظهور الرأى بعد ان لم يكن ، والبدائية هم الذين جوزوا البداء على الله عز وجل ، بأن يعتقد شيئا ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما اعتقده ، وهذا باطل لأن علم الله من لوازم ذاته المخصوصة . وما كان كذلك كان دخول التغير والتبدل فيه محالا تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (التبصير ص ٢٠ التعريفات ص ٢٩ تفسير الرازى خامس ص ٢١٦)

فمن مخاريقه أنه كان عنده كرسى[1] قديم قد غشاه بالديباج ، وزينه بأنواع الزينة . وقال هـــذا من ذخائر أمير المؤمنين على عليه السلام ، وهو عندنا بمنزلة التابوت لبنى إسرائيل ، فكان إذا حارب خصومه يضعه فى براح الصف ، ويقول قاتلوا ولـكم الظفر والنصرة وهذا الـكرسى محله فيكم محل التابوت فى بنى اسرائيل ، وفيه السكينة ، والبقية ، والملائـكة[2] من فوقـكم ينزلون مددا لـكم ،

(١) قال الطفيل بن جعدة أضقنا إضاقة شديدة فخرجت يوما فاذا جار لي زيات عنده كرسى ركبه الوسخ فقلت فى نفسى ، لو قلت للمختار فى هذا شيئا . فأخذته من الزيات وغسلته فخرج عود نضار قد شرب الدهن وهو أبيض فقلت للمختار : إنى كنت أكتمك شيئا وقد بدا لى أن أذكره لك إن أبى جعدة كان يجلس على كرسى عندنا ويروى أن فيـه أثرا من على قال سبحان الله ، أخرته إلى هذا الوقت ابعث به فأحضرته عنده وقد غشى فأمر لى باثني عشر ألفا ، ثم دعا الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فقال المختار انه لم يكن فى الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن فى هذه الأمة مثله . وان كان فى بنى اسرائيل التابوت وان هذا فينا مثل التابوت فكشفوا عنه وقامت السبئية فكبروا ثم لم يلبثوا أن أرسل المختار الجند لقتال ابن زياد وخرج بالكرسى على بغل وقد غشى فقتل أهل الشام مقتلة عظيمة فزادهم ذلك فتنة وقد قال أعشي همدان :

شهدت عليكم أنكم سبئية وإني بكم ياشرطة الشرك عارف
فأقسم ما كرسيكم بسكينة وإن كان قد لفت عليه اللفائف

(ابن الأثير رابع ص ١٠٨)

(٢) أقبل المختار الى القصر ومعه سراقة بن مرداس أسيرا ، فناداه

امنن علي اليوم ياخير معد وخير من حل بتجر والجند
وخير من لبي وحيا وسجد

وحديث الحمامات البيض التى ظهرت فى الهواء، وقد أخبرهم قبل ذلك بأن الملائكة(١) تنزل على صورة الحمامات البيض معروف والاسجاع(٢)

ثم قال :

نصرت على عدوك كل يوم　　بكل كتيبة تنعى حسينا
كنصر محمد فى يوم بدر　　ويوم الشعب إذ لاقي حنينا
فأسجح اذ ملكت فلو ملكنا　　لجرنا فى الحكومة واعتدينا
تقبــــل توبة منى فانى　　سأشكر إذ جعلت النقد دينا

فلما انتهى الي المختار قال أصلح الله الأمير أحلف بالله الذى لا إله إلا هو لقد رأيت الملائكة تقاتل معك علي الخيول البلق من السماء والارض فقال له المختار اصعد المنبر فأعلم الناس فصعد فأخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به فقال له انى قد علمت انك لم تر شيئا وانما أردت ما قد عرفت ان لا أقتلك فاذهب عني حيث شئت لا تفسد على أصحابي فخرج الي البصرة فنزل عند مصعب وقال :

ألا أبلغ أبا اسحق انى　　رأيت البلق دهما مصمتات
كفرت بوحيكم وجعلت نذرا　　على قتالكم حتى الممات
أرى عيني ما لم تبصراه　　كلانا عالم بالترهات

(ابن الاثير رابع ص ١٠٠)

(١) كان يدعو الناس علي طبقاتهم ومقاديرهم فى أنفسهم وعقولهم حتى لقد كان يخاطب منهم ، من يرفعهم ، فيقول بأن الملك يأتيه بالوحى ويخبره بالغيب (مروج الذهب ثالث ص ٣٢)

(٢) خرج المختار وأصحابه معهم الكرسى يحملونه علي بغل أشهب وهم يدعون الله بالنصر ، فلما رآهم المختار قال : أما ورب المرسلات عرفا ، لتقتلن بعد صف صفا ، وبعد ألف قاسطين ألفا ، ولما سجن كان يقول أما ورب البحار والنخل والأشجار ، والمهامه والقفار والملائكة الأبرار والمصطفين الأخيار لأقتلن كل جبار بكل لدن خطار ومهند بتار ، بجموع الأنصار ، ليس بمثل اغمار ، ولا بعزل أشرار ، حتى إذا أقمت عمود الدين ، وزايلت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين ، وأدركت ثأر النبيين ، لم يكبر علي زوال الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى (ابن الأثير رابع ص ٧٣ و ص ١٠٨

التى ألفها أبرد تأليف مشهور ، وإنما حمله عَلَى الانتساب الى محمد بن الحنفية حسن اعتقاد الناس فيه ، وامتلاء القلوب بحبه ، والسيد كان كثير العلم غزير المعرفة وقاد الفكر مصيب الخاطر فى العواقب ، قد أخبره أمير المؤمنين عن أحوال الملاحم ، وأطلعه عَلَى مَدارج المعالم قد اختار العزلة وآثر الخمول على الشهرة ، وقد قيل انه كان مستودعا علم الامامة حتى سلم الأمانة إلى أهلها ، وما فارق الدنيا حتى أقرها فى مستقرها . وكان السيد الحميرى وكثير[1] الشاعر من شيعته قال كثير فيه :

إلا أن الأئمة من قريش	ولاة الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيه	هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر	وَسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى	يقود الخيل يقدمه اللواء
يغيب ولا يرى فيهم زمانا	برضوي عنده عسل وماء

(١) أبو صخر كثير بن عبد الرحمن الخزاعى الشاعر المشهور ، أحد عشاق العرب المشهورين به ، وهو صاحب عزة بنت جميل وهو من فحول شعراء الاسلام وكان غاليا فى التشيع ، يذهب مذهب الكيسانية ويقول بالرجعة والتناسخ توفى سنة خمس ومائة ، ومات هو وعكرمة مولى ابن عباس فى يوم واحد ، فصلى عليهما فى موضع واحد وقال الناس مات أفقه الناس وأشعر الناس وكان موتهما بالمدينة (ابن خلكان أول ص ٥٤٧ الأغانى تاسع ص ٤)

وكان السيد[1] الحميرى أيضا يعتقد أنه لم يمت وأنه فى جبل رضوى بين أسد ونمر يحفظانه ، وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ، وَيعود بعد الغيبة فيملأ العالم عدلا كما ملئت جورا ، وهذا هو الأول حكم بالغيبة والعود بعد الغيبة حكم به الشيعة وجرى ذلك فى بعض الجماعة حتى اعتقدوه دينا وَركنا من أركان التشيع . ثم اختلف الكيسانية بعد انتقال محمد بن الحنفية فى سوق الامامة وصار كل اختلاف مذهبا

الهاشمية

اتباع أبى هاشم بن محمد بن الحنفية قالوا بانتقال محمد بن الحنفية

---

(١) السيد ، لقبه واسمه اسماعيل بن محمد الحميرى ويكنى أبا هاشم ، كان شاعرا متقدما مطبوعا ويقال ان أكثر الناس شعرا فى الجاهلية والاسلام ثلاثه بشار وأبو العتاهية والسيد ، فانه لا يعلم أن أحدا أقدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فى شعره . ويستعمله من قذفهم والطعن عليهم . وما مضى إلا على مذهب الكيسانية ويقول تجعفرت باسم الله والله أكبر . وقال : تجعفرت باسم الله فيمن تجعفرا وهو من أشعر المحدثين . وقيل أنه لم يرجع عن مذهبه فى ابن الحنفية وقصائده الجعفريات منحولة ، فمذهبه مذهب الكيسانية ويقول بامامة محمد ابن الحنفية ، وله فى ذلك شعر كثير ، وكان يقول بالرجعة وقد عاش إلى خلافة الرشيد وفى أيامه مات وأنه مدحه بقصيدتين فأمر له ببدرتين ففرقهما فبلغ ذلك الرشيد فقال أحسب أبا هاشم تورع عن قبول جوائزنا (الأغانى سابع ص ٢٢٩)

إلى رحمة الله وَرضوانه ، وَانتقال الامامة منه إلى ابنه أبى هاشم ، قالوا فانه أفضى إليه بأسرار العلوم ، وأطلعه على مناهج تطبيق الآفاق على الأنفس ، وَتقدير التنزيل على التأويل ، وتصوير الظاهر على الباطن قالوا إن لكل ظاهر باطنا ، وَلكل شخص روحا ، وَلكل تنزيل تأويلا وَلكل مثال فى هذا العلم حقيقة فى ذلك العالم ، وَالمنتشر فى الآفاق من الحكم وَالأسرار مجتمع فى الشخص الانسانى وهو العلم الذي استأثر على عليه السلام به ابنه محمد بن الحنفية ، وهو أفضى بذلك السر إلى ابنه أبي هاشم ، وَكل من اجتمع فيه هـــذا العلم ، فهو الامام حقا ، واختلف بعد أبى هاشم شيعته خمس فرق

قالت فرقة أن إبا هاشم مات منصرفا من الشام بأرض الشراة[١] وأوصى إلى محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وانجرت في أولاده الوصية ، حتى صارت الخلافة إلى أبى العباس ، قالوا ولهم فى الخلافة حق لاتصال النسب ، وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَعمه العباس أولى بالوراثة[٢]

---

(١) الشراة : صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول ﷺ ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة التي كان يسكنها ولد على بن عبد الله بن عباس فى أيام بني مروان (معجم خامس ص ٢٤٧)

(٢) كان عبد بن أبى رافع مولى رسول الله ﷺ يكتب لعلي بن أبى طالب ، فأتى الحسن بن على فقال أنا مولاك فقال مولي لتمام بن العباس ابن عبد المطلب :

جحدت بنى العباس حق أبيهم فما كنت فى الدعوى كريم العواقب

وفرقة قالت إن الامامة بعد موت أبى هاشم، لابن أخيه الحسن ابن على بن محمد بن الحنفية

وَفرقة قالت لا بل إن أبا هاشم أوصى إلى أخيـه على بن محمد، وعلى أوصى إلى ابنه الحسن، فالامامة عندهم فى بنى الحنفية لا تخرج إلى غيرهم

وفرقة قالت إن أبا هاشم أوصى إلى عبد الله بن عمرو بن حرب الـكندى، وإن الامامة خرجت من بنى هاشم إلى عبد الله، وتحولت روح أبى هاشم إليه. والرجل ما كان يرجع إلى علم وديانة، فاطلع بعض القوم على خيانته وكـذبه فأعرضوا عنه، وقالوا بامامة عبد الله ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب

وكان من مذهب عبـد الله أن الأرواح تتناسخ من شخص الى شخص. وأن الثواب والعقاب فى هذه الأشخاص، إما أشخاص بنى آدم، وإما أشخاص الحيوانات، قال وروح الله تناسخت حتى وصلت إليه، وحلت فيه وادعى الالهية والنبوة معا، وأنه يعلم الغيب فعبـده شيعته الحمقى، وكفروا بالقيامة، لاعتقادهم، أن التناسخ يكون فى الدنيا

متى كان أبناء البنـات كوارث يحوز ويدعى والدا في المناسب
فقال مروان ابن أبى حفصة :
أنى يكون وليس ذاك بكائن لبنى البنـات وراثة الأعمام
(الشعر والشعراء ص ٢٩٦)

والثواب والعقاب فى هذه الأشخاص ، وتأول قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية على أن من وصل إلى الامام وعرفه ارتفع عنه الحرج فى جميع ما يطعم ، ووصل إلى الكمال والبلاغ ، وعنه نشأت الخرمية والمزدكية بالعراق . وهلك عبد الله بخراسان وافترقت أصحابه . فمنهم من قال إنه بعد حى لم يمت ويرجع

ومنهم من قال بل مات وتحولت روحه إلى إسحاق[1] بن زيد الحارث الأنصارى ، وهم

الحارثية

الذين يبيحون المحرمات ويعيشون عيش من لا تكليف عليه . وبين أصحاب عبد الله بن معاوية ، وبين أصحاب محمد بن على[2] خلاف شديد فى الإمامة ، فان كل واحد منهما يدعي الوصية من أبى هاشم إليه ولم يثبت الوصية على قاعدة تعتمد

---

(١) اسحاق بن زيد بن الحرث الأنصارى الخزرجى ، والده من الصحابة ومن البدريين ، فهو من التابعين (أسد الغابة ثان ص ٢٢٤)

(١) أبو عبد الله محمد بن على بن عبد الله بن العباس الهاشمى ، وهو والد السفاح والمنصور الخليفتين ، وكان من أجمل الناس وأعظمهم قدرا ، أوصى اليه أبو هاشم وقال له أنت صاحب هذا الأمر وهو فى ولدك ودفع اليه كتبه وصرف الشيعة نحوه ، ولما حضرته الوفاة أوصى الى ولده ابراهيم المعروف بالامام ، فأمر مروان بقتل ابراهيم فأوصى الى أخيه السفاح وهو أول من ولى الخلافة من أولاد العباس ، وقد توفى سنة ست وعشرين ومائة (ابن خلكان أول ص ٥٧٥)

البيانية

اتباع بيان بن سمعان النهدى ، قالوا بانتقال الإمامة من أبى هاشم إليه وهو من الغلاة القائلين بإلهية أمير المؤمنين على عليه السلام ، قال حل فى على جزء إلهي ، واتحد بجسده فيه ، كان يعلم الغيب إذ أخبر عن الملاحم ، وصح الخبر ، وبه كان يحارب الكفار ، وله النصرة والظفر ، وبه قلع باب خيبر ، وعن هذا قال (والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ولكن بقوة ملكوتية بنور بها مضيئة) فالقوة الملكوتية فى نفسه كالمصباح فى المشكاة ، والنور الإلهى كالنور فى المصباح ، قال وربما يظهر على فى بعض الأزمان ، وقال فى تفسير قوله تعالى (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام) أراد به عليا ، فهو الذى يأتى فى ظلل (الغمام) . والرعد صوته ، والبرق تبسمه ، ثم ادعى بيان أنه قد انتقل إليه الجزء الإلهى بنوع من التناسخ . ولذلك استحق أن يكون إماما وخليفة . وذلك الجزء هو الذى استحق به آدم سجود الملائكة ، وزعم أن معبوده على صورة إنسان عضوا فعضوا ، جزءا فجزءا ، وقال يهلك كله إلا وجهه لقوله تعالى (كل شىء هالك إلا وجهه) ومع هذا الخزى الفاحش كتب إلى محمد بن على بن الحسين الباقر ودعاه إلى نفسه ، وفى كتابه أسلم تسلم وترتق فى سلم ، فانك لا تدرى حيث يجعل الله النبوة[٣] ، فأمر الباقر أن يأكل

---

(٣) ادعى بيان بعد وفاة أبى هاشم النبوة وكتب إلى أبى جعفر محمد بن

الرسول قرطاسه الذي جاء به ، فأكله فمات فى الحال ، وكان اسم الرسول عمر بن أبى عفيف (الأزدى) وقد اجتمعت طائفة على بيان بن سمعان ودانوا بمذهبه فقتله خالد بن عبد الله[١] القسرى على ذلك

الرزاميـــة[٢]

اتباع رزام ساقوا الإمامة من على إلى ابنـه محمد ، ثم إلى ابنه أبى هاشم ، ثم منه إلى على بن عبد الله بن عباس بالوصية ، ثم ساقوها إلى محمد بن على ، وأوصى محمد إلى ابنه إبراهيم الإمام ، وهو صاحب أبى مسلم الذى دعاه إليه ، وقال بامامته ، وهؤلاء ظهروا بخراسان فى أيام أبى مسلم حتى قيل إن أبا مسلم كان على هذا المذهب ، لأنهم

على بن الحسين يدعوه إلى نفسه والاقرار بنبوته ويقول لهأسلم تسلمو ترتق فى سلم ، وتنج وتغنم فانك لاتدرى أين يجعل الله النبوة والرسالة وما على الرسول الا البلاغ وقد أعـذر من انذر فأمر أبو جعفر ، رسول بيان فأ كل قرطاسه الذى جاء به (فرق الشيعة ص ٣٤)

(١) خالد بن عبد الله البجلى ثم القسري ، وكان يزيد بن أسد جده وفد على النبى ﷺ فأسلم ونزل بالشام ، ثم اشترى خالد بن عبد الله القسرى لما ولى العراق خططا بالكوفة وابتنى بها وله بها عقب وعدد وكان جوادا ممـدحا خطيبا مفوها توفى سنة ١٢٦ (المعارف ص ١٣٧ شذرات أول ص ١٦٩)

(٢) الرزامية طائفة من غـلاة الشيعة يقولون بامامة أبى مسلم الخراسانى بعـد المنصور ومنهم من يدعي الالهيه منهم المقنع الذى أظهر لهم القمر فى نخشب وعلى رأيه اليوم جماعة فيما وراء النهر (تاج العروس ثامن ص ٣١٢)

ساقوا الإمامة إلى أبى مسلم ، فقالوا له حظ فى الامامة ، وادعوا حلول روح الاله فيه ، ولهذا أيده على بنى أمية حتى قتلهم (على) بكرة أبيهم ، وقالوا بتناسخ الأرواح

والمقنع[١] الذى ادعى الالهية لنفسه على مخاريق أخرجها ، كان فى الأول على هذا المذهب وتابعه ، مبيضة[٢] ما وراء النهر ، وهؤلاء صنف من الخرمية[٣] ، دانوا بترك الفرائض ، وقالوا الدين معرفة الامام فقط

---

(١) المقنع الخراسانى اسمه عطاء الساحر كان فى مبدأ أمره قصارا من أهل مرو ، وكان يعرف شيئا من السحر والنيرنجات فادعى الربوبية من طريق التناسخ ، وكان مشوه الخلق أعور ألكن قصيرا ، وكان لا يسفر عن وجهه بل اتخذ وجها من ذهب فتقنع به فلذلك قيل له المقنع ، وقد غلب على العقول بتمويهاته وسحره ، ومن جملة ما أظهر لهم صورة قمر يطلع ويراه الناس من مسافة شهر من موضعه ثم يغيب فعظم اعتقادهم فيه وقد ذكر المعرى هذا القمر فى قوله :

أفق انما البدر المقنع رأسه ضلال وغى مثل بدر المقنع

واليه أشار ابن سناء الملك فى قوله

اليك فما بدر المقنع طالعا بأسحر من الحاظ بدر المعمم

ولما اشتهر أمره ثار عليه الناس وقصدوه فى قلعته التى كان اعتصم بها وحصروه فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وسقاهن سما فتن منه ثم تناول شربة من ذلك السم فمات ودخل المسلمون قلعته فقتلوا من فيها من أشياعه واتباعه وذلك فى سنة ثلاث وستين ومائه (ابن خلكان أول ص ٤٠٢)

(٢) المبيضة كمحدثة ، فرقة من الثنويه وهم أصحاب المقنع سموا بذلك لتبييضهم ثيابهم مخالفة المسودة من العباسيين (تاج جزء خامس ص ١٤)

(٣) الخرميه اسم لأصحاب التناسخ والحلول والاباحة وكانوا فى زمن

ومنهم من قال الدين أمران ، معرفة الامام وأداء الأمانة ، ومن حصل له الأمران فقد وصل إلى حال الكمال ، وارتفع عنه التكليف

ومن هؤلاء من ساق الامامة إلى محمد بن على بن عبد الله ابن عباس، من أبى هاشم بن محمد الحنفية وصية إليه ، لا من طريق آخر .

وكان أبو مسلم صاحب الدولة علي مذهب الكيسانية في الأول ، واقتبس من دعاتهم العلوم التي اختصوا بها ، وأحس منهم أن هذه العلوم مستودعة فيهم ، يطلب المستقر فيه ، فأنفذ إلى الصادق جعفر بن محمد (إنى قد أظهرت الكلمة ، ودعوت الناس عن موالاة بنى أمية إلى موالاة أهل البيت ، فان رغبت فيه فلا مزيد عليك) فكتب إليه الصادق (ما أنت من رجالى ولا الزمان زمانى) فحاد إلى أبى العباس بن محمد وقلده الخلافة

الزيدية

أتباع زيد بن على بن الحسين بن على عليه السلام ، ساقوا الامامة فى أولاد فاطمة عليها السلام ، ولم يجوزوا ثبوت إمامة فى غيرهم إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمى عالم زاهد شجاع سخي خرج بالأمامة

المعتصم فقتل شيخهم بابك وتشتتوا في البلاد وقد بقيت منهم فى جبال الشام بقية ينسبون إلي بابك الخرمى الطاغيه الذى كاد ان يستولى على الممالك زمن المعتصم وكان يرى رأى المزدكية من المجوس الذين خرجوا أيام قباذ وأباحوا النساء والمحرمات وقتلهم انوشروان (تاج ثامن ص ٢٧٢)

يكون إماما واجب الطاعة سواء أكان من أولاد الحسن (أم) من أولاد الحسين . وعن هـذا قالت طائفة منهم بامامة محمد وإبراهيم الامامين ابني عبـد الله بن الحسن بن الحسين اللذين خرجا فى أيام المنصور ، وقتلا على ذلك ، وَجوزوا خروج إمامين فى قطرين يستجمعان هذه الخصال . ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة ، وزيد بن على لما كان مذهبه هذا المذهب أراد أن يحصل الأصول والفروع ، حتى يتحلى بالعلم فتلمذ فى الأصول لواصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة ، مع اعتقاد واصل بأن جده على بن أبى طالب فى حروبه التى جرت بينه وبين أصحاب الجمـل وأصحاب الشـام ما كان عَلَى يقين من الصواب ، وأن أحد الفريقين منهما كان عَلَى الخطأ لا بعينه ، فاقتبس منه الاعتزال ، وصارت أصحابه كلها معتزلة وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل ، فقال كان على بن أبى طالب أفضل الصحابة ، إلا أن الخلافة فوضت إلى أبى بكر لمصلحة رأوها ، وقاعدة دينية راعوها ، من تسكين نائرة الفتنة ، وتطييب قلوب العامة ، فإن عهـد الحروب التي جرت فى أيام النبوة كان قريبا ، وسيف أمير المؤمنين على عليه السلام عن دماء المشركين من قريش لم يجف بعد ، والضغائن فى صدور القوم من طلب الثار كما هى ، فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل ، ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد ، وكانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن لمن عرفوه باللين والتودد والتقدم بالسن ،

والسبق فى الاسلام ، والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا ترى أنه لما أراد فى مرضه الذى مات فيه تقليد الأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه زعق الناس ، وقالوا لقد وليت علينا فظاغليظا ، فما كانوا يرضون بأمير المؤمنين عمر لشدته وصلابته ، وغلظ له فى الدين وفظاظة على الأعداء ، حتى سكنهم أبو بكر[1] رضى الله عنه ، وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماما والأفضل قائم ، فيرجع إليه فى الأحكام ، ويحكم بحكمه فى القضايا

ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه ، وعرفوا أنه لا يتبرأ عن الشيخين رفضوه ، حتى أتى قدره عليه ؛ فسميت رافضة ، وجرت بينه وبين أخيه محمد الباقر مناظرة ، لا من هذا الوجه بل من حيث

---

(١) لما حضرت أبابكر الوفاة ، بعث إلى عمر يستخلفه فقال الناس استخلف علينا فظا غليظا لوقد ملكنا كان أفظ واغلظ فماذا تقولى لربك إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر فقال أبو بكر اتخوفونى بربي أقول يارب أمرت عليهم خير أهلك ، ثم أمر من يحمله إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس احذروا الدنيا ولا تثقوا بها فانها غدارة وآثروا الآخرة على الدنيا وأحبوها فبحب كل واحدة منها تبغض الأخرى وان هذا الأمر الذى هو أملك بنا لا يصلح آخره إلا بما صلح أوله ولا يتحمله الا أفضلكم مقدرة وأملكم لنفسه أشدكم فى حال الشدة وأسلسكم فى حال اللين وأعملكم برأى ذوى الرأى لا يتشاغل بما لا يعنيه ولا يحزن لما ينزل به ولا يستحي من التعلم ولا يتحير عند البديهة قوى على الأمور لا يخور لشيء منها حده بعد وان ولا تقصير ، يرصد لما هو آت عتاده من الحذر والظلم وهو عمر ابن الخطاب ثم نزل فدخل فحمل الساخط امارته الراضى بها هي الدخول معهم توصلا (سيرة عمر لابن الجوزى ص ٤٩ و ٥١)

كان يتلمذ لواصل بن عطاء ، ويقتبس العلم ، ممن يجوز الخطأ على جده في قتال الناكثين والقاسطين ، ومن يتكلم في القدر على غير ما ذهب إليه أهل البيت ، ومن حيث أنه كان يشترط الخروج شرطا في كون الامام إماما ، حتى قال له يوما على قضية مذهبك والدك ليس بإمام ، فانه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج

ولما قتل زيد بن علي وصلب ، قام بالامامة بعده يحيي(٢) بن زيد ومضى إلى خراسان واجتمعت عليه جماعة كثيرة ، وقد وصل إليه الخبر من الصادق جعفر بن محمد رضي الله عنه بأنه يقتل كما قتل أبوه فجري عليه الأمر كما أخبر ، وقد فوض الأمر بعده إلى محمد وابراهيم الامامين ، وخرجا بالمدينة ومضى ابراهيم إلى البصرة ، واجتمع الناس عليهما فقتلا أيضا ، وأخبرهم الصادق بجميع ما تم عليهم ، وعرفهم أن آباءه عليهم السلام أخبروه بذلك كله ، وأن بني أمية يتطاولون على

(٢) يحيى بن زيد بن علي بن الحسين ، لما قتل أبوه زيد ، سنة ١٢١ لم يزل مختفيا في خراسان حتى مات هشام فظهر أيام الوليد بن يزيد منكرا للظلم فسار اليه نصر بن سيار ، فعثر به ، فحبسه ، فكتب الوليد باطلاقه وإرساله اليه صحبة أصحابه فأطلقهم وأطلق لهم وجهزهم إلى دمشق فلما كانوا ببعض الطريق توسم نصر منه غدرا ، فبعث اليه جيشا عشرة آلاف فكسرهم يحيى وانما معه سبعون رجلا ، وقتل أميرهم واستلب منهم أموالا كثيرة ، ثم جاءه جيش آخر فقتل يحيى في المعركة أصابه سهم في صدغه بقرية يقال لها أرغونه سنة ١٢٦ ودفن بها وقبره مشهور (ابن كثير عاشر ص ٥ شذرات أول ص ١٦٧)

الناس حتى لو طاولتهم الجبال لطالوا عليها ، وهم يستشعرون بغض أهل البيت ، ولا يجوز أن يخرج واحد من أهل البيت ، حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم ، وكان يشير إلى أبى العباس[١] ، وأبى جعفر ابنى محمد بن على عبد الله بن العباس إنا لا نخوض فى الأمر حتى يتلاعب بها ، هذا وأولاده أشارة إلى المنصور ، فزيد بن على قتل بكناسة[٢] الكوفة قتله هشام بن عبد الملك ؛ ويحيى بن زيد ، قتل بجوزجان خراسان ، قتله أميرها ، ومحمد الامام قتله بالمدينة عيسى بن ماهان[٣] ،

---

(١) ابو العباس السفاح عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس أول خلفاء بني العباس نشأ بالحميمة وبويع بالكوفة ، قيل لقد أفضت الخلافة إلى بنى العباس وما فى الأرض أحد أكثر قارئا للقرآن ، ولا أفضل عابدا ولا ناسكا منهم ؛ بويع بالخلافة سنة اثنين وثلاثين ومائة وقتل فى مبايعته من بنى أمية وجندهم ما لا يحصى من الخلائق وتوطدت له الممالك إلى أقصى المغرب ، وكان السفاح أسخى الناس ما وعد عدة فأخرها عن وقتها ولا قام من مجلسه حتى يقضيها وله أخبار وأسمار حسان توفى سنة ١٣٦ (تاريخ الخلفاء ص ١٧٠ شذرات أول ص ١٩٥)

(٢) الكناسة ، والكنس كسح ما على وجه الأرض من القمام والكناسة ملقى ذلك وهى محلة بالكوفة عندها أوقع يوسف بن عمر الثقفي بزيد بن على بن الحسن وفيها يقول الشاعر :

يأيها الراكب الغادى لطيته	يؤم بالقوم أهل البلدة الحرم
ابلغ قبائل عمرو ان أتيتهم	أو كنت من دارهم يوما على أمم
انا وجدنا فقروا فى بلادكم	أهل الكناسة أهل اللوم والعدم
أرض تغير أحساب الرجال بها	كما رسمت بياض الريط بالحمم

(معجم سابع ص ٢٨٢)

(٣) الذى أرسله المنصور إلى محمد بن عبد الله ، هو ابن أخيه عيسى بن

وابراهيم الامام قتـل بالبصرة أمر بقتلهما المنصور ، ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك ، حتى ظهر بخراسان ناصر الأطروش[1] فطلب مكانه ليقتل ، فاختفى واعتزل إلى بلاد الديلم والجبـــل ، ولم يتحلوا بدين الاسلام بعد ، فدعا الناس دعوة الى الاسلام على مذهب زيد بن على ، فدانوا بذلك ، ونشئوا عليه ، وبقيت الزيدية فى تلك البلاد ظاهرين ، وكان يخرج واحد بعـــد واحد من الأئمة ، ويلى أمرهم وخالفوا بنى أعمامهم من الموسوية فى مسائل الأصول ، ومالت أكثر الزيدية بعـد ذلك عن القول بامامة المفضول ، وطعنت فى الصحابة طعن الامامية .

موسى ، فسار إلي المدينة لقتال محمد ، فارسل اليه يخبره أن المنصور قد أمنه وأهله ، فاعاد الجواب ، ياهذا وأنى والله ما أنا منصرف عن هذا الأمر حتى ألقى الله عليه ، فقال عيسى ليس بيننا وبينه الا القتال وقد قاتل محمد يومئذ قتالا عظيما فقتل بيده سبعين رجلا ثم اشتد القتال فهزمت أصحاب عيسى ثم نشب القتال ، فطعنه حميد بن قحطبه فى صدره ، فصرعه ثم نزل اليه فأخذ رأسه واتى به عيسى وهو لايعرف من كثرة الدماء ، ولما قتل محمد أقام عيسي بالمدينة أياما ثم سار عنها يريد مكة معتمرا ثم استخلف على المدينـة كثير بن خضير ، (ابن الاثير خامس ص ١١٨)

(١) ناصر الاطروش ، هو الحسن بن على بن الحسن بن عمر بن على بن الحسين وكان يلقب بالناصر وقد استولى على طبرستان سنة ٣٠١ وكان قد دخل الديلم بعـد قتل محمد بن زيد وأقام بينهم نحو ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى الاسلام ويقتصر منهم على العشر فأسلم منهم خلق كثـير ثم خرج بهم واستولى على طبرستان ، وكان الاطروش زيدى المذهب شاعرا مفلقا ظريفا علامة اماما فى الفقه والدين كثير المجون حسن النادره (ابن الأثير ثامن ص ٢٨)

وهم أصناف ثلاثة جارودية وسليمانية وبترية ، والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد

الجارودية

أصحاب أبى الجارود[1] زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص علي عليّ عليه السلام بالوصف دون التسمية ، والامام بعده علي ، والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف ، ولم يطلبوا الموصوف ، وانما نصبو أبا بكر باختيارهم ، فكفروا بذلك ، وقد خالف أبو الجارود فى هذه المقالة امامة زيد بن على ، فانه لم يعتقد بهذا الاعتقاد

واختلفت الجارودية فى التوقف والسوق ، فساق بعضهم الامامة من على الى الحسن ، ثم الى الحسين ، ثم الى على بن الحسين زين العابدين ثم الى زيد بن على ، ثم منه إلى الامام محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين ، وقالوا بإمامته ، وكان أبو حنيفة رحمه الله على بيعته ، ومن جملة شيعته ، حتى رفع الأمر الى المنصور فحبس حبس الأبد حتى مات فى الحبس[2] وقيل انه انما بايع محمد بن عبدالله الامام

---

(١) أبو الجارود زياد بن المنذر الهمذانى ويقال النهدى والثقفى الأعمى الكوفى ، وهو كذاب ، ليس بثقة وكان رافضيا يضع الحديث فى مثالب أصحاب رسول الله ﷺ ، رضى الله عنهم ويروى فى فضائل أهل البيت رضى الله عنهم أشياء مالها أصول ، وهو من المعدودين من أهل الكوفة الغالين وقد ذكره البخارى فى فصل من مات من الخمسين ومائة إلي الستين (تهذيب التهذيب ثالث ص ٣٨٦)

(٢) المعروف ان المنصور اراده ، أن يتولى القضاء ويخرج القضاة من

فى أيام المنصور ولما قتل محمد بالمدينة بقى الامام أبو حنيفة على تلك البيعة يعتقد موالاة أهل البيت ، فرجع حاله الى المنصور فتم عليه ما تم .

والذين قالوا بامامة محمد الامام اختلفوا ، فمنهم من قال ، انه لم يقتل وهو بعد حى ، وسيخرج فيملأ الأرض عدلا ، ومنهم من أقر بموته ، وساق الأمامة إلى محمد[1] بن القاسم بن (عمر) بن على بن الحسين ابن على صاحب الطالقان[2] وقد أسر فى أيام المعتصم ، وحمل إليه فحبسه فى داره حتى مات

تحت يده إلى جميع الكور فابى واعتل بعلل فحلف المنصور أنه ان لم يقبله يحبسه فاصر على الاباء فحبسه وكان يرسل اليه فى الحبس انه ان لم يقبله يضربه فابى فامر أن يخرج ويضرب كل يوم عشرة أسواط فلما تتابع عليه الضرب فى تلك الايام بكى ، كثر البكاء فلم يثبت الا يسيرا حتى انتقل إلى جوار الله تعالى فاخرجت جنازته وكثر بكاء الناس عليه ودفن فى مقابر الخيزران (المناقب للكردرى ثان ص ١٩)

(١) محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين يكنى أبا جعفر وكانت العامة تلقبه الصوفى لانه كان يدمن لبس الثياب من الصوف الأبيض وكان من أهل العلم والفقه والدين والزهد ،وحسن المذهب وكان يذهب إلى القول ، بالعدل والتوحيد ويرى رأى الزيدية الجارودية خرج فى أيام المعتصم بالطالقان ، فأخذه عبد الله بن طاهر ، ووجه به إلى المعتصم بعد وقائع كانت بينه وبينه ، سنة تسعة عشر ومائتين ، فأمر به فحبس فى قبة فى بستان موسى مع المعتصم فى داره ، فهرب من حبسه ، وتوارى أيام المعتصم وأيام الواثق ، ثم أخذ فى أيام المتوكل فحبس حتى مات فى محبسه (مقاتل الطالبيين ص ٣٧٦)

(٢) الطالقان بخراسان بين مرر الروذوبلخ وهى أكبر مدينة بطخارستان

ومنهم من قال بإمامة يحيى[١] بن عمر صاحب الـكوفة نخرج ودعا الناس ، واجتمع عليه خلق كثير ، وقتل فى أيام المستعين[٢] وحمل

وهى مدينة فى مستو من الأرض ، وبينها وبين الجبل غلوة سهم ولهـا نهر كبير وبساتين (معجم سادس ص ٧)

(١) أبو الحسين يحيى بن عمـر بن يحي بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين ، كان فارسا شجاعا شديد البدن مجتمع القلب بعيدا من رهق الشباب وما يعاب به مثله ، خرج أيام المتوكل ، فرده ابن طاهر اليه ، فحبسه ، ثم خرج إلى الكوفة فدعا إلى الرضا من آل محمد ﷺ وأظهر العدل وحسن السيرة بها ، إلى أن قتل وانكفأ الحسين بن اسماعيل إلى بغداد ومعه رأس يحيى ، فضج الناس بالبكاء ، ودخل أبو هاشم داود الجعفري على محمد بن عبد الله بن طاهر فقال أيها الأمير قد جئتك مهنئا بما لو كان رسول ﷺ حيا لعزى به فمارد عليه محمد شيئا فخرج داود وهو يقول

يابنى طاهر كلوه وبيا ان لحم النبي غـير مرى

ان وترا يكون طالبه اللـــه لو تر نجاحه بالحرى

قال محمد بن الحسين بن السميدع حدثنى عمي قال ما رأيت رجلا أورع من يحيى بن عمر أتيته فقلت له يابن رسول الله لعل الذى حملك على هذا الأمر الضيقة ، وعندى ألف دينار ما أملك سواها فخذها فهى لك أو آخذ لك من اخوان لى الف دينار أخر ، فرفع رأسه ثم قال فلانه بنت فلان يعنى زوجته طالق ثلاثا ان كان خروجي الا غضبا لله تعالى ، فقلت له أمدد يدك فبايعته وخرجت معه وكان قتله سنة خمسين ومائتين (مقاتل الطالبين ص ٤١٠ ابن الاثير سابع ص ٤٣)

(٢) المستعين بالله أبو العباس أحمد بن المعتصم ولاه القواد ولم يكن له مع وصيف وبغا أمر ، وقد تنكر له الأتراك واضطربت الأحوال وكثر القتل وغلت الأسعار وعظم البلاء فخلع نفسه فى أول سنة اثنتين وخمسين ومائتين وقد ولى الخلافة سنة ثمان وأربعين (تاريخ الخلفاء ص ٢٣٨)

رأسه محمد[١] بن عبد الله بن ظاهر حتى قال فيه بعض[٢] العلوية

قتلت أعز من ركب المطايا وجئتك استلينات في الكلام

وعز على أن ألقـاك الا وفيما بيننا حد الحسـام

وهو يحي بن عمر بن يحي بن الحسين بن زيد بن على

وأما أبو الجارود فكان يسمى سُرحوب سماه بذلك أبو جعفر محمد بن على الباقر رضى الله عنه ، وسرحوب شيطان أعمى يسكن البحر قاله الباقر تفسيرا ، ومن أصحاب أبى الجارود فضيل الرسان وأبو خالد الواسطى ، وهم مختلفون فى الأحكام والسير ، فزعم بعضهم أن علم ولد الحسن والحسين عليهما السلام كعلم النبي صلى الله عليه وسلم ، فيحصل لهم العلم قبل التعلم فطرة وضرورة ، وبعضهم يزعم أن العلم مشترك فيهم وفى غيرهم وجائز أن يؤخذ عنهم وعن غيرهم من العامة

---

(١) محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعى نائب بغداد كان جوادا ممدحا قوى المشاركة جيد الشعر مات بالخوانق سنة ثلاث وخمسين ومائتين (شذرات ثان ص ١٢٨)

(٢) قال على بن محمد بن جعفر العلوى يذكر دخول القوم على محمد بن عبد الله ابن طاهر فى التهنئة

قتلت أعز من ركب المطايا وجئتك استلينك فى الكلام

وعز على أن القاك الا وفيما بيننا حد الحسام

ولكن الجناح اذا أهيضت قوادمه تدق على الاكام

وقال أيضا يرثى يحي

تضوع مسكا جانب النهران ثوى وما كان الا شلوه يتضوع

مصارع أقوام كرام أعزة أبيح ليحيي الخير فى القوم مصرع

(مقاتل الطالبيين ص ٤٢٠)

السليمانيـــة

أصحاب سليمان بن جرير[1] . وكان يقول إن الأمامة شورى فيما بين الخلق . ويصح أن ينعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين ، وأنها تصح في المفضول مع وجود الأفضـل . وأثبت إمامة أبى بكر وعمر حقا باختيار الأمة حقا اجتهاديا ، وربما كان يقول أن الأمة أخطأت فى البيعة لهما مع وجود على خطأ لا يبلغ درجة الفسق . وذلك الخطأ خطأ اجتهادى . غير أنه طعن فى عثمان للأحداث التى أحدثها ، وأكفره بذلك ، وأكفر عائشة ، والزبير ، وطلحة ، بإقدامهم على قتال علىّ ، ثم إنه طعن فى الرافضة ، فقال إن أئمة الرافضة قد وضعوا مقالتين لشيعتهم . لا يظهر أحد قط عليهم ، احداهما القول بالبـداء فاذا أظهروا قولا إنه سيكون لهم قوة وشوكة وظهور ، ثم لا يكون الامر على ما أخبروه . قالوا بل بدا لله تعالى فى ذلك ، والثانية التقية وكل ماأرادوا تكلموا به ، فإذا قيل لهم ذلك ليس بحق ، وظهر لهم البطلان ، قالوا انما قلناه تقية . وفعلناه تقية ، وتابعه على القول بجواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل قوم من المعتزلة ، منهم جعفر

---

(١) سليمان بن جرير أحد الشيعة : كان يقول أن الصحابة تركوا الاصلح بتركهم مبايعة على لأنه كان أولاهم بها وكان ذلك خطأ لا يوجب كفرا ولا فسقا وكفر عثمان بما ارتكب من الاحداث فكفره أهل السنة بتكفير عثمان وقد ظهر أيام الخليفة المنصور ، (لسان الميزان ثالث ص ٨٠ الفرق بين الفرق ص ٢٣٢)

ابن مبشر، وجعفر بن حرب، وكثير النواء[1] . وهو من أصحاب الحديث، قالوا الامامة من مصالح الدين ليس يحتاج إليها لمعرفة الله تعالى وتوحيده، فإن ذلك حاصل بالعقل، لكنها يحتاج إليها لاقامة الحدود والقضاء، بين المتحاكمين، وولاية اليتامى والأيامي وحفظ البيضة، وإعلاء الكلمة، ونصب القتال مع أعداء الدين . وحتى يكون للمسلمين جماعة، ولا يكون الأمر فوضى بين العامة، فلا يشترط فيها أن يكون الامام أفضل الأمة علماً، وأقدمهم رأيا وحكمة، إذ الحاجة تستند بقيام المفضول مع وجود الفاضل والأفضل[2]

(١) كثير بن اسماعيل ويقال ابن نافع النواء ابو اسماعيل، زائغ ضعيف الحديث، وكان غاليا فى التشيع مفرطا فيه، وقيل انه لم يمت حتى رجع عن التشيع (تهذيب التهذيب ثامن ص ٤١١)

(٢) قال الاشعرى يجب أن يكون الامام أفضل زمانه فى شروط الامامة ولا تنعقد الامامة لأحد مع وجود من هو أفضل منه فيها فان عقدها قوم المفضول كان المعقود له من الملوك دون الأئمة ولهذا قال فى الخلفاء الأربعة أفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على واختار ابو العباس القلانسى جواز عقد الامامة للمفضول إذا كانت فيه شروط الامامة مع وجود الأفضل منه . وقال النظام والجاحظ ان الامامة لا يستحقها الا الأفضل ولا يجوز صرفها إلى المفضول وقال الباقون من المعتزلة الأفضل أولى بها فان عرض للامة خوف فتنة من عقدها للافضل جاز لهم عقدها للمفضول واجتمعت الروافض على أنه لا يجوز امامة المفضول إلا سليمان بن جرير الزيدى فانه قال بأمامة عثمان ست سنين مع كون على أفضل منه عنده، ودليل قول من أجاز امامة المفضول مبنى على صحة امامة أبى بكر وعمر فاذا صحت امامة عمر فقد قال فى أهل الشورى لو كان ابو عبيدة بن الجراح حيا لوليته عليكم

وَمالت جماعة من أهل السنة إلى ذلك ، حتى يجوز أن يكون الامام غير مجتهد ولا خبير بمواقع الاجتهاد[1] ولكن يجب أن يكون من أهل الاجتهاد فيراجعه فى الأحكام ، ويستفتى منه فى الحلال والحرام ، ويجب أن يكون فى الجملة ذا رأى متين ، وبصر فى الحوادث نافذ

الصالحية

أصحاب الحسن بن صالح بن حى[2] والبترية أصحاب كثير

مع علمه بان عليا أفضل منه وفى هذا دليل على أن الصحابة كانوا يريدون جواز امامة المفضول (أصول الدين ص ٢٩٣)

(١) روى عن ابن حنبل الفاظ تقتضى اسقاط اعتبار العدالة والعلم والفضل ، فقال ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يبيت ولا يراه اماما عليه ، برا كان أو فاجرا فهو أمير المؤمنين . و كان يدعو المعتصم بأمير المؤمنين فى غير موضع وقد دعاه إلى القول بخلق القرآن وضربه عليه وكذلك قد كان يدعو المتوكل بأمير المؤمنين ولم يكن من أهل العلم ولا كان أفضل وقته وزمانه ، واجتمع اليه فقها . بغداد فى ولاية الواثق وقالوا هذا أمر قد تفاقم وفشا ـ (يعنون اظهار الخلق للقرآن)نشاورك فى انا لسنا نرضى بأمرته ولا سلطانه فقال عليكم بالنكرة بقلوبكم ولا تخلعوا يدا من طاعة ولا تشقوا عصا المسلمين (الاحكام السلطانية لابن أبى يعلى ص ٤)

(٢) الحسن بن صالح بن صالح ابن حى . وهو حيان بن شفى بن هنى بن رافع الهمدانى الثورى ، الكوفى العابد الفقيه أحد الاعلام . وكان الثورى سيىء الظن فيه . دخل الثورى يوم الجمعة فاذا الحسن يصلى فقال نعوذ بالله من خشوع النفاق وأخذ نعليه فتحول ، وقال ايضافيه ذاك رجل

النواء الأبتر وهما متفقان فى المذهب . وقولهم فى الامامة كقول السليمانية إلا أنهم توقفوا فى أمر عثمان أهو مؤمن أم كافر ، قالوا إذا سمعنا الأخبار الواردة فى حقه وكونه من العشرة المبشرين بالجنة ، قلنا يجب أن يحكم بصحة إسلامه وإيمانه ، وكونه من أهل الجنة ، وإذا رأينا الاحداث التى أحدثها من استهتاره بتربية بنى أمية وبنى مروان واستبداده بأمور لم توافق سيرة الصحابة قلنا يجب أن يحكم بكفره فتحيرنا فى أمره ، وتوقفنا فى حاله ، ووكلناه إلى أحكم الحاكمين

وأما علىّ ، فهو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاهم بالامامة ، لكنه سلم الأمر لهم راضيا ، وفوض الامر إليهم طائعا ، وترك حقه راغبا ، فنحن راضون بمارضى ، مسلمون لما سلم لا يحل لنا غير ذلك ، ولو لم يرض علىّ بذلك لكان أبو بكر هالكا،

يرى السيف على الأمة وكان زائده يجلس فى المسجد يحذر الناس من ابن حي ويستتيب منه ، وقال ابوزرعه اجتمع فيه اتقان وفقه وعبادة وزهد قال له ابن بكير صف لنا غسل الميت فما قدر عليه من البكاء ، وكان هو وأخوه على وأمهما من العباد قدقسموا الليل ثلاثة اجزاء . فكان كل واحد يقوم ثلثا ، فماتت أمهما فاقتسموا الليل بينهما ثم مات على فقام الحسن الليل كله وقال الدارانى ما رأيت أحدا الخوف أظهر على وجهه من الحسن قام ليلة بعم يتساءلون فغشى عليه فلم يختمها وكان ممن تجرد للعبادة ورفض الرياسة وكان من كبار الشيعة الزيدية فقيها متكلما وله كتاب التوحيد ، وكتاب الجامع فى الفقه . وغيرهما وانما حمل عليه من حمل لمحله من التشيع توفى سنة ١٦٨ وقيل سنة ١٦٩ (تهذيب التهذيب ثان ص ٢٨٥ فهرست ابن النديم ص ٢٥٣)

وهم الذين جوزوا إمامة المفضول وتأخير الفاضل والافضـل إذا كان الافضـل راضيا بذلك . وقالوا من شهر سيفه من أولاد الحسن والحسـين ، وكان عالمـا زاهدا شجاعا . فهو الامام وشرط بعضهم صباحة الوجه ، ولهم خبط عظيم فى امامين[١] وجد فيهما هـذه الشرائط وشهرا سيفهما ينظر الى الافضل والازهد وان تساويا ينظر الى الامتن رأيا ، والاحزم أمرا ، وان تساويا تقابلا فينقلب الامر عليهم كلا ويعود جذعا[٢]، والامام مأموما والامير مأمورا ، ولو كانا

(١) اختلف الموجبون للامامة فى عدد الأئمـة فى كل وقت ، فقال أصحابنا لا يجوز أن يكون فى الوقت الواحد امامان واجبي الطاعة وانمـا تنعقد امامة واحد فى الوقت ويكون الباقون تحت رايته وان خرجوا عليه من غير سبب يوجب عزله فهم بغاة ألا ان يكون بين البلدين بحر مانع من وصول نصرة أهل واحد منهما إلى الآخرين ، فيجوز حينئذ لأهل كل واحد منهما عقد الامامة لواحد من أهل ناحيته ، وقالت الرافضة لا يجوز أن يكون فى الوقت الواحد امامان ناطقان ويصح أن يكون فى الوقت امامان أحدهما ناطق والآخر صامت وزعموا أن الحسين بن على كان صامتا فى وقت الحسن ثم نطق بعد موته وزعم قوم من الكرامية انه يجوز أن يكون فى وقت واحد امامان وأكثر ، وقالت جماعة منهم أن عليا ومعاوية كانا امامين فى وقت واحد الا أن عليا كان اماما على وفق السنة وكان معاوية اماما على خلاف السنة وكان واجبا على أتباع كل واحـد منهما طاعة صاحبها . فيا عجبا من طاعة واجبة فى خلاف السنة ولو جاز امامان وأكثر لجاز أن ينفرد كل ذى صلاح بالامامة فيكون كل واحد منهم بولاية محلته وعشيرته وهذا يؤدى الى سقوط فرض الامامة من أصلها (أصول الدين ص ٢٧٤)

(٢) عاد الطلب جذعا إذا أخذ فيه حديثا لا قديما

فى قطرين انفرد كل واحد منهما بقطره ، ويكون واجب الطاعة فى قومه ، ولو أفتي أحدهما بخلاف ما يفتى الآخر كان كل منهما مصيبا ، وإن أفتى باستحلال دم الإمام الآخر ، وَأكثرهم فى زماننا مقلدون لا يرجعون إلى رأى واجتهـاد ، أما فى الأصول فيرجعون إلى رأى المعتزلة حذو القذة بالقـــذة . ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت ، وأما فى الفروع فهم على مذهب أبي حنيفة إلا فى مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعى والشيعة

رجال الزيدية ، أبو الجارود ، زياد بن[1] المنذر العبدى ، جعفر[2] ابن محمد ، والحسن بن صالح . ومقاتل بن سليمان . والداعى ناصر الحق ، الحسن[3] بن على بن الحسن بن زيد بن عمر بن (على بن) الحسـين

---

(١) زياد بن المنذر الهمذانى الخراسانى العبدى الأعمى الكوفى ، الملقب سرحوب لقبه به الباقر ، ويكنى أبا الجارود زيدى المذهب رافضيا واليه تنسب الزيدية الجارودية وله كتاب التفسير وقد كذبه ابن معين مات بعد الخمسين ومائة (فهرست الطوسى ص ٧٢ التقريب ص ٧٤)

(٢) جعفر بن محمد بن قولويه القمى يكنى أبا القاسم له تصانيف كثـيرة على عدد أبوب الفقه وكتاب جامع الزيادات وماروى فى ذلك من الفضل عن الأئمة توفى سنة ٣٦٨ (فهرست الطوسى ص ٤٢)

الداعى إلى الله الامام الناصر للحق الحسن بن على بن زيد بن عمر بن على ابن الحسين على مذهب الزيدية وله من الكتب كتاب الطهارة ، كتاب الاذان والاقامة وغيرها من أبواب الفقه وزعم بعض الزيدية أن له نحوا من مائة كتاب (فهرست ابن النديم ص ٢٧٣)

ابن على ؛ والداعى الآخر صاحب طبرستان الحسن[١] بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي ومحمد بن (منصور[٢])

الاماميـــة

هم القائلون بامامة على عليه السلام بعـد النبي صلى الله عليه وسلم نصا ظاهرا ، وتعيينا صادقا ، من غير تعريض بالوصف ، بل إشارة إليه بالعين ، قالوا وما كان فى الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الامام حتى يكون مفارقته الدنيا عَلَى فراغ قلب من أمر الأمة ، فانه إذا بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق فلا يجوز أن يفارق الأمة ، ويتركهم هملا يرى كل واحد منهم رأيا ، ويسلك كل واحد طريقا . لا يوافقه فى ذلك غيره بل يجب أن يعين شخصا هو المرجوع إليه ، وينص على واحد هو الموثوق به والمعول عليه . وقد عين عليا عليه السلام فى مواضع تعريضا ، وفى مواضع تصريحا

(١) الداعى إلي الحق الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن ، صاحب طبرستان ظهر بها سنة ٢٥٠ ومات بطبرستان مملكا عليها سنة سنة سبعين ومائتين وقام مكانه الداعى إلى الحق أخوه محمد من زيد وملك الديلم وللحسن من الكتب كتاب الجامع فى الفقه وكتاب البيان وكتاب الحجة فى الامامة (فهرست ابن النديم ص ٢٧٤)

(٢) ابو جعفر محمد بن منصور المرادى الزيدى وله من الكتب كتاب التفسير الكبير وكتاب سيرة الأئمة العادلة ، وله كتب على تلاوة كتب الفقه ورسالة على لسان بعض الطالبيين إلي الحسن بن زيد بطبرستان (فهرست ابن النديم ص ٢٧٤)

أما تعريضاته فمثل أن بعث أبا بكر ليقرأ سورة البراءة على الناس فى المشهد . وبعث بعد عليا ليكون هو القارىء عليهم ، والمبلغ عنه إليهم ، وقال نزل على جبريل ، فقال يبلغه رجل منك أو قال من قومك ، وهو يدل على تقديمه عليا عليه السلام

ومثل ما كان يؤمر على أبى بكر وعمر غيرهما من الصحابة فى البعوث ، وقد أمر عليهما عمرو بن العاص فى بعث . وأسامة بن زيد فى بعث ، وما أمر على علىّ أحدا قط

وأما تصريحاته فمثل ما جرى فى نأنأة[١] الإسلام حين قال من الذى يبايعنى على ماله ، فبايعته جماعة ، ثم قال من الذى يبايعنى علي روحه وهو وصيي وولى هذا الأمر من بعدى ، فلم يبايعه أحد ، حتى مد أمير المؤمنين على عليه السلام يده إليه فبايعه على روحه ووفى بذلك حتى كانت قريش تعير أباطالب انه أمر عليك ابنك ، ومثل ماجرى فى كمال الإسلام وانتظام الحال حين نزل قوله تعالى (ياايها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) فلما وصل إلى غدير[٢] خم أمر بالدوحات فقممن ونادوا الصلاة جامعة ، ثم قال عليه

---

(١) النأنأة العجز والضعف وروى عكرمة عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه انه قال طوبى لمن مات فى النأنأة مهموزة بمعنى أول الاسلام قبل أن يقوى ويكثر أهله وناصروه ، والداخلون فيه فهو عند الناس ضعيف

(٢) خم واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير عنده خطب رسول الله ﷺ وهذا الوادى موصوف بكثرة الوخامة (معجم ثالث ص ٤٦٦)

السلام وهو على الرجال من كنت مولاه فعلىّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار ، ألاهل بلغت ثلاثا ، فادعت الإمامية أن هذا نص صريح ، فانا ننظر من كان النبي صلى الله عليه وسلم مولى له وبأى معنى فنطرد ذلك فى حق على ، وقد فهمت الصحابة من التولية ما فهمناه ، حتى قال عمر حين استقبل عليا طوبى لك يا على أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة ، قالوا وقول النبي عليه السلام (أقضاكم علىّ) نص فى الامامة فان الامامة لا معنى لها إلا أن يكون أقضى القضاة فى كل حادثة الحاكم على المتخاصمين فى كل واقعة ، وهو معنى قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) فأولى الأمر من إليه القضاء والحكم ، حتى وفى مسئلة الخلافة لما تخاصمت المهاجرون والأنصار كان القاضى فى ذلك هو أمير المؤمنين على دون غيره ، فان النبي صلى الله عليه وسلم كما حكم لكل واحد من الصحابة بأخص وصف له فقال (أفرضكم زيد وأقرؤكم أبى ، وأعرفكم بالحلال والحرام معاذ) كذلك حكم لعلى بأخص وصف وهو قوله أقضاكم على ، والقضا يستدعى كل علم ، وليس كل علم يستدعى القضاء

ثم إن الامامية تخطت عن هذه الدرجة إلى الوقيعة فى كبار الصحابة طعنا وتكفيرا ، وأقله ظلما وعدوانا ، وقد شهدت نصوص

القرآن على عدالتهم . والرضا عن جماعتهم قال الله تعالى (لقد[١] رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) وكانوا إذ ذاك ألفا وأربعمائة . وقال تعالى ثناء على المهاجرين وَالأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، (والسابقون[٢] الأولون من المهاجرين وَالأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) وقال (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين وَالأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة[٣] وقال

---

(١) يعني بيعة الحديبية وتسمى بيعة الرضوان لهذه الآية ، ورضاء الله سبحانه عنهم هو ارادته تعظيمهم ومثوبتهم ، وهذا اخبار منه سبحانه انه رضى عن المؤمنين إذ بايعوا النبى ﷺ فى الحديبية تحت الشجرة المعروفة وهى شجرة السمرة ، وقد بايعوه على أن لا يفروا ، وعلى الموت وكان أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان ابوسنان الاسدى وبايع رسول الله ﷺ لعثمان فضرب باحدى يديه على الأخري ، قال جابر كنا يوم الحديبية الفاوأربعمائة فقال لنا رسول الله ﷺ أنتم خير أهل الأرض وقال لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة

(٢) أى السابقون إلي الايمان وإلى الطاعات وانما مدحهم بالسبق لأن السابق يتبعه غيره فيكون متبوعا وغيره تابع له ، فهو أمام فيه وداع له إلى الخير ، يسبقه اليه وكذا من سبق إلي الشر يكون أسوأ حالا لهذه العلة ، من المهاجرين ، الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وإلى الحبشة ومن الأنصار الذين سبقوا نظراءهم من أهل المدينة ، أو الأنصار الذين نصروا الرسول وآزروه ، والذين اتبعوهم باحسان من فعل الخير والدخول فى الاسلام وسلوك مسلكهم ، والاحتذاء بهم ، والاقتداء بهديهم ممن يجيء بعدهم إلى يوم القيامة رضي الله عنهم ورضوا عنه . رضى عنهم أفعالهم وآثارهم ورضوا عنه لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم وايمانهم به ويقينهم وسبقهم .

(٣) لقد تاب الله . . . نزلت فى غزوة تبوك ، اذ خرجوا اليها فى شدة

(وَعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض (١))

من الأمر ، فى سنة مجدبة ، وحر شديد وعسر شديد ، حتى لقد كان النفر يتداولون الثمرة بينهم يمصها هذا ، ثم يشرب عليها ثم يمصها هذا ، ويشرب عليها ، وكان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب رجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه ، قال عمر خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا منزلا فأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع وحتى ان كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستنقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده ، فقال ابو بكر يارسول الله ان الله عز وجل قد عودك فى الدعاء خيرا فادع لنا ، فقال تحب ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سالت السماء ، فاهطلت ثم سكنت فملئوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر ، فأقسم الله تعالى فى هذه الآية ، لأن لام لقد ، لام القسم ، بانه سبحانه أكرمهم وقبل توبتهم وطاعتهم ، وذكر النبي ، مفتاح للكلام ، وتحسين له ، ولأنه سبب توبتهم ، فلهم عند ربهم ، الدرجة الرفيعة ، ورضى الله عنهم ورضوا عنه

(١) وعد الله الذين آمنوا . . هذا وعد من الله تعالى لرسوله ، ﷺ بان سيجعل أمته خلفاء الأرض أى أئمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد ولهم تخضع العباد وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، وحكما فيهم ، وقد فعل الله تبارك وتعالى ذلك ففتحت الفتوح وساد المسلمون ، وامتد سلطانهم إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ، لما عرفوا به من ايمان ويقين ، وماعملوه من صالح الأعمال ، فقد أطاعوا الله فاطاع لهم العالم ، ومكن لهم دينهم ، وأيد سلطانهم وكتب أمنهم ، وظهرت كلمة الله فى المشارق والمغارب ، وأيدهم تأييدا عظيما ، ولما قصر الناس بعدهم فى بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم ، ولكن ثبت عن النبى ﷺ انه قال : لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك :

وفى ذلك دليل على عظم قدرهم عندالله وكرامتهم ودرجتهم عند الرسول فليت شعرى كيف يستجيز ذو دين الطعن فيهم ، ونسبة الكفر[١] إليهم . وقد قال النبي عليه السلام (عشرة فى الجنة أبو بكر ، وعمر ، وعثمان، وعلى، وطلحة ، والزبير، وسعد ، وسعيد بن زيد ، وعبدالرحمن ابن عوف ، وأبو عبيدة الجراح) إلى غير ذلك من الأخبار الواردة فى حق كل واحد منهم على الانفراد ، وإن نقلت هناة من بعضهم فليتدبر النقل ، فان أكاذيب الروافض كثيرة

ثم إن الامامية لم يثبتوا فى تعيين الأئمة بعد الحسن ، والحسين ، وعلى بن الحسين ، على رأى واحد . بل اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها ، حتى قال بعضهم إن نيفا وسبعين فرقة من الفرق المذكورة فى الخبر هو فى الشيعة خاصة ، ومن عداهم فهم خارجون عن الأمة ، وهم متفقون فى سوق الإمامة إلى[٢] جعفر بن محمد الصادق مختلفون

---

(١) أجمع أهل السنة على ايمان المهاجرين والأنصار من الصحابة ، وهذا خلاف قول من زعم من الرافضة أن الصحابة كفرت بتركها بيعة على وخلاف قول الكاملية فى تكفير على بتركه قتالهم ، والمهاجرون والأنصار بحمد الله ومنه درجوا على الدين القويم والصراط المستقيم . ومن شهد بدرا وأحدا غير قزمان ، وأهل بيعة الرضوان من أهل الجنة ، ومن أكفر واحدا من العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، فهو كافر ومن أكفر المسلمين وأكفر أخيار الصحابة فهو الكافر دونهم (الفرق بين الفرق ص ٣٥٢)

(٢) الامام سلالة النبوة أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن

فى المنصوص عليه بعدة من أولاده ، إذ كانت له خمسة أولاد[1] وقيل ستة محمد وإسحاق وعبد الله وموسى وإسماعيل وعلى ومن ادعى منهم النص والتعيين (قال فى تعيين) محمد ، وعبد الله ، وموسى ، وإسماعيل ، ثم منهم من مات وأعقب ومنهم من لم يعقب ، ومنهم من قال بالتوقف والانتظار ، والرجعة ، ومنهم من قال بالسوق والتعدية كما سيأتى اختلافاتهم عند ذكر طائفة طائفة ، وكانوا فى الأول علي مذهب أئمتهم فى الأصول ، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم وتمادى الزمان اختار كل فرقه طريقة ، وصارت الامامية بعضها معتزلة ، إما وعيدية ، وإما تفضيلية ، وبعضها إخبارية إما مشبهة وإما سلفية ، ومن ضل عن الطريق وتاه لم يبال الله به فى أى واد هلك

الباقرية والجعفرية

الواقفة أصحاب أبى جعفر محمد بن على الباقر ، وابنه جعفر الصادق ، قالوا بامامتهما وإمامة والدهما زين العابدين ، إلا أن منهم من توقف على واحد منهما ، وما ساق الامامة إلى أولادهما ، ومنهم من ساق ، وإنما ميزنا هذه فرقة دون الأصناف المتشيعة التى نذكرها لأن من

زين العابدين بن على بن الحسين ، علوى الاب بكرى الام وكان سيد بنى هاشم وهو عند الاماميه من الأثنى عشر توفى سنة ثمان وأربعين ومائة ودفن بالبقيع (شذرات ص ٢٢٠)

(١) ذكر فى أعيان الشيعة رابع ، انه كان له أحد عشر ولداسبعة ذكور وأربع بنات وسابع الذكور العباس (ص ٥٤٤)

الشيعة من توقف على الباقر ، وقال برجعته ، كما توقف القائلون بإمامة أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، وهو ذو علم غزير ، فى الدين وأدب كامل فى الحكمة ، وزهد فى الدنيا ، وورع تام عن الشهوات ، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه ، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم ، ثم دخل العراق ، وأقام بها مدة ، ما تعرض للامامة قط ، ولا نازع أحدا فى الخلافة ، ومن غرق فى بحر المعرفة لم يطمع فى شط ، ومن تعلى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط ، وقيل من آنس بالله توحش عن الناس ، ومن استأنس بغير الله نهبه الوسواس ، وهو من جانب الأب ينتسب إلى شجرة النبوة ، ومن جانب الأم ينتسب إلى أبى بكر[1] رضى الله عنه ، وقد تبرأ عما كان ينسب بعض الغلاة إليه ، وتبرأ عنه ، ولعنهم ، وبرىء من خصائص مذاهب الرافضة وحماقاتهم ، من القول بالغيبة ، والرجعة ، والبداء والتناسخ والحلول ، والتشبيه ، لكن الشيعة بعده افترقوا وانتحل كل واحد منهم مذهبا ، وأراد أن يروجه على أصحابه ، ونسبه إليه ، وربطه به ، والسيد برىء من ذلك ، ومن الاعتزال ، والقدر أيضا ، هذا قوله فى

---

(١) فأمه أم فروه وقيل أم القاسم وأسمها قريبة أو فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر وأمها اسماء بنت عبد الرحمن ابن أبى بكر وهذا معني قول الصادق ان أبا بكر ولدنى مرتين وفى ذلك يقول الشريف الرضى

وحزنا عتيقا وهو غاية فخركم ... بمولد بنت القاسم بن محمد

(أعيان الشيعة رابع ص ٥٤٢)

الارادة إن الله تعالى أراد بنا شيئا ، وَأراد منا شيئا ، فما أراد بنا طواه عنا ، وما أراد منا أظهره لنا ، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا ، عما أراده منا ، وهذا قوله فى القدر هو أمر بين أمرين ، لا جبر ولا تفويض ، وكان يقول فى الدعاء (اللهم لك الحمد إن أطعتك ، ولك الحجة إن عصيتك ، لاصنع لى ولا لغيري فى إحسان ، ولا حجة لى ، ولا لغيرى فى إساءة)

فنذكر الأصناف الذين اختلفوا فيه وبعده ، لا على أنهم من تفاصيل أشياعه بل على أنهم منتسبون إلى أصل شجرته وفروع أولاده

الناوسية[1]

أتباع رجل يقال له ناوس ، وقيل نسبوا إلى قرية ناوسا ، قالت إن الصادق حى بعد ، ولن يموت حتى يظهر أمره ، وهو القائم المهدى ، ورووا عنه أنه قال لو رأيتم رأسى يدهده[2] عليكم من الجبل فلا تصدقوا ، فان صاحبكم صاحب السيف

وحكى أبو حامد الزوزنى أن الناوسية زعمت أن عليا مات ، وستنشق الأرض عنه (قبل) يوم القيامة فيملأ العالم عدلا

(١) الناوسية نسبة إلي عجلان بن ناوس ، وهو رئيس لهم من أهل البصرة وتسمى هذه الفرقة بالصارمية (فرق الشيعة ص ٦٧)

(٢) دهدهت الحجارة فتدهدهت ، أى دحرجتها فتدحرجت

الافطحية

قالوا بانتقال الإمامة من الصادق إلى ابنه عبد الله الأفطح . وهو أخو إسماعيل من أبيه وأمه ، وأمهما فاطمة[1] بنت الحسين بن على ، وكان أسن أولاد الصادق ، زعموا أنه قال الإمامة فى أكبر أولاد الامام ، وقال الامام من يجلس مجلسى ، وهو الذى جلس مجلسه ، والامام لا يغسله ولا يصلى عليه ولا يأخذ خاتمه ولا يواريه إلا الامام وهو الذى تولى ذلك كله . ودفع الصادق وديعة إلى بعض أصحابه ، وأمره أن يدفعها إلى من يطلبها منه ، وأن يتخذه إماما وما طلبها منه أحد إلا عبد الله . ومع ذلك ما عاش بعد أبيه إلا سبعين يوما ومات ولم يعقب ولدا ذكرا

الشميطية

أتباع يحيي بن شميط[2] قالوا إن جعفرا قال إن صاحبكم اسمه اسم نبيكم ، وقد قال له والده إن ولدلك ولد فسمه باسمى فهو إمام ، فالامام بعده ابنه محمد

---

(١) قال فى المفيد أمهما فاطمة بنت الحسين بن على بن الحسين بن علي وقال الحافظ الجنابذى أمهما فاطمة بنت الحسين الاثرم بن حسن بن على (أعيان الشيعة رابع ص ٥٤٥)

(٢) يحيى بن أبي شميط . وفى بعض الكتب يحيى بن أبي سميط وفى بعضها يحيى بن شميط وفي بعضها يحيى بن شميط الاحمسي وكان قائدا من قواد المختار (فرق الشيعة ص ٧٧)

الموسمية والمفضلية (١)

فرقة واحـدة قالت بامامة موسى بن جعفر نصا عليه بالاسم ، حيث قال الصادق : سابعكم قائـكم ، وقيل صاحبكم قائـكم ، ألا وهو سمى صاحب التوراة ، ولما رأت الشيعة أن أولاد الصادق على تفرق فمن ميت فى حال حياة أبيه لم يعقب ، ومن مختلف فى موته ، ومن قائم بعد موته مدة يسيرة ، ميت غير معقب ، وكان موسى الذى تولى الأمر ، وقام به بعد موت أبيه ، رجعوا إليه ، واجتمعوا عليه ، مثل المفضل[٢] ابن عمر ، وزرارة[٣] بن أعين ، وعمار[٤] بن موسى الساباطي ، وروت

(١) المفضلية اتباع المفضل بن عمر (مقريزى رابع ص ١٧٥)

(٢) المفضل بن عمر أبو عبد الله أو ابو محمـد الجعفى الـكوفى من أصحاب الصادق والـكاظم ، ومن متكلمى المعتزلة روى كتاب التوحيد عن أمامة جعفر فعرف بتوحيد المفضل وهو مطبوع ومن أجود الكتب فى الرد على الدهرية واثبات الصانع ، وكان محمودا عند الأئمة ماضيا على منهاجهم ومن شيوخ أصحابهم وخاصتهم وثقات فقهائهم وله وصية يرويها (فهرست الطوسى ص ١٦٩ أعيان الشيعة أول ص ٢٢٥)

(٣) زرارة بن أعين ، وأسمه عبد ربه ، يكنى أبا الحسن ، وزرارة لقب له وكان أعين بن سنسن عبدا روميا لرجل من بنى شيبان تعلم القرآن فأعتقه وزراره أخو حمران يترفض ، وكانوا ثلاثة أخـوة شيعة وكان حمران أشدهم وكان من المحدثين ، يدعى امامة الافطح ، وقيـل انه رجع عن التشيع ، إذ سأله قوم عن الافطح ، وكان المصحف بين يديه فاشار لهم اليه وقال لهم هذا امامى لا امام لي غيره ، وله تصنيفات منها كتاب الاستطاعة والجبر ، ويعـد من فقهاء الشيعة ومحدثيهم ومتكلميهم توفى سنة ١٥٠ (فهرست الطوسى ض ٧٤ لسان الميزان ثان ص ٤٧٣)

(٤) عمار بن موسى الساباطى كان فطحيا ، له كتاب كبير جيد معتمد

الموسوية عن الصادق عليه السلام أنه قال لبعض أصحابه عد الايام ، فعدها من الأحد حتى بلغ السبت ، فقال له كم عددت فقال سبعة ، فقال جعفر سبت السبوت ، وشمس الدهور ، ونور الشهور ، من لا يلهو ولا يلعب ، وهو سابعكم قائمكم هذا ، وأشار إلى موسى

وقال فيه أيضا إنه شبيه بعيسى ، ثم إن موسى لما خرج وأظهر الامامة حمله هارون الرشيد من المدينة ، فحبسه عند عيسى بن جعفر [١] ، ثم أشخصه إلى بغداد فحبسه عند السندى [٢] بن شاهك ، وقيل إن يحيى [٣] بن خالد بن برمك سمه في رطب فقتله وهو في

وقد روى عن الامام أبى الحسن موسى ، انه قال استوهبت عمارا من ربى فوهبه لي وكان من فقهاء الامامين أبى جعفر وأبى عبد الله ، ومن الاعلام الرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام والفتيا والاحكام (فهرست الطوسى ص ١١٧)

(١) عيسى بن جعفر بن المنصور ، من أمراء العباسيين وهو أخو زبيده زوج الرشيد ، وقد مات سنة ١٩٢ بطرارستان وقيل بالدسكره وهو يريد اللحاق بالرشيد (طبرى عاشر ص ٥٣ و ١٠٩)

(٢) السندى بن شاهك كان يلي الجسرين ببغداد أيام الرشيد ، وقد وكله بدور البرامكة وأسبابهم سرا ، قال فوكلت بدورهم سرا على خوف منى ووجل أن يبدو للرشيد فى الرأى وان يتصل خبر توكيلى بهم فيكون سبب هلاكى فظللت يومى مهموما فلما كان فى السحر إذا على بغل خرج فيه جثة جعفر مقطوعة نصفين وكتاب الرشيد إلى بصلب كل نصف على أحد الجسرين ففعلت ذلك (الجهشياري ص ٢٣٦)

(٣) أبو الفضل يحيى بن خالد بن برمك وزير هرون الرشيد ، وكان جده برمك من مجوس بلخ وكان يخدم النوبهار وهو معبد كان المجوس

الحبس[1] ، ثم أخرج ودفن فى مقابر قريش ببغداد

واختلف الشيعة بعده فنهم من توقف فى موته وقال لا ندرى أمات أم لم يمت ، ويقـال لهم (الممطورة[2]) ، وسمـاهم بذلك على

بمدينة بلخ توقد فيه النيران ، واشتهر برمك وبنوه بسدانته وقد سار ابنه خالد وولي الوزارة لأبى العباس . وكان يحيي من النبل . والعقل وجمع الخلال على أكمل حال وكان المهدى قد ضم اليه ولده هرون ، الرشيـد ، وجعله فى حجره ، فلما استخلف هرون عرف له حقه ، فقلده الأمر ودفع له خاتمه . وكان يعظمه واذا ذكره قال أبى وجعل اصـدار الأمور وايرادها إليه ، إلى ان نكب البرامكة وحبسه وقتل ابنه جعفرا ، وكان يحيى من العقلاء الكرماء البلغاء . لم يكن كيحيى وكولده أحد فى الكفاية والبلاغة والجود والشجاعة مات فى محبسه ، سنة ١٩٠ ووجد فى جيبه رقعة فيها مكتوب بخطه قد تقدم الخصم ، والمدعى عليه فى الأثر والقاضى هو الحـكم العدل الذي لا يجور ولا يحتاج الى بينة فحملت الرقعة إلى الرشيد فلم يزل يبكى يومه كله وبقى أياما يتبين الأسى فى وجهه (ابن خلـكان ثان ص ٣٢١)

(١) ولما طال سجنه كتب موسى إلى الرشيد رسالة يقول فيها : اما بعد يا أمير المؤمنين انه لم ينقض عنى يوم من البلاء الا انقضى عنـك يوم من الرخاء حتى يفضى بنا ذلك إلى يوم يخسر فيه المبطلون (ابن كثير عاشر ص ١٨٣)

(٢) غلب عليها هذا الاسم وشاع لها وكان سبب ذلك أن على بن اسماعيل الميثمى ويونس بن عبد الرحمن ناظرا بعضهم فقال له على بن اسماعيل وقد اشتد الـكلام بينهم ما أنتم الا كلاب ممطورة أراد أنكم أنتن من جيف لأن الـكلاب إذا أصابها المطر فهى انتن من الجيف فلزمهم هـذا اللقب فهم يعرفون به اليوم لأنه إذا قيل للرجل انه ممطور فقد عرف أنه من الواقفة على موسى بن جعفر (فرق الشيعة ص ٨١)

ابن إسماعيل [١] ، فقال ما أنتم إلا كلاب ممطورة ، ومنهم من قطع بموته ويقال لهم (القطعية [٢]) ، ومنهم من توقف عليه ، وقال إنه لم يمت وسيخرج بعد الغيبة ، ويقال لهم (الواقفية) [٣] ، أسماء الأئمة الاثنا عشر عند الامامية المرتضى والمجتبي والشهيد والسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والتقي والنقي والزكي والحجة القائم المنتظر

الإسماعيلية

الواقفية قالوا إن الإمام بعد جعفر ، إسماعيل نصاعليه باتفاق من أولاده ، إلا أنهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه

---

(١) علي بن اسماعيل بن شعيب ابن ميثم التمار ، وميثم من جله أصحاب أمير المؤمنين علي ، وعلي سكن البصرة ، وأحد الرافضة ، ومن متكلميهم وقد ناظر أبا الهذيل عند أمير البصرة ، وله مجالس مع هشام بن الحكم وتوفي سنة ١٧٩ في عصر الرشيد العباسي ، (فهرست الطوسي ص ٧٨ لسان الميزان رابع ص ٢٦٥)

(٢) زعمت هذه الفرقة بان موسى ، مات في حبس ابن شاهك وان يحيى بن خالد البرمكي سمه في رطب وعنب بعثهما اليه فقتله وان الامام بعد موسى هو علي بن موسى الرضا ، فسميت هذه الفرقة القطعية لأنها قطعت على وفاة موسي بن جعفر وعلى امامة علي ابنه بعده ولم تشك في أمرها ولا ارتابت ومضت على المنهاج الأول (فرق الشيعة ص ٧٩)

(٣) أما هؤلاء ، فقد انكروا قتله وقالوا مات ورفعه الله اليه وانه يرده عند قيامه ، فسموا بالواقفيه ، لوقوفهم على موسى بن جعفر انه الامام القائم ولم يأتموا بعده بامام ولم يتجاوزوه إلى غيره ، (فرق الشيعة ص ٨١)

فمنهم من قال لم يمت[١] إلا أنه أظهر موته تقيـــة من خلفاء بنى العباس وعقد محضرا ، وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة ، ومنهم من قال الموت صحيح ، والنص لا يرجع قهقرى ، والفائدة فى النص بقاء الإمامة فى أولاد المنصوص عليه دون غيره ، فالإمام بعد إسماعيل محمد بن إسماعيل[٢] وهؤلاء يقال لهم المباركية[٣]

ثم منهم من وقف على محمد بن إسماعيل ، وقال برجعته بعـد غيبته .

ومنهم من ساق الإمامة فى المستورين منهم ، ثم فى الظاهرين

---

(١) وتعتقد فرقة من فرقه بانه حى لم يمت وانمـا غاب وهو القائم ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر لأن الارض لا تخلو من امام ، وللقائم غيبتان ، وأخرى أنه مات وعاش بعد موته وهو اليوم حى مستتر لا يظهر وسيظهر فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا (فرق الشيعة ص ٩٧)

(٢) محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وهو الذى سأل عمه الامام أبا الحسن موسى أن يأذن له فى الخروج إلى العراق وان يرضى عنه ويوصيه بوصية فاذن له وأوصاه ، ودفع له ثلاث صرر كل صرة فيها مائة وخمسون دينارا ثم أعطاه الفا وخمسمائة درهم فلما وصل إلى العراق دخل على الرشيد فقـال يا أمير المؤمنين ، خليفتان فى الارض موسى بن جعفر بالمدينه يجبى له الخراج وأنت بالعراق يجبى لك الخراج فقال والله وفقال الله فأمر الخليفة له بمائة الف درهم فلما قبضها وحملت إلى منزله أخـذته الريح فى جوف ليلته فمات وحول من الغد المال الذى حمل اليه (فرق الشيعة ص ٦٨)

(٣) سموا بالمباركية برئيس لهم كان يسمى المبارك مولى اسماعيل بن جعفر وهو كوفى (فرق الشيعة ص ٦٩)

القائمين من بعدهم وهم الباطنية ، وسنذكر مذهبهم على الانفراد ، وإنما هـــذه فرقة الوقف على إسماعيل ، بن جعفر ، ومحمد بن إسماعيل . والاسماعيلية المشهورة فى الفرق هم الباطنية التعليمية الذين لهم مقالة مفردة .

الاثنا عشرية

إن الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر الكاظم وسموا قطعية ساقوا الإمامة بعده فى أولاده ، فقالوا الامام بعد موسى ، (ابنه) على الرضا . ومشهده بطوس[1] ، ثم بعده محمد التقى ، وهو فى مقابر[2] قريش ، ثم بعده على بن محمد النقى ، ومشهده بقم[3] وبعده الحسن العسكرى

---

(١) طوس ، مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ وبها آثار اسلامية جليلة وفي بعض بساتينها قبر على بن موسى الرضا وقبر الرشيد (معجم سادس ص ٧٠)

(٢) مقابر قريش ببغداد وهى مقبرة مشهورة ومحلة فيها خلق كثـير وعليها سور بين الحربية ومقبرة أحمد بن حنبل والحريم الطاهرى وبينها وبين دجلة شوط فرس جيـد وهي التي فيها قبر موسى الـكاظم . وكان أول من دفن فيها جعفر الاكبر بن المنصور ، سنة ١٥٠ وكان المنصور أول من جعلها مقبرة لما ابتنى مدينته سنة ١٤٩ (معجم ثامن ص ١٠٧)

(٣) قم مدينة تذكر مع قاشان ، وهى مدينة مستحدثة اسلامية لا أثر للاعاجم فيها وبها آبار ليس فى الارض مثلها عذوبة وبردا وأهلها كلهم شيعة إمامية (معجم سابع ص ١٥٩)

الزكي ، وبعده ابنه القائم المنتظر الذى هو بسر[١] من راي ، وهو الثانى عشر ، هذا هو طريق الاثنا عشرية فى زماننا إلا أن الاختلافات التى وقعت فى حال كل واحد من هؤلاء الاثنى عشر ، والمنازعات التى جرت بينهم وبين إخوتهم ، وبنى أعمامهم ، وجب ذكرها لئلا يشذ عنها مذهب لم نذكره ، ومقالة لم نوردها

فاعلم أن من الشيعة من قال بإمامة أحمد[٢] بن موسى بن جعفر دون أخيه على الرضا[٣] ، ومن قال بعلى شك أولا فى محمد بن على إذ مات أبوه ، وهو صغير غير مستحق للامامة[٤] ، ولا علم عنده بمناهجها ،

---

(١) سر من رأى اوسامراء مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقى دجلة وبها السرداب المعروف فى جامعها الذى تزعم الشيعة أن مهديهم يخرج منه (معجم خامس ص ١٢)

(٢) أحمد بن موسى : كان كريما جليلا ورعا وكان أبوه يحبه ويقدمه ، ووهب له ضيعته المعروفة باليسيرة ، ويقال أنه أعتق ألف مملوك ، وانه مدفون بشيراز وكان فى عصر المأمون (فرق الشيعة ص ٨٧)

(٣) على الرضا بن موسى الكاظم ولد سنة ١٥٣ وامه أم ولد وسميت بالطاهرة ، كان من أعلم وقته وعصره ، وكان المأمون يمتحنه بالأسئلة ، فيجيبه اجوبة سديدة وكان المأمون يعظمه ويجله وهو أحد الأئمة الاثني عشر وقد زوجه المأمون بنته وجعله ولي عهده ، وضرب اسمه على الدينار والدرهم وتوفى سنة ٢٠٣ بمدينة طوس وصلى عليه المأمون ودفن ملاصق قبر ابن الرشيد (أعيان الشيعة رابع قسم ثان ص ٧٧ ص ابن خلكان أول ص ٤٠٤)

(٤) فقد توفى أبو الحسن الرضا وابنه محمد ابن سبع سنين فاستصبوه واستصغروه ، وقالوا لا يجوز الامام الا بالغا ولو جاز أن يأمر الله عزوجل

فثبت[1] قوم على إمامته واختلفوا بعد موته ، قوم بأمامة موسى بن محمد ، وقال قوم بامامة على بن محمـد ، ويقولون هو العسكرى ؛ واختلفوا بعد موته أيضا ، فقال قوم بإمامة جعفر بن على ، وقال قوم بإمامة الحسن بن على ، وكان لهم رئيس يقال له على بن فلان[2] الطاحن ، وكان من أهل الكلام قوى أسباب جعفر بن على ، وأمال

بطاعة غير بالغ لجاز أن يكلف الله غير بالغ ، فكما لا يعقل أن يحتمل التكليف غير بالغ فكذلك لا يفهم القضاء بين الناس وما تحتاج اليـه من أمر دينها ودنياها طفل غير بالغ (فرق الشيعة ص ٨٨)

(٨) أما من ثبت على امامته ، فقال بعضهم لايجوز أن يـكون علمه من قبل ابيه ، ولكن الله عز وجل علمه ذلك عند البلوغ بضروب من الهام ، ونكت فى القلب ، ونقر فى الاذن ، ورؤيا صادقة وغـير أولئك وقال بعضهم قبل البلوغ هو امام على معنى أن الأمر له دون غيره إلى وقت البلوغ فاذا بلغ علم ، لا من جهة الالهام ونحوه ، مما ذكر آنفا ، لكن يعلم من كتب أبيه وما ورثه من العلم فيها وما رسم له فيها من الأصول والفـروع وقال بعضهم الامام يكون غير بالغ ولو قلت سنه لأنه حجة الله فقد يجوز أن يعلم وان كان صبيا ويجوز عليه الاسباب التى ذكرت من الالهام والنـكت والرؤيا وغيرها كل ذلك جائز عليه وفيه كما جاز عن سلفه من حجج الله المـاضين واعتلوا فى ذلك بيحيى بن زكريا وان الله أتاه الحـكم صبيا وباسباب عيسى بن مريم وبحكم الصبى بين يوسف بن يعقوب وامرأة الملك ، وبعلم سليمان بن داود حكما من غير تعليم وغير ذلك فانه قد كان فى حجج الله ممن كان غير بالغ عند الناس (فرق الشيعة ص ٧٩)

(٩) على بن الطاحى الخزاز ، نسبة إلى طاحيه قبيلة من الازد ، بالبصرة وقيل الطاجنى ، نسبة إلى بيع الطاجن وسماه بعضهم على بن طاحن وهو من متكلمى أهل الكوفة ، وكان مشهورا فى الفطحية ، وهو ممن قوى امامة جعفر وامال الناس اليه ، وكان متكلما محجاجا (فرق الشيعة ص٩٩)

الناس إليه ، وأعانه فارس بن حاتم بن ماهوية ،(١) وذلك أن محمدا قد مات وخلف الحسن العسكرى ، قالوا امتحنا الحسن ولم نجد عنده علما ، ولقبوا من قال بإمامة الحسن الحمارية ، وقووا أمر جعفر بعد موت الحسن ، واحتجوا بأن الحسن مات بلا خلف ، فبطلت إمامته ، لأنه لم يعقب ، والامام لا يكون ألا ويكون له خلف وعقب ، وحاز جعفر ميراث الحسن بعد دعوى ادعاها عليه ، أنه فعل ذلك من حبل فى جواريه وغيره ، وَانكشف أمرهم عند السلطان وَالرعية ، وخواص الناس وعوامهم ، وتشتت كلمة من قال بإمامة الحسن وتفرقوا أصنافا كثيرة ، فثبتت هذه الفرقة على إمامة جعفر ورجع إليهم كثير ممن قال بإمامة الحسن ، منهم الحسن(٢) بن على بن فضال

---

(١) ذكر فى فرق الشيعة وأعانته على ذلك أخت الفارس بن حاتم بن ماهويه ، القزوينى غير أن هذه أنكرت إمامة الحسن بن على وقالت إن جعفرا أوصى إليه أبوه لا الحسن وفارس بن حاتم بن ماهويه القزويني قد أطبق علماء الرجال والأخبار على ذمه وتكفيره ولعنه . قال نصر بن الصباح : « الحسن بن محمد المعروف بابن بابا ومحمد بن نصير النميري وفارس ابن حاتم القزويني لعن هؤلاء الثلاثة على بن محمد العسكرى » وقد أمر ابو الحسن العسكرى بقتله وضمن لمن قتله الجنة ، وكان فارس هذا فتانا يفتن الناس ويدعوهم إلى البدعة (فرق الشيعة ص ٩٩)

(٢) الحسن بن على بن فضال التيمى مولاهم الكوفى أبو بكر روى عن موسى بن جعفر وابنه على وغيرهما . كان فطحيا يقول بامامة عبد الله بن جعفر ثم رجع إلي امامة أبى الحسن وكان خصيصا بالرضا وكان جليل

وهو من أجل أصحابهم وفقهائهم كثير الفقه والحديث ، ثم قالوا بعد جعفر ، بعلى بن جعفر ، وفاطمة بنت على أخت جعفر ، وقال قوم بإمامة على بن جعفر دون فاطمة السيدة ، ثم اختلفوا بعد موت علي وفاطمة اختلافا كثيرا ، وغلا بعضهم فى الامامة غلو أبى الخطاب[1] الأسدى ، وأما الذين قالوا بإمامة الحسن ، افترقوا بعد موته إحدى عشرة فرقة ، وليست لهم ألقاب مشهورة ، ولكنا نذكر أقاويلهم

الفرقة الأولى قالت إن الحسن لم يمت ، وهو القائم ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهرا ، لأن الأرض لا تخلو من إمام ، وقد ثبت عندنا أن القائم له غيبتان ، وهذه إحدى الغيبتين وسيظهر ويعرف ثم يغيب غيبة أخرى

الثانيـة قالت إن الحسن مات لكنه يجىء وهو القائم ، لأنا رأينا أن معنى القائم هو القيام بعد الموت فنقطع بموت الحسن لا نشك فيه ولا ولد له فيجب أن يجىء بعد الموت

القدر عظيم المنزلة ، ثقة فى الحديث وفى رواياته وروى عنه ابن شاذ ان وبالغ فى الثناء عليه بالزهد وكان من مصنفى الشيعة ، وله كتب منها كتاب الزيارات وكتاب البشارات وكتاب الرد على الغالية وغيرها توفى سنة أربع وعشرين ومائتين (لسان الميزان ثان ص ٢٢٥ فهرست الطوسى ص ٤٧)

(١) ابو الخطاب محمد بن ابى زينب الاجدع الاسدى وقيل محمد بن مقلاص أبى زينب الاسدى الكوفى الاجدع الزراد البزار ، ويكنى تارة أبو الخطاب وأخرى أبو الظبيان (فرق الشيعة ص ٤٢)

الثالثة قالت إن الحسن قد مات ، وأوصى إلى جعفر أخيه ، ورجعت إمامة جعفر

الرابعة قالت إن الحسن قد مات والامام جعفر ، وأنا كنا مخطئين فى الائتمام به إذ لم يكن إماما فلما مات ولا عقب له تبينا أن جعفرا كان محقا فى دعواه والحسن مبطلا

الخامسة قالت إن الحسن قد مات وكنا مخطئين فى القول به ، وأن الإمام كان محمد بن على أخو الحسن وجعفر ، ولما ظهر لنا فسق جعفر وإعلانه به ، وعلمنا أن الحسن كان على مثل حاله إلا أنه كان يتستر ، عرفنا أنهما لم يكونا إمامين ، فرجعنا إلى محمد ووجدنا له عقبا ، وعرفنا أنه كان هو الامام دون أخويه

السادسة قالت إن للحسن ابنا وليس الأمر عَلَى ما ذكر ، وأنه مات ولم يعقب بولد قبل وفاة أبيه بسنتين ، فاستتر خوفا من جعفر وغيره من الأعداء ، واسمه محمد[1] وهو الامام القائم المنتظر

السابعة قالت إن له ابنا ، ولكنه ولد بعد موته بثمانية أشهر ،

---

(١) قال فرقة ، أن للحسن ابنا ، سماه محمدا ، ولد سنة ٢٥٥ ، وأمه نرجس أو ريحانه أو صقيل ، أو سوسن وكنيته ابو القاسم والقابه كثيرة منها صاحب الزمان وصاحب الدار والغريم والقائم والمهدى ، والهادى والصاحب وقد قطعوا على امامته ، وزعموا أنه مستور ، وانها احدى غيباته وله غيبتان احداهما من يوم وفاة أبيه وهى الصغرى ، والثانية الكبرى وابتداؤها من وفاة السمرى آخر السفراء ولا يعلم انتهاؤها الا الله عز وجل ، هذا هو اعتقاد الامامية الاثنى عشريه (فرق الشيعة ص ١٠٢)

وقول من ادعى أنه مات ، وله ابن باطل ، لأن ذلك لم يخف ولا يجوز مكابرة العيان

الثامنة قالت صحت وفاة الحسن ، وصح أن لا ولد له ، وبطل ما ادعى من الحبل فى سرية له ، وثبت أن لا إمام بعد الحسن ، وهو جائز فى المعقول أن يرفع الله الحجة عن أهل الأرض لمعاصيهم ، وهى فترة وَزمان لا إمام فيه . والأرض اليوم بلا حجة ، كما كانت الفترة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (١)

التاسعة قالت إن الحسن قد مات ، وصح موته ، وقد اختلف الناس هذا الاختلاف ، ولا ندرى كيف هو ، ولا نشك أنه قد ولد له ابن ، ولا ندرى قبل موته أو بعد موته ، إلا أنا نعلم يقينا أن الأرض لاتخلو عن حجة . وهو الخلف الغائب ، فنحن نتولاه ونتمسك باسمه ، حتى يظهر بصورته

---

(١) كما جاز أن لا يكون قبل النبى ﷺ ، فيما بينه وبين عيسي عليه السلام نبي ولا وصى ، ولما روى انه كانت بين الانبياء فترات ، روى ثلاثمائة سنة وروى مائتى سنة ليس فيها نبى ولا وصى وقد قال الصادق « ان الفترة هى الزمان الذى لايكون فيه رسول ولا امام » والارض اليوم بلا حجة الا ان يشاء الله فيبعث القائم من آل محمد ﷺ فيحيى الأرض بعد موتها كما بعث محمد ﷺ على حين فترة من الرسل فجدد ما درس من دين عيسي ، ودين الانبياء ، فكذلك يبعث القائم اذا شاء جل وعز ، والحجة علينا . الي بعث القائم وظهوره ، الأمر والنهى من متقدمي الأئمة وعلمهم الذى بأيدينا كما كانت الحجة على الناس قبل ظهور نبينا ﷺ أمر عيسى عليه السلام ونهيه وماخرج من علمه وعلم اوصيائه (فرق الشيعة ص١٠٥)

العاشرة قالت نعلم أن الحسن قد مات ، ولا بد للناس من إمام ، ولا يخلو الأرض من حجة ، وَلا ندرى من ولده أو من غيره

الحادية عشرة فرقة توقفت فى هذه المخابط ، وقالت لا ندرى على القطع حقيقة الحال لكنا نقطع فى الرضا ، ونقول بإمامته وفى كل موضع اختلفت الشيعة فيه فنحن من الواقفية فى ذلك ، إلى أن يظهر الله الحجة ، ويظهر بصورته فلا يشك فى إمامته من أبصره ، ولا يحتاج إلى معجزة وكرامة وبينة ، بل معجزته إتباع الناس بأسرهم إياه ، من غير منازعة ولا مدافعة . فهذه جملة فرق الاثناعشرية قطعوا على واحد واحد منهم ، ثم قطعوا على كل بأسرهم ، ومن العجب أنهم قالوا الغيبة قد امتدت مائتين ونيفا وخمسين سنة . وصاحبنا قال إن خرج القائم ، وقد طعن فى الأربعين فليس بصاحبكم ، ولسنا ندرى كيف ينقضى مايتان وخمسون سنة فى أربعين سنة وإذا سئل القوم عن مدة الغيبة كيف يتصور ، قالوا أليس الخضر وإلياس عليهما السلام يعيشان فى الدنيا من آلاف (السنين) لا يحتاجان إلى طعام وشراب ، فلم لا يجوز ذلك فى واحد من أهل البيت قيل لهم ومع اختلافكم هذا ، كيف يصح لكم دعوي الغيبة ، ثم الخضر عليه السلام ليس مكلفا بضمان جماعة ، والإمام عندكم ضامن مكلف بالهداية وَالعدل ، والجماعة مكلفون بالاقتداء به ، والاستنان بسنته ، ومن لا يرى كيف يقتدى به ، فلهذا صارت الامامية متمسكين بالعدلية فى الأصول ، وبالمشبهة

فى الصفات ، متحيرين تائهين ، وبين الأخبارية منهم والكلامية سيف وتكفير ، وكذلك بين التفضيلية والوعيدية قتال وتضليل ، أعاذنا الله من الحيرة ، ومن العجب أن القائلين بامامة المنتظر مع هذا الاختلاف العظيم لا يستحيون فيدعون فيه أحكام الالهية ويتأولون قوله تعالى عليه (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة) قالوا هو الامام المنتظر الذى يرد إليه علم الساعة ، ويدعون فيه أنه لايغيب عنا ، ويستخبرنا بأحوالنا حين يحاسب الخلق ، إلى تحكمات باردة ، وكلمات عن العقول ردة شعر

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها   وسيرت طرفى بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر   عَلَى ذقن أوقارعا سن نادم

الغاليـــة

الغالية هم الذين غلوا فى حق أئمتهم ، حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الالهية ، فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالاله ، وربما شبهوا الاله بالخلق ، وهم على طرفى الغلو والتقصير ، وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية[1] ومذاهب

(١) الحلول ، حلول الشىء فى الشىء عبارة عن نزوله فيه ، وفى عرف الحكماء اختصاص شىء بشىء بحيث تكون الاشارة إلى أحدهما عين الاشارة إلى الآخر ، أو هو أن يكون حاصلا فيه بحيث تتحد الاشارة اليهما تحقيقا كما فى حلول الاعراض فى الاجسام أو تقديرا كحلول العلوم فى المجردات وهو قسمان ، سريانى عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون

التناسخية[1]، ومذاهب اليهود والنصارى ، إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق والنصارى شبهت الخلق بالخالق ، فسرت هذه المشبهات فى أذهان الشيعة الغلاة ، حتى حكمت بأحكام الإلهية فى حق بعض الأئمة ، وكان التشبيه بالأصل والوضع فى الشيعة ، وإنما عادت إلى بعض أهل السنة بعد ذلك ، وتمكن الاعتزال فيهم ، لما رأوا أن ذلك أقرب إلى المعقول ، وأبعد من التشبيه والحلول

وبدع الغلاة محصورة فى أربع ، التشبيه والبداء ، وَالرجعة والتناسخ ، ولهم ألقاب ، وبكل بلد لقب ، يقال لهم بأصفهان الخرمية والكودية ، وبالرى المزدكية والسنبادية ، وباذربيجان الذقولية ، وبموضع المحمرة وبما وراء النهر ، المبيضة

السبئية

أصحاب عبد الله بن سبأ الذى قال لعلى عليه السلام أنت أنت ، يعنى أنت الإله ، فنفاه إلى المداين ، وزعموا أنه كان يهوديا فأسلم ،

الاشارة إلى احدهما اشارة إلى الآخر كحلول ماء الورد فى الورد فيسمى السارى حالا والمسرى فيه محلا والحلول الجوارى عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفا للاخذ كحلول الماء فى الكوز : والذين يقولون بحلول الله فى عبد من عباده ، خرجوا عن فرق الاسلام ، وتبعوا فى قولهم اعداءه (دستور ثان ص ٥٤ تعريفات ص ٦٣)

(١) التناسخ عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر من غير تخلل زمانين بين التعلقين للتعشق الذاتى بين الروح والجسد (تعريفات ض ٦٧)

وكان فى اليهودية يقول فى يوشع بن نون وصى موسى ، مثل ما قال فى علىّ عليه السلام ، وهو أول من أظهر القول بالغرض بامامة على ، وَمنه انشعبت أصناف الغلاة ، وزعموا أن عليا حى لم يقتل(١) ، وفيه الجزء الإلهى ، ولا يجوز أن يستولى عليـــه ، وهو الذى يجىء فى السحاب ، والرعد صوته ، والبرق سوطه ، وأنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراوإنما أظهر ابن سبأ هـذه المقالة بعد انتقال على عليه السلام ، واجتمعت عليه جماعة ، وهم أول فرقة قالت بالتوقف والغيبة والرجعة ، وقالت بتناسخ الجزء الالهي

(١) غلا ابن سبأ فى على وزعم انه كان نبيا ثم غلا فيه حتى زعم انه إله ، ودعا الى ذلك قوما من غلاة الكوفة ، فرفع خبرهم إلى على فأمر باحراق قوم منهم فى حفرتين

لترم بى الحوادث حيث شاءت اذا لم ترم بى فى الحفرتين

ثم انه خاف احراق الباقين ، فنفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن فلما قتل على ، زعم ابن سبأ ، أن المقتول شيطان على صورته وان عليا صعد إلى السماء كما صعد اليها عيسى ، وانه سينزل الى الدنيا وينتقم من أعدائه ، وزعم بعض السبئية ، أن عليا فى السحاب وان الرعد صوته ، والبرق سوطه ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال عليك السلام يا أمير المؤمنين قال اسحاق بن سويد العدوى .

برئت من الخوارج لست منهم من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم اذا ذكروا عليا يردون السلام على السحاب
ولـكنى أحب بـكل قلبى وأعلم ان ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حبـا به ارجو غدا حسن الثواب

(الفرق بين الفرق ص ٢٢٣)

فى الأئمة بعد على . وهذا المعنى مما كان يعرفه الصحابة ، وإن كانوا على خلاف مراده

هذا عمر رضى الله عنه كان يقول فيه حين فقأ عين واحد فى الحرم ، ورفعت القصة إليه ما ذا أقول فى يد الله فقأت عينا فى حرم الله ، فأطلق عمر اسم الالهية عليه لما عرف منه ذلك

الكاملية(١)

أصحاب أبى كامل(٢) ، أكفر جميع الصحابة بتركها بيعة على عليه السلام ، وطعن فى على أيضا بتركه طلب حقه . ولم يعذره فى القعود ، قال وكان عليه أن يخرج ، ويظهر الحق على أنه غلا فى حقه ، وكان يقول الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى

(١) الكاملية شر الروافض نسبوا لرئيسهم أبى كامل القائل بتكفير الصحابة بترك نصرة على وتكفير على بترك طلب حقه وفى الشفاء الكميلية لتصغير كامل على كميل ونسبوا اليه على خلاف القياس تصغير تحقير (تاج ثامن ص ١٠٤)

(٢) ابو كامل ، وهو أفحشهم قولا فى على وفى سائر الصحابة رضى الله عنهم وهو من الرافضة ، وكان يزعم أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة على و كفر على ، بتركه قتالهم و كان يلزمه قتالهم كما لزمه قتال أصحاب صفين و كان بشار على هذا المذهب قيل له ما تقول فى الصحابه قال كفروا فقيل له ما تقول فى على فتمثل بقول الشاعر

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذى لاتصبحينا

(الفرق بين الفرق ص ١٧ و ٣٩)

شخص ، وذلك النور فى شخص يكون نبوة وفى ، شخص يكون إمامة ، وربما تتناسخ الامامة فتصير نبوة ، وقال يتناسخ الأرواح وقت الموت .

والغلاة على أصنافها ، كلهم متفقون على التناسخ والحلول ، ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة فى كل أمة تلقوها من المجوس المزدكية ، والهند البرهمية ، ومن الفلاسفة والصابئة ، ومذهبهم أن الله تعالى قائم بكل مكان ، ناطق بكل لسان ، ظاهر بكل شخص من أشخاص البشر ، وذلك معنى الحلول ، وقد يكون الحلول بجزء هو كاشراق الشمس فى كوة ، أو كإشراقها على البلور ، وأما الحلول بالكل ، فهو كظهور ملك بشخص ، أو كشيطان بحيوان

ومراتب التناسخ أربعة ، النسخ ، والمسخ ، والفسخ ، والرسخ[1]

---

(١) أما النفوس الناقصة التى بقى شىء من كمالاتها ، فانها تتردد فى الابدان الانسانية ، وتنتقل من بدن الى آخر ، حتى تبلغ النهاية فيما هو كمالها من علومها واخلاقها فحينئذ تبقى مجردة مطهرة عن التعلق بالابدان ويسمى هذا الانتقال نسخا .

وقيل ربما تنازلت الى الابدان الحيوانية فتنتقل من البدن الانسانى إلى بدن حيواني يناسبه فى الأوصاف كبدن الاسد للشجاع والارنب للجبان ويسمى مسخا .

وقيل ربما تنازلت الى الاجسام النباتية ويسمى رسخا

وقيل الى الجمادية كالمادن والبسائط أيضا ، ويسمي فسخا ، (شرح المواقف ثان ص ٤٤٤)

وسيأتى شرح ذلك عند ذكر فرقهم من المجوس على التفصيل ، وأعلى المراتب مرتبة الملكية أو النبوة وأسفل المراتب الشيطانية أو الجنية

وهذا أبو كامل كان يقول بالتناسخ ظاهرا من غير تفصيل مذهبهم .

العلبائية

أصحاب العلباء بن ذراع الدوسى ، وقال قوم هو الأسدى ، وكان يفضل عليّا على النبي صلى الله عليه وسلم ، وزعم أنه الذي بعث محمدا ، وسماه إلها وكان يقول بذم محمد ، زعم أنه بعث ليدعو إلى على ، فدعا إلى نفسه . ويسمون هذه الفرقة الذمية ، ومنهم من قال بإلهيتهما جميعا ويقدمون عليا فى أحكام الالهية وَيسمونهم العينية ، ومنهم من قال بإلهيتهما جميعاً ، ويقدمون محمدا فى الالهيـــة ويسمونهم الميمية ومنهـم من قال بإلهيـة خمسة أشخاص أصحاب الـكساء (١) محمد

---

(١) عن أم سلمة ، قالت جاءت فاطمة إلى النبي ﷺ تحمل خزيرة لهـا فقال ادعى زوجك ، وابنيك فجاءت بهم فطعموا ثم القى عليهم كساء له له خيبر يا فقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وعترتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهـيرا فقلت يا رسول الله وأنا معهم ، انا من أهلك ، قال تنحى ، فانك الى خير ، فأنزل الله ، انما يريد الله ليذهب عنـكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال نزلت هذه

وعلى وفاطمة والحسن والحسين ، وقالوا خمستهم شيء واحد ، والروح حالة فيهم بالسوية لافضل لواحد على الآخر ، وكرهوا أن يقولوا فاطمة بالتأنيث بل قالوا فاطم ، وفى ذلك يقول بعض شعرائهم

تو ليت بعد الله فى الدين خمسة   نبينا وسبطيه وشيخا وفاطما[1]

المغــــيرية

أصحاب المغيرة[2] بن سعيد البجلى ، ادعى أن الامام بعد محمد

الآية فى خمسة فى وفى على وحسن ، وحسين وفاطمة ، لـكن الآية ، هى بينة وحجة نيرة ، على كون نساء النبي عليه الصلاة والسلام من أهل بيته قاضية بطلان رأى الشيعة فى تخصيصهم بأهل الكساء ، وماورد آنفا ، فانما يدل على كونهم من أهل البيت لا على أن من عداهم ليسو كذلك ، (مجمع البيان رابع صَ ٣٥٧ ارشاد العقل السليم رابع ص ٢١١)

(١) ودخل بشار على ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين فانشده قصيدة يهجو فيها المنصور ، أولها .

أبا جعفر ما طول عيش بدائم   وما سالم عما اقليل بسالم

وفيها يقول :

أقول لبسام عليه جلالة   غـدا أريحيا عاشقا المكارم
من الفاطميين الدعاة إلى الهدى   جهارا ومن يهديك مثل ابن فاطم
سراج لعين المستضىء وتارة   يكون ظلاما للعدو والمهاجم

(٢) المغيرة بن سعيد البجلي ابو عبد الله الكوفى الرافضى الكذاب وكان يتنقص أبا بكر وعمر ، وقد ذكر عليا وذكر الأنبياء ففضله عليهم ، وقد ادعى النبوة وقد نظر فى سحر فاسعر النيران بالكوفة ، على التمويه والشعبذة حتى أجابه خلق ، وقد قال أبو جعفر ، برىء الله ورسوله من المغيرة بن سعيد وبيان بن سمعان فانهما كذبا علينا أهل البيت ، وقد أخذه خالد بن عبد الله القسرى وقتله ثم صلبه ، وأحرقه فى حـدود العشرين ومائة (لسان الميزان سادس ص ٧٥)

ابن على بن الحسين ، محمد بن عبد الله بن الحسن الخارج بالمدينة ، وزعم أنه حى لم يمت ، وكان المغيرة مولى لخالد[1] بن عبد الله القسرى وادعى الامامة لنفسه بعد الامام محمد ، وبعد ذلك ادعى النبوة لنفسه ، وغلا فى حق على عليه السلام ، غلوا لا يعتقده عاقل ، وزاد على ذلك قوله بالتشبيه ، فقال إن الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء ، على مثال حروف الهجاء : وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور ، وله قلب تنبع منه الحكمة ، وزعم أن الله تعالى لما أراد خلق العالم تكلم بالاسم الأعظم ، فطار فوق رأسه تاجا ، قال ، وذلك قوله (سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى) ، ثم اطلع على أعمال العباد ، وقد كتبها على كفه ، فغضب من المعاصى فعرق ، فاجتمع من

---

(١) ابو يزيد ، وابو الهيثم خالد بن عبد الله البجلى ثم القسرى ، كان أمير العراقين لهشام بن عبد الملك وولى قبل ذلك مكة ، وأمه كانت نصرانية ، ولجده يزيد ، صحبة ، وكان خالد معدودا من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة وكان جوادا كثير العطاء ، ثم أن هشاما عزله ، وولى يوسف بن عمر الثقفى ، الذى قدم الكوفة وأخذ خالدا وعماله وحبسه وعذبه ثم قتله أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ ولما كان خالد فى سجن يوسف ، مدحه أبو الشغب العبسى ، فقال :

الا أن خير الناس حيا وهالكا	أسير ثقيف عندهم فى السلاسل
لعمرى لئن عمرتم السجن خالدا	وأوطأتموه وطأة المتثاقل
لقد كان يبنى المكرمات لقومه	ويعطى اللها فى كل حق وباطل
فان تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه	ولا تسجنوا معروفه فى القبائل

(ابن خلكان أول ص ٢١١)

من عرقه بحران ، أحدهما مالح ، والآخر عذب ، والمالح مظلم ، والعذب نيّر فاطلع فى البحر النير فأبصر ظله ، فانتزع عين ظله ، فخلق منها الشمس والقمر ، وأفنى باقى ظله ، وقال لا ينبغي أن يكون معى إله غيرى ، قال ثم خلق الخلق كله من البحرين ، فخلق المؤمنين من البحر النير ، والكفار من البحر المظلم ، وخلق الناس ، وأول ماخلق هو ظل محمد ، وعليّ ، قبل ظلال الكل ، ثم عرض على السموات والأرض وَالجبال أن يحملن الأمانة(١) ، وهى أن يمنعن على بن أبى طالب من الامامة ، فأبين ذلك ، ثم عرض على الناس فأمر عمر ابن الخطاب أبا بكر أن يتحمل منعه من ذلك وضمن أن يعينه على الغدر به ، على شرط أن يجعل الخلافة له من بعده ، فقبل منه ، وأقدما

---

(١) قال ابن عباس : أراد بالامانه الطاعة والفرائض التى فرضها على عباده ، عرضها على السموات والأرض والجبال على أنهم اذا أدوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم ، وقال ابن مسعود الامانة اداء الصلوات وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل ، وأشد من هذا كله الودائع وقيل جميع ما أمروا به ونهوا عنه ، وقال ابن عباس هى امانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمنا فعرضت على السموات والأرض والجبال فقلن لا يارب نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله تعالى ان لايقوموا بها لامعصية ولا مخالفة لأمره وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة لأمره ساجدة له (لباب التأويل خامس ص ٢٢٩)

على المنع متظاهرين فذلك قوله (وحملها[1] الانسان إنه كان ظلوما جهولا) وزعم أنه نزل فى عمر قوله تعالى (كمثل[2] الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك)

ولما أن قتل المغيرة ، اختلف أصحابه ، فمنهم من قال بانتظاره ورجعته ، ومنهم من قال بانتظار إمامة محمد ، كما كان يقول هو بانتظاره وقد قال المغيرة لأصحابه انتظروه ، فانه يرجع ، وجبريل وميكائيل يبايعانه بين الركن والمقام

المنصورية

أصحاب أبى منصور[3] العجلي ، وهو الذى عزا نفسه إلى

---

(١) حملها الانسان ، ورضى ما كلفه به ربه ، على عظمه وجلاله ، مع ضعفه ، وضعف منته ، فكان ظلوما لنفسه ، حين عصى ربه ، جهولا لا يدرى ما جزاؤه ، أوانه حملها ، فلم يف بها . وضمنها ولم يف ضمانها (لباب التأويل خامس ص ٢٣٠)

(٢) ضرب الله مثلا . المنافقين واليهود جميعا فى تخاذلهم وتخلى بعضهم عن بعض فى غزوة بنى النضير ، فقال مثلهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر ، وهو برصيصا ، الذى عبد الله سبعين سنه لم يعصه طرفة عين ، حتى أغواه الشيطان ، فوقع على امرأة ، فلما استبان حملها قتلها ودفنها ، فعرف أمره ، فصلبوه ، فتمثل له الشيطان ، وأغراه بخلوصه أن سجد له بالايماء فسجد له فكفر وقتل ، فضرب الله هذه القصة لبنى النضير ، حين اغتروا بالمنافقين ثم تبرءوا منهم عند الشدة وأسلموهم (مجمع البيان خامس ص ٢٦٤)

(٣) ابو منصور العجلى ، وهو الذى ادعى أن الله عز وجل عرج به اليه فادناه وكلمه ، ومسح بيده على رأسه وقال له بالسريانى أى بني وذكر أنه نبي ورسول وان الله اتخذه خليلا ، وكان أبو منصور هذا من أهل

أبي جعفر محمد بن على الباقر فى الأول ، فلما تبرأ عنه الباقر وطرده ، زعم أنه هو الامام ، ودعا الناس إلى نفسه ، ولما توفى الباقر قال انتقلت الامامة إلىّ ، وتظاهر بذلك ، وخرجت جماعة منهم بالكوفة فى بنى كندة ، حتى وقف يوسف(١) بن عمر الثقفى والى العراق فى

الكوفة من عبد القيس وله فيها دار ، وكان منشؤه بالبادية وكان اميا لايقرأ فادعى بعد وفاة أبى جعفر محمد بن على بن الحسين انه فوض اليه أمره وجعله وصيه من بعده ثم ترقى به الأمر إلى أن قال انا نبى ورسول وكان يأمر أصحابه بخنق من خالفهم ، وقتلهم بالاغتيال ويقول من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فان هـذا جهاد خفي وزعم أن جبريل يأتيه بالوحى من عند الله عز وجل وان الله بعث محمدا بالتنزيل ، وبعثه هو بالتأويل واستمرت فتنته الى أن وقف يوسف بن عمر الثقفى على عوراته فأخذه ، وصلبه ثم ظفر عمر الخناق بابنه الحسين بن أبى منصور وقد تنبأ وادعى مرتبة أبيه وتابعه على رأيه ومذهبه بشر كثير وقالوا بنبوته فبعث به المهدى فقتله فى خلافته ، وصلبه بعد أن أقر بذلك وأخذ منه مالا عظيما وطلب أصحابه فظفر بجماعة منهم فقتلهم وصلبهم (فرق الشيعة ص ٣٨ الفرق بين الفرق ص ٢٣٥)

(١) ابو يعقوب يوسف بن عمر الثقفى ، ابن ابن عم الحجاج ، ولاه هشام اليمن سنة ١٠٦ ثم كتب بولايته على العراق سنة ١٢١ فاستخلف ابنه الصلت على اليمن ، وكان يوسف ، حسن القراءة ، فصيحا ، وكان مذموما فى عمله أحمق سيء الخلق والسيرة وكان جوادا فكان يطعم الناس على خمسمائة خوان أقصاها وأدناها سواء ، وكان يضرب به المثل فى التيه والحمق وكان من أعظم الناس لحية وأصغرهم قامة ، كانت لحيته تجوز سرته ، ولما ولى يزيد بن الوليد ، حبسه ومات فى الحبس فقتل سنة ١٢٧ (ابن خلكان ثان ص ٤٧٥)

أيام هشام[1] بن عبد الملك على قصته وخبث دعوته ، فأخذه وصلبه

زعم العجلى أن عليا عليه السلام هو الكسف الساقط من السماء وربما قال الكسف الساقط من السماء هو الله عز وجل

وزعم حين ادعى الامامة لنفسه أنه عرج به إلى السماء ورأى معبوده ، فمسح بيده رأسه ، وقال له يابنى انزل فبلغ عنى ، ثم أهبطه إلى الأرض فهو الكسف الساقط من السماء ، وزعم أيضا أن الرسل لا تنقطع أبدا والرسالة لا تنقطع ، وزعم أن الجنة رجل أمرنا بموالاته ، وهو إمام الوقت ، وأن النار رجل أمرنا بمعاداته ، وهو خصم الامام ، وتأول المحرمات كلها على أسماء رجال أمر الله تعالى بمعاداتهم ، وتأول الفرائض على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم ، واستحل أصحابه قتل مخالفيهم ، وأخذ أموالهم واستحلال نسائهم ، وهم صنف من الخرمية ، وإنما مقصودهم من حمل الفرائض والمحرمات على أسماء رجال ، هو أن من ظفر بذلك الرجل

---

(١) هشام بن عبد الملك كان حازما عاقلا ، وكان لا يدخل بيت ماله مالا حتى يشهد أربعون قسامة لقد أخذ من حقه ولقد أعطي لكل ذى حق حقه ، وقال سجيل بن محمد ما رأيت أحدا من الخلفاء أكره اليه الدماء ولا أشد عليه من هشام ، وعن هشام انه قال مابقى شيء من لذات الدنيا الا وقد نلته الا شيئا واحدا أخا أرفع مؤونة التحفظ فيما بينى وبينه وينسب اليه :

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى ‌ ‌ الى بعض ما فيه عليك مقال

ولى الخلافة سنة ١٠٥ وتوفى سنة ١٢٥ (تاريخ الخلفاء ص ١٦٤)

وعرفه فقد سقط عنه التكليف ، وارتفع عنه الخطاب ، إذ وصل إلى الجنة وبلغ إلى الكمال

ومما أبدعه العجلى أن قال أول ما خلق الله هو عيسى ابن مريم ثم على بن أبى طالب

الخطابيـــة

أصحاب[1] أبى الخطاب محمد بن أبى زينب الأسدى الأجدع ، وهو الذى عزا نفسه إلى أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق فلما وقف الصادق على غلوه الباطل فى حقه تبرأ منـه ولعنه ، وأخبر أصحابه بالبراءة منه ، وشدد القول فى ذلك ، وبالغ فى التبرى عنه ، واللعن عليه ، فلما اعتزل عنه ادعى الأمر لنفسه ، زعم أبو الخطاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة ، وقال بإلهية جعفر بن محمد ، وإلهية آبائه ، وهم أبناء الله ، وأحباؤه ، والالهية نور فى النبوة ، والنبوة نور فى الامامة ، ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار

وزعم أن جعفراً هو الاله فى زمانه ، وليس هو المحسوس الذى

---

(١) أبو الخطاب محمد بن ابى زينب الأجدع الأسدى ، محمد بن مقلاص الزراد البزاز ، كنتيه أبو الخطاب وابو الظبيان وابو اسماعيل وقد ادعت فرقة من فرقه بالهية جعفر وكان ابو الخطاب يدعى أن جعفرا جعله قيمه ووصيه من بعده وانه علمه اسم الله الاعظم ثم ترقى ان ادعى النبوة فالرسالة ثم ادعى انه من الملائكة وانه رسول الله إلى أهل الارض والحجة عليهم قتل فى خلافة المنصور (فرق الشيعة ص ٤٢)

يرونه ، ولكن لما نزل إلى هذا العالم ، لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها . ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور عَلَى خبث دعوته قتله بسبخة الكوفة ، وافترقت الخطابية بعده فرقا فزعمت فرقة أن الامام بعد أبي الخطاب رجل يقال معمر[1] ، ودانوا به كما دانوا بأبي الخطاب ، وزعموا أن الدنيا لا تفنى . وأن الجنة هي التي تصيب الناس من خير ونعمة وعافية . وأن النار هي التي تصيب الناس من شر ومشقة وبلية ، واستحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة والفرائض وتسمى هذه الفرقة (معمرية)

وزعمت طائفة أن الامام بعد أبي الخطاب بزيع[2] . وكان يزعم أن جعفرا هو الاله ، أي ظهر الاله بصورته للخلق ، وزعم أن كل مؤمن يوحى إليه وتأول قول الله تعالى (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله) أي يوحى من الله إليه ، وكذلك قوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل)

---

(١) معمر بن خيثم ابو بشار الشعيرى . وقد لعنه الصادق فيمن لعن ، لما يكذب على أهل البيت وقد ادعى الالوهية ، وقد خرج ابن اللبان يدعو اليه ، وقال انه الله عز وجل وصلى له وصام ، وأحل الشهوات كلها ما حل منها وما حرم ، فأحل الزنا والسرقة وشرب الخمر والميتة والدم ، ولحم الخنزير ونكاح الأمهات والبنات والاخوات وغير أولئك وزعم أن كل شيء أحله الله فى القرآن وحرمه فانما هو اسماء رجال (فرق الشيعة ص ٤٣ و ٤٤)

(٢) بزيع بن موسى الحائك وقد لعنه الصادق ولعن جماعة معه . وقد

وزعم أن فى أصحابه من هو أفضل من جبريل وميكائيل . وزعم أن الانسان إذا بلغ الكمال لايقال إنه مات ، لكن الواحدمنهم إذا بلغ النهاية ، قيل رفع إلى الملكوت ، وادعوا كلهم معاينة أمواتهم، وزعموا أنهم يرونهم بكرة وعشيا وتسمى هذه الطائفة (البزيعية)

وزعمت طائفة أن الامام بعد أبى الخطاب عمير[١] بن بيان العجلى ، وقالوا كما قالت الطائفة الأولى إلا أنهم اعترفوا بأنهم يموتون وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة ، يجتمعون فيها عَلَى عبادة الصادق ، فرفع خبرهم إلى يزيد[٢] بن هبيرة فأخذ عميرا فصلبه فى

زعمت فرقته أنه نبى رسول وقد أرسله جعفر وشهد لأبي الخطاب بالرسالة وبرىء أبو الخطاب وأصحابه من بزيع كما برىء منه جعفر وشهد انه كافر شيطان (فرق الشيعة ص ٤٣ و ٤٤)

(١) عمير بن بيان العجلي وقيل عمر وبن بيان العجلى رئيس العمروية وهم من الفرق الخارجة عن فرق الاسلام قالوا بتكذيب الذين قالوا أنهم لايموتون وقالوا انا نموت ولكن لايزال خلف منا فى الارض أئمة انبياء وعبدوا جعفرا وسموه ربا وقالوا بالهيتة (الفرق بين الفرق ص ٢٣٦ التبصير ص ٧٤

(٢) يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى ولى أبوه العراقين ليزيد بن عبد الملك ست سنين وكان يكنى أبا المثنى وفيه يقول الفرزوق

أوليت العراق ورافديه فزاريا أحذ يد القميص

تفتق بالعراق أبا المثني وعلم قومه أكل الخبيص

رافداه دجلة والفرات وقوله أحذ يد القميص يريد أنه خفيف اليد نسبه إلى الخيانة ، أما ابنه يزيد فولى العراقيين لمروان بن محمد خمس سنين وكان شريفا

كناسة الكوفة ، وتسمى هذه الطائفة العجلية

وزعمت طائفة أن الامام بعد أبي الخطاب . مفضل[1] الصيرفى وكان يقول بربوبية جعفر . دون نبوته . ورسالته . وتبرأ من هؤلاء كلهم جعفر بن محمد الصادق ، وطردهم ولعنهم . فان القوم كلهم حيارى ضالون جاهلون ، بحال الأئمة تائهون .

الكيالية

أتباع أحمد[2] بن الكيال . وكان من دعاة واحد من أهل

يقسم على زواره فى كل شهر خمسمائة ألف ويفطر الصائمين فى رمضان ، ويقضى حاج الناس ، وكان عظيم الخطر . ولما سقطت الخلافة الأمويين ، أمنه السفاح ، وكان من رأى المنصور الوفاء له . فخرج إلى المنصور وبينه وبينه سترة فقال ابن هبيرة أيها الأمير إن دولتكم بكر فأذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها تصل محبتكم إلى قلوبهم ، ويعذب ذكركم على ألسنتهم وما زلنا منتظرين لدعوتكم ، فرفع الستر وقال فى نفسه عجبا لمن يأمرنى بقتل هذا . وكان أبو مسلم يحث السفاح على قتله ، فأمر المنصور بقتله فقال لا أفعل وله فى عنقى بيعة وإيمان : فقال السفاح تقتله لغدره ونكثه فقتله خازم بن خزيمة سنة ١٣٢ ، فحمل رأسه إلى المنصور فقال للحرسى أترى طينة رأسه ما أعظمها فقال الحرسى ، طينة إيمانه أعظم من طينة رأسه (المعارف ص ١٤٠ ، ابن خلكان ثان ص ٢٦٧)

(١) مفضل الصيرفي ، زعيم المفضلية الذين قالوا بالهية جعفر دون نبوته وتبرءوا من أبى الخطاب لبراءة جعفر منه (الفرق بين الفرق ص ٢٣٦)

(٢) أحمد الكيال الملحد وقد كان ضالا مضلا وقد صنف كتابا فى الضلالة والترهات (اعتقادات ص ٦١)

البيت . بعد جعفر بن محمد الصادق وأظنه من الأئمة المستورين .
ولعله سمع كلمات علمية فخلطها برأيه الفائل . وفكره العاطل .
وأبدع مقالة . فى كل باب علمى على قاعدة غيرمسموعة . ولامعقولة.
وربما عاند الحس فى بعض المواضع . ولما وقفوا على بدعته تبرءوا
منه . ولعنوه . وأمروا شيعتهم بمنابذته . وترك مخالطته . ولما عرف
الكيال ذلك صرف الدعوة إلى نفسه . وادعى الامامة أولا ثم ادعى
أنه القائم ثانيا . وكان من مذهبه أن كل من قدر الآفاق على الأنفس .
وأمكنه أن يبين مناهج العالمين . أعنى عالم الآفاق . وهو العالم العلوى
وعالم الأنفس وهو العالم السفلى ، كان هو الامام . وأن من قرر الكل
فى ذاته وأمكنه أن يبين كل كلى فى شخصه المعين الجزء . كان هو
القائم ، قال ولم يوجد فى زمن (من) الأزمان أحد يقرر هذا التقرير إلا أحمد
الكيال . فكان هو القائم . وإنما قبله من انتمى إليه . أولا على بدعته
ذلك أنه الامام ثم القائم . وبقيت من مقالته فى العالم تصانيف عربية
وعجمية . كلها مزخرفة مردودة شرعا وعقلا . قال الكيال والعوالم
ثلاثة العالم الأعلى ، والعالم الأدنى ، والعالم الانسانى . وأثبت فى العالم
الأعلى خمسة أماكن . الأول مكان الأماكن . وهو مكان فارغ
لا يسكنه موجود ولا يدبره روحانى . وهو محيط بالكل . قال
والعرش الوارد فى الشرع . عبارة عنه . ودونه مكان النفس الانسانية
الأعلى . ودونه مكان النفس الناطقة . ودونه مكان النفس الحيوانية .

ودونه مكان النفس الانسانية ، قال وأرادت النفس الانسانية الصعودَ إلى عالم النفس الأعلى ، فصعدت وخرقت المكانين ، أعنى الحيوانية والناطقية ، فلما قربت من الوصول إلى عالم النفس الأعلى كلت وانحسرت وتحيرت وتعفنت واستحالت أجزاؤها فأهبطت إلى العالم السفلى ، ومضت عليها أكوار[1] وأدوار[2] ، وهى فى تلك الحالة من العفونة والاستحالة ، ثم ساحت عليها النفس الأعلى وأفاضت عليها من أنوارها جزءا ، فحدثت التراكيب فى هذا العالم ، وحدثت السموات والأرض والمركبات من المعادن والنبات والحيوان والانسان ، ووقعت فى بلايا هذا التركيب ، تارة سرورا وتارة غما ، وتارة فرحا ، وتارة ترحا ، وطورا سلامة وعافية ، وطورا بلية ومحنة ، حتى يظهر القائم ويردها إلى حال الكمال ، وتنحل التراكيب ، وتبطل المتضادات ، ويظهر الروحانى على الجسمانى ، وما ذلك القائم إلا أحمد الكيال ، ثم دل عَلَى تعيين ذاته بأضعف ما يتصور ، وأوهى ما يقدر ، وهو ان اسم أحمد مطابق للعوالم الأربعة فالألف من اسمه فى مقابلة النفس الأعلى ، والحاء

(١) الأكوار جمع كور ، مأخوذ من تكوير الليل والنهار أن يلحق أحدهما الآخر ، أو يدخل أحدهما على الآخر ، والمعنى تعاقب الأيام والليالى .

(٢) أدوار ، الفصيح أطوار . والله يقول وقد خلقكم أطوارا ، معناه ضروبا وأحوالا مختلفة ، وفى حديث سطيح : فان ذا الدهر أطوار دهارير الأطوار الحالات المختلفة .

فى مقابلة النفس الناطقة، والميم فى مقابلة النفس الحيوانيـة والدال فى مقابلة النفس الانسانية قال فالعوالم الأربعـة هى المبادىء والبسائط وأما مكان الأماكن فلا وجود فيـه البتة، ثم أثبت فى مقابلة العوالم العلوية العالم السفلى الجسمانى، قال فالسماء خالية وهى فى مقابلة مكان الأماكن، ودونها النار، ودونها الهواء، ودونها الأرض، ودونها الماء، وهذه الأربعة فى مقابلة العوالم الأربعة، ثم قال الانسان فى مقابلة النار، والطائر فى مقابلة الهواء، والحيوان فى مقابلة الأرض، والحوت فى مقابلة الماء فجعل مركز الماء أسفل المراكز والحوت أخس المركبات، ثم قابل الانسان الذى هو أحـد الثلاثة وهو عالم الأنفس، مع آفاق العالمين الأولين الروحانى والجسمانى، قال الحواس المركبة فية خمس، فالسمع فى مقابلة مكان الأماكن إذ هو فارغ، وفى مقابلة السماء والبصر فى مقابلة النفس الأعلى من الروحانى وفى مقابلة النار من الجسمانى وفيه انسان العين لأن الانسان مختص بالنار والشم فى مقابلة الناطقى من الروحانى والهواء من الجسمانى، لأن الشم من الهواء يتروح ويتنسم، والذوق فى مقابلة الحيوان من الروحانى، والأرض من الجسمانى، والحيوان مختص بالأرض، والطعم بالحيوان، واللمس فى مقابلة الانسان من الروحانى والماء من الجسمانى، والحوت مختص بالماء واللمس بالحوت وربما عبر عن اللمس بالكناية، ثم قال أحمد ألف وحاء وميم ودال وهو فى مقابلة العالمين، أما فى مقابلة العالم العلوى الروحانى فقد ذكرنا،

فى مقابلة العالم السفلى الجسمانى ، فالألف يدل على الانسان ، والحاء على الحيوان ، والميم على الطائر ، والدال عَلَى الحوت ، فالألف من حيث استقامة القامة كالانسان ، والحاء كالحيوان لأنه معوج منكوس ، ولأن الحاء من ابتداء اسم الحيوان ، والميم يشبه رأس الطائر ، والدال يشبه ذنب الحوت ، ثم قال ان البارى تعالى انما خلق الانسان على شكل اسم أحمد فالقامة مثل الألف واليدان مثل الحاء والبطن مثل الميم والرجلان مثل الدال ، ثم من العجب أنه قال إلأنبياء هم قادة أهل التقليد ، وأهل التقليد عميان ، والقائم قائد أهل البصيرة وأهل البصيرة أولو الألباب وانما يحصلون البصائر بمقابلة الآفاق والأنفس والمقابلة كما سمعتها من أخس المقالات ، وَأوهى المقابلات ، بحيث لا يستجيز عاقل أن يسمعها فكيف يرضى أن يعتقدها وأعجب من هذا كله تأويلاته الفاسدة ، ومقابلاته بين الفرائض الشرعية والأحكام الدينية وبين موجودات عالمى الآفاق والانفس ، وادعاؤه انه متفرد بها ، وكيف يصح له ذلك وقد سبقه كثير من أهل العلم بتقرير ذلك لا على الوجه المزيف الذى قرره الكيال ، وحمله الميزان على العالمين ، والصراط عَلَى نفسه ، والجنة عَلَى الوصول إلى علمه من البصائر ، والنار على الوصول إلى ما يضاده ، ولما كانت أصول علمه ما ذكرناه فانظر كيف يكون حال الفروع .

الهشامية

الهشامية أصحاب الهشامين ، هشام بن الحكم صاحب المقالة فى

فى التشبيه وهشام بن سالم الجواليقى (١) الذى نسج على منواله فى التشبيه وكان هشام بن الحكم من متكلمى الشيعة وجرت بينه وبين أبي الهذيل مناظرات فى علم الكلام ، منها فى التشبيه ومنها في تعلق علم البارى تعالى .

حكى ابن الراوندى عن هشام أنه قال ان بين معبوده وبين الاجسام تشابها مابوجه من الوجوه ، ولولا ذلك لما دلت عليه ، حكى الكعبي عنه انه قال هو جسم ذو أبعاض ، له قدر من الاقدار ، ولكن لا يشبه شيئا من المخلوقات ، ولا يشبهه شيء ، ونقل عنه أنه قال هو سبعة أشبار بشبر نفسه ، وأنه فى مكان مخصوص وجهة مخصوصة ، وأنه يتحرك وحركته فعله وليست من مكان إلى مكان ، وقال هو متناه بالذات غير متناه بالقدرة . وحكى عنه أبو عيسى الوراق (٢) أنه قال

(١) هشام بن سالم الجواليقى الجعفى العلاف مولى بشر بن مروان ، كنيته أبو محمد وأبو الحكم كان من سبي الجوزجان روى عن الامامين أبي عبد الله وأبي الحسن ، وهو من شيوخ الرافضة ، وممن ذهب أن الله عز وجل ذو قد وصورة وحد يتحرك ويدنو ويبعد ويخف ويثقل وأن علمه محدث ، وأنه كان غير عالم فعلم ، وهو ممن يقول بالبداء ، وهو أن الله يخبر أنه يفعل الأمر ثم يبدو له فلا يفعله ، وممن يقول بالرجعة إلى دار الدنيا قبل القيامة ، وقد وردت روايات فى مدحه ، وفى ذمه وله أصل ، ولهشام بن الحكم — الذى كان من خواص موسي بن جعفر وانقطع للبرامكة وتوفى بعد نكبتهم — كتاب فى الرد على هشام الجواليقي (فهرست الطوسى ص ١٧٤ و ١٧٥ ابن النديم ص ٢٠٥ الانتصار ص ٦)

(٢) محمد بن هارون الوراق أبو عيسى له تصانيف على مذهب المعتزلة

ان الله تعالى مماس لعرشه، لا يفضل منه شيء من العرش، ولا يفضل عن العرش شيء منه، ومن مذهب هشام أنه لم يزل عالماً بنفسه ويعلم الأشياء بعد كونها بعلم لا يقال فيه محدث أو قديم، لأنه صفة، والصفة لا توصف ولا يقال فيه هو هو أو غيره أو بعضه وليس قوله فى القدرة والحياة كقوله فى العلم لانه لا يقول بحدوثهما، قال ويريد الاشياء وارادته حركة ليست غير الله ولا هى عينه. وقال فى كلام البارى تعالى انه صفة لله تعالى لا يجوز أن يقال هو مخلوق ولا غير مخلوق، وقال الأعراض لا تصلح دلالة عَلَى الله تعالى. لأن منها ما يثبت استدلالا وما يستدل به على البارى تعالى يجب أن يكون ضرورى الوجود، وقال الاستطاعة كل ما لا يكون الفعل الا به، كالآلات والجوارح والوقت وَالمكان وقال هشام بن سالم انه تعالى على صورة انسان أعلاه مجوف وأسفله مصمت، وهو نور ساطع يتلألأ وله حواس خمس، ويد ورجل وأنف وأذن وعين وفم وله وفرة سوداء[1] وهو نور أسود،

وكان من نظاريهم ثم خلط، وقال بالمنانية ونصر الثنوية ووضع لها الكتب يقوى مذهبها ويؤكد قولها، وقد نفته المعتزلة وطردته عنها وقد أخذ عنه ابن الراوندى، فألقى إليه بالالحاد وإخرجه عن عز الاعتزال إلى ذل الكفر والالحاد وكان منانيا، لا يرى قتل شيء ولا يستجيز إتلافه

وقال المسعودى له مصنفات حسان فى الامامة وغيرها وتوفى سنة سبع وأربعين ومائتين (لسان الميزان خامس ص٤١٢ الانتصار ص١٤٩ و١٥٥)

(١) الوفرة، الشعر المجتمع على الرأس، وقيل ما سال على الأذنين من الشعر والجمع وفار قال كثير

ولـكنه ليس بلحم ولا دم ، وقال هشام الاستطاعة بعض المستطيع ، وقد نقل عنه انه أجاز المعصية على الأنبياء مع قوله بعصمة(١) الأئمة ؛

كأن وفار القوم تحت رحالها   إذا حسرت عنها العمائم عنصل

وهى وفرة ثم جمة ثم لمة ، وفى حديث أبي رمثة انطلقت مع أبى نحو رسول الله صلى الله عليـه وسلم فاذا هو ذو وفرة فيها ردع من حسنها . الوفرة شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن

(١) قال أصحابنا مع أكثر الأمة إن العصمة من شروط النبوة والرسالة وليست من شروط الامامة ، وإنما يشترط فيها عدالة ظاهرة فمتى أقام فى الظاهر على موافقـة الشريعة كان أمره فى الامامة منتظما ، ومتى زاغ عن ذلك كانت الأمة عيارا عليه في العدول به من خطئه إلى صواب أو فى العدول عنه إلى غيره ، وسبيلهم معه فيها كسبيله مع خلفائه وقضاته وعماله وسعاته ، أن زاغوا عن سنته عدل بهم ، أو عدل عنهم وقالت الشيعة كلها ، بوجوب عصمة الامام فى الجمله وهم مناقضون لهذه الدعوى فى التفصيل لأنهم ثلاث فرق ، زيدية ، وإمامية ، وغلاة ، فالزيدية فرق منها الجارودية وهى تزعم أن عليا والحسن والحسين كانوا أئمة معصومين عن الخطأ والمعصيه ، فاذا سئلوا عن بيعة الحسن لمعاوية لم يمكنهم أن يقولوا إنها كانت صوابا ، لأن هذا القول يوجب تصحيح ولاية معاوية وهو عندهم ظالم كافر ولم يمكنهم أن يقولوا إنهـا كانت خطأ فيبطلوا عصمة الحسن ، والبترية من الزيدية ، تقول بامامة عثمان ست سنين ولا تكفره بالأحداث التى كانت منه بل يتوقف فيه ، فهذا إمام قد توقفوا فيه والسليمانية من الزيدية تكفر عثمان بعـد الأحداث التى نقموها منه ، فهذا إمام قد أخرجوه من العصمة والامامية كلها تدعى عصمة الامام ثم تزعم أن الامام يجوز أن ينكر إمامة نفسه فى حال التقية حتى يقول لمن يخاف منه أنى لست بالامام ، وهذا كذب قد أجازوه عليه وإن زعموا أن قوله لست بامام صدق منه فما أنكروا أن قوله أنا الامام كذب منه والكاملية من الامامية قد أكفروا عليا بقعوده عن قتال أبى بكر وعمر وزعمت الكيسانية منهم

ويفرق بينهما أن النبي يوحى اليه ، فينبه على وجه الخطأ فيتوب منه ، والامام لا يوحى اليه فيجب عصمته ، وغلا هشام بن الحكم فى حق على ، حتى قال انه إله واجب الطاعة ، وهذا هشام بن الحكم صاحب غور[1] فى الأصول لا يجوز أن يغفل عن الزاماته على المعتزلة ، فان الرجل وراء ما يلزمه على الخصم ، ودون ما يظهره من التشبيه . وذلك انه ألزم العلاف ، فقال إنك تقول البارى عالم بعلم وعلمه ذاته ، فيشارك المحدثات فى أنه عالم بعلم ، ويباينها فى أن علمه ذاته ، فيكون عالما لا كالعالمين فلم لا تقول هو جسم لا كالأجسام ، وصورة لا كالصور ، وله قدر لا كالأقدار ، إلى غير ذلك ، ووافقه زرارة بن اعين[2] فى

أن محمد بن الحنفية هو الامام المنتظر وأنه الآن محبوس فى جبل رضوى عقوبة له على خروجه إلى يزيد بن معاية وخروجه إلى عبد الملك بن مروان وكيف تصح دعوى العصمة لمن يستحق العقوبة بزعمهم ، والكلام مع غلاتهم فى عصمة الامام فضل مع قولهم بالتشبيه وبالهية الأئمة ، ثم لو اشترطت عصمة خلفائه وأعوانه ولو كان كل واحد منهم معصوما لاستغنوا عن إمام معصوم يقيم على منهج الصواب

(أصول الدين ص ٢٧٧)

(٢) غور كل شىء ، قعره ، وعمقه ، وصاحب غور ، من تعمق فى علمه . حتى وصل إلى حقيقته ، ومنه فلان بعيد الغور أى متعمق النظر وهو بحر لا يدرك غوره

(٣) زرارة بن أعين الكوفى واسمه عبد ربه ، وكان أبوه عبدا روميا تعلم القرآن فأعتقه مولاه وكان جده سنبس راهبا فى بلد الروم وكانوا إخوة ثلاثة بكير وحمران وزرارة يتشيعون ، وكان حمران أشدهم تشيعا .

قال ابن السماك : حججت ، فلقيني زرارة بالقادسية ، فقال إن لى إليك

حدوث علم الله تعالى ، وزاد عليه بحدوث قدرته وحياته وسائر صفاته وأنه لم يكن قبل خلق هذه الصفات عالماً ولا قادراً ولا حياً وَلا سميعاً ولا بصيراً ولا مريداً ولا متكلماً وكان يقول بامامة عبد الله بن جعفر فلما فاوَضه فى مسائل ، وَلم يجـده بها ملياً رجع إلى موسى بن جعفر ، وقيل أيضاً إنه لم يقل بامامته ، إلا أنه أشار إلى المصحف فقال هـذا إمامى ، وإنه كان قد التوى على جعفـر بعض الالتواء ، وحكى عن الزرارية ان المعرفة ضرورية ، وأنه لا يسع جهل الأئمة فان معارفهم كلها ضرورية وكل ما يعرفه غيرهم بالنظر فهو عندهم أولى ضروري ، ونظرياتهم لا يدركها غيرهم .

حاجة وعظمها ، فقلت ما هى فقال إذا لقيت جعفر بن محمد فأقرئه منى السلام وسله أن يخبرنى ، أنا من أهل النار ، أم من أهل الجنة فأنكرت عليه فقال لى إنه يعلم ذلك ، ولم يزل بى حتى أجبته فلما لقيت جعفر بن محمد أخبرته بالذى كان منه ، فقال هو من أهل النار فوقع فى نفسى مما قال جعفر فقلت ومن أين علمت ذلك فقال من ادعى على علم هذا فهو من أهل النار فلما رجعت لقيني زرارة فاخبرته بانه قال لي انه من أهل النار فقال : كال لك من جراب النورة فقلت وما جراب النورة ، قال عمل معك بالتقية ، وكان زرارة محدثا ، ورى عن أبى جعفر كتابا ، تتبع فيه حديثه ، ولم يره وكان يدعى إمامة الأفطح عبد الله بن محمد بن على بن الحسين هو وجماعة معه ، فقدم زرارة المدينة فلقى عبد الله فسأله فألفاه لا يدرى فرجع إلى الكوفة فساله أصحابه عنه وكان المصحف بين يديه فأشار لهم إليه وقال لهم هذا إمامى لا إمام لى غيره ، مما يدل على أنه رجع عن تشيعه ، وكان من أكبر رجال الشيعة فقها وحديثا ومعرفة بالكلام والتشيع وله تصنيفات منها كتاب الاستطاعة والجبر (لسان الميزان ثان ص ٤٧٣ فهرست الطوسى ص ٧٤ ابن النديم ص ٣٠٨)

النعمانية أصحاب محمد[1] بن على بن النعمان أبى جعفر الأحول ، الملقب بشيطان الطاق ، والشيعة تقول هو مؤمن الطاق ، وافق هشام ابن الحكم فى أن الله تعالى لا يعلم شيئاً حتى يكون والتقدير عنده الارادة ، والارادة فعله تعالى ، وقال ان الله تعالى نور على صورة إنسان ويأبى أن يكون جسما ، لكنه قال قد ورد فى الخبر (إن الله خلق آدم على صورته ، وعلى صورة الرحمن) فلا بد من تصديق الخبر ، ويحكى عن مقاتل بن سليمان عن مقالته فى الصورة وكذلك يحكى عن داود الجوارى ، ونعيم[2] بن حماد المصرى وغيرهما من أصحاب الحديث انه

---

(١) محمد بن على بن النعمان البجلى الكوفى الملقب بشيطان الطاق نسب إلى سوق فى طاق المحامل بالكوفة كان يجلس للصرف بها ، ولما بلغ هشام بن الحكم شيخ الرافضة أنهم لقبوه شيطان الطاق سماه هو ، مؤمن الطاق ، ودرجت على ذلك الشيعة ؛ وكان حسن الاعتقاد والهدى حاذقا فى صناعة الكلام سريع الحاضر والجواب وله مع أبى حنيفة مناظرات منها لما مات جعفر الصادق قال أبو حنيفة له قد مات أمامك قال : لكن إمامك لا يموت إلى يوم القيامة ، يعني إبليس ، وهو من أصحاب جعفر وقد لقى زيد بن زين العابدين ، وناظره على إمامة أبى عبد الله ، ولقي زين العابدين ، وكان شاعرا ، وكان جعفر يقدمه فى الشعر على غيره ، إلا أنه اشتغل بالكلام عن الشعر . وله كتب منها كتاب الامامة وكتاب المعرفة وغيرهما (لسان الميزان خامس ص ٣٠٠ تكملة ابن النديم ص ٨ فهرست الطوسي ص ١٣١)

(٢) نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعى أبو عبد الله المروزى الفارض سكن مصر ، ويقال إنه أول من جمع المسند وكان كاتبا لأبى عصمة ، وهو شديد الرد على الجهمية وأهل الاهواء ، ومنه تعلم نعيم وهو من الثقات وكان ذا ديانة وأمانة رجاعا إلى الحق ، وجمع كتبا فى الرد على

تعالى ذو صورة وأعضاء ، ويحكى عن داود أنه قال اعفونى عن الفرج واللحية واسألونى عما وراء ذلك ، فان فى الأخبار مايثبت ذلك ، وقد صنف ابن النعمان كتباً جمة للشيعة منها افعل لم فعلت ومنها افعل لاتفعل[١] ، وَيذكر فيها أن كبار الفرق أربعة القدرية والخوارج والعامة والشيعة ثم عين الشيعة بالنجاة فى الآخرة من هذه الفرق .

وذكر عن هشام بن سالم[٢] ومحمد بن النعمان[٣] أنهما أمسكا عن

محمد بن الحسن وشيخه وكتبا فى الرد على الجهمية وكان من أعلم الناس بالفرائض . وكان النسائى يذكر فضله ، وتقدمه فى العلم والمعرفة ، ولكن كثر تفرده عن الأئمة المعروفين بأحاديث كثيرة ، فصار فى حد من لا يحتج به وقيل إنه كان يضع الحديث فى تقوية السنة وحكايات فى ثلب أبى حنيفة كلها كذب وذلك لصلابته فى أهل الرأى ، وقد طلب الحديث كثيرا بالعراق والحجاز ثم نزل مصر فلم يزل بها حتى أشخص منها فى خلافة المعتصم وسئل فى محنة القرآن فابى أن يجيب . فحبس ، ومات فى حبسه سنة ثمان وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب عاشر ص ٤٥٨)

(١) منها كتاب الرد على المعتزلة فى إمامة المفضول ، وكتاب الجمل فى أمر طلحة والزبير ، وكتاب إثبات الوصية (فهرست الطوسى ص ١٣٢)

(٢) أبو محمد ، وأبو الحكم هشام بن سالم الجواليقى الجعفى العلاف ، مولى بشر بن مروان ، كان من سبي الجوزجان ، ومن أصحاب جعفر الصادق وموسى الكاظم ، وله أصل ، روى عن الامامين أبى عبدالله ، وأبى الحسن وهو ثقة ، ووردت فيه روايات كثيرة ، فى مدحه وذمه . (فهرست الطوسى ص ١٧٤ فرق الشيعة ص ٧٨ و ١٣٦)

(٣) أبو جعفر محمد بن على بن النعمان . وقيل محمد بن جعفر ، البجلى مولاهم الأحول . الكوفى ، وكان دكانه فى طاق المحامل بالكوفة فيرجع

الكلام فى الله ورويا عمن يوجبان تصديقه، انه سئل عن قول الله وان إلى ربك المنتهى ، قال إذا بلغ الكلام إلى الله فأمسكوا فأمسكا عن القول فى الله وَالتفكر فيه ، حتى ماتا ، هكذا نقل الوراق ، ومن جملة الشيعة (اليونسية) أصحاب يونس[1] بن عبد الرحمن القمى مولى آل

إليه فى النقد فيرد ردا يخرج كما يقول . ويلقب عند الشيعة مؤمن الطاق ويلقبه المخالفون بشيطان الطاق . ذكره ابن حزم فى غلاة الرافضة ، ويروى عن على بن الحسين ، والباقر ، والصادق ، وكان من أصحاب جعفر الصادق . وكان ثقة متكلما حاذقا حاضرا الجواب . وله مع أبى حنيفة حكايات كثيرة ، منها انه لما مات الامام جعفر الصادق ، قال له أبو حنيفة مات أمامك قال لكن امامك ، لايموت إلى يوم القيامة يعنى الشيطان ، وقال له يوما يا أبا جعفر تقول بالرجعة فقال له نعم ، فقال له أقرضنى من كيسك هذا خمسمائة دينار فاذا عدت أنا وأنت رددتها اليك فقال له فى الحال أريد ضمينا يضمن لى انك تعود انسانا فانى أخاف أن تعود قردا فلا اتمكن من استرجاع ما أخذت منى وله كتب منها كتاب الامامة وكتاب المعرفة ، وكتاب الرد على المعتزلة فى أمامة المفضول وغيرها (فهرست الطوسى ص ١٣١ تكملة فهرست ابن النديم ص ٨ لسان الميزان خامس ص ١٠٨)

(٣) أبو محمد يونس بن عبد الرحمن القمى مولى آل يقطين ، كان وجيها فى الشيعة ، متقدما عظيم المنزلة عندهم ولد أيام هشام بن عبد الملك ، ورأى جعفر بن محمد ، بين الصفا والمروه ولم يرو عنه . وروى عن أبى الحسن موسى ، والرضا ، وكان الرضا يشير اليه فى العلم والفتيا . قال عبد العزيز بن المهتدى ، وكان وكيل الرضا سألت الرضا فقلت أنى لا ألقاك فى كل وقت فعمن آخذ معالم دينى قال خذ عن يونس بن عبد الرحمن ، وله كتب كثيرة أكثر من ثلاثين كتابا منها كتاب جامع الاثار وكتاب الشرائع وكتاب العلل وغيرها وكان فى الامامية على مذهب القطعية الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر ، وقد أفرط يونس هذا فى باب التشبيه ، فزعم أن

يقطين ، زعم أن الملائكة تحمل العرش ، والعرش يحمل الرب تعالى إذ قد ورد فى الخبر إن الملائكة تئط أحيانا من وطأة عظمة الله تعالى على العرش[1] ، وهو من مشبهة الشيعة ، وقد صنف لهم كتبا فى ذلك .

النصيرية[2] والاسحاقية[3]

من غلاة الشيعة ، ولهم جماعة ينصرون مذهبهم وينوبون عن

الله عز وجل يحمله حملة عرشه ، وهو أقوى منهم كما أن الكرسى يحمله رجلاه وهو أقوى من رجليه ، واستدل على أنه محمول بقوله ويحمل عرش ربك فوقهم ثمانية ، وقال أصحابنا الآية دالة على أن العرش هو المحمول دون الرب تعالى ، وتوفى سنة ٢٠٨ (فهرست الطوسى ص ١٨١ الفرق بين الفرق ص ٥٢)

(١) هذا مثل وايذان بعجز الملائكة عن حمله ، وفيه أشعار بعظمة العرش بله أنه كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله عز وجل ، وجلاله

(٢) النصيرية ، ويقال لها النميرية ، أحدثها محمد بن نصير النميرى ، وهو من اتباع الشريعى الذي زعم ، أن الله تعالى حل فى خمسة أشخاص ، وهم النبي وعلى وفاطمة والحسن والحسين ، وزعموا أن هؤلاء الخمسة آلهة ولها اضداد خمسة ، ثم ادعي الشريعى ان الاله حل فيه ، أما النميرى واتباعه من النصيرية فانهم ذهبوا إلى أن الله حل فى على ، ثم ادعي فى نفسه أن الله تعالى حل فيه ، وكان النميرى من أصحاب الحسن العسكرى ، وادعى النبوة ، ثم ادعى الربوبية وقال باباحة المحارم (الفرق بين الفرق ص ٢٣٩ شرح بن أبى الحديد ثان ص ٣٠٩ تعريفات ص ١٦٣)

(٣) الاسحاقية ، وهى التى أحدثها اسحاق بن زيد بن الحرث وكان من أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب وكان

أصحاب مقالاتهم ، وبينهم خلاف فى كيفية اطلاق اسم الإلهية على الأئمة من أهل البيت ، قالوا ظهور الروحانى بالجسد الجسمانى أمر لا ينكره عاقل أما فى جانب الخير كظهور جبريل عليه السلام ببعض الأشخاص والتصور بصورة اعرابى ، والتمثل بصورة البشر ، وَأما فى جانب الشر كظهور الشيطان بصورة الانسان ، حتى يعمل الشر بصورته ، وظهور الجن بصورة بشر ، حتى يتكلم بلسانه ، فلذلك نقول إن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص ، ولما لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم شخص أفضل من على عليه السلام ، وبعده أولاده المخصوصون ، هم خير البرية ، فظهر الحق بصورتهم ، ونطق بلسانهم ، وأخذ بأيديهم فمن هذا أطلقنا اسم الالهية عليهم ، وإنما أثبتنا هذا الاختصاص لعلى دون غيره ، لأنه كان مخصوصا بتأييد من عند الله تعالى ، مما يتعلق بباطن الأسرار ، قال النبي صلى الله عليه وسلم (أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر) وعن هذا كان قتال المشركين إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقتال المنافقين إلى على ، وعن هذا شبهه بعيسى بن مريم ، وقال لولا أن يقول الناس فيك ما قالوا فى عيسى بن مريم ، وإلا لقلت فيك مقالا ، وربما أثبتوا له شركة فى الرسالة ، إذ قال فيكم من يقاتل عَلَى تأويله كما قاتلت على تنزيله ، ألا وهو خاصف النعل فعلم التأويل .

يقول بالاباحة واسقاط التكليف ويثبت لعلي شركة مع رسول الله ﷺ ، ثم صارت الاسحاقية ، مثل النصيرية ، فقالوا أن الله حل فى على (ابن أبى الحديد ثان ص ٣٠٩ تعريفات ص ١٧)

وقتال المنافقين ، ومكالمة الجن ، وقلع باب خيبر لا بقوة جسدانيـة من أدل الدليل على أن فيه جزءاً الهيا . وقوة ربانية ، أو يكون هو الذى ظهر الاله بصورته ، وخلق بيده . وأمر بلسانه . وعن هذا قالوا كان هو موجوداً قبل خلق السموات والأرض ، قال كنا أظلة على يمين العرش فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا . فتلك الظلال وتلك الصور العرية عن الاظلال هى حقيقية وهى مشرقة بنور الرب تعالى إشراقا لا ينفصل عنها سواء كانت فى هذا العالم أو فى ذلك العالم ، وعن هذا قال على أنا من أحمد كالضوء من الضوء ، يعنى لا فرق بين النورين . إلا أن أحدهما أسبق ، والثانى لا حق به ، تال له ، وهـذا يدل على نوع شركة ، فالنصيرية أميل إلى تقـرير الجزء الالهى والإسحاقية أميل إلى تقرير الشركة فى النبوة ، ولهم اختلافات أخر ، لم نذكرها وقد نجزت الفرق الإسلامية ، وما بقيت إلا فرقة الباطنية ، وقد أوردهم أصحاب التصانيف فى كتب المقالات ، إما خارجة عن الفرق ، وإما داخلة فيها وبالجملة هم قوم يخالفون اثنتين وسبعين فرقة .

رجال الشيعة ومصنفو كتبهم من الزيدية

أبو خالد[١] الواسطي ، ومنصور[٢] بن أبى الأسود ، وهارون[٣] ابن سعـــد العجلى ، ووكيع[٤] بن الجراح

(١) أبو خالد بن عمرو بن خالد الواسطى من مشايخ الشيعة ، ومتكلمى الزيدية ، وهو ممن روى الفقه عن أئمتهم ، وله كتاب فى الفقه وأصوله (فهرست ابن النديم ص ٢٥٣ ص ٣٠٨)

(٢) منصور بن أبى الاسود الليثي الكوفى ، يقال اسم أبيه حازم ، كان من الشيعة الكبار ، وهو ثقة ، يكتب حديثه ، وكان تاجرا كثير الحديث ذكره ابن حبان فى الثقات وذكره ابن سعد فى الطبقة السادسة ، وهو من متكلمى الزيدية ، (تهذيب التهذيب عاشر ص ٣٠٥ وفهرست ابن النديم ص ٣٥٢)

(٣) هرون بن سعد العجلى ويقال الجعفى ، الكوفى الأعور ، صالح ، ليس به بأس ، وكان قد خرج مع ابراهيم بن عبد الله بن حسن ، فلما هرب ابراهيم هرب الي واسط فكتب عنه بها ، ذكره ابن حبان فى الضعفاء فقال كان غاليا فى الرفض لاتحل الرواية عنه بحال وعن ابن معين كان من غلاة الشيعة وعن ابن قتيبة ، انه أنشد له شعرا يدل على نزوعه عن الرفض (تهذيب التهذيب حادي عشر ص ٦)

(٤) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى ، ابو سفيان الكوفى الحافظ قال ابن حنبل ما رأيت أوعى للعلم من وكيع ولا أحفظ منه كان مطبوع الحفظ. وقيل لاحمدان أبا قتادة يتكلم فى وكيع قال من كذب بأهل الصدق فهو الكذاب وكان وكيع صديقا لحفص بن غياث فلما ولى القضاء هجره وقد عرض على وكيع القضاء فامتنع منه وقال أحمد ما رأيت مثل وكيع فى الحفظ والاسناد والأبواب مع خشوع وورع ، يذاكر بالفقه فيحسن ولا يتكلم فى أحد ، أكبر فى القلب وأمام المسلمين فى وقته ، كان يقوم

ويحيى [١] بن آدم ، وعبد الله [٢] بن موسى ، وعلى [٣] بن صالح ،

الليل ويسرد الصوم ويفتى بقول أبي حنيفة . قال يحيى بن معين ، رأيت عند مروان بن معاوية لوحا مكتوب فيه اسماء شيوخ فلان كذا وفلان كذا ووكيع رافضى قال يحيى فقلت له وكيع خير منك قال منى قلت نعم فسكت وقدم وكيع مكة فانجفل الناس اليه وحج فى تلك السنة غير واحد من العلماء ، قال على ابن خشرم رأيت وكيعا وما رأيت بيده كتابا قط انما هو يحفظ فسأله عن دواء الحفظ فقال ترك المعاصى ، وكان يؤتى بطعامه ولباسه ولا يسال عن شيء ولا يطلب شيئا قدم مكة فقال له فضيل ما هذا السمن وأنت راهب العراق فقال له وكيع هذا من فرحى بالاسلام حج سنة ست وتسعين ومائة ومات بفيد منصرفا من الحج سنة سبع وتسعين ومائة (تهذيب التهذيب حادى عشر ص ١٢٠)

(١) يحيى بن آدم بن سليمان الأموى مولى آل أبي معيط ؛ أبو زكريا الكوفى كان يتفقه وهو ثقة كثير الحديث فقيه البدن ، وكان جامعا للعلم عاقلا ثبتا في الحديث وكان على بن المدينى يقول يرحم الله تعالى يحيى ابن آدم أى علم كان عنده وجعل يطريه توفى سنة ثلاث ومائتين (تهذيب التهذيب حادى عشر ص ١٧٥)

(٢) عبيد الله بن موسى بن أبى المختار ، واسمه باذام العبسى مولاهم الكوفى صدوق ثقة ، حسن الحديث كان عالما بالقرآن رأسا فيه ، ما رؤى رافعا رأسه ، ولا ضاحكا قط ، وكان حسن الهيئة وكان يتشيع ، ويروى أحاديث فى التشيع منكره ، وضعف بذلك عند كثير من الناس ، قال الساجى صدوق كان يفرط فى التشيع ، وقال الجوزجانى عبيد الله بن موسى أغلى وأسوأ مذهبا وأروى للعجائب توفى سنة ٢١٣ (تهذيب التهذيب سابع ص ٥٠)

(٣) على بن صالح بن صالح بن حى الهمدانى أبو محمد ، ويقال أبو الحسن الكوفى ، أخو الحسن بن صالح وهما توءمان وكان من عباد الكوفة وفقهائها وكان وأخوه يتشيعان وكان صاحب قرآن وكان ثقة

والفضل[١] بن دكين من الجارودية ، وأبو حنيفة من البترية ، وخرج محمد بن عجلان[٢] مع محمد الامام ، وخرج ابراهيم[٣] بن عباد بن عوام ويزيد[٤] بن هارون

ان شاء الله قليل الحديث ، قال الحسن لما حضر أخى رفع بصره ثم قال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الى آخر الآية ، مات سنة أربع وخمسين ومائة (تهذيب التهذيب سابع ص ٣٣٢ شذرات أول ص ٢٦٣)

(١) الفضل بن دكين وهو لقب ، واسمه عمرو بن حماد ، التيمى أبو نعيم الملائى الكوفى الاحول ، روى عنه ابن المبارك وابن حنبل ، قال أبو نعيم كتبت عن نيف ومائة شيخ ممن كتب عنه سفيان ، وقال قال لى سفيان مرة وسألته عن شىء ، أنت لا تبصر النجوم بالنهار فقلت وأنت لا تبصرها كلها بالليل فضحك ، وكان ابو نعيم ثقة ثبتا ، كيسا يتحرى الصدق ، قال ابن حنبل إذا مات أبو نعيم صار كتابه اماما ، إذا اختلف الناس فى شىء فزعوا اليه ، وكان عالما بانساب العرب ، وكان مزاحا ذا دعابة مع تدينه وثقته وأمانته ، توفى سنة ثمانى عشرة ومائتين (تهذيب التهذيب ثامن ص ٢٧٠)

(٢) محمد بن عجلان المدنى القرشي ، أبو عبد الله أحد العلماء العاملين كان عابدا ناسكا ، صادقا قدم مصر ، وصار الى الاسكندرية ، فتزوج بها امرأة ، ثم رجع إلى المدينة قال ابن سعد كان ناسكا فقيها وكانت له حلقة فى المسجد وكان يفتى ، مات سنة ثمان وأربعين ومائة (تهذيب التهذيب تاسع ص ٣٤١)

(٣) فى ابن الاثير ، الذى أجاب ابراهيم ، منهم عباد بن العوام ، وجماعة من الفقهاء وأهل العلم (ابن الاثير خامس ص ٢٢٧)

(٤) يزيد بن هرون بن وادى ويقال زاذان بن ثابت السلمى مولاهم أبو خالد الواسطى أحد الاعلام الحفاظ المشاهير أصله من بخاري كان حافظا صحيح الحديث كثير العبادة وكان هو وهشيم معروفين بطول الصلاة ومن خيار عباد الله وكان له فقه وفطنة وذكاء وقد كف بصره

والعلا[١] بن (رزين) وهشيم[٢] بن بشير ، والعوام[٣] بن حوشب ، (ومستلم)[٤] بن سعيد ، مع ابراهيم الامام من الامامية ، وسائر أصناف

فى آخر عمره قيل له ما فعلت تلك العينان الجميلتان قال ذهب بهما بكاء الاسحار وكان من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر توفى سنة ٢٠٦ (تهذيب التهذيب حادى عشر ص ٣٦٦)

(١) العلاء بن رزين القلا الثقفي كان يقلى السويق ، ثقة جليل القدر وله كتاب من أربع نسخ ، روى بروايات مختلفة ، وكان أكثر روايةمن صفوان بن يحيى (فهرست الطوسى ص ١١٢)

(٢) هشيم بن بشير السلمى أبو معاوية بن أبي خازم الواسطي قيل انه بخارى الأصل ، كان ثقة حافظا ، قيل له كم تحفظ. قال كنت أحفظ. فى اليوم مائة ولوسئلت عنها بعد شهر لاجبت وكان رابع أربعة هم حفاظ الحديث فى زمنهم . وكان هو شيخهم يحفظ. الاحاديث المقطوعة حفظا عجيبا وكان يحدث بالمعنى . وكان كثير التسبيح صالحا صادقا أمينا توفى سنة ثلاث وثمانين ومائة (تهذيب التهذيب حادى عشر ص ٥٩)

(٣) العوام بن حوشب بن يزيد الشيبانى الربعى أبو عيسى الواسطى أسلم جده على يد على فوهب له جارية فولدت له حوشب وقد روى العوام عن سلمة بن كهيل قال العجلي شيباني من أنفسهم ، ثقة صاحب سنة ثبت صالح وكان أبوه صاحب شرطة الحجاج وكان العوام صاحب أمر بالمعروف ونهى عن المنكر قال هشيم ما رأيت أقول بالحق من العوام وقد توفى سنة ثمان وأربعين ومائة (تهذيب التهذيب ثامن ص ١٦٣)

(٤) مستلم بن سعيد الثقفى الواسطي العابد شيخ ثقة من أهل واسط قليل الحديث قال يزيد بن هرون كان مستلم عندنا هاهنا بواسط وكان لا يشرب الا فى كل جمعة ومكث أربعين سنة لا يضع جنبه على الأرض وقد ذكره ابن حبان فى الثقات ولما مات قال أصبغ بن زيد لو كان هذا فى بنى اسرائيل لاتخذوه حبرا (تهذيب التهذيب عاشر ص ١٠٤)

الشيعة ، سالم(١) بن أبي الجعد ، وسالم(٢) بن أبي حفصة ، وسلمة(٣)

(١) سالم بن أبي الجعد رافع الاشجعى مولاهم الكوفى ثقة تابعى كثير الحديث قال ابراهيم الحربى ، مجمع على ثقته توفى سنة مائة (تهذيب التهذيب ثالث ص ٤٣٢)

(٢) سالم بن أبي حفصه العجلى أبو يونس الكوفى قال ابن حنبل كان شيعيا ما أظن به بأسا فى الحديث وهو قليل الحديث وقال أبو حاتم هو من عتق الشيعة يكتب حديثه ولا يحتج به قال له عمر بن ذر أنت قتلت عثمان فجزع وقال انا قال نعم أنت ترضى بقتله وقال سعيد بن منصور قلت لابن ادريس رأيت سالم بن أبي حفصه قال نعم رأيته طويل اللحية أحمقا وهو يقول لبيك لبيك قاتل نعثل لبيك لبيك مهلك بنى أمية وقيل انه كان من رءوس من ينتقص أبابكر وعمر وقال ابن عدى له أحاديث وعامة مايرويه فى فضائل أهل البيت وهو من الغالين فى متشيعى أهل الكوفة وانما عيب عليه الغلو فيه وأما أحاديثه فارجو أنه لابأس به وقال الجوزجانى زائغ وبالغ فيه كعادته فى أمثاله وتوفى قريبا من سنة أربعين ومائة (تهذيب التهذيب ثالث ص ٤٣٣)

(٣) سلمة بن كهيل الحضرمى التنعى ، أبو يحيى الكوفى ، تابعى ثقة ، ثبت فى الحديث ، وكان فيه تشيع قليل ، وهو ذكي متقن ، كثيرالحديث قال سفيان ، الثورى حدثنا سلمة بن كهيل وكان ركنا من الاركان وشد قبضته ، ولما قدم شعبة البصرة قالوا له حدثنا عن ثقات أصحابك ، فقال أن حدثتكم عن ثقات أصحابى فانما أحدثكم عن نفر يسير من هذه الشيعة ، الحكم بن عتيبة ، وسلمة بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت ومنصور ، واتى سلمة ، زيد بن على بن الحسين لما خرج فنهاه عن الخروج وحذره من غدر أهل الكوفة فأبى ، فقال له أفتأذن لى أن أخرج من البلد فقال لم قال لاآمن أن يحدث لك حدث فلا آمن على نفسى فاذن له فخرج إلى اليمامة ، توفى سلمة سنة احدي وعشرين ومائة (تهذيب التهذيب رابع ص ١٥٥)

ابن (كهيل)، وثوير[١] بن أبي فاختـة، وحبيب[٢] بن أبي ثابت، (و)أبو المقدام[٣]، وشعبة[٤]

---

(١) ثوير بن أبي فاختة سعيد بن علاقة الهاشمي ابو الجهم الكوفي . مولى أم هانيء وقيل مولى زوجها جعدة ، كان رافضيا ، ضعفه جماعة وأثر الضعف على رواياته بين ، وهو الي ، الضعف أقرب منه إلي غيره ، وروى عنه الاعمش والثوري ، وقال الجوزجاني انه ليس بثقه وقال الحاكم في المستدرك لم ينقم عليه الا التشيعه (تهذيب التهذيب ثاني ص ٣٦)

(٢) حبيب بن أبي ثابت ، قيس بن دينار ، ويقال قيس بن هند ، وقيل ان اسم أبي ثابت هند الأسدي مولاهم أبو يحيى الكوفي قال أبو بكر بن عياش كان هؤلاء الثلاثة أصحاب الفتيا ، حبيب بن أبي ثابت ، والحكم وحماد ، وقال العجلي كوفي تابعي ثقة . ثبت في الحديث ، توفي سنة تسع عشر ومائة (تهذيب التهذيب ثاني ص ١٧٨)

(٣) هشام بن زياد ابن أبي زيد القرشي أبو المقدام البصري ، أخذ عنه وكيع ، وابن المبارك قال عنه ابن معين ضعيف ليس بثقة وقال البخاري كانوا يتكلمون فيه ، وقد ترك ابن المبارك حديثه . وقد ضعفه أحمد ، وقال أبو داود غير ثقة . وقال يعقوب بن سفيان ضعيف لا يفرح بحديثه (تهذيب التهذيب حادى عشر ص ٣٨ وميزان الاعتدال ثالث ص ٢٥٣)

(٤) شعبه بن الحجاج العتكي الازدي ، مولاهم أبو بسطام الواسطي ثم البصري . قال الثوري ، لم يكن في زمن شعبة مثله في الحديث ولا أحسن حديثا منه ، قسم له من هذا حظ وروى عن ثلاثين رجلا من أهل الكوفة لم يرو عنهم سفيان ، وكان الثوري يقول شعبة أمير المؤمنين في الحديث ، وقال لسلم بن قتيبة مافعل استاذنا شعبه ، وقال الشافعي لولا شعبه ما عرف الحديث بالعراق ، وكان اعبدالله ، ماروئي في زمنه اعبد منه ولقد عبد الله حتى جف جلده على ظهره ، قال قراد أبو نوح ، رأى شعبة على قميصا فقال بكم أخذت هـذا قلت بثمانية دراهم قال لي ويحك أما تتقي الله تلبس قميصا بثمانية ، ألا اشتريت قميصا باربعة وتصدقت باربعة قلت أنا مع قوم تتجمل

والأعمش[(١)]، وجابر الجعفى[(٢)]،

لهم قال ايش تتجمل لهم وكان أعلم بالرجال وأول من تكلم فى الرجال وكان من سادات أهل زمانه حفظا واتقانا وورعا وفضلا وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين وجانب الضعفاء والمتروكين وصار علما يقتدى به وتبعه عليه بعده أهل العراق وكان صاحب نحو وشعر وكان يقول تعلموا العربية فانها تزيد فى العقل، توفى سنة ستين ومائه (تهذيب التهذيب رابع ض ٣٣٨)

(١) سليمان بن مهران الأسدى الكاهلى مولاهم، أبو محمد الكوفى الأعمش، يقال أصله من طبرستان وولد بالكوفة. قال هشيم، ما رأيت بالكوفة أحد اقرأ لكتاب الله منه، وكان جرير إذا حدث عن الأعمش قال هذا الديباج الخسرواني. وقال العجلي كان ثقة ثبتا فى الحديث وكان محدث أهل الكوفة في زمانه ولم يكن له كتاب وكان رأسا فى القرآن. عالما بالفرائض وكان لايلحن حرفا، وكان فيه تشيع، وكان من النساك، وهو علامة الاسلام، وكان ورعا مجانبا للسلطان، مات سنة خمسة وأربعين ومائة (تهذيب التهذيب رابع ص ٢٢٢).

(٢) جابر بن يزيد الجعفى أبو عبد الله ويقال أبو يزيد الكوفى، قال شعبة، كان جابر إذا قال حدثنا وسمعت فهو من أوثق الناس وقيل انه كان يؤمن بالرجعة، وتكلموا فيه، وعامة ما قذفوه به انه كان يؤمن بالرجعه وهو مع هذا الى الضعف أقرب منه إلى الصدق، وكان صاحب نيرنجات وشبه قال عثمان ابن أبى شيبه حدثنى أبى عن جدى قال كنت آتيه فى وقت ليس فيه فاكهة ولا قثاء. ولا خيار فيذهب، فيجىء بقثاء وخيار فيقول كل فوالله ما زرعته، وكان رافضيا: يشتم أصحاب النبى ﷺ توفى سنة ثمان وعشرين ومائة (تهذيب التهذيب ثان ص ٤٦).

وأبو عبـد الله الجدلى [١] ، وأبو اسحق السبيعى [٢] ، والمغـيرة [٣] ، وطاووس [٤] .

---

(١) أبو عبـد الله الجدلي الـكوفى اسمه عبد بن عبد وقيل عبد الرحمن ابن عبد تابعى . ثقة ، كان شـديد التشيع ويزعمون أنه كان على شرطة المختار فوجهـه إلى ابن الزبير فى ثمانمائة من أهل الـكوفة ليمنعوا محمد بن الحنفية مما أراد به ابن الزبير ، وكان المختار يستخلفه ، وخرج على رأس جيش إلى مكة ، فاخرج محمد بن الحنفية من محبسه , و كفهم محمد عن القتال فى الحرم (تهذيب التهذيب ١٢ ص ١٤٨)

(٢) عمرو بن عبـد الله بن عبيـد ويقال على ويقال ابن ابى شعيرة أبو اسحاق السبيعى الـكوفى ، تابعى ثقة ، من أثبت النـاس ، قال رجل لشعبه سمع ابو اسحاق من مجاهد قال ما كان يصنع بمجاهد كان هو أحسن حديثا من مجاهد والحسن وابن سيرين . قال الأعمش كان أصحاب عبد الله إذا رأوا أبا اسحاق قالوا هذا عمرو القارى وقال له عون بن عبد الله مابقي منك قال أصلى بالبقرة فى ركعة قال ذهب شرك وبقى خيرك ، وكان من متشيعى الـكوفة ومحدثيهم ، ولما ولى يوسف بن عمر الـكوفة اخرج بنو أبى اسحاق ابا اسحاق على برذون ليأخذ صلة يوسف فاخذت وهو راكب، ومات سنة ستة وعشرين ومائة (تهذيب التهذيب ثامن ص ٦٣)

(٣) المغـيرة ، بن سعيد البجلى أبو عبد الله الـكوفى الرافضي الـكذاب سبقت ترجمته .

(٤) طاوس بن كيسان اليمانى ، ابو عبد الرحمن الحميرى الجندى من أبناء الفرس ، أحد الأعلام التابعين ، قال ابن عباس انى لأظن طاوسا من أهل الجنة وكان من عباد أهل اليمن ومن سادات التابعين ، وكان قد حج أربعين حجة وكان مستجاب الدعوة قال عمرو بن دينار ما رأيت احدا أعف عما فى أيدى الناس من طاوس ، وقال ابن عيينة متجنبو السلطان ثلاثة ابو ذر فى زمانه وطاوس فى زمانه والثورى فى زمانه مات نيف ومائة (تهذيب التهذيب خامس ص ٨)

وَالشعبي[١] ، وعلقمة[٢] ، وهبيرة بن بريم[٣] ، وحبـة العرني[٤] ،

(١) عامر بن شراحيل بن عبد وقيـل عامر بن عبـد الله بن شراحيل الشعبي الحميرى ابو عمر الـكوفى من شعب همذان ، كان كثير العلم عظيم الحلم قديم السلم من الاسـلام بمكان ، مر ابن عمر على الشعبي وهو يحدث بالمغازى فقال لقد شهدت القوم فلهو احفظ لها واعلم بها وكان الشعبي يقول ماكتبت سوداء فى بيضاء . ولا حدثنى رجل بحديث الا حفظته ولا حدثنى رجل بحديث ، فاحببت ان يعيده على ، وقد قضى لعمر بن عبد العزيز وكان فقيها شاعرا على دعاية فيه ، قال الطبرى فى طبقات الفقهاء كان ذا أدب وفقه وعلم وكان يقول ما حلات حبوتى إلى شيء مما ينظر الناس اليه ولا ضربت مملوكا لي قط وما مات ذو قرابة لي وعليه دين الا قضيته عنه ، توفى سنة ١٠٩ (تهذيب التهذيب خامس ص ٦٥)

(٢) علقمة بن قيس النخعى الكوفى ، ولد فى حيـاة رسول الله ﷺ وكان ثقة من أهل الخف ، وكان أشبه الناس هديا وسمتا ودلا بابن مسعود وكان من أصحاب عبد الله الذين يقرئون الناس ويعلمونهم السنة ويصـدر الناس عن رايهم قال مرة الهمذانى كان علقمة من الربانيين وقال عبد الله ما اقرا شيئا ولا اعلمه الا علقمة يقرؤه ويعلمه وكان ناس من اصحـاب رسول الله ﷺ يسألون علقمة ويستفتونه وكان من الخمسة الذين يقدمهم اهل الـكوفة ، وكان ثالثهم ، وقد شهد صفين ، توفى سـنة اثنتين وستين (تهذيب التهذيب سابع ص ٢٧٦)

(٣) هبـيرة بن بريم الشيبانى ، ويقال الخارفى ، ابو الحرث الـكوفى ، قال احمد لا بأس بحديثه هو احسن استقامة من غيره ، وكان خال العالية زوجة ابى اسحاق السبيعى ، وكان مختاريا ، توفى سنة ست وستين (تهذيب التهذيب حادى عشر ص ٢٣)

(٤) حبـة بن جوين العرنى البجلى ، ابو قدامة الكوفى ، قال سلمة ابن كهيل ما رايتـه قط الا يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله ، والله اكبر الا ان يصلى ، او يحدثنا ، كان يتشيع ، وليس هو بمتروك ،

والحارث[1] الأعور .

ومن مؤلفي كتبهم هشام[2] بن الحكم ، وعلى بن منصور[3] ،

ولا ثبت ، وكان غاليا في التشيع واهيا في الحديث ، توفي سنة ست وسبعين (تهذيب التهذيب ثان ص ١٧٦)

(١) الحارث بن عبد الله الاعور الهمذانى الخارفى ، ابو زهير الكوفى ويقال ، الحارث بن عبيد الحوتى وحوت بطن من همدان ، كان زيفا كذابا ، لا يحتج بحديثه ، وكان الشعبى يختلف اليه ليتعلم منه الحساب إذ كان أحسب الناس ، قال ابن أبي داود كان الحرث أفقه الناس وأحسب الناس ، وأفرض الناس ، تعلم الفرائض من على ، وكان غاليا فى التشيع واهيا فى الحديث وقيل ان المحدثين يقبلون على حديثه وما نقموا عليه إلا افراطه فى حب على ، توفى سنة خمس وستين (تهذيب التهذيب ثان ص ١٤٥)

(٢) هشام بن الحكم كان من خواص موسى بن جعفر وكانت له مباحث كثيرة مع المخالفين فى الاصول وغيرها وكان له أصل وله من المصنفات كتب كثيرة منها كتاب الامامة وكتاب الرد على الزنادقة وكتاب الرد على أصحاب الاثنين وكتاب فى الحكمين وكتاب الرد على أرسطو وغيرها وكان كوفيا ثم تحول إلى بغداد ولقي جعفر بن محمد وابنه موسى وله عنهما روايات كثيرة ولهما فيه مدائح جليلة وكان ممن فتق الكلام فى الامامة وهذب المذهب فى النظر وكان حاذقا بصناعة الكلام حاضر الجواب وكان منقطعا الى يحيى بن خالد البرمكى وكان القيم بمجالس كلامه ونظره توفي بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة مستترا وقيل بل فى خلافة المأمون (فهرست الطوسى ص ١٧٤)

(٣) على بن منصور ، من مشايخ الرافضة ومتكلميهم ، وهو امامى المذهب ، ومن نظار الشيعة ومن أصحاب هشام بن الحكم (الانتصار ص ٦ و ١٧٨)

ويونس بن عبد الرحمن ، وشكال[١] ، والفضل بن شاذان[٢] ، والحسين بن ابراهيم الملقب[٣] اشكاب ، ومحمد[٤] بن عبد الرحمن ابن قبة ، وأبو سهل النوبختى[٥] ،

---

(١) الشكال ، صاحب هشام بن الحكم وخالفه فى الاشياء الا فى أصل الامامة وله من الكتب كتاب المعرفة وكتاب الاستطاعة وكتاب الامامة وغيرها (فهرست ابن النديم ص ٢٥٠)

(٢) الفضل بن شاذان النيسابورى ، فقيه متكلم جليل القدر له كتب ومصنفات منها كتاب الفرائض الكبير ، وكتاب الفرائض الصغير وكتاب الايمان وكتاب الرد على الدامغة الثنويه وكتاب فى اثبات الرجعة وكتاب الرد على الغلاة وكتاب مسائل البلدان وغير ذلك من المصنفات الكثيرة توفى سنة ٢٦٠ (فهرست الطوسى ض ١٢٤)

(٣) الحسين بن ابراهيم ابن الحر بن زعلان العامرى أبو على البغدادى الملقب باشكاب ، وهو والد محمد وعلى ابنى أشكاب وهو من أبناء أهل خراسان من أهل نسا ، وكان أبوه ممن خرج فى دعوة أبى العباس مع أسد بن عبد الرحمن الذى ظهر بنسا . وقد نشأ الحسين ببغداد وطلب الحديث ولزم أبا يوسف القاضى فاتصل بالوالى ثم بعد عنهم فلم يدخل فى شىء من القضاء ولا غيره ولم يزل ببغداد يقرىء الحديث والفقه إلى ان مات سنة ست عشرة ومائتين فى خلافة المأمون (تاريخ بغداد ثامن ض ١٧)

(٤) محمد بن قبة الرازى يكنى أبا جعفر من متكلمى الامامية وحذاقهم وكان أولى معتزليا ثم انتقل إلى القول بالامامة وحسن طريقه وبصيرته وله كتب فى الامامة منها كتاب الانصاف وكتاب المستثبت نقض كتاب المسترشد لابى القاسم البلخى وكتاب التعريف على الزيديه وغير ذلك من الكتب (فهرست الطوسى ض ١٢)

(٥) اسماعيل بن على النوبختى أبو سهل كان شيخ المتكلمين من الشيعة ببغداد ووجيههم ومتقدم النوبختيين فى زمانه وصنف كتبا كثيرة منها

وأحمد(١) بن يحيي الراوندى ، ومن المتأخرين أبوجعفر(٢) الطوسى .

الاسماعيلية

قد ذكرنا انالاسماعيلية امتازت عنالموسوية ، وعنالاثناعشرية باثبات الامامة لاسماعيل بن جعفر ، وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه فى بدء الأمر ، قالوا ولم يتزوج الصادق على أمه بواحـدة من النساء ولا اشترى جارية ، كسنة رسولالله فى حق خديجة ، وكسنة على فى حق فاطمة ، وذكرنا اختلافهم فى موته فى حال حياة أبيه . فمنهم من

كتاب الاستيفاء فى الامامة وكتاب الرد على اليهود وكتاب الأنوار فى تاريخ الأئمة وكتاب الرد على الغلاة وكتاب نقض رسالة الشافعى ، وكتاب الرد على أصحاب الصفات وغيرها توفى سنة ٣١١ (فهرست الطوسى ص ١٢)

(١) ابو الحسين أحمد بن يحيى الراوندى العالم المشهور له مقالة فى علم الـكلام وكان من فضلاء عصره وله من الكتب المصنفة نحو من مائة وأربعة عشر كتابا منها كتاب فضيحة المعتزلة وكتاب التاج وكتاب الزمرد وغير ذلك ، وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام وقد انفرد بمذاهب نقلها عنه أهل الكلام وقد توفى سنة خمس وأربعين ومائتـين وعمره أربعون سنة (ابن خلـكان أول ص ٣٣)

(٢) محمد بن الحسن بن على ابو جعفر الطوسى فقيه الشيعة أخـذ عن ابن النعمان وطبقته وله مصنفات كثيرة فى الكلام على مذهب الامامية وجمع تفسير القرآن وأملى أحاديث وحكايات فى مجلس وقد أحرقت كتبه بمحضر من الناس فى رحبة جامع النصر واستتر هو خوفا على نفسه بسبب ما يظهر عنه من انتقاص السلف ومات بمشهد فى المحرم سنة ستين وأربعمائة (لسان الميزان خامس ص ١٣٥)

قال إنه مات ، وإنما فائدة النص عليه انتقال الامامة منه إلى أولاده خاصة ، كما نص موسى (على) هارون عليهما السلام ، ثم مات هارون فى حال حياة أخيه ، وإنما فائدة النص انتقال الامامة منه إلى أولاده ، فان النص لا يرجع قهقرى ، والقول بالبـداء محال . ولا ينص الامام على واحد من ولده ، إلا بعد السماع من آبائه ، والتعيين لا يجوز على الابهام والجهالة ، ومنهم من قال انه لم يمت ، لـكن أظهر موته تقية عليه ، حتى لا يقصد بالقتل . ولهذا القول دلالات ، منها أن محمدا كان صغيراً وهو أخوه لأمه ، مضى إلى السرير الذى كان اسماعيل نائما عليه ورفع الملاءة فأبصره ، وهو قد فتح عينه ، وعدا إلى أبيه مفزعا ، وقال عاش أخى عاش أخى ، قال والده ان أولاد الرسول كذا يكون حالهم فى الآخرة ، قالوا وما السبب فى الاشهاد على موته ، وكتب المحضر عليه . ولم نعهد ميتا سجل على موته ، وعن هذا لما رفع إلى المنصور : أن اسماعيل بن جعفر رؤى بالبصرة ومر على مقعد ، فدعا له فبرىء باذن الله ، بعث المنصور إلى الصادق أن اسماعيل فى الأحياء ، وأنه رؤى بالبصرة وأنفذ السجل اليه ، وعليه شهادة عامله بالمدينة .

قالوا وبعد اسماعيل محمد بن اسماعيل السابع التام ، وإنما تم دور السبعة به ، ثم ابتدأ به بالأئمة المستورين ، الذين كانوا يسيرون فى البلاد سراً ، ويظهرون الدعاة جهـراً ، قالوا ولن تخلو الأرض قط عن امام حي قائم . إما ظاهر مكشوف ، وإما باطن مستور ، فاذا كان الامام

ظاهراً ، يجوز أن تكون حجته مستورة ، وإذا كان الامام مستوراً ، فلا بد أن تكون حجته ودعاته ظاهرين ، وقالوا إنما الأئمة تدور أحكامهم على سبعة[1] سبعة ، كأيام الأسبوع ، والسموات السبع ، والكواكب السبع . والنقباء تدور أحكامهم ، على اثنى عشر ، قالوا

---

(١) ولهذا يلقبون بالسبعية ، اذ أنهم يذهبون إلى أن ادوار الامامة سبعة ، ويزعمون ان دور الامامة انتهى إلي إسماعيل بن جعفر اذ كان هو السابع ، من محمد وادوار الامامة سبعة ، وان السابع آخر الدور . وهو نبى نسخ بشريعته شريعة محمد ﷺ ، والدور انقضى باسماعيل بن جعفر وابتدأ محمد ابن اسماعيل الدور الثانى . وذهبوا إلى أن الدور تم بسبعة بعد الناطق وهو الرسول ﷺ ، فابتدأوه بالأساس ، وهو وصيه ، يعنى عليا ، ثم من القائمين بعد الأساس فمتى انقضي هذا الدور تلاه دور آخر ، فيه ناطق ناسخ لشريعة من قبله وأساس ، وبعده أئمة ، ثم كذلك إلى مالا انقضاء له ولا نهاية ، ودليل الاسابع عندهم ، ما قالوا ان السموات سبع والكواكب السيارة سبع والأرضين سبع والأيام سبع واعضاء الانسان سبع ، والنقب فى الرأس سبع إلى غير ذلك مما ذكروه فى كتبهم فهذه كلها اشارة إلى أن الأئمة سبعة ، والجواب عنه . بأن نقول الطبائع التى هى أصل المخلوقات اربع والملائكة الفضلاء أربعة ، وكذلك الأنبياء صلى الله عليهم ، وكذلك الأشهر وكذلك عدد ركعات صلاة الظهر والعصر والعشاء ، فهذا يدل على أن فضلاء الصحابة أربعة والأئمة أربعة ، أو نقول الحواس خمس . واوقات الصلاة خمس ، واصابع اليدين والرجلين خمس وفضلاء الانبياء خمس ، فهذا يدل على ان الأئمة خمس وعلى هذا القياس ما من عدد الا ويمكن ان يؤيد بمثل ذلك :

وقالت السبعية ، ايضا : ان العالم السفلى تدبره الكواكب السبعة وهى زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة . وعطارد والقمر (عقائد آل محمد ص ٢٢)

وعن هـذا وقعت الشبهة للامامية القطعية ، حيث قرروا عدد النقباء للائمة ، ثم بعد الأئمة المستورين كان ظهور المهدى ، والقائم بأمر الله وأولادهم نصا بعد نص عَلَى امام بعد امام ، ومذهبهم أن من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية ، وكذلك من مات ولم يكن فى عنقه بيعة امام مات ميتة جاهلية ، وكانت لهم دعوة فى كل زمان ، ومقالة جديدة بكل لسان ، فنذكر مقالاتهم القديمة ، ونذكر بعدها دعوة صاحب الدعوة الجديدة ، وأشهر ألقابهم الباطنية .

الباطنية (١)

وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم ، بأن لكل ظاهر باطنا ، ولكل

---

(١) الباطنية ، والأمامية والغلاة ، مختلطة بعضها ببعض ، فكل متشيع ، وغال ، وخارج عن نهج المسلمين .

نشأ مذهبهم فى منتصف القرن الثالث ، وضعه قوم اشرب في قلوبهم بغض الدين ، وكراهية النبي الكريم ، من الفلاسفة والملاحدة ، والمجوس واليهود ، ليصرفوا الناس عن دين الله ؛ وكانوا يبعثون دعاتهم إلى الآفاق ، لدعوة الناس إلى مذهبهم المشئوم ، لعلهم ان تعود دولتهم ، ويأبى الله الا ان يتم نوره ، ومن دعاتهم ميمون بن ديصان ، القداح الثنوى ؛ وظاهر مذهبهم فروع الشريعة ، ولكن عقيدتهم عقيدة الفلاسفة والملاحدة ، وعرف الناس انهم براء من الشيعة ، فظاهر مذهبهم الرفض ، وباطنه الكفر المحض :

وكان اصل دعوتهم ظهور ميمون فى الكوفة ، سنة ١٧٦ فنصب للمسلمين الحبائل ، وبغى بهم الغوائل ، ولبس الحق بالباطل ، ومكر اولئك هو يبور ؛ جعل لكل آية تفسيرا ولكل حديث تأويلا وذهب إلى ان الفرائض والسنن ، رموز ، واشارات ، ومثلات وامر ، بالاعتصام بالغائب

المفقود ، والاعراض عن الحاضر الموجود ، من العترة الزكية . وكان عارفا بالنجوم ، فجعل اصل دعوته اختصاص على بامامتـه ، ليستر بجـلال الاسلام وبجاه على وآله ، كفره وزندقته ، واطلق لسانه فى الطعن على الصحابة وكان يسر اليهودية ويظهر الاسلام وكان يخدم اسماعيل ابن جعفر وظهر أيام قرمط فاجتمعا وأخذا ناموسا يدعوان اليه فسموا بالقرامطة واجتمع عليهم جماعة يفسدون فى الأرض ولا يصلحون وحيل بينهم وبين ما يشتهون والقابهم الاسماعيلية الباطنية القرامطة القرمطية المباركية السبعية التعليمية الاباحية والملاحدة الزنادقة المرذكية البابكية الخرمية المحمره الحرمدينية ولهم حيل وأساليب ينصبونها ليصلوا إلى ما يريدون وذهبوا فى التوحيد إلى القول بالهين قديمين العقل والنفس والبارى لا يوصف بموجود ولا بمعدوم ولا هو بمعلوم ولا بمجهول الى آخر الصفات ويقولون بالطبع وبتأثير الكواكث وصلة الى نفى الصانع وينكرون الوحى ونزول الملائكة ووقوع المعجزات ويذهبون الى أنها رموز واشارات ومثلات فعصا موسى غلبته واظلال الغمام امرته والقرآن كلام محمد ﷺ لقوله تعالى انه لقول رسول كريم ونبع الماء كثرة علمه وطلوع الشمس من مغربها بخروج الامام فتأولوا المعجزات ليزحزحوا الناس عن عقائدهم وذهبوا الى انه لابد من امام معصوم يرجع اليه وهو كالنبي فى عصمته واطلاعه لاينزل عليه وحى وانما يتلقى ذلك من النبى لانه خليفته ومدة شريعة كل نبى سبعة أعمار منهم الناطق والصامت وهو القائم ونكروا القيامة والبعث والنشور والجنة والنار وجعلوا لكل رمزا واشارة وكما انهم احتالوا فى أصول الدين احتالوا فى اختداع اتباعهم واستمالة قلوبهم فاباحوا لهم جملة اللذات والشهوات واباحوا لهم نكاح البنات والاخوات واسقطوا عنهم فرائض العبـادات وقالوا أركان الشريعة فمعني الفرائض موالاة زعمائهم وأئمتهم ومعنى المحرمات تحريم موالاة أبى بكر وعمر وكل من خالف مذهب الباطنية ويؤولون الملائكة على دعاتهم والشياطين مخالفوهم ويسمون موافقيهم المؤمنين ومخالفيهم الحمير والظاهرية وقد قال شاعرهم فى

تنزيلى تأويلا ، ولهم ألقاب كثيرة سوى هـذه على لسان قوم قوم ، فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية ، وبخراسان التعليمية وَالملحدة ، وهم يقولون نحن اسماعيلية لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا

أيام على بن فضل اذا أدعى النبوة وأظهر مذهبه فى الكفر واستحلال المحرمات وتزويج الاخوات والبنات

خذى الدف يا هذه والعبى وغنى هزاريك ثم اطربى
تولى نبى بنى هاشم وهذا نبى بنى يعرب
لـكل نبى مضى شرعة وهذى شرائع هذا النبى
فقد حط عنا فروض الصلاة وحط الصيام فلم يتعب
اذا الناس صلوا فلا تنهضى وازصوموا فكلى واشربى
ولا تطلبى السعى عند الصفا ولا زورة القبر فى يثرب
ولا تمنعى نفسك المعرسين من الأقربين ومن أجنبى
فكيف حللت لهذا الغريب وصرت محرمـة للأب
أليس الغـراس لمن ربه ورواه فى الزمن المجدب
وما الخمر إلا كماء السما محل ، فقدست من مذهب

وقد كان لهم المشهد الأعظم ، لا يشهده الا من دفع للداعى قربانه ، اذا جن الليل ، ودارت الـكؤوس وطابت النفوس ، وقد أحضر جميع أهل الدعوة ، نساءهم وحريمهم فيدخلن عليهم وقد اطفئوا السرج ، فيأخذ كل واحد من تقع فى يده ، ويقع عليها فتنطلق بشكر الداعى على ما أتاه من فضل ، فيقول ليس الا من فضل أمير المؤمنين ، فاشكروه ولا تكفروه على ما أطلق من وثاقكم ووضع عنكم أوزاركم واحل لكم بعض الذى حرم عليكم جهالكم وما يلقاها إلا الدين صبروا ومايلقاها إلاذو حظ عظيم ، وكانوا يخاطبون الناس بحسب عقولهم وأهوائهم وعقائدهم ، اولئـك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم فى الآخره هم الخاسرون (عقائد آل محمد ص ٣ — ٨٢ التبصير ص ٨٦)

الاسم ، وهـذا الشخص ، ثم ان الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفـة ، وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج ، فقالوا فى البارى تعالى إنا لانقول هو موجود ولا لا موجود ولاعالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ، وكذلك فى جميع الصفات فان الاثبات الحقيقي يقتضى شركة بينه وبين سائر الموجودات فى الجهة التى أطلعتنا عليه وذلك تشبيه ، فلم يمكن الحكم بالاثبات المطلق والنفى المطلق ، بل هو إله المتقابلين ، وخالق الخصمين ، والحاكم بين المتضادين ، ونقلوا فى هذا أيضا عن محمد بن على الباقر أنه قال لما وهب العلم للعالمين قيل هو عالم ، ولما وهب القدرة للقادرين قيل هو قادر ، فهو عالم قادر ، بمعنى أنه وهب العلم والقدرة ، لا بمعنى أنه قام به العلم والقدرة ، أو وصف بالعلم والقدرة ، فقيل فيهم انهم نفاة الصفات حقيقة ، معطلة الذات عن جميع الصفات ، قالوا وكذلك نقول فى القـــدم إنه ليس بقديم ولا محدث بل القـديم أمره وكلمته ، والمحدث خلقه وفطرته ، أبدع بالأمر العقل الأول ، الذى هو تام بالفعـل ، ثم بتوسطه ، أبدع النفس الذى هو غـير تام ، ونسبة النفس إلى العقل اما نسبة النطفة إلى تمام الخلقة وَالبيض إلى الطـير ، وإما نسبة الولد إلى الوالد ، والنتيجة إلى المنتج ، وأما نسبة الأنثى إلى الذكر ، والزوج إلى الزوج ، قالوا ولما اشتاقت النفس إلى كمال العقل احتاجت إلى حركة من النقص إلى الكمال ، واحتاجت الحركة إلى آلة الحركة ، فحدثت الأفلاك السموية ،

وتحركت حركة دورية بتدبير النفس ، وحدثت الطبائع البسيطة بعدها ، وتحركت حركة استقامة بتدبير النفس أيضا ، فتركبت المركبات من المعادن والنبات والحيوان والانسان ، واتصلت النفوس الجزئية بالأبدان ، وكان نوع الانسان متميزاً عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض تلك الأنوار ، وكان عالمه فى مقابلة العالم كله وفى العالم العلوى عقل ونفس كلى ، وجب أن يكون فى هذا العالم عقل مشخص ، هو كل . وحكمه حكم الشخص الكامل البالغ ويسمونه الناطق ، وهو النبي ونفس مشخصة هو كل أيضا ، وحكمها حكم الطفل الناقص التوجه إلى الكمال ، أو حكم النطفة المتوجهة إلى التمام ، أو حكم الأنثى المزدوج بالذكر . ويسمونه الأساس ، وهو الوصى ، قالوا وكما تحركت الأفلاك بتحريك النفس والعقل والطبائع ، كذلك تحركت النفوس والأشخاص بالشرائع بتحريك النبي والوصى . فى كل زمان ، دائراً عَلَى سبعة سبعة ، حتى ينتهى إلى الدور الأخير ، ويدخل زمان القيامة ، وترتفع التكاليف ، وتضمحل السنن والشرائع ، وإنما هذه الحركات الفلكية . والسنن الشرعية ، لتبلغ النفس إلى حال كمالها وكمالها بلوغها إلى درجة العقل ، واتحادها به ووصولها إلى مرتبة فعلا ، وذلك هو القيامة الكبرى ، فتنحل تراكيب الأفلاك والعناصر والمركبات ، وتنشق السماء وتتناثر الكواكب ، وتبدل الأرض غير الأرض ، وتطوى السموات كطى السجل للكتاب المرقوم فيه .

ويتميز الخير عن الشر ، والمطيع عن العاصى ، وتتصل جزئيات الحق بالنفس الكاملة وجزئيات الباطل بالشيطان المبطل ، فمن وقت الحركة إلى السكون هو المبدأ ، ومن وقت السكون إلى ما لا نهاية له هو الكمال ، ثم قالوا ما من فريضة أو سنة أو حكم من أحكام الشرع ، من بيع وأجارة وهبة ونكاح وطلاق ، وجراح وقصاص ، ودية إلاوله وزان من العالم عدداً فى مقابلة عدد ، وحكما فى مطابقة حكم ، فان الشرائع عوالم روحانية أمرية ، والعوالم شرائع جسمانية ، خلقية ، وكذلك التركيبات فى الحروف والكلمات على وزان تركيبات الصور والأجسام والحروف المفردة نسبتها إلى المركبات من الكلمات كالبسائط المجردة إلى المركبات من الأجسام ، ولكل حرف وزان فى العالم وطبيعة يخصها وتأثير من حيث تلك الخاصية فى النفوس ، فمن هذا صارت العلوم المستفادة من الكلمات التعليمية غذاء للنفوس كما صارت الأغذية المستفادة من الطبائع الخلقية غذاء للأبدان ، وقد قدر الله تعالى أن يكون غذاء كل موجود مما خلقه منه ، فعلى هذا الوزان صاروا إلى ذكر أعداد الكلمات والآيات ، وان التسمية مركبة من سبعة واثنى عشر ، وأن التهليل مركب من أربع كلمات فى إحدى الشهادتين ، وثلاث كلمات فى الشهادة الثانية ، وسبع قطع فى الأولى ، وست فى الثانيـــــة ، واثنا عشر حرفا فى الثانية ، وكذلك فى كل آية أمكنهم استخراج ذلك مما لا يعمل العاقل فكرته فيه إلا ويعجز عن ذلك

خوفا عن مقابلته بضده ، وهذه المقابلات كانت طريقة أسلافهم ، قد صنفوا فيها كتبا ، ودعوا الناس إلى امام فى كل زمان يعرف موازنات هذه العلوم ، ويهتدى إلى مدارج هذه الأوضاع والرسوم .

ثم أصحاب الدعوة الجديدة تنكبوا هـذه الطريقة حين أظهر الحسن[1] بن الصباح دعوته ، وقصر عن الالزامات كلمته ، واستظهر

---

(١) الحسن بن الصباح الاسماعيلى المتغلب بالعباد صاحب الدعوة النزارية وجد أصحاب قلعة الموت كان من كبار الزنادقة ومن دهاة العالم قال ابن الاثير كان الحسن ابن الصباح رجلا شهما كافيا عالما بالهندسة والحساب والنجوم والسحر وغير ذلك وقد اتهمه صهر نظام الملك بدخول جماعة من دعاة المصريين عليه فخاف ابن الصباح وكان نظام الملك يكرمه وقال له يوما من طريق الفراسة عن قريب يضل هذا الرجل ضعفاء العوام فلما هرب الحسن من أبى مسلم صهر نظام الملك طلبه فلم يدركه وكان الحسن من جملة تلامذة ابن عطاش الطبيب الذى ملك قلعة أصبهان ومضى ابن الصباح فطاف البلاد ووصل الى مصر ودخل على المستنصر صاحبها فاكرمه واعطاه مالا وأمره أن يدعو الناس إلى امامته فقال له الحسن فمن الامام بعدك ، فاشار الى ابنه نزار وعاد من مصر الى الشام والجزيرة وديار بكر والروم ورجع الى خراسان ودخل كاشغر وما وراء النهر يطوف على قوم يضلهم ، إلى ان ملك قلعة الموت وأخرج منها نائبها العلوى إلى دامغان وأعطاه ماله ولما بلغ الخبر نظام الملك بعث عسكرا إلى قلعة الموت فحصروه فيها واخذوا عليه الطرق فضاق ذرعه بالحصر فارسل من قتل نظام الملك فرجع العسكر عنها وقد رأى السلطان محمد بن ملكشاه أن مصالح البلاد والعباد منوطة ، بمحو آثار الباطنية واخراب ديارهم وملك حصونهم وقلاعهم جعل قصدهم دأبه وكان فى أيامه المقدم عليهم والقيم بأمرهم الحسن بن الصباح الرازى وكانت ايامه قد طالت وله منذ ملك قلعة الموت مايقارب ستا وعشرين سنة

بالرجال وتحصن بالقلاع ، وكان بدء صعوده إلى قلعة[٢] ألموت ، فى شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ، وذلك بعد أن هاجر إلى بلاد امامه ، وتلقى منه كيفية الدعوة لأبناء زمانه ، فعاد ودعا الناس أول

وكان المجاورون له فى اقبح صورة من كثرة غزواته عليهم وقتله وأسره رجالهم وسبي نسائهم فسير اليه السلطان العساكر فعادت من غير بلوغ غرض ، فندب لقتاله الامير انوشتكين وأمده بعدة من الامراء ، فحصرهم وكان السلطان ينقل اليه الميرة والذخائر والرجال فضاق الامر على الباطنية فانزلوا نساءهم وابناءهم مستأمنين ويسألون أن يفرج لهم ولرجالهم عن الطريق ويؤمنوا فلم يجابوا إلى ذلك ، وأعادهم إلى القلعة قصدا ليموت الجميع جوعا فلما بلغ بهم الأمر إلى الحد الذى لا مزيد عليه بلغهم موت السلطان محمد فقويت نفوسهم وطابت قلوبهم ؛ ففك الحصار وغنم الباطنية ما تخلف عندهم وكان الحسن قوى المشاركة فى الفلسفة كثير المكر والحيل بعيد الغور مات سنة ثمانى عشرة وخمسمائة (لسان الميزان ثانى ص ٢١٤ ابن الاثير عاشر ص ١١٨ و ١٩٩)

(٢) قلعة ألموت وهى من نواحى قزوين قيل ان ملكا من ملوك الديلم كان كثير التصيد فأرسل يوما عقابا وتبعه فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة فوجده موضعا حصينا ، فأمر ببناء قلعة عليه فسماها اله موت ومعناها بلسان الديلم تعليم العقاب ويقال لذلك الموضع وما يجاوره طالقان وفيها قلاع حصينة أشهرها ألموت وكانت هذه النواحى فى ضمان شرفشاه الجعفرى وقد استناب فيها رجلا علويا فيه بله وسلامة صدر وكان الحسن بن الصباح قد اتهمه ابو مسلم صهر نظام الملك بدخول جماعة من دعاة المصريين ، فهرب منه خوفا على نفسه فاستقر به المطاف إلى قلعة ألموت فلما رآها واختبر أهل تلك النواحى أقام عندهم وطمع فى اغوائهم ودعاهم في السر ، وأظهر الزهد ولبس المسح فتبعه أكثرهم والعلوى قد أحسن الظن به فقربه وأخذ يتبرك به فلما أحكم الحسن أمره ، اخرج العلوى من القلعة واستولى عليها (ابن الاثير عاشر ص ١١٧)

دعوة ، إلى تعيين إمام صادق ■ثم فى كل زمان ، وتمييز الفرقة الناجية من سائر الفرق بهذه النكتة ، وهو أن لهم إماما ، وليس لغيرهم إمام . وإنما يعود خلاصة كلامه بعد ترديد القول فيه عودا على بدء بالعربية والعجمية إلى هذا الحرف ، ونحن ننقل ما كتبه بالعجمية إلى العربية ، ولا معاب على الناقل ، والموفق من اتبع الحق ، واجتنب الباطل والله الموفق والمعين .

فنبدأ بالفصول الأربعة التى ابتدأ الدعوة بها وكتبها عجمية فعربتها قال المفتى فى معرفة البارى تعالى أحد قولين اما أن يقول أعرف البارى تعالى بمجرد العقل والنظر من غير احتياج إلى تعليم معلم وإما أن يقول لا طريق إلى المعرفة مع العقل والنظر إلا بتعليم معلم صادق ، قال ومن أفتى بالأول فليس له الانكار على عقل غيره ونظره ، فانه متى أنكر فقد علم ، والانكار تعليم ، ودليل على أن المنكر عليه يحتاج إلى غيره قال والقسمان ضروريان ، فان الانسان إذا أفتى بفتوى ، وقال قولا ، فاما أن يقول من نفسه أو من غيره ، وكذلك إذا اعتقد عقداً فاما أن يعتقده من نفسه أو من غيره هذا هو الفصل الأول ، وهو كسر على أصحاب الرأى والعقل ، وذكر فى الفصل الثانى أنه إذا ثبت الاحتياج إلى معلم أفيصلح كل معلم على الاطلاق ، أم لا بد من معلم صادق ، قال ومن قال انه يصلح كل معلم ما ساغ له الانكار عَلَى معلم خصمه ، وإذا أنكر فقد سلم أنه لا بد من معلم معتمد صادق ، قيل وهذا كسر على أصحاب الحديث ، وذكر فى الفصل الثالث أنه إذا ثبت الاحتياج إلى معلم صادق

أفلا بد من معرفة المعلم أولا والظفر به ثم التعلم منه ، أم جاز التعلم من كل معلم من غير تعيين شخصه وتبيين صدقه ، والثانى رجوع إلى الأول ومن لم يمكنه سلوك الطريق إلا بمقدم ورفيق فالرفيق ثم الطريق . وهو كسر على الشيعة ، وذكر فى الفصل الرابع أن الناس فرقتان ، فرقة قالت يحتاج فى معرفه البارى تعالى إلى معلم صادق ، ويجب تعيينه وتشخيصه أولا ، ثم التعلم منه ، وفرقة أخذت فى كل علم من معلم وغير معلم . وقد تبين بالمقدمات السابقة أن الحق مع الفرقة الأولى ، فرأسهم يجب أن يكون رأس المحققين ، وإذا تبين أن الباطل مع الفرقة الثانيـة ، فرؤساؤهم يجب أن يكونوا رؤساء المبطلين ، قال وهـذه الطريقة التى عرفتنا المحق بالحق معرفة مجملة ثم نعرف بعد ذلك الحق بالمحق معرفة مفصلة حتى لا يلزم دون المسائل وإنمـــا عنى بالحق هاهنا الاحتياج ، وبالمحق المحتـاج اليـه ، وقال بالاحتياج عرفنا الامام . وبالامام عرفنا مقادير الاحتياج ، كما بالجواز عرفنا الوجوب ، أى واجب الوجود ، وبه عرفنا مقادير الجواز فى الجائزات قال : والطريق إلى التوحيد كذلك حذو القذة بالقذة[1] ، ثم ذكر فصولا فى تقرير مذهبه إما تمهيـداً وإما كسراً على المذاهب وأكثرها كسر الزام . واستدلال بالاختلاق عَلَى

---

(١) القذة ريش السهم وجمعه قذذ وقذاذ ومنه الحديث لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، أى كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبتها وتقطع يضرب مثـلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان .

البطلان ، وبالاتفاق على الحق . منها فصل الحق والباطل والصغير والكبير يذكر أن فى العالم حقاً وباطلا ، ثم يذكر أن علامة الحق هى الوحدة ، وعلامة الباطل هى الكثرة ، وأن الوحدة مع التعليم . والكثرة مع الرأى ، والتعليم مع الجماعة ، والجماعة مع الامام ، والرأى مع الفرق المختلفة ، وهى مع رؤسائهم ، وجعل الحق والباطل والتشابه بينهما من وجه ، والتمايز بينهما من وجه التضاد فى الطرفين والترتب فى أحد الطرفين ميزانا يزن به جميع ما يتكلم فيه . قال وإنما أنشأت هذا الميزان من كلمة الشهادة وتركيبها من النفى والاثبات أو النفى والاستثناء ، قال : فما هو مستحق النفى باطل ، وما هو مستحق الاثبات حق ، ووزن بذلك الخير والشر والصدق والكذب ، وسائر المتضادات وَنكتته أنه يرجع فى كل مقالة وكلمة إلى إثبات المعلم ، وأن التوحيد هو التوحيد والنبوة معاً ، حتى يكون توحيدا ، وأن النبوة هى النبوة والامامة معا ، حتى تكون نبوة ، وهذا هو منتهى كلامه ، وقد منع العوام عن الخوض فى العلوم ، وَكذلك الخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة ، إلا من عرف كيفية الحال فى كل كتاب ، وَدرجة الرجال فى كل علم ، ولم يتعد بأصحابه فى الالهيات عن قوله إن إلهنا إله محمد ، قال إنا وأنتم تقولون إلهنا إله العقول ، أى ما هدي اليه عقل كل عاقل ، فان قيل لواحد منهم ما تقول فى البارى تعالى وأنه هل هو وأنه واحد أم كثير عالم قادر أم لا لم يجب إلا بهذا القدر ، إن إلهى إله محمد ، وهو

الذي أرسل رسوله بالهدى ، والرسول هو الهادى اليه وكم قد ناظرت القوم على المقدمات المذكورة فلم يتخطوا عن قولهم أفنحتاج اليك أونسمع هذا منك ، أو نتعلم عنك ، وكم قد ساهلت القوم فى الاحتياج وقلت أين المحتاج اليه ، وايش يقدر لى فى الإلهيات ، وماذا يرسم فى المعقولات إذ المعلم لايعنى لعينه ، وإنما يعنى ليعلم ، وقد سددتم باب العلم وفتحتم باب التسليم والتقليد ، وليس يرضى عاقل بأن يعتقد مذهبا على غير بصيرة ، وأن يسلك طريقا من غير بينة ، فكانت مبادىء الكلام تحكيمات وعواقبها تسليمات[1] (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك

---

(١) وحكم الشريعة فى طائفة الباطنية ، من كان ذا عقيدة اسلامية صحيحة ثم رجع إلى عقيدتهم الكفرية فهو مرتد ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر ، ووجب قتله وقتل من رجع اليهم ومتى كانت لطائفة منهم شوكة ، فدارهم دار حرب ، فيجوز قتل رجالهم ، وسبى نسائهم ، وذراريهم وغنيمة أموالهم ولاتجوز مناكحتهم ، فمن نكح منهم أو نكح اليهم ، مع العلم بمذهبهم ، كان حكمه حكم الزانى ، فلا يلحق به الولد ، ولا يثبت توارث ، ولا شىء من أحكام النكاح صحيحا ، أم فاسدا ولا تجوزموالاتهم فانهم ممن حادوا الله ورسوله ، ولايجوز دفنهم في مقابر المسلمين ولا الصلاة عليهم ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولايجوز تشميتهم ولاعيادةمرضاهم ولا رد السلام عليهم ، كما لا تجوز مجالستهم ولا مجاملتهم ، ولا مدحهم ، والثناء عليهم ولا يجوز أكل ذبائحهم ، ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق ، ولا ريب فى انهم لايسمون الله بالحقيقة ، لأنهم جاحدوه ، وحكم أولادهم الصغار الذين ولدوا بعد كفر ابائهم فى الدنيا حكم أبائهم ، في تحريم دفنهم فى مقابر المسلمين والصلاة عليهم ، وأكل ذبائحهم ، كما فى أولاد المرتدين لالحاد الباطنية ولايجوز اقرارهم على كفرهم مع التمكن بل

فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا ، مما قضيت ويسلموا تسليما .

أهل الفروع المختلفون فى الأحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية

اعلم ان أصول الاجتهاد[١] وأركانه أربعة وربما تعود إلى اثنين ، الكتاب

يجب قتلهم ، لأنه لايجوز وضع الجزية عليهم فوجب قتلهم . اذ ليس على الاسلام اضر منهم اضلالا ، لا من اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا الفلاسفة ولا غيرهم من الكفار فكان قتلهم أقرب القرب إلى الله تعالى (قواعد عقائد آل محمد ص ٩٧)

(١) الاجتهاد فى اللغة عبارة عن استفراغ الوسع فى تحقيق أمر من الأمور مستلزم للكلفة والمشقة وأما فى اصطلاح الاصوليين . فمخصوص باستفراغ الوسع فى طلب العلم بشىء من الاحكام الشرعية ، على وجه يحس من نفسه بالعجز عن المزيد فيه ، وللاجتهاد أحكامه (١) واجب عينى على مسئول عن حادثة وقعت وخاف فوتها وكذلك أن كانت الحادثة قد حصلت له شخصيا وأراد معرفة حكمها (٢) واجب كفائى ، على مسئول لم يخف فوت الحادثة وثم غيره من المجتهدين فاذا تركوه كلهم أثموا واذا أفتى أحدهم سقط الطلب عن جميعهم «٣» الندب وهو الاجتهاد فى حكم حادثة لم تحصل سواء سئل عنها أم لم يسأل ، والمجتهد كل من اتصف بصفة الاجتهاد ويجب أن يتوافر فيه (١) عدالة ، وهذا شرط لجواز الاعتماد على فتواه أما أخذه لنفسه باجتهاده فلا يشترط ذلك له «٢» أن يكون ملما عالما ، عارفا محيطا بمدارك الاحكام الشرعية ، وأقسامها وطرق اثباتها ووجوه دلالاتها على مدلولاتها واختلاف مراتبها عارفا جهات ترجيحها عند تعارضها ، متمكنا من استثارة الظن بالنظر فيها وتقديم ما يجب تقديمه وتأخير ما يجب تأخيره عارفا كيفية استثمار الاحكام منها قادرا على تحريرها وتقريرها ، ومدارك الاحكام وأدلتها التفصيلية هى الكتاب والسنة والاجماع والقياس فالكتاب هو

والسنة والاجماع والقياس ، وإنما تلقوا صحة هذه الأركان وانحصارها من اجماع الصحابة، وتلقوا أصل الاجتهاد والقياس وجوازه منهم أيضا فان العلم بالتواتر قد حصل أنهم إذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال أو حرام فزعوا إلى الاجتهاد، وابتدأوا بكتاب الله تعالى ، فان وجدوا فيه نصا أو ظاهرا تمسكوا به ، وأجروا حكم الحادثة عَلَى مقتضاه ، وإن لم يجدوا فيه نصا فزعوا إلى السنة ، فان روى لهم فى ذلك خبر أخذوا به ونزلوا على حكمه . وإن لم يجدا الخبر فزعوا إلى الاجتهاد ، فكانت الأركان الاجتهادية عندهم اثنين أو ثلاثة ، ولنا بعدهم أربعة إذا وجب علينا الأخذ بمقتضى اجماعهم واتفاقهم . والجرى على مناهج اجتهادهم وربما كان اجماعهم على حادثة اجماعا اجتهاديا . وربما كان اجماعا مطلقا

القرآن وهو اللفظ العربى المنزل على محمد ﷺ ، للتذكر والتدبر ، المنقول متواترا ، وهو ما بين دفتى المصحف المبدوء بفاتحة الكتاب والمختوم بسورة الناس ، وهو عمدة الشريعة . وقطبها وعليه تدور الادلة الأخرى ، والسنة ما جاء منقولا عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير وهى حجة فى الدين ودليل من أدلة الاحكام والله تعالى يقول وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، والسنة هى التى جاءت مبينة لما أجمل من الاحكام . وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ، والاجماع اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ فى عصر على حكم شرعي . ولاينعقد الاجماع الا عن مستند فالفتوى بدون المستند خطأ ، اذ تكون قولا فى الدين بغير علم والامة معصومة عن الخطأ ، وقد قال ﷺ لاتجتمع أمتى على خطأ والقياس حمل معلوم على معلوم فى اثبات حكم لهما أو نفيه عنهما بامر جامع بينهما من اثبات حكم أو صفة أو نفيهما عنهما ، فيثبت للفرع من الحكم ما للاصل . فلا يثبت بالقياس أحكام ابتداء أى بدون أصل ثبت حكمه

لم يصرح فيه بالاجتهاد، وعلى الوجهين جميعا . فالاجماع حجة شرعية لاجماعهـم على التمسك بالاجماع ، ونحن نعلم أن الصحابة الذين هم الأئمة الراشـدون لا يجتمعون على ضلال . وقد قال النبي صلى الله عليـه وسلم (لا تجتمع أمتى عَلَى الضلالة) ولكن الاجماع لا يخلو عن نص خفى أو جلى قد اختصه ، لأنا على القطع نعلم أن الصدر الأول لا يجمعون عَلَى أمر إلا عن ثبت وتوقيف[٣] ، فاما أن يكون ذلك النص فى نفس الحادثة قد اتفقوا على حكمها من غير بيان ما يستند اليه حكمها ، وإما أن يكون النص فى أن الاجماع حجة ، ومخالفة الاجماع بدعة ، وبالجملة

---

(٣) فكانت الصحابة فى الصدر الأول يعتمدون فى فتاداهم (١) على القرآن ، إذ هو أساس الدين ، وعماد الملة ، وكانوا يفهمونه واضحا جليا اذ هو قـد نزل بلغتهم ، بله ما امتازوا به من الاحاطة بأسباب نزوله ولم يكن دخل بينهم ، دخيل من غير العرب (٢) سنة رسول الله ﷺ وقد اتفقوا على اتباعها ، متى ظفروا بها ، ووثقوا من صدق روايتها فـكان أبو بكر إذا وردت عليه حادثة نظر فى كتاب الله فان وجد فيه حكمها قضى به وان لم يجد فى كتاب الله نظر فى سنة رسول الله ﷺ فان وجد عنده ما يقضى به قضى به فان أعياه ، سأل الناس هل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى فيه بقضاء فربما قام اليه القوم ، فيقولون قضى فيه بكذا أو كذا وكان عمر يفعل ذلك ، فان اعياه أن يجد ذلك فى الكتاب والسنة سأل هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء قضي به ان لم يبن له خلافه وكذلك كان عثمان . وعلى مع الحيطة ، فى القبول ، وكانت ترد على الصحابة اقضية لا يرون فيها نصا من كتاب وسنة فيلجؤن الى القياس . ولقد كان ابو بكر يجمـع جلة الصحابة ويستشيرهم فاذا اجتمع رأيهم على شىء قضى به ، وكذلك ، كان عمر يفعل ذلك .

مستنـد الاجماع نص خفى أو جلى لا محالة ، وإلا فيؤدى إلى إثبات الأحكام المرسلة ، ومستند الاجتهاد والقياس هو الاجماع ، وهو أيضا مستند إلى نص مخصـوص فى جواز الاجتهاد ، فرجعت الأصول الأربعة فى الحقيقة إلى اثنين ، وربما يرجع إلى واحد ، وهو قول الله تعـالى ، وبالجملة نعلم قطعا ويقينا ان الحوادث والوقائع فى العبادات والتصرفات ممـا لا يقبل الحصر والعـد ، ونعلم قطعا أيضا أنه لم يرد فى كل حادثة نص ، ولا يتصور ذلك أيضا ، والنصوص إذا كانت متناهية والوقائع غير متناهية ، وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى علم قطعا أن الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار ، حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد ، ثم لا يجوز أن يكون الاجتهاد مرسلا خارجا عن ضبط الشرع ، فان القياس المرسل شرع آخر ، وإثبات حكم من غير مستند وضع آخـر والشارع هو الواضع للأحكام ، فيجب عَلَى المجتهـد أن لا يعدو فى اجتهاده عن هذه الأركان ، وشرائط الاجتهاد خمسة معرفة صدر صالح من اللغة ، بحيث يمكنه فهم لغات العرب ، والتمييز بين الألفاظ الوضعية والمستعارة . والنص والظاهر . والعام . والخاص . والمطلق . والمقيد . والمجمل . والمفصل . وفحوى الخطاب . وَمفهوم الـكلام . وما يدل على مفهومه بالمطابقة وما يدل بالتضمن . وما يدل بالاستتباع ، فان هذه المعرفة كالآلة التى بها يحصل الشىء . ومن لم يحكم الآلة والاداة لم يصل إلى تمام الصنعة ، ثم معرفة تفسير القرآن خصوصاً

ما يتعلق بالأحكام ، وما ورد من الأخبار فى معانى الآيات . وما رأى من الصحابة المعتبرين كيف سلكوا مناهجها وَأى معنى فهموا من مدارجها ، ولو جهل تفسير سائر الآيات التى تتعلق بالمواعظ والقصص قيل لم يضره ذلك فى الاجتهاد ، فان من الصحابة من كان لا يدرى تلك المواعظ ، ولا يتعلم بعد جميع القرآن ، وكان من أهل الاجتهاد ، ثم معرفة الأخبار بمتونها وأسانيدها ، والاحاطة بأحوال النقلة وَالرواة عدولها وَثقاتها وَمطعونها ومردودها والاحاطة بالوقائع الخاصة فيها وما هو عام ، ورد فى حادثة خاصة . وما هو خاص عمم فى الكل حكمه ثم الفرق بين الواجب ، والندب والاباحة والحظر ، والكراهة ، حتى لا يشذ عنه وجه من هذه الوجوه . ولا يختلط عليه باب بباب ، ثم معرفة مواقع اجماع الصحابة والتابعين من السلف الصالحين . حتى لا يقع اجتهاده فى مخالفة الاجماع . ثم اتهدى إلى مواضع الأقيسة ، وكيفية النظر والتردد فيها من طلب أصل أولا ، ثم طلب معنى مخيل يستنبط منه فيعلق الحكم عليه ، أو شبه مغلب على الظن فيلحق الحكم به ، فهذه خمس شرائط لا بد من اعتبارها ، حتى يكون المجتهد مجتهداً واجب الاتباع والتقليد فى حق العامى ، وإلا فكل حكم لم يستند إلى قياس واجتهاد مثل ما ذكرنا فهو مرسل مهمل ، قالوا فاذا حصل المجتهد هذه المعارف ساغ له الاجتهاد . ويكون الحكم الذى أدي اليه اجتهاده سائغا فى الشرع . ووجب على العامى تقليده . والأخذ بفتواه ،

وقد استفاض الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما بعث معاذا إلى اليمن قال يا معاذ بم تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد، قال فبسنة رسول الله، قال فان لم تجد قال اجتهد رأيي، قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي وفق رسول رسوله لما يرضاه[1]، وقد روى عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام انه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا إلى اليمن قلت يا رسول الله كيف أقضى بين الناس وأنا حديث السن. فضرب رسول الله بيده صدرى وقال اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه، فما شككت بعد ذلك فى قضاء بين اثنين[2].

ثم اختلف أهل الأصول فى تصويب المجتهدين فى الأصول والفروع. فعامة أهل الأصول على أن الناظر فى المسائل الاصولية،

---

(١) حدث معاذ، أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال كيف تصنع إن عرض لك قضاء قال اقضى بما فى كتاب الله قال فان لم يكن فى كتاب الله قال فبسنة رسول الله ﷺ قال فان لم يكن فى سنة رسول الله ﷺ قال اجتهد رأيي لا آلو، قال فضرب رسول الله ﷺ صدرى ثم قال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله ﷺ فتبين أن النبى صلى الله عليه وسلم أقر معاذا على اجتهاد رأيه فيما لم يجد فيه نصا عن الله ورسوله (اعلام الموقعين أول ص ٢٤٣)

(٢) ولما كان على باليمن أتاه ثلاثة نفر يختصمون فى غلام فقال كل منهم هو ابني فاقرع على بينهم فجعل الولد للقارع وجعل عليه للرجلين ثلثي الدية فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه من قضاء على (اعلام الموقعين أول ص ٢٩٥)

والأحكام العقلية اليقينية القطعية ، يجب أن يكون متعين الاصابة ، فالمصيب فيها واحد بعينه ، ولا يجوز أن يختلف المختلفان فى حكم عقلى حقيقة الاختلاف بالنفى والاثبات ، على شرط التقابل المذكور ، بحيث ينفي أحدهما ما يثبته الآخر بعينه من الوجه الذى يثبته فى الوقت الذى يثبته الأوان يقتسما الصدق والكذب ، والحق والباطل ، سواء كان الاختلاف بين أهل الأصول فى الاسلام ، أو بين أهل الملل والنحل الخارجة عن الاسلام فان المختلف فيه لا يحتمل توارد الصدق والكذب والصواب والخطأ عليه فى حالة واحدة ، وَهو مثل قول أحد المخبرين ، زيد فى هذه الدار فى هذه الساعة ، وقول الثانى ليس زيد فى هذه الدار فى هذه الساعة ، فانا نعلم قطعاً ان أحد المخبرين صادق ، والثانى كاذب ، لأن المخبر عنه لا يحتمل اجتماع الحالتين فيه معا ، فيكون زيد فى الدار ولا يكون فى الدار ، لعمري قد يختلف المختلفان فى مسئلة ويكون محل الاختلاف مشتركا ، وشرط تقابل القضيتين فاقدا فحينئذ يمكن أن يصوب المتنازعان ، ويرتفع النزاع بينهما برفع الاشتراك ، أو يعود النزاع إلى أحد الطرفين ، مثال ذلك المختلفان فى مسئلة الكلام ليسا يتواردان على معنى واحد بالنفى والاثبات ، فان الذى قال هو مخلوق أراد به أن الكلام هو الحروف والأصوات فى اللسان ، والرقوم والكلمات فى الكتابة ، قال وَهـــذا مخلوق ، وَالذى قال ليس بمخلوق لم يرد به الحروف وَالرقوم ، وإنما أراد معنى آخر ، فلم يتوارد بالتنازع فى الخلق

على معنى واحد ، وكذلك فى مسئلة الرؤية ، فان النافى قال الرؤية اتصال شعاع بالمرئى ، وهو لا يجوز فى حق البارى تعالى ، والمثبت قال الرؤية إدراك أو علم مخصوص ، ويجوز تعلقه بالبارى تعالى ، فلم يتوارد النفى والاثبات على معنى واحد ، إلا إذا رجع الكلام إلى إثبات حقيقة الرؤية فيتفقان أولا عَلَى أنها ما هى ، ثم يتكلمان نفياً واثباتاً ، وكذلك فى مسئلة الكلام يرجعان إلى إثبات ماهية الكلام ، ثم يتكلمان نفياً وإثباتاً ، وإلا فلا يمكن أن تصدق القضيتان ، وقد صار (ابن) الحسن [1]

---

(١) عبيد الله بن الحسن بن حصين العنبرى القاضى ، كان فقيها ثقة ، محمودا عاقلا من الرجال ، لما مات سوار بن عبيد الله ، طلبوا عبيد الله بن الحسن فهرب ، ثم استقضى ، اتاه رجل ، فقال كنا عند الأمير محمد بن سليمان فذكرت كل الجميل الا المزاح فقال والله انى لا مزح وما أقول إلا الحق ، وقال ابن مهدي كنا فى جنازة فسألته عن مسألة فغلط فيها فقلت له أصلحك الله أتقول فيه كذا وكذا ، فاطرق ساعة ، ثم رفع رأسه فقال . إذا أرجع وأنا صاغر لأن أكون ذنبا فى الحق أحب إلى من أن أكون رأسا فى الباطل ، وكان من سادات أهل البصرة فقها وعلما ولد سنة ١٠٥ وولى القضاء سنة ١٥٧ وقد عزله المهدى سنة ١٦٦ ، وكان عبيد الله اتهم بأمر عظيم ، وروى عنه كلام ردى يعنى قوله كل مجتهد مصيب ، وقيل انه رجع عن المسألة التى ذكرت عنه لما تبين له الصواب وقال ابن قتيبة فى اختلاف الحديث ، لم نصير إلى عبيد الله بن الحسن العنبرى فنهجم من قبيح مذهبه وشدة تناقص قوله على ما هو أولى مما انكره وذلك انه كان يقول ان القرآن يدل على الاختلاف فالقول بالقدر صحيح والقول بالاجبار صحيح ولها أصل فى الكتاب فمن قال بهذا فهو مصيب ومن قال بهذا فهو مصيب هؤلاء قوم عظموا الله ، وهؤلاء قوم نزهوا الله وكان يقول فى قتال على لطلحة والزبير وقتالهما أياه ، كله لله طاعة ، توفى سنة ١٦٨ (تهذيب التهذيب سابع ص ٧)

العنبرى إلى أن كل مجتهـد ناظر فى الأصـول مصيب ، لأنه أدى ما كلف من المبالغة فى تسديد النظر ، والمنظور فيه وإن كان متعينا نفيا واثباتا ، إلا أنه أصاب من وجه ، وإنما ذكر هـذا فى الاسلاميين من الفرق ، وأما الخارجون عن الملة فقد تقررت النصوص والاجماع على كفرهم وخطئهم ، وكان سياق مذهبهم يقتضى تصويب كل ناظر مجتهد على الأطلاق ، إلا أن النصوص والاجماع صدته عن تصويب كل ناظر[1] ، وتصديق كل قائل ، وللأصوليين خلاف فى تكفير أهل أهل الاهواء ، مع قطعهم بأن المصيب واحد بعينه ، لأن التكفير

(١) مذهب الجمهور من المسلمين انه ليس كل مجتهد فى العقليات مصيبا وان الاثم غير محطوط عن مخالف ملة الاسلام سواء نظر وعجز عن معرفة الحق أم لم ينظر وقال الجاحظ ، وعبيد الله بن الحسن العنبرى من المعتزلة بحط الاثم عن مخالف ملة الاسلام اذا نظر واجتهد فأداه اجتهاده إلى معتقده وانه معذور بخلاف المعاند وزاد عبيد الله بن الحسن العنبرى بأن قال كل مجتهد فى العقليات مصيب وهو يخالف ما عليه الجمهور ، مستندين إلى قوله تعالى ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار، وقوله وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم وقوله ويحسبون أنهم على شىء إلا إنهم هم الـكاذبون) فذمهم الله على معتقدهم وتوعدهم بالعقـاب عليـه ولو كانوا معذورين لما كان كذلك ، ألى ما علم من النبي صلى الله عليه وسلم ، من تكليفه للكفار ، بتصديقه واعتقاد رسالته ، وذمهم على معتقداتهم وقتله لمن ظفر بهم ، وتعذيبه على ذلك منهم وقد اجمعت الأمة على قتال الكفار وذمهم ومهاجرتهم على اعتقاداتهم ولو كانوا معذورين لما ساغ ذلك من الأمة المعصومة عن الخطأ (الآمدى رابع ص ٢٣٩)

حكم شرعى ، والتصويب حكم عقلى ، فمن مبالغ متعصب لمذهبه كفر وضلل مخالفه ، ومن متساهل متألف لم يكفر ، وَمن كفر قرب كل مذهب ، ومقالة ، بمقالة واحد من أهل الاهواء والملل ، كتقريب القدرية بالمجوس ، وتقريب المشبهة باليهود ، والرافضة بالنصارى ، فأجرى حكم هؤلاء فيهم من المنا كحة وأ كل الذبيحـة ، ومن ساهل ولم يكفر قضى بالتضليل ، وحكم بأنهم هلكى فى الآخرة ، واختلفوا فى اللعن على حسب اختلافهم فى التكفير والتضليـل ، وكذلك من خرج على الامام الحق بغيا وعدوانا ، فان كان صدر خروجه عن تأويل واجتهاد سمى باغيا مخطئا ، ثم البغى هل يوجب اللعن فعند أهل السنة إذا لم يخرج بالبغى عن الايمان ، لم يستوجب اللعن ، وعنـد المعتزلة يستحق اللعن بحكم فسقه ، والفاسق خارج عن الايمان ، وإن كان صدر خروجـه عن البغى والحسـد والمروق عن اجماع المسلمين ، استحق اللعن باللسان ، والقتل بالسيف والسنان ، وأما المجتهدون فى الفروع ، فاختلفوا فى الأحكام الشرعية من الحلال والحرام ، ومواقع الاختلاف مظان غلبات الظنون ، بحيث يمكن تصويب كل مجتهد فيها ، وإنما يبتنى ذلك على أصل ، وهو أنا نبحث هل الله تعالى حكم فى كل حادثة أم لا ، فمن الأصوليين من صار إلى أن حكم الله تعالى فى الوقائع المجتهد فيها حكما بعينه قبل الاجتهاد ، من جواز وحظر ، بل وفى كل حركة يتحرك بها الانسان حكم تكليف ، من تحليل وتحريم ،

وإنما يرتاده المجتهـد بالطلب ، والاجتهاد يجب أن يكون فى شىء إلى شىء ، فالطلب المرسل لا يعقل ، ولهذا يتردد المجتهد بين النصوص والظواهر والعمومات ، وبين المسائل المجمع عليها ، فيطلب الرابطة المعنوية ، والتقريب من حيث الأحكام والصور حتى يثبت فى المجتهد فيه مثل ما تلقاه فى المتفق عليه ، ولو لم يكن له مطلوب معين كيف يصح منه الطلب على هذا الوجه ، فعلى هذا المذهب المصيب واحـد المجتهدين فى الحكم المطلوب ، وإن كان الثانى معذوراً نوع عذر ، إذ لم يقصر فى الاجتهاد ، ثم هل يتعين المصيب أم لا ، فأكثرهم على أنه يتعين فالمصيب واحد لا بعينه .

ومن الأصوليين من فصل الأمر فيه ، فقال ينظر فى المجتهد فيه ان كان مخالفة النص ظاهرة فى أحد المجتهدين ، فهو المخطىء بعينه خطأ لا يبلغ تضليلا ، والمتمسك بالخـبر الصحيح والنص الظاهر مصيب بعينه ، وإن لم يكن مخالفة النص ظاهرة فلم يكن مخطئا بعينه ، بل كل واحد منهما مصيب فى الحكم لا بعينه[1] ، هذه جملة

(١) الراجح من هذه ، الآراء ان لله حكما معينا ، فى كل واقعة نصب عليه الدليل فمن ظفر به فهو المصيب ، ومن أخطأه بعـد افراغ وسعه ، وبذل منته وجهده ، فهو مخطىء ، الا انه يثاب من أجل اجتهاده ، مرفوع عنه وزر خطئه فالمصيب فى الشريعة واحد ، وذلك لأن أدلة هذه الشريعة ، اما نصوص واما أقيسة ترجع إلى تلك النصوص ، والنصوص قد يكون الخلاف من أجل تأويلها ، وقد يـكون فى صحة نسبتها ان كانت من أخبار الآحاد ، فأما التأويل والخلاف فيه ، فانا نعلم بالبداهة أن الشارع

ما نص إلا نصا وهو يريد به معنى معينا ، وهذا المعنى قد يظفر به بعض المجتهدين فهو مصيب ، ومن أضله كان مخطئا ، وأما الخلاف فى أسانيد الاخبار فانا نعلم أن الحقيقة فى ذلك واحدة لاتتعدد فالخبر اما أن يكون قد قيل ، واما لا ولايجوز الامران معا فى حادثة واحدة ، فمن وفق لهـذه الحقيقة فهو مصيب ، فاذا روي بعض الرواة أن النبى ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال ورواه آخرون وهو محرم ، فليس من الجائز أن يكون قد تزوجها وهو حلال محرم ، وأما الاقيسة فمعناها العلل التى قصدها الشارع باحكام الاصول ، وليس من الجائز إلا أن يكون الشارع أراد بتشريع الحكم مصلحة عرفها ووجه صلاحيتها مادمنا نقول أن التشريع انما هو لمصالح العباد فمن وفق لاستخراج هذه العلة والحاق ما وجدت فيه بالاصل كان مصيبا وقد ورد فى الاخبار والآثار ، ما يفيد ان من المجتهدين من يصيب ، ومنهم من يخطىء ، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وأن اخطأ فله أجر ، فدل ذلك على أن من الاجتهاد صوابا وخطأ . والذى استحق به المخطىء الأجر ، هو الاجتهاد لاالخطأ ، وورد عن أبى بكر انه قال أقول فى الكلالة برأيى ، فان كان صوابا فمن الله ، وان كان خطأ فمن الشيطان وقال على لعمر ، ان لم يجتهدوا فقد غشوا وان اجتهدوا فقداخطئوا ، اما الانم فارجو ان يكون عنك زائلا واما الدية فعليك ، ولما كتب أبو موسى كتابا عن عمر كتب فيه ، هـذا ما أرى الله عمر قال امسحه واكتب هذا ما رأى عمر فان يك خطأ فمن عمر وقال فى المرأة التى ردت عليه فى النهى عن المبالغة فى المهر ، حيث ذكرت « وآتيتم احداهن قنطارا » أصابت امراة وأخطأ عمر ، وقال ابن مسعود ان كان خطأ فمنى ومن الشيطان بعد ان اجتهد شهرا ، إلى غير أولئك من الأخبار التى تدل بمجموعها على أن الصحابة كانوا يرون منهم المصيب والمخطىء ، وان كانوا لا يرون على المخطىء أثما . أما القائلون بأن الـكل مصيب ، فان أرادوا إن كلا لايكلف الا ما أوصله اليه اجتهاده كما يدل عليه كلامهم فهو صحيح ، ولايخالف فى هـذا أحد الا من شذ اما إذا أرادوا ما يدل عليه ظاهر الفاظهم من انه ليس لله فى الواقعة حكم معين بل الحكم ما وصل

كافية فى أحكام المجتهدين فى الأصول والفروع ، والمسئلة والقضية معضلة .

ثم الاجتهاد من فروض الكفايات ، لا من فروض الأعيان ، حتى إذا استقل بتحصيله واحد سقط الفرض عن الجميع ، وإن قصر فيه أهل عصر عصوا بتركه ، وأشرفوا على خطر عظيم ، فان الأحكام الاجتهادية إذا كانت مرتبة عَلَى الاجتهاد ترتيب المسبب على السبب ، ولم يوجد السبب كانت الأحكام عاطلة ، والآراء كلها فائلة فلا بدّ إذاً من مجتهد ، وإذا اجتهد المجتهدان أدى اجتهاد كل واحد منهما إلى خلاف ، ما أدى اليه اجتهاد الآخر ، فلا يجوز لأحدهما تقليد الآخر وكذلك إذا اجتهد مجتهد واحد فى حادثة ، وأدى اجتهاده إلى جواز ، أو حظر ، ثم حدثت تلك الحادثة بعينها فى وقت آخر ، فلا يجوز له أن يأخذ باجتهاده الأول ، إذ يجوز أن يبدو له فى الاجتهاد الثانى ما أغفله فى الأول ، وأما العامى فيجب عليه تقليد المجتهد ، وإنما مذهبه فيما يسأله مذهب من يسأله عنه ، هذا هو الأصل ، إلا أن علماء الفريقين ، لم يجوزوا أن يأخذ العامى الحنفى إلا بمذهب أبى حنيفة ،

اليه ظن المجتهد ، فهو قول مردود ، بما ذكرناه آنفا ، بل أن هذا الخلاف هو نظرى محض ، لأن فقهاء الجمهور كلهم متفقون على أن الانسان مكلف أن يبذل جهده فى الوصول إلى الحكم ، ثم ما وصل اليه بعد اجتهاده هو الذى يكلف به فالحق فى المسائل الاجتهادية شائع بين المجتهدين ، وكلهم ماجور ان شاء الله تعالى .

والعامي الشفعوى إلا بمذهب الشافعى ، لأن الحكم بأن لا مذهب للعامى ، وأن مذهبه مذهب المفتى يؤدى إلى خلط وخبط ، فلهذا لم يجوزوا ذلك ، وإذا كان مجتهدان فى بلد اجتهد العامى فيهما ، حتى يختار الأفضل والأورع ، ويأخذ بفتواه ، وإذا أفتى المفتى على مذهبه وحكم به قاض من القضاه على مقتضى فتواه ، ثبت الحكم على المذاهب كلها ، وكان القضاء إذا اتصل بالفتوي ، ألزم الحكم ، كالقبض مثلا إذا اتصل بالعقد ، ثم العامى بأى شىء يعرف أن العالم قد وصل إلى حد الاجتهاد ، وكذلك المجتهد نفسه متى يعرف أنه قد استكمل شرائط الاجتهاد ففيه نظر

ومن أصحاب الظاهر ، مثل داود الأصفهانى وغيره ، ممن لم يجوز القياس[1] والاجتهاد فى الأحكام ، وقال الأصول هو الكتاب

(١) قال ابن حزم فى الاحكام : ذهبت طوائف من المتاخرين من أهل الفتيا الى القول بالقياس فى الدين ، وذكروا أن مسائل ونوازل تردلاذكر لها فى نص كلام الله تعالى ولا فى سنة رسول الله ﷺ ولا أجمع الناس عليها ، فننظر إلى ما يشبهها مما ذكر فى القرآن ، أو فى سنة رسول الله ﷺ فنحكم فيما لا نص فية ولا اجماع بمثل الحكم فيما فيه نص أو اجماع لاتفاقهما فى العلة التى هى علامة الحكم ، مع أن أبا حنيفة قال الخبر المرسل والضعيف عن رسول الله ﷺ أولى من القياس ولايحل القياس مع وجوده والرواية عن الصاحب الذى لا يعرف له مخالف منهم ، أولى من القياس ولا يجوز الحكم بالقياس فى الكفارات ولا فى الحدود ولا فى المقدرات وقال الشافعى لايجوز القياس مع نص قرآن أو خبر صحيح مسندوأماعند عدمهما فان القياس واجب فى كل حكم ، قال ابن حزم ، وذهب أصحاب

الظاهر الى أبطال القياس ، بالقياس فى الدين جملة ، ولا يجوز الحكم البتة فى شىء من الأشياء كلها الا بنص كلام الله تعالى أو نص كلام النبى ﷺ أو بما صح عنه ﷺ من فعل أو اقرار ، أو اجماع من جميع علماء الأمة كلها ، متيقن أنه قال كل واحد منهم دون مخالفة من أحد منهم أو بدليل من النص أو من الاجماع المذكور الذى لا يحتمل الا وجها واحدا والاجماع عند هؤلاء راجع إلى توقيف من رسول الله ﷺ وهذا قولنا الذين ندين الله تعالى به ثم قال : ولم يصح قط عن أحد من الصحابة القول بالقياس ، والقياس بدعة حدثت فى القرن الثانى ، ثم فشا وظهر فى القرن الثالث كما ابتدأ التقليد والتعليل للقياس فى القرن الرابع وفشا وظهر في القرن الخامس ، فليتق الله امرؤ على نفسه ، فحجة الله تعالى قد قامت باتباع القرآن والسنة وترك ما عدا ذلك من القياس والرأى والتقليد ، وقد كان من بعض الصحابة نزعات إلى القياس ابطلها رسول الله ﷺ ، وكل ما لم ينص عليه فهو شرع لم يأذن به الله تعالى وهذه صفة القياس وقد قال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وقال وأن منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب ، وماهو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله فكل ماليس فى القرآن والسنة منصوصا باسمه واجبا ماموراً به ومنهيا عنه - فمن أوجبه او حرمه أو خالف ما جاء به النص فهو من عند غير الله تعالى والقياس غير منصوص على الأمر به فيهما ومن حرم أو أحل أو أوجب أو أسقط قياسا ، على ما حرمه الله أو أحله أو أوجبه أو أسقطه فقد تعدى حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه والله تعالى لم يكل بيان شريعته إلى أحد من الناس ولا إلى رأى ولا إلى قياس ؛ لكن الى نص القرآن وإلى رسوله ﷺ فقط ، فالله يقول يصف كتابه تبيانا لكل شىء » وقال لتبين للناس ما نزل اليهم ، وقال تعالى « وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله وقال فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فلم يبح الله عند التنازع والاختلاف أن يتحاكم أو يرد الا الى

والسنة والاجماع فقط ، ومنع أن يكون القياس أصلا من الأصول ، وقال أول من قاس إبليس ، وظن أن القياس أمر خارج عن مضمون الكتاب والسنة ، وَلم يدر أنه طلب حكم الشرع من مناهج الشرع ، ولم ينضبط قط فى شريعة من الشرائع إلا باقتران الاجتهاد به لأن من ضرورة الانتشار فى العالم الحكم بأن الاجتهاد معتبر ، وقد رأينا الصحابة كيف اجتهدوا ، وكم قاسوا خصوصا فى مسائل الميراث من توريث[1] الأخوة مع الجد ، وَكيفية توريث

القرآن و كلام الرسول ﷺ فقط ، لا إلى أحد دون النبي ﷺ ولا إلى رأى ولا قياس إلى غير ذلك مما أورد من الأخبار والآثار ، مدللا على أن القياس ، ليس من الدلائل الشرعية ، وانى أقول ، أن الاجتهاد بالقياس ثابت عن أصحاب رسول الله ﷺ ، إذ أجمعوا على الحكم بالرأى والاجتهاد فى كل واقعة وقعت لهم ولم يجدوا فيها نصا ، وهذا مما تواتر عنهم تواترا لاشك فيه ، كحكمهم بامامة أبى بكر ، قياسا على إمامة الصلاة ، التى اختصه بها رسول الله ﷺ ورجوعهم الى اجتهاد أبى بكر ورايه فى قتال ما نعى الزكاة وقد كان بنو حنيفة يتمسكون بظاهر الآية « خذ من أموالهم » بانها خاصة بالرسول ولكن الصحابة قاسوا خليفة الرسول على الرسول ، وفى عهد عمر إلى أبى موسى الأشعرى ، اعرف الاشباه والامثال ثم قس الأمور برأيك ، ومنه قول معاذ للنبي ﷺ اجتهد رأيى عند فقد الكتاب والسنة فزكاه النبى ﷺ ، إلى ماروه عنه عليه الصلاة والسلام من الأحاديث التى بلغت مبلغ التواتر المعنوى وقد اتفق على القول بالقياس كبار الأئمة وجلة مجتهديها ، ورأوه دليلا موصلا إلى حكم الله عز وجل

(١) قال زيد بن ثابت أن عمر بن الخطاب لما استشار فى ميراث الجد والاخوة قال زيد و كان رأيى يومئذ أن الاخوة أحق بميراث أخيهم من

الـكلالة[١] وذلك مما لايخفى على المتدبر لأحوالهم

ثم المجتهدون من أئمة الأمة محصورون فى صنفين لا يعدوان إلى ثالث ، أصحاب الحديث ، وأصحاب الرأى ، أصحاب الحديث ، وهم أهل الحجاز هم أصحاب مالك بن أنس ، وَأصحاب محمد بن ادريس[٢]

الجد ، وعمر يرى يومئذ أن الجد أولى بميراث ابن ابنه من اخوته ، فتحاورت أنا وعمر محاورة شديدة فضربت له فى ذلك مثلا فقلت لو أن شجرة تشعب من أصلها غصن ، ثم تشعب فى ذلك الغصن خوطان ، ذلك الغصن يجمع الخوطين دون الاصل ويغذوهما الا ترى يا أمير المؤمنين أن أحد الخوطين أقرب إلى أخيه منه الى الاصل قال زيد فأنا اعذله واضرب له هذه الأمثال وهو يأبى الا أن الجد أولى من الاخوة ويقول والله لوانى قضيت اليوم لبعضهم لقضيت به للجد كله ولكن لعلي لاأخيب منهم أحدا ولعلهم أن يكونوا كلهم ذوى حق ولكن زيد بن ثابت كان يجعل الجد أخا حتى يبلغ ثلاثة هو ثالثهم فان زادوا على ذلك أعطاه الثلث وكان على يجعله أخا مابينه وبين ستة وهو سادسهم ويعطيه السدس فان زادوا على ستة اعطاه السدس وصار مابقى بينهم (أعلام الموقعين أول ص ٥٦ ٢)

(١) فان أبا بكر لما سئل عن الكلاله قال أقول فيها برأيي فان يكن صوابا فمن الله ، وان يكن خطأ فمنى ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان ، الكلالة ما عدا الوالد والولد وقد اجتهد بعض الصحابة فورثوا الاخوة لام واعتبروهم من الكلالة

(٢) الامام ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعى المطلبي القرشى كان كثير المناقب جم المفاخر منقطع القرين اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكلام الصحابة وآثارهم واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة العربية والشعر حتى أن الاصمعى مع جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه أشعار الهذليين مالم يجتمع فى غيره قال عبد الله بن أحمد بن حنبل قلت لابى أى رجل كان الشافعى فانى سمعتك

الشافعي ، وأصحاب سفيان الثورى ، وأصحاب أحمـــد بن حنبل ، وأصحاب داود بن على بن محمد الاصفهانى . وإنما سموا أصحاب الحديث لأن عنايتهم بتحصيل الاحاديث ونقل الاخبار ، وبناء الاحكام على النصوص . ولا يرجعون إلى القياس الجلى والخفى ما وجدوا خبرا أو أثرا وقد قال الشافعى رضى الله عنه إذا ما وجدتم لى مذهبا ووجدتم خبرا على خلاف مذهبى فاعلموا أن مذهبى ذلك الخبر ، ومن أصحابه أبو إبراهيم اسماعيل [1] بن يحيى المزنى والربيع بن سليمان

تكثر من الدعاء له فقال يابني كان الشافعى كالشمس للدنيا . وكالعافية للبدن ، هل لهذين من خلف أو عنهما من عوض وقد قال له مسلم بن خالد الزنجي افت يا أبا عبدالله فقد والله آن لك أن تفتى ، وهو ابن خمس عشرة سنة وقد اتفق العلماء على ثقته وامانته وعدالته وزهده وورعه ، ونزاهة عرضه وعفة نفسه وحسن سيرته وعلو قدره ، وسخائه ، وكان سفيان بن عيينه إذا جاء شىء من التفسير أو الفتيا التفت إلى الشافعى فقال سلوا هذا الغلام ولد بغزه سنة خمسين ومائة ، ونشأ بمكة وذهب إلى بغداد ثم رجع إلى مكة ثم عاد إلى بغداد يقرأ ، ويدارس ، ثم خرج إلى مصر سنة ١٩٨ ولم يزل بها إلى أن توفى ، فى سلخ رجب سنة أربع ومائتين ، ورجع القوم من جنازته وقد رأوا هلال شعبان (ابن خلكان أول ص ٥٦٥)

(١) أبو ابراهيم اسماعيل ابن يحيى المزنى من أهل مصر ، كان زاهـدا عالما مجتهدا محجاجا غواصا على المعانى الدقيقة وهو امام الشافعيين وأعرفهم بطرقه وفتاويه وما ينقله عنه صنف كتبا كثيرة فى مذهب الامام الشافعى منها الجامع الكبير ، وقد قال الشافعى فى حقه المزنى ناصر مذهبى ، وكان إذا فرغ من مسألة وأودعها مختصرة ، قام إلى المحراب وصلى ركعتين شكرا لله تعالى وقال ابن سريج يخرج مختصر المزني من الدنيا عذراء لم يفتض ، وهو أصل الكتب المصنفة في مذهب الشافعى . وقد كانت له عبادة وفضل ثقة في الحديث لايختلف فيه حاذق من أهل الفقه وكان أحد

الجيزي[١] ، وحرملة[٢] بن يحي التجيبي ، والربيع[٣] المرادى ،

الزهاد فى الدنيا ، وكان من خير خلق الله عز وجل ومناقبه كثيرة توفى سنة أربعين وستين ومائتين (ابن خلكان أول ص ٨٨)

(١) أبو محمد الربيع بن سليمان الازدى بالولاء المصرى الجيزى صاحب الامام الشافعى ، لكنه كان قليل الرواية عنه وانما روى عن عبد الله بن الحكم كثيرا وكان ثقة ، قيل انه اجتاز يوما بمصر فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفضه عن ثيابه ولم يقل شيئا فقيل له ألا تزجرهم فقال من استحق النار وصولح بالرماد فقد ربح ، توفى سنة ست وخمسين ومائتين بالجيزة ، ودفن بها (ابن خلكان أول ص ٢٣٠)

(٢) أبو عبد الله حرملة بن يحيى التجيبي الزميلى المصرى ، كان أكثر أصحاب الشافعى ، اختلافا اليه ، واقتباسا منه وكان حافظا للحديث ، وصنف المبسوط والمختصر ، وروى عنه مسلم فأكثر فى صحيحه من ذكره توفى بمصر سنة ثلاث وأربعين ومائتين (ابن خلكان أول ص ٥٩)

(٣) ابو محمد الربيع بن سليمان المرادى بالولاء ، المؤذن المصرى ، وهو الذى روى أكثر كتب الشافعي ، وقال الشافعى ، فى حقه الربيع روايتى وما خدمنى احدما خدمنى الربيع ، وكان يقول له يا ربيع لو امكننى أن أطعمك العلم لاطعمتك وقال دخلت على الامام الشافعى عند وفاته وعنده البويطى والمزنى وابن عبد الحكم فنظر الينا ثم قال أما أنت يا أبايعقوب يعنى البويطي فتموت فى حديدك ، وأما أنت يامزنى فستكون لك فى مصر هنات وهنات ولتذكرن زمانا تكون فيه أقيس أهل زمانك وأما أنت يا محمد يعنى ابن عبد الحكم فسترجع إلى مذهب مالك وأما أنت يا ربيع فانت أنفعهم لي فى نشر الكتب قم يا أبا يعقوب فتسلم الحلقة ، قال الربيع فلما مات الشافعى صار كل واحد منهم إلى ماقال حتى كانه ينظر الى الغيب من ستر رقيق وكان الربيع آخر من روى عن الشافعى بمصر ، وتوفى سنة سبعين ومائتين (ابن خلكان أول ص ٢٢٩)

وأبو يعقوب[١] البويطى ، والحسن[٢] بن محمد بن الصباح الزعفرانى ومحمد بن عبد الله[٣] بن عبد الحكم المصرى ،

---

(١) ابو يعقوب يوسف بن يحيى المصرى البويطى صاحب الشافعى ، وكان واسطة عقد جماعته وأظهرهم نجابة اختص به فى حياته وقام مقامه فى الدرس والفتوى بعد وفاته ، وقد حمل فى أيام الواثق بالله من مصر الى بغداد فى مدة المحنة وأريد على القول بخلق القرآن فامتنع من الاجابة إلى ذلك فحبس ببغداد ولم يزل فى السجن والقيد حتى مات وكان صالحا متنسكا عابدا زاهدا كتب إلى الربيع من السجن انه ليأتى على أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدنى حتى تمسه يدي فاذا قرأت كتابى هذا فاحسن خلقك مع أهل حلقتك واستوص بالغرباء خاصة خيرا فكثيرا ما كنت أسمع الشافعى يتمثل بهذا البيت

اهين لهم نفسي لاكرمهم بها ولن تكرم النفس التى لاتهينها

وأخباره كثيرة توفى سنة احدى وثلاثين ومائتين (ابن خلكان ثان ص ٤٥٧)

(٢) ابو على الحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى برع فى الفقه والحديث وصنف فيهما كتبا ، وسار ذكره فى الآفاق ، ولزم الشافعى حتى تبحر ، وكان يتولي قراءة كتب الشافعي عليه ، وهو أحد رواة الاقوال القديمة عن الشافعى ورواتها أربعة هو وابو ثور وأحمد بن حنبل والكرابيسى ورواة الاقوال الجديدة ستة المزنى والربيع الجيزي ، والربيع المرادى والبويطى وحرملة ويونس بن عبدالاعلي ، وقد توفى الزعفرانى فى سلخ شعبان سنة ستين ومائتين (ابن خلكان أول ص ١٦١)

(٣) ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحكم المصرى ، سمع من ابن وهب واشهب ، المالكيين ، فلما قدم الشافعى مصر صحبه وتفقه به وحمل فى المحنة إلى بغداد ، فلم يجب إلي ما طلب منه فرد إلى مصر وانتهت اليه الرياسة بمصر ، وكان الشافعى معجبا به ، وبفقهه ، ولقد كان عند الشافعى ، ثم قرب اليه دابته فركبها واتبعه الشافعى بصره فلما غاب شخصه قال وددت لو أن لى ولدا مثله وعلى الف دينار لا أجد لها قضاء ومحمد هذا هو الذى

وأبو ثور[١] إبراهيم بن خالد الكلبي ، وهم لا يزيدون على اجتهاده اجتهادا ، بل يتصرفون فيما نقل عنه توجيها واستنباطا ، ويصدرون عن رأيه جملة ولا يخالفونه بتة

أصحاب الرأى وهم أهل العراق ، أصحاب أبى حنيفة النعمان بن ثابت ، ومن أصحابه محمد بن الحسن[٢]

أحضره ابن طولون فى الليل إلى حيث سقايته بالمعافر لما توقف الناس عن شرب الماء منها والوضوء به فشرب منه وتوضأ فاعجب ذلك ابن طولون وصرفه لوقته ووجه اليه بصلة ، وقد توفى سنة ثمان وستين ومائتين ودفن بجانب قبر الشافعى (ابن خلكان أول ص ٥٧٨)

(١) ابراهيم بن خالد أبو ثور الكلبي الفقيه البغدادى ، كان أحد الفقهاء الاعلام والثقات المامونين في الدين ، له الكتب المصنفة فى الاحكام جمع فيها بين الحديث والفقه ، وكان ابو ثور أولا يتفقه بالرأى حتي قدم الشافعى بغداد فاختلف اليه ، ورجع عن مذهبه قال الحاكم كان فقيه أهل بغداد ومفتيهم فى عصره وأحد أعيان المحدثين المتقنين بها ، وقال ابن حبان ، كان أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وورعا وفضلا وديانة وخيرا ممن صنف الكتب وفرع على السنن توفى سنة أربعين ومائتين (ابن خلكان أول ص ٣ تهذيب التهذيب أول ص ١١٨)

(٢) ابو عبد الله ، محمد بن الحسن الشيبانى ، بالولاء الفقيه الحنفي ، ولد بواسط ونشأ بالكوفة فطلب الحديث ، ولقى جماعة من أعلام الأئمة ، وحضر مجلس أبى حنيفة ، سنين ثم تفقه على أبى يوسف صاحب أبى حنيفة وصنف الكتب الكثيرة النادرة ، منها الجامع الكبير ، وله فى مصنفاته المسائل المشكلة ، خصوصا المتعلقة بالعربية ونشر علم أبى حنيفة وكان من أفصح الناس وكان إذا تكلم خيل إلى سامعه ان القرآن نزل بلغته وقد نزل عليه الشافعى واستفاد منه كثيرا وقال الشافعى ما رأيت سمينا ذكيا

وَأبو يوسف (١) يعقوب بن محمد القاضى وَزفر بن هذيل (٢)

إلا محمد ابن الحسن ، وكان الرشيد قد ولاه الرقة ثم عزله عنها ، وقدم بغداد ، ولم يزل ملازما للرشيد ، حتى خرج إلى الرأى ومات بربنويه ، سنة تسع وثمانين ومائه وقيل ان محمد بن الحسن والكسائى ماتا فى يوم واحد فقال الرشيد ، دفنت الفقه والعربية بالرى (ابن خلكان أول ص٥٧٤)

(١) القاضى ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم الانصارى كان فقيها عالما حافظا وقد جالس أبا حنيفة وكان الغالب عليه مذهب أبى حنيفة ، وخالفه فى مواضع كثيرة ، وقد سكن بغداد وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء المهدى وابنه الهادى ثم هرون الرشيد ، وكان الرشيد ، يكرمه ويجله وكان عنده حظيا مكينا ، وهو أول من دعى بقاضى القضاة وأول من غير لباس العلماء إلى هذه الهيئة التى هم عليها فى هذا الزمان وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئا واحدا لا يتميز أحد عن أحد بلباسه ، وقد كان حافظا وانه كان يحضر المحدث ، ويحفظ خمسين أو ستين حديثا ثم يقوم فيمليها على الناس وكان كثير الحديث ولكن تحامى حديثه قوم من أهل الحديث من أجل غلبة الرأى عليه ، وتفريعه الفروع والاحكام مع صحبة السلطان وتقلده القضاء وكان أفقه أهل عصره ، ولم يتقدمه أحد فى زمانه وكان النهاية فى العلم والحكم والرياسة والقدر ، وهو أول من وضع الكتب فى أصول الفقه على مذهب أبى حنيفة ، وأملى المسائل ونشرها وبث علم أبى حنيفة فى أقطار الأرض وكان يحفظ التفسير والمغازى وأيام العرب ، توفى سنة اثنتين وثمانين ومائة (ابن خلكان ثان ص ٤٠٠)

(٢) زفر بن الهذيل ، العنبرى البصرى ، الفقيه الحنفى جمع بين العلم والعبادة وكان من أصحاب الحديث ثم غلب عليه الرأى ، وصاحب أبا حنيفة وكان يفضله ويقول هو اقيس أصحابى وتزوج فحضره أبو حنيفة فقال له زفر تكلم فقال أبو حنيفة فى خطبته هذا زفر بن الهذيل أمام من أئمة المسلمين وعلم من أعلامهم فى شرفه وحسبه وعلمه وكان زفر يجلس الى اسطوانة وأبو يوسف بحذائه ، وكان زفر يلبس قلنسوة فكانا يتناظران فى الفقه

والحسن بن زياد[1] اللؤلؤى ، وابن سماعة[2]

وكان زفر جيد اللسان وكان ابو يوسف مضطربا فى مناظرته فربما قال له زفر ابن تفر هذه أبواب كثيرة مفتحة خذ فى أيها شئت ، وكان يقول لانأخذ بالرأى مادام أثر وإذا جاء الاثر تركنا الرأى ، وقال للفضل بن دكين أخرج إلى حديثك حتى أغربله لك وقد تولى قضاء البصرة ، دكان ذا عقل ودين وفهم وورع وكان ثقة فى الحديث ، توفى بالبصرة سنة ثمان وخمسين ومائة (ابن خلكان أول ص ٢٢٧ الجواهر المضيه أول ص ٢٤٣)

(١) الحسن بن زياد اللؤلؤى الكوفى ، صاحب أبى حنيفة ، قال يحيى ابن آدم ، ما رأيت أفقه من الحسن ، بن زياد ولى القضاء بالكوفة ثم استعفى عنه ، وكان محبا للسنة واتباعها حتى لقد كان يكسو مماليكه كما كان يكسو نفسه اتباعا لقول رسول الله ﷺ البسوهم مما تلبسون ، وكان يختلف إلى زفر وابى يوسف فى الفقه ، قال الحسن ، وكان أبو يوسف أوسع صدرا إلى التعليم من زفر ، قال على بن صالح كنا عند أبى يوسف فأقبل الحسن بن زياد فقال أبو يوسف بادروه فاسألوه والا لم تقووا عليه ، وقال الحسن كتبت عن ابن جريج اثنى عشر الف حديث كلها يحتاج اليها الفقهاء ، وقال السمعانى كان عالما بروايات أبى حنيفة وكان حسن الخلق وقال السرخسى الحسن بن زياد المقدم فى السؤال والتفريع توفى سنة أربع ومائتين (الجواهر المضيه أول ص ١٩٤)

(٢) القاضى أبو عبد الله محمد بن سماعه التميمى الكوفى ، تفقه على أبى يوسف ومحمد ، وروى عن الليث بن سعد وله مصنفات واختيارات فى المذهب وهو من الحفاظ الثقات كتب النوادر وروى الكتب والامالى وولى القضاء ببغداد للمأمون ، فلم يزل حتى ضعف بصره فى أيام المعتصم فاستعفى قال ابن معين لو كان أصحاب الحديث ، يصدقون كما يصدق محمد بن سماعة فى الرأى لكانوا على نهاية وكان ورده فى اليوم والليلة مائتي ركعة ، وقال مكثت أربعين سنة لم تفتنى التكبيرة الاولى ، الا يوما واحدا ماتت فيه أمى ففاتتنى صلاة فى واحدة جماعة فقمت فصليت خمسا وعشرين

وعافية[١] القاضى وأبو مطيع البلخى[٢] وبشر المريسى ، وإنما سموا أصحاب الرأى ، لأن عنايتهم بتحصيل وجـــه من القياس ، والمعنى المستنبط من الاحكام ، وبناء الحوادث عليها ، وربما يقدمون القياس الجلى على آحاد الاخبار . وقد قال أبو حنيفة رحمه الله علمنا هذا رأى ، وهو أحسن ما قدرنا عليه ، فمن قدر عَلَى غير ذلك ، فله ما رأى ، ولنا ما رأيناه ، وهؤلاء ربما يزيدون على اجتهاده اجتهادا ويخالفونه فى الحكم الاجتهادى والمسائل التى خالفوه فيها معروفة ، وبين الفريقين اختلافات كثيرة فى الفروع ، ولهم فيها تصانيف ، وعليها مناظرات وَقد بلغت النهاية فى مناهج الظنون ، حتى كأنهم أشرفوا عَلَى القطع واليقين ، وليس يلزم بذلك تكفير وَلا تضليل ، بل كل مجتهد مصيب كما ذكرنا

انتهى بتوفيقه تعالى الجزء الأول ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثانى مفتتحا بذكر الخارجين عن الملة الحنفية ، والله المعين على إكماله ، وهو على كل شىء قدير

صلاة أريد بذلك التضعيف فغلبتنى عيناى ، فاتاني آت فقال يا محمد قد صليت خمسا وعشرين صلاة لكن كيف لك بتأمين الملائكة توفى سنة ثلاثين ومائتين (التهذيب التهذيب تاسع ص ٢٠٤ شذرات ثان ص ٧٨)

(١) عافية بن يزيد بن قيس الاودى ولاه المهدى القضاء ببغداد وكان من أصحاب أبي حنيفة الذين يذاكرونه وكانوا يخوضون فى المسائل فان لم يحضر عافيه قال ابو حنيفة لا ترفعوا المسألة حتى يحضر عافيه فان حضر ووافقهم اثبتوها وان لم يوافقهم قال ابو حنيفه لا تثبتوها وقد ولى القضاء للرشيد وكان من خيار القضاة (تاريخ بغداد حر ١٢ ص ٣٠٧)

(٢) ابو مطيع البلخى الحكم بن عبد الله بن مسلمة صاحب الامام ، والقاضى الفقيه روى كتاب الفقة الاكبر عن الامام أبى حنيفة كان ابن المبارك يعظمه ويبجله لدينه وعلمه وكان قاضيا ببلخ مات سنة سبع وتسعين ومائة (الجواهر المضيه ثان ص ٢٦٥)

كشـــاف

مجمل لموضوعات الجزء الأول أما الـكشاف المفصل ، فسيكون جامعا للاجزاء الثلاثة فى نهاية الجزء الثالث ان شاء الله تعالى .

المستدرك

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥	٥	والبخارية	والنجارية	١٧٩	٢٠	قل	قتل
١١	١١	وشبهه	وشبه	١٨٠	١٩	أسعرها	أشعرهما
٢٣	١٧و٤	حصين	حصن	١٨١	١٥	٣٠٤	٤٠٣
٢٤	٢١	تهذب	تهذيب	١٨٣	١٦	اثنين	اثنتين
٢٧	٢	لاإمامة في	لا إمامة	١٨٩	١٨	وتحاف	وتخلف
٣٠	٧	الافاثنا عشريه	فالاثناعشرية	١٩٦	١٣	٦	١
٣١	١١	بسبيوية	بسيسوية	١٩٦	١٣	بيهس	أبي بيهس
٣٢	١٩	الحسن	الحسين	٢٤١	٢٢	١٥	١٦
٣٣	١	وسميتها	وسمتها	٢٥٨	٢	استلينات	استلينك
٣٥	٩-١	خابط	حابط	٢٦٤	١٩	الداعي	(٣) الداعي
٤٢	٦	كرم	كرام	٢٧١	١٢	الواقفة	الواقفية
٧٨	١١	البط	الزط	٢٧٣	١٤	الزوزني	المروروذي
٨٢	٥و٤	الخابطية	الحابطيه				(أحمد بن بشر
٩١	٢٢	أن لا أن	أن لا				البصري امام
٩٧	١٢	يكفرهم	بكفرهم				أصولي ولي القضاء توفي سنة ٣٦٢
١١٢	١٤	المقدرة	القدرة	٢٧٥	١	الموسمية	الموسوية
١١٦	١٨	البخارية	النجارية	٢٨٧	١٤	يختلجان	يحتاجان
١١٧	١٤	فأول	فاول	٢٩٤	٤	نينا	نبيا
١١٩	١٠	فانه	فانته	٣١٩	١	من الزيدية	من الزيدية
١٤١	١٨	والشر	الشر			في السطر الأول	في الثاني
١٤٧	٢	اصبعين بين	بين اصبعين	٢٢٨	٢	وعل	وعلى
١٥٣	٢١	يستشع	يستشفع	٣٣٥	١٦	كاد	كاء
١٥٤	١٦	ليئيط	ليئط	٣٤٢	١٦	بالاختلاق	بالاختلاف
١٦١	١	رؤى	رؤى رؤى	٣٤٧	٦	٣	١
١٧٠	٢٢	الخروج	الخوارج	٣٤٧	١٠	فتاداهم	فتاواهم
١٧٢	٢١	ويعينه	ويعيبه	٣٥٧	٨	أدى	وأدى
١٧٥	٤	قريشيا	قرشيا	٣٦٣	٤	أربعين	أربع
١٧٥	١٤	للمفعول	للمفضول	٣٦٨	١٧	التهذيب التهذب	تهذيب التهذيب



المِلَل وَالنِّحَل

للإمام أبى الفتح محمّد بن عبد الكريم الشهرستانى

المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

صَحّحَهُ وعلّق عليه

الأستاذ الشيخ أحمد فهمى محمد

المحامى الشرعى بالجيزة

الجزء الثانى

عنى بطبعه ونشره

محمود توفيق

صاحب مكتبة الحسين التجارية بالسكة الجديدة بمصر

تليفون ٥٥٦٤٧

سنة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م

مطبعة حجازى بالقاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

الخارجون عن الملة الحنيفية

والشريعة الإسلامية

ممن يقول بشريعة وأحكام وحدود وأعلام ، وهم قد انقسموا إلى من له كتاب محقق مثل التوراة والأنجيل ، وعن هذا يخاطبهم التنزيل ، ياأهل[1] الكتاب ، وإلى من له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية ، فان الصحف التى أنزلت على إبراهيم عليه السلام ، قد رفعت إلى السماء ، لأحداث أحدثها المجوس ، ولهذا يجوز عقد العهد والذمام

---

(١) لا خلاف فى أن اليهود والنصارى أهل كتاب ، ولأجل كتابهم ، جاز نكاح نسائهم ، وأكل طعامهم وضرب الجزية عليهم واختلف فى الصابئين فقال السدى هم فرقة من أهل الكتاب وقال ابن راهويه لا بأس بذبائح الصابئين لأنهم طائفة من أهل الكتاب ، وقال أبو حنيفة لا بأس بذبائحهم ونكاح نسائهم ، وقال الخليل هم قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام وقال مجاهد ، والحسن وابن أبى نجيح هم قوم تركب دينهم بين اليهودية والمجوسية لا تؤكل ذبائحهم ، وقال ابن عباس — لا تنكح نساؤهم وقال الحسن أيضا وقتاده : هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون الى القبلة ويقرءون الزبور ويصلون الخمس رآهم زياد بن أبى سفيان فأراد وضع الجزية عنهم حين عرف أنهم يعبدون الملائكة وذكر بعض العلماء أنهم موحدون معتقدون تأثير النجوم وأنها فعالة وبهذا أفتى أبو سعيد الأصطخرى القادر بالله يكفرهم حين سأله عنهم ؛ والحق أنهم قد خرجوا من دين أهل الكتاب (القرطبي أول ص ٣٧٠) .

معهم ، وننحي (١) بهم نحو اليهود والنصارى ، إذ هم من أهل الكتاب ولكن لا تجوز منا كحتهم ولا أكل ذبائحهم ، فان الكتاب قد رفع عنهم ، فنحن نقدم ذكر أهل الكتاب لتقدمهم بالكتاب ، ونؤخر ذكر من له شبهة كتاب .

أهل الكتاب

الفرقتان المتقابلتان قبل المبعث ، هم أهل الكتاب والأميون ، والأمى (٢) من لا يعرف الكتابة ، فكانت اليهود والنصارى

---

(١) نحاه ، وينحوه وينحاه قصده كانتحاه .

(٢) الأمى الذى لا يحسن الكتابة ؛ وإنما سمى أميا ، لأحد وجوه أحدها أن الأمة الخلقة فسمى أميا لأنه باق على خلقته ومنه قول الأعشى :

وأن معاوية الأكرمين حسان الوجوه طول الأمم

وثانيها : أنه مأخوذ من الأمة التى هى الجماعة أى هو على أصل ما عليه الأمة في أنه لا يكتب لأنه يستفيد الكتابة بعد أن لم يكن يكتب ، ثالثها : أنه مأخوذ من الأم أى هو على ما ولدته أمه فى أنه لا يكتب وقيل انما نسب الى أمه لأن الكتابة إنما تكون فى الرجال دون النساء ، وقوله تعالى ، ومنهم أميون من اليهود ، وقيل من اليهود والمنافقون ، أميون ، منسوب إلى الأمة الأمية ومنه قوله عليه السلام أنا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب .

وقيل ، قيل لهم أميون لأنهم لم يصدقوا بأم الكتاب وقال أبو عبيدة إنما قيل لهم أميون لنزول الكتاب عليهم فانهم نسبوا الى أم الكتاب فكأنه قال ومنهم أهل الكتاب لا يعلمون .

وقال عكرمة هم نصارى العرب وقيل هم قوم من أهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا أميين ، وقال على ، هم المجوس .

(مجمع البيان أول ص ١٤٤ القرطبي ثان ص ٤) .

بالمدينة ، والأميون بمكة ، وأهل الكتاب كانوا ينصرون دين الأسباط[1] ، ويذهبون مذهب بنى إسرائيل ، والأميون كانوا ينصرون دين القبائل ، ويذهبون مذهب بنى إسماعيل ، ولما انشعب النور الوارد من آدم عليه السلام إلى إبراهيم ، ثم الصادر عنه على شعبين ، شعب فى بنى إسرائيل[2] وشعب فى بنى إسماعيل ، وكان النور المنحدر منه إلى بنى إسرائيل ظاهراً ، والنور المنحدر منه إلى بنى إسماعيل مخفياً ، كان يستدل على النور الظاهر والأشخاص . وإظهار النبوة فى شخص

---

(١) الأسباط واحدهم سبط وهم أولاد اسرائيل ، وهو يعقوب بن اسحق ، وهم اثنا عشر سبطا ، من اثنى عشر ابنا ، والأسباط فى بنى اسرائيل بمنزلة القبائل في ولد اسماعيل قال الزجاج السبط الجماعة يرجعون الى أب واحد والسبط فى اللغة الشجرة ؛ فالسبط الذين هم من شجرة واحدة وقال ثعلب يقال سبط عليه العطاء ، إذا تابع عليه حتى يصل بعضه ببعض وأنشد التوزى فى قطيع بقر .

(كأنه سبط من الأسباط) شبهه بالجماعة من الناس يتتابعون فى أمر ومن ثم قيل لولد يعقوب أسباط (مجمع البيان أول ص ٢١٧)

(٢) اسرائيل ، هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام وليس فى الأنبياء من له اسمان غيره إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فان لها أسماء كثيرة ؛ وقال الخليل خمسة من الأنبياء ذو اسمين محمد وأحمد نبينا صلى الله عليه وسلم وعيسى والمسيح ، وإسرائيل ويعقوب ، ويونس وذو النون ، والياس وذو الكفل صلى الله عليهم وسلم .

واسرائيل اسم أعجمى ولذلك لم ينصرف وفيه لغات ومعنى اسرائيل عبد الله قال ابن عباس أسر بالعبرانية هو عبد ، وايل هو الله وقيل أسر صفوة ، وقيل أسر من الشد فكان اسرائيل الذى شدده الله وأتقن خلقه وقال السهيلى سمى اسرائيل لأنه أسرى ذات ليلة حين هاجر الى الله تعالى فسمى اسرائيل أى أسرى الى الله ، ونحو هذا . فيكون بعض الاسم عبرانيا وبعضه موافقا للعرب والله أعلم (القرطبي أول ص ٢٨١)

شخص ، ويستدل على النور المخفى ، بإبانة المناسك والعلامات وستر الحال فى الأشخاص ، وقبـلة الفرقة الأولى بيت المقدس ، وقبلة الفرقة الثانية بيت الله الحرام ، وشريعة الأولى ظواهر الأحـكام ، وشريعة الثانية رعاية المشاعر الحرام ، وخصماء الفريق الأول الـكافرون ، مثل فرعون وهامان ، وخصماء الفريق الثانى المشركون ، مثل عبدة الأصنام والأوثان فتقابل الفريقان وصح التقسيم بهذين المتقابلين .

اليهود والنصارى

هاتان الأمتان من كبار أمم أهل الـكتاب ، والأمة اليهودية أكبر ، لأن الشريعة كانت لموسى عليـــه السلام ، وجميع بنى اسرائيل كانوا متعبدين بذلك ، مكلفين بالتزام أحكام التوراة والأنجيل ، النازل على المسيح عليه السلام ، لم يختص أحـكاماً ، ولا استنبط حلالاً وحراماً ، ولـكنه رموز وأمثال ، ومواعظ ومزاجر ، وما سواها من الشرائع والأحـكام ، فمحالة علي التوراة كما سنبين ، فـكانت اليهود لهذه القضية لم ينقادوا لعيسي عليه السلام ، وادعوا عليه أنه كان مأموراً بمتابعة موسى ، وموافقة التوراة ، فغير وبدل وعدوا عليه تلك التغييرات ، منها تغيير السبت إلى الأحد ، ومنها تغيير أكل الخنزير ، وكان حراماً في التوراة ، ومنها الختان والغسل وغـير ذلك ، والمسلمون قد بينوا أن الأمتين ، قد بدلوا وحرفوا ، وإلا فعيسى كان مقرراً لما جاء به موسى عليه السلام ، وكلاهما مبشران بمقدم نبينا نبي

الرحمة صلوات الله عليهم أجمعين ، وقد أمرهم أئمتهم وأنبياؤهم وكتابهم بذلك ، وإنما بنى أسلافهم الحصون والقلاع بقرب المدينة ، لنصرة رسول آخر الزمان ، فأمروهم بمهاجرة أوطانهم بالشام ، إلى تلك القلاع والبقاع حتى إذا ظهر وأعلن الحق بعد أن هاجروا إلى يثرب (١) هجروه ، وتركوا نصره ، وذلك قوله تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون (٢) على الذين

---

(١) يثرب ، مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نزلها صلى الله عليه وسلم سماها طيبة وطابة كراهية للتثريب ، وسميت مدينة الرسول لنزوله بها وقال صلى الله عليه وسلم لما هاجر اللهم انك أخرجتنى من أحب أرضك الى فاسكنى أحب أرضك إليك فاسكنه المدينة ، وهى فى حرة سبخة ، وبها نخيل كثير ومياه ، ونخيلهم وزروعهم تسقى من الآبار ، والمسجد فى نحو وسطها وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شرقى المسجد وفيه قبر النبي ، وصاحبيه أبى بكر وعمر والمنبر الذى كان يخطب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غشى بمنبر آخر والروضة أمام المنبر بينه وبين القبر ومصلى النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يصلى فيه الأعياد غربى المدينه داخل الباب وبقيع الغرقد خارج المدينة ، من شرقيها ، وقباء خارج المدينة على نحو ميلين الى ما يلى القبلة وهى شبيهة بالقرية وأحد جبل فى شمالى المدينة وهو أقرب الجبال إليها (معجم ثامن ص ٤٩٩ وسابع ص ٤٢٤)

(٢) قال ابن عباس كانت اليهود يستفتحون ، أى يستنصرون على الأوس والخزرج قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب ولم يكن من بنى اسرائيل كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ وابن البراء يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل الشرك وتصفونه ، وتذكرون أنه مبعوث فقال سلام بن مسلم أخو بنى النضير ما جاءنا بشىء نعرفه وما بالذى كنا نذكر لكم فأنزل الله ؛ هذه الآية ؛ إذ أن اليهود من بنى اسرائيل وقد جاءهم القرآن الذى أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم مما أنزله الله قبله ، من التوراة والانجيل وغيرهما ، وقد كانوا قبل بعثه رسوله ، ونزول

كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله علي الكافرين) وإنما الخلاف بين اليهود والنصارى ما كان يرتفع إلا بحكمة، إذ كانت اليهود تقول ليست النصارى علي شيء، وكانت النصارى تقول (ليست[١] اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب) وكان النبي عليه السلام يقول (لستم[٢] على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل) وما كان يمكنهم

كتابه يستنصرون برسوله؛ ويقولون فى حروبهم اللهم افتح علينا وانصرنا بحق النبى الأمى اللهم انصرنا بحق النبى المبعوث إلينا، ويقولون لمن نابذهم هذا نبى الله، قد أطل زمانه ينصرنا عليكم، غير أنهم، ما لبثوا أن كفروا به حسدا وبغيا، وطلبا للرياسة. (مجمع البيان أول ص ١٥٨).

(١) بين الله تعالى فى تلك الآية، ما بين أهل الكتاب من الاختلاف، مع تلاوة الكتاب، وليكشف تناقضهم وتباغضهم وتعاديهم وتعاندهم؛ فانه لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أحبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رافع بن حرملة ما أنتم على شىء وكفر بعيسى وبالانجيل وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود، ما أنتم على شىء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة فأنزل الله هذه الآية، فكانت اليهود يقولون ليست النصارى على شيء فى تدينهم بالنصرانية والنصارى تقول ليست اليهود على شىء فى تدينهم باليهودية، فكل صدقت فيما رمت به الأخرى: لما ابتدعوه، واختلفوا فيه، وهم يتلون الكتاب، ويعلمون شريعة التوراة والانجيل، لكنهم تجاحدوا فيما بينهم عنادا وكفرا ومقابلة للفاسد بالفاسد (ابن كثير أول ص ١٥٥)

(٢) قال ابن عباس جاء جماعة من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له ألست تقر بان التوراة من عند الله قال بلى قالوا فانا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها فنزلت هذه الآية، فأمر الله سبحانه، النبى صلى الله عليه وسلم أن يخاطب اليهود فقال قل يا محمد، يا أهل الكتاب لستم على شىء من الدين حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل إليكم من ربكم، فتقروا بالتوراة والانجيل والقرآن

إقامتها إلا بإقامة القرآن ، وتحكيم نبي الرحمة ، رسول آخر الزمان ، فلما أبوا ذلك ضربت عليهم الذلة والمسكنه ، وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله .

اليهــــود

اليهود خاصة ، هاد[1] الرجل أى رجع وتاب ، وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام (إنا هدنا إليك) أى رجعنا وتضرعنا . وهم أمة موسى ، وكتابهم التوراة ، وهو أول كتاب نزل من السماء ، أعنى أن ما كان نزل على إبراهيم وغيره من الأنبياء ، ما كان يسمي كتابا بل صحفاً ، وقد ورد فى الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن الله تعالى خلق آدم بيده ، وخلق جنة عدن بيده ، وكتب التوراة بيده)

المنزل الى جميع الخلق ، والتصديق بما جاء فى التوراة والانجيل من البشارة بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بما يوجب ذلك فيهما (مجمع البيان ثالث ص ٢٢٤)

(١) هادوا صاروا يهودا ، ودانوا باليهودية ، وهاد يهود هودا أى تاب ، واختلف فى اشتقاق اسم اليهود فقيل هو من الهود أى التوبة ومنه قوله إنا هدنا إليك عن ابن جريج وسموا بذلك لتوبتهم عن عبادة العجل

قال زهير :

سوى مربع لم يأت فيه مخافة ولا رهقا من عابد متهود

أى تائب ، وقيل انما سموا يهودا لأنهم نسبوا الى يهوذا أكبر ولد يعقوب ، فعربت الذال دالا وقيل انما سموا يهودا لأنهم هادوا أي مالوا عن الاسلام وعن دين موسى وقيل سموا بذلك لأنهم يتهودون أن يتحركون عند قراءة التوراة ويقولون إن السموات والأرض تحركت حين آتى الله موسى التوراة ، واليهود اسم جمع واحدهم يهودى كالزنجى والزنج والرومى والروم (مجمع البيان أول ص ١٢٥)

فأثبت لها اختصاصاً آخر سوى سائر الـكتب ، وقد اشتمل ذلك على أسفار ، فيذكر مبتدأ الخلق فى السفر الأول ، ثم يذكر الأحكام والحدود والأحوال والقصص والمواعظ والأذكار ، فى سفر سفر ، وأنزل عليه أيضاً الألواح على شبه مختصر ما فى التوراة ، يشتمل على الأقسام العلمية والعملية ، قال عز ذكره (وكتبنا[١] له فى الألواح من كل شىء موعظة) إشارة إلى تمام القسم العملى (وتفصيلا لـكل شىء) إشارة إلى تمام القسم العلمي ، قالوا كان موسى قد أفضى بأسرار التوراة والألواح ، إلى يوشع[٢] بن نون وصيه من بعده ، ليفضى إلى أولاد هارون ، لأن

---

(١) وكتبنا له فى الألواح من كل شىء ، يريد التوراة . روى فى الخبر أنه قبض عليه جبريل عليه السلام بجناحه فمر به فى العلا حتى أدناه حتى سمع صريف القلم حين كتب الله له الألواح وأضاف الـكتابة الى نفسه على جهة التشريف إذ هى مكتوبة بأمره كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر ، واستمد من نهر النور من كل شىء ، مما يحتاج إليه فى دينه من الأحكام وتبين الحلال من الحرام ؛ موعظة وتفصيلا لـكل شىء يحتاج إليه فى الدين من الأوامر والنواهى والحلال والحرام وذكر الجنة والنار وغير ذلك من العبر والاخبار ؛ فانه لم يكن عندهم اجتهاد وانما خص بذلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم (القرطبي سابع ص ٣٨١) (مجمع البيان ثان ص٤٧٦) .

(٢) يوشع من نون من أنبياء بنى اسرائيل بعثه الله نبيا ، فدعا بنى اسرائيل وأخبرهم أنه نبي وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين فبايعوه وصدقوه ، وخرج فى الناس يقاتل الجبارين . فقاتلهم يوم الجمعة قتالا شديدا حتى أمسوا وغربت الشمس ودعا الله تعالى فردت عليه الشمس ، فهزم الجبارين . (الطبرى أول ص ٢٢٧) .

الأمر كان مشتركا بينه وبين أخيه هارون ، إذ قال (وأشركه[١] في أمرى) وكان هو الوصى ، فلما مات هارون فى حال حياته انتقلت الوصاية إلى يوشع بن نون وديعة ، فليوصلها إلى شبير[٢] وشبرا بنى هارون قرارا ، وذلك أن الوصية والامامة بعضها مستقر ، وبعضها مستودع * واليهود تدعى أن الشريعة لا تكون إلا واحدة ابتدأت بموسى وتمت به ، فلم يكن قبله شريعة إلا حدود عقلية ، وأحكام مصلحية ، ولم يجيزوا النسخ أصلا ، قالوا فلا يكون بعده شريعة أخرى لأن النسخ[٣] فى الأوامر

---

(١) وأشركه فى أمرى ، فى النبوة ، وتبليغ الرسالة ، وكان هرون يومئذ بمصر فأمر الله موسي أن يأتي هو هرون وأوحى الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى : فتلقاه الى مرحلة وأخبره بما أوحى إليه فقال له موسى أن الله أمرني أن آتى فرعون فسألت ربى أن يجعلك معى رسولا فموسى لم يقتصر على سؤال الوزارة ، ليكون معاونا له يتقوى برأيه ومشاورته حتى سأل أن يكون شريكه فى النبوة ، وكان هرون أكبر من موسى بثلاث سنين واتم طولا وأبيض جسما وأكثر لحما وأفصح لسانا ومات قبل موسى بثلاث سنين (القرطبى ١١ ص ١٩٤) (مجمع البيان رابع ص ٩) .

(٢) شبر كبقم ، وشبير كقمير مصغرا وفى التكملة كأمير ومشبر كمحدث أسماء أبناء هرون النبى صلى الله عليه وسلم وقيل وبأسمائهم سمى النبى صلى الله عليه وسلم أولاده الحسن والحسين ، ومحسن ، الأخير بالتشديد فى بعض الروايات ، وقال ابن خالويه شبر وشبير ومشبر هم أولاد هرون عليه السلام ومعناها بالعربية حسن وحسين ومحسن وفي مسند أحمد مرفوعا انى سميت ابنى باسم ابنى هرون ، شبر وشبير .

(٣) قالوا (اليهود) الدليل على إحالة النسخ من جهة العقل أنه يوجب البداء لأن الأمر بالشىء يقتضى كونه مصلحة واعتقاد الأمر به كونه كذلك والنهى عنه بعد الأمر به يدل على أنه قد بدا للآمر وانكشف له ، أن ما كان أمر به مفسدة ليس بمصلحة

بداء ، ولا يجوز البداء على الله ، ومسائلهم تدور على جواز النسخ ومنعه وعلى التشبيه و نفيه ، والقول بالقدر والجبر ، وتجويز الرجعة وإحالتها ، أما النسخ فكما ذكرنا ، وأما التشبيه فلأنهم وجدوا التوراة ملئت من المتشابهات ، مثل الصورة والمشافهة والتكلم جهراً ، والنزول عند طور سينا انتقالاً ، والاستواء على العرش استقراراً ، وجواز الرؤية فوقاً وغير ذلك .

وأما القول بالقدر فهم مختلفون فيه حسب اختلاف الفريقين في الاسلام ، فالربانيون[1] منهم كالمعتزلة فينا .

على ما توهمه وذلك منتف عن الله تعالى انما نهى ، لما نسخ شريعة موسى ، عن مثل ما كان أمر به وأن يفعل ذلك فى وقت غير وقت ذلك المفعول الأول ، والنهى عن مثل الشىء فى غير وقته ليس بنهى عنه كما أن النهى عن العمل فى السبت ليس بنهى عن العمل فى الجمعة والأحد والأمر بالعمل فى الجمعة ليس بأمر العمل فى السبت وأيضا فانا نحن نجوز نسخ الشىء قبل وقت فعله وقبل امتثاله ، ولا يوجب ذلك البداء إذا علم الآمر به أن تبقية الأمر مشقة داعية الى ترك المكلف كل الواجبات وأن تخفيف المحنة به بالنهى عنه مصلحة ولطف فى فعل المكلف لما نفى الأمر به ، والنهى فيكون الأمر به مصلحة وإزالته قبل امتثاله مصلحة ، غير أن النهى عنه يتناوله على غير الوجه الذى يتناوله الأمر ، لأن الأمر بالفعل كان أمرا أن يفعل أن بقى الأمر به ، والنهى عنه يرد مع زوال الأمر به وليس ذلك بنهى عنه مع بقاء الأمر به والأمر بفعله كان أمرا به مع بقائه دون إزالته (التمهيد ص ١٤٦)

(١) الربانيون ويقال لهم « بنو مشتو ، ومعنى مشتو الثانى » لأنهم يعتبرون أمر البيت الذى بنى ثانيا بعد عودهم من الجلاية وخربه طيطش ، وينزلونه في الاحترام والاكرام والتعظيم منزلة البيت الأول الذى ابتدا عمارته داود وأتمه ابنه سليمان عليهما السلام وخربه بختنصر ، فصار كأنه يقول لهم أصحاب الدعوة الثانية ، وهذه الفرقة هى التى كانت تعمل بما فى المشنا الذى كتب بطبريه بعد تخريب طيطش القدس ، وتعول

والقراءون[١] كالمجبرة والمشبهة ، وأما جواز الرجعة ، فانما وقع لهم من أمرين أحدهما حديث عزير إذ أماته الله مائة عام ، ثم بعثه ، والثاني حديث هارون عليه السلام ، إذ مات في التيه وقد نسبوا موسى إلى قتله[٢] ، قالوا حسده لأن اليهود كانت إليه

فى أحكام الشريعة على ما فى التلمود ، وهى بعيدة عن العمل بالنصوص الالهية متبعة لآراء من تقدمها من الأحبار ومن أطلع على حقيقة دينها تبين له أن الذى ذمهم الله به فى القرآن الكريم حق لا مرية فيه ، وأنه لا يصح لهم من اسم اليهودية الا مجرد الانتماء فقط ، لا أنهم فى الاتباع على الملة الموسوية لا سيما منذ أن ظهر فيهم موسى بن ميمون القرطبى بعد الخمسمائة من الهجرة فانه ردهم مع ذلك معطله فصاروا فى أصول دينهم وفروعه أبعد الناس الناس عما جاء به أنبياء الله تعالى من الشرائع الالهية ، وكان منهم طائفة ، يقال لها الفروشيم ومعناه المعتزلة ، ومن مذهبهم القول بما فى التوراة على معنى ما فسره الحكماء من أسلافهم (المقريزى رابع ص ٣٦٨) .

(١) القراءون ، وهم بنوا مقرا ، ومعنى مقرا الدعوة وهم لا يعولون على البيت الثانى جملة ودعوتهم انما هى لما كان عليه العمل مدة البيت الأول وكاد يقال لهم أصحاب الدعوة الأولى ، وهم يحكمون نصوص التوراة ولا يلتفتون الى قول من خالفها ويقفون مع النص دون تقليد من سلف وهم مع الربانيين من العداوة بحيث لا يتناكحون ، ولا يتجاورون ولا يدخل بعضهم كنيسة بعض ، ويقال للقرائين أيضا المبادية لأنهم كانوا يعملون مبادى الشهور من الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر ، ويقال لها أيضا الاسمعية ، لأنهم يراعون العمل بنصوص التوراة دون العمل بالقياس والتقليد (المقريزى رابع ص ٣٦٩) .

(٢) أصعد هرون الى جبل عال مشرف ، فى قبلى البيب المقدس ، مع أخيه موسى عليهما السلام فلم يعد فاتهمت بنو اسرائيل موسى بقتله ، فدعا الله حتى أراهم تابوته بين الفضاء على رأس ذلك الجبل ثم غاب عنهم كذا تقول اليهود فسمي الجبل طور هرون لذلك .

وفى لباب التأويل . قال السدى أوحى الله عز وجل الى موسى انى متوف

أميل[١] منهم إلى موسى واختلفوا ، في حال موته ، فمنهم من قال مات وسيرجع ، ومنهم من قال غاب وسيرجع ، واعلم أن التوراة قد اشتملت بأسرها على دلالات ، وآيات تدل على كون شريعة المصطفى عليه السلام ، خقاً وكون صاحب الشريعة صادقاً ، بَلْهَ[٢] ما حرفوه وغـــيروه وبدلوه إما تحريفاً ، من حيث الكتابة والصورة ، وإما تحريفاً من حيث التفسير والتأويل ، وأظهرها ذكره إبراهيم عليـه السلام ، وابنه اسماعيل ودعاؤه فى خقه ، وفى ذريته واجابة الرب تعالى إياه إني باركت على إسماعيل وأولاده وجعلت فيهم الخـــير كله * وسأظهرهم على الأمم كلها ، وسأبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتى واليهود معترفون بهذه القصة ، إلا أنهم يقولون اجابه بالملك ، دون

هرون ، فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل . فاذا الشجرة لم ير مثلها وإذا ببيت مبنى وفيه سرير عليه فراش وفيه رائحة طيبة . فلما رأى هرون ذلك البيت أعجبه . فناما على السرير فقبض هرون . ورفع البيت والسرير الى السماء . وهرون عليه وذهبت الشجرة . فرجع موسى الى بنى اسرائيل وليس هرون معه ؛ فقال بنو اسرائيل حسد موسى هرون فقتله . لحبنا اياه قال موسى ويحكم أن هرون كان أخى اقترونى أقتله . فلما أكثروا عليه قام موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فنزل السرير وعليه هرون فنظروا إليه وهو بين السماء والأرض فصدقوه ورفع (معجم سادس ص ٧٠ لباب التأويل ثان ص ٤٨)

(١) كان هرون أكبر من موسي بثلاث سنين وأحب الى بنى اسرائيل من موسي . لأنه كان لين الغضب (القرطبي جزء سابع ص ٢٨٩)

(٢) بله كيف ، اسم لدع ومصدر بمعنى الترك واسم مرادف لـكيف وما بعده منصوب على الأول مخفوض على الثانى مرفوع على الثالث وفى تفسير سورة السجدة من البخارى ولا خطر على قلب بشر . بله ما اطلعتم عليه .

النبوة والرسالة ، وقد ألزمتهم أن الملك الذي سلمتم ، أهو ملك بعدل وحق ، أم لا ، فان لم يكن بعدل وحق ، فكيف يمن علي إبراهيم بملك في أولاده هو جور وظلم ، وإن سلمتم العدل والصدق من حيث الملك فالملك يجب أن يكون صادقاً على الله تعالى فيما يدعيه ، ويقوله وكيف يكون الكاذب على الله تعالى صاحب عدل وحق ، إذ لا ظلم أشد من الكذب على الله تعالى ، ففى تكذيبه تجويزه ، وفي التجويز رفع المنة بالنعمة وذلك خلف ، ومن العجب أن فى التوراة أن الأسباط[١] من بنى اسرائيل ، كانوا يراجعون القبائل من بنى اسماعيل ، ويعلمون أن فى ذلك الشعب علماً لدنيا ، لم تشتمل التوراة عليه ، وورد في التواريخ أن أولاد اسماعيل كانوا يسمون آل الله ، وأهل الله ، وأولاد إسرائيل آل يعقوب ، وآل موسى ، وآل هرون ، وذلك كبر[٢] عظيم وقد ورد فى التوراة أن الله تعـــــالى ، جاء من طورسينا[٣] وظهر

---

(١) الأسباط ولد يعقوب عليه عليه السلام . وهم اثنا عشر ولدا . ولد لكل واحد منهم أمة من الناس وأحدهم سبط والسبط فى بنى اسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد اسماعيل . وسموا الأسباط من السبط وهو التتابع فهم جماعة متتابعون وقيل أصله من السبط بالتحريك وهو الشجر أى هم فى الكثرة بمنزلة الشجرة الواحدة سبطة ويبين هذا ما روى عن ابن عباس قال :

كل الأنبياء من بنى اسرائيل الا عشرة نوحا وشعيبا وهودا وصالحا ولوطا وابراهيم واسحق ويعقوب واسماعيل ومحمدا : صلى الله عليه وسلم والسبط الجماعة والقبيلة الراجعون الى أصل واحد (القرطبى ثان ص ١٢٩)

(٢) الكبر . الاثم وهو من الكبيرة كالخطئة من الخطيئة .

(٣) سينا بكسر أوله ويفتح اسم موضع بالشام يضاف إليه الطور فيقال طور

بساعير[١] (وأعلن) بفاران[٢] ، وساعير جبال بيت المقدس ، الذى كان مظهر عيسى عليه السلام وفاران جبال مكة الذى كانت مظهر المصطفى صلى الله عليه وسلم . ولما كانت الأسرار الإلٓهية ، والأنوار الربانية فى الوحى والتنزيل والمناجاة والتأويل ، على مراتب ثلاث مبدأ ووسط وكمال ، والمجىء أشبه بالمبدأ ، والظهور بالوسط والاعلان بالكمال ، عبر التوراة عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل بالمجىء على طورسينا ، وعن طلوع الشمس بالظهور على ساعير ، وعن البلوغ إلى درجة الكمال والاستواء بالاعلان على فاران ، وفى هذه الكلمة إثبات نبوة المسيح والمصطفى عليهما السلام ، وقد قال المسيح فى الأنجيل ما جئت لأبطل التوراة بل جئت لأكملها ، قال صاحب التوراة النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف

سينا وهو الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السلام ونودى فيه وهو كثير الشجر ؛ وقدجاءنى اسم هذا الموضع سينين قال الله تعالى «وطور سينين» (معجم خامس ص ٢٠١) .

(١) ساعير . في التوراة اسم لجبال فلسطين وفى التوراة . أشرق من ساعير » اشارة الى ظهور عيسى . واستعلن من جبال فاران وهى جبال الحجاز يريد النبى صلى الله عليه وسلم (معجم خامس ص ١٠) .

(٢) فاران ؛ كلمة عبرية معربة ، وهى من أسماء مكة ذكرها فى التوراة . قيل هو اسم لجبال مكة وقيل جبال فاران وهى جبال الحجاز وفى التوراة « جاء الله من سينا ؛ وأشرق من ساعير واستعلن من فاران » مجيئه من سيناء تكلمه لموسى عليه السلام واشراقه من ساعير وهى جبال فلسطين هو انزاله الأنجيل على عيسى عليه السلام واستعلانه من جبال فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وفاران جبال مكة . (معجم سادس ص ٣٢٣) .

بالأنف ، والأذن بالأذن ، والجروح قصاص ، وأقول إذا لطمك[1] أخوك على خدك الأيمن فضع له خدك الأيسر ، والشريعة الأخيرة وردت بالأمرين جميعاً ، أما القصاص ففى قوله تعالى (كتب[2] عليكم القصاص) ، وأما العفو ففى قوله تعالى (وأن تعفوا[3] أقرب للتقوى)

---

(١) سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا . (انجيل متى الاصحاح الخامس رقم ٣٨) .

(٢) كتب عليكم القصاص فى القتلى ؛ نزلت فى حيين من أحياء العرب اقتتلوا فى الجاهلية بسبب قتيل فكانت منهم قتلى وحروب وجراحات كثيرة ولم يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام وقيل نزلت فى الأوس والخزرج وكان لأحد الحيين طول على الآخر فى الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهر واقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين وجعلوا جراحاتهم ضعفى جراحات أولئك فرفعوا أمرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وأمره بالمساواة فرضوا وسلموا وقيل انما نزلت لازالة الأحكام التى كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وذلك أن اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون العفو بلا قتل والعرب فى الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة . ويوجبون أخذ الدية تارة وكانوا يتعدون فى الحكمين فان وقع القتل على شريف قتلوا به عددا ويأخذون دية الشريف أضعاف دية الخسيس فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أوجب الله تعالى رعاية العدل وسوى بين عباده فى حكم القصاص ؛ فيفعل بالقاتل مثل ما فعله بالمقتول ؛ ولا خلاف فى أن المراد به قتل العمد فهو الذى يجب فيه القصاص دون الخطأ المحض وشبيه العمد ؛ وقد فرض الله القصاص وأما من يتولاه فهو إمام المسلمين ومن يجرى مجراه (لباب التأويل أول ص ١٢٤ مجمع البيان أول ص ٢٦٥) .

(٣) وأن تعفو أقرب للتقوى ، خطاب للزوج والمرأة ، وقال ابن عباس

خطاب لكل زوج ، وهذا أقوى لعمومه ؛ وإنما كان العفو أقرب للتقوى لوجهين ، أحدهما أن معناه ، أقرب الى أن يتقى أحدهما ظلم صاحبه ، لأن من ترك لغيره حق نفسه كان أقرب إلى أن لا يظلم غيره ، يطلب ما ليس له وثانيهما ، أن معناه أقرب إلى أن تبقى معصية الله لأن من ترك حق نفسه كان أقرب إلى أن لا يعصى الله بطلب ما ليس له ، هذا ، وأقول ، وأن نزلت الآية . فى الزوجين . فالعبرة لعموم اللفظ دون خصوص السبب ؛ والعفو ، ورد الحض عليه ، والأمر به . والله يقول وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؛ والله غفور رحيم . فهو يغفر لكم معاصيكم على عفوكم . وصفحكم . وهذا أمر من الله تعالى . للمرادين بالآية بالعفو عمن أساء إليهم والصفح عنهم ؛ وجزاؤهم أجره وغفرانه ؛ وقال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، والله عز شأنه لم يرغب فى العفو عن الظالم لميل الى الظالم أو لحبه إياه . إنه لا يحب الظالمين . وإنما ليعرض العافين ؛ لجزيل الثواب ، ولحبه الاحسان والفضل وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان أجره على الله فليدخل الجنة فيقال من ذا الذى أجره على الله ؛ فيقال العافون عن الناس فيدخلون الجنة بغير حساب ؛ والله عز وجل يقول والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ؛ والكظم من كظمت القربة إذا ملأتها ماء ، ثم شددت فمها . لتحبس الماء . وفلان كظيم إذا كان ممتلئا حزنا أو غضبا . فهو يمسك بحزنه وبغضبه عن أن ينفجرا . وهذا من أخلاق أهل الجنة ؛ الذين يسارعون إلى مغفرة الله . وجنة عرضها السموات والأرض . وقد قال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على انفاذه ملأه الله يوم القيامة رضا . وفى رواية أمنا وإيمانا وقال ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب ؛ ثم ذكر الله العافين . أهل الجنة . وهم الذين يتجاوزون ويعفون . ويسامحون ولا يؤاخذون . وقد قال صلى الله عليه وسلم ما عفا رجل عن مظلمة الازادة الله بها عزا ؛ وقال ثلاث والذى نفسى بيده لو كنت حلافا لحلفت عليهن . ما نقص مال من صدقه فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغى بها وجه الله الازاده الله بها عزا يوم القيامة فاعفوا يعزكم الله ؛ ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر .

ففى التوراة أحكام السياسة الظاهرة العامة ، وفى الأنجيل أحكام السياسة الباطنة الخاصة ، وفى القرآن أحكام السياستين جميعا (ولكم فى القصاص[١] حياة) إشارة إلى تحقيق السياسة الظاهرة ، (خـــذ العفو[٢] وأمر

---

(١) ولكم أيها المخاطبون فى القصاص حياة ، بمعنى أن فى ايجاب القصاص حياة لأن من هم بالقتل فذكر القصاص ارتدع فكان ذلك سببا لحياته ، أو أنه لكم فى وقوع القتل حياة لأنه لايقتل إلا القاتل دون غيره بخلاف ماكان يفعله أهل الجاهلية الذين كانوا يتفانون بالطوائل ، ونظيره من كلام العرب القتل انفى للقتل إلا أن ما فى القرآن أكثر فائدة وأوجز فى العبارة وأبعد عن الكلفة بتكرير الجملة وأحسن تأليفا بالحروف المتلائمة (مجمع البيان أول ص ٢٦٦)

(٢) هذه الآية من ثلاث كلمات تضمنت قواعد الشريعة فى المأمورات والمنهيات ، فقوله خذ العفو ، فيه صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من أخلاق المطيعين وفى قوله وأمر بالعرف صلة الأرحام وتقوى الله في الحلال والحرام ، وغض الأبصار والاستعداد لدار القرار وفى قوله وأعرض عن الجاهلين الحض على التخلق بالعلم ، والأعراض عن أهل الظلم والتنزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة الأغبياء ، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة وقد قال صلى الله عليه وسلم لجابر بن سليم اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا وان تلقى أخاك بوجه منبسط وان تفرغ من دلوك فى اناء المستقى وان امرؤ سبك بما لا يعلم منك فلا تسبه بما تعلم فيه فان الله جاعل لك أجرا وعليه وزرا ولاتسبن شيئا مما خولك الله تعالى قال جابر فوالذى نفسى بيده ما سببت بعده شاة ولا بعيرا وقال صلى الله عليه وسلم انك لاتسعون الناس باموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق ولما نزل بها جبريل سأله رسول الله عنها فقال جبريل « أن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك قال جعفر الصادق أمر الله نبيه بمكارم الاخلاق فى هذه الآية ، وليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية وقد قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الأخلاق ، وقال امرنى ربى بتسع الاخلاص في السر والعلانية والعدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر وان أعفو عمن ظلمنى وأصل

بالعرف وأعرض عن الجاهلين) إشارة إلى تحقيق السياسة الباطنة الخاصة ، وقد قال عليه السلام (هو أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك) ومن العجب أن من رأى غيره يصدق ما عنده ، ويكمله ويرقيه من درجة إلى درجة ، كيف يسوغ له تكذيبه .

النسخ فى الحقيقة ليس إبطالا بل هو تكميل

والنسخ في الحقيقة ليس إبطالا بل هو تكميل ، وفي التوراة أحكام عامة ، وأحكام مخصوصة ، إما بأشخاص ، وإما بأزمان ، وإذا انتهى الزمان ، لم يبق ذلك لامحالة ، ولا يقال أنه أبطال أو بداء كذلك هاهنا ، وأما السبت فلو أن اليهود عرفوا لم ورد التكليف بملازمة السبت ، وهو يوم أي شخص من الأشخاص ، وفى مقابلة أية حالة وجزئي أى زمان عرفوا أن الشريعة الأخيرة حق ، وأنها جاءت لتقرير السبت لا لابطاله وهم الذين عدوا فى السبت ، حتى مسخوا قردة خاسئين [(١)] ، وهم يعترفون

وأصل من قطعنى وأعطى من حرمنى وأن يكون نطقى ذكرا وصمتى فكرا ونظرى عبرة (القرطى سابع ص ٢٤٤)

(١) ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ، يخاطب اليهود ، بان قد عرفتم الذين اعتدوا منكم فى السبت جاوزوا ما أمروا به من ترك الصيد يوم السبت وكانت الحيتان تجتمع فى يوم السبت لامنها فحبسوها ، فظلموا وتجاوزوا ما حدلهم لأن صيدها حبسها ثم أخذوا بصيده فيه ، حتى كثر صيده وأعلن الفسقة بصيده فقامت فرقة فنهت وجاهرت بالنهى واعتزلت فلما أتوا مانهوا عنه واستحلوه مسخهم الله تعالى ؛ عقوبة لهم قردة وخنازير عقوبة لهم ، وكانوا يتعاوون وبقوا ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا ثم اهلكهم الله تعالى

بأن موسى عليه السلام بنى بيتاً وصور فيه صوراً وأشخاصا ، وبين مراتب الصور ،وأشار إلى تلك الرموز ، لكن لما فقدوا الباب باب حطة(١) ، ولم يمكنهم التسور على سنن اللصوص تحيروا تائهين ، وتاهوا متحيرين ، واختلفوا نيفاً وسبعين فرقة ، ونحن نذكر منها أشهرها وأظهرها عندهم ونترك الباقى هملا .

وجاءت ريح فهبت بهم والقتهم فى الماء وما نجا إلا الناهون . وهلك سائرهم ، وتلك آية من آيات الله اللائحة ومعجزاته الواضحة تسرية وتعزية لرسول الله ﷺ وتثبيتا لفؤاده وتسليته اياه عما يقاسيه من مخالفة اليهود وكيدهم وبراءة من جحودهم وكفرهم وعنادهم ، وليكون وقوفه على ماوقف عليه من أخبار سلفهم تنبيها لهم وحجة عليهم فى أخلادهم إلى الهوى والحادهم وتحذيرا لهم من ان يحل بهم ما حل بآبائهم وأجدادهم (مجمع البيان أول ص ١٢٩)

(١) اشار اليه الله تعالى فى قوله . وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين هو من أبواب بيت المقدس وقيل من أبوب اريحا قرية قرب بيت المقدس وقال مجاهد باب حطة الباب الثامن من بيت المقدس . وقيل باب القبة التى كان يصلى اليها موسى وبنو اسرائيل ، سجدا راكعين وهو شدة الانحناء وقيل ادخلوا خاضعين متواضعين يدل عليه قول الاعشى

يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا حوارا

وقيل معناه ادخلوا الباب فاذا دخلتموه فاسجدوا لله سبحانه شكرا ، وقولوا حطة حط عنا ذنوبنا وهو أمر بالاستغفار والتوبة قال الشاعر :

فاز بالحطة التى جعل الله بها ذنب عبده مغفورا

قال ابن فارس فى المجمل حطة كلمة أمر بها بنو اسرائيل لوقا لوها لحطت أوزارهم قال ﷺ قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة يغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على استاههم وقالوا حبة فى شعره فقصدوا

العنانيـــة

العنانية نسبوا إلى رجل يقال له عنان[1] بن داود رأس الجالوت، يخالفون سائر اليهود فى السبت والأعياد، ويقتصرون على أكل الطير والظباء والسمك، ويذبحون الحيوان على القفا، ويصدقون عيسى عليه السلام، فى مواعظه وإرشاداته، ويقولون أنه لم يخالف التوراة البتة بل قررها، ودعا الناس إليها، وهو من بني إسرائيل المتعبدين بالتوراة، ومن المستجيبين لموسى عليه السلام، إلا أنهم لا يقولون بنبوته ورسالته؛ ومن هؤلاء من يقول إن عيسى عليه السلام لم يدع أنه نبي مرسل، وأنه صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام، بل

خلاف ما أمرهم الله به فعصوا وتمردوا واستهزءوا فعاقبهم الله بالرجز وهو العذاب (مجمع البيان أول ص ١١٨ القرطبى أول ص ٣٥٠)

(١) فى المقريزى، العانانية ينسبون إلى عانان رأس الجالوت الذى قدم من المشرق فى أيام الخليفة أبى جعفر المنصور ومعه نسخ المشتا الذى كتب من الخط الذى كتب من خط النبى موسى وانه رأى ما عليه اليهود من الربانيين والقرائين يخالف ما معه فتجرد لخلافهم وطعن عليهم فى دينهم وازدرى بهم وكان عظيما عندهم يرون انه من ولد داود عليه السلام وعلى طريقة فاضلة من النسك على مقتضى ملتهم بحيث يرون أنه لو ظهر فى أيام عمارة البيت لكان نبيا، فلم يقدروا على مناظرته، لما أوتى مع ما ذكرنا من تقريب الخليفة واكرامه وفى اعتقادات الرازى أنهم العنانية اتباع عنان بن داود ولا يذكرون عيسي بسوء بل يقولون انه كان من أولياء الله تعالى وان لم يكن نبيا وكان قد لتقرير شرع موسى عليه السلام والانجيل ليس بكتاب له بل الانجيل كتاب جمعه بعض تلاميذه (المقريزى رابع ص ٣٦٩) اعتقادات ص ٨٢)

هو من أولياء الله المخلصين ، العارفين أحكام التوراة ، والانجيل ليس كتابا منزلاً عليه ، ووحياً من الله تعالى ، بل هو جمع أحواله من مبدئه إلى كماله ، وإنما جمعه أربعة من أصحابه الحواريين ، فكيف يكون كتاباً منزلاً ، قالوا واليهود ظلموا حيث كذبوه أولا ، ولم يعرفوا بعد دعواه ، وقتلوه آخراً ، ولم يعلموا بعد محله ومغزاه ، وقد ورد فى التوراة ذكر المشيحا فى مواضع كثيرة ، وذلك هو المسيح ، ولكن لم يرد له النبوة ولا الشريعة الناسخة ، وورد فارقليطا وهو الرجل العالم ، وكذلك ورد ذكره فى الانجيل (١) ، فوجب حمله على ما وجد . وعلى من ادعى ذلك تحقيقه وحده .

العيسوية

العيسوية (٢) نسبوا إلى أبى عيسى اسحاق بن يعقوب الأصفهاني

---

(١) قال يسوع المسيح فى الفصل الخامس عشر من انجيله « ان الفار قليط روح الحق الذى يرسله أبى هو يعلمكم كل شىء وقال يوحنا التلميذ عن المسيح ، انه قال لتلاميذه ان كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطا آخر يثبت معكم الى الأبد روح الحق الذى لم يطق العالم أن يقتلوه لأنهم لم يعرفوه ولست أدعكم ايتاما لأنى سآتيكم عن قريب ، وقال يوحنا قال المسيح من يحبنى يحفظ كلمتى وأبى يحببه ، واليه يأتى وعنده يتخذ المنزل كلمتكم بهذا لأنى عندكم مقيم . والفار قليط روح الحق الذى يرسله أبى هو يعلمكم كل شىء وهو يذكركم كل ماقلت لكم والفار قليط فى لغتهم ذكروا فيه أقوالا قيل انه الحماد وقيل انه الحامد وقيل انه المعز وقيل انه الحمد ورجح هذا طائفة وما ذكر ينطبق على محمد ﷺ (الجواب الصحيح رابع ص ٥)

(٢) ويقال لهم الأصبهانية أصحاب أبى عيسى الأصبهانى وادعى النبوة وانه عرج به

وقيل اسمه عوفيد الوهيم ، أى عابد الله كان فى زمان المنصور ، وابتدأ دعوته فى زمن آخر ملوك بنى أمية ، مروان بن محمد الحمار ، فاتبعه بشر كثير من اليهود وادعوا له آيات ومعجزات ، وزعموا أنه لما حورب خط علي أصحابه خطاً بعود آس ، وقال أقيموا فى هـذا الخط ، فليس ينالكم عدو بسلاح ، فكان العدو يحملون عليهم حتى إذا بلغوا الخط رجعوا عنهم خوفاً من طلسم أو عزيمة ، ربما وضعها ، ثم أبو عيسى خرج من الخط وحده على فرسه ، فقاتل وقتل من المسلمين كثيراً ، وذهب إلى بنى موسى بن عمران ، الذين هم وراء الرمل ليسمعهم كلام الله ، وقيل أنه لما حارب أصحاب المنصور بالرى قتل وقتل أصحابه ، وزعم أبو عيسى أنه نبي وأنه رسول المسيح المنتظر ، وزعم أن للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله واحداً بعد واحد ، وزعم أن الله تعالى كلمه وكلفه أن يخلص بنى اسرائيل من أيدى الأمم العاصين ، والملوك الظالمين ، وزعم أن المسيح أفضل ولد آدم ، وأنه أعلى منزلة من الأنبياء الماضين ، وإذ هو رسوله فهو أفضل الكل أيضاً ، وكان يوجب تصديق المسيح ، ويعظم دعوة الداعى ، وزعم أن الداعى أيضا هو المسيح ، وحرم فى كتابه الذبائح كلها ، ونهى عن أكل ذى روح على الاطلاق طيراً كان أم بهيمة ، وأوجب عشر صلوات وأمر أصحابه بإقامتها وذكر أوقاتها

إلى السماء فمسح الرب على رأسه وانه رأى محمداً ﷺ فأمن به ويزعم يهود أصبهان أنه الدجال وأنه يخرج من ناحيتهم (مقريزى رابع ص ٢٧٢) .

وخالف اليهود فى كثير من أحكام الشريعة الكبيرة المذكورة فى التوراة[١]

المقاربة واليوذعانية

المقاربة[٢] واليوذعانية نسبوا إلى يوذعان رجل من همدان، وقيل كان اسمه، يهوذا يحث على الزهد وتكثير الصلاة، وينهى[٣] عن

---

(١) وقد ذهبت العيسوية الى أن زعمت أن محمدا وعيسى عليهما السلام انما بعثا إلى قومهما، ولم يبعثا بنسخ شريعة موسى، فاذا أوجبوا تصديقهما فى قولهما أنهما من عند الله فما أنكروا من وجوب تصديقهما فى قولهما انهما قد بعثا إلى كل اسود وأبيض وأنثى وذكر وبنسخ شريعة موسى. وكل صاحب شرع قبلهما فان كانا قد كذبا فى هذا القول مع ظهور المعجزات على أيديهما فما أنكروا أن يكونا كاذبين في بسائر أخبارهما وهذا يبطل النبوة جمله. فان قالوا نحن لانكذب محمدا وعيسى عليهما السلام فى هذا القول لو قالاه لأنهما لو كذبا فى بعض ما يخبر ان به عن الله سبحانه لم يكونا بنبيين ولكنا نكذب النصارى والمسلمين فى ادعائهم ذلك عليهما فالكذب فالكذب واقع من ناحية أمتيهما ولم يقع من جهتهما. يقال لهم إذا جاز الكذب على النصارى والمسلمين فى هذا الخبر الذى يدعونه على محمد وعيسى عليهما السلام فلم لا يجوز عليهم الكذب فى جميع ما نقلوه عنهما وفى نقلهم اعلامهما ولم لا يحق مثل ذلك على اليهود أيضا ونقلته البلدان والسير وهذا يعود إلى أبطال القول بالأخبار جملة. وفي اطباقنا واياهم على فساد ما أدى إلى ذلك دليل على فساد قولهم وصحة قول المسلمين والنصارى فى هذا الباب (التمهيد ص ١٤٧).

(٢) فى اعتقادات الرازى أنهم المعادية وهم اتباع رجل من همدان وهم فى اليهود كالباطنية في المسلمين (ص ٨٣).

(٣) يتابع فيهذا فرقةالمتقشفين من اليهود وكانوا يمنعون أكثر المآكل وخاصة اللحم ويمنعون من التزوج بحسب الطاقة ويقولون بأنالتوراة كلها لموسيويتمسكون بصحف منسوبة الى أخنوخ وابراهيم عليه السلام وينظرون فى علم النجوم ويعملون بها (مقريزى رابع ص ٣٧٢).

اللحوم والانبذة ، وفيما نقل عنه تعظيم أمر الداعى ، وكان يزعم أن للتوراة ظاهراً وباطناً ، وتنزيلا وتأويلا ، خالف بتأويلاته عامة اليهود وخالفهم في التشبيه ، ومال إلى القدر . وأثبت الفعل حقيقة للعبد ، وقدر الثواب والعقاب عليه وشدد فى ذلك .

الموشكانية

الموشكانية[1] أصحاب موشكان على مذهب يوذعان ، غير أنه كان يوجب الخروج على مخالفيه ، ونصب القتال معهم ، فخرج فى تسعة عشر رجلا فقتل بناحية قم ، وذكر عن جماعة من الموشكانية ؛ أنهم أثبتوا نبوة المصطفى عليه السلام إلى العرب ، وسائر الناس سوى اليهود . لأنهم أهل ملة وكتاب . وزعمت فرقة من المقاربة أن الله تعالى خاطب الأنبياء بواسطة ملك اختاره وقدمه على جميع الخلائق ، وَاستخلفه عليهم ، قالوا فكل ما فى التوراة وَسائر الكتب من وَصف الله عز وَجل فهو خبر عن ذلك الملك ، وَإلا فلا يجوز أن يوصف البارى تعالى بوصف ، قالوا فان الذى كلم موسى عليه السلام تكليما هو ذلك الملك ، والشجرة المذكورة فى التوراة هو ذلك الملك ، ويتعالى الرب تعالى عن أن يكلم بشرا تكليما[2] . وحمل جميع ماورد فى التوراة من طلب

---

(١) وفى كتاب المسألة اليهود ص ٢٠ انهم المشكنم . وهى من الفرق البائدة .

(٢) قال الله جل ثناؤه وكلم الله موسى تكليما . فوصف نفسه بالتكليم ووكده بالتكرار فقال تكليما وقال تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه وقال جل وعلا

الرؤية ، وشافهت الله ، وجاء الله ، وطلع الله فى السحاب ، وكتب التوراة بيده ، واستوى على العرش قرارا ، وله صورة آدم ، وشعر قطط ووفرة سوداء ، وأنه بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه ، وأنه ضحك الجبـار حتى بدت نواجذه ، إلي غير ذلك ، على ذلك الملك ، قال ويجوز فى العادة أن يبعث ملك واحدا من جملة خواصه ، ويلق عليـه اسمه ، ويقول هذا هو رسولى ، ومكانه فيكم مكاني ، وقوله وأمره قولى وأمري ، وظهوره عليكم ظهورى ، كذلك يكون حال ذلك الملك .

وقيل إن إريوس قال فى المسيح إنه هو الله ، وإنه صفوة العالم ،

(تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ، وذكر فى غير آية من كتابه ما كلم به موسى عليه السلام فقال (يا موسى انى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحي انى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى إلى قوله « واصطفيتك لنفسى » وقال : يا موسي انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ، فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين . فهذا كلام سمعه موسى عليه السلام باسماع الحق إياه بلا ترجمان بينه وبينه دله بذلك على ربو بيته ودعاه الى وحدانيته وأمره بعبادته واقامة الصلاة لذكره ، وأخبر أنه اصطنعه لنفسه ؛ واصطفاه برسالاته وبكلامه وانه مبعوث إلى الخلق بأمره ، قال رسول الله ﷺ احتج آدم وموسى عليهما السـلام فقال له موسى أنت آدم الذى أخرجت ذريتك من الجنة ، فقال له آدم أنت موسى الذى اصطفاك الله تعالى برسالاته وبكلامه تلومنى على أمر قد قدر على قبل أن أخلق . وعن معاذ بن هشام عن أبيه وفى هذا أن موسي عليه السلام مخصوص بأن الله تعالى جل ثناؤه كله تكليما ولو كان انما سمعه من مخلوق لم يكن له خاصيته (الاسما والصفات ص ١٨٩) .

أخذ قوله من هؤلاء ، وهم كانوا قبل إريوس بأربعمائة سنة ، وهم أصحاب زهد وتقشف ، وقيل صاحب هذه المقالة هو بنيامين النهاوندى ، قرر لهم هذا المذهب ، وأعلمهم أن الآيات المتشابهة فى التوراة كلها مؤولة وأنه تعالى لا يوصف بأوصاف البشر ، ولا يشبه شيئا من المخلوقات ، ولا يشبهه شىء منها ، وإنما المراد بهذه الكلمات الواردة فى التوراة ذلك الملك المعظم ، وهذا كما يحمل فى القرآن المجىء والإتيان ، على إتيان ملك من الملائكة وهو كما قال فى حق مريم عليها السلام (ونفخنا[1] فيها من روحنا) وفى مواضع أخرى (فنفخنا فيه من روحنا) وإنما النافخ جبريل ، حين تمثل لها بشرا سويا ليهب لها غلاما زكيا

السامرة[2]

هؤلاء قوم يسكنون بيت المقدس (وقرايا) من أعمال مصر ،

---

(١) ونفخنا فيها من روحنا أجرينا فيها روح المسيح كما يجرى الهواء بالنفخ ، والنافخ جبريل ، نفخ فى جيب درعها فخلق الله المسيح فى رحمها من تلك النفخة ونفخه بأمر الله وأضافه الله اليه تشريفا وتكريما . فالنفخ من روح القدس يأمر القدوس مما يشعر بنزاهة المقدسة مريم وطهارتها والله عز وجل كون المسيح من تلك النفخة ونفخ فيه روحه حتى صار حيا .

(٢) السامرة ، وبالعبرية كوتيم ، وهم ليسو من بنى إسرائيل البتة ، وانما هم قوم قدموا من بلاد المشرق رسكنوا بلاد الشام وتهودوا وكانوا لايؤمنون بنبى غير موسى وهرون ولا بكتاب غير التوراة ، وما عداهم من اليهود يؤمنون بالتوراة ، وغيرها من كتب الله تعالى وهى خمس وعشرون كتابا ككتاب اشعيا وارميا وحزقيل ، وكان السامرة يطلقون على أنفسهم اسم شومريم أي سامره من اسم

يتقشفون فى الطهارة أكثر من تقشف سائر اليهود ، أثبتوا نبوة موسى وهارون ، ويوشع بن نون عليهم السلام ، وأنكروا نبوة من بعدهم رأسا إلا نبيا واحدا ، وقالوا التوراة ما بشرت إلا بنبي واحد يأتى من بعد موسى ، يصدق ما بين يديه من التوراة يحكم بحكمها ولا يخالفها البتة ، وظهر فى السامرة رجل يقال له الالفان ادعى النبوة ، وزعم أنه هو الذى بشر به موسى ، وأنه هو الكوكب الذي ورد فى التوراة أنه يضىء

شمرون أو بني اسرائيل وكانوا يقولون أنهم من أولاد يوسف أو لسكناهم مدينة شمرون . وشمرون هذه هى مدينة نابلس وكانوا ينكرون نبوة داود ومن تلاه من الأنبياء وأبوا أن يكون بعد موسى نبي ، وجعلوا رؤساءهم من ولد هرون . وذكر المسعودى أن السامرة صنفان متباينان أحدها يقال له الكوشان والآخر الروشان ، أحد الصنفين يقول بقدم العالم والسامرة تزعم أن التوراة التى فى أيدى اليهود ليست التوراة التى أوردها موسى عليه السلام ويقولون توراة موسى حرفت وغيرت وبدلت وان التوراة هى ما بأيديهم دون غيرهم وذكر البيرونى أن السامرة تعرف بالامساسية قال وهم الابدال الذين بدلهم بختنصر بالشام حين أسر اليهود وأجلاها وكانت السامرة أعانوه ودلوه على عورات بنى إسرائيل فلم يحاربهم ولم يقتلهم ولم يسبهم وانزلهم فلسطين من تحت يده ومذاهبهم ممتزجة من اليهودية والمجوسية وعامتهم يكونون بموضع من فلسطين يسمى نابلس وبها كنائسهم ولا يدخلون حد بيت المقدس منذ أيام داود النبي لأنهم يدعون أنه ظلم واعتدى وحول الهيكل المقدس من نابلس إلى ايليا وهو بيت المقدس ولايمسون الناس وإذا مسوهم اغتسلوا ولا يقرون بنبوة من كان بعد موسى عليه السلام من انبياء بنى إسرائيل وقد بقى منهم إلى عصرنا الحاضر قرابة ثلاثمائة وهم فى نابلس فى كل سنة يصعدون إلى جبل جرزيم « كرزم » للعبادة منتظرين مجىء المسيح الموعود به (مقريزى رابع ص ٣٦٩ اعتقادات ص ٨٣ المسألة اليهودية ص ١٦ تاريخ الاسرائيليين ص ١٢٢)

ضوء القمر ، وكان ظهوره قبل المسيح عليه السلام ، بقريب من مائة سنة

وافترقت السامرة إلى دوستانية وهم الألفانية ، وإلى كوسانية[١] ، والدوستانية معناها الفرقة المتفرقة الكاذبة ، والكوسانية معناها الجماعة الصادقة ، وهم يقرون بالآخرة والثواب والعقاب فيها ، والدوستانية ترعم أن الثواب والعقاب فى الدنيا ، وبين الفريقين اختلاف فى الأحكام والشرائع ، وقبلة السامرة جبل يقال له (كزيرم)[٢] بين بيت المقدس ونابلس ، قالوا إن الله تعالى أمر داود النبي عليه السلام أن يبنى بيت المقدس[٣] بجبل

---

(١) وفى المقريزى رابع ص ٣٧١ أن السامرة صنفان متباينان احدهما يقال له الكوشان والآخر الروشان وأحد الصنفين يقول بقدم العالم

(٢) جبل بظاهر نابلس اسمه كزيرم وهو مذكور فى التوراة وتعتقد اليهود أن الذبح كان عليه وعندهم أن الذبيح اسحاق عليه السلام ولليهود فى هذا الجبل اعتقاد أعظم ما يكون والسامرة تصلى اليه وبه عين تحت كهف يعظمونها ويزورها السامرة ولاجل ذلك كثرت السامرة بهذه المدنية ولهم بيت عبادة بنابلس يسمونه كزيريم (معجم ثامن وسابع ص ٢٣٣ و ص ٢٤٩)

(٣) بيت المقدس أى البيت المقدس المطهر الذى يتطهر به من الذنوب وفضائل بيت المقدس كثيرة وقد اتخذ سليمان فيه القبة التى فيها السلسلة المعلقة ينالها صاحب الحق ولا ينالها المبطل ومن عجائب بنائه انه بنى بيتا وأحكمه وصقله فاذادخله الفاجر والورع تبين الفاجر من الورع لأن الورع كان يظهر خياله فى الحائط أبيض والفاجر يظهر خياله أسود وكان أيضا مما اتخذ من الاعاجيب انه ينصب فى زاوية من زواياه عصا ابنوس فكان من مسها من أولاد الأنبياء لم تضره ومن مسها من غيرهم

نابلس[١] ، وهو الطور الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام ، فحول داود إلى إيليا[٢] ، وبنى البيت ثمة ، وخالف الأمر ، وظلم ، والسامرة توجهوا إلى تلك القبلة دون سائر اليهود ، ولغتهم غير لغة اليهود[٣] ، وزعموا

أحرقت يده ومدينة بيت المقدس أرضها وضياعها وقراها كلها جبال شامخة وليس حولها ولا بالقرب منها أرض وطيئة البتة **وزروعها** على الجبال وفيها مغائر كثيرة ومواضع يطول عددها مما يزار ويتبرك به ويشرب أهل المدينة من ماء المطر ليس فيها دار الا وفيها صهريج وهى متوسطة الحر والبرد قل ما يقع فيها ثلج هواؤها سجسج بناؤها حجر لا ترى أحسن منه ولا أنفس منه ولا أعف من أهلها ولا أطيب من العيش بها ولا الطف من أسواقها ولا أكبر من مسجدها ولا أكثر من مشاهدها ولها ثمانية أبواب حديد باب صهيون وباب التيه وباب البلاط وباب جب ارميا وباب سلوا وباب اريحا وباب العمود وباب محراب داود عليه السلام ولمسجدها أوصاف عجيبة لا تتصور الا بالمشاهدة عيانا ومن أعظم محاسنه انه إذا جلس إنسان فيه فى أى موضع منه يرى أن ذلك الموضع هو أحسن المواضع وأشرحها ولذا قيل ان الله نظر اليه بعين الجمال ونظر إلى المسجد الحرام بعين الجلال (معجم ثامن ص ١١٠)

(١) نابلس مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها كثيرة المياه لأنها لصيقة فى جبل أرضها حجر بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ ولها كورة واسعة وعمل جليل فى الجبل الذى فيه القدس وبظاهر نابلس جبل ذكروا أن آدم عليه السلام سجد فيه (معجم ثامن ص ٢٣٢)

(٢) ايلياء اسم مدينة بيت المقدس قيل معناه بيت الله وقيل سميت باسم بانيها ايلياء ابن ارم بن سام قال بعض الأعراب

فلو ان طيرا كلفت مثل سيره ＝ إلى واسط من ايلياء لكلت

(معجم أول ص ٢٩٢)

(٣) وبأيدى السامرة توراة غير التوراة التى بأيدى سائر اليهود يزعمون انها المنزلة ويقطعون ان التى بأيدى اليهود محرفة مبدلة . واليهود يقولون ان التى بأيدى السامرة محرفة مبدلة (ابن حزم أول ص ١١٧) .

أن التوراة كانت بلسانهم ، وهى قريبة من العبرانية فنقلت إلى السريانية

فهذه أربع فرق هم الكبار وانشعبت منهم الفرق إلى إحدى وسبعين فرقة ، وهم بأسرهم أجمعوا على أن فى التوراة بشارة بواحد بعد موسى ، وإنما افتراقهم إما في تعيين ذلك الواحد ، أو فى الزيادة على الواحد ، وذكر المشيحا وآثاره ظاهر فى الأسفار وخروج واحد فى آخر الزمان ، وهو الكوكب المضىء الذى تشرق الأرض بنوره ، أيضا متفق عليه ، واليهود على انتظاره ،والسبت يوم ذلك الرجل وهو يوم الاستواء بعد الخلق

وقد أجمعت اليهود على أن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات استوى على عرشه مستلقيا على قفاه ، واضعا إحدي رجليه على الأخرى ، فقالت فرقة منهم إن الستة الأيام هى ستة آلاف سنة ، فان يوما عند الله كألف سنة مما يعد بالسير القمرى ، وذلك هو ما مضى من لدن آدم إلى يومنا هذا ، وبه يتم الخلق ثم إذا بلغ الخلق إلى النهاية ، ابتدأ الأمر ، ومن ابتداء الأمر يكون الاستواء على العرش والفراغ من الخلق وليس ذلك أمرا كان ومضى ، بل هو فى المستقبل إذا عددنا الأيام بالألوف

النصارى[1]

أمة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وهو المبعوث حقا بعد

---

(١) النصارى جمع نصران كقولهم سكران . وسكارى وندمان وندامى . قال الشاعر :

موسى عليه السلام ، المبشر به فى التوراة ، وكانت له آيات ظاهرة ، وبينات زاهرة ، مثل إحياء الموتى[٢] ، وإبراء الأكمه والأبرص[٣] ، ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه ، وذلك حصوله من غير نطفة سابقة ، ونطقه من غير تعليم سالف ، وجميع الأنبياء بلاغ وحيهم أربعون سنة ، وقد أوحى إليه إبلاغا عند الثلاثين ، وكانت مدة دعوته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، فلما رفع إلى السماء اختلف الحواريون وغيرهم فيه ، وإنما اختلافاتهم تعود إلى أمرين . أحدهما كيفية نزوله واتصاله بأمه ، وتجسد الكلمة ، والثانى كيفية صعوده

تراه إذا كان العشي محنفا يضحى لديه وهو نصران شامس

وهو الممتلىء نصراً ، كما أن الغضبان هو الممتلىء غضبا ، وقيل في مؤنثه نصرانة كما قال : كما سجدت نصرانة لم تحنف ، وقيل ان واحد النصارى نصرى مثل مهرى ومهارى واختلفوا فى اشتقاق هذا الاسم فقال ابن عباس هو من ناصرة قرية كان يسكنها عيسى فنسبوا إليها وقيل سموا بذلك لتناصرهم أى نصرة بعضهم بعضا وقيل انما سموا بذلك لقوله من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله . (مجمع البيان ص ١٢٦) .

(٢) احياؤه الموتى باذن الله تعالى والمحي حقيقة هو الله جلت قدرته لكنه أجرى الاحياء على يد المسيح ليكون ذلك آية نبوته ورسالته

(٣) وابراء الاكمه والابرص الاكمه الذى يولد أعمى وقيل الكمه العمى يولد به الأنسان وقد يعرض قال سويد

كمهت عيناه حتى أبيضتا فهو يلحى نفسه لما نزع

والبرص بياض يعترى الجلد وخص هذان بالذكر لأنهما عياءان ، تعذر شفاؤهما على نطس الأطباء ، وكان الغالب على زمن عيسى عليه السلام الطب ، فأراهم الله المعجزة من جنس ذلك ، آية ساطعة على رسالته .

واتصاله بالملائكة ، وتوحد الكلمة ، أما الأول فقضوا بتجسد الكلمة ولهم في كيفية الاتحاد والتجسد كلام ، فمنهم من قال أشرق علي الجسد إشراق النور على الجسم المشف ، ومنهم من قال انطبع فيه انطباع النقش فى الشمعة ، ومنهم من قال ظهر به ظهور الروحاني بالجسمانى ، ومنهم من قال تدرع اللاهوت بالناسوت ، ومنهم من قال ما زجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء ، وأثبتوا لله تعالي أقانيم ثلاثة ، قالوا البارى تعالى جوهر واحد يعنون به القائم بالنفس لا التحيز ، والحجمية فهو واحـــد بالجوهرية ، ثلاثة بالأقنومية ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم ، والأب والابن وروح القدس ، وإنما العلم تدرع وتجسد دون سائر الأقانيم ، وقالوا فى الصعود إنه قتل وصلب قتله اليهود حسدا وبغيا ، وإنكارا لنبوته ودرجته ، ولكن القتل ما ورد على الجزء اللاهوتي ، وإنما ورد على الجزء الناسوتي ، قالوا وكمال الشخص الانساني في ثلاثة أشياء ، نبوة وإمامة ، وملكة ، وغيره من الأنبياء كانوا موصوفين بهذه الخصال الثلاث أو ببعضها ، والمسيح عليه السلام درجته فوق ذلك ، لأنه الابن الوحيد فلا نظير له ، ولا قياس له إلى غيره من الأنبياء ، وهو الذى به غفر زلة آدم عليه السلام ، وهو الذي يحاسب الخلق ولهم فى النزول خلاف ، فمنهم من يقول ينزل قبل يوم القيامة كما قال أهل الإسلام ، ومنهم من يقول لا نزول له إلا يوم الحساب ، وهو بعد أن قتل وصلب نزل ، ورأى شخصه شمعون

الصفا[١] فكلمه وأوصى إليه ، ثم فارق الدنيا وصعد إلى السماء وكان وصيه شمعون الصفا ، وهو أفضل الحواريين علما وزهدا وأدبا ، غير أن فولوس هوش أمره وصير نفسه شريكا له ، وغير أوضاع علمه وخلطه بكلام الفلاسفة ، ووسوس خاطره ، ورأيت رسالة لفولوس كتبها إلى اليونانيين إنكم تظنون أن مكان عيسى عليه السلام كمكان سائر الأنبياء، وليس كذلك بل إنما مثله مثل ملكيزداق وهو ملك السلام ، الذى كان إبراهيم عليه السلام يعطى إليه العشور ، فكان يبارك على إبراهيم ويمسح رأسه ، ومن العجب أنه نقل فى الأناجيل أن الرب تعالى قال إنك أنت الابن الوحيد ، ومن كان وحيدا كيف يمثل بواحد من البشر ، ثم إن أربعة من الحواريين اجتمعوا ، وجمع كل واحد منهم جمعا للانجيل[٢]

---

(١) شمعون الصفا ابن توما ، المعروف بسمعان القانوي نسبته إلى قانا الجليل ، أو جبل الجليل بالقرب من دمشق ، يقال أن عيسى عليه السلام دعا لهـذا الجبل ان لايعد وسبعه ولايجدب زرعه ، وشمعون من حوارئ المسيح ، ومن تلاميـذه وكان استاذ مرقس الهاروني صاحب انجيل مرقس ويقولون ان شمعون المذكور هو الذي ألفه ثم محا اسمه من أوله ونسبه إلى تلميذه مرقس ويقال أنه جاء إلى مصر ثم ذهب إلى افريقية فبلاد الانجليز فالعجم وهناك التقى به يهوذا وأخذا يبشران بالمسيحية فتألبت عليهما الكهنة وحرضوا الشعب على قتلهما فنشروا سمعان بمنشار وقطعوا رأس يهوذا (ابن حزم ثامن ص ٢ خلاصة تاريخ المسيحية ص ٥٨)

(٢) الاناجيل المعتبرة عند النصارى أربعة انجيل متى وانجيل مرقس وانجيل لوقا وانجيل يوحنا وهى عمـدتهم ومرجعهم فى دينهم وهم التى تعترف بها كنائسهم ، وتقرها فرقهم ، غير انه كانت في العصور القديمة ، أناجيل أخرى ، أخـذت بها بعض الفرق ، ودانوا كانجيل مرقيون وانجيل السبعين وانجيل برنابا ، وغـيرهم

وهم متّى (١) ولوقا(٢) ومارقوس(٣)

وهى تتخالف مع الأناجيل الأربعة التى لم تعرف قبل أواخر القرن الثاني فهى لم يملها المسيح ولـكنها كتبت من بعده وهى تنتظم أخبار يحي « يوحنا المعمدان» ومريم والمسيح وما أحاط بولادته من معجزات وما حدث له من أحداث وما جرى بينه وبين اليهود وماله من أحاديث وأقوال وخطب وأمثال وأوامر ونواه وعظات بله ما فيه ، من نادر التشريع مما يتعلق بالزواج والطلاق إلى ائتمار اليهـود عليه ، ومحاكمتهم اياه والحـكم عليه وقيامه ورفعه إلى السماء وقد ذكر بابياس الذى عاش فى النصف الأول من القرن الثاني وكان مطرانا على هيرابوليس وهى البـلدة التى أقام فيها فيلبس الرسول أن المـكتبة الأولى للانجيل كانت ذاكرة شمعون الصفا ويعقوب بن زيدى ويوحنا بن زيدة ولاوى بن الغايوس أى متى وتوما واندريا وارتيون ويوحنا وفيلبس نفسه فان هؤلاء الذين كانوا يحفظـون تاريخ المسيح وكانوا يروون حركاته وسكناته للناس شفهيا إلى ان الحت جماعات المؤمـنين عليهم بـكتابتها فى الورق فـكانت من أجل ذلك الاناجيل الأولى (محاضرات فى النصرانية ص ٣٦ وتعليق شكيب ارسلان على ابن خلدون ص ٥٧ أول)

(١) متى ويدعى لاوى ابن حلفى من قانا الجليل وكان من العشارين « جباة العشور » للدولة الرومانية فى كفر ناحوم من أعمال الجليـل بفلسطين وما حولها وكان اليهود يحقرون تلك الوظيفة لظلم صاحبها وخضوعه لدولة أجنبية غير أن المسيح اختاره تلميذا من تلاميذه ولما صعد المسيح جال للتبشير فى بلاد كثيرة وقد قتل باتيوبيا سنة ٦٢ م وكتب انجيله بالعبرية (خلاصة تاريخ المسيحية ص ٥٢)

(٢) لوقا ولد فى انطاكية ودرس الطب ومارسه بنجاح ورافق بولس فى أسفاره وشركه فى أعماله وهو كاتب سفر أعمال الرسل قتل فى حكم نيرون سنة ٧٠م وكتب انجيله باليونانية (خلاصة تاريخ المسيحية في مصر ص ٥٣)

(٣) مرقس اسمه يوحنا ومرقس لقبه وهو أحد الانجيليين الأربعة ولم يـكن من الأثنى عشر تلميذا وعلى يده دخلت الديانة المسيحية ديار مصر فى القـرن الأول وأصله من اليهود وكان من الذين قبلوا دعوة المسيح فاصطفاه ويتردد على بيته وفيه أكل الفصح مع تلاميذه وقد رافق مرقس بولس وبرنابا خاله إلى انطاكية حوالى

ويوحنا[١] وخاتمة[٢] إنجيل متى أنه قال

إنى أرسلكم إلي الأمم كما أرسلنى أبى إليكم ، فاذهبوا وادعوا الأمم باسم الرب والابن وروح القدس ، وفاتحة[٣] إنجيل يوحنا على القديم الأزلى قد كانت الكلمة ، وهو ذا الكلمة كانت عند الله ، والله هو كان الكلمة ، وكل كان بيده ، ثم افترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة ، وكبار فرقهم ثلاثة الملكائية والنسطورية واليعقوبية ، وانشعبت منها الاليانية[٤]

سنة ٤٥ وذهب معهما إلى قبرص ثم بعض جهات فى آسيا الصغرى ثم قصد بمفرده شمال افريقيا وفى منتصف القرن الأول قصد ديار مصر وكتب انجيله باليونانية وقد أسس المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية وقد قتله الوثنيون سنة ٦١ (خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ص ٦٢)

(١) يوحنا ولد فى بيت صيدا من أعمال الجليل وكان المسيح يحبه وقد لبث يبشر بها حتى توفى شيخا وفى أواخر أيامه ضعف وعجز عن الوعظ فلم يجد ما يقوله لسامعيه الا ، ليحب بعضكم بعضا فلما ملوا تكرارها قال أن هذه هى وصية الرب العظمى إذا اتممناها فقد اتممنا كل الوصايا وكتب انجيله ورسائله الثلاث وسفر الرؤيا باللغة اليونانية (خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ص ٥٣)

(٢) فتقدم يسوع وكلمهم قائلا دفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعلموهم باسم الأب والأبن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وهأنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر (الاصحاح الثامن والعشرون رقم ١٨ و ١٩ و ٢٠)

(٧) فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان فى البدء عند الله كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان (الاصحاح الأول)

(٨) الاليانية نسبة إلى اليان الذى ظهر قبل مجمع نيقيه وقال أن مريم لم تحبل

والبليارسية[١] والمقدانوسية [٢] والسباليوسية [٣] والبوطينوسية [٤]

بالمسيح تسعة أشهر وانما مر في بطنها كما يمر الماء فى الميزاب لأن الكلمة دخلت فى أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعته (محاضرات فى النصرانية ص ١٥٠)

(١) البليارسيه وهى محرفة عن البابليدوسية شيعة بابليدوس الذى كان قبل مجمع نيقيه وكان يقول أن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية (محاضرات فى النصرانية ص ١٥٠)

(٢) بعد مجمع نقيه كان أول فرقة ظهرت فرقة مقدونيوس فقد أنكرت أن يكون روح القدس الها وقاومت مارمى اليه الكنيسة العامة من فرض تلك الالوهية ودعوة الناس اليها وحثهم على اعتناقها وكان مقدونيوس ممن يعتقد التوحيد ويظاهر أريوس وسائر الموحدين وفى عهد قسطنطين ابن قسطنطين الثانى كان مقدونيوس بطريركا على القسطنطينية وكان يقول أن روح القدس مخلوقة وأقام عشر سنين ومات ولكن مقالته لم تمت بموته بل كان له أشياع وأتباع وقد جاراهم في عقيدتهم من نفى الوهية الروح القدس (البنوما توما كيين) وقد عقد الاساقفه مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ وحكموا ببطلان مذهبهم (محاضرات في النصرانية ص ١٥٢ سوسنة سليمان ص ١٤٥)

(٣) السبالية أو السابليوسية نسبة إلى سابليوس من قساوسة مصر فى القرن الثالث الذى أظهر عقيدته بأن الله أعطى الناموس لبنى اسرائيل بصفته أبا وصار انسانا فى العهد الجديد بصفته ابنا وحل فى الرسل بصفته روح القدس والذى اتحد بالانسان جزء من الأب كالذى حل بالرسل فقاومه ديوناسيوس البطريرك ونفاه ومن تبعه من مصر فذهبوا إلى رومية حيث عقد مجمعها ورفض تعاليمه (تاريخ الكنيسة أول ص ١٧٠)

(٤) النوء توسية وقد حرفت إلى البوطينوس نسبة إلى نوء توس من قساوسة القرن الثالث من أزمير ذهب إلى أن الله هو الأب قد اتحد بالانسان الذى هو المسيح فدعى بالابن وبه ولد (وتألم تاريخ الكنسة أول ص ١٧٠)

والبولسية[١] إلى سائر الفرق

الملكائية[٢]

أصحاب ملكا الذى ظهر بالروم ، واستولى عليها ، ومعظم الروم

---

(١) البولية أو البولسية نسبة لبولس الشمشاطى أو السميساطى نسبة إلى سميساط مدينة على شاطىء الفرات فى طرف بلاد الروم يسكنها الارمن ويقال للبولية البوليقانيون وقد ذهب بولس وكان من قساوسة القرن الثالث ــ إلى أن الله جوهر قديم واحد واقنوم واحد له ثلاثة اسماء وان حكمته أو كلمته ليست اقنوما بل أنها فى العقل الالهى بمثابه الفهم فى العقل الانسانى وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح وان عيسى عبد الله ورسوله كأحد الانبياء عليهم السلام خلقه الله تعالى فى بطن مريم من غير ذكر وانه انسان لاالهية فيه وكان يقول لا أدرى ما الكلمة ولا روح القدس (تاريخ الكنيسة أول ص ١٦٢ و ١٧٠ وابن حزم أول ص ٤٨)

(٢) وقيل لها الملكانية نسبة إلى ملك الروم وهم يقولون ان الله اسم لثلاثة معان فهو واحد ثلاثة وثلاثة واحد وقالوا ان اتحاد الله تعالى بعيسى كان باقيا حالة صلبه وقال ابن حزم الملكانية وهى مذهب جميع ملوك النصارى حيث كانوا حاشا الحبشة والنوبة ومذهب عامة أهل كل مملكة للنصارى حيث كانوا حاشا الحبشة والنوبة ومذهب جميع نصاري افريقية وصقلية والأندلس وجمهور الشام وقولهم أن الله تعالى عبارة عن قولهم ثلاثة أشياء أب وابن وروح القدس كلها لم تزل وأن عيسى اله تام كله وانسان تام كله ليس احدهما غير الآخر وان الانسان منه هو الذى صلب وقتل وان الاله منه لم ينله شيء من ذلك وان مريم ولدت الاله والانسان وأنهما معا شيء واحد ابن الله تعالى الله عن كفرهم فكان معتقدهم التثليث وانما حملهم عليه ظواهر من كلام المسيح فى الانجيل لم يهتدوا إلى تأويلها ولا وقفوا على فهم معانيها مثل قول المسيح حين صلب بزعمهم (اذهب إلى أبى وأبيكم) وقال افعلوا كذا وكذا من البر لتكونوا ابناء أبيكم فى السماء وتكونوا تامين كما أن أباكم الذى فى السماء تام وقال له فى الانجيل (إنك

ملكائية . قالوا إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح ، وتدرعت بناسوته ويعنون بالكلمة اقنوم العلم : ويعنون بروح القدس اقنوم الحياة، ولا يسمون العلم قبل تدرعه به ابنا ، بل المسيح مع ما تدرع به ابن ، فقال بعضهم إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر اللبن أو الماء اللبن ، وصرحت الملكائية بأن الجوهر غير الأقانيم ، وذلك كالموصوف والصفة ، وعن هذا صرحوا باثبات التثليث ، وأخبر عنهم القرآن (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) وقالت الملكائية المسيح ناسوت كلى لا جزئى ، وهو قديم أزلى من قديم أزلى ، ولقد ولدت مريم عليها السلام إلها أزليا ، والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله عز وجل ، وعلى المسيح ، لما وجدوا في الأنجيل حيث قال إنك أنت الابن الوحيد ، وحيث قال شمعون الصفا أنك ابن الله حقا ، ولعل ذلك من مجاز اللغة ، كما يقال لطلاب الدنيا أبناء الدنيا ، ولطلاب الآخرة أبناء الآخرة ، وقال المسيح للحواريين[1]

أنت الابن الوحيد وقال له شمعون الصفا (انك ابن الله حقا) فلما اثبتوا هذه الابوة من ظاهر هذا اللفظ زعموا أن عيسى بن مريم من أب قديم وكان اتصاله بمريم تجسد كلمة منه مازجت جسد المسيح وتدرعت به فكان مجموع الكلمة والجسد ابنا وهو ناسوت كلى قديم أزلى وولدت مريم الها ازليا والقتل والصلب وقع على الجسد والكلمة ويعبرون عنهما بالناسوت واللاهوت (مقريزى رابع ص ٤٠٨ اعتقادات ص ٥٤ ابن حزم أول ص ٤٨ ابن خلدون أول ص ٢٢٠)

(١) الحواريون أصحاب عيسى عليه السلام وكانوا أثنى عشر رجلا واختلف فى

أنا أقول لكم أحبوا أعداءكم ، وباركوا لاعنيكم ، وأحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا على من يؤذيكم ، لكى تكونوا أبناء أبيكم الذي فى السماء ، الذى تشرق شمسه على الصالحين والفجرة ، وينزل قطره على الأبرار والأثمة ، وتكونوا تامين كما أن أباكم الذى فى السماء تام[١] ، وقال انظروا صدقاتكم

تسميتهم بذلك فقال ابن عباس سموا بذلك لبياض ثيابهم وكانوا صيادين وقال ابن ابى نجيح وابن ارطاة كانوا قصارين فسموا بذلك لتبيضيهم الثياب قال عطاء اسلمت مريم عيسى إلى أعمال شتى وآخر ما دفعته إلى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فأراد معلم عيسى السفر فقال لعيسى عندى ثياب كثيرة مختلفة الألوان وقد علمتك الصبغة فأصبغها فطبخ عيسى جبا واحدا وأدخل جميع الثياب وقال كونى باذن الله على ما أريد منك فقدم الحوارى والثياب كلها فى الجب فلما رآها قال قد افسدتها فاخرج عيسى ثوبا أحمر وأصفر وأخضر إلى غير ذلك مما كان كل ثوب مكتوب عليه صبغه فعجب الحوارى وعلم أن ذلك من الله ودعا الناس اليه فآمنوا به فهم الحواريون قال قتادة والضحاك سموا بذلك لأنهم كانوا خاصة الأنبياء يريدانه لنقاء قلوبهم وقيل كانوا ملوكا وذلك أن الملك صنع طعاما فدعا الناس اليه فكان عيسى على قصعة فكانت لا تنفص فقال الملك له من أنت قال عيسى بن مريم قال انى اترك ملكى هذا واتبعك فانطلق بمن اتبعه معه فهم الحواريون قاله ابن عون وأصل الحور فى اللغة البياض وحورت الثياب بيضتها والحوارى من الطعام ما حور أى بيض واحور أبيض والجفنة المحورة المبيضة بالسنام والحوارى أيضا الناصر قال رسول الله ﷺ لكل نبى حوارى وحوارى الزبير) والحواريات النساء لبياضهن وقال :

فقلن للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوابح

(القرطبي رابع ض ٩٧)

(١) فى الاصحاح الخامس من انجيل متى من رقم ٤٣ إلى ٤٨ وأما أنا فأقول لكم احبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى في السموات فانه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين لأنه أن أحببتم الذين يحبونكم

فلا تعطوها قدام الناس لتراءوهم ، فلا يكون لكم أجر عند أبيكم الذى فى السماء[١]، وقال حين كان يصلب اذهب إلى أبى وأبيكم

ولما قال أريوس[٢] ، القديم هو الله ، والمسيح مخلوق . اجتمعت البطارقة والمطارنة والاساقفة في بلد قسطنطينية[٣] بمحضر من ملكهم

فأى أجر لكم اليس العشارون أيضا يفعلون ذلك وان سلمتم على اخوتكم فقط فأى فضل تصنعون اليس العشارون أيضا يفعلون هكذا فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل

(١) وفى الاصحاح السادس من انجيل متى احترزوا من أن تضعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم والا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراءون فى المجامع وفى الازقة لكى يمجدوا من الناس الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك لكى تكون صدقتك في الخفاء فابوك الذى يرى في الخفاء هو يجازيك علانية (من رقم ١ إلى رقم ٤ من الاصحاح السادس انجيل متى)

(٤) أريوس أكبر تلاميذ مار بطرس بطريرك الاسكندرية ومن كهنة الاسكندرية ومن خريجى المدرسة اللاهوتية واسع الاطلاع غزير المادة فى العلوم الدينية فاخذ يعلن أن اقنوم الابن غير مساو لاقنوم الأب فى أزليته وخالف أستاذه كثيرا فسخطه وطرده وجرده من كهنوته وحارب بدعته التى استمرت تقلق الكنيسة طوال القرن الرابع وقد تبعه فى رأيه اساقفة كثيرون فخلعهم البطريرك من كراسيهم وأخذ اتباعه يتقوون ولما مات بطرس رجع اريوس عن المخالفة فادخله اسكندروس إلى الكنيسة وصيره قسا ثم كان مجمع الاساقفه بمدينة نيقيه وحكم بنفى اريوس وولى البطريركية اثناسيوس فسعى به أصحاب أريوس إلى القيصر فنفاه ثم أمر بقتله فهرب واختفى ثم ظهر بعد موت القيصر وعاد إلى كرسيه (ابن خلدون أول ص ٣٢٠ خلاصة تاريخ المسيحية بمصر ٨١)

(٥) قسطنطينية : ويقال قسطنطينة باسقاط ياء النسبة عمرها قسطنطين ملك

وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا، واتفقوا على هذه الكلمة اعتقادا ودعوة وذلك قولهم، نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء، وصانع ما يرى وما لا يرى، وبالابن الواحد يشوع المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم، وكل شيء، الذي من أجلنا ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس، وولد من مريم البتول[١]، وصلب أيام فيلاطوس[٢]، ودفن ثم قام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد، روح الحق الذي يخرج من أبيه، وبعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية[٣] وبقيام أبداننا، وبالحياة أبد الآبدين[٤] هذا هو

الروم فسميت باسمه ثم صارت عاصمة الخلافة العثمانية قبل زوال الخلافة

(١) البتول المنقطعة عن الرجال ومريم العذراء كالبتيل وفاطمة الزهراء لانقطاعها عن نساء زمانها ونساء الأمة فضلا ودينا وحسبا والمنقطعة عن الدنيا إلى الله تعالى

(٢) فلاطسن أو فيلاطوس البنطى قائد قيصر على اليهود

(٣) الجثلقة الحكمة ومنه الجاثليق صاحب الصلاة ثم صار هو رئيس النصاري في بلاد الاسلام بمدينة السلام وهو المعروف الآن بالقنتل كقنفذ تاج سادس ص٣٠٥) ابن خلدون أول ص ٢١٩)

(٤) هذا هو اتفاق المجمع الأول الذى هو مجمع نيقيه وفيه اشارة إلى حشر الأبدان ولايتفق النصارى عليه وأنما يتفقون على حشر الأرواح ويسمون هذه العقيدة الأمانة ووضعوا معها قوانين الشرايع ويسمونها الهمايون (ابن خلدون أول ص٢٢٢)

الاتفاق الأول على هذه الكلمات ، وفيه إشارة إلى حشر الأبدان ، وفى النصارى من قال بحشر الأرواح دون الأبدان ، وقال إن عاقبة الأشرار فى القيامة غم وحزن الجهل ، وعاقبة الأخيار سرور وفرح العلم ، وأنكروا أن يكون فى الجنة نكاح وأكل وشرب

وقال مار إسحاق[١] منهم إن الله تعالى وعد المطيعين ، وتوعد العاصين ، ولا يجوز أن يخالف الوعد ، لأنه لا يليق بالكرام ، لكن يخالف الوعيد فلايعذب العصاة ، ويرجع الخلق إلى سرور وسعادة ، وعمم هذا فى الكل إذ العقاب الأبدي لا يليق بالجواد الحق

النسطورية

أصحاب نسطور[٢] الحكيم الذى ظهر في زمان المأمون ،

---

(١) مار اسحاق أو اسحاق الكبير ويلقب بالبرنى قديس وبطريرك أرمنى أصله من الرها ولد ونشأ بانطاكية وقيل بالقسطنطينيه أخذ عن زينوب تلميذ افرام القديس السوريانى وقيل عن القديس افرام نفسه جلس على كرسي البطريركية سنة ٣٩٠ وساس رعيته فى حذق وطهارة احدي وخمسين سنة وقيل خمسين وكان بارعا فى العلوم وبخاصة الروحانية ترجم الكتاب المقدس إلى الأرمنية وله كتاب الميامر أى القصائد وهى تراتيل روحية اعتمدت عليها الرهبان كثيرا لما انتظمته من الأقوال والمعانى الالهية الجليلة السامية ولا تزال الكنيسة الأرمنية ترتلها فى صلواتها وكان زاهدا متقشفا وشعره سلس يأخذ بمجامع القلب توفي سنة ٤٤١ (دائرة المعاوف للبستانى جزء ثالث ص ٤٥٨)

(٢) وقيل انهم ينسبون إلى نسطوريوس البطرك بالقسطنطينية الذى كان يقول ان مريم لم تلد الها وانما ولدت انسانا وانما اتحد به فى المشيئة لا فى الذات وليس هو

وتصرف فى الأناجيل بحكم رأيه ، وإضافته إليهم إضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة ، قال إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثه . الوجود والعلم والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هى هو ، واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام . لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية ، ولا على طريق الظهورية ، كما قالت اليعقوبية ولكن كإشراق الشمس فى كوة أو على بلور ، أو كظهور النقش فى الخاتم ، وأشبه المذاهب بمذهب نسطور فى الأقانيم أحوال أبى هاشم[1] من المعتزلة ،

الها حقيقة بل بالموهبة وكان يقول بجوهرين واقنومين وكان هذا رأى ناودوس وديودوس الاسقفين وكان من مذهبهما أن المولود من مريم هو المسيح والمولود من الأب هو الابن الازلى والابن الازلى حل فى المسيح المحدث فسمي المسيح ابن الله لا بالموهبة والكرامة وانما بالاتحاد والمشيئة والارادة فاثبتوا لله ولدين أحدهما بالجوهر والثاني بالنعمة فكتب بطريرك الاسكندرية إلى بطرك رومة وبطرك انطاكية واسقف بيت المقدس بمقالته فكتبوا إلى نسطوريوس ليدفعوه عن ذلك بالحجة فلم يرجع ولا التفت إلى قولهم فاجتمعوا فى مدينة افسيس مائتى اسقف للنظر فى مقالته فقرروا ابطالها ولعنوه وأشادوا بكفره وقد وجد عليهم يوحنا بطرك انطاكية حيث لم ينتظروا حضوره فخالفهم ووافق نسطوريوس ثم أصلح بينهم باوداسوس واتفقوا على نسطوريوس فنفى الملك نسطوريوس إلى صعيد مصر فنزل أخميم ومات بها لسبع سنين من نزولها وظهرت مقالته فى نصارى المشرق وبفارس والعراق والجزيرة والموصل إلى الفرات (ابن خلدون أول ص ٢٢٤)

(١) ابو هاشم الجبائى ومن فضائحه قوله بالأحوال التى كفره فيها مشاركوه فى الاعتزال فضلا عن سائر الفرق والذى الجأه اليها سؤال أصحابنا قدماء المعتزلة عن العالم منا هل فارق الجاهل بما علمه لنفسه أو لعلة وابطلوا مفارقته إياه لنفسه مع كونهما من جنس واحد وبطل أن تكون مفارقته إياه لا لنفسه ولا لعلة لأنه لا يكون

فانه يثبت خواص مختلفة لشيء واحد ، ويعني بقوله هو واحد بالجوهر ،

حينئذ بمفارقته له أولى من آخر سواه فثبت انه انما فارقه فى كونه عالما لمعنى ماووجب أيضا أن يكون لله تعالى فى مفارقة الجاهل معنى أوصفة بها فارقه ، فزعم أنه انما فارقه لحال كان عليها ؛ فاثبت الحال فى ثلاثة مواضع ؛ أحدها الموصوف الذى يكون موصوفا لنفسه فاستحق ذلك الوصف لحال كان عليها والثانى الموصوف بالشى لمعنى صار مختصا بذلك المعنى لحال ، والثالث ما يستحقه لا لنفسه ولا لمعنى فيختص بذلك الوصف دون غيره عنده لحال واحوجه إلى هذا سؤال معمر فى المعانى لما قال ان علم زيد اختص به دون عمرو لنفسه أو لمعنى أولا لنفسه أولا لمعنى فان كان لنفسه ، وجب أن يكون لجميع العلوم به اختصاص لكونها علوما ، وأن كان لمعنى صح قول معمر فى تعلق كل معنى بمعنى لا إلى نهاية وان كان لا لنفسه ولا لمعنى لم يكن اختصاصه به أولى من اختصاصه بغيره وقال ابو هاشم انما اختص به لحال وقال أصحابنا ان علم زيد اختص به لعينه لا لكونه علما ، ولا لكون زيد كما تقول أن السواد سواد لعينه لا لأن له نفسا وعينا ثم قالوا لأبى هاشم هل تعلم الأحوال أولا تعلمها فقال لا ، من قبل انه لو قال أنها معلومة لزمه اثباتها أشياء إذ لايعلم عنده إلا مايكون شيئا ثم ان لم يقل بانها أحوال متغايرة لأن التغاير انما يقع بين الأشياء والذوات ، ثم انه لا يقول فى الأحوال أنها موجودة ولا أنها معدومة ولا أنها قديمة ولا محدثة ولا معلومة ولامجهولة ولا تقول أنها مذكورة مع ذكره لها بقوله أنها غير مذكورة وهذا تناقض وزعم أيضا أن العالم له فى كل معلوم حال لا يقال فيها انها حالة مع المعلوم الآخر ولاجل هذا زعم أن أحوال البارى عز وجل فى معلوماته لا نهاية لها وكذلك أحواله فى مقدوراته لانهاية لها كما أن مقدوراته لانهاية لها وقال له أصحابنا ما أنكرت أن يكون لمعلوم واحد أحوال بلا نهاية لصحة تعلق المعلوم بكل عالم يوجد لا إلى نهاية وقالوا له هل أحوال البارى من عمل غيره أم هى هو فاجاب بانها لاهى هو ولا غيره فقالوا له فلم أنكرت على الصفاتية قولهم فى صفات الله عز وجل فى الازل انها لا هى ولا غيره هذا وفى التمهيد باب الكلام فى الأحوال على أبي هاشم فيه تفنيد لرأيه وهو بحث نفيس فراجعه (الفرق بين الفرق ص ١٨٠ التمهيد ص ١٥٣)

أي ليس مركبا من جنس بل هو بسيط واحد ، ويعنى بالحياة والعلم أقنومين جوهرين ، أى أصلين مبدأين للعالم ، ثم فسر العلم بالنطق والكلمة ، ويرجع منتهى كلامه إلى إثبات كونه تعالى موجودا حيا ناطقا كما تقوله الفلاسفة فى حد الانسان ، إلا أن هذه المعانى تتغاير فى الانسان لكونه مركبا ، وهو جوهرى بسيط غير مركب ، وبعضهم يثبت لله تعالى صفات أخر ، بمنزلة القـــدرة والارادة ونحوهما ، وَلم يجعلوها أقانيم كما جعلوا الحياة والعلم أقنومين ، ومنهم من أطلق القول بأن كل واحد من الأقانيم الثلاثة ، حى ناطق إله ، وَزعم الباقون أن اسم الاله لا ينطلق على كل وَاحد من الأقانيم ، وزعموا أن الابن لم يزل متولدا من الأب وإنما تجسد واتحد بجسد المسيح حين ولد ، والحدث راجع إلى الجسد وَالناسوت ، فهو إله وإنسان اتحدا ، وهما جوهران أقنومان طبيعتان ، جوهر قديم وجوهر محدث ، إله تام وإنسان تام ، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ولا حدوث المحدث ، لكنهما صارا مسيحا واحدا ، ومشيئة واحدة ، وربما بدلوا العبارة فوضعوا مكان الجوهر الطبيعة ، ومكان الأقنوم شخصا ، وأما قولهم فى القتل وَالصلب فيخالف قول الملكائية واليعقوبية ، قالوا إن القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته ، لا من جهة لاهوته ، لأن الإله لا تحله الآلام ، وبوطينوس وبولس الشمساطي يقولان إن الإله واحد ، وأن المسيح ابتدأ من مريم عليها السلام ، وأنه عبد صالح مخلوق ، إلا أن الله تعالى شرفه وكرمه لطاعته ،

وسماه ابنا على التبني ، لا على الولادة والاتحاد .

ومن النسطورية قوم يقال لهم المصلين ، قالوا فى المسيح مثل ماقال نسطور إلا أنهم قالوا إذا اجتهد الرجل فى العبادة وترك التغذى باللحم والدسم ، ورفض الشهوات النفسانية الحيوانية يصفى جوهره ، حتى يبلغ ملكوت السموات ، ويرى الله تعالي جهرا ، وينكشف له ما فى الغيب فلا يخفى عليه خافية في الأرض ولا فى السماء ، ومن النسطورية من ينفى التشبيه ، ويثبت القول بالقدر خيره وشره من العبد كما قالت القدرية .

اليعقوبية

أصحاب يعقوب[١] ، قالوا بالأقانيم الثلاثة كما ذكرنا ، إلا أنهم

(١) اليعقوبية ينسبون إلى يعقوب البرذعانى وكان راهبا بالقسطنطينية وقيل إنهم أهل مذهب ديسقورس قال ابن العميد وانما سمى أهل مذهب ديسقورس يعقوبية لأن اسمه كان فى الغلمانية يعقوب وكان يكتب إلى المؤمنين من المسكين المنفى يعقوب وقيل بل كان له تلميذ اسمه يعقوب فنسبوا اليه وقيل بل كان شاويرس بطرك انطاكية على رأى ديسقورس وكان له تلميذ اسمه يعقوب فكان شاويرس يبعث يعقوب إلى المؤمنين ليثبتوا على امانة ديسقورس فنسبوا اليه وكان ديسقورس بطركا للاسكندرية وكان يقول المسيح جوهر من جوهرين واقنوم من اقنومين وطبيعة من طبيعتين ومشيئة من مشيئتين وكانت الاساقفة والبطاركة لذلك العهد يقولون بجوهرين وطبعتين ومشيئتين واقنوم واحد نخالفهم ، ديسقورس وكتب خطه بذلك ولعن من يخالفه فأراد مرقيان قيصر قتله فاشارت البطارقة باحضاره وجمع الاساقفة لمناظرته فحضر بمجلس مرقيان قيصر وافتضح من مخاطبتهم ومناظرتهم وخاطبته زوج الملك فاساء الرد فلطمته بيدها وتناوله الحاضرون بالضرب وكتب

قالوا انقلبت الكلمة لحما ودما ، فصار الاله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو ، وعنهم أخبرنا القرآن الكريم (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم) فمنهم من قال المسيح هو الله ، ومنهم من قال ظهر اللاهوت بالناسوت ، فصار ناسوت المسيح مظهر الحق ، لا على طريق حلول جزء فيه ، ولا على سبيل اتحاد الكلمة ، التى هى فى حكم الصفة بل صار هو هو ، وهذا كما يقال ظهر الملك بصورة الانسان، أو ظهر الشيطان بصورة حيوان ، وكما أخبر التنزيل عن جبريل عليه السلام (فتمثل لها بشرا سويا) وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد ، أقنوم واحد ، إلا أنه جوهرين ، وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين ، فجوهر الاله القديم ، وجوهر الانسان المحدث تركبا كما تركبت النفس والبدن ، فصارا جوهرا واحدا أقنوما واحدا ، وهو إنسان كله ، وإله كله ، فيقال الانسان صار إلها ولا ينعكس ، فلا يقال الاله صار إنسانا كالفحمة تطرح فى النار ، فيقال صارت الفحمة نارا ،

مرقيان قيصر إلى أهل مملكته فى جميع النواحى بان مجمع خلقدونية هو الحق ومن لا يقبله يقتل ومرديسقورس بالقدس وأرض فلسطين وهو مضروب منفى فاتبعوا رأيه وكذلك اتبعه أهل مصر والاسكندرية وولى وهو فى النفى أساقفة كثيرة كلهم يعقوبية وقد زادوا فى غلواتهم فقالوا أن المسيح هو الله تعالى نفسه وان الله تعالى عن عظيم كفرهم مات وصلب وقتل وان العالم بقى ثلاثة أيام بلا مدبر والفلك بلا مدبر ثم قام ورجع كما كان وان الله تعالى عاد محدثا وان المحدث عاد قديما (ابن خلدون أول ص ٢٢٥ ابن حزم أول ص ٤٩)

ولا يقال صارت النار فحمة ، بل هى جمرة ، وزعموا أن الكلمة اتحدت بالانسان الجزئي لا الكلى ، وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والادراع والحلول ، كحلول صورة الانسان فى المرآة المجلوة ، وأجمع أصحاب التثليث كلهم على أن القديم لا يجوز أن يتحد بالمحدث ، إلا أن الأقنوم الذي هو الكلمة اتحدت دون سائر الأقانيم ، وأجمعوا على أن المسيح عليه السلام ولد مريم عليها السلام ، وقتل وصلب ، ثم اختلفوا فى كيفية ذلك ، فقالت الملكائية واليعقوبية ، إن الذى ولدت مريم هو الإله فالملكائية لما اعتقدت أن المسيح ناسوت كلى أزلى ، قالوا إن مريم إنسان جزئي والجزئى لا يلد الكلى ، وإنما ولده الأقنوم القديم ، واليعقوبية لما اعتقدت أن المسيح هو جوهر من جوهرين ، وهو إله وهو المولود ، قالوا إن مريم ولدت إلها (تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا) وكذلك قالوا فى القتل وقع على الجوهر الذى هو من جوهرين ، قالوا ولو وقع على أحدهما لبطل الاتحاد ، وزعم بعضهم ، أنا نثبت وجهين للجوهر القديم ، فالمسيح قديم من وجه محدث من وجه ، وزعم قوم من اليعقوبية أن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئا ، لكنها مرت بها كالماء فى الميزاب ، وما ظهر من شخص المسيح السلام فى الأعين ، هو كالخيال ، والصورة فى المرآة ، وإلا فما كان جسما متجسما كثيفا في الحقيقة ، وكذلك القتل والصلب إنما وقع على الخيال والحسبان ، وهؤلاء يقال لهم الاليانية وهم قوم بالشام واليمن وأرمينية ، قالوا وإنما صلب

الاله من أجلنا حتى يخلصنا ، وزعم بعضهم أن الكلمة كانت تداخل جسم المسيح عليه السلام أحيانا ، فتصدر عنه الآيات من إحياء الموتي ، وإبراء الأكمه والأبرص وتفارقه فى بعض الأوقات فترد عليه الآلام والأوجاع

ومنهم بليارس وأصحابه ، وحكى أنه كان يقول إذا صارت الناس إلى الملكوت الأعلي أكلوا ألف سنة وشربوا وتناكحوا ثم صاروا إلى النعيم الذى وعدهم أريوس كلها لذة وسرور وراحة وحبور لا أكل فيها ولا شرب ولا نكاح ، وزعم مقدانيوس[1] أن الجوهر القديم أقنومان فحسب ، أب وابن والروح مخلوق وزعم سباليوس أن القديم جوهر واحد

---

(١) مقدونيوس وهو ممن تأثر بآراء اريوس وقد رقي كرسى البطريركية بالقسطنطينية بعد ما نزل بولس بطريركها الشرعى بأمر قسطنطين القيصر وقد ذهب إلى أن الروح القدس أثر الهى منتشر فى الكون يماز عن الله وان روح القدس مخلوق فهو ممن يعتقون التوحيد فكان المجمع الثاني الذى انعقد بامر تاودوسيوس وانزلوه من وظيفته واتموا دستور ايمان المجمع الأول بقولهم نؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب المسجود له مع الأب والابن الناطق فى الأنبياء وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسوليه ونعترف بعمودية واحدة لغفران الخطايا ونترجي قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي أمين ولعنوا من يزيد بعد ذلك على كلة الأمانة أو ينقص منها وهذا المجمع الثانى بقسطنطينية ويقول ابن حزم وكان من قول مقدونيوس هذا التوحيد المجرد وان عيسى عبد مخلوق انسان نبي رسول الله كسائر الأنبياء عليهم السلام وان عيسى هو روح القدس وكلمة الله عز وجل وان روح القدس والكلمة مخلوقان خلق الله كل ذلك (تاريخ الكنيسة أول ص ٢٥٣ ابن خلدون أول ص ٢٢٤ ابن حزم أول ص ٤٨)

أقنوم واحد له ثلاث خواص ، واتحد بكليته بجسد عيسى ابن مريم عليهما السلام وزعم أريوس أن الله واحد سماه أبا ، وأن المسيح كلمة الله وابنه على طريق الاصطفاء ، وهو مخلوق قبل خلق العالم وهو خالق الأشياء ، وزعم أن لله تعالى روحا مخلوقة أكبر من سائر الأرواح ، وأنها واسطة بين الأب والابن تؤدي إليه الوحى ، وزعم أن المسيح ابتدأ جوهرا لطيفا روحانيا خالصا غير مركب ولا ممزوج بشيء من الطبائع الأربع عند الاتحاد بالجسم المأخوذ من مريم ، وهذا أريوس قبل الفرق الثلاث فتبرءوا منه لمخالفتهم إياه فى المذهب

من له شبه كتاب

قد بينا كيفية تحقيق الكتاب ، وميزنا بين حقيقة الكتاب وشبه الكتاب ، وأن الصحف التى كانت لابراهيم عليه السلام ، كانت شبه كتاب[1] ، وفيها مناهج عامية ، ومسالك

(١) قد تكون صحف ابراهيم شبه كتاب ، وقد تكون كتابا عن أبى ذر دخلت المسجد فقال رسول الله ﷺ أن للمسجد تحية فقلت وما تحيته يارسول الله قال ركعتان تركعهما قلت يا رسول الله هل انزل الله عليك شيئا مما كان فى صحف ابراهيم وموسى قال يا أباذر اقرأ قــد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا لفى الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى قلت يارسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها (عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل) فقلت يا رسول الله كم الأنبياء فقال مائة الف نبي وأربعة وعشرون ألفا قلت يا رسول الله كم المرسلون منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر وبقيتهم أنبياء قلت كان آدم عليه السلام نبيا قال نعم كلمه الله وخلقه بيده

عامية، أما العاميات فتقرير كيفية الخلق والابداع، وتسوية المخلوقات على نسبة نظام وقوام تحصل منها حكمته الأزلية، وتنفذ فيها مشيئته السرمدية، ثم تقرير التقدير والهداية عليها ليتقدر كل نوع وصنف بقدرة المحكوم المحتوم، ويقبل هدايته السارية في العالم بقدر استعداده المعلوم، والعلم كل العلم لا يعدو هذين النوعين، وذلك قوله تعالى (سبح[١] اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى) وقال عز وجل مخبرا عن إبراهيم عليه السلام (الذى خلقني فهو يهدين) ومخبرا عن موسى عليه السلام (الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هـدى)،

يا أبا ذر أربعة من الأنبياء عرب هود وصالح وشعيب ونبيك قلت يارسول الله كم انزل الله من كتاب قال مائة وأربعة كتب أنزل الله منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثين صحيفة وهو أول من خط بالقلم وعلى ابراهيم عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان، وفى الحديث انه كان فى صحف ابراهيم، ينبغى للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه (لباب التأويل سابع ص ١٩٧ مجمع البيان خامس ص ٤٧٦)

(١) سبح اسم ربك الأعلى قل سبحان ربى الأعلى وقيل معناه نزه ربك عن كل ما لايليق به من الصفات المذمومة والأفعال القبيحة لأن التسبيح هو التنزية لله عما لايليق به يجوز أن تقول لا إله إلا هو فتنفى ما لايجوز فى صفته من شريك فى عبادته مع الأقرار بانه الواحد فى الهيئة وهو القادر الذى لا قادر أقدر منه القاهر لكل أحد الذى خلق الخلق فسوى بينهم فى باب الأحكام والاتقان خلق الأشياء على موجب أرادته وحكمته فسوى صنعها تشهد على وحدانيته والذى قدر الخلق على ما خلقهم فيه من الصور والهيئات وأجرى لهم أسباب معايشهم من الارزاق والاقوات، ثم هداهم إلى دينه بمعرفة توحيده باظهار الدلالات والبينات، وارشدهم إلى مافيه نفعهم وضررهم (مجمع بيان خامس ص ٤٧٤)

وأما العمليات فتزكية النفوس عن درن الشبهات ، وذكر الله تعالى باقامة العبادات ، ورفض الشهوات الدنيوية وإيثار السعادات الأخروية ، ولن يحصل البلوغ إلى كمال المعاد إلا باقامة هذين الركنين أعنى الطهارة والشهادة ، والعمل كل العمل لايعدو هذين النوعين ، وذلك قوله تعالى (قد أفلح من تزكي وذكر اسم ربه فصلى ، بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) ثم قال عز من قائل (إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) . فبين أن الذى اشتمل عليه الصحف ، هو ما اشتمل عليه هذه الصورة ، وبالحقيقة هذا هو الاعجاز المعنوى

المجوس[1] وأصحاب الاثنين والمانوية وسائر فرقهم

المجوسية ، يقال لها الدين الأكبر والملة العظمى ، إذ كانت دعوة الأنبياء بعد الخليل عليه السلام ، لم تكن فى العموم كالدعوة الخليلية ، ولم يثبت لها من القوة والشوكة والملك والسيف ، مثل الملة الحنيفية ، إذ كانت

---

(١) المجوس ، هم عبدة النيران القائلون أن للعالم أصلين ، نور وظلمة ، قال قتادة الأديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن وقيل المجوس فى الأصل النجوس لتدينهم باستعمال النجاسات والميم والنون يتعاقبان والمجوس أقدم الطوائف وأصلهم من بلاد فارس وقد نبغوا فى علم النجوم فانه لما ولد عيسى جاء جماعة منهم بعثهم ملك الفرس يسألون أين ولد الملك العظيم وجاءوا إلى هيردوس يسألونه وقالوا جئنا لنسجد له وحدثوه عما أخبر الكهان وعلماء النجوم من شأن ظهوره وانه يولد ببيت لحم ونكر ذلك هيردوس ونقب عنه وأمر بقتل الصبيان ببيت لحم من ابن سنتين فما دونها فعصمه الله وخرج يوسف به وبأمه إلى مصر أمر بذلك في نومه ، (قرطبي ثانى عشر ص ٢٣ ابن خلدون أول ص ٢١٥)

ملوك العجم كلها على ملة إبراهيم . وجميع من كان فى زمان كل واحد منهم من الرعايا فى البلاد على أديان ملوكهم ، وكان لملوكهم مرجع هو موبد ، موبذان[١] ، أعلم العلماء وأقدم الحكماء ، يصدرون عن أمره ، ولا يرجعون إلا إلى رأيه ، ويعظمونه تعظيم السلاطين ، لخلفاء الوقت وكانت دعوة بنى إسرائيل أكثرها فى بلاد الشام ، وما وراها من المغرب ، وقل ما سرى من ذلك إلى بلاد العجم . وكانت الفرق فى زمان إبراهيم الخليل راجعة إلى صنفين ، أحدهما الصابئة[٢] والثانية

---

(١) الموبذان فقيه الفرس وحاكم المجوس كقاضي القضاة للمسلمين كالموبذ ، وجمعه موابذة والموبذ القاضى

(٢) الصابئون ، جمع صائى وهو من انتقل إلى دين آخر وكل خارج من دين كان عليه الى آخر غيره سمى فى اللغة صابئا ، قال أبوزيد صبا الرجل فى دينه يصبأ صبوءا اذا كان صابئا فمعنى الصابىء التارك دينه الذى شرع له الى دين غيره والدين الذى فارقوه هو تركهم التوحيد إلى عبادة النجوم أو تعظيمها قال قتادة وهم قوم معروفون ولهم مذهب ينفردون به ومن دينهم عبادة النجوم وهم يقرون بالصانع وبالمعاد وببعض الأنبياء وقال مجاهد والحسن الصابئون بين اليهود والمجوس لا دين لهم وقال السدى هم طائفة من أهل الكتاب يقرءون الزبور وقال الخليل هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى ألا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب حيال منتصف النهار يزعمون أنهم على دين نوح ، والفقهاء باجمعهم يجيزون أخذ الجزية منهم وعند الامامية لايجوز ذلك لأنهم ليسو بأهل كتاب وقد رآهم زياد بن أبى سفيان فأراد وضع الجزية عنهم حين عرف أنهم يعبدون الملائكة وقد أفتى أبو سعيد الاصطخرى القادر بالله بكفرهم حين سأله عنهم وفى السوسنه أما الصائبون ويقال لهم الكلدان فهم أول من سجد للاصنام ويحتمل أنهم كانوا فى بدئهم كالمجوس يسجدون للكواكب لكن لما كانت الشمس قد تغيب أو تخفى وراء الغيوم فقد اخترعوا لتلك الكواكب

صورا سموها باسماء الكواكب فالاوثان المشهورة بين قداماهم ، هى المشترى وزحل والمريخ وعطارد وارطاميس ويونون والزهرة ونحو ذلك ثم زعموا أخيرا بأن نفوس عظماء الاموات لها أثر عظيم عند الله تعالى فهم وسطاء بينه وبين خلقه فتخذوا صورا لمن اعتقدوا فيه هذه العقيدة وسجدوا لها ويقال أول من فعل ذلك نينوس بن نمروذ بن نوح ملك الاشوريين الذى بنى مدينة نينوى فانه صنع تمثالا لأبيه سنة ٢٠٥٩ قبل الميلاد أمر قومه بعبادته وصاروا يعبدون ملوكهم وأمراءهم وشجعانهم وفي ابن خلدون الصابئة من ولد صابىء بن لامك أخو نوح وقيل أن صابىء متوشلح جده وأول من ملك الأرض من ولد نوح كنعان بن كوش بن حام وورث ملكه ابنه النمروذ الذى عظم سلطانه وطال عمره وغلب على أكثر المعمور وأخذ بدين الصابئة وخالفه الكلدانيون منهم فى التوحيد وفكروا فى عبادة الهياكل ولما عاد ابراهيم الى أرض كنعان فنزل بمكان بيت المقدس وكانت تعظمه الصابئه وتسكب عنده الزيت للقربان وتزعم أنه هيكل المشترى والزهرة فسماه العبرانيون ايلياء ومعناه بيت الله وكان زان ملك بابل يدين بالصابئة ويقال أن يونس بن متى بعث اليه فآمن به وجاء كنعان بن فالغ فاظهر بدعته وهو الصابئة وانتحلها وهو الذى لقب بالنمروذ وهو نمروذ ابراهيم عليه السلام وكان من النبط من أهل بابل ممن يدين بدين الصابئة وهو عبادة الكواكب واستجلاب روحانيتها وكانوا لذلك أهل عناية بارصاد الكواكب ومعرفة طبائعها وخلاص المولدات وما يشابه ذلك من علوم النجوم والطلسمات والسحر . وكان أول من دعا إلى دين الصابئة بيوراسب وقد شهرت بابل بين أقطار الأرض بوفر قسطها من صناعة السحر ومن الصابئة من فراعنة مصر فدراس وكان حكيما وهو الذى بنى هيكل الزهرة الذى هدمه بختنصر مع ما هدمه من هياكل الصابئة وجاء بعده ابنه تاليق على ملك مصر فرفض الصابئة ودان بالتوحيد ثم صبا المصريون وكان أهل مصر من الصابئة ثم حملهم الروم لما ملكوها بعد قسطنطين على النصرانية عندما حملوا على الأمم المجاورة لهم من الجلالقته والصقالبه وبرحار والروس والحبشة والنوبة فدانوا كلهم بذلك ورجعوا عن دين الصابئة فى تعظم الهياكل وعبادة الأوثان (مجمع البيان أول ص ١٢٦ قرطي أول ص ٣٨٠ ابن خلدون أول ص ١١٦ سوسنه سليمان ص ٨)

الحنفاء[١]، فالصابئة كانت تقول، إنا نحتاج فى معرفة الله تعالى، ومعرفة طاعته، وأوامره وأحكامه إلى متوسط، لكن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانيا لا جسمانيا، وذلك لزكاء الروحانيات وطهارتها وقربها من رب الأرباب، والجسمانى بشر مثلنا يأكل مما نأكل، ويشرب مما نشرب، يماثلنا فى المادة والصورة، قالوا ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذاً لخاسرون، والحنفاء كانت تقول إنا نحتاج فى المعرفة والطاعة إلى متوسط من جنس البشر يكون درجته فى الطهارة والعصمة والتأييد والحكمة فوق الروحانيات، يماثلنا من حيث البشرية، ويمايزنا من حيث الروحانية، فيتلقى الوحى بطرف الروحانية ويلقى إلى نوع الانسان بطرف البشرية، وذلك فى قوله تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى) وقال جل ذكره (قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا) ثم لما لم يتطرق

---

(١) الحنفاء جمع حنيف والحنيف المسلم قال أبو عبيده في قوله عز وجل قل بل ملة ابراهيم حنيفا قال من كان على دين ابراهيم فهو حنيف عند العرب وكان عبدة الأوثان فى الجاهلية يقولون نحن حنفاء على دين ابراهيم فلما جاء الاسلام سموا المسلم حنيفا فمن مال إلى دين الحق واعتزل الأصنام وعبد الله عز وجل فهو الحنيف قال جران العود

ولما راين الصبح بادرن ضوءه رسيم قطا البطحاء أوهن اقطف
وادركن اعجازا من الليل بعدما أقام الصلاة العابد المتحنف

وهم خلاف الصابئة وكان الكلدانيون حنفاء وكان النمروذ من الصابئة ممن يعبد الكواكب والكلدانيون موحدون حنفاء فخرجوا على النمرود لعبادة الهياكل فغلبهم وكانت الصابئة قد اتخذت «ايل» وكانت معظمة تعظمها الصابئة وتسكب عليها الزيت للقربان وتزعم أنها هيكل المشترى والزهرة فسماها العبرانيون ايلياء ومعناها بيت الله (قاموس ابن خلدون ص ٥١)

للصابئةالاقتصار على الروحانيات البحتة ، والتقرب إليها بأعيانها والتلق منهابذواتها ، فزعت جماعة إلي هيا كلها وهى السيارات السبع [١] وبعض الثوابت [٢] فصابئة الروم مفزعها السيارات وصابئة الهند مفزعها الثوابت . وسنذكر مذاهبهم على التفصيل إن شاء الله تعالى ، وربما نزلوا عن الهيا كل إلي الأشخاص التى لاتسمع ولاتبصر ولا تغنى عن الانسان شيئاً ، والفرقة الأولى هم عبدة الكواكب ، والثانية هم عبدة الأصنام ، وكان الخليل مكلفاً بكسر المذهبين على الفرقتين ، وتقرير الحنفية السمحة السهلة ، احتج على عبدة الأصنام ، قولاً وفعلاً ، كبراً من حيث القول ، وكسراً [٣] من حيث الفعل ، فقال لأبيه آزر يا أبت لم نعبد مالا

(١) السيارات ، هى الكواكب التى تدور حول الشمس أو حول نفسها كالشمس وكان عبادها ، يعبدون السيارات السبع وهى زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد ولكن علم الفلك يذهب إلى أن الكواكب هى التى تدور حول الشمس وهى ثمانية نبتون وأورانوس وزحل والمشترى والمريخ والأرض والزهرة وعطارء وبين المريخ والمشترى سيارات صغيرة كثيرة العدد ؛ أطلق عليها اسم النجيمات (بسائط علم الفلك ص ٤٨ عقائد آل محمد ص ٢٣)

(٢) الثوابت هى النجوم وكل نجم منها شمس كبيرة مثل شمسنا أو أكبر منها مرارا فالنجم المسمى بالنسر الواقع لو اقترب منا حتى صار على بعد شمسنا لكان نوره أسطع من نورها مائة مرة ولو بعدت هى عنا حتى صار بعدها مثل بعده لرأينا نورها أقل من نوره مائة مرة ولكن لبعده الشاسع نراه كما نراه الآن وقس عليه سائر النجوم وهى كما قال الشاعر العربى (وفى السماء نجوم لاعديد لها) (بسائط علم الفلك ص ٧٦)

(٣) والله يقول فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون فكسرهم والجذ الكسر والقطع حتى صارت فتاتا قال الشاعر

يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً الآيات ، حتى جعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم ، وذلك إلزام من حيث الفعل وإفحام من حيث الكبر ، ففزع من ذلك كما قال تعالى (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم) ابتدأ بابطال مذاهب عبدة الأوثان على صيغة الموافقة كما قال تعالى (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض) أى كما آتيناه الحجة كذلك نريه المحجة فساق الالزام على أصحاب الهياكل مساق الموافقة في المبدأ والمخالفة في النهاية ليكون الالزام أبلغ والافحام أقوى ، وإلا فإبراهيم الخليل عليه السلام لم يكن في قوله هذا ربّي مشركا ، كما لم يكن فى قوله بل فعله كبيرهم هذا كاذباً ، وسوق الكلام على جهة الالزام غير سوقه على جهة الالتزام فلما أظهر الحجة وبيّن المحجة ، قرر الحنيفية التى هى الملة الكبرى والشريعة العظمي ، وذلك هو الدين القيّم ، وكان الأنبياء من أولاده كلهم يقررون الحنيفية ، وبالخصوص صاحب شرعنا محمد صلوات الله عليه كان فى تقريرها قد بلغ النهاية القصوى ، وأصاب فى المرمى وأصمي ، ومن العجب أن التوحيد من أخص أركان الحنيفية ، ولهذا يقترن نفي الشرك

جذذ الأصنام فى محرابها ذاك فى الله العلى المقتدر

وترك الصنم الاكبر عظيم المتهم فى الخلق فلم يكسره وعلق الفاس الذى كسر به الأصنام فى عنقه ليحتج به عليهم لعلهم إلى ابراهيم ودينه يرجعون إذا قامت الحجة عليهم وقيل لعلهم إلى صنمهم الأكبر يرجعون فى تكسيرها فيسالونه وهو لا ينطق فيعلمون جهل من اتخذوه الها فيثوبون إلى رشدهم ويؤمنون بابراهيم وبدينه

بكل موضع ذكر الحنيفية حنيفا ، وما كان من المشركين ، حنفاء لله غير مشركين به

ثم التنويه اختصت بالمجوس ، حتى أثبتوا أصلين اثنين مدبرين قـديمين ، يقتسمان الخير والشر ، والنفع والضر ، والصلاح والفساد يسمون أحـدهما النور ، والثانى الظلمة وبالفارسية يزدان وأهرمن ، ولهم فى ذلك تفصيل مذهب ، ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين إحداهما بيان سبب امتزاج النور بالظلمة ، والثانية سبب خلاص النور من الظلمة ، وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معادا ، المجوس أثبتوا أصلين كما ذكرنا إلا أن المجوس الأصلية زعموا أن الأصلين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين ، بل النور أزلى والظلمة محدثة ، ثم لهم اختلاف فى سبب حدوثها أمن النور حدثت ، والنور لا يحدث شراً جزئيا فكيف يحدث أصل الشرام شيء آخر ولا شيء يشترك (فيه) النور فى الاحداث والقدم وبهذا يظهر خبط المجوس ، وهؤلاء يقولون المبدأ الأول من الأشخاص كيومرت[1] وربما يقولون زروان الكبير والنبي الآخر زرادشت

(١) كيومرت أو جيومرت أول من ملك العالم وكان قد سخر الله له جميع الجن والانس وخصه من عنايته بمزيد القوة والشهامة وروعة الجلالة وبهاء المنظر وهو أول من لبس جلود السباع وكان كل يوم يحضر الجن والانس ببابه ويصطفون صفوفا على رسم الخدمة له ومعنى كيومرت عند الفرس ابن الطين والسهيلى ضبطه بجيم مكان الكاف والظاهران الحرف بين الجيم والكاف والفرس كلهم متفقون على أن كيومرت هو آدم الذى هو أول الخليقة وكان له ابن اسمه منشا ولمنشا سيامك ولسيامك افروال ومعه أربعة بنين وأربع بنات ومن افروال كان نسل كيومرت والباقون انقرضوا فلا يعرف لهم عقب ومنشا هو شيث وقال بعض علماء الفرس

والكيومرتية يقولون كيومرت هو آدم عليه السلام وقد ورد في تواريخ الهند والعجم كيومرت آدم ، ويخالفهم سائر أصحاب التواريخ

الكيومرتيه

هم أصحاب المقدم الأول كيومرت أثبتوا أصلين يزدان وأهرمن وقالوا يزدان أزلى قديم وأهرمن محدث مخلوق ، قالوا إن يزدان فكر في نفسه أنه لو كان لى منازع كيف يكون ، وهذه الفكرة ردية غير مناسبة لطبيعة النور فحدث الظلام من هذه الفكرة وسمى أهرمن وكان مطبوعا على الشر والفتنةوالفساد والضرر والاضرار ، فخرج على النور وخالفه طبيعة وقولا ، وجرت محاربة بين عسكر النور ، وعسكر الظامة ، ثم أن الملائكه توسطوا فصالحوا على أن يكون العالم السفلى خالصا لاهرمن من سبعة آلاف سنة ، ثم يخلى العالم ، ويسامه إلي النور والذين كانوا في الدنيا قبل الصلح أبادهم وأهلكهم ، ثم بدأ برجل يقال له كيومرت وحيوان يقال ثور فقتلهما فنبت من مسقط ذلك الرجل ريباس ، وخرج من أصل ريباس رجل يسمى ميشه وامرأة اسمها ميشانه ، وهما أبو البشر ، ونبت من مسقط الثور الأنعام وسائر الحيوانات ، وزعموا

ان كيومرت هو كومر بن يافث بن نوح وانه كان معمرا ونزل جبل دنياوند من جبال طبرستان وملكها ثم ملك فارس وعظم أمره وأمر بنيه حتى ملكوا بابل وقيل ان كيومرت هو الذى بنى المدن والحصون واتخذ الخيل وتسمى بآدم وحمل الناس على دعائه بذلك وان الفرس من عقب ولده ما داى ولم يزل الملك فى عقبهم فى الكينية والكسروية إلى آخر أيامهم (الشاهنامة أول ص ١٣ ابن خلدون أول ص ٢٢٧ – ٢٢٨)

أن النور خير الناس ، وهم أرواح بلا أجساد ، بين أن يرفعهم عن مواضع اهرمن ، وبين أن تلبسهم الأجساد فيحاربون اهرمن ، فاختاروا لبس الأجساد ومحاربة اهرمن ، على أن يكون لهم النصرة من عند النور والظفر بجنود اهرمن ، وحسن العاقبة وعند الظفر به واهلاك جنود ، تكون القيامة ، فذاك سبب الامتزاج ، وهذا سبب الخلاص ،

الرزوانيه[1]

قالوا أن النور أبدع أشخاصا من نور كلها روحانية نورانية ربانية ، لكن الشخص الأعظم الذي اسمه رزوان شك فى شيء من الأشياء فحدث اهرمن الشيطان من ذلك الشك ، وقال بعضهم لا بل إن رزوان الكبير قاوم قرمزم تسعة آلاف وتسعماية وتسعا وتسعين سنة ليكون له ابن فلم يكن ، ثم حدث نفسه وفكر ، وقال لعل هذا العالم لبس بشىء فحدث اهرمن من ذلك الهم الواحد ، وحدث هرمز من ذلك العلم ، فكانا جميعا فى بطن واحد ، وكان هرمز أقرب من باب الخروج فاحتال اهرمن الشيطان حتى شق بطن أمه فخرج قبله ، وأخذ الدنيا ، وقيل أنه لما مثل بين يدى رزوان فأبصره ورأى مافيه من الخبث والشر والفساد أبغضه فلعنه وطرده ، فمضى واستولى على الدنيا وأما هرمز فبقى زمانا لا يد له عليه ، وهو الذى اتخذه قوم ربا وعبدوه لما

---

(١) الرزوانية أصحاب رزوان الكبير وهو الزرادشتية والثنوية أصحاب الاثنين الازليين ورزوان كان خصما لبنى إسرائيل أيام سليمان بن داود عليه السلام (سوسنة سليمان ص ٤ دائرة المعارف ثامن ص ٥٨٠)

وجدوا فيه من الخير والطهارة والصلاح وحسن الأخلاق وزعم بعض الزروانية أنه لم يزل كان مع الله شيء ردى إما فكرة ردية ، إما عفونة ردية ، وذلك هو مصدر الشيطان ؛ وزعموا أن الدنيا كانت سليمة من الشرور والآفات والفتن ، وكان أهلها فى خير محض ونعيم خالص ، فلما حدث اهرمن حدثت الشرور والآفات والفتن ، وكان بمعزل من السماء فاحتال حتى خرق السماء ، وصعد ، وقال بعضهم كان هو فى السماء ، والأرض خالية عنه فاحتال حتي خرق السماء ، ونزل إلى الأرض بجنوده كلها ، فهرب النور بملائكته ، واتبعه الشيطان حتى حاصره فى جنته ، وحاربه ثلاثة آلاف سنة لا يصل الشيطان إلى الرب تعالى ، ثم توسطت الملائكة وتصالحا على أن يكون إبليس وجنوده في قرار الضوء تسعة آلاف سنة بالثلاثة آلاف التى قاتله فيها ، ثم يخرج إلى موضعه ، ورأى الرب تعالى عن قولهم الصلاح فى احتمال المكروه من إبليس وجنوده ولا ينقص الشر حتى تنقضي مدة الصلح ، فالناس فى البلايا والفتن والخزايا والمحن إلى انقضاء المدة ، ثم يعود النعيم الأول وشرط إبليس عليه أن يمكنه من أشياء يفعلها ويطلقه فى أفعال ردية يباشرها فلما فرغا من الشرط أشهدا عليهما عدلين ، ودفعا سيفيهما إليهما وقالا لهما من نكث فاقتلاه بهذا السيف ، ولست أظن عاقلا يعتقد هذا الرأى الفائل ، ويرى هذا الاعتقاد المضمحل الباطل ؛ ولعله كان رمزاً إلي ما يتصور فى العقل ، ومن عرف الله سبحانه وتعالى بجلاله وكبريائه

لم يسمح بهذه الترهات عقله ، ولم يسمع هـذه الخرافات سمعه ، وأقرب من هذا ما حكاه أبو حامد الزوزنى أن المجوس زعمت أن إبليس كان لم يزل فى الظلمة والجو والخلاء بمعزل عن سلطان الله ، ثم لم يزل يزحف ويقرب بحيله ، حتى رأى النور فوثب وثبة فصار فى سلطان الله في النور ، وأدخل معه هذه الآفات والشرور ، فخلق الله سبحانه وتعالى هذا العالم شبكة له فوقع فيها ، وصار متعلقا بها لا يمكنه الرجوع إلى سلطانه فهو محبوس فى هـذا العالم مضطرب فى الحبس يرمى بالآفات والمحن والفتن إلى خلق الله ، فمن أحياه الله رماه بالموت ، ومن أصحه رماه بالسقم ومن سره دعاه بالحزن ، فلا يزال كذلك إلي يوم القيامة ، وكل يوم ينقص سلطانه حتى لا يبقى له قوة ، فاذا كانت القيامة ذهب سلطانه ، وخمدت نيرانه ، وزالت قوته ، واضمحلت قدرته ، فيطرحه فى الجو ، والجو ظلمة ليس له حد ولا منتهى ، ثم يجمع الله سبحانه وتعالى أهل الأديان فيحاسبهم ويجازيهم على طاعة الشيطان وعصيانه ، وأما المسخية فقالت أن النور كان وحده نوراً محضا ثم انمسخ بعضه فصار ظلمة وكذلك الخرمدينية[1] قالوا بأصلين ، ولهم ميل إلى التناسخ والحلول

(١) الخرميه والخرمدينيه لفظته أعجمية وهى عبارة عما يستلذ ويشتهى وترتاح به الأنفس وهو لقب للمزدكية وهم أهل الاباحة من المجوس الذين ظهروا فى أيام قباذ واباحوا النساء وأحلوا كل محظور فى الشرائع وكانوا خرمدينية وقد لقب به الباطنية لمشابهتهم أياهم فى الذهب لأن حاصل مذهبهم راجع إلى رفع التكليف وتسليط الناس على اتباع الشهوات من المباحات والمحرمات (عقائد آل محمد ص ٢٥)

وهم لا يقولون بأحكام وحلال وحرام ، ولقد كان فى كل أمة من الأمم قوم ، مثل الاباحية والمزدكية ، والزنادقة ، والقرامطة ، كان تشويش ذلك الدين ، وفتنة الناس مقصورة عليهم

والزرادشتية(١) أصحاب زرادشت بن بورشسب الذى ظهر فى زمان

---

(١) وفى أيام كيستاسب بن كهيراسف ظهر زرادشت الذى يزعم المجوس نبوته وكان فيما زعم أهل الكتاب من أهل فلسطين خادما لبعض تلامذة أرميا النبى خالصة عنده فخانه فى بعض أموره فدعا الله عليه فبرص ولحق باذربيجان وشرع بها دين المجوسية وتوجه إلى كيستاسف فعرض عليه دينه فاعجبه وحمل الناس على الدخول فيه وقتل من امتنع وعند علماء الفرس ان زرادشت من نسل منوشهر الملك وان نبيا من بنى إسرائيل بعث إلى كيستاسف وهو ببلخ فكان زرادشت وجاماسب العالم وهو من نسل منوشهر أيضا يكتبان بالفارسية ما يقول ذلك النبى بالعبرانية وكان جاماسب يعرف اللسان العبرانى ويترجمه لزرادشت وان ذلك كان لثلاثين سنة من دولة كهيراسف وقال علماء الفرس ان زرادشت جاء بكتاب أدعاه وحيا كتب نقشا بالذهب فوضعه كيستاسف فى هيكل باصطخر ووكل به الهرابذة ومنع من تعليمه العامة ويسمى ذلك الكتاب نسياه وهو كتاب الزمزمه وفسره زرادشت وسمى تفسيره زنده رفسر التفسير وسماه زندية وهذه اللفظة هى التى عربتها العرب زنديق والكتاب ، فى أخبار الأمم الماضية وحدثان المستقبل ونواميس القوم وشرائعهم كتقبلة المشرق وأن الصلوات فى الطلوع والزوال والغروب وانها ذات سجدات ودعوات وجدد لهم زرادشت بيوت النيران التى كان منوشهر أخمدها ورتب لهم عيدين النيروز في الاعتدال الربيعى والمهرجان فى الاعتدال الخريفى وأمثال ذلك من نواميسهم ولما انقرض ملك الفرس الأول أحرق الاسكندر هذه الكتب ولما جاء اردشير جمع الفرس على قراءة سورة منها تسمى أسبا (ابن خلدون أول ص ٢٣٨)

كشتاسف[١] بن لهراسب[٢] الملك ، وأبوه كان من أذربيجان ، وأمه من

(١) كشتاسف ، ويقول ابن الاثير بشتاسب بن لهراسب ضبط الملك وقرر قوانينه وابتنى بفارس مدينة فسا ورتب سبعة من عظماء أهل مملكته مراتب وملك كل واحد منهم مملكته على قدر مرتبته وقد اصطلح مع ملك الترك واستقر الصلح على أن يكون لبشتاسب دابة واقفة على باب ملك الترك لاتزال على عادتها على أبواب الملوك فلما وقد اليه زرادشت دفعه إلى نقض الصلح وقال أنا أعين لك طالعا تسير فيه إلى الحرب فتظفر وهذا أول وقت وضعت الاختيارات للملوك بالنجوم وكان زرادشت عالما بالنجوم جيد المعرفة بها فاجابه بشتاسب وأمر بصرف دابته فانكر عليه ملك الترك صرف دابته وتهدده بالحرب ان لم يأمر بانفاذ زرادشت اليه ، فكتب اليه بشتاسب كتابا غليظا يؤذنه فيه بالحرب فسار كل منهما إلى صاحبه والتقيا واقتتلا فكانت الهزيمة على الترك والظفر للفرس وكان أعظم القوم ابلاء فى هذه الحرب اسفنديار بن بشتاسب فلما انجلت الحرب سعى الناس بين بشتاسب وابنه وقالوا يريد الملك لنفسه فندبه لحرب بعد حرب ثم اخذه وحبسه مقيدا ، ثم ان بشتاسب سار إلى ناحية كرمان وسجستان وسار إلى جبل طميدر لدراسة دينه والتنسك هناك وخلف أباه لهراسب ببلخ شيخا كبيرا قد أبطله الكبر وترك بها خزائنه وأولاده ونساءه فانتهز ملك الترك غيبته وسار بجنده الى بلخ فقتل لهراسب وولدين لبشتاسب والهرابذة وأحرق الدواوين وهدم بيوت النيران وسار متبعا لبشتاسب الذى هرب وتحصن بالجبال فلما اشتد عليه الأمر أمر باخراج ابنه من محبسه واعتذر له ووعده بأن يعهد اليه الملك من بعده فلما سمع اسفنديار كلامه سجد له ونهض من عنده وجمع جموعه وحارب الترك فهزمهم ودخل بلادهم وبلغ مدينتهم العظمى ودخلها عنوة وقتل الملك واخوته واستباح أمواله ونساءه واقطع بلاد الترك وجعل كل ناحية الى رجل من وجوه الترك على أن يحملوا كل سنة خراجا الى أبيه بشتاسب ثم عاد الى بلخ فحسده أبوه على ما أتاه فأمره بالتجهز لقتال رستم الشديد بسجستان فسار اليه فخرج اليه رستم وقاتله فقتله رستم ومات بشتاسب (ابن الأثير أول ص ١٠٦)

(٢) كيهراسف أو كيلهراسف أو لهراسب ملك الفرس وكان محمود السيرة

الرى ، واسمها دغد ، وزعموا أن لهم أنبياء ، وملوكا ، أولهم كيومرت وكان أول من ملك الأرض ، وكان مقامه باصطخر ، و بعده أوشهنج[١] ابن فراول ، ونزل أرض الهند ، وكانت له دعوة ثمة ، و بعده طمهورث[٢] وظهرت الصابئة في أول سنة من ملكه ، و بعده أخوه جم[٣] الملك ، ثم بعده أنبياء وملوك ، منهم منوجهر[٤] ، نزل بابل وأقام بها ، وزعموا

وكانت الملوك شرقا وغربا تحمل اليه الاتاوة وتعظمه وقد حارب الترك وأقام فى حروبهم عامة أيامه وهلك فى حروبهم لمائة وعشرين سنة من ملكه وقيل انه ولى ابنه كيستاسب على الملك وانقطع للعبادة (ابن خلدون أول ص ٢٣٨)

(١) أوشهنك أو اوشهنج وحرفها الاخير بين الكاف والقاف والجيم ويلقب ببشداد ومعناه النور وقيل معناه أول حاكم بالعدل وتزعم الفرس انه بعد آدم بمائتى سنة وكان ملكه أربعين سنة وتقول الفرس انه ملك الهند (ابن خلدون أول ص ٢٢٩)

(٢) طهمورث بالثاء عند المورخين العرب وتقول الفرس طهمورس بالسين وهو ابن انوجهان ابن انكهد بن اسكهد بن اوشهنك قال ابن الكلبي ان طمورث أول ملوك بابل وانه ملك الاقاليم كلها وكان محمودا فى ملكه وفى أول سنة من ملكه ظهر بيوراسب ودعا الى ملة الصابئة (ابن خلدون أول ص ٢٢٩)

(٣) جم وهو جمشيد وجم هو القمر وشيد هو الشعاع وهو أخر طهمورث ملك بعد أخيه وملك الأرض واستقام أمره ثم بطر النعمة وساءت حاله فخرج عليه قبل موته نسبته بيوراسب وهو الضحاك فظفر به فنشره بمنشار وانتزع الأمر من يده (ابن خلدون أول ص ٢٣٠)

(٤) منوجهر وذكر فى ابن خلدون منوشهر الملك ابن منشحر بن ايرج من نسل افريدون وكانت أمه من ولد اسحق عليه السلاه فكفلته أمه حتى كبر فملك وثأر بأبيه من عمه بعد حروب كانت له ثم استبد ونزل بابل وحمل الفرس على دين ابراهيم عليه السلام وثار عليه افراسياب ملك الترك فغلبه على بابل وملكها (ابن خلدون ص ٢٣٢ .

أن موسى عليه السلام ، ظهر فى زمانه حتى انتهى الملك إلى كشتاسف ابن لهواسب ، وظهر فى زمانه زرادشت الحكيم ، وزعموا أن الله عز وجل خلق من وقت ما فى الصحف الأولى ، والكتاب الأعلى من ملكوته خلقا روحانيا ، فلما مضت ثلاثة آلاف سنة انفذ مشيئته فى صورة من نور متلألئ على تركيب صورة الانسان ، وأحف[1] به سبعين من الملائكة المكرمين ، وخلق الشمس والقمر والكواكب والأرض ، وبنى آدم غير متحركة ثلاثة آلاف سنة ، ثم جعل روح زرادشت فى شجرة أنشأها فى أعلى عليين ، وغرسها فى قلة جبل من جبال اذربيجان يعرف باسمويذخر ، ثم ، مازج شبح زرادشت بلبن بقرة فشربه أبو زرادشت فصار نطفة ثم مضغة فى رحم أمه ، فقصدها الشيطان وغيرها ، فسمعت أمه نداء من السماء ، فيه دلالات على برئها فبرأت ، ثم لما ولد ضحك ضحكة تبينها من حضر ، واحتالوا على زرادشت ، حتى وضعوه بين مدرجة البقر ، ومدرجة الخيل ، ومدرجة الذئب ، وكان ينهض كل واحد منهم بحمايته من جنسه ، ونشأ بعد ذلك إلى أن بلغ ثلاثين سنة فبعثه الله نبيا ورسولا إلى الخلق ، فدعا كشتاسف الملك ، فأجابه إلى دينه ، وكان دينه عبادة الله ، والكفر بالشيطان ،

---

(١) حف القوم بالشيء وحواليه يحفون حفا وحفوه ، وحففوه أحدقوا به وأطافوا به وعكفوا واستداروا وفى التهذيب حف القوم بسيدهم وفى التنزيل وترى الملائكة حافين من حول العرش محدقين بالعرش يطوفون حوله وأحفهم ، جعلهم يحفون به .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واجتناب الخبائث ، وقال النور والظلمة أصلان متضادان ، وكذلك يزدان وأهرمن ، وهما مبدأ موجودات العالم . وحصلت التراكيب من امتزاجهما ، وحدثت الصور من التراكيب المختلفة ، والبارى تعالى خالق النور والظلمة ، ومبدعهما وهو واحد لا شريك له ولا ضد ، ولا ند ، ولا يجوز أن ينسب إليه وجود الظلمة كما قالت الزروانية ، لكن الخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث ، إنما حصلت من امتزاج النور والظلمة ولو لم يمتزجا لما كان وجود للعالم ، وهما يتقاومان ويتغالبان . إلى أن يغلب النور الظلمة والخير الشر ، ثم يتخلص الخير إلى عالمه . وذلك هو سبب الخلاص ، والباري تعالى هو مزجهما وخلطهما ، لحكمة رآها فى التركيب ، وربما جعل النور أصلا ، وقال وجوده وجود حقيقى وأما الظلمة فتبع كالظل بالنسبة إلى الشخص ، فانه يرى أنه موجود وليس بموجود حقيقة فأبدع النور ، وحصل الظلام تبعا ، لأن من ضرورة الوجود التضاد ، فوجوده ضروري واقع فى الخلق لا بالقصد الأول ، كما ذكرنا فى الشخص والظل ، وله كتاب قد صنفه[1] ، وقيل

(١) صنف كتابا ، وطاف به الأرض فما عرف أحد معناه وزعم أنها لغة سماوية خوطب بها وسماه اثنا ، فسار من اذربيجان إلى فارس ، فلم يعرفوا ما فيه ولم يقبلوه فسار إلى الهند وعرضه على ملوكها ، ثم أتي الصين والترك فلم يقبله أحد واخرجوه من بلادهم وقصدفرغانهفاراد ملكها ان يقتله فهرب منها وقصدبشتاسب بن لهراسب فأمر بحبسه فحبس مدة ، وشرح زرادشت كتابه وسماه زند ومعناه التفسير ثم شرح

أنزل ذلك عليه وهو زندوستا ، يقسم العالم قسمين مينه وكيتى ، يعنى الروحاني والجسماني ، والروح والشخص ، وكما قسم الخلق إلى عالمين ، يقول إن ما في العالم ، ينقسم قسمين بخشش وكنش ، يريد به التقدير والفعل ، وكل واحد مقدر على الثاني ، ثم يتكلم فى موارد التكليف ، وهى حركات الانسان فيقسمها ثلاثة أقسام منش وكويش وكنش ، يعنى بذلك الاعتقاد والقول والعمل ، وبالثلاث يتم التكليف ، فاذا قصر الانسان فيها خرج عن الدين والطاعة ، وإذا جرى فى هذه الحركات علي مقتضى الأمر والشريعة ، فاز الفوز الأكبر وتدعى الزرادشتية له معجزات كثيرة ، منها دخول قوائم فرس كشتاسف فى بطنه ، وكان زرادشت فى الحبس ، فأطلق ، فانطلق قوائم الفرس ، ومنها أنه مر على أعمى بالدينور ، فقال خذوا حشيشة وصفها لهم واعصروا ماءها فى عينه ، فانه يبصر ففعلوا فأبصر الأعمي ، وهذا من جملة معرفته بخاصية الحشيشة ، وليس من المعجزات فى شيء

الزند بكتاب سماه بازند يعنى تفسير التفسير وفيه علوم مختلفة كالرياضات وأحكام النجوم والطب وغير ذلك من أخبار القرون الماضية وكتب الأنبياء وفى كتابه تمسكوا بما جئتكم به إلى أن يجيئكم صاحب الجمل الأحمر (يعنى محمدا ﷺ) وذلك على رأس الف وستمائة سنة ، وبسبب ذلك وقعت البغضاء بين المجوس والعرب ولما أتى بشتاسب ، بهذا الكتاب زعم أنه وحي من الله تعالى وكتب فى جلد اثنى عشر الف بقرة ، حفرا ونقشا بالذهب فجعله بشتاسب فى موضع باصطخر ومنع من تعليمه العامة (ابن الأثير أول ص ١٠٠)

ومن المجوس الزرادشتية صنف يقال لهم السيسانية والبها فردية[١] رئيسهم رجل من رستاق نيسابور يقال له خواق ، خرج أيام أبى مسلم صاحب الدولة وكان زمزميا[٢] فى الأصل يعبد النيران ، ثم ترك ذلك ودعا المجوس إلى ترك الزمزمة ، ورفض عبادة النيران ، ووضع لهم كتابا وأمرهم فيه بارسال الشعور ، وحرم الأمهات والبنات والأخوات ، وحرم عليهم الخمر وأمرهم باستقبال الشمس عند السجود على ركبة واحدة ، وهم يتخذون الرباطات ، ويتباذلون الأموال ، ولا يأكلون الميتة . ولا يذبحون الحيوان حتي يهرم وهم أعدى خلق الله للمجوس الزمازمة ، ثم إن موبذ[٣] المجوس رفعه إلى أبى مسلم فقتله على باب الجامع بنيسابور ، وقال أصحابه إنه

---

(١) وفى فهرست ابن النديم ظهر فى صدر الدولة العباسية وقبل ظهور أبى العباس رجل يقال له بها فريد من قرية يقال لها روى من ابرشهر مجوسى يصلى ، الصلوات الخمس بلا سجود متياسر عن القبلة ، وتكهن ودعا المجوس إلى مذهبه فاستجاب له خلق كثير فوجه اليه أبو مسلم شبيب بن داح وعبد الله ابن سعيد فعرضا عليه الاسلام وأسلم وسود ، ثم لم يقبل اسلامه لتكهنه فقتل . وعلى مذهبه بخراسان جماعة ، إلى هذا الوقت (فهرست ابن النديم ص ٤٨٢)

(٢) الزمزمة كلام المجوس عند الأكل وهم صموت لايستعملون اللسان ولا الشفة فى كلامهم لكنه صوت تديره فى خياشيمها وحلوقها فيفهم بعضها عن بعض وفى حديث عمر كتب إلى أحد عماله فى أمر المجوس وانههم عن الزمزمة قال هو كلام يقولونه عند أكلهم بصوت خفى ، وفى حديث قباث ابن أشيم والذى بعثك بالحق . ما تحرك به لسانى ولا تزمزمت به شفتاى الزمزمة صوت خفى لا يكاد يفهم .

(٣) فى حديث سطيح فأرسل كسرى إلى الموبذان ، الموبذان للمجوس كقاضى القضاة للمسلمين والموبذ القاضى .

صعد إلى السماء على برذون أصفر ، وأنه سينزل على البرذون ، فينتقم من أعدائه وهؤلاء قد أقروا بنبوة زرادشت فى كتاب زندوستا ، قال سيظهر فى آخر الزمان رجل اسمه اشيزريكا ، ومعناه الرجل العالم يزين الناس بالدين والعدل ، ثم يظهر فى زمانه بتياره فيوقع الآفة فى آخره وملكه عشرين سنة ، ثم يظهر بعد ذلك أشيذ ريكا على أهل العالم ويحي العدل ، ويميت الجور ، ويرد السنن المغيرة إلى أوضاعها الأول ، وينقاد له الملوك ، ويتيسر له الأمور ، وينصر الدين الحق ، ويحصل فى زمانه الأمن والدعة ، وسكون الفتن ، وزوال المحن ، والله أعلم .

الثنوية

الثنوية : هؤلاء أصحاب الاثنين الأزليين ، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان ، بخلاف المجوس فانهم قالوا بحدوث الظلام ، وذكروا سبب حدوثه ، وهؤلاء قالوا بتساويهما فى القدم ، واختلافهما فى الجوهر ، والطبع ، والفعل ، والحيز ، والمكان ، والاجناس ، والأبدان ، والأرواح .

المانوية

المانوية : أصحاب مانى[1] بن فاتك الحكيم الذى ظهر فى زمان

---

(١) مانى بن فتق بابك ، الثنوي الزنديق صاحب القول بالنور والظلمة ظهر أيام سابور ابن اردشير ملك الفرس ، فاتبعه قليلا ثم رجع إلى المجوسية دين آبائه وكان أحنف الرجل وقيل ان أصل أبيه من همدان ، انتقل إلى بابل ، وكان ينزل

المدائن في الموضع الذى يسمى طيسفون ، وبها بيت الأصنام وكان فتق يحضر كما يحضر سائر الناس فسمع من الهيكل هاتفا يقول : يافتق لا تأكل لحما ولا تشرب خمرا ولا تنكح بشرا ، تكرر مرات ، فدان بهذا المذهب ، وكانت امرأته حاملا عانى ، فلما وضعته زعموا أنها كانت ترى منامات حسنة ، وفى يقظتها كأن آخذا ياخذه فيصعد به إلى الجو ثم يرده ، فنشأ على دين أبيه وكان على صغره ينطق بالحكمة فلما تم له اثنتا عشرة سنة ، اتاه الوحى على زعمه من ملك جنان النور وهو الله تعالى عما يقوله علوا كبرا ، وكان الملك الذى ياتيه يقول له اعتزل هذه الملة فلست من أهلها وعليك بالنزاهة وترك الشهوات ولم يأن لك أن تظهر لحداثتك ، فلما تم له أربع وعشرون سنة ناداه الملك ان قد حان لك ان تخرج فتنادى بأمرك ، وقال له عليك السلام مانى منى ومن الرب الذي أرسلنى اليك واختارك لرسالته . وقد أمرك أن تدعو بحقك تبشر ببشري الحق من قبلك ، فخرج أيام سابور بن اردشير ومعه رجلان تبعاه ، شمعون رزكوا ، ومعه أبوه ينظر ما يكون من أمره وزعم مانى انه الفار قليط المبشر به عيسى عليه السلام واستخرج مانى مذهبه من المجوسية والنصرانية وكتب كتبه بقلم مستخرج من السريانى والفارسى وقد دخل على سابور وعلى كتفيه مثل السراجين من نور فلما رآه أعظمه وكبر فى عينه وكان أضمر الفتك به فلما لقيه هابه وسر به ، وأجابه إلى طلبه ومانى يقول مبدأ العالم ، كونان نور ، وظلمة ، كل منفصل عن الآخر ، وفرض صلوات على أصحابه ، فيقوم الرجل ، فيسبح بالماء الجارى : أو غيره ويستقبل النير الأعظم قائما ، ثم يسجد ويقول فى سجوده مبارك هادينا الفار قليط رسول النور ومبارك ملائكته الحفظه ومسبح جنوده النيرون ويقول تسبيحات مختلفة إلى السجدة الثانية عشرة ولهم صلوات أخرى بتسبيحات مختلفة وكان يأمر بصيام ثلاثين يوما إذا نزلت الشمس الدلو ، والفطر عند الغروب والاحد يعظمه عامة المنانية والاثنين يعظمه خاصتهم ، ولمانى كتب ورسائل وقد قتله كسرى وصلبه ، وحرم على أهل مملكته الجدل فى الدين ، وأخذ يقتل أصحاب مانى ، فهربوا وعبروا نهر بلخ ، ودخلوا فى مملكة خان الترك (ابن خلدون أول ص ٢٥٦ فهرست ابن النديم ص ٤٥٦)

شابور[١] بن أزدشير ، وقتله بهرام[٢] بن هرمز بن شابور ، وذلك بعد عيسى عليه السلام ، أخذ ديناً بين المجوسية والنصرانية ، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام ، حكى محمد بن هارون[٣] المعروف بأبي عيسى الوراق ، وكان في الأصل مجوسيا عارفا بمذاهب القوم ، إن الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين ، أحدهما نور ، والآخر ظلمة ، وأنهما أزليان لم يزالا وأنكروا وجود شيء لا من أصل قديم ، وزعم أنهما لم يزالا قوتين

---

(١) سابور بن اردشير ملك بعد أبيه ، فافاض العطاء فى أهل الدولة وتخير العمال ثم شخص إلى خراسان فمهد أمورها ثم رجع فشخص إلى نصيبين فملكها عنوة ، فقتل وسبي وافتتح من الشام مدنا وحاصر انطاكية وأسر ملكها وهو أول من ملك الحيرة من الملوك الساسانيه ، والحيرة وسط بلاد السواد وحاضرة العرب واستقام العرب على طاعته ، وولى عليهم عمرو بن عدى جد آل المنذر بعده وانزله الحيرة لجبي خراجهم واتاوتهم واستعبدهم لسلطانه وقبض ايديهم عن الفساد باقطار ملكه ، وما كانوا يرومونه بسواد العراق من نواحي مملكته وولى بعده ابنه امرأ القيس وصار ذلك ملكا لآل المنذر بالحيرة توارثوه ، وهلك سابور لثلاثين سنة من ملكه (ابن خلدون أول ص ٢٥٣)

(٢) بهرام بن هرمز ، ولى بعد أبيه وكان بهرام حليما وقورا أحسن السيرة ، واقتدى بابائه ، وقد جمع الناس لامتحان ماني الثنوى الزنديق فأشاروا بكفره فقتله ، ثم هلك بهرام لثلاث سنين وثلاثة أشهر من دولته (ابن خلدون أول ص ٢٥٦)

(٣) محمد بن هرون الوراق ابو عيسى ، له تصانيف على مذهب المعتزلة مات سنة سبع وأربعين ومائتين قال ابن النديم فى الفهرست كان من نظارى المعتزلة ثم خلط وعنه أخذ ابن الراوندى وقال المسعود له مصنفات حسان فى الامامة وغيرها (لسان الميزان خامس ص ٤١٢)

حساسين ، سميعين بصيرين ، وهما مع ذلك فى النفس والصورة ، والفعل والتدبير متضادان ، وفي الحيز متحاذيان تحاذى الشخص والظل ، وإنما يتبين جواهرهما وأفعالهما فى هذا الجدول

النور	الظلمة
الجوهر	الجوهر
جوهره حسن فاضل كريم صاف نقى طيب الريح حسن المنظر .	جوهرها قبيح ناقص لئيم كدر خبيث منتن الريح قبيح المنظر
النفس	النفس
نفسه خيرة كريمة حكيمة نافعة عالية .	نفسها شريرة لئيمة سفيهة ضارة جاهلة .
الفعل	الفعل
فعله الخير والصلاح والنفع والسرور والترتيب والنظام والاتفاق .	فعلها الشر والفساد والضر والغم والتشويش والتبتير والاختلاف .
الحيز	الحيز
جهة فوق وأكثرهم على أنه مرتفع من ناحية الشمال ، وزعم بعضهم أنه بجنب الظلمة .	جهة تحت وأكثرهم على أنها منحطة من ناحية الجنوب ، وزعم بعضهم أنها بجنب النور .

أجناسها

خمسة أربعـــة منها أبدان والخامس روحها ، فالأبدان هي النار والنور والريح والماء وروحها النسيم ، وهي تتحرك فى هـــذه الأبدان .

الصفات

حية طاهرة خيرة زكية وقال بعضهم كون النور لم يزل على مثال هذا العالم له أرض وجو ، وأرض النور لم تزل لطيفة على غير صورة هذه الأرض ، بل هى على صورة جرم الشمس ، وشعاعها كشعاع الشمس ، ورائحتهـا طيبة أطيب رائح وألوانها ألوان قوس قزح وقال بعضهم ولا شيء إلا الجسم والأجسام على ثلاثة أنواع ، أرض النور ، وهي خمسة وهنـاك جسم آخر ألطف منه وهو الجو وهو

أجناسها

خمسة أربعة منها أبدان والخامس روحها ، فالأبدان هى الحريق والظلمة والسموم والضباب وروحها الدخان وهي تدعى الهمامة وهى تتحرك فى هذه الأبدان .

الصفات

خبيثة شريرة نجسة دنسة وقال بعضهم : كون الظلمة لم يزل على مثال هذا العالم لها أرض وجو فأرض الظلمة لم تزل كثيفة على غير هذه الأرض بل هي أكثف وأصلب ورائحتها كريهة أنتن الروائح ، وألوانها لون السواد ، قال بعضهم : ولا شيء إلا الجسم والأجسام على ثلاثة أنواع أرض الظلمة ، وشي آخر أظلم منه وهو السموم ، قال ولم تزل تولد الظلمة شياطين أراكنة وعفاريت لا علي

نفس النور وجسم آخر ، وهو
ألطف منه وهو النسيم ، وهو
روح النور ، قال ولم يزل يولد
ملائكة وآلهة ، وأولياء ليس على
سبيل المناكحة، بل كما يتولد الحكمة
من الحكم والنطق والطيب من
الناطق ،وملك ذلك العالم هو روحه
ويجمع غالمه الخير والحمد والنور .

سبيل المناكحة ، بل كما يتولد
الحشرات من العفونات القذرة
وقال وملك ذلك العالم هو روحه
يجمع عالمه الشر والذميمة والظلمة

ثم اختلفت المانوية فى المزاج ، وسببه ، والخلاص وسببه ، وقال بعضهم ، إن النور والظلام امتزجا بالخبط والاتفاق ،لا بالقصد والاختيار ، وقال أكثرهم أن سبب المزاج أن أبدان الظلمة تشاغلت عن روحها بعض التشاغل ، فنظرت إلى الروح ، فرأت النور فبعثت الأبدان على ممازجة النور ، فأجابتها لاسراعها إلى الشر ، فلما رأى ذلك ملك النور وجه إليها ملكا من ملائكته ، فى خمسة أجزاء من أجناسها الخمسة فاختلطت الخمسة النورية ، بالخمسة الظلامية ، نخالط الدخان النسيم ، وإنما الحياة والروح فى هذا العالم من النسيم والهلاك والآفات من الدخان وخالط الحريق النار ، والنور الظلمة ، والسموم الريح والضباب الماء ، فما فى العالم من منفعة وخير وبركة ، فمن أجناس النور ، وما فيه من مضرة وفساد وشر ، فمن أجناس الظلمة ، فلما رأى ملك النور هذا

الامتزاج أمر ملكا من ملائكته بخلق هذا العالم على هذه الهيئة ، لتخلص أجناس النور من أجناس الظلمة ، وإنما سارت الشمس والقمر وسائر النجوم لاستصفاء أجزاء النور من أجزاء الظلمة ، فالشمس تستصفى النور الذى امتزج بشياطين الحر ، والقمر يستصفى النور الذى امتزج بشياطين البرد ، والنسيم الذى فى الأرض لايزال يرتفع لأن من شأنها الارتقاع إلى عالمها ، وكذلك جميع أجزاء النور أبداً فى الصعود والارتفاع ، وأجزاء الظلمة أبداً فى النزول والتسفل ، حتى تتخلص الأجزاء ويبطل الامتزاج ، وتنحل التراكيب ويصل كل إلي كله وعالمه ، وذلك هو القيامة والمعاد[1] ، وقال ومما يعين فى التخليص والتميز ، ورفع

(١) وقوله فى المعاد : إنه إذا حضرت وفاة الصديق أرسل اليه الانسان القديم الهانيرا بصورة الحكيم الهادى ومعه ثلاثة آلهة ، ومعهم الركوة ، واللباس والعصابة والتاج واكليل وياتى معهم البكر الشبيهة بنسمة ذلك الصديق ويظهر له شيطان الحرص والشهوة والشياطين فاذا رآهم الصديق استغاث بالالهة التى على صورة الحكيم والآلهة الثلاثة فيقربون منه ، فاذا رأتهم الشياطين ولت هاربة واخذوا ذلك الصديق والبسوه التاج والاكليل واللباس وأعطوه الركوة بيده ، وعرجوا فى عمود السبح إلى فلك القمر وإلى الانسان القديم وإلى النهنهة أم الاحياء إلى ما كان عليه أولا فى جنان النور ثم يبقى ذلك الجسد ملقى فتجتذب منه الشمس والقمر والألهة النيرون القوى التى هى الماء والنار والنسيم ، فيرتفع إلى الشمس ويصير الها ويقذف باقى جسده التى هى ظلمة كله إلى جهنم فاما الانسان المحارب القابل للدين والبر الحافظ لهما وللصديقين فاذا حضرت وفاته حضر أولئك الآلهة الذين ذكرتهم وحضرت الشياطين واستغاث ومد بما كان يعمل من البر وحفظ الدين والصديقين فيخلصونه من الشياطين فلا يزال فى العالم شبه الانسان الذى يرى فى منامه الأهوال ويغوص فى الوحل والطين فلا يزال كذلك إلى أن يتخلص نوره وروحه ويلحق بملحق

أجزاء النور ، التسبيح والتقديس ، والكلام الطيب وأعمال البر . فترتفع بذلك الأجزاء النورية فى عمود الصبح ، إلى فلك القمر ، فلا يزال القمر يقبل ذلك من أول الشهر إلى النصف فيمتلئ فيصير بدراً ، ثم يؤدى إلى الشمس إلى آخر الشهر ، فتدفع الشمس إلى نور فوقها ، فيسرى فى ذلك العالم ، إلى أن يصل إلى النور الأعلى الخالص ، ولا يزال يفعل ذلك حتى لا يبقى من أجزاء النور شىء فى هذا العالم إلا قدر يسير منعقد لا تقدر الشمس والقمر على استصفائه ، فعنــد ذلك يرتفع الملك الذى يحمل

الصديقين ويلبس لباسهم ، بعد المدة الطويلة من تردده ، فأما الانسان الأثيم المستعلى عليه الحرص والشهوة فاذا حضرت وفاته حضرته الشياطين فأخذوه وعذبوه وأروه الأهوال فتحضر أولئك الآلهة ومعهم ذلك اللباس فيظن الانسان الاثيم أنهم قدجاءوا لخلاصه وانما حضروا لتوبيخه وتذكيره افعاله والزامه الحجة فى ترك اعانته الصديقين ثم لا يزال يتردد فى العالم في العذاب إلى وقت العاقبة فيدحى به فى جهنم فهــذه ، ثلاث طرق يقسم فيه نسمات الناس احدها إلى الجنان وهم الصديقون والثانى إلى العالم والأهوال وهم حفظة الدين ومعينو الصديقين والثالث إلى جهنم وهو الانسان الاثيم أما كيفية ، حال المعاد بعد فناء العالم ، وصفة الجنة والجحيم ، فذهب مانى ، إلى أن الانسان القديم يأتى من عالم الجدى والبشير من المشرق والبناء الكبير من اليمن وروح الحياة من عالم المغرب فيقفون على البنيان العظيم الذى هو الجنة الجديدة . مطيفين بتلك الجحيم فينظرون اليها ثم يأتى الصديقون من الجنان إلى ذلك النور فيجلسون فيه . ثم يتعجلون إلى مجمع الآلهة ، فيقومون حول تلك الجحيم ثم ينظرون إلى عملة الاثم . ينقلبون ويترددون ويتضورون فى تلك الجحيم ، وليست تلك الجحيم قادرة على الاضرار بالصديقين فاذا نظر أولئك الآثمون إلى الصديقين يسألونهم ويتضرعون اليهم فلا يجيبونهم الا بما لا منفعة لهم فيه من التوبيخ فزداد الأثمة ندامة وهما وغما ، فهذه صورتهم ابدا لأبد (فهرست ابن النديم ص ٤٦٨)

الأرض ، ويدع الملك الذي يجتذب السموات ، فيسقط الأعلى على الأسفل ثم توقد نار حتى يضطرم الأعلى والأسفل ، ولا يزال يضطرم حتى يتحلل ما فيها من النور ، ويكون مدة الاضطرام ألفا وأربعماية وثمان وستين سنة ، وذكر الحكيم مانى في باب الألف من الجبلة وفي أول الشابرقان أن ملك عالم النور فى كل أرضه ، لا يخلو منه شيء . وأنه ظاهر باطن ، وأنه لا نهاية له إلا من حيث تناهى أرضه إلى أرض عدوه ، وقال أيضا إن ملك عالم النور فى سرة أرضه ، وذكر أن المزاج القديم هو امتزاج الحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة ، والمزاج المحدث الخير والشر .

وقد فرض[١] مانى على أصحابه العشر فى الأموال ، والصلوات[٢]

---

(١) فرض مانى على أصحابه عشر فرائض على السماعين ويتبعها ثلاث خواتيم وصيام سبعة أيام أبدا في كل شهر ، فالفرائض هى الايمان بالعظائم الأربع الله ، ونوره وقوته وحكمته ، فالله جل اسمه ملك جنان النور ونوره الشمس والقمر وقوته الاملاك الخمسة وهي النسيم والريح والنور والماء والنار وحكمته الدين المقدس وهو على خمسة معان ، المعلين ابناء الحلم والمشمسين ابناء العلم والقسيسين ابناء العقل والصديقين ابناء الغيب . والسماعين أبناء الفطنة والفرائض العشر ترك عبادة الأصنام وترك الكذب وترك البخل وترك القتل وترك الزنا وترك السرقة ، وتعليم العلل والسحر والقيام بهمتين وهو الشك فى الدين والاسترخاء والتوانى فى العمل (فهرست ابن النديم ص ٤٦٥)

(٢) وفرض صلوات أربع أوسبع ، وهوأن يقوم الرجل ، فيمسح بالماء الجارى أو غيره ويستقبل النير الأعظم قائما ثم يسجد ، ولهم تسبيحات فى سجودهم فأما الصلاة الأولى فعند الزوال والصلاة الثانية بين الزوال وغروب الشمس ثم صلاة المغرب بعد غروب الشمس ثم صلاة العتمة بعد المغرب بثلاث ساعات (فهرست ابن النديم ص ٤٦٥)

الأربع ، فى اليوم والليلة . والدعاء إلي الحق ، وترك الكذب ، والقتل والسرقة ، والزنا ، والبخل ، والسحر ، وعبادة الأوثان ، وأن يأتى على ذى روح ما يكره أن يؤتى إليه بمثله

واعتقاده فى الشرائع والأنبياء أن أول من بعث الله بالعلم والحكمة آدم أبو البشر ، ثم بعث شيثا بعده ، ثم نوحا بعده ، ثم إبراهيم بعده عليهم الصلاة والسلام ، ثم بعث بالبددة[1] إلى أرض الهند ، وزرادشت

---

(١) البددة جمع بد ، وقد اختلف الهند فيه . فزعمت طائفة انه صورة البارى تعالى جده وقالت طائفة صورة رسوله إليهم ثم اختلفوا ها هنا فقالت طائفة الرسول ملك من الملائكة وقالت طائفة الرسول بشر من الناس ، وقالت طائفة عفريت من العفاريت ، وقالت طائفة هذه صورة بوداسف الحكيم الذى أتاهم من عند الله جل اسمه . ولكل طائفة منهم طريقة فى عبادته وتعظيمه وحكى بعض من يصدق عنهم ان لكل ملة منهم صورة يرجعون إلى عبادتها ويعظمونها وان البد اسم للجنس والأصنام كالانواع فاما صفة البد الأعظم فانسان جالس على كرسي لاشعر بوجهه مغموس الذقن فى الفقم ما هو مشتمل بكساء كالمتبسم عاقد بيده اثنين وثلاثين وقال الثقة ان كل منزل فيه صورته من جميع أصناف الأشياء وعلى حسب حال الانسان ، إما من الذهب المرصع بانواع الجواهر أو من الفضة أو من الصفر أو من الحجارة أو من الخشب يعظمونه كيف استقبلهم بوجهه اما من المشرق إلى المغرب أو من المغرب إلى المشرق ولكنهم فى الأكثر ، يستدبرون به المشرق حتى يستقبلون المشرق وحكى أن لهم هذه الصورة بأربعة أوجه . قد عملت بهندسة ودقة صنعة . حتى من أى موضع استقبلوها رأوا الوجه كاملا وصفحة صحيحة . لايغيب عنهم منها شىء البتة . وفى أكثر البلاد بيوت للعبادة ، وأكبر البيوت بيت بمانكير طوله فرسخ . وما نكير التى بها البلهرا وفى هذا البيت من البددة نحو عشرين الف بد ، من أنواع الجواهر ، مثل الذهب والفضة والحديد والنحاس والصفر ،

إلى أرض فارس ، والمسيح كلمة الله وروحه إلى أرض الروم والمغرب ، وبولس بعد المسيح إليهم ثم يأتي خاتم النبيين إلى أرض العرب ، وزعم أبو على[١] سعيد المانوى رئيس من رؤسائهم ، ان الذي مضى من المزاج إلى الوقت الذى هو فيه ، وهو سنة إحدى وسبعين ومائتين من

والعاج ، وأنواع الحجارة المعجونة مرصع بالجواهر السنية ، والملك يركب فى كل سنة إلى هذا البيت ، بل عشى من داره ، ويرجع راكبا وفيه صنم من ذهب ارتفاعه اثنا عشر ذراعا على سرير من ذهب وفى وسط قبة من ذهب مرصع ذلك كله بالجوهر الأبيض الحب والياقوت الأحمر والأصفر ، والأزرق والأخضر ويذبحون لهذا الصنم الذبائح وأكثر ما يقربون نفوسهم ، في يوم من السنة معروف عندهم

هذاوبد ، هو بوذة ، وهو اسم هندى معناه عالم أو حكيم أو عاقل ، وتاريخ بوذه ، أشهره أقاصيص ، وهو مقدس عندهم ، والبوذية أصلها سهلة أدبية ، وقد حرص الهنود فى عبادتهم على نكران نفوسهم ، وقمع شهواتهم ، وقهر ابدانهم ، والرحمة بجميع الكائنات ، وكانت البوذية قديما فى بلاد فارس وما وراء الهند ، وقد دخلت الصين وبلاد التتر ، وسيبريا ومنغوليا واليابان وغيرها ، وكانوا يلبسون طيالس صفراء ، ويحلقون رءوسهم ، ويجولون مكشوفي الرءوس ، وعدد البوذيين الآن قرابة خمسمائة مليون ، وفى جميع البلاد البوذية عدد كبير من الهياكل والأديار والأعمدة والقباب التى تنتظم آثار بوذه ؟ وتماثيل منحوتة على أشكال والبوذيون ؛ يقولون بفراغ الطبيعة وانها وهمية خداعة والعدم موجود فى كل زمان ومكان ، يزيل الحواجز بين الناس ، ويجعل أحقر الديدان أخوة البوذيين وآخر كلمة نطق بها الههم «كل مركب فان» وغايتهم نجاة نفوسهم من كل ألم وغرور وأن طور التناسخ الذى لا نهاية له ينتهى بمنع النفس عن أن تولد ثانية وذلك بتطهيرها وزهدها فى الحياة (فهرست ابن النديم ص ٤٨٧ — ٤٨٤ دائرة المعارف للبستانى خامس ص ٦٥٩)

(١) أبو على سعيد المانوى من رؤساء المانوية فى مذهبهم ، نشأ فى الدولة العباسية (فهرست ابن النديم ص ٤٧٣)

الهجرة أحد عشر ألفا وسبعماية سنة . وأن الذى بقي إلى وقت الخلاص ثلثمائة سنة ، وعلى مذهبه مدة المزاج اثنا عشر ألف سنة ، فيكون قد بقى من المدة خمسون سنة من زماننا هذا ، وهو إحدى وعشرون وخمسمائة هجرية ، فنحن فى آخر المزاج وبدء الخلاص ، فإلى الخلاص الكلى وانحلال التراكيب خمسون سنة والله أعلم

المزدكيـــة

هو مزدك[١] الذي ظهر فى أيام قباذ[٢] والد أنو شروان

(١) مزدك الزنديق كان إبا حيا وكان يقول باستباحة أموال الناس وانها فىء ، وانه ليس لأحد ملك شيء ولا حجزه والأشياء كلها ملك لله مشاع بين الناس لا يختص به أحد ، دون أحد وهو لمن اختاره فعثر الناس منه على متابعة مزدك فى هـذا الاعتقاد واجتمع أهل الدولة فخلعوا قباذ بن فيروز وملـكوا جاماساب أخاه ، فخرج زرمهر . شاكيا داعيا وتقرب إلى الناس بقتل المزدكية وأعاد قباذ الى ملـكه ، ثم سعت المزدكية عنده فى زرمهر فاتهمه الناس برأى مزدك ، فانتقضت الأطراف وفسد الملك وخلعوه وحبسوه ، وأعادوا أخاه ، وقد أمر مزدك أصحابه بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات ، والاكل والشرب والمواساة والاختلاط وترك استبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة فى الحرم والاهل لايمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ، ولايمنعه ومع هذه الأحوال فيرون أفعال الخير وترك القتل وادخال الآلام على النفوس ، ولهم مذهب فى الضيافات ليس هو لأحد من الأمم إذا أضافوا الانسان لم يمنعوه من شيء يلتمسه كائنا ما كان ، وعلى هـذا المذهب مزدك الاخير الذى ذكرناه ، وظهر فى أيام قباذ وقد قتله انوشروان ابن قباذ وقتل أصحابه ، وخبره مشهور (ابن خلدون أول ص ٢٦٣ فهرست ابن النديم ص ٢٧٩)

(٢) قباذ بن فيروز ملك بعد أخيه ، وكان قد سار بعساكر الترك أمده بها خاقان ، فبلغه الخبر بمهلك أخيه وهو بنيسابور فى طريقه وقد لقى بها ابنا كان له هنالك

ودعا قباذ إلى مذهبه فأجابه ، واطلع أنو شروان(١) على خزيه واقترائه

حملت به أمه عند مروره ذاهبا إلى خاقان فتيمن بالمولود ، وسار إلى المدائن فملكها وفوض تدبير ملكه إلى أخيه سوخر فاستبد عليه ، فبعث إلى اصبهبذ البلاد وهو سابور مهران فقدم عليه وقبض على سوخر وحبسه ثم قتله ولعشرين من دولته حبس وخلع ، ثم عاد إلى الملك وصورة الخبر عن ذلك ، أن مزدك الزنديق كان إباحيا ، يقول باستباحة أموال الناس ، وأنها فىء وانه ليس لأحد ملك شىء . ولا حجزه والأشياء كلها ملك لله ، مشاع بين الناس لا يختص به أحد ، دون أحد وهو لمن اختاره فعثر الناس منه على متابعة مزدك فى هذا الاعتقاد واجتمع أهل الدولة فخلعوه وحبسوه وملكوا جاماساب أخاه وخرج زرمهر شاكيا داعيا لقباذ وتقرب إلى الناس بقتل المزدكيه وأعاد قباذ إلى ملكه ثم سعت المزدكيه عنده فى زرمهر بانكارما أتى قبلهم واتهمه الناس برأي مزدك فانتقضت الأطراف وفسد الملك وخلعوه وحبسوه وأعادوا جاماساب وفر قباذ من محبسه وأمده ملك الهياطلة فغلب أخاه واستولى على الملك ثم غزا بلاد الروم وفتح آمد وسبى أهلها وطالت مدته وابتنى المدن العظيمة منها مدينة أرجان بين الاهواز وفارس ثم هلك لثلاث وأربعين من ملكه فى الكرة الأولى (ابن خلدون أول ص ٢٦٣)

(١) انوشروان بن قباذ ملك بعد أبيه كان يلى الاصبهبذ وهى الرياسة على الجنود ولما ملك فرق اصبهبذ البلاد على أربعة فجعل اصبهبذ المشرق بخراسان والمغرب باذربيجان وبلاد الخزر واسترد البلاد التى تغلب عليها جيران الاطراف من الملوك واثخن فى أمة البازر وأمة صول وأحكم بناء الحصون التى كان بناها قباذ وفيروز لتحصين البلاد وأكمل بناء الأبواب والسور الذى بناه جده بجبل الفتح بنوه على الازقاق المنفوخه تغوص فى الماء كلما ارتفع البناء إلى أن استقرت بقعر البحر وشقت بالخناجر فتمكن من الأرض ثم وصل السور فى البر ما بين جبل الفتح والبحر . وفتحت فيه الأبواب ثم وصلوه إلى شعاب الجبل وبقى فيه إلى أن كمل وقد استولى على بلاد الهياطله وضبط ارمينيه بالعساكر وأخذ انو شروان فى اصلاح السابله والأخذ بالعدل وتفقد أهل المملكة وتخير الولاة والعمال مقتديا بسيرة اردشير بن بابك جده ثم سار إلى بلاد الروم وافتتح حلب وقبرص وحمص وانطاكية ومدينة

فطلبه فوجده فقتله ، حكى الوراق أن قول المزدكية كقول كثير من المانوية فى الكونين والأصلين ، إلا أن مزدك كان يقول إن النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة ، تفعل على الخبط والاتفاق ، والنور عالم حساس ، والظلام جاهل أعمى ، وإن المزاج كان على الاتفاق والخبط لا بالقصد والاختيار ، وكذلك الخلاص إنما يقع بالاتفاق دون الاختيار وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة ، والمباغضة ، والقتال ، ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال ، فأحل النساء وأباح الأموال ، وجعل الناس شركة فيها ، كاشتراكهم فى الماء ، والنار ، والكلأ ، وحكي أنه أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة

ومذهبه في الأصول والأركان أنها ثلاثة ، الماء ، والنار ، والأرض ولما اختلطت حدث عنها مدبر الخير ، ومدبر الشر ، فما كان من صفوها فهو مدبر الخير ، وما كان من كدرها فهو مدبر الشر . وروى عنه أن معبوده قاعد على كرسيه فى العالم الأعلى ، على هيئة قعود خسرو [1] فى

هرقل ثم الاسكندرية وضرب الجزية على ملوك القبط وفتح فتوحا كثيرة وكان مكرما للعلماء محبا للعلم وفى أيامه ترجم كتاب (كليلة ودمنه) وترجمه من لسان الهنود وحله بضرب الأمثال وعلى عهده ولد رسول الله ﷺ لثنتين وأربعين سنة من ملكه وذلك عام الفيل . وفى أيامه رأى الموبذان الابل الصعاب تقود الخيل العراب وقد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فافزعه ذلك وعرف ان ملك العرب سيظهر ثم هلك انوشروان لثمان وأربعين سنة من دولته (ابن خلدون أول ص ٢٦٥)

(١) ملك خسرو بعد ثلاثة بينه وبين كيكاس وقد مات أبوه فى حياة جده وقد

العالم الأسفل، وبين يديه أربع قوي، قوة التمييز، والفهم، والحفظ والسرور، كما بين يدى خسرو أربعة أشخاص، موبذان[١] موبذ والهربذ[٢] الأكبر والاصبهبذ[٣] والرامشكر[٤] وتلك الأربع يدبرون أمر العالمين بسبعة من وزرائهم، سالار وپيشكار وبالون وبروان وكاردان ودستور وكودك، وهذه السبعة تدور فى اثنى عشر روحانيين، جوانده، دهنده، ستانده، برندة، خورنده، دونده، خبزنده كشنده، زننده، كننده، آينده، شونده، باينده، وكل إنسان اجتمعت له هذه القوى الأربع والسبعة والاثنى عشر صادر بانيا فى العالم السفلى وارتفع عنه التكليف، قال وإن خسر وبالعالم الأعلى إنما يدبر بالحروف التى مجموعها الاسم الأعظم، ومن تصور من تلك الحروف شيئا انفتح له السر الأكبر، ومن حرم ذلك بقى فى عمى الجهل والنسيان والبلادة

حارب الترك حروبا شديدة، انجلت عن هزيمتهم وقد ظفر بملك الترك فى اذربيجان فذبحه وانصرف ظافرا ثم ان خسرو ترهب وتزهد فى الملك واستخلف مكانه كهيراسف ثم ان خسرو غاب فى البريه وقيل مات وذلك لستين سنة من ملكه (ابن خلدون أول ص ٢٣٦)

(١) الموبذان : فقيه الفرس وحاكم المجوس كقاضى القضاة للمسلمين كالموبذ

(٢) الهرابذة فارسى معرب وهم عظماء الملة وعلماؤها أو خدم نار المجوس وهم قومة بيت النار الواحد هوبذ كزبرج

(٣) الاصبهبذ . رئيس الجنود أو القائد للجيوش

(٤) رامشكر ويظهر انه رامشنو راما المعبود وشنو من تجسد فيه المعبود وهو ابن ناسك قديس وهو رئيس المعبد أو الرئيس الدينى

والغم ، فى مقابلة القوى الأربع الروحانية ، وهم فرق الكوذكيه وأبو مسلمية[١] والماهانيه[٢] والاسبيدجامكية[٣] ، والكوذكية

---

(١) ومن الاعتقادات التى حدثت بخراسان بعد الاسلام المسلمية أصحاب أبى مسلم يعتقدون امامته ويقولون انه حي يرزق وكان المنصور لما قتل أبا مسلم هرب دعاته وأصحابه المتحققون به إلى نواحى البلاد فوقع رجل يعرف باسحق الترك إلى بلاد ماوراء النهر وأقام بها داعية لابى مسلم وادعى أن أبا مسلم محبوس فى جبال الرى وعندهم أنه يخرج فى وقت يعرفونه كما يزعم الكيسانية فى محمد بن الحنفية وسمى اسحق الترك لأنه دخل إلى بلاد الترك يدعوهم برسالة أبى مسلم وقيل انه من العلوية وانما تستر بهذا المذهب عندهم وهو من ولد يحيي بن زيد بن على خرج هاربا من بنى أمية يجول فى بلاد الترك وقيل انما كان من أهل ماوراء النهر وكان أميا وكان له تابعه من الجن فكان إذا سئل عن شيء أجاب بعد ليلة فلما كان من أبى مسلم ما كان دعا الناس اليه وزعم انه نبي انفذه زرادشت وادعى ان زرادشت حى لم يمت وأصحابه يعتقدون أنه حى لايموت وانه يخرج حتى يقيم الدين لهم وهذا من أسرار المسلمية وبعض الناس يسمى المسلمية الخرمدينية (فهرست ابن النديم ص ٤٨٣)

(٢) الماهانية طائفة من المرقيونه يخالفونهم فى شيء ويوافقونهم فى شيء فما يوافقون المرقيونية فى جميع الأحوال إلا فى النكاح والذبائح ويزعمون ان المعدل بين النور والظلمة هو المسيح ، ولا يعرف من أمرهم غير هذا (فهرست ابن النديم ص ٤٧٥)

(٣) الاسبيذجامكية أو عبيد اسبذ قال طرفه

خذوا حذركم أهل المشقر والصفا   عبيد اسبذ والقرض يجزى من القرض

عبيد اسبذقوم كانوا من أهل البحرين يعبدون البرادين واسبذ ذكر البراذين أوهم الاسبذيون قال ابن عباس رأيت رجلا من الاسبذيين ضرب من المجوس من أهل البحرين جاء إلى رسول الله ﷺ فدخل ثم خرج قلت ما قضي فيكم رسول الله عليه السلام قال : الاسلام أو القتل (المعرب ص ٣٨)

بنواحي الأهواز[١] وفارس[٢] وشهرزور[٣] والآخر بنواحي سنغد[٤]

(١) الاهواز اسم للكورة بأسرها ، أما البلد الذى يغلب عليه هذا الاسم عند العامة اليوم فانما هو سوق الاهواز قال ابوزيد الاهواز اسم هرمزشهر وهى الكورة العظيمة التى ينسب اليها سائر الكور وهى سبع كور بين البصرة وفارس وأهل الاهواز معروفون بالبخل والحمق وسقوط النفس ومن أقام بها سنة نقص عقله وهى كثيرة الحمى ووجوه أهلها مصفرة مغبرة وتخترق سوق الاهواز مياه مختلفة ، منها الوادى الأعظم عليه قنطرة عظيمة عليها مسجد واسع وعليه أرحاء عجيبة ونواعير بديعة وعلى الوادى شاذروان حسن عجيب متقن الصنعة معمول من الصخر المهندم يحبس الماء على أنهار عدة وقال الهمدانى أهل الأهواز ألأم الناس وأبخلهم وهم أصبر خلق الله على الغربة والتنقل فى البلدان ويكثر بسوق الاهواز الافاعى فى جبلها الطاعن فى منازلها المطل عليها ويقول أهل الاهواز أن جبلهم انما هو من غثاء الطوفان تحجر وهو حجر ينبت ويزيد فى كل وقت وسكرها جيد وتمرها كثير لا بأس به وكل طيب يحمل إلى الاهواز فانه يستحيل وتذهب رائحته ويبطل حتى لا ينتفع به (معجم أول ص ٣٨٠)

(٢) فارس ولاية واسعة واقليم فسيح أول حدودها من جهة العراق أرجان ومن جهة كرمان السيرجان ومن جهة ساحل بحر الهندسيراف ومن جهة السندمكران وقصبتها قديما شيراز وكورها المشهورة خمس وهى صفوة الأرض وأعد لها فيما زعموا وبها أنهار وقلاع وروى في فارس فضائل كثيرة قال ابن لهيعة فارس والروم قريش العجم وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال « أبعد الناس إلى الاسلام الروم ولو كان الاسلام معلقا بالثريا لتناولته فارس (معجم سادس ص ٣٢٤)

(٣) شهرزور كورة واسعة فى الجبال بين اربل وهمذان أحدثها زور بن الضحاك ومعنى شهر بالفارسية المدينة أهلها اكراد ومن صحاريهم يكون أكثر أقواتهم وبشهرزور مدينة تعرف بشيز وأهلها شيعة صالحية زيدية أسلموا على يد زيد ابن على وقد خرج من شهرزور من الاجلة والكبراء والأئمة والعلماء وأعيان القضاة والفقهاء ما يفوت الحصر عده وتعجز عن أحصائه النفس ومده (معجم خامس ص ٣١٢)

(٤) سغدسمرقند أو السغد ناحية كثيرة المياه نضرة الأشجار متجاوبة الاطيار

سمرقند والشاش(١) وإيلاق(٢)

الديصانية(٣)

أصحاب ديصان أثبتوا أصلين نورا وظلاما ، فالنور يفعل الخير قصدا

مونقة الرياض والأزهار ملتفة الأغصان خضرة الجنان تمتد خمسة أيام لا تقع الشمس على كثير من أراضيها ولا تبين القرى من خلال أشجارها وفيها قرى كثيرة بين بخاري وسمرقند وقصبتها سمرقند وربما قبلت بالصاد (معجم خامس ص ٨٦)

(١) الشاش وراء النهر متاخمة لبلاد الترك وهى في أرض سهلة ليس فيها جبل ولا أرض مرتفعة وهى أكبر ثغر فى وجه الترك وابنيتهم واسعة من طين وعامة دورهم يجرى فيها الماء وهى كلها مستترة بالخضرة من أنزه بلاد ماوراء النهر وقصبتها نبكت ولها مدن كثيرة خربها خوارزم شاة فجلا عنها أهلها وبقيت تلك الديار والاشجار والأنهار والأزهار خاوية على عروشها وأثلم من الاسلام ثلمة لا تنجبر ايدا (معجم خامس ص ٢١٢)

(٢) ايلاق مدينة من بلاد الشاش المتصلة ببلاد الترك على عشرة فراسخ من مدينة الشاش انزه بلاد الله وأحسنها وبها معدن الذهب والفضة بجبلها ويتصل ظهر هذا الجبل بجد ودفرغانة (معجم أول ص ٣٩٠)

(٣) الديصانية انما سمى صاحبهم بديصان باسم نهر ولد عليه وهو قبل مانى والمذهبان قريب بعضهما من بعض وانما بينهما خلف فى اختلاط النور بالظلمة فان الديصانية اختلفت فى ذلك على فرقتين فرقة زعمت أن النور خالط الظلمة با ختيار منه ليصلحها فلما حصل فيها ورام الخروج عنها امتنع ذلك عليه وفرقة زعمت أن النور أراد أن يرفع الظلمة عنه ولما أحس بخشونتها ونتنها شابكها بغير اختياره ومثال ذلك أن الانسان إذا أراد أن يرفع عنه شيئا ذا شظايا محددة دخلت فيه فكلما دفعها ازدادت ولوجا فيه وزعم ابن ديصان أن النور جنس واحد والظلمة جنس واحد وزعم بعض الديصانية أن الظلمة أصل النور وذكر أن النور حي حساس عالم وان الظلمة بضد ذلك عامية غير حاسة ولا عالمة فتكارها وأصحاب ابن ديصان بنواحى البطائح كانوا قديما وبالصين وخراسان أمم منهم متفرقون لا يعرف لهم مجمع ولا بيعة

واختيارا ، والظلام يفعل الشر طبعا واضطرارا ، فما كان من خير و نفع وطيب وحسن فمن النور وما كان من شر وضر و نتن وقبح فمن الظلام ، وزعموا أن النور حيّ عالم قادر حساس دراك ، ومنه يكون الحركة والحياة ، والظلام ميت جاهل عاجز جماد جراد لا فعل لها ولا تمييز ، وزعموا أن الشر يقع منه طباعا وخرقا ، وزعموا أن النور جنس واحد ، وكذلك الظلام جنس واحد ، وأن إدراك النور إدراك متفق ، وأن سمعه و بصره وسائر حواسه وشيء واحد ، فسمعه هو بصره ، وبصره هو حواسه ، وإنما قيل سميع بصير لاختلاف التركيب ، لا لأنهما في نفسيهما شيئان مختلفان ، وزعموا أن اللون هو الطعم ، وهو الرائحة وهو المجسه ، وإنما وجده لونا لأن الظلمة خالطته ضربا من المخالطة ، ووجده طعما لأنها خالطته بخلاف ذلك الضرب ، وكذلك تقول فى لون الظلمة ، وطعمها ورائحتها ومجستها وزعموا أن النور بياض كله ، لم يزل يلقى الظلمة بأسفل صفحته منه وأن الظلمة لم تزل تلقاه بأعلى صفحته منها ، واختلفوا فى المزاج والخلاص فزعم بعضهم أن النور داخل الظلمة ، والظلمة تلقاه بخشونة ، وغلظ فنادي بها ، وأحب أن يرققها ويلينها ، ثم يتخلص منها ، وليس ذلك لاختلاف جنسهما ، ولكن كما أن المنشار جنسه حديد ، وصفحته لينة ، وأسنانه خشنة ، فاللين فى النور ، والخشونة في الظلمة ، وهما جنس واحد فتلطف النور بلينه ، حتى يدخل تلك الفرج ، فما أمكنه إلا بتلك الخشونة ،

والمنانية كثير جدا ولابن ديصان كتاب النور والظلمة وكتاب روحانية الحق وكتاب المتحرك والجماد وله كتب كثيرة ولرؤساء المذهب في ذلك أيضا كتب لم تقع الينا (فهرست ابن النديم ص ٤٧٤)

فلا يتصور الوصول إلى كمال ووجود إلا بلين وخشونه ، وقال بعضهم بل الظلام لما احتال حتى تشبث بالنور ، من أسفل صفحته ، فاجتهد النور حتى يتخلص منه ويدفعها عن نفسه ، فاعتمد عليه فلجج فيه ، وذلك بمنزلة الانسان الذي يريد الخروج من وحل وقع فيه ، فيعتمد على رجله ليخرج فيزداد لجوجا فيه ، فاحتاج النور إلى زمان ليعالج التخلص منه ، والتفرد بعالمه ، وقال بعضهم إن النور إنما دخل الظلام اختيارا ليصلحها ويستخرج منها أجزاء صالحة لعالمه ، فلما دخل تشبث به زمانا ، فصار يفعل الجور والقبيح اضطرارا لا اختيارا ، ولو انفرد فى عالمه ما كان يحصل منه إلا الخير المحض ، والحسن البحت ، وفرق بين الفعل الضرورى والفعل الاختيارى

المرقيونية(١)

أثبتوا قديمين أصلين متضادين ، أحدهما النور والآخر الظلمة ،

---

(١) المرقيونية أصحاب مرقيون وهم قبل الديصانية وهم طائفة من النصاري أقرب من المنانية والديصانية وزعمت المرقيونية أن الاصلين القديمين النور والظلمة وان هاهنا كونا ثالثا مزجها وخالطها وقالت بتنزيه الله عز وجل عن الشرور وأن خلق جميع الأشياء كلها لا يخلو من ضر وهو مجلى عن ذلك واختلفوا فى الكون الثالث فقالت منهم طائفة هو الحياة وهو عيسى وزعمت طائفة أن عيسى رسول ذلك الكون الثالث وهو الصانع للاشياء بأمره وقدرته إلا أنهم أجمعوا على أن العالم محدث وان الصنعة بينة فيه لا يشكون فى ذلك وزعمت ان من جانب الزهومات والمسكر وصلى لله دهره وصام أبدا أفلت من حبائل الشيطان وللمرقيونية كتاب يختصون به يكتبون به ديائتهم ولمرقيون كتاب انجيل سماه ولاصحابه عدة كتب غير موجودة إلا حيث يعلم الله وهم يتسترون بالنصرانية وهم بخراسان كثير (فهرست ابن النديم (٤٧٤)

وأثبتوا أصلا ثالثا هو المعدل الجامع ، وهو سبب المزاج ، فان المتنافرين المتضادين لا يمتزجان إلا بجامع ، وقالوا الجامع دون النور فى الرتبة ، وفوق الظلمة ، وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم

ومنهم من يقول الامتزاج إنما حصل بين الظلمة والمعدل ، إذ هو قريب منها ، فامتزج به ليتطيب به ويلتذ بملاذه ، فبعث النور إلى العالم الممتزج روحا مسيحية ، وهو روح الله وابنه تحننا على المعدل السليم الواقع فى شبكة الظلام الرجيم ، حتى يخلصه من حبايل الشياطين ، فمن اتبعه فلا يلامس النساء ولم يقرب الزهومات[١] ، أفلت ونجا ، ومن خالفه خسر وهلك ، قالوا وإنما أثبتنا المعدل ، لأن النور الذى هو الله تعالى لا يجوز عليه مخالطة الشيطان ، وأيضا فان الضدين يتنافران طبعا ويتمانعان ذاتا ونفسا ، فكيف يجوز اجتماعهما وامتزاجهما ، فلا بد من معدل يكون منزلته دون النور وفوق الظلام ، فيقع المزاج معه وهذا على خلاف ما قالته المانوية ، وإن كان ديصان أقدم ، وإنما أخذ مانى منه مذهبه وخالفه في المعدل ، وهو أيضا خلاف ما قال زرادشت فانه يثبت التضاد بين النور والظلمة ، ويثبت المعدل كالحاكم على الخصمين

---

(١) الزهومة ريح لحم سمين منتن ولحم زهم ذوزهومة والزهومة الريح المنتنة وفى حديث ياجوج وماجوج وتجأى الأرض من زهمهم مصدر زهمت يده تزهم من رائحة اللحم اراد أن الأرض تنتن من جيفهم وقيل الزهومة عند العرب كراهة ريح بلا نتن أو تغير وذلك مثل رائحة لحم غث أو رائحة لحم سبع أو سمكة سهكة من سمك البحار .

الجامع بين المتضادين لا يجوز أن يكون طبعه وجوهره من أحد الضدين ، وهو الله عز وجل الذى لا ضد له ولا ند ، وحكى محمد بن شبيب عن الديصانية ، أنهم زعموا أن المعدل هو الإنسان الحساس الدراك إذ هو ليس بنور محض ، ولا ظلام محض ، وحكى عنهم أنهم يرون المناكحة وكل ما فيه منفعة لبدنه وروحه حراما ، ويحترزون عن ذبح الحيوان ، لما فيه من الألم[١] ، وحكى عن قوم من الثنوية أن النور والظلمة لم يزالا حيين ، إلا أن النور حساس عالم ، والظلام جاهل أعمى والنور يتحرك حركة مستوية ، والظلام يتحرك حركة عجرفية ، خرقاء معوجة ، فبينا كذلك إذ هجم بعض همامات الظلام على حاشية من حواشى النور ، فابتلع النور منه قطعة على الجهل لا على القصد والعلم ، وذلك كالطفل الذى لا يفصل بين التمرة والجمرة ، وكان ذلك سبب المزاج ، ثم إن النور عظم دبر فى الخلاص فبنى هذا العالم ليستخلص ما امتزج به من النور ، ولم يمكنه استخلاصه إلا بهذا التدبير

الكينوية والصيامية وأصحاب التناسخ منهم

حكى جماعة من المتكلمين أن الكينوية زعموا أن الأصول ثلاثة ، النار والأرض والماء ، وإنما حدثت الموجودات من هذه

---

(١) يتفقون فى هذا مع المنانية الذين ذهبوا إلى أنه ينبغى للذى يريد الدخول فى الدين أن يمتحن نفسه فان رآها تقدر على قمع الشهوة والحرص وترك أكل اللحمان وشرب الخمر والتناكح وترك اذية الماء والنور والسحر والرباء فليدخل فى الدين وان لم يقدر على ذلك كله فلا يدخل فى الدين (فهرست ابن النديم ٤٦٥)

الأصول ، دون الأصلين الذين أثبتهما الثنوية ، قالوا والنار بطبعها خيرة نورانية ، والماء ضدها في الطبع ، فما رأيت من خير فى هذا العالم فمن النار ، وما كان من شر فمن الماء ، والأرض متوسطة ، وهؤلاء يتعصبون للنار تعصبا شديدا ، من حيث أنها علوية نورانية لطيفة لا وجود إلا بها ، ولا بقاء إلا بامدادها ، والماء يخالفها في الطبع ، فيخالفها فى الفعل ، والأرض متوسطة بينهما ، فيتركب العالم من هذه الأصول ، والصيامية[1] منهم من أمسكوا عن طيبات الرزق ، وتجردوا لعبادة الله ، وتوجهوا فى عباداتهم إلى النيران تعظيما لها وأمسكوا أيضا عن النكاح والذبائح

والتناسخية[2] منهم قالوا بتناسخ الأرواح فى الأجساد ، والانتقال من شخص إلى شخص ، وما يلقى من الراحة والتعب والدعة والنصب ، فمرتب على ما أسلفه قبل وهو فى بدن آخر جزاء على ذلك ، والانسان

(١) والصيامية هم أهل ملة الانشنية الذين كانوا يمتنعون عن الطعام والشراب ومن طيبات ما أحل الله زهدا فى الحياة وزلفى إلى الله وتوجهوا إلى عبادة النار اعظاما لها واعتقادا بأثرها ومنعوا أنفسهم التمتع بالنساء وأكل الذبائح

(٢) وكان مذهب قدماء الهنود عجيبا شهيرا فكانوا يعتقدون ان العالم له أول وله آخر وان الله تعالى يملؤه بذاته وأن آدم وحواء لما تجاوز نعيمهما الحد حكم عليهما ان لا يعيشا إلا من عملهما وكسبهما وأن الأرواح بعد الموت تتناسخ فتمر من جسد لجسد آخر فالذي يعاقب على ذنبه تنتقل روحه لجسد حيوان خسيس وإذا تم عقابها بقدر جرمها طهرت وانتقلت من جسم ذلك الحيوان واجتمعت بجسمها الأصلى وعاشت معه فى نعيم ابدى وهذه العقيدة تمنعهم من الفسق وارتكاب الأثام وأكل لحوم الحيوان (بداية القدماء)

أبدا فى أحد أمرين ، إما في فعل ، وإما فى جزاء ، وما هو فيه ، فإما مكافأة على عمل قدمه ، وإما عمل ينتظر المكافأة عليه ، والجنة والنار فى هذه الأبدان ، وأعلى عليين درجة النبوة ، وأسفل السافلين دركة الحية ، فلا وجود أعلى من درجة الرسالة ، ولا وجود أسفل من دركة الحية

ومنهم من يقول المدرج الأعلى درجة الملائكة ، والأسفل دركة الشيطانية ويخالفون بهذا المذهب سائر التنوية ، فانهم يعنون بأيام الخلاص رجوع أجزاء النور إلي عالمه الشريف الحميد ، وبقلم أجزاء الظلام فى عالمه الخسيس الذميم

وأما بيوت[1] النيران للمجوس فأول بيت بناه افريدون[2] بيت

(١) وأما بيوت النيران ومن رسمها من ملوك الفرس قال المسعودى أول من حكى ذلك عنه أفريدون الملك وذلك أنه وجد نارا يعظمها أهلها وهم معتكفون على عبادتها فسألهم عن خبرها ووجه الحكمة منهم فى عبادتها فأخبروه بأشياء اجتذبت نفسه إلى عبادتها وأنها واسطة بين الله تعالى وبين خلقه وأنها من جنس الآلهة النورية وأشياء ذكر وهاله وجعلوا للنور مراتب وقوانين وفرقوا بين طبع النار والنور وزعموا أن الحيوان يجتذبه النور فيحرق نفسه كالفراش الطائر بالليل فما لطف جسمه يطرح نفسه فى السراج فيحرقها وغير ذلك مما يقع فى صيد الليل من الغزلان والوحش والطير وكظهور الحيتان من الماء إذا قربت من السراج فى الزوارق كما يصاد السمك ببلاده البصرة فى الليل فانهم يجعلون السرج حوالى المركب فيثب السمك من الماء اليها وانه بالنور صلاح هذا العالم وشرف النار على الظلمة إلى غير ذلك فلما أخبروا الملك افريدون بذلك أمر أن تحمل جمرة منها إلى خراسان فحملت فاتخذ لها بيتا بطوس واتخذ بيتا آخرا بمدينة بخارا يقال له بردسورة وبيتا آخر لسجستان (كواكر) كان اتخذه بهمن بن اسفنديار (نهاية الأرب أول ص ١٠٧)

(٢) وهو الذى محا آثار ثمود ومدة عمر موسى عليه السلام مائة وعشرون منها

ناربطوس[١] وآخر بمدينة بخارا[٢]، هو بردسون[٣] واتخذ لها بيتا بسجستان[٤]

فى أيام افريدون عشرون ومنها فى أيام منوجهرمائة وافريدون وهو أول من تسمى بكى فقيل كى افريدون ومعناه التنزيه أي مخلص متصل بالروحانيات وقيل معناه البهاء لأنه يغشاه نور من يوم قتل الضحاك وقيل معناه مدرك النار وهو من ملوك الطبقة الأولى من الفرس (ابن خلدون أول ص ٢٣١ و ص ١٢٨)

(١) طوس مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ وبينها وبين نيسابور قصر هائل عظيم محكم البنيان لم أر مثله علو جدران وأحكام بنيان وفى داخله مقاصير تتحير فى حسنها الأوهام وآزاج وأروقة وخزائن وحجر للخلوة (معجم سادس ص ٧٠)

(٢) بخارى من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها وكانت قاعدة ملك السامانية وهى مدينة قديمة نزهة كثيرة البساتين واسعة الفواكه جيدتها وليس بما وراء النهر وخراسان بلدة أهلها أحسن قياما بالعمارة على ضياعهم من أهل بخارى وأسمها بومجكت وهى على أرض مستوية وبناؤها خشب مشبك ويحيط بهذا البناء من القصور والبساتين والمحال والسكك المفترشه والقرى المتصلة سور حصين ويشق ربضها نهر الصغد (معجم ثان ص ٨١)

(٣) بردسون فى نهاية الأرب أول ص ١٠٧ « بردسورة »

(٤) سجستان ناحية كبيرة وولاية واسعة وأرضها سبخة ورمالها حارة بها نخيل ولا يقع بها الثلج وهى أرض سهلة لا يرى فيها جبل وأقرب جبالها منها من ناحية فره وتشتد رياحهم وتدوم على أنهم قد نصبوا عليها ارحية تدور بها وتنقل مالهم من مكان إلى مكان ولولا أنهم يحتالون فيها لطمست على المدن والقرى وبها نخل كثير وتمر وفى رجالهم عظم خلق وجلادة ويمشون فى أسواقهم وبأيديهم سيوف مشهورة ويعتمون بثلاث عمائم وأربع كل واحدة لون مابين أحمر وأصفر وأخضر وأبيض وغير ذلك من الألوان على قلانس لهم شبيهة بالمكوك ويلفونها لفا يظهر ألوان كل واحدة منها وأكثر ما تكون هذه العمائم ابريسم ولا تخرج لهم امرأة من منزل أبد وان أرادت زيارة أهلها فالليل وبها بليدة يقال لها كوكويه أهلها

يدعى كركرا[1] ، ولهم بيت نارفي نواحي بخاري يدعى قباذان ، وبيت نار يسمى كويسه[2] بين فارس[3] ، وأصبهان[4] بناه كيخسرو[5]

كلهم خوارج هذا ويظهر لى أن بيت النار الذى يدعى كركوا هو كركويه الذى سميت به هذه البليدة (معجم خامس ص ٣٧)

(١) فى نهاية الأرب جزء أول ض ١٠٧ وبيتا آخر بسجستان كواكر وأرى أن الصحيح كركويه باسم بلد كركويه وقال فى المعجم سابع ض ٢٤١ كركويه مدينة من نواحى سجستان فيها بيت نار معظم عند المجوس

(٢) وفى نهاية الأرب أول ص ١٠٨ وبيت آخر للنار يقال له كوسجة بناه كيخسرو الملك

(٣) فارس ولاية واسعة واقليم فسيح أول حدودها من جهة العراق أرجان ومن جهة كرمان السيرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السندمكران وليس بفارس بلد الاوبه جبل وقد روى فى فارس فضائل كثيرة منها قال ابن لهيعة فارس والروم قريش العجم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أبعد الناس إلى الاسلام الروم ولو كان الاسلام معلقا بالثريا لتناولته فارس (معجم سادس ص ٣٢٤)

(٤) أصبهان ، مدينة عظيمة مشهورة ، من أعلام المدن وأعيانها ويسرفون فى وصف عظمها ، وهى من نواحي الجبل فى آخر الاقليم الرابع ، قيل ولم يكن يحمل لواء ملوك الفرس من آل ساسان ألا أهل أصبهان وأصبهان صحيحة الهواء نفيسة الجو خالية من جميع الهوام لا تبلى الموتي فى تربتها ولا تتغير فيها رائحة اللحم ولو بقيت القدر بعد أن تطبخ شهرا وربما حفر الانسان بها حفيرة فيهجم على قبر له ألوف سنين والميت فيه على حاله لم يتغير وتربتها أصح تراب الأرض ويبقى التفاح فيها غضا سبع سنين ولا تسوس بها الحنطة كما تسوس فى غبرها ونهر أصبهان المعروف بزندروذ ، غاية فى الطيب والصحةوالعذوبة (معجم أول ص٢٦٩)

(٥) كيخسرو تسنم سرير الملك بالفرس فبسط على الناس ظل العدل والاحسان

وآخر بقومس[١] يسمى جرير[٢]، وبيت نار يسمى كنكدز[٣]، بناه سياوش فى مشرق الصين وآخر بارجان[٤] من فارس، اتخذه ارجان جد كشتاسف، وهذه البيوت كانت قبل زرادشت، ثم جدد

واستاصل شأفة الظلم والعدوان وتبادرت الناس سراعا إلى طاعته فعمر كل خراب وفرج عن كل مكروب فكان أعلى الملوك قدرا وأثقبهم زندا وأعلاهم جدا. وقد اشتهر بالحروب والفتوح، ثم انه ترهب وتزهد فى الملك واستخلف مكانه كيهراسف وغاب فى البرية وقيل مات لستين سنة من ملكه (الشاهنامة أول ص ١٩٩)

(١) قومس، تعريب كومس كورة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهى فى ذيل جبل طبرستان، وقصبتها المشهورة دامغان (معجم سابع ص ١٨٥)

(٢) وفى نهاية الأرب أول ص ١٠٨، وقد كان بقومس بيت نار معظم لا يدرى من بناه يقال له حريش ويقال أن الاسكندر لما غلب عليها تركها ولم يطفئها

(٣) وفى نهاية الأرب أول ض ١٠٨ وبيت نار آخر يسمى كنكدز بناه سياوش بن كاوس الجبار، وذلك فى زمن لبثه بشرق الصين مما يلى البركه

(٤) أرجان وعامة العجم يسمونها أرغان وهى مدينة كبيرة كثيرة الخير بها نخيل كثيرة، وزيتون وفواكه، الجروم والصرود وهى برية بحرية سهلية جبلية وكان أول من أنشأها فيما حكته الفرس، قباذ بن فيروز والد انوشروان العادل وقيل أن بها كهفا في جبل ينبع منه ماء شبيه بالعرق من حجارة فيكون منه هذا الموميا الأبيض الجيد وعلى هذا الكهف باب من حديد وحفظة، ويغلق ويختم بخاتم السلطان إلى يوم من السنة يفتح فيه، ويجتمع القاضى وشيوخ البلد حتى يفتح بحضرتهم ويدخل اليه رجل ثقة عريان فيجمع ماقد اجتمع من الموميا ويجعله فى قارورة فيصير ذلك مقدار مائة مثقال اودونها ثم يخرج ويختم الباب بعد قفله، إلى قابل ويوجه بما اجتمع منه إلى السلطان وخاصيته لكل صدع أو كسر فى العظم يسقى الانسان الذى قد انكسر شىء من عظمه مثل العدسة. فينزل أول ما يشربه إلى الكسر فيجبره، ويصلحه لوقته (معجم أول ض ١٧٩)

زرادشت (١) بيت نار بنيسابور (٢) وآخر بنسا ، وأمر كتشاسف أن يطلب نارا كان يعظمها جم ، فوجدوها بمدينة خوارزم (٣)

---

(١) ثم اتخذ زرادشت بيوتا للنيران ، فكان مما اتخذ بيت بمدينة نيسابور ، من بلاد خراسان وبيت بمدينة نسا والبيضاء من أرض فارس وقد كان زرادشت أمر بستاسف الملك بطلب نار كان يعظمها جم فطلبت فوجدت بمدينة خوارزم ، فنقلها بستاسف إلى مدينة دارا بجرد من أرض فارس قال البكرى ، والمجوس تعظم هذه النار مالا تعظم غيرها من النيران والبيوت وهى أكرم نيرانهم وللفرس بيت نار باصطخر فارس يعظمه المجوس كان فى قديم الزمان للاصنام فاخرجتها جمان بنت بهمن بن اسبنديار وجعلته بيت نار ، ثم نقلت عنه النار فخرب وفى مدينة سابور من أرض فارس بيت معظم عندهم اتخذه دارا بن دارا ، وفى مدينة جور من أرض فارس بيت نباه اردشير ابن بابك ، وقد كان اردشير بنى بيت نار ، يقال لها بارنوا فى اليوم الثانى من غلبته على فارس وبيت نار على خليج القسطنطينية من بلاد الروم بناه سابور حين نزل على هذا الخليج وحاصر القسطنطينية ولم يزل هذا البيت إلى خلافة المهدى وكان سابور اشترط على الروم بناء هذا البيت وبارض العراق بيت نار بالقرب من مدينة السلام بنته بوران وبيوت النيران كثيرة وهى معظمة عند المجوس (نهاية الأرب أول ص ١٠٨)

(٢) نيسابور ، مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها وأكثر شرب أهلها من قنى تجرى تحت الأرض ينزل اليها فى سراديب مهيئة لذلك ، فيوجد الماء تحت الأرض وليس بصادق الحلاوة وهى كثيرة الفواكه والخيرات (معجم ثامن ص ٣٥٦)

(٣) خوارزم ، وهو ليس اسما للمدينة انما هو اسم للناحية بجملتها فأما القصبة العظمى فقد يقال لها اليوم الجرجانية فى وجوه أهلها أثر الترك وفى طباعهم اخلاق الترك وفيهم جلد وقوة والصبر على الشقاء وقد عمروا هناك دورا وقصورا ، وكثروا وتنافسوا فى البقاع فبنوا قرى ومدنا وتسامع بهم من يقاربهم من مدن خراسان فجاءوا وساكنوهم فكثروا وعزوا فصارت ولاية حسنة عامرة وأكثر

فنقلهـــا إلي دارا بجرد [١] ويسمي آذرخو ، والمجوس يعظمونها أكثر من غيرها ، وكيخسرو لما خرج إلى غزو أفراسياب [٢] عظمها وسجدلها ، ويقال إن نوشروان هو الذى نقلها إلى الكارمان [٣] ، فتركوا

ضياعها مدن ذات أسواق وخيرات ودكاكين والشتاء عندهم شديد جـدا وليس لابنيتهم أساسات انما يقيمون أخشابا مقفصة ثم يسدونها باللبن وهذا غالب ابنيتهم والغالب على خلق أهلها الطول والضخامة وكلامهم كأنه أصوات الزرازير (معجم ثالث ص ٤٧٤)

(١٢) دارا بجرد . قرية من كورة اصطخر وبها معدن الزئبق ويقولون أن كور فارس خمس ، وقيل سبع ، أكبرها وأجلها كورة اصطخر وبها كانت قبل الاسلام خزائن الملوك واصطخر أقدم مدن فارس وأشهرها وبها كان مسكن فارس حتى تحول اردشير إلى جور وكان بمدينة جور التى ينسب اليها الورد الجوري وهو أجود أصناف الورد . وهو الأحمر الصافى بيت نار بناه اردشير له يوم عيد ، وهو على عين هناك عجيبة واليه متنزهاتهم وفى وسط جور بنيان كانت تعظمه الفرس ، بناء مثل الدكة ، تسميه العرب الطربال وتسميه الفرس بايوان وكياخرة وكان عاليا جدا بحيث يشرف الانسان منه على المدينة جميعها ورساتيقها وبنى فى أعلاه بيت نار ، واستنبط بحذائه فى جبل ماء حتى اصعد به إلى رأس الطربال وقد خربه المسلمون (مسالك الأنصار أول ص ٢٢٨ معجم رابع وثالث ص ٦ و ١٦٤)

(٢) افراسياب ملك من ملوك الترك ثار على منوشهر ، فغلبه على بابل وملكها . وسار إلى العراق فملكته ثم لما هلك منوشهر أفسد مملكة فارس وخربها فثار عليه زومر وطرده عن مملكة فارس وقد حاربه كيخسرو ، طلبا لثأر أبيه ، وكانت حروب ، انتهت أخيرا بهزيمة افراسياب والترك واتبعه كيخسرو فظفر به فى اذربيجان فذبحه وانصرف ظافرا (ابن خلدون أول ص ٢٣٢)

(٣) كرمان . ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان وهى كثيرة النخل والزرع والمواشى والضروع تشبه بالبصرة فى كثرة التمور وجودتها وسعة الخيرات وأهلها أخيار

بعضها وحملوا بعضها إلى نســـــا ، وفى بلاد الروم [١] على باب قسطنطينية [٢] بيت نار اتخذه شابور بن أردشير ، فلم يزل كذلك إلى أيام المهـدى ، وبيت نار استينيا [٣] على قرب مدينة السلام لبوران [٤] بنت كسرى ، وكذلك بالهنـــد والصين بيوت

أهل سنة وجماعة وخير وصلاح قيل أن بعض ملوك الفرس أخذ بعض الفلاسفة وأسكنهم كرمان وكان ماؤها في آبار ولا يخرج إلا من خمسين ذراعا فهندسوه حتى أظهروه على وجه الأرض ثم غرسوا بها الأشجار فالتفت كرمان كلها بالشجر فعرف الملك ذلك فقال اسكنوهم الجبال فأسكنوها فعملوا الفوارات وأظهروا الماء على رءوس الجبال (معجم سابع ص ٢٤١)

(١) الروم جبل معروف فى بلاد واسعة تضاف اليهم فيقال بلاد الروم وعاصمتها القسطنطينية مشارقها وشمالها الترك والخزر والروس وجنوبهم الشام ومغاربهم البحر والاندلس وكانت الرقة والشامات كلها تعد فى حدودها أيام الاكاسرة (معجم ثان ص ٣٢٨)

(٢) قسطنطينية كانت رومة دار ملك الروم ، حتى ملك قسطنطين فأقام ببزنطيه وبنى عليها سورا وسماها قسطنطينية والحكايات عن عظمتها وحسنها كثيرة ولها خليج من البحر يطيف بها من الشرق والشمال (معجم سابع ص٨٦)

(٣) وبارض العراق بيت نار بالقرب من مدينة السلام بنته بوران بنت كسرى ابرويز ، الملكة بالموضع المعروف باستينياء واستينيا ، قرية بالكوفة اقطعها عثمان لخباب بن الارت (نهاية الأرب أول ص ١٠٩ معجم أول ص ٢٢٦)

(٤) بوران بيت كسرى ابرويز طلب الفرس ، من يملكونه بعد فرائين ، الذى لم يكن من بيت الملك ولم يبق فى الملك سوى شهر وثمانية أيام فلم يجدوا أحدا وكانت لابرويز بيت تسمى بوران فملكوها ولما لبست التاج وتسنمت التخت وعدت الحاضرين بأنها تسير فيهم باحسن سيرة وأعدل طريقة فنثروا عليها الجواهر وأظهروا البشائر ، ثم أنها تتبعت فيروز قاتل اردشير وأرصدت له ؛ حتى قبضت عليه فأمرت

نيران (١)

به فكتف وربط بمهر ريض وأمرت غلمانها فعدوا المهر فى الميدان حتى تطايرت اشلاؤه وتفرقت أجزاؤه وبقيت ترعى الرعيــة وتحسن السيرة ، فلما انقضت من ولايتها ستة أشهر مرضت وماتت (الشاهنامة ثان ص ٢٦١)

(١) أول من عبد النار قابيل ابن آدم ، وذلك انه لما قتل أخاه هابيل هرب من أبيه إلى اليمن فجاءه ابليس لعنه الله وقال له ، إنما قبل قربان هابيل وأكلته النار لأنه كان يخدمها ويعبدها فانصب أنت أيضا نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار ، فهو أول من نصب النار وعبدها ، وأول من عظمها من ملوك الفرس جم ، وهو احد ملوك الفرس الأول ، عظمها ودعا الناس إلى تعظيمها وقال انها تشبه ضوء الشمس والكواكب لأن النور عنده أفضل من الظلمة ثم عبدت النار بالعراق وأرض فارس وكرمان وسجستان وخراسان وطبرستان والجبال واذربيجان وأران وفى بلاد الهند والسند والصين . وبنى لها في جميع هذه الاماكن بيوت للنيران ، ثم انقطعت عبادة النيران عن أكثر هذه الاماكن إلا الهند ، فانهم يعبدونها إلى يومنا هذا . وهم طائفة تدعى الاكنواطرية زعموا أن النار أعظم العناصر جرما وأوسعها حيزا وأعلاها مكانا ، وأشرفها جوهرا وأنورها ضياء واشراقا والطفها جسما وكيانا وان الاحتياج اليها أكثر من الاحتياج إلى سائر الطبائع ولا نور فى العالم إلا بها ولا نمو ولا انعقاد إلا بممازجتها وعبادتهم لها أن يحفروا أخدودا مربعا فى الأرض ويحثوا النار فيه ثم لا يدعون طعاما لذيذا ولا شرابا لطيفا ولا ثوبا فاخرا ولا عطرا فائحا ولا جوهرا نفيسا إلا طرحوه فيها تقربا اليها وتبركا بها ، وحرموا القاء النفوس فيها ، واحراق الابدان بها خلافا لجماعة أخرى من زهاد الهند . وعلى هذا المذهب أكثر ملوك الهند وعظمائها ، يعظمون النار لجوهرها تعظيما بالغا ويقدمونها على الموجودات كلها ومنهم زهاد وعباد يجلسون حول النار صائمين ، يسدون منافسهم حتى لا يصل اليها من انفاسهم نفس ، صدر عن صدر مجرم وسنتهم الحث على الاخلاق الحسنة والمنع من اضدادها وهى الكذب والحسد والحقد ، والكفاح والحرص والبغى والبطر فاذا تجرد الانسان عنها تقرب من النار (نهاية الأرب أول ص١٠٥)

وأما اليونانيون (١) فكان لهم ثلاثة أبيات ليست فيهـــا نار

---

(١) لم تكن ديانة اليونانيين تأخذهم بواجبات يؤدونها ، فى مواعيدها فكل حر في أن يعبد الهه ، أولا يعبده غير انه محرم عليه الطعن عليها أو اظهار عصيانها وقد حكموا بالقتل على سقراط لأنه شنع على الالهة تشنيعا فظيعا غير أن اليونانيين الزموا أنفسهم أشياء كثيرة لالهتهم لأنهم ديانون بطبيعتهم ، وقد تخيروا من الواجبات الدينية أجملها وأيسرها فتصوروا آلهتهم صورة نفوسهم فذهبوا لآلهتهم ، بكل ما يحبونه لأنفسهم ، فزعموا أن الآلهة تحب اللهو والطرب وتؤثر المتعة واللذائذ وغير أولئك مما يحبونه وجعلوا لكل ما يتوقون اليه الها فصوروا إله الخمر متأنقا عازفا راقصا وتقربوا إلى ابلون بالاغانى وانشاد الشعر وغير أولئك وأما كنهم المقدسة أولمبيا ، جبل الالهة وبه عرس ذوس واسكندر ، درنتش وهما نهران مقدسان وايدا جبل على قمته عرش ذوس ، يدعى الآن فازطاغ ومن آلهتهم ذوس وهناك على قمة الجبل المقدس ايدا عرش اله الآلهة وذوس المشترى تلقاه هناك متشحا بعدة القدرة تتعالى طوع أمره الغيوم . وتتوالى الصواعق يبرم ما يشاء بأمره وله العظمة والقدرة مترفعا عن سائر الآلهة ولى البرايا من عابد ومعبود . الحول حوله والقضاء قضاؤه وأبلون . وهو من أعظم معبوداتهم ويذهبون إلى أنه ابن ذوس وليتو وهو معبود الأغانى والآلات الموسيقية ذات الأوتار وكان يظهر الأمور المستقبلة ولا سيما فى هيكل دلف ويذهبون إلى انه معبود الحيوان والصناعات والعلوم والطب عند اليونان والرومان وقد بنوا له هياكل كثيرة وكان قربانهم اليه الانعام والماشية ودلفى مدينة يظهر فيها عجائبه قائمة على ذروة تحدق بها الوهاد فى جبل برتاسوس والاله اوقيانوس ابن السماء اقدم رمز للمياه والآلهة هيرا آلهه الهواء وهى أخت ذوس وزوجه وأتينا الهة الحكمة . وكانت فىأول أمرها الهة حرب وتسمى حارسة المدينة والهة الصناعة والزراعة والهة النصح والارشاد وأخيرا الهة الفلسفة والزهرة وهى عفروديت آلهة الغرام واللذة وصاحبة نطاق الجمال وآريس اله الحرب والطعن والضرب وهو الذى ولد الحمية والباس فى قلوب اليونانيين وبوزيدون اله البحر وأثره عظيم إذ ان بلادهم جزر وله معابد كثيرة فى مدينة كورنث وكان له هيكل فى جزيرة بقاس وايفايستوس

وذكرناها ، والمجوس إنما يعظمون النار لمعان ، منها ، أنها جوهر شريف علوى . ومنها ، أنها ما أحرقت إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، ومنها ، ظنهم أن التعظيم ينجيهم فى المعاد من عذاب النار ، وبالجملة هي قبلة لهم ووسيلة وإشارة

أهل الاهواء والنحل

وهؤلاء يقابلون أرباب الديانات تقابل التضاد كما ذكرنا . واعتمادهم على الفطرة السليمة ، والعقل الكامل والذهن الصافى ، فمن معطل بطال لا يرد عليه فكره براد ، ولا يهديه عقله ونظره إلى اعتقاد ، ولا يرشده فكره ، وذهنه إلى معاد ، قد ألف المحسوس ، وركن إليه ، وظن أنه لا عالم سوى ما هو فيه ، من مطعم شهي ، ومنظر بهى ولا عالم وراء عالم المحسوس ، وهؤلاء هم الطبيعيون الدهريون ، لا يثبتون معقولا ، ومن محصل نوع تحصيل قد ترقى عن المحسوس وأثبت المعقول ، لكنه يقول بحدود وأحكام ، وشريعة وإسلام ، ويظن أنه إذا حصل المعقول ، وأثبت للعالم مبدأ ومعادا ، وصل

وهو إله النار والحرارة وهو فلكانوس الرومان ومنه اتخذ العرب كلمة بركان لجبل النار وكانوا يعتقدون ان مولده فى السماء لأنه مبعث الحرارة ويزعمون انه بنى لكل اله بيتا وأديس اله الجحيم ويلحق به ربات الجحيم وأرنيس المنتقمة الهة تتولى تعذيب الخطاة وذيونيس اله الخمر ورب الكرم واللهو وكانوا يقيمون له حفلات رقص وقصف ولهو وزحل وهو قرونس والدذوس ويقال له الزمان وكانوا يقدمون له القربان من البشر فلما قام هركلبس منعها وله ثلاث هياكل فى رومة وذيمتير هى الأرض وكانت آلهة الزرع ولها معبد فى أثينا لاتزال اطلاله وغير أولئك مما ورد ذكره فى كتبهم .

إلى الـكمال المطلوب من جنسه ، فتـكون سعادته على قدر أحاطته ، وعلمه وشقاوته بقدر سفاهته وجهله ، وعقله هو المستبد بتحصيل هذه السعادة ، ووضعه هو المستعد لقبول تلك الشقاوة ، وهؤلاء هم الفلاسفة الالـهيون ، قالوا والشرائع وأصحابها أمور مصلحية عامة ، والحدود ، والأحكام ، والحلال ، والحرام ، أمور وضعية ، والشرائع لها رجال لهم حكم علمية ، وربما يؤيدون من عند واهب الصور ، باثبات أحكام ، ووضع حلال وحرام ، مصلحة للعباد ، وعمارة للبلاد ، ومايخبرون عنه من الأمور الـكائنة فى الحال ، من أحوال عالم الروحانيين من الملائـكة ، والعرش والـكرسى ، واللوح ، والقلم ، فانما هي أمور معقولة لهم ، قد عبروا عنها بصور خيالية جسمانية ، وكذلك مايخبرون من أحوال المعاد من الجنة والنار ، ثم قصور ، وأنهار ، وطيور ، وثمار فى الجنة ، فترغيبات للعوام بما تميل إليه طباعهم ، وسلاسل وأغلال ، وخزى ونـكال في النار ، فترهيبات للعوام ، ممـا ينزجر عنه طباعهم ، وإلا ففى العالم العلوى لايتصور أشكال جسمانية ، وصور جرمانية ، وهذا أحسن مايعتقدونه في الأنبياء ، لست أعنى بهم الذين أخذوا علومهم من مشـكاة النبوة ، وإنمـا أعنى بهؤلاء الذين كانوا فى الزمن الأول دهرية ، وحشيشية ، وطبيعية ، وإلهية ، قد اغتروا بحكمهم ، واستقلوا بأهوائهم وبدعهم ، ثم يتلوهم ويقرب منهم ، قوم يقولون بحدود وأحكام عقلية ، وربما أخذوا أصولها وقوانينها مؤيدة بالوحى ، إلا أنهم اقتصروا على الأول منهم ،

وما تعدوا إلي الآخرة وهؤلاء هم الصابئة الأولى ، الذين قالوا بعاذيمون وهرمس ، وهما شيث وإدريس ، ولم يقولوا بغيرهما من الأنبياء ، والتقسيم الضابط أن يقول من الناس من لا يقول بمحسوس ولا معقول وهم السوفسطائية[1] ، ومنهم من يقول بالمحسوس ولا يقول بالمعقول

---

(١) خطا انا كسجوراس بالفلسفة اليونانية خطوة جريئة فأخرجها من الطبيعة المادية وذهب إلى انه لابد ان عقلا حكيما مدبرا يسلك بالمادة سبيلا سويا فى هدى وبصيرة إلى غاية معلومة مقصودة ففرق فى تاريخ الفلسفة بين المادة المجسدة وبين القوة العقلية المجردة المتحكمة فانصرفت الفلسفة إلى البحث فى الانسان ودرسه وكان أول من شق هذه الطريق هم جماعة السوفسطائيين وهم قد انتزعوا فلسفتهم من بيئتهم فجاءت صورة دقيقة لعصرهم ولسانا ناطقا عما تكنه نفوسهم اذ أنهم وقد اعتدوا بانفسهم فانحلت عقيدتهم الدينية فلم يلبثوا ان نبذوا آلهتهم القديمة وراء ظهورهم اذ شعروا بعد ان استنارت عقولهم ان تلك الآلهة لم تكن جديرة بالعبادة والتقديس واخذوا يعللون ظواهر الكون تعليلا طبعيا دون أن يردوها إلى قوى الآلهة وقد سرت فكرة مناصبة العداوة للالهة مما أدى إلى طغيان موجة من الشك وعمد القوم إلى قديمهم يهدمونه ومحا العلم والفلسفة عقائد الدين الجامدة فانحلت الأخلاق والعادات وذهبت هيبة السلطان واحترام التقاليد ونشأت ناشئة سخروا مما توارثوه من عقائد وحطموا القوانين والاخلاق اذ رأوها اغلالا مصفدة وتعوق غرائز الانسان الطبيعية ولم يكن السوفسطائيون الا مرآة مجلوة انعكست على صفحتها صورة هذا التيار الجارف فمثلوا بفلسفتهم وتعاليمهم ما بدا من القوم فى حياتهم العملية من ميول ونزعات ولم يكن نهجهم كالفيثوغوريين أو الايليين فليست لهم اراء خاصة تربطها عقيدة فلسفية انما هم طائفة من المعلمين متفرقين فى بلاد اليونان اتخذوا التدريس حرفة فكانوا يرحلون من بلد إلى بلد يلقون المحاضرات ويتخذون لهم طلبة ويتقاضون على تعليمهم أجرا وكان هذا من أسباب كراهيتهم لمخالفتهم لعادة أسلافهم وكانوا يعلمون الشعب موضوعات مختلفة يتطلبها مجتمعهم فمن متكلم فى السياسة إلى ناثر علم البلاغة إلى مبين قواعد النحو والصرف إلى التاريخ

وهم الطبيعية[١] ، ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول ولا يقول بحدود وأحكام وهم الفلاسفة الدهرية[٢] ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول ، والحدود ، والأحكام ، ولا يقول بالشريعة والاسلام وهم الصابئة .

ومنهم من يقول بهذه كلها وبشريعة وإسلام ، ولا يقول بشريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهم اليهود والنصارى ، ومنهم من يقول بهذه كلها ، وهم المسلمون ، ونحن قد فرغنا عمن يقول بالشرائع والأديان ، فنتكلم الآن فيمن لا يقول بها ويستبد برأيه وهواه فى مقابلتهم .

والطبيعة والرياضة وغيرها مما يعدون به الشعب لأن يكون وطنيا صالحا للحياة فقد اتجهوا بعنايتهم إلى الحياة العملية دون الفلسفة النظرية التى تبحث عن الحقيقة الخالدة وانصرفوا لأخذ شبابهم لنيل مجد الحياة السياسية من أقرب طريق واخصر سبيل وأقدم السوفسطائيين عهدا هو بروتاجوراس الذي ولد حوالى سنة ٤٨٠ ق م ، وكان جوالا وكتب كتابا فى الآلهة يشكك الناس فيهم فرموه بالالحاد واحرقوا كتابه وكان الفلاسفة قبلهم يفرقون بين الحس والعقل وقالوا ان الحق يدرك بالعقل أما الحواس نخداعة غرارة ولكن السوفسطائيون نكروا عليهم هذا وذهبوا إلى الفرق بين الوجود الذهنى والوجود الخارجى فقد ينظر الناظر إلى الأرض فيراها مسطحة وهى فى حقيقة الأمر مكورة ويرى السراب ماء وهو لاماء وقد ظهر منهم من خالف هذا ولهم اراء سايرت ثورة عصرهم وطبقوها على السياسة والاخلاق وقد سلكوا كل طريق فى استمالة الناس والتأثير فيهم بما مهروا فيه من بلاغه وما أوتوه من وسائل الجدل الأخاذ (قصة الفلسفة اليونانية ص ٩٤)

(١) وهم أشياع المذهب الادى إذ أن الموجود المطلق ليس له حقيقة فى نظرهم

(٢) الدهرية بضم الدال وهم القائلون ببقاء الدهر وقدمه واستناد الحوادث اليه

الصـــابئة

قد ذكرنا أن الصبوة فى مقابلة الحنيفية ، وفى اللغة صبا الرجل إذا مال وزاغ ، وبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق ، وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة ، وقد يقال صبا الرجل إذا عشق وهوى ، وهم يقولون الصبوة ، هو الانحلال عن قيدالرجال ، وإنما مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين ، كما أن مدار مذهب الحنفاء هو التعصب للبشر الجسمانيين ، والصابئة تدعى أن مذهبنا هو الاكتساب ، والحنفاء تدعى أن مذهبنا هو الفطرة ، فدعوة الصابئة إلى الاكتساب ، ودعوة الحنفاء إلى الفطرة ،

أصحاب الروحانيات

وفى العبارة لغتان روحانى بالضم من الروح ، وروحاني بالفتح من الروح ، والروح والروح متقاربان ، فكأن الروح جوهر ، والروح حالته الخاصة به ، ومذهب هؤلاء أن للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا عن سمات الحدثان ، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله ، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه ، وهم الروحانيون المطهرون ، المقدسون جوهرا وفعلا وحالة

أما الجوهر فهم المقدسون عن المواد الجسمانية المبرءون عن القوى الجسدانية ، المنزهون عن الحركات المكانية ، والتغيرات الزمانيه ، قد جبلوا على الطهارة ، وفطروا على التقديس ، والتسبيح ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، وإنما أرشدنا إلى هذا معلمنا الأول

عاذيمون [١] وهرمس [٢] فنحن نتقرب إليهم ونتوكل عليهم ، فهم أربابنا وآلهتنا ووسائلنا وشفعاؤنا عند الله ، وهو رب الأرباب ، وإله الآلهة ، فالواجب علينا أن نطهر نفوسنا ، عن دنس الشهوات الطبيعية ، ونهذب أخلاقنا عن علائق القوي الشهوانية والغضبية ، حتى يحصل مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات ، فنسأل حاجاتنا منهم ، ونعرض أحوالنا عليهم

(١) شيث بن آدم عليهما السلام ومعنى شيث عطية الله وهبة الله ويسميه الفرس منشا وتسميه الصابئة اغناذيمون وهو استاذ ادريس عليه السلام وقد أخذ فى أول عمره بعلم شيث وإلى شيث تنتهى انساب بنى آدم

(٢) هرمس هو أدريس النبى صلى الله عليه وسلم وقد ذكر أهل التواريخ والتفسير من أخباره ما أنا فى غنى عن تسطيره وأنا ذاكر ما قاله الحكماء خاصة فقالت فرقة ولد بمصر وسموه هرمس الهرامسة ومولده بمنف وهو باليونانية ارميس أى عطارد وعند العبرانيين اخنوخ وسماه الله تعالى فى كتابه « ادريس » وقالوا ان معلمه « غوثاذيمون أو غناذيمون المصرى الذى كان أحد الانبياء اليونانيين والمصريين وقد خرج هرمس من مصر وجاب الأرض كلها ثم عاد اليها ورفعه الله اليـه بها وذلك بعد اثنتين وثمانين سنة من عمره وقالت فرقة أخرى ان ادريس ولد ببابل ونشأ بها وأنه أخذ فى أول عمره بعلم شيث ابن آدم ولما كبر ادريس آتاه الله النبوة ، فنهى المفسدين من بنى آدم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث ، فاطاعه أقلهم ، وخالفه جلهم ، فخرج ومعه من تبعه إلى مصر وأقام ومن معه بها يدعو الخلائق إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وطاعة الله عز وجل وقد علمه الله منطق الناس ليعلم كل فرقة بلسانها وقد عرفهم السياسة المدنية وقرر لهم قواعدها وعلمهم العلوم وهو أول من استخرج الحكمة وعلم النجوم فان الله أفهمه سر الفلك وعدد السنين والحساب وأول من نظر فى الطب وتكلم فيه وأول من درس الكتب ونظر فى العلوم وهو أول من بنى الهياكل ومجد الله فيها وأول من انذر بالطوفان وأول من خاط الثياب ولبسها وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ثم رفعه الله اليه مكانا عليا (اخبار العلما ص ٢)

ونصبو فى جميع أمورنا إليهم ، فيشفعون لنا إلى خالقنـــا وخالقهم ورازقنا ورازقهم ، وهذا التطهير والتهذيب ، ليس يحصل إلا باكتسابنا ورياستنا ، وفطامنا أنفسنا عن دنيات الشهوات ، استمدادا من جهة الروحانيات ، والاستمداد هو التضرع والابتهال بالدعوات ، وإقامة الصلوات ، وبذل الزكوات ، والصيام عن المطعومات والمشروبات ، وتقريب القرابين والذبايح ، وتبخير البخورات ، وتعزيم العزايم ، فيحصل لنفوسنا استعداد واستمداد من غير واسطة ، بل يكون حكمنا وحكم من يدعى الوحي على وتيرة واحدة ، قالوا والأنبياء أمثالنا فى النوع ، وأشكالنا فى الصورة ، يشاركوننا فى المادة ، يأكلون مما نأكل ، ويشربون مما نشرب ، ويساهموننا فى الصورة ، أناس بشر مثلنا فمن أين لنا طاعتهم ، وبأية مزية لهم لزم متابعتهم ، ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذاً لخاسرون[1]

---

(١) فهم قد ذهبو إلى ان الانبياء وهم بشر مثلهم ، يساوونهم فى القوة والفهم ، والعلم والغنى والفقر والصحة والمرض فامتنع أن يكون من البشر رسولا لأن الرسول لا بد أن يكون عظيما عند الله تعالى اثيرا عنده عزيزا عليه بله إن الرسول وهو بشر مثلهم يشاركهم فى جميع أمورهم ولكنه أحب الرياسة والمتبوعية فلم يجد إلى إربته سبيلا إلا بادعاء النبوة فصارت تلك شبهة لهم فى القدح فى نبوة الانبياء وبخاصة أنهم رأوهم يأكلون مما يأكل الناس ويشربون مما يشربون فلا فضل لهم على الناس لحاجتهم إلى الطعام والشراب وقد قال تعالى مخبرا عنهم « ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون منه ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم إذا لخاسرون وما حكى الله تعالى عن بعض العرب انهم قالوا لولا أنزل عليه ملك وهذا

(مقالتهم) وأما الفعل فقالوا الروحانيات هم الأسباب المتوسطون فى الاختراع والايجاد ، وتصريف ا مور ، من حال إلى حال ، وتوجيه المخلوقات من مبـدأ إلى كمال ، يستمدون القوة من الحضرة الالهية القدسية ، ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية ، فمنها مدبرات الكواكب السبع السيارة فى أفلاكها ، وهى هياكلها . ولكل روحانى هيكل ، ولكل هيكل فلك ، ونسبة الروحانى إلى ذلك الهيكل الذي اختص به نسبة الروح إلي الجسد ، فهو ربه ومدبره ومديره ، وكانوا يسمون الهياكل أربابا ، وربما يسمونها آباء والعناصر أمهات . ففعل الروحانيات تحريكها على قدر مخصوص ، ليحصل من حركاتها انفعالات فى الطبايع والعناصر فيحصل من ذلك تركيبات وامتزاجات فى المركبات فيتبعها قوى جسمانية ، ويركب عليها نفوس روحانية ، مثل أنواع النبات وأنواع الحيوان ، ثم قد تكون التأثيرات كلية صادرة عن روحانى كلي ، وقد تكون جزئية صادرة عن روحانى جزئى فمع جنس المطر ملك ، ومع كل قطرة ملك ، ومنها مدبرات الآثار العلوية الظاهرة فى الجو مما يصعد من الأرض ، فينزل مثل الأمطار

جهل لأن من حق الرسول ان يباشر الأمة بالدليل والبرهان والتثبيت والحجة لا بالصورة والخلقة بله إنا نقول ان الله تعالى لو بعث إلى البشر ملكا لكانت الشبهة أقوى فى الطعن عليه فى رسالته لأنه يخطر بالبال أن هذه المعجزات التى ظهرت لعل هذا الملك هو الذى أتي بها من عند نفسه بسبب أن قوته أكمل وقدرته أقوى فلهذه الحكمة ما بعث الله إلى البشر رسولا إلا من البشر

والثلوج والبرد والرياح ، وما ينزل من السماء مثل الأمطار والثلوج والبرد والرياح ، وما ينزل من السماء مثل الصواعق والشهب[١] ، وما يحدث فى الجو من الرعد والبرق والسحاب والضباب ، وقوس قزح[٢] وذوات الأذناب[٣] ،

---

(١) الشهاب ما يرى فى الليل كأنه كوكب انقض من ناحية السماء واختفى فى ناحية أخرى والنيازك شهب كبيرة تنقض كالشهب ولكنها تنفجر ويسمع لا نفجارها صوت شديد ثم تختفى والرجم شهب أونيازك تصل إلى الأرض كحجارة معدنية ولما كانت الشهب شبيهة بالكواكب فى الظاهر زعم العامة انها كواكب تنقض من السماء ومن يرقب السماء فى ليلة صافية لا تمر به ساعة الا ويرى فيها بعض هذه الشهب وقد يكثر انقضاضها فى بعض الليالى وبعض السنين حتى يخيل للرائى أن النجوم كلها تساقطت من السماء .

(٢) قوس قزح ، طرائق منقوشة تبدو فى السماء أيام الربيع غب المطر بحمرة وصفرة وخضرة عن ابن عباس لا تقولوا قوس قزح فان قزح اسم شيطان وقولوا قوس الله عز وجل وقد ذهب المشاءون إلى أنها خيالات وذهب الحكماء الآخرون إلى أنها حقيقة وسبب حدوثها يحتاج إلى عدة اصطلاحات وبعض مقدمات فليرجع اليها فى مظانها

(٣) ذوات الأذناب كل مافى السماء غريب عجيب مدهش ومن غرائبها ذوات الأذناب وهى أجسام كبيرة الحجم قليلة المادة تقترب إلى الشمس إما من مكان قصى أبعد من أبعد السيارات أو من مكان قريب داخل فلك المشترى وهى تتمم سيرها فى أفلاكها فى أوقات مختلفة حسب ضيق الفلك وسعته وقد رصدت مذنبات كثيرة وكلها تابع للنظام الشمسى ولا يرى مذنب منها دواما بل فى الوقت الذى يدنو فيه من الشمس ويمكن تحديد الذنب بانه جسم منير مؤلف من رأس ونواة فى قلب الرأس وذؤابة أوذنب ممتد من الرأس ورءوس ذوات الاذناب بعضها صغير يرى كالنجم وبعضها كبير يرى كالقمر وكلها كبيرة جدا ولكنها ترى كذلك لبعدها

الشاسع وقد يكون الرأس خاليا من النواة ، وربما لا يكون له ذنب طويل بل غشاوة متصلة به .

ومادة المذنب لطيفة جدا لا تحجب رؤية النجوم الصغيرة التى وراءها . وقد يبلغ من لطف مادته أنها تكون ألطف من الهواء على سطح الأرض ألف مرة وتماز المذنبات بأن أفلاكها ليست ثابتة كأفلاك السيارات . بل تتغير من وقت إلى آخر أى أن المذنب يغير سيره حسب موقعه فى الفلك وجذب السيارات له .

ورءوس المذنبات تصغر رويدا . إلى أن تصير أصغر من أن تحتفظ باستقلالها فتتمزق أو تجذبها الشمس أو السيارات وأما الذنب فانه متغير أى أن ما نراه اليوم ليس هو ما رأيناه أمس بل ما رأيناه أمس انتشر فى الفضاء وأتى غيره بدلا منه. هذا وأول من ذكر ذوات الأذناب من فلاسفة اليونان ديموقريطس الذى نشأ فى القرن الخامس قبل المسيح وقال إنها تنتج من اقتران سيارين فأنكر عليه أرسطو ذلك . وقال إنها ليست من السيارات فى شىء . ولا هى حادثة من اقتران سيار بنجم آخر ، وارتأى أنها من المتصعدات الأرضية . ولم تذكر أمة قديمة فى تاريخها سوى الصين وقد بدأ المتشاؤم منه فى الشرق ، فحسبته اليهود أنه سيف نقمة يستله ملاك من قبل الله ينتقم من الأشرار . ثم زاد الوهم . إلى أن بلغ أقصاه فى القرون الوسطى قال أبو تمام :

وخوفوا الناس من دهياء مظلمة لما بدا الكوكب الغربى ذو الذنب

وقد ذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ٢٢٢ جزء سادس ص ١٧٥ وفيها ظهر عن يسار القبلة كوكب فبقى يرى نحوا من أربعين ليلة وله شبه الذنب وكان أول ما طلع نحو المغرب ثم رؤى بعد ذلك نحو المغرب ثم رؤى بعد ذلك نحو المشرق وكان طويلا جدا . فهال الناس ذلك وعظم عليهم وخاف أهل أوربا من ظهور ذلك المذنب أكثر مما خاف غيرهم ، فان لويس الأول ملك فرنسا جزع منه جزعا شديدا واستدعى منجميه وطلب إليهم أن يخبروه ، عما ينبىء به ، فقال له رئيسهم : ظهر فى السماء نجم يتبعه الشؤم دائما ، فجزع الامبراطور . فقال المنجمون « إن النجم المشار إليه نذير من الله ينذر باقتراب الأيام السوء لكثرة معاصى الناس ، فبادر الملك إلى إصلاح

سيرته وبناء الكنائس وأنشأ الاديار فى مملكته تسكينا لغضب الله ولا تخلو سنة من حرب أو وباء أو كارثة ، وقد تسبق ذلك ظهورمذنب . فتزيد العقيدة بأنه آية غضب الله ؛ فمذنب هلى الذى ظهر منذ سنوات من المذنبات الدورية الذى يظهر كل نحو ٧٦ سنة كان قد ظهر حين غلب وليم الظافر انجلترا سنة ١٠٦٦م ذهب الانجليز أنه آية ما حل بهم من المحن وقد أشار الى ظهوره ابن الأثير فقد ذكر فى الجزء العاشر ص ١٩ فى حوادث سنة ٤٥٨ التى توافق سنة ١٠٦٦م فى العشر الأول من جمادى الأولى ظهر كوكب كبير له ذؤابة طويلة بناحية المشرق عرضها نحو ثلاثة أذرع وهى ممتدة إلى وسط السماء وبقى إلى السابع والعسرين من الشهر وغاب ثم ظهرأيضا آخر الشهر المذكور عند غروب الشمس كوكب قد استدار نوره عليه كالقمر فارتاع الناس وانزعجوا ولما أظلم الليل صار له ذوائب نحو الجنوب وبقى عشرة أيام ثم اضمحل وفى المنتظم جزء عاشر ص ٢٤٠ فى حوادث سنة ٤٥٨ وفى العشر الأول من جمادى الأولى ظهر فى السماء كوكب كبير له فى المشرق ذؤابة عرضها نحو ثلاثة أذرع وطولها أذرع كثيرة إلىحد المجرة من وسط السماء مادة إلى المغرب ولبث إلى ليلة الأحد لست بقين من هذا الشهر وغاب ثم ظهر فى ليلة الثلاثاء عند الشمس وقد استدار ثوره عليه كالقمر فارتاع الناس وانزعجوا ولما أعتم الليل رمى ذؤابته نحو الجنوب وبقى عشرة أيام حتى اضمحل ؛ ووردت كتب التجار من بعد بأن ستة وعشرين مركبا خطفت منسواحل البحرطالبة لعمان ففرقت فىالليلة الأخيرة منهذا الكوكب وهلك فيها نحو منثمانية عشرألف إنسان وجميع المتاع الذى حوته وظهر سنة ٨٦٠التىتتوافق مع سنة ١٤٥٦ عقب فتحالقسطنطينية وتوغلمحمدالفاتح فى أوربا وقد جاء ذكره فىكتاب بدائع الزهور لابناياس قل فى جزئهالثانى ص ٥٤ وفىأثناء الشهر(جمادىالأولى سنة ٨٦٠) ظهرفى السماء نجم بذنب طويل جدا وكان يظهرمن جهة الشرق ودام يطلع نحوا من شهرين وكان من نوادر الكواكب فتكلم فمايدل عليه من الأمر وزاد الكلام بسببه ثم اختفى ذلك النجم وأقام مدة طويلة نحوا من ثلاث سنين حتى وقع بمصر الطاعون ووقع بمصرأيضا الحريق ثم نقل عنصاحب مرآة الزمان . كوارث ونكبات وأحداثا وقعت وقت ظهوره فيأزمنة مختلفة فكان وقع ظهورها شديدا فى نفوس العامة وبعض الخاصة وكانوا يوجسون منها شرا وها هو

والهالة(١) والمجرة(٢) وما يحدث فى الأرض من الزلازل والمياه والأبخرة إلى غير ذلك ، ومنها متوسطات القوى السارية فى جميع الموجودات ومدبرات الهداية الشائعة ، فى جميع الكائنات ، حتى لا ترى موجودا ما ، خاليا عن قوة وهداية إذا كان قابلا لهما ،

ذا مذنب هلى فانه حينما ظهر سنة ١٩٠٩ قال بعضهم إنه سيصدم الأرض فى سيره فخاف العامة منه خوفا شديدا وذهبوا إلى انتهاء الدنيا ، وقرب الساعة ، فسبحان من بيده الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين

(١) ما أجمل القمر إذا كان بدرا ، ولكن الشمس أسطع نورا منه وأضوأ وأبهى غير أن نورها يبهر العين ويؤذيها فلا تستطيع التحديق فيها ويزيد البدر بهاء إذا دارت حوله هالة من النور كأنها جند تحيط بملك عزيز الشأن تحرسه ولا تستطيع الدنو منه مهابة وتحدث الهالة إذا كان فى الهواء بلورات صغيرة من الثلج أو الجليد فان النور الذى يمر فيها ينكسر وينحرف على زاوية تعدل نحو ٢٢ درجة فيصل إلى عين الرائى كانه أشعة صادرة من نقط حول القمر بعيدة عنه نحو ٢٢ درجة فتظهر هذه الأشعة ، فى دائرة حول القمر قطرها نحو ٤٤ درجة ، لأننا إنما نرى ما نراه فى المكان الذى تجمع فيه أشعة النور الواصلة إلى عيوننا .

وكما تحدث الهالة حول القمر ، تحدث حول الشمس أيضا ، وقد يكثر عدد الهالات ، لاختلاف أشكال البلورات التى يمر النور فيها ؛ فتولد منها دوائر مختلفة الأشكال والأوضاع ،حتى لقد يتولد منها قرنان على قرص الشمس كالقرنين اللذين يريان فى النقوش المصرية القديمة على رأس دائرة تمثل الشمس ، كأن المصرين الأقدمين رأوا هذه الحادثة الجوية فاثرت فى نفوسهم ورسموها ونقشوها وعلقوا عليها شأنا دينيا ، كبيرا ، وقد تتكون للشمس هالات كثيرة فى وقت واحد .

(٢) المجرة شىء مضىء كالسحاب ، يسير سير النجوم من الشرق إلى الغرب ، وقد ظن بعضهم أنها مؤلفة من نجوم صغيرة ، ولكن ثبت أنها لم تكن نجوما صغيرة ؛ وقد ظهر أنها تحتوى نجوما يبلغ مجموعها إلى سنة ١٩١٧ تسعة وعشرين ؛

قالوا وأما الحالة فأحوال الروحانيات من الروح والريحان والنعمة ، واللذة ، وَالراحة ، والبهجة ، وَالسرور فى جوار رب الأرباب ، كيف يخفى ثم ، طعامهم وشرابهم التسبيح والتقديس والتمجيد والتهليل ، وأنسهم بذكر الله وطاعته ، فمن قائم ومن راكع ومن ساجد ، ومن قاعد ، لا تبدل حالته لما هو فيه من البهجة واللذة ، ومن خاشع ، بصره لا يرفع ، ومن ناظر لا يغمض ، ومن ساكن لا يتحرك ومن متحرك لا يسكن ، ومن كروبى [١] فى عالم القبض [٢] ، ومن روحانى فى عالم البسط [٣] ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون

---

(١) الكروبى ، المقرب وكرب الأمر دنا وفى الحديث ، فاذا استغنى أو كرب استعف قال أبو عبد كرب أى دنا من ذلك ، وقرب ، وكل دان قريب فهو كارب وفى حديث رقيقه أيفع الغلام أو كرب ، أى قارب الايفاع ، وأكرب الاناء قارب ملأه وهذه ابل مائة أو كربها أى نحوها وقرابتها ، والكرب ، القرب والملائكة الكروبيون أقرب الملائكة إلى حملة العرش ، وقال أبو العاليه الكروبيون سادة الملائكة منهم جبريل وميكائيل ، وإسرافيل هم المقربون وأنشد لامية بن أبى الصلت

ملائكة لا يفترون عبادة كروبية منهم ركوع وسجد

وقيل من كرب الخلق أى قوته وشدته ، لقوتهم وصبرهم على العباده ، وقيل من الكرب وهو الحزن لشدة خوفهم من الله تعالى وخشيتهم إياه ؛

(٢) القبض حال الخوف ، فى الوقت ، وقيل وارد يرد على القلب يوجب الاشارة إلى عتاب وتأديب وقيل أخذ وارد الوقت

(٣) البسط حال من يسع الأشياء ولا يسعه شيء ، وقيل هو حال الرجاء ، وقيل هو وارد يوجب الاشارة إلى رحمة وأنس

والوارد مايرد على القلب من الخواطر المحمودة من غير تعمل ويطلق بازاء كل مايرد على كل اسم على القلب

ما يؤمرون [١] ، وقد جرت مناظرات ومحاورات بين الصابئة والحنفاء فى المفاضلة بين الروحانى المحض ، وبين البشرية النبوية . ونحن أردنا أن نوردها على شكل سؤال وجواب ، وفيها فوائد لاتحصى

قالت الصابئة الروحانيات أبدعت إبداعا لا من شيء لا مادة ولا هيولى [٢] ، وهي كلها جوهر واحد على سنخ (واحد) ، وجوهرها أنوار محضة لا ظلام فيها ، وهى من شدة ضيائها لايدركها الحس ، ولا ينالها البصر . ومن غاية لطافتها يحاولها العقل ، ولا يجول فيها الخيال ، ونوع الانسان مركب من العناصر الأربعة ، مؤلف من مادة وصورة ، والعناصر متضادة ومزدوجة بطباعها ، اثنان منها مزدوجان ، واثنان منها متنافران ومن التضاد يصدر الاختلاف والهرج [٣] ، ومن الازدواج يحصل الفساد والمرج [٤] فما هو مبدع لا من شيء

---

(١) وفى هذا آية ، ودلالة ، على أن الملائكة معصومون عن القبائح ، لايخالفون الله فى أوامره . ونواهيه

(٢) الهيولى ، لفظ يونانى بمعنى الأصل ، والمادة وفى الاصطلاح ، هو جوهر فى الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال ، محل للصورتين الجسمية والنوعية

(٣) الهرج . الفتنة في آخر الزمان ؛ والهرج شدة القتل وكثرته ، وفى الحديث بين يدى الساعة هرج أى قتال ، واختلاط وفتنة وعن عبد الله بن قيس الأشعرى أنه قال لعبد الله بن مسعود أتعلم الأيام التى ذكر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الهرج قال نعم بين يدى الساعة يرفع العلم وينزل الجهل ويكون الهرج

(٤) المرج ، الالتباس والفساد ، والفتنة المشكلة ، وفى التنزيل فى أمر مريج ،

لا يكون كمخترع من شيء ، والمادة والهيولى سنخ الشر ومنبع
الفساد ، فالمركب منها ومن الصورة كيف يكون كمحض الصورة
والظلام كيف يساوى النور ، والمحتاج إلى الازدواج ، والمضطر فى هوة
الاختلاف كيف يرقي إلى درجة المستغنى عنها ، أجابت الحنفاء بم عرفتم
معاشر الصابئة وجود هذه الروحانيات ، والحس مادلكم عليه ، والدليل
ما أرشدكم إليه ، قالوا عرفنا وجودها وتعرفنا أحوالها من عاذيمون
وهرمس وهما (شيث وإدريس عليهما السلام) قالت الحنفاء فقد ناقضتم
وضع مذهبكم ، فان غرضكم فى ترجيح الروحانى على الجثمانى نفى المتوسط
البشرى ، فصار نفيكم إثباتا ، وعاد إنكاركم إقرارا ، ثم من الذى يسلم أن
المبدع لا من شيء أشرف من المخترع ، عن شيء بل وجانب الروحانى
أمر واحد ، وجانب الجسمانى أمران ، أحدهما نفسه وروحه ، والثانى جسمه
وجسده ، فهو من حيث الروح مبدع بأمر البارى تعالي ، ومن حيث
الجسد مخترع بخلقه ، ففيه أثرا أمرى وخلق ، وَقولى وفعلى ، فساوى
الروحاني بجهة ، وفضله بجهة ، خصوصا إذا كان جهته الخلقية ما نقصت
الجهة الأخرى ، بل كملت وظهرت ، وإنما الخطأ عرض لكم من وجهين ،

أى فى ضلال وقال أبو اسحاق ، في أمر مختلف ملتبس عليهم ، وروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم كيف أنتم إذا مرج الدين فظهرت الرغبة واختلف الاخوان وحرق البيت
العتيق وفى حديث آخر أنه قال لعبد الله كيف أنت إذا بقيث فى حثالة من الناس
قد مرجت عهودهم وأماناتهم أى اختلطت ، ومرج العهد والأمانة والدين فسد قال
أبو دؤاد مرج الدين فأعددت له مشرف الحارك محبوك الكتد

أحدهما إنكم فاصلتم بين الروحاني المجرد ، والجسمانى المجرد ، فحكمتم أن الفضل للروحانى ، وصدقتم ، لكن المفاضلة بين الروحانى المجرد ، والجسمانى والروحانى المجتمع . ولا يحكم عاقل بأن الفضل للروحانى المجرد ، فانه بطرف ساواه . وبطرف سبقه ، والغرض فيما إذا لم يدنس بالمادة ولوازمها ، ولم يؤثر فيه أحكام التضاد والازدواج ، بل كان مستخدما لها بحيث لا ينازعه فى شىء يريده ويرضاه ، بل صارت معينات له على الغرض ، الذي لأجله حصل التركيب ، وعطلت الوحدة والبساطة . وذلك تخصيص النفوس التى تدنست بالمادة ولوازمها ، وصارت العلائق عوائق ، وليت شعرى ماذا يشين اللباس الخشن الشخص الجميل وكيف يزرى اللفظ الرائق بالمعني المستقيم ونعم ما قيل[1]

---

(١) قائله السموءل بن غريض بن عاديا . والناس يدرجون غريضا فى النسب وينسبونه إلى عاديا . جده . وهو صاحب الحصن المعروف ، بالأبلق ، بشيماء ، وبالسموءل يضرب المثل فى الوفاء لأنه أسلم ابنه . ولم يخن أمانته ، فى أدراع أودعها عنده امرؤ القيس ، لما صار إلى الشام يريد قيصر فطلبه المنذر بن ماء السماء فلجأ إلى السموءل ومعه أدراع كانت لأبيه ، فوجه المنذر بالحرث بن ظالم فى خيل وأمره أن يأخذ مال امرىء القيس من السموءل فلما نزل به تحصن منه وكان له ابن قد يفع وخرج إلى قنص . فلما رجع أخذه الحرث . ثم قال للسموءل أتعرف هذا قال نعم . هذا ابنى قال أفتسلم ما قبلك أم أقتله قال شأنك به . فلست أخفر ذمتى ، ولا أسلم مال جارى ؛ فضرب الحرث وسط الغلام فقطعه قطعتين وانصرف عنه فضرب بوفائه المثل وقال السموءل فى ذلك :

وفيت بأدرع الكندىانى　　إذا ما ذم أقوام وفيت
وأوصى عاديا يوما بأن لا　　تهدم ياسموءل مابنيت

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميـــل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل

هذا كمن خاير بين اللفظ المجرد، والمعني المجرد، اختار المعنى، قيل له بل خاير بين المعني المجرد، والعبارة والمعني، حتي لا يشك أن المعنى اللطيف فى العبارة الرشيقة أشرف من المعنى المجرد

وأما الوجه الثانى إنكم ما تصورتم من النبوة إلا كمالا وتماما فحسب، ولم يقع بصركم على أنها كمال هو مكمل غيره، ففاضلتم بين كمالين مطلقا، وماحكمتم الابالتساوى وترجيح جانب الروحانى ونحن نقول: ما قولكم في كمالين أحدهما كامل، والثانى كامل ومكمل عالم، أيهما أشرف

قالت الصابئة نوع الانسان ليس يخلو من قوتى الشهوة والغضب وهما ينزعان إلى البهيمية والسَّبعية، وَينازعان النفس الانسانية إلى طباعهما فيثور من الشهوية الحرص والأمل، ومن الغضبية الكبر والحسد، إلى غيرهما من لأخلاق الذميمة، فكيف يماثل من هذه صفته نوع الملائكة المطهرين عنهما، وعن لوازمهما ولواحقهما، صافية أوضاعهم عن النوازع الحيوانية كلها، خالية طباعهم عن القواطع البشرية بأسرها،

بنى لى عاديا حصنا حصينا وماء كلما شئت استقيت

وكانت العرب تنزل به فيضيفها وتمتار من حصنه. وتقيم هناك سوقا
(الأغانى جزء ١٩ ص ٩٨)

لم يحملهم الغضب على حب الجاه ، ولا حملتهم الشهوة على حب المال بل طباعهم مجبولة على المحبة والموافقة ، وجواهرهم مفطورة على الألفة والاتحاد ، أجابت الحنفاء بأن هـذه المغالطة مثل الأولى حذو النعل بالنعل ، فان في طرف البشرية نفسين ، نفس حيوانية ، لها قوتان ، قوة الغضب ، وقوة الشهوة ، و نفس إنسانية لها قوتان ، قوة علمية ، وقوة عملية وبتينك القوتين لها أن تجمع وتمنع ، وبهاتين القوتين لها أن تتقسم الأمور ، وتفصل الأحوال ، ثم تعرض الأقسام على العقل فيختار العقل الذى هو كالبصر النافذ له ، من العقائد الحق دون الباطل ، ومن الأقوال صدق دون الكذب ، ومن الأفعال الخير دون الشر ، ويختار بقوته العملية من لوازم القوة الغضبية الشدة والشجاعة والحميـة ، دون الذل والجبن والنذالة ويختار بها أ ضا من لوازم القوة الشهوية التآلف والتودد والبذاذة ، دون الشرة والمهانة والخساسة ، فيكون من أشد الناس حمية على خصمه وعدوه ، ومن أرحم الناس تذللا وتواضعا لوليه وصديقه ، وإذا بلغ هذا الكمال فقد استخدم القوتين ، واستعملها فى جانب الخير ثم يترقى منه إلي إرشاد الخلائق فى تزكية النفوس عن العلائق وإطلاقها عن قيد الشهوة والغضب ، وإبلاغها إلى حال الكمال[1] ، ومن المعلوم

---

(١) من ينظر فى أمر النفس الانسانيـة ، وقواها يتبين أنها تنقسم إلى ثلاثة ، أعنى القوة التى بها يكون الفكر والتميز والنظر فى حقائق الأمور ، والقوة التى بها يكون الغضب والنجدة والاقدام على الأهوال والشوق إلى التسلط والترفع وضروب

أن كل نفس شريفة عالية ذكية هذه حالها ، لاتكون كنفس لاتنازعها قوة أخرى على خلاف طباعها ، وحكم العنين العاجز ، فى امتناعه عن تنفيذ

الكرامات والقوة التى بها تكون الشهوة ، وطلب الغذاء ، والشوق إلى الملاذ . التى فى المآكل والمشارب والمناكح ؛ وضروب اللذات الحسية ؛ وهذه الثلاث متباينة . ويعلم من ذلك أن بعضها إذا قوى أضر بالآخر ، وربما أبطل أحدهما فعل الآخر ، فتقوى إحداها وتضعف بحسب المزاج والعادة أو التأديب

(١) فالقوة الناطقة وتسمى الملكية ، وآلتها التي تستعملها من البدن الدماغ ، فمتى كانت حركة النفس الناطقة معتدله ، وغير خارجة عن ذاتها وكان شوقها إلى إلى المعارف الصحيحة لا المظنونة معارف وهى بالحقيقة جهالات — حدثت عنها فضيلة العلم ، وتتبعها الحكمة

(٢) والقوة الشهوية هى التى تسمى بالبهيمية وآلتها التى تستعملها من البدن الكبد ؛ ومتي كانت حركة النفس البهيمية معتدلة منقادة للنفس العاقلة غير متأبية عليها فما تسقطه لها ولا منهمكة فى اتباع هواها ، حدثت عنها فضيلة العفة وتتبعها فضيلة السخا .

(٣) القوة الغضبية هى التي تسمى السبعية وآلتها التي تستعملها من البدن القلب ومتى كانت حركة النفس الغضبية معتدلة تطبع العاقلة فما تسقطه لها ، فلا تهيج فى غير حينها ولا تحمى أكثر مما ينبغى لها ؟ حدثت عنها فضيلة الحلم وتتبعها فضيلة الشجاعة ثم يحدث عن هذه الفضائل الثلاث باعتدالها ونسبة بعضها إلى بعض فضيلة هى كمالها وتمامها ، وهى فضيلة العدالة فلذا أجمع الحكماء على أن أجناس الفضائل أربع وهى الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة

ولا ريب ، فى أن من اصطفاهم الله لهداية خلقه . من رسله وأنبيائه ، ومن ارتضاهم لسلوك طريقهم من أصفيائه وأوليائه ؛ فقد أدبهم ربهم ، وصفى نفوسهم ، فاعتدلت قواهم ، وزكت وخلصت من كل قيد ، فوصلوا إلى الكمالات الانسانية ، وأصبحت نفوسهم روحية ، خالية من الشوائب ، فظهر أن ما ذهبت اليه الصابئة يتنافى وحقيقة الواقع .

الشهوة لا يكون كحكم المتصون الزاهد المتورع ، في إمساكه عن قضاء الوطر مع القدرة عليه ، فان الأول مضطر عاجز ، والثانى مختار قادر حسن الاختيار ، جميل التصرف ، وليس الكمال والشرف فى فقدان القوانين ، وإنما الكمال كله فى استخدام القوانين ، فنفس النبي صلى الله عليه وسلم كنفس الروحانيين فطرة ووضعا ، وبذلك الوجه وقعت الشركة وفضلها وتقدمها باستخدام القوانين التى دونها ، فلم تستخدمه ، واستعمالها في جانب الخير والنظام ، فلم تستعمله وهو الكمال [١] قالت الصابئة الروحانيات صورة مجردة عن المواد [٢] وإن قدر لها أشخاص

---

(١) قالت الحكماء : الجواهر الروحانية مبرأة عن الشهوة التي هى منشأ سفك الدماء والأرواح البشرية مقرونة بها والخالى عن منبع الشر أشرف من المبتلى به ، (الاعتراض) لا شك أن المواظبة على الخدمة مع كثرة الموانع والعوائق أدل على الاخلاص من المواظبة عليها من غير شيء من العوائق ، والموانع وذلك يدل على أن مقام البشر فى المحبة أعلى وأكمل ، وأيضا فالروحانيات لما أطاعت خالقها لم تكن طاعتها موجبة قهر الشياطين الذين هم أعداء الله ، أما الأرواح البشرية لما أطاعت خالقها لزم من تلك الطاعة قهر القوى الشهوانيـــة والغضبية وهى شياطين الانس فكانت طاعاتهم أكمل ، وأيضا فمن الظاهر أن درجات الروحانيات حين قالت لاعلم لنا إلا ما علمتنا أكمل من درجاتهم حين قالت أتجعل فيها من يفسد فيها وما ذاك إلابسبب الانكسار الحاصل من الزلة وهذا فى البشر أكمل ولهذا قال عليه السلام حكاية عن ربه تعالى لأنين المذنبين أحب إلى من زجل المسبحين . (الرازى أول ص ٣٠٨)

(٢) قالت الحكماء : الملائكة ذواتها بسيطة مبرأة عن الكثرة ، والبشر مركب من النفس والبدن ؛ والبدن والنفس ، مركبة من القوى الكثيرة والبدن مركب من الأجزاء الكثيرة والبسيط خير من المركب لان أسباب العدم للمركب أكثر

تتعلق بها تصرفاوتدبيرا ، لاممازجةومخالطة فأشخاصهانورانيةأوهيا كل كما ذكرنا ، والغرض أنها إذا كانت صورة مجردة ، كانت موجودات بالفعل ، لابالقوة ، ناقصة لا كاملة ، والمتوسط يجب أن يكون كاملا حتى يكمل غيره ، وأما الموجودات البشرية فهى صور فى مواد وأن قدر لها نفوس ، فنفوسها إما مزاجية وإما خارجة عن المزاج ، والغرض أنها إذا كانت صورا في مواد كانت موجودات بالقوة لابالفعل ، ناقصة لا كاملة ، والمخرج من القوة إلى الفعل يجب أن يكون أمرا بالفعل ، ويجب أن يكون غير ذات ما يحتاج إلى الخروج ، فان ما بالقوة لا يخرج بذاته من القوة إلى الفعل ، بل بغيره ، والروحانيات هي المحتاج

منها للبسيط ولذلك فان فردانية الله تعالى من صفات جلاله ونعوت كبريائه (الاعتراض عليه) لانسلم أن البسيط أشرف من المركب وذلك لان جانب الروحانى أمر واحد وجانب الجسمانى أمران روحه وجسمه فهو من حيث الروح من عالم الروحانيات والانوار ومن حيث الجسد من عالم الاجساد فهو لكونه مستجمعا للروحانى والجسمانى يجب أن يكون أفضل من الروحانى الصرف والجسمانى الصرف وهذا هو السر أن جعل البشر الأول مسجودا للملائكة ومن وجه آخر وهو أن الأرواح الملكية مجردات مفارقة عن العلائق الجسمانية فكأن استغراقها فى مقاماتها النورانية عاقها عن تدبير هذا العالم الجسدانى أما النفوس البشرية النبوية فانها قويت على الجميع بين العالمين فلا دوام ترقيها فى معارج المعارف وعوالم القدس يعوقها عن تدبير العالم السفلى ، ولا التفاتها إلى مناظم عالم الأجسام يمنعها عن الاستكمال في عالم الأرواح فكانت قوتها وافية بتدبير العالمين محيطة بضبط الجنسين توجب أن تكون أشرف وأعظم (الرازى أول ص ٣٠٧)

إليها حتى تخرج الجسمانيات إلى الفعل ، والمحتاج إليه كيف يساوى المحتاج

آجابت الحنفاء هـــذا الحكم الذى ذكرتموه ، وهو كون الروحانيات موجودات بالفعل غير مسلم على الاطلاق ، لأن من الروحانيات ما وجوده بالقوة أو ما فيه وجود بالقوة ، ويحتاج إلى ما وجوده بالفعل حتى يخرجه من القوة إلي الفعل ، فان النفس لها استعداد القبول من العقل عندكم والعقل له إعداد لـكل شىء ، وفيض على كل شىء وَأحدهما بالقوة والآخر بالفعل ، وهذا لضرورة الترتب فى الموجودات العلوية . فان من لم يثبت الترتب فيها لم يتمش له قاعدة عقلية أصلا ، و إذا ثبت الترتب فقد ثبت الكمال فى جانب ، والنقصان فى جانب ، فليس كل روحاني كاملا من كل وجه ولا كل جسمانى ناقصا من كل وجه ، فمن الجسمانيات أيضا ما وجوده كامل بالفعل ، وسائر النفوس أيضا محتاجة إليه ، وذلك أيضا لضرورة الترتب فى الموجودات السفلية ، وإن من لم يثبت الترتب لم يستمر له قاعدة عقلية أصلا ، وإذا ثبت الترتب ، فقد ثبت الكمال في جانب ، والنقصان فى جانب ، فليس كل جسمانى ناقصا من كل وجه . قالت وإذا سلمتم لنا أن هـذا العالم الجسمانى فى مقابلة ذلك العالم الروحانى ، وإنما يختلفان من حيث أَن ما فى هذا العالم من الأعيان فهو آثار ذلك العالم ، وما فى ذلك العالم من الصور فهو مثل هذا العالم ، والعالمـان متقابلان كالشخص والظل ،

وإذا أثبتم فى ذلك العالم ، موجودا ما بالفعل كاملا تاما ، ويصدر عنه سائر الموجودات وجودا ووصولا إلى الكمال ، فيجب أن تثبتوا فى هذا العالم أيضا موجودا ما بالفعل كاملا تاما ، حتى يصدر عنه سائر الموجودات تعلما ووصولا إلى الكمال ، قالوا وإنما طريقنا إلى التعصب للرجال ونيابة الرسل فى الصوره البشرية طريقكم فى إثبات الأرباب عندكم ، وهى الروحانيات السماوية وذلك احتياج كل مربوب إلى رب يدبره ، ثم احتياج الأرباب إلى رب الأرباب ، ومن العجب أن عند الصابئة أكثر الروحانيات قابلة منفعلة ، وإنما الفاعل الكامل واحد ، وعن هذا صار بعضهم إلى أن الملائكة أناث ، وقد أخبر التنزيل عنهم بذلك[1]

---

(١) قال تعالى (أجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون) حكموا بأنوثتهم ، فنكر الله عليهم ذلك ، بالاستفهام الانكارى أشهدوا خلقهم ، فهم لم يشهدوا خلقهم ولم يحضروه ، حتى زعموا أنهم أناث ، وهذا كقوله تعالى (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) ولقد غلوا فى كفرهم وقالوا الملائكة بنات الله ، وهم شفعاؤنا عند الله ، ودعواهم الأنوثة للملائكة ، مما لا سبيل الى معرفته ، بالدلائل العقلية ، أما الدلائل النقلية فكلها مفرعة على اثبات النبوة ، وهؤلاء الكفار ، ينكرون النبوة ، فلا سبيل لهم الى اثبات دعواهم ؛ بالدلائل النقلية ؛ فثبت أنهم ذهبوا الى ماذهبوا اليه من غير أن يعرفوه لا ضرورة ولا بدليل .

ثم أنه تعالى هددهم فقال ستكتب شهادتهم ويسألون . مما يدل على أن قولهم بغير دليل أمر منكر وتقليدهم من قاله يوجد الذم المعظيم والعقاب الشديد فهم كافرون فى حكمهم على الملائكة بالانوثة واتخاذهم اياهم آلهة وشفعاء لهم عند الله ، وقد احتج من قال بتفضيل الملائكة على البشر بهذه الآية ، فعلى قراءة عنده فالعندية عندية الفضل والقرب من الله تعالى بسبب الطاعة ، ولفظة هم توجب الحصر والمعنى انهم هم

وإذا كان الفاعل الكامل المطلق واحدا ، فماسواه قابل محتاج إلى مخرج يخرج ما فيه بالقوة إلى الفعل ، فكذلك نقول في الموجودات السفلية

الموصوفون بهذه العندية لا غيرهم فوجب كونهم أفضل من غيرهم رعاية للفظ الدال على الحصر ، وأما من قرأ عباد جمع العبد ، فقد عرف أن لفظ العباد مخصوص فى القرآن بالمؤمنين ، فقوله هم عباد الرحمن يفيد حصر العبودية فيهم . فاذا كان اللفظ الدال على العبوديه ، دالا على الفضل والشرف كان اللفظ الدال على حصر العبودية دالا على حصر الفضل والمنقبة والشرف فيهم ، وذلك يوجب كونهم أفضل من غيرهم وتطرقوا بهذا إلى تفضيل الملائكة على الأنبياء مما كان موضع خلاف فقد ذهب أهل السنة إلى تفضيل الأنبياء على الملائكة وأجاز بعضهم أن يكون فى المؤمنين من هو أفضل من الملائكة ولم يشر بذلك إلى واحد بعينه ولم يقل أحد من أهل الحديث بتفضيل الملائكة على الأنبياء غير الحسين ابن الفضل البجلى واختلفت المعتزلة فى هذا فزعم أكثرهم أن الملائكة أفضل من الأنبياء حتى فضلوا زبانية النار على كل شىء وزعم آخرون منهم أن من لا معصية له من الملائكة أفضل من الأنبياء فاما من عصى منهم أدنى معصية كهاروت وماروت فان الأنبياء أفضل منهم ، وهذا قول الاصم منهم وزعمت الأمامية أن الأئمة أفضل من الملائكة وزعمت الغلاة منهم فى أنفسهم أنهم أفضل من الملائكة وهذا قول البزيعية من الخطابية . وقد استدل من قال بتفضيل الملائكة على الأنبياء عليهم السلام بقول الله تعالى « لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ، ولا الملائكة المقربون » وهذا لا يدل على ما قصدوه لأنه قد يقال مثل هذا فى المتساويين على أنه جمع الملائكة ونحن لا نقول فى أحد من الأنبياء أنه أفضل من الملائكة بأجمعها وان قلنا فيه أنه أفضل من كل واحد منهم كما لا نقول فى النبى عليه السلام أنه أعلم من جميع الملائكة وإن كان جائزا أن يكون أعلم من كل واحد منهم واستدلوا بقوله « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وهذا يحتمل أن يكون معناه انه منعكما منها لأنه يريد أن يجعلكما ملكين وعلما أنهما أفضل من الملائكة فرغبا عن سقوط درجتهما ، فلذلك أقدما على الاكل من الشجرة ، وقد روى أصحابنا عن ابن عباس وأعلام الصحابة تفضيل الأنبياء على الملائكة .

النفوس البشرية كلها قابلة للوصول إلى الكمال بالعلم والعمل ، فيحتاج إلى مخرج ما فيها بالقوة إلى الفعل ، والمخرج هو النبي والرسول . وماهو مخرج الشيء من القوة إلى الفعل ، لا يجوز أن يكون أمرا بالقوة محتاجا ، فان مالم يتحقق بالفعل وجودا لايخرج غيره من القوة إلى الفعل فالبيض لايخرج البيض من القوة إلى صورة الطير ، بل الطير يخرج البيض وهذا الجواب يماثل الجواب الأول من وجه ، وفيه فائدة أخرى من وجه آخر وأن عند الحنفاء المعقول لا يكون معقولا حتى يثبت له مثال فى المحسوس ، وإلا كان متخيلا موهوما ، والمحسوس لا يكون محسوسا ، حتى يثبت له فى المعقول ، وإلا كان سرابا[1] معدوما ، وإذا ثبتت هذه القاعدة ، فمن أثبت عالما روحانيا ، وأثبت فيه مدبرا كاملا من جنسه وجوده بالفعل ، وفعله إخراج الموجودات من القوة إلى الفعل بفيض الصور عليها ، على قدر الاستحقاق ، فيلزمه ضرورة أن يثبت عالما جسمانيا ويثبت فيه مدبرا كاملا من جنسه وجوده بالفعل وفعله إخراج

---

(١) السراب الآل وقيل الآل هو الذى يكون ضحى كالماء بين السما والأرض يرفع الشخوص ويزهاها . فاما السراب فهو الذى يكون نصف النهار لاطئا بالأرض كأنه ماء جار ، وقال ثعلب الآل فى أول النهار وأنشد « إذ يرفع الآل رأس الكلب فارتفعا » وقال اللحياني السراب يذكر ويؤنث ، وفي حديث قس بن ساعدة قطعت مهمها وآلا فآلا ، الآل السراب والمهمه القفر الأصمعى الآل والسراب واحد وخالفه غيره فقال الآل من الضحا إلى زوال الشمس والسراب بعد الزوال إلى صلاة العصر واحتجوا بأن الآل يرفع كل شىء حتى يصير آلا أى شخصا ، وآل كل شىء شخصه وان السراب يخفض كل شىء فيه حتى يصير لاصقا بالأرض لا شخص له وقال يونس تقول العرب الآل منذ غدونا إلى ارتفاع الضحا الأعلى ثم هو سراب سائر اليوم .

الموجود من القوة إلى الفعل ، بفيض الصور عليها على قدر الاستحقاق ويسمى المدبر فى ذلك العالم الروح الأول على مذهب الصابئة ، والمدبر فى هذا العالم الرسول ، والروح مناسبة وملاقاة عقلية ، فيكون الروح الأول مصدرا ، والرسول مظهرا ، ويكون بين الرسول ، وسائر البشر مناسبة وملاقاة حسية ، فيكون الرسول مؤديا ، والبشر قابلا

قالت الصابئة ، الجسمانية مركبة من مادة وصورة ، والمادة لها طبيعة عدمية ، وإذا بحثنا عن أسباب الشر والفساد ، والسفه والجهل ، لم نجد لها سببا سوى المادة والعدم [1] ، وهما منبعا الشر ، والروحانيات غير مركبة من المادة والصورة ، بل هى صورة مجردة ، والصورة لها طبيعة وجودية ، وإذا بحثنا عن أسباب الخير والصلاح والحكمة والعلم ، لم نجد لها سبباً سوى الصورة ، وهى منبع الخير ، فتقول ما فيه أصل الخير أو ما هو أصل الخير ، كيف يماثل ما فيه أصل الشر ، أجابت الحنفاء بأن

(١) قالت الحكماء الروحانيات أبدية الوجود مبرأة عن طبيعة التغير والعدم والنفوس الناطقة البشرية ليست كذلك (الاعتراض) المقدمتان ممنوعتان أليس إن الروحانيات ممكنة الوجود لذواتها واجبة الوجود بمادتها فهى محدثة سلمنا ذلك فلا نسلم أن الأرواح البشرية حادثة بل هى عند بعضهم أزلية وهؤلاء قالوا هذه الأرواح كانت سر مدية موجودة كالأظلال تحت العرش يسبحون بحمد ربهم إلا إن المبدىء الأول أمرها حتى نزلت إلى عالم الأجساد وسكنات المواد فلما تعلقت بهذه الأجسام عشقتها واستحكم الفها بها فبعث من تلك الأظلال أكملها وأشرفها إلى هذا العالم ليحتال فى تخليص تلك الأرواح عن تلك السكنات وهذا هو المراد من باب الحمامة المطوقة المذكورة فى كتاب كليلة ودمنة (الرازي أول ص ٣٠٨)

ما ذكرتم فى المادة أنها سبب الشر فغير مسلم ، فان من المواد ما هو سبب الصور كلها عند قوم ، وذلك هو الهيولى الأولى ، والعنصر الأول حتى صار كثير من قدماء الفلاسفة ، إلى أن وجودها قبل وجود العقل ثم أن سلم فالمركب من المادة والصورة ، كالمركب من الوجوب والجواز عندكم ، فان الجواز له طبيعة عدمية ، وما من وجود سوى وجود البارى تعالى إلا وجوده جائز بذاته ، وواجب بغيره ، فيجب أن يلازمه أصل الشر ، قالوا وإن سلم لكم أيضاً تلك المقدمة أيضاً فعندنا صور النفوس البشرية ، وخصوصاً صور النفوس النبوية كانت موجودة قبل وجود المواد ، وهى المبادىء الأول حتى صار كثير من الحكماء إلى اثبات أناس سرمديين ، وهى الصور المجردة التى كانت موجودة كالظلال حول العرش ، يسبحون بحمد ربهم ، وكانت هى أصل الخير ومبدأ الوجود ، لكن لما ألبست الصور البشرية لباس المادة ، تشبثت بالطبيعة ، وصارت المادة شبكة لها فساح عليها الواهب الأول فبعث إليها واحداً من عالمه وألبسه لباس المادة ، ليخلص الصور عن الشبكة ، لا ليكون هو المتشبث بها ، المنغمس فيها المتوسخ بأوضارها ، المتدنس بآثارها ، وإلى هذا المعنى أشارت حكماء الهند رمزاً بالحمامة المطوقة[1] ،

---

(١) وهى فى كتاب كليلة ودمنة وهى مثل عن اخوان الصفاء كيف يبتدىء تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض والعاقل لايعدل بالاخوان شيئا فالاخوان هم الأعوان على الخير كله والمؤاسون عند ما ينوب من المكروه ومن أمثال ذلك مثل الحمامة =

والحمامات الواقعة فى الشبكة ، ثم قالوا معاشر الصابئة أبدا تشنعون علينا بالمادة ولوازمها . وما لم يفصل القول فيها لم ينج من تشنيعكم ، فنقول النفوس البشرية ، وخصوصاً النبوية من حيث أنها نفوس فهى مفارقة للمادة ، مشاركة لتلك النفوس الروحانية ، أما مشاركة فى النوع بحيث يكون التمييز بالأعراض ، والأمور العرضية ، وإما مشاركة فى الجنس بحيث يكون الفصل بالأمور الذاتية ، ثم زادت على تلك النفوس باقترانها بالجسد ، أو بالمادة والجسد لم ينتقص منها ، بل كملت هي لوازم الجسد ، وكملت بها حيث استفادت من الأمور الجسدانية ما تجسدت بها فى ذلك العالم ، من العلوم الجزئية والأعمال الخلقية والروحانية ، فقدت هذه الأبدان ، لفقدان هذا الاقتران فكان الاقتران خيراً لا شر فيه ، وصلاحا لا فساد معه ، و نظاما لا ثبج[١] له ، فكيف لزمنا ما ذكرتموه ، قالت الصابئة الروحانيات نورانية علوية لطيفة[٢] ، والجسمانيات ظلمانية كثيفة ، فكيف يتساويان والاعتبار

= المطوقة ومعها حمام كثير وقعن فى الشبكة فتعاون ولم يتخاذلن حتى نجون من شبكة الصياد

(١) الثبج الاضطراب والتنوء ورجل ثبج مضطرب الخلق مع طول وثبج الراعى بالعصا تثبيجا أى جعلها على ظهره وجعل يديه من ورائها وذلك إذا أعيا ورجل أثبج أحدب والاثبج أيضا الناتىء الصدر وفيه ثبج وثبجه .

(٢) قالت الحكماء الروحانيات نورانية علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية سفلية كثيفة . وبدائه العقول تشهد بأن النور أشرف من الظلمة ، والعلوى خير من السفلى والللطيف أكمل من الكثيف (الاعتراض) هذا كله إشارة إلى المادة ، وعندنا سبب الشرف الانقياد لأمر رب العالمين . الى ما قال « قل الروح من أمر

فى الشرف والفضيلة بذوات الأشياء وصفاتها، ومراكزها ومحالها. فعالم الروحانيات العلو لغاية النور واللطافة، وعالم الجسمانيات السفل لغاية الكثافة والظلام. والعالمان متقابلان، والكمال للعلوى لا للسفلى والصفتان متقابلتان، والفضيلة للنور لا للظلمة.

أجابت الحنفاء، قالوا لسنا نوافقكم أولا إن الروحانيات كلها نورانية، ولا نساعدكم ثانياً إن الشرف للعلو، ولا نساهلكم أصلا إن الاعتبار فى الشرف بذوات الأشياء وعلينا بيان هذه المقدمات الثلاث، فان فيها فوائد أما الأولى فقالوا حكمتم على الروحانيات حكم التساوى وما اعتبرتم فيها التضاد والترتب، وإذا كانت الموجودات كلها روحانيها وجسمانيها على قضية التضاد والترتب، فلم أغفلتم الحكمين

ربى » أى هو أمر عظيم، وشأن كبير من أمر الله تعالى، مبهما له، وتاركا تفصيله ليعرف الانسان، على القطع عجزه. عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها وإذا كان الانسان فى معرفة نفسه هكذا، كان بعجزه عن إدراك حقيقة الحق أولى، وحكمة ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له دلالة على أنه عن إدراك خالقه أعجز. هذا، إلى أن بعض العلماء قال: إن الله تعالى خلق الروح من ستة أشياء من جوهر النور والطيب، والبقاء والحياة والعلم والعلو ألا ترى أنه ما دام فى الجسد كان الجسد نورانيا. يبصر بالعينين، ويسمع بالأذنين ويكون طيبا فاذا خرج من الجسد نتن الجسد ويكون، باقيا، فاذا فارقه الروح بلى، وفنى. ويكون حيا وبخروجه يصير ميتا. ويكون عالما، فاذا خرج منه الروح لم يعلم شيئا، ويكون علويا لطيفا توجد به الحياة بدلالة قوله تعالى فى صفة الشهداء، بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين، وأجسامهم قد بليت بالتراب. وذهاب الصابئة، إلى ادعاء الشرف بسبب شرف المادة هو حجة اللعين الأول. فلعن، وطرد؛ وكان من المنظرين الى يوم الدين (الرازى أول ص ٣٠٨ القرطبي عاشر ص ٣٢٤ مجمع البيان ثالث ص ٤٣٧)

ها هنا ، وذلك إن من قال الروحاني هو ما ليس بجسمانى ، فقد أَدخل جواهر الشياطين والأبالسة والأراكنة[1] فى جمـلة الروحانيات ، وكذلك من ، أثبت الجن أثبتها روحانية لا جسمانية ، ثم من الجن من هو مسلم ، ومنها من هو ظالم ، ومن قال الروحانية هو المخلوق روحا ، فمن الأرواح من هو خـير ، ومنها من هو شرير ، والأرواح الخبيثة أضداد الأرواح الطيبة ، فلا بد إذاً من إثبات تضاد بين الجنسين ، وتنافر بين الطرفين ، فلم نسلم دعواكم أنها نورانية ، بلى وعندنا معاشر الحنفاء ، الروح هو الحاصل بأمر البارى تعالى ، الباقى على مقتضى أمره ، فمن كان لأمره تعالي أطوع وبرسالات رسله أصدق ، كانت الروحانية فيـه أكثر ، والروح عليه أغلب ، ومن كان لأمره تعالى أنـكر ولشرائعه أكذب ، كانت الشيطنة عليه أغلب ، هـــذه قاعدتنا فى الروحانيات ، فلا روحانى أبلغ فى الروحانية من ذوات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأما قولـكم إن الشرف للعلوان عنيتم به علو الجهة ، شرف فيه ، فـكم من عال جهة سافل ، رتبة ، وعلما ، وذاتا ، وطبيعة ، وَكم من سافل جهة عال علي الأشياء كلها رتبة ، وفضيلة ، وذاتاً ، وَطبيعة ، وأما قولـكم إن الاعتبار فى الشرف بذوات الاشياء وصفاتها ومحالها وَمراكزها ، فليس بحق ، وهو مذهب اللعين الاول

---

(١) الأراكنة ، جمع أركون ، وهو العظيم من الدهاقين والدهقان القوى على التصرف مع حدة ويريد به الشياطين الموردة .

الاوَل ، حيث نظر إلى ذاته ، وذات آدم عليه السلام ففضل ذاته إذ هي مخلوقة من النار[١] وهى علوية نورانية على ذات آدم ، وَهو مخلوق من الطين ، وهو سفلى ظلمانى ، بل عندنا الاعتبار فى الشرف بالأمر ، وقبوله فمن كان أقبل لأَمره وأطوع لحكمه ، وأَرضى بقدره ، فهو أشرف ، ومن كان على خلاف ذلك ، فهو أبعد وأخس وَأخبث ، فأمر البارى تعالى هو الذى يعطى الروح (قل الروَح من أمر ربى) وبالروح يحيا الانسان الحياة الحقيقية ، وَبالحياة يستعد للعقل الغريزى ، وبالعقل يكتسب الفضائل ، ويجتنب الرذائل ، ومن لم يقبل أمر البارى تعالى فلا روح له ، ولا حياة له ، ولا عقل له ، ولا فضيلة ولا شرف عنده

قالت الصابئة الروحانيات فضلت الجسمانيات بقوتي العلم والعمل[٢] ، أَما العلم فلا ينكر احاطتهم بغيبات الامور عنا ، واطلاعهم

(١) وكان بشار يدين بالرجعة ، ويكفر جميع الأمة ، ويصوب رأي إبليس فى تقديم النار على الطين ، وذكر ذلك فى شعره فقال :

الأرض مظلمة والنار مشرقة   والنار معبودة مذ كانت النار

(الأغانى ثالث ص ١٤٥) .

(٢) قالت الحكماء الروحانيات السماوية ، فضلت الجسمانيات ، بقوى العلم والعمل ، أما العلم فلا تفاق الحكماء على إحاطة الروحانيات السماوية بالمغيبات وإطلاعها على مستقبل الأمور وأيضا فعلومهم فعلية نظرية كلية دائمة ، وعلوم البشر على الضد فى كل ذلك ، وأما العمل فلأنهم مواظبون على الخدمة دائما يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، لا يلحقهم نوم العيون ، ولا سهو العقول ، ولا غفلة الأبدان ، طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس والتمجيد ، والتهليل وتنفسهم بذكر الله ، وفرحهم بخدمة الله ، متجردون من العلائق البدنية ، غير محجوبين بشىء من القوى الشهوانية

على مستقبل الأَحوال الجارية علينا ، ولان علومهم كلية ، وعلوم الجسمانيات جزئيـة ، وعلومهم فعلية ، وعلوم الجسمانيات انفعالية وعلومهم فطرية ، وعلوم الجسمانيات كسبية ، فمن هذه الوجوه تحقق لها الشرف على الجسمانيات ، وأما العمل فلا ينكر أيضاً عكوفهم على العبادة ، ودوامهم على الطاعة (يسبحون الليل والنهار لا يفترون[1])

والغضبية فأين أحد القسمين من الآخر (الاعتراض) لا نزاع فى كل ما ذكرتموه إلا أن ههنا دقيقة وهي أن المواظب على تناول الأغذية ، اللطيفة لا يلتذ بها كما يلتذ المبتلى بالجوع أياما كثيرة . فالملائـكة بسبب مواظبتهم على تلك الدرجات العالية لا يجدون من اللذة مثل ما يجد البشر ، الذين يكونون فى أكثر الأوقات محجوبين بالعلائق الجسمانية والحجب الظلمانية ، فهذه المزية من اللذة مما يختص بها البشر ولعل هذا هو المراد من قوله تعالى « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان » فان أدراك الملائم بعد الابتلاء بالمنافى ألذ من أدراك الملائم على سبيل الدوام ولذلك قالت الأطباء أن الحرارة فى حمى الدق ، أشد منها فى حمى الغب لـكن حرارة الحمى فى الدق إذا دامت ، واستقرت بطل الشعور بها ، فهذه الحالة لم تحصل للملائـكة ، لأن كمالاتها دائمة ، ولم تحصل لسائر ، الأجسام لأنها كانت خالية عن القوة المستعدة لادراك المجردات ، فلم يبق شيء ممن يقوى على تحمل هذه الأمانة إلا البشر . (الرازى أول ص ٣٠٨)

(١) يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، فهم يصلون ويذكرون الله ، وينزهونه دائماً ، فتسبيحهم متصل دائم ، يشغل جميع أوقاتهم ، لا تتخلله ، فترة ، بفراغ ، أو بشغل آخر ، لا يفترون ، ولا يسأمون . يلهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس ، قال عبد الله بن الحرث سألت كعبا فقلت أمالهم شغل عن التسبيح ، أما يشغلهم عنه شيء ، فقال من هذا فقلت من بنى عبد المطلب ، فضمنى إليه وقال يابن أخى هل يشغلك شيء عن النفس ، إن التسبيح لهم بمنزلة النفس ، وقد استدل بهذه الآية من قال إن الملائـكة أفضل من بنى آدم . وقد اختلف العلماء فى هذا ، أيما أفضل الملائـكة

لا يلحقهم كلال ولا سآمة . ولا يرهقهم ملال ولا ندامة ، فتحقق لها الشرف أيضاً بهذه الطريق وكان أمر الجسمانيات بالخلاف من ذلك

أجابت الحنفاء عن هذا بجوابين (أحدهما) التسوية بين الطرفين وإثبات زيادة فى جانب الأنبياء ، والثانى بيان ثبوت الشرف فى غير العلم والعمل . أما لأول، قالوا علوم الأنبياء كلية وجزئية ، وفعلية وانفعالية وفطرية وكسبية ، فمن حيث يلاحظ عقولهم عالم الغيب منصرفة عن عالم الشهادة ، يحصل لهم العلوم الكلية فطرة دفعة واحدة ، ثم إذا لاحظوا عالم الشهادة حصلت لهم العلوم الجزئية اكتساباً بالحواص على

أو بنو آدم على قولين ، فذهب قوم إلى أن الرسل من البشر أفضل من الرسل من الملائكة والأولياء من البشر أفضل من الأولياء من الملائكة ، وذهب آخرون إلى الملأ الأعلى أفضل ، احتج من فضل الملائكة بأنهم «عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) ، وبقوله تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون) . وقوله : (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك) وفى البخارى يقول الله عز وجل . (من ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم) وهذا نص فى فضلهم ، واحتج من فضل بنى آدم بقوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريئة) بالهمز . من برأ الله الخلق ، وقوله عليه السلام (إن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم) ، وبما جاء فى أحاديث من أن الله تعالى يباهى بأهل عرفات الملائكة ولا يباهى إلا بالأفضل والله أعلم :

وقال بعض العلماء ولا طريق الى القطع بأن الأنبياء أفضل من الملائكة . ولا القطع بأن الملائكة خير منهم ، لأن طريق ذلك خبر الله تعالى وخبر رسوله أو إجماع الأمة وليس هاهنا شيء من ذلك . (القرطبى الحادى عشر والأول ص ٢٧٨ و ص ٢٤٧)

ترتيب وتدريج ، فكما أن للانسان علوما فطرية هى المعقولات ، وعلوما حاصلة بالحواس ، عن المحسوسات ، فعالم المعقولات بالنسبة إلى الأنبياء كعالم المحسوسات بالنسبة إلى سائر النـاس ، فنظرياتنا فطرية لهم ، ونظرياتهم لا نصل إليها قط ، بل ومحسوساتنا مكتسبة لهم ، ولنا بكواسب الجوارح جوارح الحواس ، فأمزجة الأنبياء عليهم السلام أمزجة نفسانية ونفوسهم نفوس عقليـــة ، وعقولهم عقول أمرية فطرية ، ولو وقع حجاب في بعض الأوقات ، فذاك لموافقتنا ومشاركتنا كى تزكي هذه العقول ، وتصغي هذه الأذهان والنفوس ، وإلا فدرجاتهم وراء ما يقدر (الثانى) إنهم قالوا من العجب أنهم لا يعجبون بهذه العلوم ، بل ويؤثرون التسليم على البصيرة ، والعجز على القدرة ، والتبرى من الحول ، والقوة علي الاستقلال ، والفطرة على الاكتساب ، ولا أدرى ما يفعل بى ولا بكم ، على « إنما أوتيته على علم عندى » ، ويعلمون أن الملائكة والروحانيات بأسرها وان علمت إلى غاية ، قوة نظرها وإدراكها ، ما أحاطت بما أحاط به علم البارىء تعالى ، بل لكل منهم مطرح نظر ومسرح فكر ، ومجال عقل ، ومنتهى أمل ، ومطار وهم وخيال ، وإنهم إلى الحد الذى انتهى نظرهم إليه مستبصرون ، ومن ذلك الحد إلى ما وراءه مما لا يتناهي مسلمون مصدقون ، وإنما كمالهم فى التسليم لما لا يعلمون ، والتصديق لما يجهلون ، ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ، ليس كمال حالهم بل ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، هو الكمال ، فمن

أين لكم معاشر الصابئة ، إن الكمال والشرف فى العلم والعمل ، لا فى التسليم والتوكل ، وإذا كانت غاية العلوم هذه الدرجة ، فجعلت نهاية أقدام الملائكة والروحانيين بداية أقدام السالكين من الأنبياء والمرسلين (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) فعالم الروحانيات بالنسبة إليهم شهادة ، وبالنسبة إلينا غيب ، وعالم البشر الجسمانيات بالنسبة إلينا شهادة وبالنسبة إليهم غيب ، والله سبحانه وتعالى (هو الذى يعلم السر وأخفى) قالت الحنفاء ، من علم أنه لا يعلم ، فقد أحاط بكل علم ، ومن اعترف بالعجز عن أداء الشكر ، فقد أدى كل الشكر ، قالت الصابئة : الروحانيات لهم قوة تصريف الأجسام ، وتقليب [1] الأجرام ،

---

(١) قالت الحكماء الروحانيات لهم قوة على تصريف الأجسام ، وتقليب الأجرام . والقوة التى هى لهم ، ليست من جنس القوى المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب ثم إنك ترى الخامة اللطيفة من الزرع فى بدء نموها تفتق الحجر وتشق الصخر وما ذاك إلا لقوة نباتية فاضت عليها من جواهر القوى السماوية فما ظنك بتلك القوى السماوية والروحانيات هى التى تتصرف فى الأجسام السفلية تقليبا ، وتصريفا . لا يستثقلون حمل الأثقال ولا يستصعبون تحريك الجبال . فالرياح تهب بتحريكاتها والسحاب تعرض وتزول بتصريفها . وكذا الزلازل تقع فى الجبال بسبب من جهتها والشرائع ناطقة بذلك على ما قال تعالى ، (فالمقسمات أمرا) والعقول أيضا دالة عليه ، والأرواح السفلية ليست كذلك ، فأين أحد القسمين من الآخر والذى يقال من أن الشياطين التى هى الأرواح الخبيثة تقدر على ذلك وبتقدير التسلم فلا نزاع فى أن قدرة الملائكة على ذلك أشد وأكمل ولأن الأرواح الطيبة الملكية تصرف قواها الى مناظم هذا العالم السفلى ومصالحها والأرواح الخبيثة تصرف قواها الى الشرور ، فأين أحدهما من الأخر :

(الاعتراض) لا يبعد أن يتفق في النفوس الناطقة البشرية نفس قوية كاملة

والقوة التى لهم ليست من جنس القوى المزاجية ، حتى يعرض لهـــا كلال ولغوب فتتحسر ، ولـكن القوى الروحانية بالخواص الجسمانية أشبه ، وإنك ترى الخامة[١] اللطيفة من النبات فى بدء نموها تفتق الحجر وتشق الصخر ، وما ذلك إلا لقوة نباتية ، فاضت عليها من القوة السماوية ولو كانت هى قوى مزاجية لما بلغت إلى هذا المنتهى ، فالروحانيات هى التى تتصرف فى الأجسام تقليباً وتصريفاً ، لا يثقلهم حمل الثقيل ، ولا يستخفهم تحريك الخفيف ، فالرياح تهب بتحريكها ، والسحاب تعرض وتزول بتصريفها ، وكذلك الزلازل تقع فى الجبال بسبب من جهتها ، وكل هـذه ، وإن استندت إلى أسباب جزئية فانها تستند فى الآخرة إلى أسباب من جهتها ، ومثـل هذه القوة عديم الوجود فى الجسمانيات ، أجابت الحنفاء ، وقالوا منا يقتبس تفصيل القوى وتجنيسها فان القوى تنقسم إلى قوى معدنية ، وقوى نبانية ، وقوى حيوانية ، وقوي إنسانية ، وقوى ملـكية روحانية ، وقوى نبوية ربانية ، ومعان الهية ، فنذكر أولا وجه تركيب الإنسان ، ووجه ترتيب القوى فيه ، ثم نذكر تركيب البشرية النبوية ، وترتيب القوي فيها ، ثم نخاير بين

مستعلية على الأجرام العنصرية بالتقليب والتصريف فما الدليل على امتناع مثل هذه النفس . (الرازى أول ص ٣٠٩)

(١) الخامة ، الغضة الرطبة من النبات وفي الحديث ، مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع تميلها الريح مرة هكذا ومرة هكذا ، قال الطرماح :

إنما نحن مثل خامة زرع ... فمتى يأن يأت محتصده

الوضعين ، الروحانى منهما والجسمانى ، وإليك الاختيار ، أما شخص الإنسان ، فمركب من الأركان الأربعة : التراب ، والماء ، والهواء ، والنار التى لها الطبائع الأربعة : اليبوسة ، والرطوبة ، والحرارة ، والبرودة ، ثم تركب فيه نفوس ثلاث[1] (إحداها) نفس نباتية تنمو وتغتذى ،

---

(١) النفس كجنس واحد ينقسم الى ثلاثة أقسام (أحدها) النباتية وهى كمال أول لجسم طبيعي آلى من جهة ما يتولد ، ويربو ويغتذى والغذاء جسم من شأنه أن يتشبه بطبيعة الجسم الذى قيل إنه غذاؤه ويزيد فيه بمقدار ما يتحلل أو أكثر أو أقل

(الثانى) النفس الحيوائية وهى كمال أول لجسم طبيعى آلى من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالارادة .

(الثالث) النفس الانسانية وهى كمال أول لجسم طبيعى آلى من جهة ، ما يفعل الأفعال الكائنة بالاختيار الفكري والاستنباط بالرأى ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية

وللنفس النباتية قوى ثلاث ، (١) غاذية وهى القوة التى يحتل جسما آخر إلى مشاكلة الجسم التى هى فيه فتلصقه به بدل ما يتحلل عنه . (٢) منمية وهى قوة تزيد فى الجسم الذى هي فيه ، بالجسم المتشبه فى أقطاره طولا وعرضا وعمقا ، متناسبة للقدر الواجب لتبلغ به كماله في النشو . (٣) مولدة وهى القوة التى تأخذ من الجسم الذى هى فيه جزءا هو شبيه له بالقوة فتفعل فيه باستمداد أجسام أخرى تتشبه به من التخلق والتمزيج ما يصير شبيها به بالفعل .

والنفس الحيوانية لها قوتان محركة ، ومدركة ، والمحركة باعثة أو فاعلة والباعثة هى النزوعية والشوقية . ولها شعبتان . شهوانية ، وغضبية ، والفاعلة تنبعث فى الأعصاب والعضلات فتجذب الأوتار والرباطات الى جهة المبدأ أو ترخيها ، والمدركة إما تدرك من خارج . وهى الحواس الخمس ، أو من داخل وهى الحواس الباطنة . أما النفس الناطقة الانسانية فعاملة ، وعالمة . وكل تسمى عقلا ، فالعاملة مبدأ محرك لبدن الانسان الى . الأفاعيل الجزئية الخاصة بالروية . على مقتضى آراء تخصها

وتولد المثل (والثانية) نفس حيوانية تحس وتتحرك بالإرادة (والثالثة) نفس إنسانية بها يميز ويفكر ، ويعبر عما يفكر ، ووجود النفس الأولى من الأركان ، وطبائعها ، وبقاؤها بها ، واستمدادها منها ، ووجود النفس الثانية من الأفلاك وحركاتها ، وبقاؤها بها ، واستمدادها منها ، ثم إن النباتية تطلب الغذاء طبعا ، والحيوانية تطلب الغذاء حسا ، والانسانية تطلب الغذاء اختياراً وعقلا ، ولكل نفس منها محل ، فمحل النباتية الكبد ، ومنه مبدأ النمو والنشوء . وعن هذا جعل فيه عروق دقاق ينفذ فيها الغذاء إلي الأطراف ، ومحل الحيوانية القلب ، ومنه مبدأ تدبير الحس والحركة ، وعن هذا فتح منه عروق إلى الدماغ فيصعد إلى الدماغ من حرارته ما يعدل تلك البرودة وينزل منه من آثاره ما يدبر الحركة ومحل الانسانية تصريفا وتدبير الدماغ ، ومنه مبدأ الفكر والتعبير عن الفكر ، وعن هذا فتحت إليه أبواب الحسائس ، مما يلي هذا العالم ، وفتحت إليه أبواب المشاعر مما يلى ذلك العالم ، وها هنا ثلاثة أعضاء

إصلاحية ، وهى تحدث في الحيوانية النزوعيه ، بما يتهيأ بها ، من فعل وانفعال ، من خجل ، وحياء ، وضحك وبكاء ، وما أشبه ذلك وأثرها فى الحيوانية المتخيلة والمتوهمة استنباط التدابير فى الأمور الكائنة والفاسدة واستنباط الصناعات الانسانية ، وفيما بينها وبين العقل النظرى تتولد الآراء الذائعة ، مثل ، أن الكذب قبيح والظلم قبيح وما أشبه ذلك ، وهذه القوة ، هى التى يجب أن تتسلط على سائر قوى البدن لئلا يحدث ، عن البدن هيئات انقيادية مستفادة من الأمور الطبيعية . وهى الأخلاق الرذيلية بل وجب أن تكون غير منفعلة البتة ، وغير منقادة ، بل متسلطة ، فيكون لها أخلاق فضيلية (النجاة ص ٢٥٨)

ممدات ، لابد منها المعدة التى تمد الكبد بالغذاء ، والرئة التى تمد القلب بترويح الهواء ، والعروق التى تمد الدماغ بالحرارة ، فاذا التركيب الانسانى أشرف التراكيب ، فان فيها جميع آثار العالم الجسمانى والروحانى وتركيب القوى فيه أكمل التراكيب ، فهو مجمع آثار الكونين والعالمين ، فكل ما هو فى العالم منتشر ففيه مجتمع ، وكل ما هو فيه من خواص الاجتماع ، فليس للعالم البتة ، لأن للاجتماع والتركيب خاصية لا توجد فى حال الافتراق والانحلال ، واعتبر فيه حال السكر والخل وحال السكنجبين[1] ، وكذلك الحكم فى كل مزاج ، هذا وجه تركيب البدن ، وترتيب القوى الخاصة به ، أما وجه اتصال النفس به وترتيب القوى الخاصة بها مما يلى هذا العالم ، ومما يلى ذلك العالم ، فاعلم أن النفس[2]

---

(١) سكنجبين ، معرب عن سركا انكبين الفارسى ومعناه خل وعسل (تذكرة داود أول ص ١٨٠)

(٢) أخذ فى بيان القوى النفسية ، وأنها تنقسم بالقسمة الأولى الى مدركة ومحركة ، وقدم المدركة ، لأن الحركة الاختيارية لا توجد إلا عند الشعور بمطلوب أو مهروب عنه ، فيكون التحريك متفرعا عن الادراك متأخرا عن الشعور ، بله أن الادراك أشرف من الحركة لأنه قد يكون مطلوبا لذاته كما فى الانسان والحركة لا تكون البتة مطلوبة إلا لغيرها ، وأدراك الشىء هو أن تكون حقيقة ، متمثلة عند المدرك ، ينشأ عنها مابه يدرك ، سواء أكانت تلك الحقيقة لا وجود لها فى الأعيان الخارجة ، مثل كثير من الأشكال الهندسية ، بل كثير من المفروضات : وإما أن تكون حقيقة مرتسمة ، فى ذات المدرك ، غير مباين له ، وهذا ما رآه ابن سينا فى إشاراته وعليه اعتراضات فلتراجع فى شرحي الاشارات ، أما القوى المحركة التى تصدر عنها أعمال وحركات وهى إما حركات حفظ البدن وتوليده فهى

الانسانية جوهر هو أصل القوى المحركة ، والمدركة ، والحافظة للمزاج ، تحرك الشخص بالارادة ، لا في جهات ميله الطبيعى ، ويتصرف فى أجزائه، ثم فى جملته ويحفظ مزاجه عن الانحلال ، ويدرك بالمشاعر المركوزة فيه ، وهى الحواس الخمس ، فبالقوة الباصرة يدرك الالوان والاشكال ، وبالقوة السامعة يدرك الاصوات والكلمات ، وبالقوة الشامة يدرك الروائح ، وبالقوة الذائقة يدرك المعلومات ، وبالقوة اللامسية يدرك الملموسات ، وله فروع منبثة فى أعضاء البدن ، حتى إذا أحس بشىء من أعضائه أو تخيل أو توهم أو اشتهى أو غضب ألقى العلاقة التى بينه وَ بين تلك الفروع هيئة فيه حتى يفعل ، وله إدراك وقوة

تصرفات في مادة الغذاء لتحال الى المشابهة سدا لبدل ما يتحلل . أو ليكون مع ذلك زيادة فى النشوء على تناسب مقصود محفوظ فى أجزاء المغتذى . في الأقطار يتم بها الخلق ، أو ليختزل من ذلك فضل يعيد مادة ومبدأ لشخص آخر وهذه ثلاثة أفعال لثلاث قوى أولها الغاذية وتخدمها الجاذبة للغذاء والماسكة للمجذوب الى أن تهضمه الهاضمة المهربة والدافعة للثفل ، والثانية القوة المنمية . إلى كال النشوء فان الانماء غير الاسمان ، والثالثة القوة المولدة للمثل ، وتنبعث بعد فعل القوتين مستخدمة لها ، لكن النامية تقف أولا ثم تقوي المولدة ملاءة فتقف أيضاً وتبقى الغاذية عمالة إلى أن تعجز فيحل الاجل , ولهذه القوى بحوث عميقة ، تطلب فى مظانها وثمة حركات ، اختيارية وهى أشد نفسية . وهي الحركات المنسوبة إلى النفس الحيوانية التى تفعل أفعالا مختلفة بارادة ، ولها مبدأ عازم ومجمع مذعنا ومنفعلا عن خيال أو وهم أو عقل ينبعث منها قوة غضبية دافعة للضار . أو قوة شهوانية جلابة للضار أو النافع الحيوانيين فيطيع ذلك ما انبث فى العضل من القوة المحركة الخادمة لتلك الآمرة (اشارت وشرحها أول ص ١٣٠ و ١٧٨)

تحريك ، أما الادراك فهو أن يكون مثال حقيقة المدرك متمثلا مترسما فى ذات المدرك ، غير مباين له ، ثم المثال قد يكون مثال صورة الشيء ، وقد يكون مثال حقيقته ، ومثال صورة الشيء هو ما يكون محسوسا فيرتسم فى القوة الباصرة ، وقد غشيته غواش[١] غريبة عن ماهيته ، لو أزيلت عنه ، لم تؤثر فى كنه ماهيته ، مثل أين و كيف ووضع وكم معينة لو توهم بدلها غيرها لم تؤثر فى (كنه) ماهية ذلك المدرك ، والحس يناله من حيث هو مغمور فى هذه العوارض ، التى تلحقه بسبب المادة (التى خلق منها) لا يجردها عنها ولا يناله إلا بعلاقة وضعية بين حسه ومادته أما الخيال الباطنى فيتخيله مع تلك العوارض ، التى لا يقدر على تجريده المطلق عنها ، لكنه يجرده عن تلك العلاقة الوضعية ، التى تعلق بها الحس وهو يمثل صورة مع غيبوبة حاملها ، وعنده مثال العوارض لا نفس العوارض ، ثم الفكر العقلى يجرده عن تلك العوارض ، فيعرض ماهيته وحقيقته على العقل ، فيرتسم فيه مثال حقيقته حتى كأنه عمل بالمحسوس عملا جعله معقولا[٢] ، وأما ما هو فى ذاته برىء عن

---

(١) غواش ، جمع غاشية ، وهى الغطاء ، وتقول غشيت الشيء تغشية إذا غطيته ، وقد غشى الله على بصره وأغشى ومنه قوله تعالى فأغشيناهم فهم لا يبصرون

(٢) لما فرغ من بيان معنى الادراك ؛ وقد أخذه ، من إشارات ابن سينا ، أراد أن ينبه على أنواعه ، وهو بجملته نقله عن الاشارات ، فأنواع الادراك أربعة إحساس وتخيل وتوهم وتعقل ، فالاحساس إدراك الشيء الموجود في المادة الحاضرة عند المدرك على هيئات مخصوصة ، به محسوسه من الأين والمتى والوضع ، والكيف والكم وغير

الشوائب(١) المادية منزه عن العوارض الغريبة ، فهو معقول لذاته ليس

ذلك ، وبعض ذلك لا ينفك ذاك الشيء عن أمثالها فى الوجود الخارجى ولا يشاركه فيها غيره .

والتخيل إدراك لذلك الشيء مع الهيئات المذكورة ولكن فى حالتى حضوره وغيبته .

والتوهم ادراك المعانى غير محسوسة من الكيفيات .

والاضافات مخصوصة بالشيء الجزئى ، الموجود فى المادة لا يشاركه فيها غيره

والتعقل إدراك للشيء من حيث هو فقط ، لا من حيث هو شيء آخر سواه أخذ وحده أو مع غيره من الصفات المدركة بهذا النوع من الادراك فهذه إدراكات مترتبة فى التجريد الأول مشروط بثلاثة أشياء حضور المادة ، وإكشاف الهيئات ؛ وكون المدرك جزئيا ؛ والثانى مجرد عن الشرط الأول . والثالث مجرد عن الأولين والرابع عن الجميع ، إلا أنها إذا قيست إلى مدرك واحد سقط الوهم عن الاعتبار ، لأنه لا يدركه الحس والخيال بانفراده بل يدرك ما يدركه بمشاركة الخيال ، وبذلك يتخصص مدركه ويصير جزئيا ؛ ولهذا يعتبره الشيخ فى هذا الكتاب (الاشارات) واعتبره فى سائر كتبه بالوجه الأول . وكل طبيعة كالانسانية اذا أخذت من حيث هى هى ، صلحت لأن تقع على كثيرين ، ولأن لاتقع الا على واحد ، وانما تختلف باضافة معان غيرها اليها

(١) فزيد لايباين عمرا في انسانيته ، وانما يباينه فى شخصه المادى وما تستلزمه المادة من الأحوال ، كالأين والكيف وغيرها .

ولأن الصورة المحسوسة منتزعة نزعا ناقصامشروطا بحضور المادة ، والخيالية منتزعة نزعا أكثر لكنه غير تام والعقلية منتزعة نزعا تاما .

والفواشي الغريبة عن الماهية ، هى جميع العوارض المفارقة ، ولوازم الوجود والماهية ولوازم الماهية كالزوجية للاثنين لا تكون غريبة عن الماهية .

ولا تكون مثل هذه الغواشى ، عندما يكون الشيء محسوسا فقط بل وعند يكون معقولا أيضا (شرح الاشارات أول ص ١٣٨)

يحتاج إلى عمل يعمل به بعده لان يعقله ما من شأنه أن يعقله (بل لعله من جانب ما من شأنه أن يعقله[١]) وذلك بلا مثال له يتمثل فى العقل، ولا ماهية له فيتجرد له ولا وصول إليه بالإحاطة والفكرة، إلا إن برهان أن يدلنا عليه، ويرشدنا إليه، ولربما يلاحظ العقل الانسانى عالم العقل الفعال، فيرتسم فيه من الصور المجردة المعقولة، ارتساما بريئا عن العلائق المادية، والعوارض الغريبة، فيبتدر الخيال إلى تمثله. فيمثله فى صورة خيالية مما يناسب عالم الحس، فينحدر إلى الحس المشترك ذلك المثال، فيصيره كأنه يراه معاينا مشاهداً يناجيه ويشاهده، حتي كأن العقل عمل بالمعقول عملا جعله محسوسا، وذلك إنما يكون عند اشتغال الحواس كلها عن اشغالها، وسكون المشاعر عن حركاتها في النوم لجماعة، وفى اليقظة للأبرار، يا عجبا كل العجب، من تركيب على هذا النمط، فمن أين لغيره مثله، ونعود إلى ترتيب القوى، وتعيين محالها أما القوى المتعلقة بالبدن التى ذكرناها آلات ومشاعر للجوهر الانساني فالأولى منها الحس المشترك المعروف بنطاسيا[٢] الذى هو مجمع الحواس

(١) متى ثبت القول. بأن التعقل هو نفس حصول المعقول للعاقل فالمانع من كون الشىء معقولا هو المادة وعلائقها فاذا كانت الماهية مادية احتاجت إلى العقل فى تصيرها معقولة إلى أن يجردها عن المادة وأما إذا كانت مجردة لذاتها عن المادة وعن علائقها لم تكن محتاجة إلى أن يعمل ما يصيره معقولا والمعقول بأن المانع من المعقولات هو المادة فيه نظر (يراجع شرح الاشارات ص ١٣٩ جزء أول)

(٢) فى النجاة: فمن القوى المدركة الباطنة الحيوانية قوة فنطاسيا، أى الحس

ومورد المحسوسات، وآلتها الروح[1] المصبوب فى مبادىء عصب الحس لاسيما فى مقدم الدماغ ، والثانيـة[2] الخيال والمصورة ، وآلته الروح المصبوب فى البطن المقدم من الدماغ ، لاسيما فى الجانب الأخـبر ، والثالثة[3] الوهم الذى هو لـكثير من الحيوانات . وهو مابه تدرك الشاة معنى فى الذئب فتنفر منه ، وبه تدرك معني فى النوع فتفر إليه ، وتزدوج به ، وآلته الدماغ كله ، لـكن الأخص منه به هو التجويف الأوسط ،

المشترك ، وهى قوة مرتبة فى أول التجويف المقدم من الدماغ تقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة فى الحواس الخمسة متأدية إليه منها (ص ٢٦٥)

(١) قال الشيخ آلة المشترك هو الروح المصبوب فى مبادىء عصب الحس لا سيما فى مقدم الدماغ . فان الحس المشترك كرأس عين تتشعب منه خمسة أنهار وكان الروح المصبوب فى البطن المقدم هو آلة للحس المشترك والخيال ، الا أن ما فى مقدم ذلك البطن بالحس المشترك أخص ، وما في مؤخره بالخيال أخص وانما تتأدى الادراكات الحسية من الحواس . بواسطة الأرواح التى فى الأعصاب الى التى فى مباديها المتصلة بالروح المصبوب فى البطن المقدم (شرح الاشارات أول ص ١٤٥)

(٢) ثم القوى التى تسمى متخيلة بالقياس إلى النفس الحيوانية ومفكرة بالقياس الى النفس الانسانية وهي قوة مرتبة فى التجويف الأوسط من الدماغ من شأنها أن تركب بعض ما فى الخيال مع بعض وتفصل بعضه عن بعض بحسب الاختيار (النجاة ص ٢٦٦)

(٣) والثالثة ، الوهم وآلتها الدماغ كله لـكن الأخص بها هو التجويف الأوسط وهذه القوة المسماة بالوهم هى الرئيسة الحاكمة فى الحيوان حكما ليس فصلا كالحكم العقلى ولـكن حكما تخيليا مقرونا بالجزئية ، وبالصورة الحسية وعنه يصدر أكثر الأفعال الحيوانية أما كون الدماغ كله آلتها ، فانما هو لـكونها مصدرا لأكثر الأفعال المتعلقة بالروح الدماغى في الحيوان . واختصاص التجويف الأوسط بها لاستخدامها المتخيلة (شرح الاشارات أول ص ١٤٥)

والرابعة[1] المفكرة ، وهى قوة لها أن تركب وتفصل مما يليها من الصور المأخوذة عن الحس المشترك ، والمعانى الوهمية المدركة بالوهم ، فتارة تجمع ، وتارة تفصل ، وتارة تلاحظ العقل فتعرض عليه ، وتارة تلاحظ الحس فتأخذ منه ، وسلطانها فى الجزء الأول من وسط الدماغ ، وكأنها قوة ما للوهم ، ويتوسط الوهم للعقل ، والخامسة[2] القوة الحافظة ، وهى التى كالخزانة لهذه المدركات الحسية . والوهمية والخيالية دون العقلية الصرفة ، فان المعقول البحت لا يرتسم فى جسم ولا فى قوة فى جسم ، والحافظة قوة فى جسم ، وآلتها الروح المصبوب فى أول البطن المؤخر من الدماغ ، والسادسة[3] القوة الذاكرة ، وهى التى تستعرض ما فى

---

(١) وفي شرح الاشارات ، وتخدمها فيه قوة رابعة ، لها أن تركب وتفصل وما يليها من الصور المأخوذة عن الحس ، والمعاني المدركة بالوهم ، وتركب أيضا الصور بالمعانى وتفصلها عنها ، وتسمى عند استعمال العقل مفكرة وعند استعمال الوهم متخيلة ، وسلطانها فى الجزء الأول . من التجويف الأوسط وكأنها قوة ما للوهم ويتوسط الوهم للعقل ، والمراد من الخدمة أن الوهم يتصرف بواسطتها فى المدركات ويتم بذلك التصرف إدراكه لها (شرح الاشارات أول ص ١٤٥)

(٢) ثم القوة الحافظة الذاكرة وهى قوة مرتبة فى التجويف المؤخر من الدماغ تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعانى غير المحسوسة الموجودة فى المحسوسات الجزئية ونسبة القوة الحافظة إلى القوة الوهمية كنسبة القوة التى تسمى خيالا إلى الحس ونسبة تلك القوة إلى المعانى كنسبة هذه القوة إلى الصور المحسوسة (النجاة ص ٢٦٦)

(٣) والباقية من القوى هى الذاكرة ، وسلطانها فى حيز الروح الذى فى التجويف الأخير وهو آلتها ، هذه هى القوة الخامسة وهى حافظة للمعانى ومعينة

الخزانة على جانب العقل ، أو على الخيال والوهم ، وآلتها الروح المصبوب فى آخر البطن المؤخر ، وأما المعقول الصرف المبرأ عن الشوائب المادية فلا يحل فى قوة جسمانية ، وآلة جسدانية ، حتى يقال ينقسم بانقسامها ويتحقق لها وضع ومثال ، ولهذا لم تكن القوة الحافظة خزانة لها ، بل المصدر الأول الذي أفاض عليها تلك الصورة ، صار خازنا لها حيثما طالعته النفس الانسانية ، بقوتها العقلية المناسبة لواهب الصور نوعا من المناسبة فاضت منه عليها تلك الصورة المستحفظة له ، حتى كأنه ذكرها بعد ما نسى ، ووجدها بعد ما ضلت ، وغريزة النفس الصافية

للوهم بالحفظ ويسميها قوم ذاكرة فان الذكر لا يتم إلا بها ، وحفظ المعانى مغاير لاسترجاعها بعد زوالها ، فان وجب أن ينسب كل فعل إلى قوة وجب أن تكون القوي ستا وقد ذكر في القانون وههنا موضع نظر فلسفى فى أنه هل القوة الحافظة والمتذكرة المسترجعة لما غاب عن الحفظ من مخزونات الوهم قوة واحدة أم قوتان ولكن ليس ذلك مما يلزم الطبيب .

فهاهنا لم يحكم بالتغاير مطلقا وفى الشفاء ، وهذه القوة يعنى الحافظة تسمي أيضا متذكرة فتكون حافظة لصيانتها مافيها ومتذكرة لسرعة استعدادها لاستنباتها والتصور بها مستعيدة إياها إذا فقدت وذلك إذا قبل الوهم بقوته المتخيلة فجعل يعرض واحدا واحدا من الصور ؛ إلى آخر قوله ، وهذا يدل على أنها هى الذاكرة ولكن باعتبار آخر .

والحق أن الذكر ملاحظة المحفوظة فهو مركب من إدراك الشيء ، أدرك فى وقت آخر ؛ وحفظ على ما صرح به فى آخر هذا النمط .

والاسترجاع طلب تلك الملاحظة بالفكر ، فاذن الذاكرة ليست هى قوة بسيطة بل مبدأ هى فعل يتركب من أفعال قوتين مدركة وحافظة والمسترجعة مبدأ فعل يتركب من أفعال ثلاث قوى متصرفه ومدركة وحافظة (شرح الاشارات ض ١٤٥)

تنزع إلى جانب القدس فى تذكار الأمور الغائبة عن حضرة العقل نزاعا طبيعيا ، فتستحضر ماغاب عنها ، ولهذا السر أخبر الكتاب الإلهى (واذكر ربك إذا نسيت[١] ، وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشداً) حتى صار كثير من العلماء إلى أن العلوم كلها تذكار ، وذلك أن النفوس كانت فى البدء والأول فى عالم الذكر ، ثم هبطت إلى عالم النسيان ، فاحتاجت إلى مذكرات لما قد نسيت معيدات إلي ما كانت قد ابتدأت (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) (وذكرهم بأيام الله)، ثم للنفس الانسانية قوى عقلية لاجسمانية[٢] ، وكمالات

---

(١) واذكر ربك إذا نسيت ، اذكره ، بالتسبيح ، والاستغفار . فيذكرك ما نسيت ، ويلهمك ، ما خفى عليك ، ويبصرك رشدك . ويذهب عنك ، ما ألم بك بلله ما فى ذكره ، من انقطاعك الى الله تعالى ، وبعدك عن معاصيه . ونواهيه ، وقربك من طاعته وأوامره الى ذكره تعالى إياك ، في الملأ الأعلى إفاضة خيره . وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا ، عسى ربى أن يعطينى من الآيات والدلالات على النبوة . ما يكون أقرب من الرشد ، وأدل من قصة أصحاب الكهف ثم إن الله سبحانه فعل به ذلك ، حيث آتاه من علم غيوب أخبار المرسلين وآثارهم المتباعدة أيامهم والحوادث ، الآتية فى مؤتنف الأيام الى قيام الساعة مما هو واضح الدلالة وأقرب ، وأظهر من نبأ أصحاب الكهف ، مما هو آية على نبوته . وصدق رسالته ، إرشادا للناس ودلالة على ذلك .

(٢) القوة العقلية لو كانت تعقل بالآلة الجسدانية حتى يكون فعلها الخاص إنما يتم باستعمال تلك الآلة الجسدانية لكان يجب أن لا تعقل ذاتها وأن لا تعقل الآلة ولا أن تعقل أنها عقلت فانه ليس بينها وبين ذاتها آلة وليس بينها وبين آلتها ولا بينها وبين أنها عقلت آلة لكنها تعقل ذاتها وآلتها التى تدعى آلتها وأنها عقلت فاذا إنما تعقل بذاتها لا بالآله وأيضا لا يخلو أما أن يكون تعقلها آلتها بوجود ذات صورة

نفسانية روحانية لا جسدانية ، فمن قواها مالهـا بحسب حاجتها إلى تدبير البدن ، وهى القوة التى تخص باسم العقل العملى ، وذلك أن يستنبط الواجب فيما يجب أن يفعل ولا يفعل ، ومن قواها مالها بحسب

آلتها ، أما تلك وأما أخرى مخالفة لها وهى صورتها أيضا فيها وفى آلتها أو لوجود صورة أخرى غير صورة آلتها تلك فيها وفى آلتها فان كان لوجود صورة آلتها فصورة آلتها فى آلتها وفيها بالشركة دائما . فيجب أن تعقل آلتها دائما التى كانت تعقل لوصول الصورة إليها : وإن كان لوجود صورة غير تلك الصورة فان المغايرة بين أشياء مشتركة فى حد واحد إما لاختلاف المواد وإما لاختلاف ما بين الكلى والجزئى والمجرد عن المادة والموجود فى المـادة وليس ههنا اختلاف مواد فان المـادة واحدة وليس ههنا اختـلاف التجريد والوجود فى المادة فان كلاهما فى المـادة وليس ههنا اختلاف بالخصوص والعموم لأن أحدهما إنما يستفيد الجزئية بسبب المادة الجزئية واللواحق التى تلحقها من جهة المادة التى فيها وهـذا المعنى لا يختص بأحدهما عن الآخر ولا يجوز أن يكون لوجود صورة أخرى معقولة غير صورة آلتها ، فان هذا أشد استحالة لأن الصور المعقولة إذا حلت الجوهر القابل جعلته عاقلا لما تلك الصورة صورته أو لما تلك الصورة مضافة إليه فتـكون صورة المضاف داخلة فى هذه الصورة وهذه الصورة المعقولة ليست صورة هذه الآلة ولا أيضا صورة شىء مضاف إليها بالذات لأن ذات هذه الآلة جوهر ونحن إنما نأخذ ونعتبر صورة ذاته والجوهر في ذاته غير مضاف إليه فهذا برهان عظيم على أنه لا يجوز أن يدرك المدرك لآلة هى آلته فى الادراك ولهذا كان الحس إنما يحس شيئا خارجا ولا يحس ذاته ولا آلته ولا إحساسه وكذلك الخيال لا يتخيل ذاته ولا فعله ولا آلته بل أن تخيل آلته تخيلها لا على نحو يخصها بأنه لا محالة له دون غيره إلا أن يكون الحس أورد عليه صورة آلته لو أمكن فيـكون حينئذ إنما يحكى خيالا مأخوذا من الحس غير مضاف عنده الى شىء حتى لو لم يكن هو آلته كذلك لم يتخيله .

ثم أنه أخـذ بعد هذا فى إيراد براهين على أن تعقل القوة العقلية ليس بالآلة الجسدية فراجعه فانه نفيس . (النجاة ص ٢٩٢)

حاجتها إلى تكميل جوهرها عقلا بالفعل ، وإنما يخرج من القوة إلى الفعل بمخرج غير ذاتها لا محالة ، فيجب أن يكون لها قوة استعدادية تسمى عقلا هيولانيا ، حتى يقبل من غيرها ما به يخرجها من الاستعداد إلي الكمال ، فأول خروج لها إلى الفعل حصول قوة أخرى من واهب الصور ، يحصل لها عند استحضار المعقولات الأول ، فيتهيأ بها لاكتساب التوانى إما بالفكر أو بالحدس ، فيتدرج قليلا قليلا إلى أن يحصل لها ما قدر عليها من المعقولات ، ولكل نفس استعداد إلى حد ما لا يتعداه ، ولكل عقل حد ما لا يتخطاه ، فيبلغ إلي كماله المقدر له . ويقتصر على قوته المركوزة فيه ، ولا يبين هاهنا وجود التضاد بين النفوس والعقول ، ووجوب الترتب فيها ، وإنما يعرف مقادير العقول ، ومراتب النفوس الأنبياء والمرسلون الذين اطلعوا على الموجودات كلها ، روحانياتها ، وجسمانياتها ، ومعقولاتها ومحسوساتها . كلياتها وجزئياتها ، علوياتها وسفلياتها ، فعرفوا مقاديرها وعينوا موازينها ومعاييرها ، وكل ما ذكرناه ، من القوى الانسانية فهى حاصله لهم مركبة فيهم منصرفة كلها عن جانب الغرور ، إلى جانب القدس مستدعية لشروق نور الحق فيها ، حتى كأن كل قوة من القوى الجسدانية والنفسانية ملك روحانى ، وكل بحفظ ماوجه إليه واستثمار مارشح له ، بل ومجموع جسده ونفسه مجمع آثار العالمين من الروحانيات والجسمانيات ، وزيادة أمرين : أحدهما ما حصل له من فائدة التركيب والترتيب ، كما بيناه

من مثال السكر والخل ، والثانى ما أشرق عليه من الأنوار القدسية وحيا والهاما ، ومناجاة وا كراما ، فاين للروحانى هذه الدرجة الرفيعة ، والمقام المحمود ، والكمال الموجود بل وءن أين للروحانيات كلها هذا التركيب الذى خص نوع الانسان به وما تعلقوا به من القوة البالغة على تحريك الاجسام وتصريف الاجرام ، فليس يقتضى شرفا ، فان ماثبت لشىء وثبت لضده مثله ، لم يتضمن شرفا ، ومن المعلوم أن الجن والشياطين قد ثبت لهم من القوة البالغة ، والقدرة الشاملة ، مايعجز كثير من الموجودات عن ذلك ، وليس ذلك مما يوجب شرفا وكمالا ، وإنما الشرف فى استعمال كل قوة فيما خلقت له وأمرت به وقدرت عليه ، قالت الصابئة الروحانيات[١] لها اختيارات صادرة من الأمر ، متوجهة إلى الخير ، مقصورة عن نظام العالم ، وقوام الكل ، لايشوبها البتة شائبة الشر ، وشائبة الفساد ، بخلاف اختيار البشر ، فانه متردد بين طرفي الخير (والشر) ، لولا رحمة الله فى حق

(١) قالت الحكما : الروحانيات لها اختيارات فائضة من أنوار جلال الله عز وجل متوجهة إلى الخيرات مقصورة على نظام هذا العالم لايشوبها البتة شائبة الشر والفساد بخلاف اختيارات البشر فانها مترددة بين جهتى العلو والسفالة وطرف الخير والشر وميلهم إلى الخيرات إنما يحصل باعانة الملائكة على ما ورد فى الأخبار من ان لكل إنسان ملكا يسدده ويهديه

(الاعتراض) هذا يدل على أن الملائكة كالمجبورين على طاعتهم والأنبياء مترددة بين الطرفين ، والمختار أفضل من المجبور ، وهذا ضعيف ، لأن التردد مادام يبقى استحال صدور الفعل وإذا حصل الترجيح التحق بالموجب ، فكان للانبياء خيرات بالقوة وبواسطة الملائكة تصير خيرات بالفعل ، أما الملائكة فهم خيرات بالفعل فاين هذا من ذاك (الرازى أول ص ٣٠٩)

البعض والا فوضع اختيارهم كان ينزع إلى جانب الشر والفساد ، إذ كانت الشهوة والغضب المركوزة فيهم يجرانهم إلى جانبهما . وأما الروحانيات فلا ينازع اختيارهم الا للتوجه إلى وجه الله تعالى ، وطلب رضاه ، وامتثال أمرة فلا جرم ، كل اختيار هذا حاله ، لا يتعذر عليه ما يختاره . فكما أراد ، واختار ، وجد المراد وحصل المختار ، وكل اختيار ذلك حاله ، تعذر عليه ما يختاره فلا يوجد المراد ، ولا يحصل المختار ، أجابت الحنفا بجوابين أحدهما نيابة عن جنس البشر ، والثانى نيابة عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أما الأول قالوا اختيار الروحانيات إذا كان مقصودا على أحد الطرفين محصورا ، كان فى وضعه مجبورا ، ولا شرف فى الجبر ، واختيار البشر تردد بين طرفى الخير ، والشر ، فمن جانب يرى آيات الرحمن ، ومن طرف يسمع وساوس الشيطان ، فتميل به تارة دعوة الحق إلى امتثال الأمر ، وتميل به طورا داعية الشهوة إلى اتباع الهوى ، فاذا أقر طوعا وطبعا بوحدانية الله سبحانه وتعالى ، واختار من غير جبر وا كراه طاعته وصير اختياره المتردد بين الطرفين مجبورا بين أمره تعالى باختيار من جهته من غير اجبار ، صار هذا الاختيار أفضل وأشرف من الاختيار المجبور فطرة ، كالمكره فعله كسبا المنوع عما لا يجب جبرا ، ومن لا شهوة له فلا يميل إلى المشتهى ، كيف يمدح عليه ، وانما المدح كل المدح لمن زين له المشتهى فنهى النفس [١] عن الهوى فتبين ان اختيار البشر

---

(١) ونهي النفس عن الهوى . زجرها وكفها عن الهوى المردى . وهو الميل

أفضل من اختيار الروحانيات . وأما الثانى ، تقول ان اختيار البشر من وجه ، فهو متوجه إلى الخير مقصور على الصلاح الذى به نظام العالم ، وقوام لكل صادر عن الأمر ، صائر إلى الأمر ، لا يتطرق إلى اختياراتهم ميل إلى الفساد ، بل ودرجتهم فوق ما يبتدر إلي الأوهام ، فان العالى لا يريد أمراً لأجل السافل ، من حيث هو سافل ، بل إنما يختار ما يختار لنظام كلى ، وأمر أعلى من الجزئى ، ثم يتضمن ذلك حصول نظام فى الجزئي تبعاً لا مقصوداً ، وهذا الاختيار والارادة على جهة سنة الله تعالى فى اختياره ومشيئته للكائنات ، لأن مشيئته تعالى كلية متعلقة بنظام الكل ، غير معللة بعلة ، حتى لا يقال إنما اختار هذا لكذا ، وإنما فعل هذا لكذا ، فلكل شىء علة ، ولا علة لصنعه تعالى ، بل لا يريد إلا كما علم ، وذلك أيضاً ليس بتعليل ، لكنه بيان أن إرادته أعلى من أن تتعلق بشىء لعلة دونها ، وإلا لكان ذلك الشىء حاصلا له

إلى الشهوات ، وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخيرات ، ولم يعتد بمتاع الدنيا وزهرتها ، ولم يغتر بزخارفها وزينتها ، علماً بوخامة عاقبتها، عن ابن عباس ومقاتل إنه الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب بين يدى ربه سبحانه، فيخاف فيتركها، وأصل الهوى مطلقا الميل ، وشاع فى الميل إلى الشهوة ، وسمى بذلك على ما قال الراغب ، لأنه يهوى بصاحبه ، فى الدنيا ، إلى كل داهية ، وفي الآخرة إلى الهاوية ولذلك مدح مخالفه ، قال بعض الحكماء : إذا أردت الصواب فانظر هواك فخالفه وقال الفضيل أفضل الأعمال مخالفة الهوى وقد قارب أن يكون قبح موافقة الهوى ، وحسن مخالفته ضروريين إلا أن السالم من الموافقة قليل ، قال سهل ، لا يسلم من الهوى ، إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبعض الصديقين . فطوبى لمن سلم منه (الألوسى جزء ٣٠ ص ٣٦)

على ما يريد وخالق العلل والمعلولات لا يكون محمولا على شيء فاختياره لا يكون معللا بشيء، واختيار الرسول المبعوث من جهته ينوب عن اختياره، كما أن أمره ينوب عن أمره فيسلك سبل ربه ذللا، ثم يخرج من قضية اختياره نظام حال وقوام أمر مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، فمن أين للروحانيات هذه المنزلة وكيف يصلون إلى هذه الدرجة كيف وكل مايذكرونه فموهوم، وكل مايذكره فمحقق مشاهدة وعيانا، بل وكل ما يحكى عن الروحانيات من كمال علمهم وقدرتهم ونفوذ اختيارهم واستطاعتهم، فإنما أخبرنا بذلك الأنبياء والمرسلون، وإلا فأى دليل أرشدنا إلى ذلك ونحن لم نشاهدهم ولم نستدل بفعل من أفعالهم على صفاتهم وأحوالهم قالت الصابئة: الروحانيون متخصصون بالهياكل العلوية[1]

---

(١) الروحانيات مختصة بالهياكل وهى السيارات السبعة . وسائر الثوابت والأفلاك كالابدان والكواكب كالقلوب والملائكة كالأرواح فنسبة الأرواح إلى الأرواح كنسبة الأبدان إلى الأبدان، ثم إنا نعلم أن اختلافات أحوال الأفلاك، مبادىء لحصول الاختلافات في أحوال هذا العالم فانه يحصل من حركات الكواكب اتصالات مختلفة من التسديس والتثليث . والتربيع والمقابلة والمقارنة وكذا مناطق الأفلاك تارة تصير منطبقة بعضها على البعض . وذاك هو الرتق . فحينئذ يبطل عمارة العالم وأخرى ينفصل بعضها عن البعض . فتنقل العمارة من جانب من هذا العالم إلى جانب آخر فاذا رأينا أن هياكل العالم العلوى مستولية على هياكل العالم السفلى . فكذا أرواح العالم العلوى يجب أن تكون مستولية على أرواح العالم السفلى لا سيما وقد دلت المباحث الحكمية والعلوم الفلسفية . على أن أرواح هذا العالم معلولات لأرواح العالم العلوى وكمالات هذه لأرواح معلولات لكمالات تلك الارواح ونسبة هذه

مثل زحل[١] ، والمشترى[٢] ،

الارواح إلى تلك الأرواح كالشعلة الصغيرة بالنسبة إلى قرص الشمس وكالقطرة الصغيرة بالنسبة إلى البحر الأعظم . فهذه هي الآثار ، وهناك المبدأ والمعاد فكيف يليق القول بادعاء المساواة فضلا عن الزيادة

(الاعتراض) كل ما ذكرتموه منازع فيه لكن بتقدير تسليمه فالبحث باق بعد لأنا بينا أن الوصول إلى اللذيذ بعد الحرمان ألذ من الوصول إليه على سبيل الدوام ، فهذه الحالة غير حاصلة إلا للبشر ؛ (الرازى أول ص ٣٠٩)

(١) زحل ، كوكب ، يرى بغير مقرب ، كغيره من الكواكب نقطة لامعة ، لكن إذا نظر إليه بمقرب رؤى أنه يمتاز عن سائر نجوم السماء بحلقة عريضة رقيقة ملتفة حوله . وبتدقيق النظر ترى هذه الحلقة مؤلفة من ثلاث حلقات متراكزة ، أى ذات مركز واحد أبعدها عنه منيرة كزحل نفسه والتى تليها منيرة أيضا وينصل بينهما خلاء يسمى فاصل كاسيني وقد اختلف الفلكيون فى مادة هذه الحلقات بين أن تكون جامدة أو سائلة . وهذه الحلقات تدور حول زحل دواما وإلا مزقت شر ممزق وقطر زحل أقصر من قطر المشترى نحو الخمس . والمعروف حتى الآن أن له عشرة أقمار فهو أكثر السيارات أقمارا ، وأغرب أقماره القمر التاسع ، فانه لايدور من الغرب إلى الشرق ، كسائر الأقمار ، بل من الشرق إلى الغرب .

وتظهر الشمس من زحل صغيرة جدا . حتى لايكاد يكون لها قرص ظاهر ويصل إليه من نورها وحرارتها ما يماثل جزءا من تسعين جزءا مما يصل إلى الأرض منهما والذى يقيم فى زحل لا يرى من الأرض . والسيارات كلها إلا المشترى ، وهو يراه كما نري الزهرة حجما ووضعا أي نجم صباح ونجم مساء

وزحل أبعد الكواكب التى عرف الأقدمون أنها سيارات لانجوم ثابتة ، وهو عند العرب مثل فى العلو والبعد وفى ذلك يقول المتنبى

وعزمة بعثتها همة زحل   من تحتها بمكان الأرض من زحل

(بسائط علم الفلك ص ٦٢)

(٢) المشترى أكبر السيارات التابعة للنظام الشمسى سماه العرب بهذا ، لأنه اشترى الحسن لنفسه ، فان كان الأمر كذلك فما الذى أبقوه للزهرة ، وهي أسطع

والمريخ (١)،

منه نورا ، وأعظم سناء . وقد لقبها غير واحد منهم بملكة الجمال ، ويسمى الغربيون المشترى جوبتر وهو اسم كبير آلهة الرومان ، يقابله زفس عند اليونان قبلهم ، ومردوخ عند البابليين والأشوريين . ولعلهم سموه بهذا الاسم تشبيها له بكبير آلهتهم أو لأنهم حسبوه أليق الأماكن بسكنى كبير آلهتهم فسموه باسمه .

وحجمه ١٢٥٠ ضعف حجم الأرض ، وثقله ٣٠٠ ضعف ثقلها . ومتوسط بعده عن الشمس ٤٧٨ مليون ميل . ولو جمعت السيارات كلها كتلة واحدة ، ما بلغ ثقلها نصف ثقل المشترى . وسنته تساوى اثنتى عشرة سنة من سنى أرضنا ؛ وهو يدور على محوره في نصف المدة التى تدور فيها الأرض على محورها ، ولكن لما كان جرمه أكبر من جرم الأرض بكثير فان الدوران على محوره . أعظم من سرعتها بكثير أيضا ويمكن حسبان المشترى إما شمسا صائرة إلى الانحلال والاضمحلال وإما أرضا فى دور التكوين فانه كرة كبيرة من الغاز والمواد الذائبة لم يمر عليها الزمن الكافى لتصير كتلة جامدة باردة ولما كان أشبه بالشموس منه بالكواكب التابعة لها فقد ارتأى بعضهم أن بعض نوره أصلى منبثق منه لا مكتسب من الشمس كله والناظر إليه بالمقرب يرى على سطحه منطقتين عريضتين ومنطقتين أخريين أو ثلاثا أضيق منهما على جانبيهما وهى موازية لخطه والمشترى مغلف بغلاف كثيف من السحب والغيوم وله حاشية من الاتباع تسعة أقمار تدور حوله كان لها أكبر الفضل في إثبات مقدار السرعة التى يسير فيها النور (بسائط علم الفلك ص ٥٩)

(١) المريخ كوكب كثر تحدث الناس فى أمره كثيرا وهو ليس بكبير كالأرض ولا كالزهرة ، ولكنه أكبر كثيرا من النجيمات وأكبر جدا من القمر . وهو من حيث جرمه ، ليس فيه ما يمنع كونه دارا للاحياء بل أن صغر الكواكب يزيد صلاحيته لاقامة الاحياء ، التى لها حركات مستقلة فثقل الأجسام على سطح المريخ أقل من ثقلها على سطح الأرض فحركاتها عليه أسهل من حركاتها على الأرض والشمس تشرق عليه كما تشرق على الأرض وترسل اليه نورها وحرارتها كما ترسلهما الينا ، ولكنه أبعد من أرضنا عنها فلا يصل إلى سكانه منهما مقدار ما يصل الينا . ولكن ذلك لا يستلزم أن تكون حرارة هوائه قليلة جدا لأن الحرارة لا تتوقف على القرب

والشمس[١] ؛ والزهرة[٢] ،

والبعد من الشمس فقط فقنن الجبال يغطيها الثلج وبطون الأودية شديدة الحر، معأن قنن الجبال أقرب الى الشمس من بطون الأودية والحرارة على سطح المريخ أشدمن الحرارة على سطح الأرض ، وبينه وبين الأرض خلاف من إنه ليس فيه بحور واسعة كبحور الأرض ، وقد ينشر الماء على سطحه ثم يفيض بها ويتفق معها فى أن الليل والنهار يتعاقبان فيه ، كما يتعاقبان فيها ويومه أربع وعشرون ساعة ، ونصف ساعة أي انه يتم دورته على محوره في هذه المدة وهو لايخلو فى الأكثر من مخلوقات حية تعيش فيه (بسائط علم الفلك ص ٥٤)

(١) الشمس ، مصدر النور والحرارة وركن الحياة والقوة وهى على عظم بهائها وسنائها ليست الا كوكبا من الكواكب العظمى وانها انما تظهر لنا أعظم شأنا مما هى حقيقة بسبب قربها منا فى جنب تلك الكواكب والشموس وكان المظنون أن الشمس جسم نارى جامد لكن ثبت أنها غاز منضغط كثيف ومادة الشمس أخف من مادة الأرض بسبب حرارتها الشديدة التى تزيد البعد بين جواهرها ، ولانستطيع أن ننتظر إلى الشمس ونستجليها كما ننظر إلى القمر لأن نورها الساطع يبهر العين ، ولكن يسهل علينا أن ننظر اليها من خلال زجاجة ملونة بلون قاتم ، وبالمقرب لا نرى وجهها صقيلا بل نرى فيه بقعا كثيرة وقد نرى كلفا تكثر وتقل كل عشر سنوات إلى احدى عشرة سنة وكثرتها وقلتها مرتبطان بمغنطيسية الأرض وسبب الكلف مواد تخرج من باطن الشمس إلى سطحها وقد ثبت أن الشمس تدور على نفسها وتبلغ العناصر التى ثبت وجودها فى الشمس ٤٥ عنصرا وكلها من العناصر الارضية (بسائط علم الفلك ص ٣٢)

(٢) الزهرة ، فلكها داخل فلك الارض كعطارد فاذا كانت إلى الجهة الشرقية من الشمس فهى نجمة المساء وتغرب بعد الشمس وإذا كانت فى الجهة الغربية من الشمس فهي نجمة الصباح وتطلع قبل الشمس وإذا كانت فى الاقتران الاسفل فقد ترى شامة سوداء على وجه الشمس أو لا ترى مطلقا ثم تصير هلالا وتتزايد رويدا رويدا إلى أن تصير بدرا كاملا وقد ترى فى النهار سائرة وراء الشمس أو أمامها لكبرها وهي تدور على نفسها كالارض وسرعتها مثل سرعة الارض (بسائط علم الفلك ص ٥٢)

وعطارد[١] ، والقمر[٢] ،

---

(١) عطارد اقرب السيارات المعروفة إلى الشمس وعطارد أحمر اللون يرى أحيانا كنجم من القدر الاول وأحيانا أصغر من ذلك وهو أصغر السيارات كلها ماعدا النجيمات وقطره نحو ثلث قطر الارض وبعده عن الشمس يختلف حسب كونه فى نقطة الرأس أو نقطة الذنب ، ومتوسطه نحو ثلث بعد الأرض عن الشمس وكثافته أكثر من نصف كثافة الأرض ومدة دورانه على نفسه وحول الشمس نحو ٨٨ يوما ولما كان فلكه داخل فلك الأرض لأنه أقرب إلى الشمس منها نراه دائما إلى جهة الشمس ، أما إلى الغرب منها ، فيشرق قبلها ويكون نجم الصباح وأما إلى الشرق منها ويغرب بعدها وهو نجم المساء ، وأما على وجهها تماما ، ودرس طبائع هذا السيار صعب جدا لقربه من الشمس وذلك لا يعرف من أمره كما يعرف من أمر غيره من السيارات ، وهو وان دار حول الشمس فالراجح انه يدور على نفسه ، فى المدة عينها فنسبته إلى الشمس من هذا القبيل كنسبة القمر إلى الأرض (بسائط علم الفلك ص ٤٩)

(٢) القمر ، يظهر هلالا ويزيد رويدا رويدا إلى أن يصير بدرا كاملا ثم ينقص ليلة بعد أخرى إلى أن يعود هلالا ، وبقضى فى هذا التدرج أربعة أسابيع ، ويتغير مقره فى السماء يوما بعد يوم على التوالى ويعود في الشهر التالى إلى ما كان عليه فى الأول وهلم جرا .

والقمر فيه سهول وأودية ، ونوره مستمد من الشمس .

وحركاته ثلاث :

والقمر جسم مظلم ، أى غير منير لذاته تابع للارض يدور حولها ، فى دائرة مستطيلة نوعا فيقرب منها تارة ثم يبتعد عنها ، وهو يدور على نفسه في المدة التى يدور فيها حول الأرض فلا نرى الا وجها واحدا من وجهيه ، وجرم القمر مثل جزء من ٤٩ جزءا من جرم الأرض ووجهه ليس على تمام الصفاء ولو كان بدرا ولو نظرنا اليه بنظارة صغيرة رأينا فيه بقعا منيرة وبقعا مظلمة فالمظلمة سهول فسيحة والمنيرة جبال عالية ، وفى القمر سلاسل طويلة من الجبال والأودية وارتفاع أعلاها مثل ارتفاع أعلى جبال الأرض تقريبا وهو يدور دورة كاملة حول الأرض كل ٢٧

وهذه السيارات[١] كالأبدان والأشخاص بالنسبة إليها، وكل مايحدث من الموجودات، ويعرض من الحوادث، فكلها مسببات هذه الأسباب وآثار هـــذه العلويات، فيفيض على هذه العلويات من الروحانيات تصريفات وتحريكات إلى جهات الخير والنظام، ويحصل من حركاتها واتصالها تركيبات وتأليفات فى هذا العالم، ويحدث فى المركبات أحوال ومناسبات فهم الأسباب الأول، والكل مسبباتها والمسبب لا يساوى السبب، والجسمانيون متشخصون بالأشخاص السفلية، والمتشخص كيف يمثل غير المتشخص، وإنما يجب على الأشخاص فى أفعالهم وحركاتهم اقتفاء آثار الروحانيات فى أفعالها وحركاتها، حتى يراعى أحوال الهياكل وحركات أفلاكها، زمانا ومكانا، وجوهراً وهيئة، ولباسًا، وبخوراً وتعزيماً وتنجيما ودعاءًا وحاجة خاصة بكل هيكل، فيكون تقرباً إلى الهيكل تقربًا إلى الروحانى الخاص به، فيكون تقربًا إلى رب الارباب ومسبب الأسباب حتى يقضى حاجته، ويتم مسألته، وسيأتى تفصيل

يوما وثلث يوم وللقمر علاقته بمصالح الناس بتقسيم الزمان إلى شهور وأسابيع ألى تأثيره فى وقوع المد والجزر فى البحار بتأثير الجاذبية وقد يؤثر بجذبه فى الزراعة عما يثيره من الزوابع ومما هو من الغرابة بمكان أن للقمر علاقة باحوال بعض الناس العقلية حتى نسب الجنون إلى فعله ونسبة القمر إلى الأرض أكبر جدا من نسبة سائر الاقمار إلى سياراتها (بسائط علم الفلك ص ٣٨)

(١) وقد جمع الشيخ ناصيف اليازجى أسماء هذه السيارات حسب ترتيبها من الابعد إلى الاقرب فى قوله

تلك الدرارى زحل فالمشترى وبعـده مريخها فى الاثر
شمس فزهرة عطارد قمر وكلها سائرة على قــدر

ما أجملوه من أمر الهيا كل عند ذكر أصحابها إن شاء الله تعالى

أجابت الحنفاء بأن قالوا : الآن نزلتم عن نيابة الروحانيات الصرفة إلي نيابة هيا كلها وتركتم مذهب الصبوة الصرفة فان الهيا كل أشخاص الروحانيين ، والأشخاص هيا كل الربانيين ، غير أنكم أثبتم لكل روحانى هيكلا خاصا له ، فعل خاص لا يشاركه فيه غيره ، ونحن نثبت أشخاصًا رسلا كراما تقع أوضاعهم وأشخاصهم فى مقابلة كل الكون الروحاني منهم ، فى مقابلة الروحانى منها ، والأشخاص منهم ، فى مقابلة الهيا كل منها ، وحركاتهم فى مقابلة جميع الكواكب والأفلاك ، وشرائعهم مراعاة حركات استندت إلى تأييد إلٰهى روحى سماوى ، موزونة ، بميزان العدل ، مقدرة على مقادير الكتاب الأول ، ليقوم الناس بالقسط ، ليست مستخرجة بالآراء المظامة ، ولامستنبطة بالظنون الكاذبة ، إن طابقتها على المعقولات تطابقتا . وإن وافقتها بالمحسوسات توافقتا ، كيف ونحن ندعى أن الدين الالهى هو الموجود الأول ، والكائنات تقدرت عليه ، وان المناهج التقديرية هى الأقدم ، ثم المسالك الخلقية ، والسنن الطبيعية توجهت إليها ولله تعالى سنتان فى خلقه وأمره ، والسنة الأمرية أقدم وأسبق من السنة الخلقية ، وقد اطلع خواص عباده من البشر على السنتين ، ولن تجد لسنة الله تحويلا هذا من جهة الخلق ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، هذا من جهة الأمر فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام متوسطون فى تقرير سنة الخلق والأمر (والأمر) أشرف من الخلق ، فمتوسط الامر أشرف من متوسط الخلق

فالأنبياء أفضل من الملائكة ، وهذا عجب حيث سارت الروحانيات الامرية متوسطات فى الخلق ، وصارت الأشخاص الخلقية متوسطين في الامر ليعلم أن الشرف والكمال فى التركيب ، لا فى البساطة ، واليد للجسماني لا للروحانى ، والتوجه إلى التراب أولى من التوجه إلى السماء ، والسجود لآدم عليه السلام أفضل من التسبيح والتهليل والتقديس وليعلم ان الكمال فى اثبات الرجال ، لا فى تعيين الهياكل والظلال ، وانهم هم الآخرون وجودا ، السابقون فضلا ، وان آخر العمل أول الفكرة ، وان الفطرة لمن له الخمرة وان المخلوق بيديه لا يكون كالمكون بحرفيه ، قال سبحانه وتعالى فوعزتى وجلالى لا أجعل من خلقته بيدى كمن قلت له كن فكان ، قالت الصابئة الروحانيات مبادى الموجودات ، وعالمها معاد الأرواح ، والمبادى أشرف ذاتا ، وأسبق وجودا وأعلى رتبة ، ودرجة ، من سائر الموجودات التى حصلت بتوسطها ، وكذلك عالمها عالم المعاد ، والمعاد كمال ، فعالمها عالم الكمال ، فالمبدأ منها ، والمعاد اليها ، والمصدر عنها ، والمرجع اليها

---

(١) قالوا الروحانيات الفلكية مبادىء لروحانيات هذا العالم ومعادلها والمبدأ أشرف من ذى المبدأ لأن كل كمال يحصل لذى المبدأ فهو مستفاد من المبدأ والمستفيد أقل حالا من الواهب وكذا المعاد يجب أن يكون أشرف فعالم الروحانية عالم الكمال فالمبدأ منها والمعاد اليها والمصدر عنها والمرجع اليها وأيضا فان الارواح انما نزلت من عالمها حتى اتصلت بالأبدان فتوشحت بأوضار الاجسام ثم تطهرت عنها بالاخلاق الزكية والأعمال المرضية حتى انفصلت عنها فصعدت إلى عالمها الأول فالنزول هو النشأة الاولى والصعود هو النشأة الاخرى فعرف أن الروحانيات أشرف من الاشخاص البشرية (الاعتراض) هذه الكلمات بنيتموها على نفى المعاد ونفى حشر الاجساد ودونهما خرط القتاد (الرازى أول ص ٣٠٩)

بخلاف الجسمانيات، وأيضا فان الأرواح انما نزلت من عالمها حتى اتصلت بالابدان فتوسخت بأوضار الاجسام ، ثم تطهرت عنها بالأخلاق الزكية والاعمال المرضية ، حتى انفصلت عنها فصعدت إلى عالمها الأول ، فالنزول هو النشأة الأولى، والصعود هو النشأة الآخرة ، فعرف أنهم أصحاب الكمال ، لا أشخاص الرجال، أجابت الحنفاء من أين سلمتم هذا التسليم ، ان المبادى هي الروحانيات ، وأى برهان أقمتم وقد نقل عن كثير من قدماء الحكماء أن المبادى هى الجسمانيات على اختلاف منهم فى الأول ، منها أنه نار أو هواء أو ماء ، أو أرض ، واختلاف آخر أنه مركب ، أو بسيط ، واختلاف آخر أنه انسان أو غيره ، حتى صارت جماعة إلى اثبات أناس سرمديين ، ثم منهم من يقول أنهم كانوا كالظلال حول العرش ومنهم من يقول ان الآخر وجودا من حيث الشخص في هذا العالم هو الأول وجوداً من حيث الروح فى ذلك العالم وعليه خرج ، ان أول الموجودات نور محمد عليه الصلاة والسلام فاذا كان شخصه هو الآخر من جملة الأشخاص النبوية ، فروحه هو الأول من جملة الارواح الربانية ، وانما حضر هذا العالم ليخلص الارواح الدنسة بالاوضار الطبيعية ، فيعيدها إلى مبدئها ، وإذا كان هو المبدأ فهو المعاد أيضا ، فهو النعمة ، وهو النعيم ، وهو الرحمة ، وهو الرحيم ،قالوا ونحن إذا أثبتنا ان الكمال فى التركيب لا فى البساطة ، والتحليل ، فيجب أن يكون المعاد بالاشخاص والاجساد ، لا بالنفوس والأرواح[1] ، والمعاد

(١) اختلفوا فى مسألة ما يعاد من الاجساد والارواح فقال المسلمون واليهود والسامرة باعادة الاجساد والارواح ورد الاجساد إلى الارواح على التعيين برجوع

كمال لا محالة ، غير أن الفرق بين المبدأ والمعاد ، هو ان الارواح في المبدأ مستورة بالاجساد ، وأحكام الاجساد غالبة ، وأحوالها ظاهرة للحس والاجساد فى المعاد معمورة بالارواح ، وأحكام النفوس غالبة وأحوالها ظاهرة للعقل ، وَالافلو كانت الاجساد تبطل رأسا وتضمحل أصلا ، وتعود الارواح إلى مبدئها الأول ، ما كان للاتصال بالأبدان ، والعمل بالمشاركة فائدة ، ولبطل تقدير الثواب والعقاب على فعل العباد ، ومن الدليل القاطع على ذلك ، أن النفوس الانسانية في حال اتصالها بالبدن اكتسبت أخلاقا نفسانية ، صارت هيآت متمكنة فيها تمكن الملكات ، حتى قيل

كل روح إلى الجسد الذى كان فيه وانكرت الحلولية وأكثر النصارى اعادة الاجساد وزعموا أن الثواب والعقاب انما يكون للارواح وزعم أهل التناسخ ان الاعادة انما تكون بكرور الارواح فى أجساد مختلفة وذلك كله فى الدنيا وإن كل روح أحسنت فى قالبها أعيدت فى قالب يتنعم فيه وكل روح أساءت إلى قالبها أعيدت فى قالب يؤذيها وزعموا أن أرواح الحيات والعقارب كانت قد أساءت فى بعض القوالب فعذبت فى قوالب الحيات والعقارب فيقال لهم هل تثبتون لكون الروح فى القالب ابتداء لم يكن قبله فى غيره فان قالوا لا صاروا إلى قول الدهرية القائلة بقدم الاجسام وقد أفسدنا قولهم قبل هذا وان قالوا نعم قيل فما أنكرتم إن ليس كون الروح الآن فى هذا القالب جزاء له على عمل كان قبل ذلك كما لم يكن كونها فى القالب الاول جزاء له على عمل قبل ذلك والعجب من انكار أهل التناسخ قول المسلمين بأخذ الميثاق عليهم فى الذر الاول وقالوا لهم لو كان ذلك صحيحا لكنا نذكره وهم يدعون أن روح كل انسان كانت فيما مضي فى قالب آخر وعملت فيه طاعات أو معاصى فلحقها الجزاء فى هذا القالب ولا يذكر ذلك أحد منهم ولا منا ممن أجاز هذا وانكر ذلك ، فانما يسخر من نفسه (أصول الدين ص ٢٣٥)

انها نزلت منزلة الفصول اللازمة ، التى تميزها عن غيرها ، ولولاها لبطل التميز ، وتلك الهيئات انما حصلت بمشاركات من القوي الجسمانية ، بحيث أن يتصور إلا فى أجسام مزاجية ، فاذا كانت النفوس لن تتصور إلا معها وهى المعينة المخصصة ، وتلك لن تتصور إلا مع الاجسام فلا بد من حشر الاجسام ، والمعاد[1] بالاجسام ، قالت الصابئة طريقنا فى التوسل

(١) القول فى المعاد ، إما أن يكون هو المعاد الجسمانى ، وهو قول أكثر المتكلمين أو المعاد الروحانى فقط وهو قول أكثر الفلاسفة الالهيين . أو كل منهما حق ، وصدق وهو قول أكثر المحققين أو الحق بطلانهما معا ، وهو قول القدماء من الفلاسفة الطبيعيين . والحق التوقف ، وهو المنقول عن جالينوس ، واعلم أن المعاد الجسمانى أنكره أكثر الفلاسفة ، وجملة أهل الاسلام متفقون على إثباته . إذ هو يتفق وما جاء في القرآن .

والقائلون به فريقان : منهم من يقول إنه تعالى يعدم الذوات ثم يعيدها . ومنهم من يقول إنه تعالى يفرق الأجزاء ثم يركبها مرة أخرى ، ولنا الجواز العقلى والوقوع السمعى والجواز العقلى مبناه ، إعادة المعدوم جائزة ، وتركيب المتفرق ممكن ، إلى أنه تعالى قادر على جميع الممكنات . عالم بجميع المعلومات . فتميز المطيع من العاصى . وقد بنى الله تقرير ذلك . فى كتابه قال تعالى : « أمن يبدأ الخلق ثم يعيده الآية ، تشير إلى أن عوده ممكن . وأنه تعالى قادر على هذا الممكن : لأنه لو لم يكن الأمر كذلك لما كان الابتداء ممكنا وقال تعالى : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم قل يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » فقوله أنشأها أول مرة إشارة إلى كمال العلم . وقوله أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، إشارة الجواز الذاتى وإلى كمال القدرة . وقال تعالى : « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » . فقوله يبدأ الخلق ثم يعيده إشارة إلى الجواز الذاتي وكمال القدرة ، وقوله هو العزيز إشارة أيضا إلى كمال القدرة والحكيم لمشارة إلى كمال العلم .

إلى حضرة القدس ظاهرة ، وشرعنا معقول ، فان قدماءنا من الزمان الاول

= والفلاسفة المنكرون لصحة المعاد الجسمانى احتجوا بوجوه

(١) حشر الأجساد لا يتم إلا مع القول ، بصحة إعادة المعدوم وهذا محال .
وقد بينا أنه سواء أقلنا إنه تعالى يعدم الأجزاء ثم يعيدها أو إنه تعالى يفرقها ثم يركبها فانه لا بد من القول بصحة إعادة المعدوم وأما قولهم إعادة المعدوم ممتنعة ، فقد بينا أن كل ما سوى الله تعالى فانه يصح العدم عليه ولكن ليس كل ما صح وقع وسواء أعدمت ، أم فرقت . فالدليل العقلى والسمعى يؤيدان الأحياء ، والجمع .

(٢) إذا قتل إنسان وأكله آخر . فأجزاء بدن المقتول أجزاء بدن آكله .
فمحال حشر الأجسام

(٣) إنه تعالى إذا أعاد بدن شخص فإما أن يعيد أجزاءه وقت موته . أو أجزاءه فى مدة حياته ، والأول يقتضى أن يعاد الأعمى والأقطع والمجذوم على هذه الصورة وذلك باطل بالاتفاق ، والثانى أيضا باطل لأن الانسان إذا كان وقت إسلامه سمينا ، ثم كفر وصار هزيلا فاذا حشر سمينا ، لزم عذاب أجزاء كانت موصوفة بالاسلام وذلك ظلم ، وعلى العكس لو كان كافرا سمينا ثم أسلم هزيلا لزم إيصال الثواب إلى أجزاء كافرة وهو محال

(٤) البدن جوهر حار رطب فربما صعدت أجزاء منها والتصقت بآخر فلو أعيد لضاع جزء مما التصق به وهو باطل .

أما عن الشبهة الأولى فقد بينا أن إعادة المعدوم غير ممتنعة وأما عن الثانية فالمعتبر فى الحشر والنشر أعادة الأجزاء الأصلية لا الفاضلة . وبهذا يظهر الجواب عن الشبهة الثالثة لأن المأمور والمنهى والمثاب والمعاقب هو تلك الأجزاء الأصلية الباقية من أول العمر إلى آخره فأما الزوائد التى تتبدل باختلاف السمن والهزال فلا عبرة بها وبه يظهر الجواب عن الشبهة الرابعة لأن الأجزاء التى تصير أبخرة وتنفصل عن العضو وتتصل بآخر فهى من الاجزاء الفاضلة ولا عبرة بها فى الحشر والنشر

هذا والقطع بوقوع المعاد الجسمانى له طريقان به السمع والعقل أما السمعى لما ثبت بالدليل العقلى جوازه وثبت بالنقل المتوافر عن جميع الانبياء والرسل عليهم السلام وقوعه فوجب القطع بوقوعه وأما العقلى فمن وجهين

(١) انا نرى فى دار الدنيا مطيعا وعاصيا ومحسنا ومسيئا ونرى أن المطيع يموت من

لما أرادوا ، الوسيلة ، عملوا أشخاصاً فى مقابلة الهيا كل العلوية ، على نسب واضافات ، راعوا فيها جوهرا وصورة ، وعلى أوقات وأحوال وهيئات أوجبوا على من يتقرب بها إلى ما يقابلها من العلويات تختما ولباسا وتبخرا ودعاء وتعزما ، فتقربوا إلى الروحانيات ، فتقربوا إلى رب الأرباب ، ومسبب الأسباب ، وهو طريق مهيع [1] وشرع مهيد [2]

= غير ثواب فى دنياه والعاصى يموت من غير عقاب فى دنياه فان لم يكن حشر . ونشر يصل فيه الثواب الى المحسن . والعقاب الى المسىء لكانت هذه الحياة الدنيا عبثا بل سفها والله تعالى يقول : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى » وقال « وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى أم نجعل المتقين كالفجار »

(٢) نقول أنه تعالى خلق الخلق إما للراحة وإما للتعب والألم أو لا للراحة ولا للتعب ولا جائز أن يقال خلقهم للتعب والألم لانه المحسن الرحيم الغنى عن الخلق ولا جائز أن يقال أن خلقهم لا للراحة ولا للتعب والالم لأنهم حال كونهم معدومين كان هذا المعنى حاصلا فدل على أنه تعالى إنما خلقهم للراحة وهى إما فى هذا العالم أو عالم آخر ولا جائز أن يقال إنها فى هذا العالم لأن الذى يظنه الانسان لذة فى هذا العالم فهو ليس بها بل هو دفع لألم فلذة الاكل دفع لألم الجوع فلا بد من القطع بوجود عالم آخر يحصل فيه هذا المقصود وذلك هو الدار الآخرة (الأربعين فى أصول الدين للرازى ص ٢٨٧)

(١) طريق مهيع واضح واسع بين وجمعه مهايع ، أنشد ابن برى

أن الصنيعة لا تكون صنيعة   حتى يصاب بها طريق مهيع

وفى حديث على اتقوا البدع والزموا المهيع وهو الطريق الواسع المنبسط .

(٢) مهيد من هاده يهيده هيدا حركه وأصلحه وفى الحديث انه قيل للنبى ﷺ فى مسجده يا رسول الله هده فقال بل عرش كعرش موسى قيل هده بمعنى أصلحه

لا يختلف بالامصار والمدن، ولا ينسخ بالأدوار والا كوار ، ونحن تلقينا مبدأه من عاذيمون وهرمس العظيمين ، فعكفنا على ذلك دائبين ، وأنتم معاشر الحنفاء تعصبتم للرجال ، وقلتم بأن الوحى والرسالة ينزل عليهم من عند الله سبحانه وتعالى ، بواسطة أو بغير واسطة ، فما الوحى (١)

اذ أنه يراد به الاصلاح بعد الهدم أى هده ثم أصلحه وقد تكون الكلمة هى تمهد يقال مهدت لنفسي ومهدت أى جعلت لها مكانا وطيا سهلا وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها

(١) الوحى الاعلام فى خفاء قال الجوهرى الوحى الكتاب وجمعه وحى مثل حلى وحلى قال لبيد فمدافع الريان عرى رسمها خلقا كما ضمن الوحى سلامها

أراد ما ينقش على الحجارة ويكتب فيها والوحى الرسالة والالهام والكلام الخفى والوحى المكتوب والكتاب وفى حديث الاعور قال علقمة قرأت القرآن فى سنتين فقال الحرث القرآن هين والوحى أشد منه أراد بالقرآن القراءة وبالوحى الكتابة والخط وقيل المفهوم من كلام الحرث عند الاصحاب شىء تقوله الشيعة انه أوحى إلى سيدنا رسول الله ﷺ شىء خص به أهل البيت وأوحى اليه بعثه وأوحى اليه ألهمه قال تعالى وأوحى ربك إلى النحل وأوحى أومأ واشار قال تعالى فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا وأوحى إذا بعث برسول ثقة إلى عبد من عبيده ثقة أو كلم عبده بلا رسول أو الالهام والالقاء والأمر وإذ أوحى إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى وقال وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه القاء الله فى قلبها وكذلك الاشارة والايماء يسمى وحيا والكتابة تسمى وحيا وقال الله عز وجل وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب معناه إلا أن يوحى اليه وحيا فيعلمه بما يعلم البشر انه أعلمه إما الهاما أورؤيا وإما أن ينزل عليه كتابا كما انزل على موسى أو قرآنا يتلى عليه كما انزله على سيدنا محمد ﷺ وكل هذا إعلام وان اختلفت أسباب الاعلام وأوحى ووحى لغتان والاولى افصح وبها ورد القرآن هذا من جهة اللغة وفى اصطلاح الشريعة هو كلام الله المنزل على نبى من انبيائه وأقسامه فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام فعلى ثلاثة أضرب احدها سماع الكلام

أولا ، وهل يجوز أن يكلم الله بشرا ، وهل يكون كلامه من جنس

القديم كسماع موسي عليه السلام بنص القرآن ونبينا ﷺ بصحيح الآثار والثانى وحى رسالة بواسطة الملك الثالث وحى تلق بالقلب كقوله عليه الصلاة والسلام أن روح القدس نفث فى روعى أى فى نفسى وقيل كان هذا حال داود عليه السلام والوحى إلى غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمعنى الالهام كالوحي إلى النحل وأما صوره على ماذكره السهيلى فسبعة الاولى المنام الثانية ان يأتيه الوحى مثل صلصلة الجرس الثالثة أن ينفث فى روعه قل مجاهد وغيره فى قوله تعالى (ان يكلمه الله الا وحيا وهو أن ينفث فى روعه بالوحى الرابعة أن يتمثل له الملك رجلا ولهذا كان يأتى رسول الله ﷺ فى صورة دحية وتمثله بصورة دحية دون غيره من الصحابة لكونه أحسن أهل زمانه صورة ولهذا كان يمشى متلثما خوفا أن يفتتن به النساء الخامسة أن يتراءي له جبريل عليه السلام فى صورته التى خلقها الله تعالى له بستمائة جناح ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت السادسة أن يكلمه الله تعالى من وراء حجاب إما فى اليقظة كليلة الاسراء أو فى النوم كما جاء فى الترمذى مرفوعا (أتانى ربى فى أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الاعلى) الحديث هذا والملك جسم علوى لطيف يتشكل بأى شكل شاء وهو قول أكثر المسلمين أما الفلاسفة فانها ذهبت إلى أن الملائكة جواهر قائمة بأنفسها ليست بمتحيزة البتة فمنهم من هى مستغرقة فى معرفة الله تعالى فهم الملائكة المقربون ومنهم مدبرات هذا العالم ان كانت خيرات فهم الملائكة الأرضية وان كانت شريرة فهم الشياطين أما كيف كان سماع النبى صلى الله عليه وسلم والملك الوحى من الله تعالى ، أجيب بأن الغزالى رحمه الله تعالى قال وسماع النبى والملك عليهما السلام الوحى من الله تعالى بغير واسطة يستحيل أن يكون بحرف أو صوت لكن يكون بخلق الله تعالى للسامع علما ضروريا بثلاثة أمور بالتكلم وبان ما سمعه كلامه وبمراده من كلامه والقدرة الازلية لا تقصر عن اضطرار النبى والملك ألى العلم بذلك وكما أن كلامه ليس من جنس كلام البشر فسماعه الذى يخلقه لعبده ليس من جنس سماع الاصوات ولذلك عسر علينا فهم كيفية سماع موسى عليه الصلاة والسلام لكلامه تعالى الذى ليس بحرف ولا صوت كما يعسر على الاكمة كيفية ادراك البصر للالوان أما سماعه عليه الصلاة والسلام

كلامنا ، وكيف ينزل ملك من السماء ، وهو ليس بجسمانى ابصورته أَم بصورة البشر ، ومامعنى تصوره بصورة الغير ، أَفيخلع صورته ويلبس لباسا آخر ، أَم يتبدل وضعه وحقيقته ، ثم ما البرهان أولا على جواز انبعاث الرسل ، فى صورة البشر ، وما دليل كل مدع منهم ، أفنأخذ بمجرد دعواهم ، أم لابد من دليل خارق للعادة ، وان أَظهر ذلك ، أفهو من خواص النفوس ، أم من خواص الاجسام ، أم فعل البارى سبحانه وتعالى ، ثم ما الكتاب الذى جاء به أفهو كلام البارى تعالى ، وكيف

فيحتمل أن يكون بحرف وصوت دال على معنى كلام الله تعالى فالمسموع الاصوات الحادثة وهى فعل الملك دون نفس الكلام ولا يكون هذا سماعا لكلام الله تعالى من غير واسطة وان كان يطلق عليه انه سماع كلام الله تعالى وسماع الامة من الرسول عليه الصلاة والسلام كسماع الرسول من الملك وطريق الفهم فيه تقديم المعرفة بوضع اللغة التى تقع بها المخاطبة وحكي القرافى خلافا للعلماء فى ابتداء الوحي هل كان جبريل ينقل له ملك عن الله عز وجل أو يخلق له علم ضرورى بأن الله تعالى طلب منه أن يأتى محمدا ، أو غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بسورة كذا أو خلق له علما ضروريا بأن يأتى اللوح المحفوظ فينقل منه كذا وأما تمثله رجلا فيحتمل أن الله تعالى أفنى الزائد من خلقه ثم أعاده عليه ويحتمل أن يزيله عنه ثم يعيده اليه بعد التبليغ وأما التداخل فلا يصح على مذهب أهل الحق وما قيل إذا لقى جبريل النبى عليه الصلاة والسلام فى صورة دحيه فاين تكون روحه فان كان فى الجسد الذى له ستمائة جناح فالذى أتى لاروح جبريل ولا جسده وان كان فى هذا الذى هو في صورة دحية فهل يموت الجسد العظيم أم يبقى خاليا من الروح المنتقلة عنه إلى الجسد المشبه بجسد دحيه أجيب بانه لا يبعد أن لا يكون انتقالها موجب موته فيبقي الجسد حيا لا ينقص من مفارقته شيء يكون انتقال روحه إلى الجسد الثانى كانتقال أرواح الشهداء إلى أجواف طير خضر وموت الاجساد بمفارقة الأرواح ليس بواجب عقلا بل بعادة أجراها الله تعالى في بنى آدم فلا يلزم في غيرهم (العينى أول ص ٤٠)

يتصور فى حقه كلام ، أَم هو كلام الروحانى ، ثم هذه الحدود والاحكام أكثرها غير معقولة ، فكيف يسمح عقل الانسان بقبول أمر لا يعقله ، وكيف تطاوعه نفسه بتقليد شخص هو مثله ابأن يريد أن يتفضل عليه ، ولو شاء الله لأنزل ملائكة(١) ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين ، أجابت الحنفا

---

(١) هذا من شبه منكرى النبوات فانهم يقولون لو بعث الله إلى الخلق رسولا لوجب أن يكون ذلك الرسول واحدا من الملائكة فانهم إذا كانوا من زمرة الملائكة كانت علومهم أكثر وقدرتهم أشد ومهابتهم أعظم وامتيازهم عن الخلق أكمل والشبهات والشكوك فى نبوتهم ورسالتهم أقل والحكيم إذا أراد تحصيل مهم فكل شيء كان أشد إفضاء إلى تحصيل ذلك المطلوب كان أولى فلما كان وقوع الشبهات فى نبوة الملائكة أقل وجب لو بعث الله رسولا إلى الخلق أن يكون ذلك الرسول من الملائكة وهذا هو المراد من قوله تعالى وقالوا لولا أنزل عليه ملك . وقال تعالى « ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين » فبعثة الملائكة أشد إفضاء إلى هذا المقصود من بعثة البشر لان الملائكة لعلو شأنهم وشدة سطوتهم وكثرة علومهم فالخلق ينقادون إليهم ولا يشكون فى رسالتهم فلما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أرسل رسولا البتة .

وقد أجاب الله تعالى عن هذه الشبهة من وجهين أما الاول فقوله ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ومعنى القضاء الاتمام والالزام بمعنى أن إنزال الملك على البشر آية قاهرة فبتقدير إنزال الملك على هؤلاء الكفار فربما لم يؤمنوا كما قال « ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة إلى قوله ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله وإذا لم يؤمنوا وجب اهلاكهم بعذاب الاستئصال فان سنة الله جارية بأن عند ظهور الآية القاهرة ان لم يؤمنوا جاءهم عذاب الاستئصال فههنا ما انزل الله تعالى الملك اليهم لئلا يستحقوا هذا العذاب إلى انهم اذا شاهدوا الملك زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون وتقريره ان الآدمى إذا رأى الملك فاما ان يراه على صورته الاصلية أو على صورة البشر وذلك لا يتفاوت الحال فيه سواء كان هو فى نفسه ملكا او بشرا ألا يرى أن جميع

بأن المتكلمين منا يكفوننا جواب هذا الفصل بطريقين ، أحدهما الالزام تعرضا لابطال مذهبكم ، والثاني الحجة تعرضا لاثبات مذهبنا . أما الالزام ، قالوا انكم ناقضتم مذهبكم حيث قلتم بتوسط عاذيمون وهرمس وأخذتم طريقتكم منهما ، ومن أثبت المتوسط فى انكار المتوسط فقد تناقض كلامه ، وتخلف مرامه ، وزادوا على هذا تقريرا ، بأنكم معاشر

الرسل عاينوا الملائكة فى صورة البشر كأضياف ابراهيم وأضياف لوط وكالذين تسوروا المحراب وكجبريل حيث تمثل لمريم بشراً سويا ، بله أن أنزال الملك آية قاهرة جارية مجرى الالجاء وازالة الاختيار وذلك مخل بصحة التكليف ، فوق أن انزاله وان كان يدفع الشبهات المذكورة إلا أنه يقوى الشبهات من وجه آخر وذلك لأن أى معجزة ظهرت عليه قالوا هذا فعلك فعلته باختيارك وقدرتك ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القدرة والقوة والعلم لفعلنا مثل ما فعلته أنت فعلمنا أن انزال الملك وان كان يدفع الشبهة من الوجوه المذكورة ولكنه يقوى الشبهة من هذه الوجوه وأما قوله ثم لا ينظرون فالفائدة فى كلمة ثم التنبيه على أن عدم الانظار أشد من قضاء الأمر لأن مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة وأما الثانى فقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا أى لجعلناه فى صورة البشر والحكمة فيه أمور : (١) أن الجنس إلى الجنس أميل (٢) أن البشر لا يطيق رؤية الملك (٣) أن طاعات الملائكة قوية فيستحقرون طاعة البشر وربما لا يعذرونهم فى الاقدام على المعاصى (٤) ان النبوة فضل من الله فيختص بها من يشاء من عباده سواء كان ملكا أم بشراً ، ثم قال وللبسنا عليهم ما يلبسون لشبهناه عليهم نظير تلبيسهم فانه وقد جعل الملك فى صورة البشر فهم يظنون كون ذلك الملك بشرا فيعود سؤالهم إنا لانرضى برسالة هذا الشخص وتحقيق الكلام أن الله لو فعل ذلك لصار فعل الله نظيرا لفعلهم فى التلبيس وانما كان ذلك تلبيسا لأن الناس يظنون انه بشر مع انه ليس كذلك وانما كان فعلهم تلبيسا لأنهم يقولون لقومهم انه بشر مثلكم والبشر لا يكون رسولا من عند الله تعالى (الرازى رابع وسادس ص ١٣ – ٢٢١)

الصابئة أيضا متوسطون ، يحتاج اليكم فى اثبات مذهبكم ، إذ من المعلوم أن كل من دب ودرج منكم ليس يعرف طريقتكم ، ولا يقف على صنعتكم من علم وعمل ، أما العلم فالاحاطة بحركات الكواكب والأفلاك ، وكيفية تصرف الروحانيات فيها ، وأما العمل فصنعة الأشخاص فى مقابلة الهياكل على النسب ، بل قوم مخصوصون ، أو واحد فى كل زمان يحيط بذلك علما ، وتيسر له عملا ، فقد أتيتم متوسطا عالما من جنس البشر ، فقد ناقض آخر كلامكم أوله ، وزادوا لهذا تقريرا آخر ، بالزام الشرك عليهم إما الشركة فى أفعال البارى تعالى ، وإما الشركة فى أوامره ، أما الشرك في الأفعال هو اثبات تأثيرات الهياكل والأفلاك ، فان عندهم الابداع الخاص بالرب تعالى هو اختراع الروحانيات ، ثم تفويض أمور العالم العلوى اليها ، والفعل الخاص بالروحانيات هو تحريك الهياكل ، ثم تفويض أمور العالم السفلى اليها ، كمن يبنى معملة ، وينصب أركانا للعمل ، من الفاعل والمادة والآلة والصورة ، ويفوض العمل إلى التلامذة ، فهؤلاء اعتقدوا أن الروحانيات آلهة ، والهياكل أرباب ، والأصنام فى مقابلة الكل باتخاذ وتصنع من كسبهم وفعلهم ، فألزم أصحاب الأصنام انكم تكلفتم كل التكليف حتى توقعوا حجرا جمادا ، فى مقابلة هيكل ، وما بلغت صنعتكم إلى احداث حياة فيه ، وسمع وبصر ونطق وكلام ، أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ، أوليست أوضاعكم الفطرية وأشخاصكم الخلقية أفضل منها ، وأشرف

أو ليست النسب والاضافات النجومية المرعية فى خلقتكم أشرف وأكمل مما راعيتموها فى صنعتكم، أتعبدون[1] ما تنحتون والله خلقتكم وما تعملون أو لستم تحتاجون إلى المتوسط المعمول لقضاء حاجة إما جلب نفع أو دفع ضر ، فهذا العالم الصانع أقدر إذ فيـــه من القوة العلمية والعملية ما يستعمل بها الهيكل العلوى ، ويستخدم الروحاني ، فهلا ادّعى لنفسه ما يثبت بفعله فى جماد ، ولهذا الالزام تفطن اللعين فرعون حيث ادّعى الإلهية والربوبية لنفسه ، وكان فى الأول على مذهب الصابئة فصبا عن ذلك ، ودعا إلى نفسه أنا ربكم الأعلى[2] ما علمت لكم من إله غيري

---

(١) اتعبدون ما تنحتون استفهام معناه الانـكار والتوبيخ إذ كيف يصح أن يعبد الانسان ما يعمله بيده فانهم كانوا ينحتون الأصنام بأيديهم فان القوم لما عاتبوا ابراهيم على كسر أصنامهم ذكر لهم دليلا دالا على فساد المصير إلى عبادتها فان الخشب والحجر قبل النحت والاصلاح ما كان معبودا للانسان البتة فاذا نحته وشكله على الوجه المخصوص لم يحدث فيه الا آثار تصرفه فلو صار معبودا عند ذلك لـكان معناه ان الشى الذى ما كان معبودا لما حصلت آثار تصرفاته فيه صار معبودا عند ذلك وفساد ذلك معلوم ببديهيه العقل والله خلقـكم وما تعملون فى موضع الحال من ضمير تعبدون لتأكيد الانكار والتوبيخ والاحتجاج على انه لا ينبغى تلك العبادة وهذه آية على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى فمعناها والله خلقـكم وخلق عملـكم فـكيف تدعون عبادته وتعبدون معمولـكم وهذا فيه تقريع لهم وازراء عليهم بقبيح فعلهم .

(٢) فحشر فنادى فقال انا ربـكم الأعلى بان جمع السحرة فقام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة أو أمر منادٍ يا فنادى فى الناس بذلك وعن ابن عباس كلمته الأولى ما علمت لـكم من اله غيرى والاخيرة أنا ربـكم الأعلى فالأولى انما يريد أن يروج بها على اغمار قومه بعد أن ظهرت حجة موسى وكلمته الأولى تنتظم نفى اله غيره

إذ رأى فى نفسه قوة الاستعمال والاستخدام ▪ واستظهر بوزيره هامان وكان صاحب الصنعة . فقال : ياهامان[١] ابن لى صرحًا لعلى أبلغ

واثبات الالهية لنفسه إذا كان اعتماده على ان مالا دليل عليه لم يجز اثباته أما انه لادليل عليه فلان هذه الكواكب والافلاك كافية فى اختلاف أحوال هذا العالم السفلى فلا حاجة إلى اثبات صانع وأما أن مالا دليل عليه لم يجز اثباته فالأمر فيه ظاهر والمقدمة الأولى كاذبة فأنا لانسلم أنه لا دليل على وجود الصانع وذلك لانا إذا عرفنا بالدليل حدوث الاجسام عرفنا حدوث الافلاك والكواكب وعرفنا بالضرورة أن المحدث لابد له من محدث فحينئذ نعرف بالدليل أن هذا العالم له صانع والعجب أن جماعة اعتمدوا فى نفى كثير من الأشياء على أن قالوا لا دليل عليه فوجب نفيه قالوا وانما قلنا انه لا دليل عليه لأنا بحثنا وسبرنا فلم نجد عليه دليلا فرجع حاصل كلامهم بعد التحقيق إلى أن كل مالا يعرف عليه دليل وجب نفيه وأن فرعون لم يقطع بالنفى بل قال مالا دليل عليه فلا اثبته بل أظنه كاذبا في دعواه ففرعون على نهاية جهله أحسن حالا من هذا المستدل أما اثباته الهية نفسه ، فليس المراد منه انه كان يدعى كونه خالقا للسموات والأرض والبحار والجبال وخالقا لذوات الناس وصفاتهم فان العلم بامتناع ذلك من أوائل العقول فالشك فيه يقتضى زوال العقل بل الاله هو المعبود فالرجل كان ينفى الصانع ويقول لا تكليف على الناس إلا أن يطيعوا ملكهم وينقادوا لأمره فهذا هو المراد من اذعائه الالهية لا ماظنه الجمهور من ادعائه كونه خالقا للسماء والأرض وبخاصة فقوله فمن ربكما ياموسى فيه آية على أنه كان عارفا بالله تعالى وأنه كان يقول ذلك ترويجا على الاغمار من الناس والرجل كان دهريا منكرا للصانع والحشر والنشر وكان يقول ليس لأحد عليكم أمر ولا نهى الا لى فانا ربكم بمعنى مربيكم والمحسن اليكم وليس للعالم اله حتى يكون له عليكم أمر ونهى أو يبعث اليكم رسولا هذا وقد كان الاليق به بعد ظهور خزيه عند انقلاب العصا حية أن لا يقول هذا القول لأن عند ظهور الذلة والعجز كيف يليق أن يقول انا ربكم الاعلى فدلت هذه الآية على أنه فى ذلك الوقت صار كالمعتوه الذى لا يدرى ما يقول

(١) وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات ، فأطلع إلى اله موسى لما وصف الله فرعون بكونه متجبرا جبارا بين انه بلغ فى

الأسباب أسباب السموات فأَطلع إلى إِله موسى ، وكان يريد أن يبنى صرحا مثل الرصد ، فيبلغ به إِلى حركات الأَفلاك والكواكب . وكيفية

البلادة والحماقة إلى أن قصد الصعود إلى السموات فيطلع إلى اله موسى وهذا جهل منه بظنه انه سبحانه مستقر في السماء وان رسله كرسل الملوك يلاقونه ويصلون إلى مقره وهو عز وجل منزه عن صفات المحدثات والاجسام ولا يحتاج إلى ما تحتاج اليه رسل الملوك رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام وقال الرازى والذى عندى في تفسير هذه الآية أن فرعون كان من الدهرية وغرضه من ذكر هذا الكلام اراد شبهة فى نفى الصانع وتقريره انه قال إنا لا نرى شيئا نحكم عليه بأنه اله العالم فلم يجز اثبات هذا الاله اما إنا لا نراه فلانه لو كان موجودا لكان فى السماء ونحن لا سبيل لنا إلى صعود السموات فكيف يمكننا ان نراه ثم انه لاجل المبالغة فى بيان أنه لا يمكنه الصعود إلى السموات قال يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب والمقصود انه لما عرف كل أحد أن هذا الطريق ممتنع كان الوصول إلى معرفة وجود الله بطريق الحس ممتنعا ونظيره قوله تعالى فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية وليس المراد منه أن محمدا صلى الله عليه وسلم طلب نفقا فى الأرض أو وضع سلما فى السماء بل المعنى إنه لما عرف أن هذا المعنى ممتنع فقد عرف أن لا سبيل لك إلى تحصيل ذلك المقصود فكذا هنا غرض فرعون من قوله يا هامان ابن لى صرحا يعني أن الاطلاع على إله موسى لما كان لا سبيل إليه بهذا الطريق وكان هذا الطريق ممتنعا فحينئذ يظهر منه أن لاسبيل إلى معرفة الاله الذى بينه موسى ، وهذه شبهة فاسدة لأن طريق العلم ثلاثة الحس والخبر والنظر ولا يلزم من انتفاء طريق واحد وهو الحس انتفاء المطلوب وذلك لأن موسى قد بين لفرعون أن الطريق فى معرفة الله تعالى انما هو الحجة والدليل كما قال ربكم ورب آبائكم الأولين رب المشرق والمغرب إلا أن فرعون لخبثه ومكره تغافل عن ذلك الدليل والقى إلى الجهال انه لما كان لا طريق إلى الاحساس بهذا الاله وجب نفيه فقال لهامان ابن لى صرحا ، وانما قال ذلك على سبيل التهكم فقال وانى لاظنه من الكاذبين وما علمت لكم من اله غيرى .

تركيبها، وهيآتها، وكمية أدوارها وأكوارها، فلربما يطلع على سر التقدير فى الصنعة، ومآل الأمر فى الخلقة والفطرة . ومن أين له هذه القوة والبصيرة . ولكن اغترارا بنوع فطنه وكياسة فى جبلته . واغترارا بضرب اهمال فى مهلته، فما تمت لهم الصنعة حتى أغرقوا ، فأدخلوا نارا، فحدث بعده السامرى، وقد نسبح على منواله فى الصبوة، حتى أخذ قبضة من أثر الروحانى، وأراد أن يرقى الشخص الجمادى عن درجته إلى درجة الشخص الحيوانى ، فأخرج لهم عجلا جسدا له[1] خوار ،

(١) كان لبنى إسرائيل عيد يتزينون فيه ، ويستعيرون من القبط الحلى فاستعاروا حلى القبط لذلك اليوم فلما أغرق الله القبط بقيت تلك الحلى فى أيدى بنى إسرائيل فجمع السامرى تلك الحلى وكان رجلا مطاعا فيهم ذا قدر وكانوا قد سألوا موسى عليه السلام أن يجعل لهم الها يعبدونه فصاغ السامرى عجلا وقد أخذ كفا من حافر فرس جبريل فالقاه فى جوف ذلك العجل فانقلب لحما ودما وظهر منه الخوارمرة واحدة ، وقد ذكر بعضهم فى سر ذلك أن جبريل لكونه الروح الاعظم سرت قوة منه إلى ذلك التراب أثرت ذلك الأثر باذن الله تعالى لأمر يريده عز وجل ولايلزم من ذلك ان يحيا ما يطؤه بنفسه عليه السلام لأن لأمر مربوط بالاذن وهو انما يكون بحسب الحكم التى لا يعلمها إلا الحكيم الخبير وقد قال السدى انه كان يخور ويمشى ، وعن وهب نفى الحركة والآية ساكتة عن اثباتها فالتوقف عن اثبات الشيء أولى واعتمد من ذهب إلى هذا أن الجسد اسم للجسم الذى يكون من اللحم والدم وان له خوارا وانما يتأتى هذا فى الحيوان ، إذ الخوار صوت البقر خاصة ، ومن نازعهم ذهب إلى أن الجسد اسم لكل جسم كثيف سواء كان من اللحم والدم أم لم يكن كذلك وأن الصوت لما أشبه الخوار ، لم يبعد اطلاق لفظة الخوار عليه وقد قرأ على ، جؤار من جأر إذا صاح ولهذا قالوا انه جعل ذلك العجل مجوفا ووضع فى جوفه أنابيب على شكل مخصوص وكان قد وضع ذلك التمثال على مهب الرياح فكانت الريح تدخل فى جوف الانابيب ويظهر منه صوت مخصوص يشبه

فما كان أمكنه ان يحدث ما هو أخص أوصاف المتوسط من الكلام والهداية ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، فانحسر في الطريق حتى كان من الأمر ما كان ، وقيل لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا ، وياعجبا من هذا السر حيث أغرق فرعون فأدخل النار مكافأة على دعوى الالهية لنفسه ، وأحرق العجل ثم نسف في اليم مكافأة على اثبات الالهية له ، وما كان للنار والماء على الحنفاء يد الاستيلاء ، قلنا يانار كوني[1] بردا وسلاما على

خوار العجل وقيل انه جعل ذلك التمثال أجوف ، وجعل تحته في الموضع الذي نصب فيه العجل من ينفخ فيه من حيث لا يشعر به الناس فسمعوا الصوت من جوفه كالخوار فقال السامري هذا الهكم واله موسى فبين الله فساد ما ذهبوا اليه بقوله . ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين فما لا يمكنه أن يكلمهم ولا يمكنه أن يهديهم إلى سبيل الصواب والرشد فهو اما جماد أو حيوان عاجز . فلا يصلح للالهية فهم قد ظلموا أنفسهم باعراضهم عن عبادة الله تعالى ، واشتغالهم بعبادة العجل وهذا دأبهم قبل ذلك الظلم ووضع الاشياء في غير موضعها فليس ببدع هذا المنكر العظيم (الرازي رابع ص ٣٠٠ روح المعاني تاسع ص ٦٤)

(١) قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم كوني ذات برد وسلام أي ابردي بردا غير ضار ولذا قال علي لو لم يقل سبحانه وسلاما لقتله بردها فالله عز وجل سلبها خاصتها من الحرارة والاحراق وابقى فيها الاضاءة والاشراق وقيل أنها انقلبت هواء طيبا وهو على هذه الهيئة من أعظم الخوارق وقيل كانت على حالها لكنه سبحانه جلت قدرته دفع أذاها فهو آية عظيمة أكرم بها الله تعالى ابراهيم عليه السلام أو أن الله تعالى خلق في جسم ابراهيم كيفية مانعة من وصول أذى النار اليه كما يفعل بخزنة جهنم في الاخرة وكما انه ركب بنية النعامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة وبدن السمندل بحيث لا يضره المكث في النار أو أنه سبحانه خلق بينه وبين النار حائلا يمنع من وصول أثر النار اليه وأولى الأقوال أن صير الله نفس النار باردة حتى سلم من تأثيرها هذا وقد استدل بالآية من قال ان الله تعالى أودع

ابراهيم ، فألقيه [١] فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى ، هذه مراتب الشرك في الفعل والخلق ، ويشبه أن يكون دعوى اللعينين نمروذ وفرعون أنهما الهان أرضيان كالآلهة السماوية الروحانية ، دعوى الالهية من حيث الأمر لا من حيث الفعل والخلق ، والافق زمان كل واحد منهما ، من هو أكبر سنا منه ، وأقدم فى الوجود عليه ، فلما ظهر من دعواهما أن الأمر كله ، لهما فقد ادعيا الالهية لنفسهما ، وهذا هو الشرك الذى ألزمه المتكلم على الصابىء ، فانه بما ادعى انه أثبت في الأشخاص ، ما يقضى

فى كل شيء خاصة حسبما اقتضته حكمته سبحانه فليس الفرق بين الماء والنار مثلا بمجرد انه جرت عادة الله تعالى بأن يخلق الاحراق ونحوه عند النار والرى ونحوه عند الماء بل أودع فى هذا خاصة الرى مثلا ، وفى تلك خاصة الاحراق مثلا لكن لا تحرق هذه ولا يروى ذاك إلا باذنه عز وجل فانه لو لم يكن أودع فى النار الحرارة والاحراق ما قال لها ما قال ولا قائل بالفرق فتأمل (روح المعانى جزء ١٧ ص ٦٩ الرازى سادس ص ١٣١)

(١) فالقيه فى اليم ، أي فى البحر والمراد به النيل واليم اسم يقع على البحر والنهر العظيم ولا تخافى عليه ضيعة أو شدة من عدم رضاعه فى سن الرضاع ولا تحزني من مفارقتك اياه انا رادوه اليك عن قريب بحيث تأمنين عليه فصنعت تابوتا أى صندوقا فطلته بالقار من داخله وجعلت مفتاحه من داخل ووضعت موسى عليه السلام فيه وألقته فى النيل بين أحجار عند بيت فرعون فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغتسلن فوجدنه فادخلنه اليها وظنن ان فيه مالا فنظرت آسية ، فكشف لها عن نور فى جوفه لم يره غيرها فعالجته ففتحته ، فاذا صبى صغير فيه وله نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فالقى الله محبته عليه السلام فى قلبها وقلوب القوم واراد فرعون قتله فكلمته آسية ، ورققته حتى تركه لها واحبه فانجاه الله من الماء وطبعها الاغراق إذ لا قوة لها على من أراد الله تعالى حفظه وكلاءته ووقاءه ورعايته

به حاجة الخلق ، فقد عاد بالتقدير إلي صنعته ، ووقف التدبير على معاملته فكان الأمر بأن هذا الفعل واجب الاقدام عليه ، وهذا واجب الاحجام عنه ، أمرا في مقابلة أمر البارى تعالى ، والمتوسط فيه متوسط الأمر فكان شركا ، إذ لم ينزل الله به سلطانا ، ولا أقام عليه حجة وبرهانا ، كيف وما يتمسك به من الأحكام مرتبة ، على هيآت فلكية ، لم تبلغ قوة البشر قط إلى مراعاتها ، ولا يشك أن الفلك كله يتغير لحظة فلحظة بتغير جزء من أجزائه تغير الوضع والهيئة ، بحيث لم يكن على تلك الهيئة فيما ، سبق ولا يرجع إلى الحالة فيما يستقبل ، ومتى يقف الحكام على تغيرات الأوضاع حتى يكون صنعته فى الأشخاص والأصنام مستقيمة ، وإذا لم تستقم الصنعة فكيف تكون الحاجة مقضية ، فقد رفع الحاجة إلى من لا ترفع الحوائج [1] اليه ، فقد أشرك كل الشرك

(١) وفى درة الغواص، ويقولون فى جمع حاجة حوائج فيوهمون فيه كاوهم بعض المحدثين فى قوله :

إذا ما دخلت الدار يوما ورفعت   سوارك لى فانظر بما أنا خارج
فسيان بيت العنكبوت وجوسق   رفيع إذا لم تقض فيه الحوائج

والصواب أن يجمع فى أقل العدد على حاجات كقول الشاعر :

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك   كرائم من رب بهن ضنين

وأن يجمع فى أكثر العدد على حاج مثل هامة وهام وعليه قول الراعى :

ومرسل ورسول غير متهم   وحاجة غير مزجاة من الحاج

وفى شرحه رد ما ذكره وصحة الوهم فيه مشهورة فان حاجة عند الخليل كما فى العين أصلها ، حائجة فلهذا جمعت على حوائج , وكذا قاله ابن دريد ، وابن العلاء وقالوا حائجة مسموعة من العرب كحاجة ، كما حكاه الأصمعى الا أن المشهور حاجة

وأما الطريق الثانى فاقامة الحجة على اثبات المذاهب ، ولمتكلمى الحنفاء فيه مسلكان ، أحدهما أن يسلك الطريق نزولا من أمر البارى تعالى ، إلى سد حاجات الخلق ، والثانى أن يسلك الطريق صعودا من حاجات الخلق إلى اثبات أمر البارى تعالى ، ثم يخرج الاشكالات عليها ، أما الأول قال المتكلم الحنيف ، قد قامت الحجة علي أن البارى تعالى خالق الخلائق ورازق العباد ، وأنه الملك الذي له الملك والملك ، والمالك هو أن يكون

واستعمال حائجة نادر جدا . ولهذا قال ابن جنى انه لم يسمع ، وحوائج جمع لمفرد مقدر وذهب بعض اللغويين إلى أن حوائج جمع حوجاء بمعنى حاجة وهو مفرد مستعمل أيضا قال قيس بن رفاعه (وكانه فى نفسه حوجاء يطلبها) والقياس فيه أن يجمع حوجاء على حواجى مثل صحراء وصحارى فقدمت الياء فيه على الجيم قلبا فصارت حوائج والقلب فى كلام العرب كثير ، ثم أن حوائج أكثر استعماله فى الكلام الفصيح الصحيح كقول النبى صلى الله عليه وسلم استعينوا على انجاح الحوائج بالكتمان لها ، وحكى سيبوية أنه يقال : تنجز فلان حوائجه واستنجزها وفى الحديث اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه وما أحسن قول الصرصرى

الا يا رسول الاله الذى هدانا به الله من كل تيه
سمعنا حديثا من المسندا ت يسر فؤاد النبيل النبيه
بأنك قدمت قول اطلبوا الحوا ئج عند حسان الوجوه
ولم أر أحسن من وجهك الـ كريم فجد لى بما أرتجيه

وقال الأعشى :

الناس حول فنائه أهل الحوائج والمسائل

وقال الشماخ .

تقطع بيننا الحاجات إلا حوائج تعتسفن مع الجرير

وقال الفرزوق :

ولى ببلاد السند عند أميرها حوائج جمات وعندى ثوابها

إلى غير ذلك مما لا يحصى نثرا ونظما ، (درة الغواص وشرحه ص ٣٢ وص ٨٥)

له على عباده أمر وتصريف ، وذلك أن حركات العباد قد انقسمت إلى اختيارية وغير اختيارية ، فما كان منها باختيار من جهتهم ، فيجب أن يكون للمالك فيها حكم وأمر ، وما كان منها بلا اختيار ، فيجب أن يكون له فيها تصريف وتقدير ، ومن المعلوم أن ليس كل أحد يعرف حكم البارى تعالى وأمره فلا بد إذا من واحد [١] يستأثره بتعريف حكمه ، وأمره

---

(١) لا بد فى المعاملة من سنة وعدل ، ولابد للسنة والعدل من سان ومعدل ولا بد أن يكون هذا بحيث يجوز أن يخاطب الناس ويلزمهم السنة ولا بد من أن يكون هذا انسانا ، ولا يجوز أن تترك الناس وآراؤهم فى ذلك فيختلفون ويرى كل منهم ماله عدلا وما عليه ظلما فالحاجة الى هذا الانسان فى أن يبقى نوع الناس ويتحصل وجود أشد من الحاجة إلى انبات الشعر على الاشفار ، ووجود الانسان الصالح لأن يسن ويعدل ممكن ، ووجوده ضروري لتمهيد نظام الخير وواجب أن يكون انسانا وواجب أن يكون له خصوصية ليست لسائر الناس ، حتى يستشعر الناس فيه أمرا لايوجد لهم فيتميز به عنهم ، فتكون له المعجزات وإذا وجد وجب أن يسن للناس فى أمورهم سننا بأمر الله تعالى ، وإذنه ووحيه وانزاله الروح القدس عليه فيكون الأصل فيما يشبه تعريفه إياهم أن لهم صانعا واحدا قادرا ، وأنه عالم بالسر والعلانية وانه من حقه أن يطاع أمره وأنه يجب أن يكون الأمر لمن له الخلق وأنه قد أعد لمن أطاعه المعاد المسعد ، ولمن عصاه المعاد المشقى حتى يتلقى الجمهور رسمه المنزل على لسانه من الأله والملائكة بالسمع والطاعة ولا ينبغى له أن يشغلهم بشىء من معرفة الله تعالى فوق معرفته أنه واحد حق ، لاشبيه له . ووجب أن يعرفهم جلالة الله وعظمته برموز وأمثلة من الأشياء التى هى عندهم عظيمة وجليلة ويلقى اليهم منه هذا القدر ، أعنى أنه لا نظير له ولا شبيه ولا شريك ، ووجب أن يقرر عندهم أمر المعاد على وجه يتصورون كيفيته وتسكن اليه نفوسهم ويضرب للسعادة والشقاوة أمثالا مما يفهمونه ويتصورونه فلا يلوح لهم منه إلا أمرا مجملا وهو أن ذلك شيء لا عين رأته ولا أذن سمعته وان هناك من اللذة

فى عباده ، وذلك الواحد يجب أن يكون من جنس البشر ، حتى يعرفهم أحكامه وأوامره ، ويجب أن يكون مخصوصا من عند الله (عز وجل) بآيات خلقية هي حركات تصريفية وتقديرية ، يجريها على يده عند التحدى بما يدعيه تدل تلك الآيات على صدقه ، نازلة منزلة التصديق بالقول ، ثم إذا ثبت صدقه وجب اتباعه في جميع ما يقول ويفعل ، وليس يجب الوقوف على كل ما يأمر به وينهى عنه ، إذ ليس كل علم يبلغ اليه كل قوة بشرية ثم الوحى من عند الله العزيز يمد حركاته الفكرية والقولية والعملية بالحق فى الأفكار ، والصدق فى الأقوال ، والخير فى الأفعال ، فبطرف يمائل

ما هو ملك عظيم ، ومن الألم ما هو عذاب مقيم . واعلم أن الله تعالى يعلم وجه الخير فيجب أن يؤخذ معلوم الله سبحانه على وجهته ولا بأس أن يشتمل خطابه على رموز وإشارات ليستدعى المستعدين بالجبلة للنظر إلى البحث الحكمى فى العبادات ومنفعتها فى الدنيا والآخرة ثم ان هذا النبى ليس مما يتكرر وجود مثله فى كل وقت فان المادة التى تقبل كمال مثله تقع فى قليل من الامزجة ، فيجب لا محاله أن يكون النبي قد دبر لبقاء ما يسنه ويشرعه فى أمور المصالح الانسانية تدبيرا ، ولا شك أن الفائدة من ذلك هو استمرار الناس على معرفتهم بالصانع والمعاد وحسم سبب وقوع النسيان فيه مع انقراض القرن الذى يلى النبى فيجب أن يكون على الناس أفعال وأعمال يسن تكرارها عليهم في مدد متقاربة مقرونة بما يذكر الله تعالى والمعاد لامحالة وإلا فلا فائدة فيها والتذكير بالفاظ تقال ونيات فى الخيال ويقال لهم ، إن هذه الأفعال يتقرب بها إلى الله ويستوجب بها الخير الكريم وبالجملة وجب أن يكون فيها منبهات وهى اما حركات كالصلوات وأما اعدام حركات تفضي إلى حركات كالصوم إلى ما يقوى السنة ويبسطها وما فيه منفعة دنيوية كالجهاد والحج وما يسنه لهم مما فيه خير أولاهم وأخراهم وما تنتظم به أسباب معيشتهم ومصالح معادهم (النجاة ص ٤٩٩)

البشر ، وهو طرف الصورة . وبطرف يوحى اليه ، وهو طرف المعنى والحقيقة ، قل سبحان ربى هل [1] كنت إلا بشراً رسولا ، فبطرف يشابه نوع الانسان . وبطرف يماثل نوع الملائكة ، وبمجموعهما يفضل النوعين ، حتى تكون بشريته فوق بشرية النوع ، مزاجا ، واستعدادا ، وملكيته فوق ملكية النوع الآخر قبولا وآراء . فلا يضل ولا يغوى بطرف البشرية ، ولا يزيغ ولا يطغى بطرف الروحانية ، فقد تقرر أن أمر البارى تعالى واحد لا كثرة فيه ، ولا انقسام له ، وما أمرنا إلا واحدة [2] ، غير أنه يلبس تارة عبارة العرب ، وتارة عبارة العبرية

---

(١) قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا ، تعجبا من شدة شكيمتهم وفرط حماقتهم ، إذ قالوا ، لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب الآيات : فأمره بتنزيه ساحة الجلال عما لا يكاد يليق بها من مثل هذه الاقتراحات التى تضمنت ما هو أعظم المستحيلات ، كاتيان الله على الوجه الذى اقترحوه أو عن طلب ذلك ، وفيه تنبيه على بطلان ما قالوه . وأمره الله تعالى بأن يقول لهم ، هل كنت إلا بشرا رسولا . كسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله تعالى على أيديهم حسبما ، تقتضيه الحكمة من غير تفويض اليهم فيه . ولا تحكم منهم عليه سبحانه . وبشرا خبر كان، ورسولا صفته . وهو معتمد الكلام وكونه بشراً توطئة لذلك رد لما أنكروه من جواز كون الرسول بشراً ، ودلالة على أمر الرسل عليهم الصلاة والسلام، من قبل كانوا كذلك وإنما ينزل عليهم الملك لانهم خاصة الله ، وصفوته . قد وهبهم نفوسا زكية ، وأيدهم بقوي قدسية وجعل لهم جهتين جهة بها من الملك يستفيضون وجهة بشرية . بها على البشر يفيضون ، وتلك خاصة خص الله بها أنبياءه ، فلهم من الله قوة . يتلقون بها الوحى ليست لسواهم :

(٢) وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر ، ما شأنه عز وجل إلا فعلة واحدة

فالمصدر يكون واحدا ، والمظهر متعددا ، والوحى القاء الشىء إلى الشىء

على نهج لا يختلف ، ووتيرة لا تتعدد ، وهى الايجاد بلا معالجة ولامشقة ، أو وما أمرنا إلا كلمة واحدة ، وهو قوله له كن ، وهذا هو المشهور الظاهر وعلى هذا فالله إذا أراد شيئا قال له كن فهناك شيئان الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء به وواحدة ، يحتمل أمرين أحدهما بيان انه لا حاجة إلى نفاذ الأمر . وثانيهما بيان عدم اختلاف الحال فأمره عند خلق العرش العظيم كأمره عند خلق النمل الصغير فامره عند الكل واحد ، وقوله كلمح البصر تشبيه الكون لا تشبيه الأمر . فكأنه قل أمرنا واحدة فاذا المأمور كائن كلمح بالبصر لانه لو كان راجعا إلى الأمر لا يكون ذلك صفة مدح يليق به فان كلمة كن شىء أيضا يوجد كلمح بالبصر وفيه وجه ظاهر ذهب إليه الحكماء وهي أن مقدورات الله تعالى هى الممكنات يوجدها بقدرته وفي عدمها خلاف ، لا يليق بيانه بهذا الموضع لطوله ثم ان الممكنات التى يوجدها الله تعالى قسمان (١) أمور لها أجزاء ملتئمة عند التئامها يتم وجودها كالانسان والحيوان والاجسام النباتية والمعدنية وكذلك الأركان الأربعة والسموات وسائر الأجسام وسائر ما يقوم بالاجسام من الأعراض فهى كلها مقدرة له وحوادث فإن أجزاءها توجد أولا ثم يوجد فيها التركيب والالتئام بعينها ففيها تقديرات نظرا إلى الأجزاء والتركيب والأعراض ، (٢) أمور ليس لها أجزاء ومفاصل ومقادير امتدادية وهى الأرواح الشريفة المنورة للاجسام وقد أثبتها جميع الفلاسفة إلا قليلا منهم ووافقهم جمع من المتكلمين وقطع بها كثير ممن له قلب من أصحاب الرياضات وأرباب المجاهدات فتلك الأمور وجودها واحد ليس يوجد أولا أجزاء وثانيا تتحقق تلك الأجزاء . بخلاف الأجسام والأعراض القائمة بها إذا عرفت هذا قالوا الأجسام خلقيه قدرية والأرواح ابداعيه أمرية وقالوا إليه الاشارة بقوله تعالى الآ له الخلق والأمر ، فالخلق فى الأجسام والأمر فى الأرواح ثم قالوا لا ينبغى أن يظن بهذا الكلام انه على خلاف الأخبار فانه ﷺ قال : أول ما خلق الله العقل وروى عنه عليه السلام انه قال خلق الله الأرواح قبل الأجسام بألفى عام وقال تعالى الله خالق كل كل شىء فالخلق أطلق على إيجاد الأرواح والعقل لان اطلاق الخلق على ما يطلق عليه الأمر جائز وأن العالم بالكليه حادث وإطلاق الخلق بمعنى الأحداث جائز وان

بسرعة ، فيلقي الروح الأمرى اليه دفعة واحدة ، بلا زمان كلمح البصر ، فيتصور في نفسه الصافية صورة الملقي ، كما يتمثل فى المرآة المجلوة صورة المقابل فيعبر عنه ، إما بعبارة قد اقترنت بنفس التصور ، وذلك هو آيات الكتاب وإما بعبارة نفسه ، وذلك هو أخبار النبوة ، وهذا كله بطرفه الروحاني ، وقد يتمثل الملك الروحانى له بمثال صورة البشر تمثل المعنى الواحد بالعبارات المختلفة ، أو تمثل الصورة الواحدة فى المرايا المتعددة أو الظلال المتكثرة للشخص الواحد ، فيكالمه مكالمة حسيه ، ويشاهده مشاهدة عينيه ، ويكون ذلك بطرفه الجسمانى ، وان انقطع الوحى عنه لم ينقطع عنه التأييد والعصمة ، حتى يقومه فى أفكاره ، ويسدده فى أقواله ويوفقه فى أفعاله ، ولا تستبعدوا[1] معاشر الصابئة تلقي الوحى على

كان فى حقيقة الخلق تقدير فى أصل اللغة ولا كذلك فى الأحداث ولولا الفرق بين العبارتين والا لاستقبح الفلسفى من أن يقول المخلوق قديم كما يستقبح من أن يقول المحدث قديم . فاذن قوله ﷺ خلق الله الأرواح بمعنى أحدثها بأمره ثم قالوا ينبغى أن لا يظن بقولنا هذا ان الاجسام لا بد لها من زمان ممتد ، وأيام حتى يوجدها الله فيه بل الله مختار ان اراد خلق السموات والأرض والانسان والدواب والشجر والنباتات فى أسرع من لمح البصر لخلقها كذلك .

(الرازى سابع ص ٧٨٧)

(١) من ضعف العقل والنكول على النتيجة اللازمة لمقدماتها عند الوصول إليها . ان لا يسلم بان من النفوس البشرية ما يكون لها من نقا . الجوهر بأصل الفطرة ما تستعد به من محض الفيض الالهى لأن تتصل بالأفق الأعلى . وتنتهى من الانسانية الى الذروة العليا وتشهد من أمر الله شهود العليا وتشهد من أمر الله شهود العيان ما لم يصل غيرها إلى تعقله أو تحسسه بعصى الدليل والبرهان وتتلق عن العليم الحكيم

الوجه المذكور، ونزول الملك على النسق المعقود، وعندكم أن هرمس العظيم، صعد إلى العالم الروحاني، فانخرط في سلكهم، فاذا تصور صعود البشرفلم لا يتصور نزول الملك، وإذا تحقق أنه خلع لباس البشرية

الحكيم ما يعلو وضوحا على ما يتلقاه احدنا عن أساتذة التعاليم ثم تصدر عن ذلك العلم إلى تعليم ما علمت ودعوة الناس إلى ما حملت على إبلاغه اليهم . وأن يكون ذلك سنة لله فى كل أمة وفى كل زمان على حسب الحاجة يظهر برحمته من يختصه بعنايته ليفى للاجتماع بما يضطر اليه من مصلحة إلى أن يبلغ النوع الانسانى أشده وتكون الاعلام التى نصبها لهدايته . إلى سعادته كافية فى إرشاده ، فتختم الرسالة ويغلق باب النبوة كما ستأتى عليه فى رسالة نبينا ﷺ ، أما وجود بعض الأرواح العالية وظهورها لأهل تلك المرتبة الساميه فمما لا استحالة فيه ، بعدما عرفنا من أنفسنا وأرشدنا إليه العلم قديمه . وحديثه من اشتمال الوجود على ما هو ألطف من المادة . وان غيب عنا فأى مانع من أن يكون بعض هذا الوجود اللطيف مشرقا لشيء من العلم الالهى وأن يكون لنفوس الأنبياء اشراف عليه . فاذا جاء به الخبر الصادق . حملنا على الأذعان بصحته ،

أما تمثل الصوت , وأشباح لتلك الأرواح في حسن من اختصه الله بتلك المنزلة فقد عهد عند أعداء الأنبياء ما لا يبعد عنه فى بعض معقولاتهم يتمثل فى خيالهم ويصل إلى درجة المحسوس ، فيصدق المريض فى قوله إنه يرى ويسمع بل يجالد ويصارع إذ النفس ، قد تنزع عن عالم الحس ، وتتصل بحظائر القدس ؛ أما أرباب النفوس العالية والعقول السامية . من العرفاء ممن لم تدن مراتبهم من مراتب الانبياء ولكنهم رضوا أن يكونوا لهم أولياء ، فكثير منهم نال حظه من الأنس ، فلهم مشارفة فى بعض أحوالهم على شيء من عالم الغيب . ولهم مشاهد صحيحة فى عالم المثال . فلا يستبعدون شيئا مما يحدث به عن الأنبياء فمن ذاق عرف . فلم يبق من المنكرين لاحوال الأنبياء ومشاهدهم وبين الاقرار بامكان ما انبئوا به وبوقوعة الاحجاب العادة وكثيرا ما حجب العقول حتى عن إدراك أمور معتادة

(رسالة التوحيد ص ٧١)

فلم لا يجوز ان يلبس الملك لباس[١] البشرية ، فالحنيفية اثبات الكمال فى هذا اللباس اعنى لباس الناس ، والصبوة اثبات الكلام فى خلع كل لباس ، ثم لا يتطرق ذلك لهم ، حتى يثبتوا لباس الهيا كل أولا ثم لباس الأشخاص والأوثان ثانيا ، وقد قال راس الحنفاء متبريا عن الهيا كل والأشخاص ، إنى برىء مما تشركون إنى وجهت[٢] وجهى للذى فطر

---

(١) وقد كان الملك ينزل على وجه يسهل التلقى منه بان يظهر لهم بصورة بشر كما ظهر جبريل عليه السلام مرارا فى صورة دحية الكلبى وقد صح ان اعرابيا جاء وعليه أثر السفر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن الاسلام والايمان والاحسان وغيرها فأجابه عليه الصلاة والسلام بما أجابه ثم انصرف ولم يعرفه أحد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم فقال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاءكم يعلمكم أمر دينكم هذا إلى أن الله تعالى انما اختار من خلقه رسلا ايدهم بالمعجزات وجعل حالهم مقاربة لحال الملك وليس كذلك غيرهم من الأمة لأنه يجوز أن يروا الملائكة كما يرى بعضهم بعضا بخلاف الأمة إلى أن النبى يحتاج إلى معجزة تعرف بها رسالة نفسه كما احتاجت اليه الأمة فجعل الله من معجزات الرسول رؤية الملك

(٢) فقد عرفى ابراهيم عليه السلام ، ربه بالدليل . إذ قال لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك فى ضلال مبين « وقد أراه الله تعالى ملكوت السموات والأرض » فمن منصبه كذلك ، وعلمه هذا العلم لايليق به أن يعتقد الهية الكواكب وبخاصة وآية الحدوث قد ظهرت له ظهوراً واضحا ، من أفول وغروب وحركة وجسمية فتبرأ من شركهم . فقال ، وجهت وجهى ، يريد وجهت عبادتى وطاعتى ؛ فتوجيه وجهه كناية عن الطاعة . وفى قوله وجهت وجهى للذى فطر ، دقيقة وهى إنه لم يقل إلى الذى فطر أى ان توجيه وجه القلب ليس إليه لأنه متعال عن الجهة والحيز بل توجيه وجه القلب إلى خدمته وطاعته لأجل عبوديته ، فترك كلمة إلى هنا ، والاكتفاء بحرف اللام دليل ظاهر على كون المعبود متعاليا عن الحيز والجهة ، وفطر أخرجهما إلى الوجود واصله من الشق ، يقال تفطر الشجر بالورق والورد إذا أظهرهما

السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ، وأما الثانى وهو الصعود من حاجة الناس إلى إثبات أمر البارى تعالى ، قال المتكلم الحنيف لما كان نوع الإنسان محتاجا إلى اجتماع على نظام ، وذلك الاجتماع لن يتحقق إلا بحدود وأحكام فى حركاته ومعاملاته ، يقف كل منهم عند حده المقدر له لا يتعداه ، وجب أن يكون بين الناس شرع يفرضه شارع يبين فيه أحكام الله تعالى فى الحركات ، وحدوده فى المعاملات ، فيرتفع به الاختلاف والفرقة ، ويحصل به الاجتماع والالفه . وهذا الاحتياج لما كان لازما لنوع الانسان ضرورة ، يجب أن يكون المحتاج اليه قائما ضرورة بحيث يكون نسبته اليهم نسبة الغني والفقير والمعطى والسائل والملك والرعية ،فان الناس لو كانوا كلهم ملوكا لم يكن ملك أصلا ، كما لو كانوا كلهم رعايا لم يكن رعية ، ثم لا يبقى ذلك الشخص ببقاء الزمان وعمره لا يساوى عمر العالم ، فينوب منابه علماء أمته ، ويرث علمه أمناء شريعته ، فتبقى سنته ومنهاجه ، ويضىء على البرية مدى الدهر سراجه ،والعلم بالتوارث وليست النبوة بالتوارث ،والشريعة تركة الانبياء ، والعلماء[2] ورثة الأنبياء

حنيفاً مخلصاً مائلا عن الشرك إلى الاخلاص لله الواحد القهار ، فالحنيف هو الذى يعدل عن كل معبود دون الله عزوجل مائلا عن الأديان الباطله والعقائد الزائفة . فهو عليه الصلاة والسلام أبو الحنفاء ، ورأس العباد المخلصين ، مهديا من الله ، مؤبداً بروح من عنده .

(٢) وان العلماء هم ورثة الأنبياء ؛ هذا من حديث مطول ، عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقا

قالت الصابئة الناس متماثلة فى حقيقة الانسانية والبشرية ، ويشملهم حدا واحد ، وهو الحيوان الناطق المائت . والنفوس البشريات والعقول متساوية والنبات في الجوهرية ، فحد النفس بالمعنى الذي يشترك فيه الانسان والحيوان انه كمال جسم طبيعي آلى ذى حياة بالقوة ، وبالمعني الذى يشترك فيه نوع الانسان والملك ، انه جوهر غير جسم هو كمال الجسم محرك له بالاختيار عن مبدأ نطق أى عقلى بالفعل أو بالقوة ، فالذى بالفعل هو خاصة النفس الملكية ، والذى بالقوة هو فصل النفس الانسانية ، وأما العقل (١) فقوة أو هيئة لهذه النفس مستعدة لقبول ما هيات الاشياء

إلى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها رضا بطالب العلم ، وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض ، حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب . وان العلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء عليهم السلام لم يورثوا ديناراً ولادرهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر . وشاهد وراثة العلماء فى القرآن قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولادرهما ، وإنما ورثوا العلم . وقد روى أكرموا العلماء فانهم ورثة الأنبياء ، كما روى العلماء ورثة الأنبياء وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم حملة العلم فى الدنيا خلفاء الأنبياء وفى الآخرة من الشهداء ومن أخذ العلم من ميراث النبوة أخذ بنصيب كثير ، وافر كامل ؟ فالنبوة ، لاتورث ، وإنما العلم موروث عن الأنبياء ، فالعلماء خلفاؤهم ، وورثتهم ، لما يقومون به ، من الارشاد والهداية ، والتثقيف والتعليم . والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

(١) العقل : يقال على أشياء كثيرة

١ — ما يقول به الجمهور ويعنون به التعقل ، ويرون العاقل هو من كان فاضلا جيد الرويئة فى استنباط ما ينبغى أن يؤثر من خير ، أو يجتنب من شر وهم طائفتان ، طائفة تعطي من قبل نفسها . ان العاقل ليس يكون عاقلا ما لم يكن له

مجردة عن المواد ، والناس فى ذلك على استواء من القدم ، وإنما الاختلاف

دين ، وأن الشرير وان بلغ فى جودة الروية فى استنباط الشرور ما بلغ لم يسموه عاقلا والطائفة الأخرى يسمي الانسان لجودة رويته فما ينبغى أن يفعل بالجملة عاقلاه وتوقفوا ، فيمن له روية فى شر .

٢ — وعند المتكلمين فانما يعنون به المشهور فى بادى الرأي عند الجميع .

٣ — وأما العقل الذى يذكره أرسطو في كتاب البرهان ، فانه إنما يعنى به قوة النفس التى بها يحصل للانسان اليقين بالمقدمات الكلية الصادقة الضرورية ، لاعن قياس ولا عن فكر ، بل بالفطرة والطبع وهذه القوة جزء ما من النفس والمقدمات هى مبادىء العلوم النظرية .

٤ — وأما العقل الذى يذكره ، فى المقالة السادسة من كتاب الأخلاق ، فانه يريد به جزء النفس الذى يحصل بالمواظبة على اعتياد شيء مما هو فى جنس جنس من الأمور ، وعلى طول تجربة شيء شيء مما هو في جنس من الأمور على طول الزمان مما من شانه أن يؤثر أو يجتنب بقضايا تعينه ومقدمات فى الأمور الارادية

٥ — أما العقل الذى يذكره فى كتاب النفس فانه جعله على أربعة انحاء عقل بالقوة ، وعقل بالفعل وعقل مستفاد وعقل فعال ، فالعقل بالقوة ، هو نفس ما أو جزء نفس ، أو قوة من قوي النظر أو شىء ما ذاته معدة أو مستعدة لأنه تنزع ماهيات الموجودات كلها وصورها دون موادها ، فاذا توهمت مادة ما جسمانية ، كشمعة ، فانها تنتقش وتشيع صورتها ، قرب وهمك بما يشبهها مادة وموضوعا فاذا حصلت صور الموجودات صارت تلك الذات عقلا بالفعل ، وكانت قبل انتزاعها عن موادها معقولات بالقوة ، وهى قبل أن تصير معقولات بالفعل ، هى صور فى مواد هي من خارج النفس فاذا حصلت المعقولات بالفعل صارت أحد موجودات العالم وشأن الموجودات أن تعقل والعقل بالفعل مادة للعقل المستفاد ، فالصور انما يمكن أن تعقل على التمام بعد أن تحصل المعقولات كلها معقولات بالفعل أو جلها ، ويحصل العقل المستفاد فحينئذ تحصل تلك الصور معقولة فتصير كلها صورا للعقل من حيث هو عقل مستفاد .

٦ — وأما العقل الفعال الذى ذكره أرسطو فى المقالة الثالثة من كتاب النفس

يرجع إلى أحد أمرين أحدهما اضطرارى ، وذلك من حيث المزاج المستعد لقبول النفس ، والثاني اختيارى ، وذلك من حيث الاجتهاد المؤثر فى رفع الحجب المادية ، وتصقيل النفس عن الصدأة المانعة لارتسام الصور المعقولة ، حتى لو بلغ الاجتهاد إلى غاية الكمال ، تساوت الأقدام وتشابهت الأحكام ، فلا يتفضل بشر على بشر بالنبوة ، ولا يتحكم أحد على أحد بالاستتباع (١) أجابت الحنفاء بان التماثل والتشابه فى الصور

هو صورة مفارقة لم تكن فى مادة ولا تكون أصلا وهو بنوع ما عقل بالفعل قريب الشبه من العقل المستفاد بل هو نوع من العقل المستفاد وصور الموجودات هى فيه لم تزل ولا تزال إلا أن وجودها فيه على غير الترتيب الذى هى موجودة عليه في العقل الذى هو بالفعل » مقالة للفارابى فى العقل (المجموع ص ٤٥) .

(١) لا يعزب عن حكمة الصانع الحكيم الذى خلق الانسان وعلمه البيان ان يجعل من مراتب الأنفس البشرية مرتبة يعد لها بمحض فضله بعض من يصطفيه من خلقه وهو أعلم حيث يجعل رسالته يميزهم بالفطر السليمة ويبلغ بأرواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بنور علمه والامانة على مكنون سره مما لو انكشف لغيرهم انكشافه لهم لفاضت له نفسه أو ذهبت بعقله جلالته وعظمته فيشرفون على الغيب باذنه ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه ويكونون في مراتبهم العلوية على نسبته من العالمين نهاية الشاهد وبداية الغائب فالنفس النبوية بلغت فى كمالها فى القوتين النظرية والعملية بحيث تقدر على معالجة النقص فى هاتين القوتين ، إلى ما أفاض الله عليها من الصفاء والنقاء إلى ما أيدهم الله به من روح من عنده فاختارهم لأن يتلقوا من أمره ما يحدثوا به عن جلاله وما خفى على العقول من جنابه وما وجب أن يعتقده العباد ومارضيه الله لهم لينالوا سعادة الدارين إلى بيانهم للعباد من أحوال الآخرة مالا بدلهم من علمه معبرين عنه بما تتسع له العقول ولايعزب عن آفاقهم وأن يبلغوهم ما ارتضاه الله من شرائع تكشف لهم عما يقوم نفوسهم

البشرية والانسانية فسلم لامرية فيه ، وانما التنازع بيننا فى النفس ، والعقل قائم ، فان عندنا النفوس والعقول على التضاد والترتب ، وعلينا بيان ذلك على مساق حدودكم ، ومذاق أصولنا ، فقولكم إن النفس جوهر غير جسم هو كمال الجسم محرك له بالاختيار ، وذلك إذا أطلق النفس على الانسان والملك ، وهو كمال جسم طبيعى إلى ذى حياة بالقوة ، إذا أطلق على الانسان والحيوان ، فقد جعلتم لفظ النفس من الاسماء المشتركة ، وميزتم بين النفس الحيوانى ، والنفس الإنسانى ، والنفس الملكى ، فهلا زدتم فيه قسما ثالثا ، وهو النفس النبوى ، حتى يتميز عن الملكى ، كما يتميز الملكى عن الانسانى ، فانعندكم المبدأ النطقي للانسان بالقوة ، والمبدأ العقلى للملك بالفعل ، فقد تغايرا من هذا الوجه ، ومن حيث ان الموت الطبيعى يطرأ على الانسان ، ولا يطرأ على الملك ، وذلك تمييز آخر ، فليكن فى النفس النبوى مثل هذا الترتب ، وأما الكمال الذى تعرضتم له انما يكون كمالا للجسم إذا كان اختيار المحرك محمودا ، فاما إذا كان اختياره مذموما من كل وجه ، صار الكمال نقصانا ، وحينئذ يقع التضاد بين النفس الخيرة ، والنفس الشريرة ، حتى تكون إحداهما فى جانب الملكية ، والثانية فى جانب الشيطانية ، فيحصل التضاد المذكور

ويكبح شهواتهم ويرشدهم إلى مافيه سعادتهم ويحذرهم عما فيه شقاؤهم ظاهرة وباطنة ثم هو تعالى يؤيدهم بآياته ويتولاهم الوحى بالالهامات والرؤى والنفث فى الروع والتمثل بصورة بشرية فيلقى الله اليهم ما يريد بلاغه للعباد فيكونون بذلك رسلا من لدنه إلى خلقه مبشرين ومنذرين .

كما حصل الترتب المذكور ، فان الاختلاف بالقوة والفعل اختلاف بالترتب والاختلاف بالكمال والنقص والخير والشر اختلاف بالتضاد ، فبطل التماثل ولا نظن ان هذا الاختلاف بين النفسين الخيرة والشريرة اختلاف بالعوارض ، فان الاختلاف بين النفس الملكية والشيطانية بالنوع ، كما ان الاختلاف بين النفس الانسانية والملكية بالنوع ، وكيف لا يكون كذلك ، والاختلاف هاهنا بالقوة والفعل ، والاختلاف ثم بالخير والشر وهذا السر وهو أن الخير غريزة ، هي هيئة متمكنة فى النفس بأصل الفطرة ، وكذلك الشر طبيعية غريزية ألست أقول فعل الخير وفعل الشر ، فان الغريزة غير والفعل المترتب عليها غير فتحقق أن هاهنا نفسا محركة للبدن اختيارا نحو الخير عن مبدأ عقلي ، إما بالقوة أو بالفعل ، وهو (كمال للجسم وليس بجسم وهاهنا نفس محركة للبدن اختيارا نحو الشر عن مبدأ نطقى اما بالقوة أو بالفعل) وهو نقص للجسم وليس بجسم ولا ينبون طبعك عن أمثال ما يورد عليك المتكلم الحنيف ، فاعما يغترفه من بحر ، وليس ينحته من صخر ، فلربما يساعده على أن الانسان نوع الأنواع وأن الاختلاف فيه يقع فى العوارض واللوازم ، بل يثبت فى النفوس الانسانية اختلافا جوهريا فيفضل بعضها عن بعض بالفصول الذاتية لا باللوازم العرضية ، فكما أن الاختلاف بالقوة والفعل فى النفس الانسانية والملكية اختلاف جوهرى أوجب اختلاف النوع ، والنوع وان شملها اسم النفس الناطقة والفصل الذاتى ، هو القوة والفعل ، وكذلك تقول فى نفس لها قوة علم خاص ، وقوة عمل خاص ، وقوة خير ، وقوة شر ، وكمال مطلق ، هو

أصل الخير ، ونقص مطلق هو أصل الشر ، وأما ما ذكره المتكلم الصابى من حد العقل انه قوة أو هيئة للنفس ، مستعدة لقبول ماهيات الأشياء ، مجردة عن المواد فغير شامل لجميع العقول عنده ، ولا عند الحنيف بل هو تعرض للعقل الهيولانى فقط ، فاين العقل النظرى وحده ، إنه قوة للنفس تقبل ما هيات الأمور الكلية من جهة ما هى كلية ، وأين العقل العملى وحده ، إنه قوة للنفس ، هى مبدأ التحريك للقوة الشوقية إلى ما يختار من الجزئيات لاجل غاية منظومة وأين العقل بالملكة وهو استكمال القوة الهيولانيه [١] حتى تصير قريبة من الفعل وأين العقل بالفعل وهو استكمال النفس بصورة ما ، أو صورة معقولة ، حتى متى ماشاء عقلها واحضرها بالفعل وأين العقل المستفاد ، وهو ماهية مجردة عن المادة مرتسمة فى النفس على سبيل الحصول من خارج ، وأين العقول المفارقة

---

(١) لما ، كانت ، صيرورة النفس عالمة بالأشياء بعد مالم تكن كذلك لأجل اتصالها بالعقل الفعال ، وهذا الاتصال أمر حادث ، ولابد له من علة ، فهو هنا يكشف عن علة ذلك الاتصال ، هـذا ، والمراد من هذا الاتصال صيرورة النفس مستعدة استعداداً تاما لقبول تلك العلوم وهذا الاستعداد له علة قابلية وهى العقل الهيولانى وعلة كاسبة وهى العقل بالملكة والمعنى بكونها كاسبة أن حدوث ذلك ، الاستعداد فى جوهر النفس لأجل حصول تلك العلوم البديهية فيه ، واما كمال الاستعداد فانها يحصل للنفس إذا صارت بحيث متى شاءت استحضار تلك العلوم فانها تحضر ، وكونها كذلك إنما يكون بملكة متمكنة عن جوهرها وهى المسماة بالعقل بالفعل ، فالعقل بالملكة متوسطة بين العقل الهيولانى والعقل بالفعل لابين الحدس والقوة القدسية

(شرح الاشارات ص ١٦٠ أول)

وانها ما هيات مجردة عن المادة ، وأين العقل الفعال فانه من جهة ما هو
عقل ، فانه جوهر صورى ذاته ماهية مجردة فى ذاتها لا بتجريد غيرها
عن المادة ، وعن علائق المادة ، وهى ماهية كل موجود ، ومن جهة
ما هو فعال فانه جوهر بالصفة المذكورة ، من شأنه أن يخرج العقل
الهيولانى من القوة إلى الفعل باشراقه عليه ، فقد تعرض لنوع واحد
من العقول ، ولا خلاف ان هذه العقول قد اختلفت حدودها وتباينت
فصولها كما سمعت ، فأخبرنى أيها المتكلم الحكيم ، من أى عداد تعد
عقلك أولا ، وهل ترضى أن يقال لك تساوت الأقدام فى العقول حتى
يكون عقلك بالفعل والافادة كعقل غيرك بالقوة والاستعداد ، بل
واستعداد عقلك لقبول المعقولات كاستعداد (عقل) غبى غوى لا يرد عليه
الفكر برادة ، ولا ينفك الخيال عن عقله ، كما لا ينفك الحس عن خياله ، وإذا
كانت الأقدام متساوية ، فما هذا الترتب فى الأقسام ، وإذا ثبت ترتب فى
العقول ، فبالضرورة أن يرتقي فى الصعود إلى درجة الاستقلال والافادة
وينزل فى الهبوط إلى درجة الاستعداد والاستفادة ، ثم هل فى نوعه
ما هو عديم الاستعداد أصلا ، حتى يشبه أن يكون عقلا وليس بعقل
وأما النوع الذى يثبته للشياطين أهو من عداد ما ذكرنا ، أم خارج من
ذلك فانك إذا ذكرت حد الملك وانه جوهر بسيط ذو حياة ونطق
عقلى غير مائت ، وهو واسطة بين البارى تعالى والأجسام السماوية والأرضية
وعددت أقسامه ان منه ما هو عقلى ، ومنه ما هو نفسى ، ومنه ما هو

حسى ، فيلزمك من حيث التضاد ، أن تذكر حد الشيطان على الضد مما ذكرته من حد الملك ، وتعد أقسامه وأنواعه ، أيضا يلزمك من حيث الترتب أن تذكر حد الانسان على الضد مما ذكرته من حد الملك وتعد أقسامه وأنواعه كذلك ، حتى يكون من الانسان ما هو محسوس فقط ومنه ما هو مع كونه محسوساً روحاني نفساني عقلى ، وذلك هو درجة النبوة ، فمن عقل ، عمل من حس ، ومن حس عمل من عقل ، ومن نفس مزاجى ، ومن مزاج نفسانى ، ومن روح جسمانى . ومن جسم روحانى دع كلام العامة . ولا تظنن هذه طامة

قالت الصابئة حصرتمونا بإبطال تساوى العقول والنفوس ، واثبات الترتب والتضاد فيها ولا شك ان من سلم الترتب ، فقد لزمه الاتباع ، فاخبرونا مارتبة الأنبياء بالنسبة إلى نوع الانسان ، وما رتبتهم بالاضافة إلى الملك والجن [1] وسائر الموجودات

(١) الملائكة والجن أجسام لطيفة قادرة على التشكل وقد امتازت الملائكة بأن أجسامهم نورانية دأبهم الطاعات لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . هم عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وأنهم لا يغتذون ويتشكلون بأشكال الخير وحدها ، أما الجن فهم أجسام نارية مستعدون للخير والشر معا وهم يغتذون ونفوس هؤلاء وسائر الناس دون نفوس الأنبياء التى قد تميزت نفوسهم بعقل هاد مهدى هوفوق العقول كلها بالنفحة الربانية المدبرة لها المالكة عليها المتصرفة فيها فنفوسهم القدسية النبوية هى فى نهاية الشرف والصفاء وقد ذهب بعضهم إلى أن آية الله نور السموات والأرض الآية هى مثال للعقل النبوى ، لأنه مصباح يوقد من شجرة أمرية مباركة نبوية زيتونة أمية لاشرقية طبيعية ولاغربية بشرية يكاد زيتها يضيء ضوء الفطرة وإن لم تمسسه نار الفكرة ، نور من الأمر الربوبي على نور من العقل النبوى يهدى الله لنوره من يشاء ، فهم الذين اصطفاهم الله ، قال تعالى ان الله اصطفى آدم

ثم ما مرتبة النبي عند البارى تعالى فان عندنا الروحانيات أعلى مرتبة من جميع الموجودات ، وهم المقربون فى الحضرة الالهية والمكرمون لديه ونراكم تارة تقولون ان النبي يتعلم من الروحانى (١) ونراكم تارة تقولون

ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين والعالم ما سوى الله تعالى، وهم مخلوقاته ولاشك أن الملائكة والجن والانس من مخلوقاته ، فهذه الآية قاضية على أنه تعالى قد اصطفاهم على ملائكته وعلى الجن والانس وسائر العوالم وبخاصة . نبينا محمد ﷺ فهو أفضل من سائر الانبياء ، وقد خاطبه الله بقوله وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، والملائكة ، والجن ، والانس من جملة العالمين ، فكان محمد ﷺ رحمة لهم فوجب أن يكون أفضل منهم ، وقد ثبت أن جبريل أخذ بركابه حتى اركبه على البراق ، ليلة المعراج ، وهذا يدل على أن نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل منه ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بعض المقامات تخلف عنه جبريل وقال لو دنوت قيد أنملة لاحترقت . وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لى وزيرين في السماء ووزيرين فى الارض أما اللذان فى السماء فجبريل وميكائيل . وأما اللذان فى الأرض فأبو بكر وعمر . فدل هذا الخبر على أن محمدا صلى الله عليه وسلم كالملك وجبريل وميكائيل كانا كالوزيرين والملك أفضل من الوزير فلزم أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من الملك .

(١) اتفقت كلمة الأنبياء على أنهم لا ينطقون بشىء من المعارف والعلوم إلا بعد الوحى فهذا اعتراف بأن علومهم مستفادة منهم وقد كان جبريل معلما لمحمد ﷺ بدليل قوله تعالى علمه شديد القوى والمعلم أعلم من المتعلم لا نسلم بذلك فقد اعترفت الملائكة بأن آدم أكثر علما منهم بدليل قوله يا آدم أنبئهم باسمائهم بعد أن بين لهم من فضل آدم عليه السلام مالم يكن ذلك معلوما لهم وذلك بان علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم عليهم ليظهر بذلك كمال فضله وقصورهم فى العلم عنه ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضل من آدم عليه السلام وأعلم منه على أنا لو سلمنا مزيد علم الملائكة لكن ذلك لا يقتضى الافضلية وكثرة الثواب فانا نرى الرجل المبتدع محيطا بكثير من دقائق العلم ولا يستحق شيئا من الثواب فضلا عن أن يكون ثوابه أكثر وفضله

ان الروحانى يتعلم من النبي .

أجابت الحنفاء بأن الكلام فى المراتب صعب ، ومن لم يصل إلى رتبة من المراتب كيف يمكنه أن يستوفي أقسامها ، لكنا نعرف أن رتبته بالنسبة الينا رتبتنا بالنسبة إلي من هو دوننا فى الجنس من الحيوانات ، فكما أنا نعرف أننا فى الموجودات ولا يعرفها الحيوانات ، كذلك هم يعرفون خواص الأشياء وحقائقها ومنافعها ومضارها ، ووجوه المصالح فى الحركات وحدودها وأقسامها ونحن لا نعرفها ، وكما أن نوع الانسان ملك الحيوان بالتسخير ، فالأنبياء ملوك الناس بالتدبير ، وكما أن حركات الناس معجزات الحيوانات ، كذلك حركات الأنبياء معجزات الناس ، لأن الحيوانات لا يمكنها أن تبلغ إلى الحركات الفكرية حتى تميز الحق من الباطل ، ولا أن تبلغ إلى الحركات القولية حتى تميز الصدق من الكذب ، ولا أن تبلغ إلى الحركات الفعلية ، حتى عيز الخير من الشر . فلا التميز العقلى لها بالوجود ، ولا مثل هذه الحركات لها بالفعل ، وكذلك حركات الأنبياء (عليهم السلام) لأن منتهى فكرهم لا غاية له ، وحركات أفكارهم فى محال القدس ، مما تعجز عنها قوة البشر ، حتى يسلم لهم لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل وكذلك حركاتهم القولية والفعلية لا تبلغ إلى غاية انتظامها وجريانها على سنن الفطرة حركة كل البشر . وهم فى الرتبة العليا ، والدرجة

أكبر فان كثرة الثواب ، وعظم الفضل انما تحصل بحسب الاخلاص فى الافعال ، ولم نعلم أن اخلاص الملائكة أكثر (الرازى أول ص ٣٠٧ و ٣١٠)

الأولى من درجات الموجودات كلها . فقد أحاطوا علما بما أطلعهم الرب تعالى على ذلك دون غيرهم من الملائكة والروحانيين ، ففى الأول يكون حاله حال التعلم عامه شديد القوى وفى الاخير حاله حال التعليم ، وذلك فى حق آدم عليه السلام ، أنبئهم بأسمائهم ، حين كان الأمر على بدو الظهور والكشف فانظر كيف يكون الحال فى نهاية الظهور ، وأما اضافتهم إلى جناب القدس ، فالعبودية الخاصة ، قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدن ، قولوا إنا عباد مربوبون ، وقولوا فى فضلنا ما شئتم أحق الأسماء لهم وأخص الأحوال بهم عبده ورسوله ، لاجرم كان أخص التعريفات لجلاله تعالى بأشخاصهم اله ابراهيم ، اله اسماعيل واسحاق اله موسى وهارون ، اله عيسى ، اله محمد عليهم الصلاة والسلام ، فكما أن من المعبودية ما هو عام الاضافة ، ومنها ما هو خاص الاضافة ، كذلك التعرف إلى الخلق بالالهية والربوبية والتجلى للعباد بالخصوصية منه ما له عموم (رب العالمين) ومنها ماله خصوص (رب موسى وهارون) فهذه نهاية مذهبي الصابئة والحنفاء ، وفى الفصول التى جرت بين الفريقين فوائد لا تحصى ، وكان فى الخاطر بعد ، زوايا نريد نمليها ، وفى القلب خفايا أكاد أخفيها ، فعدلت عنها إلى ذكر حكم هرمس العظيم ، لا على أنه من جملة فرق الصابئة ، حاشاه بل على أن حكمه مما يدل على تقرير مذهب الحنفاء فى إثبات الكمال فى الأشخاص البشرية ، وإيجاب القول باتباع النواميس الإلٓهيّة على خلاف مذاهب الصابئة .

حكم هرمس العظيم

المحمود آثاره ، المرضى أقواله ، الذى يعد من الأنبياء الكبار ، ويقال هو ادريس النبى عليه السلام ، وهو الذى وضع أسامى البروج ، والكواكب السيارة ، وربتها فى بيوتها وأثبت لها الشرف والوبال والأوج والحضيض والمناظر بالتثليت والتسديس والتربيع والمقابلة والمقارنة والرجعة والاستقامة ، وبين تعدل الكواكب وتقويمها ، وأما الأحكام المنسوبة إلى هذه الاتصالات فغير مبرهن عليها عند الجميع ، وللهند والعرب طريقة أخرى فى الأحكام ، أخذوها من خواص الكواكب ، لامن طبائعها ورتبوها على الثوابت لاعلى السيارات ، ويقال أن عاذيمون وهرمس هما شيث وإدريس عليهما السلام ، ونقلت الفلاسفة عن عاذيمون أنه قال ، المبادىء الأول خمسة ، البارى تعالى ، والعقل ، والنفس ، والمكان ، والخلاء ، وبعدها وجود المركبات ، ولم ينقل هذا عن هرمس

قال هرمس ، أول ما يجب على المرء الفاضل بطباعه ، المحمود بسنخه ، المرضى فى عادته ، المرجو فى عاقبته ، تعظيم الله عز وجل وشكره على معرفته ، وبعد ذلك ، فللناموس عليه حق الطاعة له ، والاعتراف بمنزلته ، وللسلطان عليه حق المناصحة والانقياد ، ولنفسه عليه حق الاجتهاد ، والدأب فى فتح باب السعاده ، ولخلصائه عليه حق التحلى لهم بالود والتسارع اليهم بالبذل ، فاذا أحكم هذه الأسس ، لم يبق عليه إلا كف الأذى عن العامة ، وحسن المعاشرة بسهولة الخلق ،

انظروا معاشر الصابئة كيف عظم أمر الرسالة ، حتى قرن طاعة الرسول
الذى عبر عنه بالناموس بمعرفة الله عز وجل ، ولم يذكرها هنا تعظيم
الروحانيات ولا تعرض لها ، وإن كانت هى من الواجبات ، وسئل
بماذا يحسن رأى الناس فى الانسان ، قال بأن يكون لقاؤه لهم لقاء
جميلا ، ومعاملته إياهم معاملة حسنة ، وقال مودة الاخوان أن لا يكون
لرجاء منفعة ، أو لدفع مضرة ، ولكن لصلاح فيه وطباع له ، وقال
أفضل ما فى الانسان من الخير العقل وأجدر الأشياء ، أن لا يندم عليه
صاحبه العمل الصالح ، وأفضل ما يحتاج إليه فى تدبير الأمور الاجتهاد
وأظلم الظلمات الجهل ، وأوبق الأشياء الحرص ، وقال ، من أفضل البر
ثلاثة الصدق فى الغضب والجود فى العسرة ، والعفو عند المقدرة ،
وقال ، من لم يعرف عيب نفسه فلا قدر لنفسه عنده ، وقال ، الفصل بين
العاقل والجاهل ، ان العاقل منطقه له ، والجاهل منطقه عليه ، وقال لا
ينبغى للعاقل أن يستخف بثلاثة ، أقوام ، السلطان ، والعلماء والاخوان
فان من استخف بالسلطان أفسد عليه عيشه ، ومن استخف بالعلماء
افسد عليه دينه ، ومن استخف بالاخوان افسد عليه مروءته ، وقال
الاستخفاف بالموت هو أحد فضائل النفس ، وقال ، المرء حقيق أن يطلب
الحكمة ، ويثبتها فى نفسه أولى ، بأن لا يخرج من المصائب التى تعم
الاخيار ، ولا يأخذه الكبر فيما يبلغه من الشرف ، ولا يعير أحدا بما هو
فيه ، ولا يغيره الغنى والسلطان ، وان يعدل بين نيته وقوله ، حتى لا

يتفاوت، وتكون سنته مالاعيب فيه . ودينه ما لايختلف فيه ، وحجته ما لا ينتقض ، وقال ، أنفع الأمور للناس القناعة والرضى ، وأضرها الشره والسخط ، وإنما يكون كل السرور بالقناعة والرضى ، وكل الحزن بالشره والسخط ، ويحكى عنه فيما كتبه ان أصل الضلال والهلكة لأهله أن يعد ما فى العالم من الخير من عطية الله عز وجل ومواهبه ولا يعد مافيه من الشر والفساد من عمل الشيطان ومكايده ، ومن افترى على أخيه فرية لم يخلص من تبعتها حتى يجازى بها ، فكيف يخلص من اعظم الفرية على الله عز وجل ان جعله سببا للشرور وهو معدن الخير . وقال ، الخير والشر واصلان إلى أهلهما لا محالة ، فطوبي والويل لمن أجرى وصولهما إلى من وصلا إليه وعلى يديه ، وقال ، الاخاء الدائم الذى لا يقطعه شيء اثنان ، أحدهما محبة المرء نفسه فى أمر معاده ، وتهذيبه إياها في العلم الصحيح ، والعمل الصالح والآخر مودته لاخيه فى دين الحق ، فان ذلك مصاحب أخاه فى الدنيا بجسده وفى الآخرة بروحه ، وقال الغضب سلطان الفظاظة ، والحرص سلطان الفاقة ، وهما منشآ كل سيئة . ومفسدا كل جسد ، ومهلكا كل روح ، وقال ، كل شيء يطاق تغييره إلا الطباع ، وكل شيء يقدر على إصلاحه غير الخلق السوء وكل شيء يستطاع دفعه إلا القضاء ، وقال ، الجهل والحمق للنفس بمنزلة الجوع والعطش للبدن ، لأن هذين خلاء النفس ، وهذين خلاء البدن ، وقال أحمد الاشياء عند أهل السماء والأرض، لسان صادق ناطق بالعدل

والحكمة والحق فى الجماعة ، وقال أدحض الناس حجة من شهد على نفسه بدحوض حجته ، وقال من كان دينه السلامة والرحمة والكف عن الأذى فدينه دين الله عز وجل ، وخصمه له شاهد بفلج[1] الحجة ومن كان دينه الاهلاك والفظاظة والأذي فدينه دين الشيطان ، وهو بدحوض[2] حجته شاهد على نفسه ، وقال الملوك تحتمل الأشياء كلها إلا ثلاثة قدح فى الملك ، وإفشاء للسر ، وتعرض للحرمة ، وقال لا تكن أيها الانسان كالصبي إذا جاع صغى[3] ، ولا كالعبد إذا شبع طغي[4] ولا كالجاهل إذا ملك بغى[5] ، وقال ، لا تشيرن على عدو ولا صديق إلا بالنصيحة ، أما الصديق فيقضى بذلك من واجبه ، وأما العدو فانه إذا عرف نصيحتك اياه هابك ، وحسدك ، وان صح عقله استحى منك ، وراجعك وقال ، يدل على غريزة الجود السماحة عند العسرة ، وعلى غريزة الورع الصدق عند الشرة ، وعلى غريزة الحلم العفو عند الغضب ، وقال ، من سره

---

(١) فلج بحجته ، وفى حجته يفلج ويفلج فلجا وفلجا وفلوجا فاز ، وأفلجه على خصمه غلبه وفضله ، وأفلج الله حجته أظهرها وقومها

(٢) دحضت حجته دحوضا بطلت ، وأدحضها الله قال تعالى حجتهم داحضة أى باطلة وأدحض حجته إذا أبطلها .

(٣) صغى ، أى مال وقالوا الصبى أعلم بمصغى خده ، أى هو أعلم إلى من يلجأ أو حيث ينفعه ويظهر لى ، أنه صأى يصأى صئيا أى صاح ، وصوت .

(٤) طغى يطغى طغيا ويطغو طغيانا جاوز القدر ، والحد فى العصيان وارتفع ، وغلا في الكفر والبهتان .

(٥) البغى ، الظلم والفساد ، والتعدى بغى الرجل علينا بغيا . عدل عن الحق واستطال ، وفلان يبغى على الناس إذا أظلمهم وطلب اذاهم ، وأتى معهم الجوز .

مودة الناس له ومعونتهم اياه وحسن القول منهم فيه، حقيق بأن يكون مثل ذلك لهم، وقال، لايستطيع أحد أن يحوز الخير والحكمة، ولاأن يخلص نفسه من المعايب، إلا أن يكون له ثلاثة أشياء، وزير، وولى وصديق، فوزيره عقله، ووليه عفته، وصديقه عمله، الصالح، وقال، كل انسان موكل باصلاح قدر باع من الأرض، فانه إذا أصلح قدر ذلك الباع صلحت له أموره كلها، وإذا أضاعه أضاع الجميع، وقدر ذلك نفسه، وقال، لايمدح بكمال العقل من لم تكمل عفته، ولا بكمال العلم من لم يكمل عقله، وقال، من أفضل أعمال العلماء ثلاثة أشياء أن يبدلوا العدو صديقا، والجاهل عالما، والفاجر برا، وقال الصالح من يعد خيره خير الكل أحد، ومن يعد خير كل أحد لنفسه خيرا. وقال، ليس بحكمة ما لم يعاد الجهل، ولابنور ما لم يمحق الظلمة، ولا بطيب ما لم يدفع النتن، ولا بصدق ما لم يدحض الكذب، ولا بصالح ما لم يخالف الطالح والله أعلم

اصحاب الهياكل والأشخاص

وهؤلاء من فرق الصابئة وقد أدرجنا مقالتهم في المناظرات جملة ونذكرها ها هنا تفصيلا.

اعلم أن أصحاب الروحانيات لما عرفوا أن لا بد للانسان من متوسط، ولا بد للمتوسط من أن يرى، فيتوجه إليه، ويتقرب به ويستفاد منه، فزعوا إلى الهياكل التى هى السيارات السبع، فتعرفوا اولا بيوتها ومنازلها، وثانيا مطالعها، ومغاربها، وثالثا اتصالاتها على

أشكال الموافقة والمخالفة، مرتبة على طبائعها، ورابعا تقسيم الأيام والليالى والساعات عليها، وخامسا تقدير الصور والأشخاص والأقاليم والأمصار عليها، فعملوا الخواتيم، وتعلموا العزائم والدعوات، وعينوا (اليوم) لزحل مثلا يوم السبت وراعوا فيه ساعته الأولى، وتختموا بخاتمه المعمول على صورته وهيئته وصنعته، ولبسوا اللباس الخاص به، وبخروا ببخوره الخاص، ودعوا بدعواته الخاصة، وسألوا حاجتهم منه، الحاجة التى تستدعي من زحل من أفعاله، وآثاره الخاصة به فكان يقضى حاجتهم، ويحصل فى الأكثر مرامهم وكذلك رفع الحاجة التى تختص بالمشترى، فى يومه وساعته. وجميع الاضافات التى ذكرنا اليه، وكذلك سائر الحاجات إلى الكواكب، وكانوا يسمونها اربابا آلهة. والله تعالى هو رب الأرباب، وإله الآلهة، ومنهم من جعل الشمس إله الآلهة، ورب الأرباب، فكانوا يتقربون إلى الهياكل تقربا إلى الروحانيات، ويتقربون إلى الروحانيات، تقربا إلي البارى تعالي، لاعتقادهم بان الهياكل أبدان الروحانيات، ونسبتها إلى الروحانيات نسبة أجسادنا إلي أرواحنا، فهم الاحياء الناطقون بحياة الروحانيات، وهى تتصرف فى أبدانها تدبيرا وتصريفا وتحريكا، كما يتصرف فى أبداننا، ولا شك أن من تقرب إلي شخص فقد تقرب إلي روحه، ثم استخرجوا من عجائب الحيل المرتبة على عمل الكواكب، ما كان يقضى منه العجب وهذه الطلسمات [1]

---

(١) علم الطلسمات، والطلسم عبارة عن علم بأحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية لأجل التمكن من إظهار مايخالف العادة أو المنع مما يوافقها

المذكورة فى الكتب والسحر (١)

أو هو عقد لاينحل وقيل مقلوب اسمه ، أى المسلط لأنه من القهر والتسلط وهو علم باحث عن كيفية تركيب القوى السماوية الفعالة مع القوى الأرضية المنفعلة في الأزمنة المناسبة للفعل ، والتأثير المقصود مع بخورات مقوية جالبة لروحانية الطلسم ، ليظهر من تلك الأمور فى عالم الكون والفساد أفعال غريبة وهو قريب المأخذ بالنسبة إلى السحر لكون مباديه وأسبابه معلومة وأما منفعته فظاهرة لكن طرق تحصيله شديدة العناء ، بسط المجريطى قواعد هذا الفن فى كتابه غاية الحكيم فأبدع لكنه اختار جانب الاغلاق والدقة لفرط ضنته وكمال بخله فى تعليمه ، وللعلامه السكاكى كتاب جليل فيه ، ونقل ابن الوحشية من النبط كتاب طبقانا ومنفعة هذا العلم ظاهرة عظيمة الغناء لكن طرقه شديدة العناء ، وقد اختلف فى معنى الطلسم والمشهور أقوال ثلاثة (١) ان الطل بمعنى الأثر فالمعنى أثر اسم ، (الثانى) انه لفظ يوناني معناه عقد لا ينحل (الثالث) انه كناية عن مسلط (كشف الظنون ثان ص ١١٤ دستور العلماء ثان ص ٢٧٨)

(١) علم السحر ، هو علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة بأسباب خفية ومنفعته أن يعلم ليحذر ، لاليعمل به ولانزاع فى تحريم عمله أما مجرد علمه فظاهر الاباحة بل قد ذهب بعض النظار إلى أنه فرض كفاية لوجود ساحر يدعى النبوة فيكون فى الأمة من يكشفه ويقطعه وأيضا يعلم منه مايقتل فيقتل فاعله قصاصاً وهو علم خفى سببه وصعب استنباطه لأكثر العقول وحقيقته كل ما انقادت النفوس اليه بخدعة فتميل إلى اصغاء الأقوال والأفعال الصادرة عن الساحر فعلى هذا التقدير هو علم باحث عن معرفة الأحوال الفلكية وأوضاع الكواكب وعن ارتباط كل منها مع الأمور الأرضية والمواليد الثلاثة على وجه خاص ليظهر من ذلك الارتباط والامتزاج أفعال غريبة وأسرار عجيبة خفيت عللها وأسبابها يعنى جمع وركب الساحر في أوقات مناسبة من الأوضاع الفلكية والأنظار الكوكبية بعض المواليد الثلاثة ببعض فيظهر ماجل أثره وخفى سببه من أوضاع عجيبة وأفعال غريبة تحيرت فيها العقول وعجزت عن حل خفائها أفكار الفحول ، وأما منفعة هذا العلم فالاحتراز من عمله لأنه محرم شرعاً إلا أن يكون لدفع ساحر يدعى النبوة فعند ذلك يفترض

والـكهانة(١)

وجود شخص قادر لدفعه بالعمل ولذلك قال بعض العلماء ان تعلم علم السحر فرض كفاية وإباحه الأكثرون دون عمله إلا إذا تعين لدفع المتنبي أما من يدعى النبوة فمناظرته بالسيف ، واختلف الحكماء فى طريق السحر فطريق الهند بتصفيه النفس وطريق النبط بعمل العزايم فى بعض الأوقات المناسبة وطريق اليونان بتسخير روحانية الأملاك والكواكب ، وطريق العبرانيين والقبط والعرب بذكر بعض الأسماء المجهولة المعانى فكأنه قسم من العزايم زعموا أنهم سخروا الملائكة القاهرة بالجني ، فمن الكتب المؤلفة فى هذا الفن الايضاح والبساتين لاستخدام الإنس لأرواح الجن والشياطين ، وبغية الناشدومطلب القاصد على طريقة العبرانيين والجهرة أيضا ، ورسائل أرسطو وغاية الحكيم ، وكتاب طيماوس وكتاب الوقوفات ، على طريقة اليونانيين وكتاب سحر النبط وكتاب العمى على طريقة العبرانيين ومرآه المعانى فى إدراك العلم الانسانى على طريقة الهند (كشف الظنون ثان ص ٩٨٠)

(١) علم الـكهانة ، والمراد منه مناسبة الأرواح البشريه مع الأرواح المجردة أى الجن والشياطين والاستعلام بهم عن احوال الجزئية الحادثة فى عالم الكون والفساد المخصوصة بالمستقبل واكثر مايكون فى العرب ، وقد اشتهر فيهم كاهنان أحدهما شق والآخر سطيح وقصتهما مشهورة فى السيرسيما فى كتاب أعلام النبوة للماوردى لـكنهم كانوا محرومين بعد بعثة نبينا عليه الصلاة والسلام من الاطلاع على المغيبات ومحجوبين عنها بغلبة نور النبوة ، حتى ورد فى بعض الروايات إنه لا كهانة بعد النبوة فلا يجوز الآن تصديق الـكهنة والاصغاء اليهم بل هو من أمارات الـكفر لقوله صلى الله عليه وسلم من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد لـكن المفهوم من كتاب السر المـكتوم للرازى إن الـكهانة على قسمين قسم يكون من خواص بعض النفوس ، فهو ليس بمكتسب ، وقسم يكون بالعزايم ودعوة الـكواكب والاشتغال بهما فبعض طرقه مذكور فيه ، وأن السلوك فى هذا المطريق محرم فى شريعتنا ، فعلى ذلك وجب الاحتراز عن تحصيله واكتسابه والقسم الأول داخل فى علم العرافة (كشف الظنون ثان ص ١٥٢٤)

والتنجيم(١) والتعزيم(٢)

(١) علم التنجيم ، أو علم النجوم ، علم يعرف به الاستدلال إلى حوادث عالم الكون والفساد وبالتشكيلات الفلكية وهى أوضاع الأفلاك والكواكب كالمقارنة والمقابلة والتثليث والتسديس والتربيع إلى غير ذلك وهو عند الاطلاق ينقسم إلى ثلاثة أقسام حسابيات وطبيعيات ووهميات أما الحسابيات فهى يقينيه ، فلا منع فى علمها شرعا وأما الطبيعيات كالاستدلال من انتقال الشمس فى البروج الفلكية إلى الفصول كالحر والبرد والاعتدال فليست بمردودة شرعا أيضا وأما الوهميات (أو ما يسمى بالتنجيم) كالاستدلال إلى الحوادث السفلية خيرا ، أو شرا من اتصالات الكواكب بطريق العموم أو الخصوص فلا استناد لها إلى أصل شرعى كما قال عليه الصلاة والسلام إذا ذكر النجوم فأمسكوا وقال تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى البر والبحر ثم انتهوا وقال عليه الصلاة والسلام من آمن بالنجوم فقد كفر لكن قالوا هذا ان اعتقد أنها مستقلة في تدبير العالم ، قال الامام الشافعى رحمه الله تعالى ، إذا اعتقد المنجم ان المؤثر الحقيقى هو الله تعالى لكن عادته سبحانه وتعالى جارية على وقوع الأحوال بحركاتها وأوضاعها المعهودة ففى ذلك لا باس عندى ، كذا ذكره السبكى فى طبقاته وعلى هذا يكون اسناد التأثير حقيقة إلى النجوم مذموما فقال بعض العلماء إن اعتقاد التأثير بذاتها حرام وذكر صاحب مفتاح السعادة ، أن ابن قيم الجوزية أطنب فى الطعن فيه والتعيير . والكتب المؤلفة فيه من المختصرات مجمل الأصول لكوشيار والجامع الصغير لمحي الدين المغربى ومن المتوسطات كتاب البارع والمغنى ومن المبسوطة مجموع ابن شرع والادوار لابى معشر والارشاد للبيرونى والمواليد للخصيبي والتحاويل للسجزى ، والقرانات للبازيار والمسائل للقصراني والاختيارات العلانية ودرج الفلك لتنكلوشا والتفهيم للبيرونى (كشف الظنون ثان ص ١٩٣١ مفتاح السعادة أول ص ٢٨٦)

(٢) علم العزائم ، أو التعزيم العزايم مأخوذ من العزم وتصميم الرأى والانطواء على الأمر والنية فيه والايجاب على الغير يقال عزمت عليك أى أوجبت عليك وحتمت عليك ، وفي الاصطلاح الايجاب والتشديد والتغليظ على الجن والشياطين ما يبدو للحائم حوله المتعرض لهم به ، وكلما تلفظ بقوله عزمت عليكم فقد أوجب

والخواتيم (والخواص[1])

عليهم الطاعة والاذعان والتسخير والتذليل لنفسه وذلك من الممكن الجائز عقلا وشرعا ومن انكرهما لم يعبأ به لأنه يفضى إلى انكار قدرة الله سبحانه وتعالى لأن التسخير، والتذليل اليه وانقيادهم للانس من بديع صنعه وسئل آصف بن برخيا هل يطيع الجن والشياطين الانس بعد سليمان عليه السلام فقال يطيعونهم مادام العالم باقيا، وانما يتسق باسمائه الحسنى وعزائمه الكبرى وأقسامه العظام والتقريب اليه في السير المرضية ثم هو في أصله وقاعدته على قسمين محظور ومباح الأول هو السحر المحرم وأما المباح فعلى الضد والعكس اذ لا يستثمر شيء منه إلا بورع كامل وعفاف شامل وصفاء خلوة وعزلة عن الخلق وانقطاع إلى الله تعالى وقد علمت أن التسخير إلى الله تعالى غير أن المحققين اختلفوا في كيفية اتصاله بهم منه تعالى فقيل على نهج لاسبيل لأحد دونه عز وجل وقيل بالعزيمة كالدعاء وأجابته وقيل بها والسير المرضية وقيل بالجواسيس الطائعين المنهيين المتهيئين، وقيل بالمحتبسة والسيارة وقيل بالعمار. هذا مايعتمد من كلام المحققين قال فخر الأئمة أما الذى عندى، انه إذا استجمع الشرائط، وصوب العزائم صيرها الله تعالى عليهم نارا عظيمة محرقة لهم مضيقة أقطار العالم عليهم كيلا يبقى لهم ملجأ ولا متسع الا الحضور والطاعة فيما يأمرهم به وأعلى من هذا أنه إذا كان ماهرا مسيرا فى سيره الرضية وأخلاقه الحميدة المرضية فانه تعالى يرسل عليهم ملائكة أقوياء غلاظا شدادا ليزجروهم ويسوقوهم إلى طاعته وخدمته وأثبت المتكلمون وغيرهم من المحققين هذه الاصول حيث قالوا مايمنع من أن يكون من الكلام من أسماء الله تعالى أو غيرها فى الكتب والعزايم والطلسمات ما إذا حفظه الانسان وتكلم به سخر الله تعالى بعض الجن والزم قلبه طاعته واختاره بما طلب منه من الأمور الكائنة فيما عرفه الجنى وشاهده ليخبر به الانسي وهذا هو بيان قول من قال أن منهم منهيين وجواسيس قالوا وطاعتهم للانس غير ممتنعة في عقل ولا سمع، من الشامل من البحر الكامل فى العزايم للامام أبى الفضل محمد بن أحمد الطبسى المتوفى سنة ٤٨٢ (كشف الظنون ثان ص ١١٣٧)

(١) علم الخواص، وهو علم باحث عن الخواص المترتبة على قراءة أسماء الله تعالى وكتبه المنزلة وعلى قراءة الأدعية ويترتب على كل من تلك الأسماء والدعوات

والصور(١) كلها من علويهم .

وأما أصحاب الأشخاص فقالوا إذا كان لا بد من متوسط يتوسل به وشفيع يتشفع اليه ، والروحانيات وان كانت هى الوسائل لكنا إذا

خواص مناسبة لها ، قال صاحب مفتاح السعادة واعلم أن النفس بسبب اشتغالها باسماء الله تعالى والدعوات الواردة فى كتبه المنزلة تتوجه إلى جناب القدس وتتخلى عن الأمور الشاغلة لها عنه فبواسطة ذلك التوجه والتخلى تفيض عليها آثار وأنوار تناسب استعدادها الحاصل لها بسبب انتقال الأمور المذكورة ، ومن هذا القبيل الاستعانة بخواص الادوية بحيث يعتقد الرائى أن ذلك لفعل السحر ، كما حكى أن كنيسة ببلاد الروم عمل فى جدرانها الأربعة وسقوفها وأرضها ست حجارة من المغناطيس متساوية في القدر وجعل في هوائها صليب من حديد بمقدار ما يتساوى فيه جذب تلك الحجارة الستة بحيث انه لا يغلب حجر منها بقيتها فى الجذب فلزم من ذلك وقوف الصليب فى الهواء وانما من غير آلة تمسكه ظاهرا ففتتن به قوم من النصارى اهـ ثم ان تلك الخواص تنقسم إلى أقسام كثيرة منها خواص الحروف المركبة منها الأسماء وخواص الادعية المستعملة في العزايم وخواص القرآن . ومنها خواص العدد والوفق والتكسير ومنها خواص الاعداد المتحابة والمتباغضة كما بين فى تذكرة الأحباب فى بيان التحاب وخواص البروج والكواكب وخواص المعدنيات إلى غير ذلك (كشف الظنون أول ص ٧٢٥ مفتاح السعادة أول ص ٣٠٢)

(١) علم صور الكواكب ، فان المنجمين تصوروا فى فلك الثوابت ثمانيا وأربعين صورة ، منها ما على المنطقه يتوهم اثنى عشر صورة لتعيين البروج وثمانية وعشرين صورة أخرى لتعيين منازل القمر ويندرج بعض هذه الصور فى بعض وبهذه الصور ضبطوا من الكواكب الثوابت الفا واثنين وعشرين كوكبا وعرفوا مواضعها فى الطول والعرض وجعلوا كل جملة منها متساوية المقدار تقريبا ورتبوها فى ست مراتب أولاها أعظمها وعلى هذا القياس . ولعبد الرحمن الصوفي رسالة صور الكواكب ، نافعة فى هذا الباب ولمحيي الدين المغربى أيضا رسالة فى هذا الباب (مفتاح السعادة أول ص ٣١٩)

لم نرها بالأبصار ، ولم نخاطبهم بالألسن لم يتحقق التقرب اليها ، إلا بهيا كلها ولكن الهيا كل قد ترى فى وقت ولا ترى فى وقت، لأن لها طلوعا ، وأفولا، وظهورا بالليل ، وخفاء بالنهار ، فلم يصف لنا التقرب بها والتوجه اليها ، فلا بد لنا من صور وأشخاص موجودة قائمة منصوبة نصب أعيننا فنعكف عليها ، ونتوسل بها إلى الهيا كل ، فنتقرب بها إلى الروحانيات ، ونتقرب بالروحانيات إلى الله سبحانه وتعالى فنعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ، فاتخذوا أصناما أشخاصا ، على مثال الهيا كل السبعة كل شخص فى مقابلة هيكل ، وراعوا فى ذلك جوهر الهيكل ، أعنى الجوهر الخاص به من الحديد وغيره ، وصوروه بصورته على الهيئة التى تصدر أفعاله عنه ، وراعوا فى ذلك الزمان والوقت والساعة والدرجة والدقيقة وجميع الاضافات النجومية ، من اتصال محمود ، يؤثر فى نجاح المطالب التى تستدعى منه ، فتقربوا اليه فى يومه وساعته ، وتبخروا بالبخور الخاص به وتختموا بالخاتمه ولبسوا ثيابه ، وتضرعوا بدعائه وعزموا بعزائمه وسألوا حاجتهم منه ، فيقولون كان يقضي حوائجهم بعد رعاية هذه الاضافات كلها وذلك هو الذي أخبر التنزيل عنهم بانهم عبدة[1] الكواكب ، إذ قالوا

---

(١) لما رأى القوم تغيرات أحوال هذا العالم الأسفل مربوط بتغيرات أحوال الكواكب ، وقد اعتقدوا ارتباط السعادات والنحوسات بكيفية وقوعها فى طوالع الناس على أحوال مختلفة ، فغلبت ظنونهم أن مبدأ حدوث الحوادث فى هذا العالم هو الاتصالات الفلكية والمناسبات الكوكبية ، فبالغوا فى تعظيمها ، ثم منهم من اعتقد أنها واجبة الوجود لذواتها ، ومنهم من اعتقد حدوثها وكونها مخلوقة للاله الاكبر

بالهيتها كما شرحنا ، وأصحاب الأشخاص هم عبدة (١) الأوثان إذ سموها

وهي وإن كانت مخلوقة للاله الأكبر فهى المدبرة لأحوال هذا العالم وهؤلاءهم الذين يعتقدون الوسائط بين الاله الأكبر وبين أحوال هذا العالم ، وعلى كل فقد اشتغلوا بعبادتها وتعظيمها ثم أنهم لما رأواهذه الكواكب قد تغيب عن الأبصار فى أكثر الأوقات اتخذوا لكل كوكب صنما من الجوهر المنسوب إليه واتخذوا صنم الشمس من الذهب وزينوه بالأحجار المنسوبة إلى الشمس ، وهى الياقوت والألماس ، واتخذواصنم القمر من الفضة وعلى هذا القياس . سائر الكواكب ، ثم أقبلوا على عبادة هذه الأصنام وغرضهم من عبادتها هو عبادة تلك الكواكب ، وقد كان اليونانيون قبل خروج الاسكندر عمدوا إلى بناء هياكل لهم معروفة بأسماء القوى الروحانية والاجرام النيرة واتخذوها معبودات لهم ، كل على حدة ، وقد كان هيكل العلة الأولى وهى عندهم الأمر الالهي وهيكل العقل الصريح وهيكل السياسة المطلقة وهيكل النفس والصورة مدورات كلها وكان هيكل زحل مسدسا وهيكل المشترى مثلثا وهيكل المريخ مستطيلا وهيكل الشمس مربعا وكان هيكل الزهرة مثلثا فى جوفه مربع وهيكل عطارد مثلثا فى جوفه مستطيل وهيكل القمر مثمنا . وقد زعم أصحاب التاريخ ان عمرو بن لحي لما ساد قومه وترأس على طبقاتهم وولى أمر البيت الحرام اتفقت له سفرة إلى البلقا . فرأى قوما يعبدون الأصنام فسألهم عنها فقالوا هذه أرباب نستنصرها فننصر ونستسق فنسقى فالتمس اليهم أن يكرموه بواحد منها فأعطوه الصنم المعروف بهبل فسار به إلى مكة ووضعه فى الكعبة ودعا الناس إلى تعظيمه وذلك فى أول ملك سابور ذى الاكتاف ، ومن بيوت الأصنام المشهورة غمدان الذى بناه الضحاك على اسم الزهرة بمدينة صنعاء وخربه عثمان بن عفان ، ومنها نوبهار ببلخ الذى نباه منو شهر الملك على اسم القمر ثم كان لقبائل العرب أوثان معروفه

(الرازى رابع وأول ص ٧٢ ص ٢٣١)

(١) ومن اتخذوا الأوثان آلهة ، كان مبدأ أمرهم متى مات منهم رجل كبير يعتقد أنه مجاب الدعوة مقبول الشفاعة عند الله تعالى اتخذوا صنما على صورته يعبدونه على اعتقاد أن ذلك الانسان يكون شفيعاً لهم يوم القيامة عند الله تعالى على ما أخبر الله عنهم بهذه المقالة فى قوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله ؛ ولما سكن اسماعيل بن إبراهيم

الهة ، في مقابلة الآلهة السماوية ، وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، وقد ناظر

عليهما السلام مكة وولد له أولاد ضاقت عليهم مكة ، ووقعت بينهم الحروب والعداوات واخرج بعضهم بعضا فتفسحوا في البلاد . والتماس المعاش . فكان لايظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم وصبابة بالحرم وحباله . ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره . فعبدوا الاوثان . وصاروا إلى ما كانت عليه الامم من قبلهم وأبتحثوا ما كان يعبد قوم نوح منها على ارث ما بقى فيهم من ذكرها فكان لقبائل العرب أوثان معروفة مثل ود بدومة الجندل لكلب . وسواع لبنى هذيل ويغوث لبنى مذجح ويعوق لهمدان ونسر بارض حمير لذى الكلاع واللات بالطائف لثقيف ومناة بيثرب للخزرج والعزى لكنانة بنواحى مكة وأساف ونائله على الصفا والمروة وكان قصى جدالنبى ﷺ ينهاهم عن عبادتها ويدعوهم إلى عبادة الله تعالى وكذا زيد بن عمرو ابن نفيل وهو الذى يقول

أربا واحدا ام ألف رب ادين إذا انقسمت أمور
تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير

هذا وقد ذكر أبو معشر جعفر بن محمد المنجم البلخى . فى بعض كتبه . حقيقة مذهب عبدة الأصنام ، فقال ان كثيرا من أهل الصين والهند كانوا يثبتون الاله والملائكة الا أنهم يعتقدون انه تعالى جسم وذو صورة كاحسن ما يكون من الصور ، وللملائكه أيضا صور حسنة الا أنهم كلهم محتجبون منا بالسموات ، فلا جرم أن اتخذوا صورا وتماثيل انيقة المنظر حسنة الرؤية والهيكل . فيتخذون صورة فى غاية الحسن ويقولون إنهـا هيكل الاله وصورة أخرى دون الصورة الاولى ويجعلونها على صورة الملائكة ثم يواظبون على عبادتها قاصدين بتلك العبادة طلب الزلفى من الله تعالى ومن الملائكة ، فان صح ما ذكره أبو معشر فالسبب فى عبادة الأوثان اعتقاد ان الله تعالى جسم وفى مكان ، هذا وإن منهم من كان يعتقد أن الله تعالى فوض تدبير كل واحد من الأقاليم إلى ملك بعينه وفوض تدبير كل قسم من أقسام ملك العالم إلى روح سماوى بعينه ، فيقولون مدبر البحار ملك ومدبر الجبال ملك آخر ومدبر الغيوم والأمطار ملك ومدبر الأرزاق

الخليل عليه الصلاة والسلام هؤلاء الفريقين ، فابتدأ بكسر مذاهب أصحاب الأشخاص ، وذلك قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم علم ، وتلك الحجة ان كسرهم قولا بقوله ، أتعبدون ما تنحتون ، والله خلقكم وما تعملون ، ولما كان أبوه آزر هو (١) أعلم القوم بعمل الأشخاص والأصنام ، ورعاية الاضافات

ملك ومدبر الحروب والمقاتلات ملك آخر . فلما اعتقدوا ذلك اتخذوا لكل واحد من أولئك الملائكة صنما مخصوصا وهيكلا مخصوصا ويطلبون من كل صنم ما يليق بذلك الروح الفلكى من الآثار والتدبيرات . (الرازي أول ورابع ص ٢٣٢ ص ٧٢ والأصنام ص ٦)

(١) آزر أبو إبراهيم ويدل عليه ظاهر الآية ، (واذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة) ومنهم من قال اسمه تارخ ، قال الزجاج لا خلاف بين النسابين على أن اسمه تارخ ومن الملحدة من جعل هذا طعنا فى القرآن . وقال هذا النسب خطأ وليس بصواب وللعلماء ههنا مقامان ، « الأول » أن اسم والد ابراهيم عليه السلام هو آزر وأما قولهم أجمع النسابون على أن اسمه كان تارخ فقول ضعيف لأن ذلك ، الاجماع انما حصل لأن بعضهم يقلد بعضا ، وبالآخرة يرجع ذلك الاجماع إلى قول الواحد والاثنين مثل قول وهب وكعب وغيرهما وربما تعلقوا بما يجدونه من أخبار اليهود والنصارى ولا عبرة بذلك فى مقابلة صريح القرآن « الثانى » سلمنا أن اسمه كان تارخ ، ثم لنا ههنا وجوه (١) لعل والد ابراهيم كان مسمى بهذين الاسمين فيحتمل أن يقال أن اسمه الأصلى كان آزر . وجعل تارخ لقبا له فاشتهر هذا اللقب وخفى الاسم فالله تعالى ذكره بالاسم ويحتمل أن يكون بالعكس ، وهو أن تارخ كان اسما أصليا وآزر كان لقبا غالبا فذكره الله بهذا اللقب الغالب (٢) أن يكون لفظة آزر صفة مخصوصة فى لغتهم فقيل ان آزر اسم ذم فى لغتهم وهو المخطىء كأنه قيل وإذ قال إبراهيم لأبيه المخطيء كانه عابه بزيفه وكفره وانحرافه عن الحق ، وقيل آزر هو الشيخ الهرم بالخورازمية وهو أيضا فارسية اصليه واعلم أن هذين الوجهين إنما يجوز المصير اليهما عند من يقول بجواز اشتمال القرآن على الفاظ قليلة من غير لغة العرب (٣) أن آزر كان اسم صنم يعبده والد ابراهيم وانما سماه الله بهذا

النجومية فيها حق الرعاية ، ولهذا كانوا يشترون منه الأصنام لا من غيره
كان أكثر الحجج معه ، وأقوى الالزامات عليه ، إذ قال لأبيه آزر أتتخذ
أصناما آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين ، وقال يا أبت لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً لأنك جهدت كل الجهد
واستعملت كل العلم ، حتى عملت أصناما فى مقابلة الاجرام السماوية ، فما
بلغت قوتك العلمية ، العملية إلى أن تحدث فيها سمعاً و بصراً ، وان تغني
عنك وتضر وتنفع ، وانك بفطرتك وخلقتك أشرف درجة منها لأنك
خلقت سميعا بصيرا ضارا نافعا ، والآثار السماوية فيك أظهر منها ، فى هذا
المتخذ تكلفا ، والمعمول تصنعا ، فيالها من حيرة ، إذ صار المصنوع
بيديك معبودا لك ، والصانع أشرف من المصنوع (يا أبت لا تعبد[1]

الاسم ، لأنه جعل نفسه مختصا بعبادته ومن بالغ فى محبة أحد فقد يجعل اسم المحبوب اسما للمحب . قال الله تعالى يوم ندعو كل أناس بأمامهم ، أو أن يكون المراد عابد آزر ، فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل ان والد ابراهيم عليه السلام كان تارخ وآزر كان عما له والعم قد يطلق عليه اسم الأب كما حكى الله تعالى عن أولاد يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق ومعلوم أن اسماعيل كان عما ليعقوب ، وقد أطلقوا عليه لفظه الأب فكذا ههنا ، واعلم أن هذه التكلفات انما يجب المصير اليها لو دل دليل باهر على أن والد ابراهيم ما كان اسمه آزر ؛ وهذا الدليل لم يوجد البتة فأى حاجة تحملنا على هذه التأويلات والدليل القوى على صحة الأمر ظاهر الآية . وان اليهود والنصارى والمشركين كانوا حريصين على تكذيب الرسول وبغضه ، فلو كان هذا النسب كذبا ، ما سكتوا عن تكذيبه . وهم لم يكذبوه فعلم أن هذا النسب صحيح (الرازى رابع ص ٧٢)

(١) نهى اباه عن عبادة الشيطان ، بطاعته اياه . فى عبادة الأصنام ، إذ أن عبادته للأصنام عبادة له ، إذ هو الذى يسولها له ويغريه عليها . ان الشيطان كان

الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن) ثم دعاه إلى الحنيفية الحقة (يا أبت[١] إنى قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا قال أراغب[٢] أنت

للرحمن عصياً ، تعليل لموجب النهى ، وتأكيد له ببيان إنه عاص ، لمن شملتك رحمته وعمتك نعمته ، فنفره بهذه الصفة عن القبول منه لأنه العصيان أعظم الخصال المتفرة ونظرا لامعان إبراهيم فى الاخلاص ، وأنه أحنف الحنفاء لم يذكر من جنايات الشيطان إلا كونه عاصياً لله ولم يذكر معاداته لآدم عليه السلام كأن النظر فى عظم ما ارتكبه من ذلك العصيان غمى فكره ،واطبق على ذهنه ، ومعصية الله لاتصدر إلاعن ضعف الرأى ومن كان كذلك كان حقيقاً أن لايلتفت لرأيه ولا يجعل لقوله وزن .

(١) يا أبت إنى قد جاءنى ، الآية ، لم يسم أباه بالجهل المفرط وان كان فى أقصاه ، ولم يصف نفسه بالعلم الفائق ، وإن كان كذلك ، بل أبرز نفسه فى صورة رفيق بأبيه ، هوأعرف بخبره . وأحرص الناس على سعادته وبره ، لبيان أقوم طريق وأهدى سبيل ، فاستماله برفق ، حيث قال فاتبعنى اهدك صراطا سويا . مستقيماموصلا إلى أسني المطالب منحيا عن الضلال المؤدى إلى مهاوى الردى والمعاطب ، وقوله جاءنى ظاهر فى أن هذا الحوار كان بعد أن نبىء عليه السلام ، وما جاءه هو العلم بما يجب لله تعالى ، وما يمتنع في حقه ، ومايجوز على أتم وجه وا كمله . إلى علمه بأمور الآخرة وثوابها وعقابها ، وسائر ، ما أرشده وأوصاه اليه ، مما ينتظم الاخلاص لله فى عبادته وما يؤدى إلى سعادة الدارين ، واتبعني ، أمر ارشاد لاايجاب .

(٢) قال أراغب أنت عن آلهتى ، الآية ، فابراهيم عليه السلام ، لما دعا أباه إلى التوحيد ، وذكر له مايدله على فساد عبادة الأوثان واردف ذلك ، بوعظه البليغ ، المقرون باللطف والرفق ، واللين والاتضاع قابله أبوه بجفائه وعناده ، وقابل حجته بالتقليد ، إذ لم يذكر فى مقابلة حجته إلا قوله أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم ، فأصر على ادعاء الهيتها جهلا وتقليداً وقابل وعظه ، بسفاهة ، إذ هدده بضربه . وسبه وقابل رفقه ، بعنفة ، فابراهيم ، عليه السلام قال يا أبت ، مستنزلا عطف الأبوة ، ورحمتها أما هو فلم يقل يابنى ، بل قال يا ابراهيم ، فكأنه تناسى بنوته ، آية على غلظه

عن إلهتى يا ابراهيم) فلم يقبل حجته القولية ، فعدل عليه السلام إلى
إلى الـكسر بالفعل فجعلهم جذاذا إلا كبيراً لهم ، فقالوا من فعل هذا
بآلهتنا يا ابراهيم ، قال (بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم إن كانوا ينطقون
فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم
لقد علمت ما هؤلاء [1] ينطقون) فأفحمهم بالفعل حيث أحال الفعل
على كبير لهم كما أفحمهم بالقول حيث أحال الفعل منهم ، وكل

وقسوته ، وقوله أراغب ، أن كان على وجه الاستفهام فهو خذلان ، لأنه قد عرف منه ماتكرر منه من وعظه وتنبيه على الدلالة وهو يفيد أنه راغب عن ذلك أشد رغبه فما فائدة هذا القول . وأن كان على سبيل التعجب فأى تعجب فى الاعتراض عن حجة لافائدة فيها وإنما التعجب كله من الاقدام على عبادتها فان الدليل الذى ذكره إبراهيم عليه السلام كما أنه يبطل جواز عبادتها فهو يفيد التعجب من أن العاقل كيف يرضى بعبادتها فكأن أباه قابل ذلك التعجب الظاهر المبني على الدليل بتعجب فاسد غير مبنى على دليل وشبهة . ولاشك أن هذا التعجب جدير بأن يتعجب منه .

(١) لما شاهد القوم كسر أصنامهم وعرفوا أن فاعله إبراهيم ، قالوا فيما بينهم أحضروه . وأتوا به على أعين الناس . مشاهداً بمرأى منهم . معايناً بمنظرهم ، على أتم وجه ، لعلهم يشهدون بفعله ، ويكون أخذه عن بينة فيكون حجة عليه بما فعل وليروا عقوبتنا أياه فيكون ذلك زاجراً لهم عن الأقدام على مثل فعله ، فأتوا به ، فقالوا أأنت فعلت هذا ، ليعترف لهم بعمله . فيقدموا على أذيته باقراره . واعترافه فظهر منه ، ماقلب الأمر عليهم حتى تمنوا الخلاص منه ، فقال بل فعله كبيرهم ، تعريضا يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة ، وتبكيتا لهم على عبادة مالا يضر ولاينفع ، واستهزاء بأصنامهم .وأن كبيرهم . كان سبباً فى تكسيرهم . لحقده عليه لما رأى من زيادة تعظيمهم إياه . فأسند الفعل اليه لأن السبب فى استهانته بها . وتحطيمه إياها والفعل كما يسند لمباشره يسند إلى الحامل اليه . أو أن يكون قوله حكاية لمعتقدهم ، كأنه قال لهم ماتنكرون أن يفعله كبيرهم ، ومن حق من يعبد ويتخذ الها أن يقدر على هذا . وأشد منه ، أو فعله من فعله . وكبيرهم ، ابتداء كلام فاسألوهم .

ذلك على طريق الالزام عليهم ، وإلا فما كان الخليل كاذبا قط ، ثم عدل إلي كسر مذاهب أصحاب الهياكل ، وكما أراه الله سبحانه وتعالى الحجة على قومه قال (وكذلك نرى[1] ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) فأطلعه على ملكوت الكونين والعالمين ، تشريفا له على الروحانيات وهيا كلها ، وترجيحا لمذهب الحنفاء على مذهب الصابئة ، وتقريرا ان الكمال فى الرجال ، فأقبل على

ان كانوا يستطيعون نطقا ، إذ أن عدم نطقهم أظهر ، وتبكيتهم بذلك أوقع في نفوسهم وآلم لمشاعرهم ، فرجعوا إلى أنفسهم مفكرين مستدبرين وتذكروا أن مالا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الاضرار بمن كسره . لايقدر على دفع مضرة عن غيره ، أو جلب منفعة له ، فلا يستحق أن يعبد ، فقال بعضهم لبعض فيما بينهم أنكم أنتم الظالمون بعبادة مالا ينطق أو بسؤالكم ابراهيم وعدولكم عن سؤالها وهى آلهتكم حتى أخذ يستهزىء بهم وبآلهتهم ، ثم نكسوا على رءوسهم وغلبت عليهم شقوتهم وأخذوا فى الجدال بالباطل وقد بهتوا لما شدهتهم حجة ابراهيم فاحتجوا على ابراهيم بما هو الحجة له فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون لما أحاطت بهم الحيرة ، واضطربت عليهم الفكرة فاعترفوا بعجزها وانها لا تصلح للالهية .

(١) ومثل ، ما أريناه من قبح عبادة الاصنام نريه ملكوت السموات والأرض والملكوت الملك ، والتاء للمبالغة كالرغبوت والرهبوت للرغبة ، والرهبة فرأى مافى السموات ، ومافى الأرض من عجائب وبدائع ليزداد يقينة ، بجلال الله تعالى وقدسه وعلوه وعظمته ، وقيل ان الاراءة ، ليست ببصره ، وانما هي ببصيرته ، من اطلاعه على حقائقها وبدائعها ، إذ أن ملك الله عبارة عن قدرته ، وقدرة الله لا ترى ، وانما تعرف بالعقل ، وكذلك قوله فى حق هذه الأمة سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم فهى رؤية بصيرة باطنة ، لا رؤية بصر ظاهر ، فهى اراءة بالقلب لا بالعين لتتجلى له قدرة الله ، ويوقن بعظمته وجلالته باشراقه أنوار التجلى ، وشمس المعرفة والتوحيد .

أبطال مذهب أصحاب الهيا كل ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى[1]) على ميزان الزامه على أصحاب الأصنام ، بل فعله كبيرهم هذا ، وإلا فما كان الخليل عليه السلام كاذباً فى هذا القول ولا مشركا في تلك الاشارة ، ثم استدل بالأفول ، والزوال والتغير والانتقال ، بأنه لا يصلح أن يكون ربا الها ، فان الاله القديم لا يتغير ، وإذا تغير فاحتاج إلى مغير وهذا لو اعتقدتموه ربا قديماً ، والها أزليا ، ولو اعتقدتموه واسطة وقبلة وشفيعا ووسيلة ، فالافول والزوال أيضاً يخرجه عن الكمال وعن هذا ما استدل عليهم بالطلوع ، وان كان الطلوع أقرب إلى الحدوث من الافول فانهم انما انتقلوا إلى عمل الاشخاص لما عراهم من التحير بالافول ، فأتاهم الخليل عليه السلام من حيث تحيرهم ، فاستدل عليهم بما اعترفوا

(١) فلما ستره الله ، ورأى كوكبا قال هذا ربى . وليس قوله ، عن عقيدة إذ ما كان ، يجوز عليه ذلك وهو الذى دعا أباه وقومه إلى التوحيد والقول بربوبية النجم كفر ، وقد عصمه الله منه وبخاصة وقد قال الله تعالى فى صفته إذ جاء ربه بقلب سليم ، وأقل مراتب القلب السليم ، براءته من الشرك ، فوق ان الله مدحه فقال ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل ، وكنابه عالمين ، فاختصه الله برشده وهدايته وقد علم طهارته من الشرك وكمال حنيفيته والله أعلم حيث يجعل رسالته ولكنه قال ما قال فى مناظرته مع قومه ليرشدهم إلى الايمان والتوحيد ويكشف لهم أن الكوكب فى غيبتها وأفولها ، لا يسمح عقل عاقل أن يعتقد الهيتها ولذلك يقول الله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ولم يقل على نفسه فقوله حجة عليهم ولذلك اعقب ذلك بقوله لا أحب الآفلين ردا عليهم وتنبيها لهم على فساد عقيدتهم فقد استدرجهم بحديثه ليستمعوا إلى حجته وقلبه مطمئن لاسلامه وحنيفيته ولتكون حجته قارعة ودليله مبطلا لقولهم .

بصحته ، وذلك أبلغ فى الاحتجاج ، ثم لما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل ، قال لئن لم يهدني[1] ربى لأكونن من القوم الضالين ، فياعجبا ممن لا يعرف ربا كيف يقول لئن لم يهدنى ربي لأكونن من القوم الضالين ، رؤية الهداية من الرب تعالى غاية التوحيد ، ونهاية المعرفة والواصل إلى الغاية والنهاية ، كيف يكون في مدارج البدايه ، دع هذا كله خلف قاف [2] ، وارجع بنا إلى ما هو شاف كاف ، فان الموافقة فى العبارة على طريق الالزام على الخصم من أبلغ الحجج ، وأوضح المناهج وعن هذا قال لما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ، لاعتقاد القوم أن الشمس ملك الفلك ، وهو رب الأرباب ، الذين يقتبسون منه

---

(١) لئن لم يهدنى ربى إلى جنابه الحق الذى لا محيد عنه فالهداية من الله تعالى لاكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رأيته لايصلح للربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام في الصفة وفيه تنبيه لقومه على أن من اتخذ القمر الها وهو نظير الكواكب فى الافول فهو ضال فهو يعرض بضلالهم هنا بعد ان قامت الحجة عليهم وتبلج الحق أمامهم وظهر لهم في روعته وبراعة حجته .

(٢) قاف مذكور في القرآن فى قوله تعالى ق والقرآن المجيد وقد ذهب المفسرون إلى أنه الجبل المحيط بالأرض قالوا وهو من زبرجدة خضراء وان خضرة السماء من خضرته قالوا وأصله من الخضرة التى فوقه وان جبل قاف عرق منها وأصول الجبال كلها من عرق جبل قاف وقد ذكر بعضهم أن بينه وبين السماء مقدار قامة رجل ، وقيل بل السماء مطبقة عليه وزعم بعضهم ان وراءه عوالم وخلائق لا يعلمها إلا الله تعالى ومنهم من زعم ان ما وراءه معدود من الآخرة ومن حكمها وان الشمس تغرب فيه وتطلع منه وهو الساتر لها عن الأرض وتسميه القدماء البرز (معجم البلدان سابع ض ١٥)

الأنوار ، ويقبلون منه الآثار ، فلما أفلت[١] قال ياقوم إنى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين ، قرر مذهب الحنفاء ، وأبطل مذهب الصابئة ، وبين أن الفطرة هى الحنيفية ، وأن الطهارة فيها ، وأن الشهادة بالتوحيد مقصورة عليها ، وان النجاة والخلاص متعلقة بها ، وأن الشرائع والأحكام مشارع ومناهج اليها ، وان الأنبياء والرسل مبعوثة لتقريرها وتقديرها ، وان الفاتحة والخاتمة ، والمبدأ والكمال منوطة بتخليصها وتحريرها ، ذلك الدين القيم ، والصراط المستقيم ، والمنهج الواضح ، والمسلك اللائح ، قال الله سبحانه وتعالى لنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم فأقم[٢] وجهك

---

(١) فافولها يدل على حدوثها وحدوثها يدل على افتقارها إلى فاعل قديم قادر قادرية أزلية وهذه الكواكب لا قدرة لها على الايجاد والابداع فقد استدل ابراهيم عليه السلام بأفولها على امتناع كونها أربابا وآلهة لحوادث هذا العالم فعبادة الاله الأكبر أولى من الاشتغال بعبادة الشمس والنجوم والقمر فقال ابراهيم صادعا بالحق بين ظهرانيهم ياقوم انى بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة المتغيرة من حال إلى حال المسخرة لمحدثها ثم انه عليه السلام لما تبرأ مما تبرأ منه توجه إلى مبدع هذه المصنوعات وموجدها فقال انى وجهت وجهى للذى فطر وأوجد وأنشأ السموات التى هذه الاجرام من أجزائها والأرض التى تلك الأصنام من أجزائها حنيفا مائلا عن الاديان الباطلة والعقائد الزائغة كلها وما أنا من المشركين فى قول أو فعل متوجه بعبادتى وطاعتى إلى رب العالمين مخلصا له الدين وأنا أول الحنفاء المسلمين .

(٢) عقب بيانه تعالى لآياته المبينات فلا يكن فى قلبك شىء آخر فتعود اليه إذ أن ذلك اتباع لفطرة الله التى فطر الناس خلقهم وبرأهم عليها من توحيدهم اياه واقرارهم بربوبيته حنفاء لله غير مشركين به وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب لأمته منيبين اليه ولو انهم تركوا ما اختاروا غيره وقد قال صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد إلا على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء لا تبديل لخلق الله تعليل للامر بلزوم

للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون

الحرنانية (١)

هم جماعة من الصابئة قالوا الصانع المعبود واحد كثير أما الواحد

فطرته أو لوجوب الامتثال به وخلق الله فطرته فلا صحة ولا استقامة لتبديل فطرة الله بالاخلال بموجبها باتباع الهوى وقبول وسوسه الشياطين وقيل خلق الله أى خلقه العباد لعبادته وهم كلهم عبيده ولا تغيير في انهم جميعا عباد الله تعالى بارئهم ومالكهم ذلك الدين المأمور به أو لزوم فطرة الله الدين القيم المستوى الذى لا عوج فيه ولا انحراف عن الحق ولكن أكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين المستقيم فيصدون عنه صدوداً منيبين اليه راجعين اليه تعالى مقبلين بالتوبة واخلاص العمل منقطعين اليه تعالى حنفاء مخلصين له الدين واتقوه من مخالفة أمره تعالى واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين بتركها أو من المبدلين لفطرة الله تعالى من الذين فرقوا دينهم باختلافهم فيما يعبدونهم على اختلاف أهوائهم وقيل اختلافهم فى اعتقاداتهم مع اتحاد معبودهم ومن الذين فرقوا بدل من المشركين باعادة الجار فيه تحذير عن الانتماء إلى حزب من أحزاب المشركين ببيان ان الكل على الضلال المبين وكانوا شيعا فرقا تشايع كل فرقة إمامها الذى مهد لها دينها وقرره ووضع أصوله أو ممن صاروا ذوى أديان مختلفة فصار بعضهم يعبد وثنا وبعضهم يعبد نارا وبعضهم يعبد شمسا إلى غير ذلك كل حزب بما لديهم فرحون كل أهل ملة دينهم معوج مؤسس على الرأي الزائغ والزعم الباطل فرحون مسرورون ظنا منهم أنه حق .

(١) الحرنانية جماعة من صابئة الكلدانين اجتمعوا على أن للعالم علة لم يزل واحدا لا يتكثر لا يلحقه صفة شيء من المعلومات كلف أهل التميز من خلقه الاقرار بربوبيته وأوضح لهم السبيل وبعث رسلا للدلالة وتثبيتا للحجة أمرهم أن يدعوا إلى رضوانه ويحذروا من غضبه ووعدوا من أطاع نعيما لا يزول وأوعدوا من عصى

فنى الذات والاول والاصــــل والازل وأما الـكثير فلانه يتكثر

عذابا واقتصاصا بقدر استحقاقه ثم ينقطع ذلك وان يختص برحمته من دعوا إلى الله والحنيفية ومن مشهوريهم اغاثاذيمون وهرميس وذكر بعضهم سولون ودعوتهم واحدة وسنتهم وشرائعم غير مختلفة وقبلتهم واحدة إلى قطب الشمال قاصدين البحث عن الحـكمة ودفع ماينافض الفطرة ملازمين فضائل النفس الأربع آخذين بالفضائل الجزئية مجتنبين الرذائل الجزئية وقالوا ان السماء تتحرك حركة اختيارية وعقلية ، وافترضوا من الصلاة ثلاثا كل يوم ولا صلاة إلا على طهور وصيامهم ثلاثون يوما ولهم قربان يتقربون به وانما يذبحون للـكواكب ويقول بعضهم انه إذا قرب باسم البارى كانت دلالة القربان ردية ، لأنه عندهم تعدى إلى أمر عظيم وترك ما هودونه لما جعله متوسطا فى التدبير وعندهم ان الثواب والعقاب انما يلحق الأرواح وليس يؤخر ذلك عندهم إلى أجل معلوم وقرأ الـكندى كتابا لهم وهو مقالات لهرمس فى التوحيد كتبها لابنه لايجد الفيلسوف إذا أتعب نفسه مندوحة عنها والقول بها وقال أبو يوسف يشوع النصرانى فى كتابه فى الـكشف عن مذاهب الحرنانيين المعروفين فى عصرنا بالصابئة ان المأمون اجتاز فى آخر أيامه بديار مصر يريد بلاد الروم للغزو فتلقاه الناس يدعون له وفيهم جماعة من الحرنانيين زيهم لبس الاقبية وشعورهم طويلة بوفرات فانـكر المأمون زيهم وقال لهم من أنتم من الذمة فقالوا نحن الحرنانية فقال أنصارى أنتم قالوا لا قال فيهود أنتم قالوا لا قال فمجوس أنتم قالوا لا قال لهم فلـكم كتاب أم نبى فمجمجوا فى القول فقال لهم فانتم إذا الزنادقة عبدة الأوثان وأصحاب الرأس فى أيام الرشيد والدى وأنتم حلال دماؤكم لاذمة لـكم فقالوا نحن نؤدى الجزية فقال انما تؤخذ الجزية ممن خالف الاسلام من أهل الـكتاب فانتم إما أن تنتحلوا الاسلام أو دينا ممن ذكره الله فى كتابه والا قتلتـكم عن آخركم فغيروا زيهم وتنصر كثير منهم وأسلم منهم طائفة وبقى منهم شرذمة بحالهم أخذوا يحتالون ويضطربون حتى انتدب لهم شيخ من أهل حران فقيه جمعوا له مالا قال لهم إذا رجع المأمون من سفره فقولوا له نحن الصابئون وهذا دين ذكره الله فى كتابه وقضى أن توفى المأمون فى سفره فارتد من تنصر ورجع إلى الحرنانية . ومن

بالأشخاص في رأى العين . وهى المديرات السبع ، والاشخاص الارضية الخيرة العالمة الفاضلة ، فانه يظهر بها ويتشخص بأشخاصها ولا تبطل وحدته فى ذاته ، وقالوا هو أبدع الفلك وجميع ما فيه من الاجرام والكواكب ، وجعلها مديرات هذا العالم ، وهم الآباء والعناصر أمهات ، والمركبات مواليد . والآباء أحياء ناطقون ، يؤدون الآثار إلى العناصر فتقبلها العناصر فى أرحامها ، فيحصل من ذلك المواليد ثم من المواليد قد يتفق شخص مركب من صفوها دون كدرها ، ويحصل مزاج كامل الاستعداد ، فيتشخص الاله به فى العالم ، ثم ان طبيعة الكل تحدث فى كل اقليم من الاقاليم المسكونة على رأس كل ستة وثلاثين ألف سنة وأربعمائة وخمس وعشرين سنه زوجين من كل نوع من أجناس الحيوانات ، ذكراً وأنثى من الانسان وغيره ، فيبقى ذلك النوع تلك المدة ثم إذا انقضى الدور بتمامه انقطعت الانواع نسلها وتوالدها

أسلم لم يتمكنوا من الارتداد خيفة القتل فاقاموا متسترين يتزوجون نساء حرنانيات يجعلون الولد الذكر مسلما والأنثى حرنانية وأما حكاية الرأس . فهى رأس انسان صورته عطاردية على ما يعتقدونه فى صور الكواكب فيحتالون بحيلة إلى فصل الرأس فيعظمونها ويعبدونها وقد يصيبون مثلها فى قبور موتاهم القديمة فيتبركون بها وقرباناتهم يوم الأحد للشمس ويوم الاثنين للقمر ويوم الثلاثاء للمريخ ويوم الأربعاء لعطارد ويوم الخميس للمشترى ويوم الجمعة للزهرة ويوم السبت لزحل ولهم اعياد . يضرعون فيها لآلهتهم من الكواكب الآلهة السبعة والشياطين والجن والأرواح ويذبحون لها الذبائح ولهم فى شهور السنة عادات وقرابين وذبائح وأسرار أسهب فيها ابن النديم ، كما ذكر آلهتهم واختصاص كل اله ومالهم من طرائف العادات وتاريخ رؤسائهم

فيبتدي دور آخر ، ويحدث قرن آخر من الانسان والحيوان والنبات، وكذلك أبد الدهر ، قالوا وهذه هى القيامة الموعودة على لسان الانبياء وإلا فلا دار سوى هذه الدار ، وما يهلكنا [1] إلا الدهر ، ولا يتصور

(١) وما يهلكنا إلا الدهر وما يميتنا إلا الأيام والليالى ومرور الزمان وطول العمر فهم يذهبون إلى أن تولد الأشخاص انما كان بسبب حركات الأفلاك الموجبة لامتزاجات الطبائع وإذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص حصلت الحياة وإذا وقعت على وجه آخر حصل الموت فالموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الأفلاك فلا يثبتون الفاعل المختار وهذه جمعت بين انكار الاله وبين انكار البعث والقيامة وقيل أنهم ينكرون ملك الموت وقبضة الأرواح بامر الله عز وجل وكانوا يسندون الحوادث مطلقا إلى الدهر لجهلهم انها مقدرة من عند الله تعالى وأشعارهم لذلك مملوءة من شكوى الدهر ذم اعرابى رجلا فقال هو أكثر ذنوبا من الدهر وقال كثير

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت

وقال آخر

فاستأثر الدهر الغداة بهم والدهر يرميني وما أرمى

يادهر قد أكثرت فجعتنا بسراتنا ووقرت فى العظم

وهؤلاء معترفون بوجود الله تعالى فهم غير الدهرية فانهم مع اسنادهم الحوادث إلى الدهر لا يقولون بوجوده سبحانه وتعالى تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . والكل يقول باستقلال الدهر بالتأثير هذا وقد جاء النهى عن سب الدهر أخرج مسلم لا يسب أحدكم الدهر فان الله هو الدهر وأخرج أبو داود قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فلا يقل أحدكم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره وأخرج الحاكم يقول الله عز وجل استقرضت عبدى فلم يقرضنى وشتمنى عبدى وهو لا يدرى يقول وادهراه وأنا الدهر والبيهقى لا تسبوا الدهر قال الله عز وجل أنا الأيام والليالى أجددها وأبليها وآتى بملوك بعد ملوك ومعنى ذلك أن الله تعالى هو الآتي بالحوادث فاذا سببتم الدهر على انه فاعل وقع السب على الله عز وجل

احياء الموتى ، و بعث من فى القبور، أيعدكم أنكم (٢) إذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ، وهم الذين أخبر التنزيل عنهم بهذه المقالة وانما نشأ أصل التناسخ والحلول من هؤلاء القوم ، فان التناسخ هو أن يتكرر الاكوار والادوار إلى ما لانهاية لها ويحدث فى كل دور مثل ما حدث في الأول . والثواب والعقاب فى هذه الدار لا فى دار أخرى لا عمل فيها ، والأعمال التى نحن فيها إنما هى أجزية على أعمال سلفت منا فى الأدوار الماضية ، والراحة والسرور

---

(٢) أيعدكم أنكم إذا متم » الآية استئناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباع نوح عليه السلام بانكار ما يدعوهم للايمان واستبعاده فقد طعنوا فى نبوته ثم طعنوا فى صحة الحشر ، والنشر ، فانكروا عودهم فى حياتهم الثانية للمجازاة على ما قدموا ، ثم لم يقتصروا على هذا القدر ، حتى قرنوا به الاستبعاد العظيم وهو قولهم هيهات هيهات لما توعدون ثم أكدوا الشبهة بقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا فلا حياة إلا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا يموت بعضنا ، ويحيا الآخرون فلا إعادة ولا حشر فلذلك قالوا وما نحن بمبعوثين ، وقيل أرادوا بالموت العدم السابق على الوجود وأرادوا بالحياة بقاء أولادهم فان بقاء الأولاد في حكم حياة الآباء ولا يخفى بعده ، وذهب بعضهم إلى القول بان القوم كانوا قائلين بالتناسخ فحياتهم بتعلق النفس التى فارقت أبدانهم إلى أخر عنصرية تنقلت فى الأطوار حتى استعدت لأن تتعلق بها تلك النفس المفارقة فزيد اذا مات تتعلق نفسه ببدن آخر قد استعد فى الرحم للتعلق ثم يولد فاذا مات ايضا تتعلق نفسه ببدن آخر كذلك ، إلى ما لا يتناهى وهم لو تفكروا لعلموا انه سبحانه وتعالى لما كان قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات وجب أن يكون قادرا على الحشر والنشر ، إلى أنه لولا الاعادة لكان تسليطه القوى على الضعيف فى الدنيا ظلما وهو غير لائق بالحكيم على ما قرره سبحانه فى قوله ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ؛

والفرح والدعة التي نجدها هي مرتبة على أعمال البر ، التي سلفت منـا والغم والحزن ، والضنك ، والـكلفة التي نجدها هي مرتبة على أعمال الفجور التي سبقت منا وكذا كان فى الأول ، وكذا يكون فى الآخر والانصرام من كل وجه غير متصور من الحكيم، وأما الحلول فهو التشخص الذى ذكرناه ، وربما يكون ذلك بحلول ذاته ، وربما يكون بحلول جزء من ذاته ، على قدر استعداد مزاج الشخص ، وربما قالوا انما تشخص بالهياكل السماوية بكلها ، وهو واحد وانما يظهر فعله فى واحد واحد ، بقدر آثاره فيه ، وتشخصه به فـكأن الهياكل السبعة أعضاؤه السبعة ، وكأن أعضاءنا السبعة هياكله السبعة ، فيها يظهر فينطق بلساننا ، ويبصر بأعيننا ، ويسمع بآذاننا ، ويقبض ويبسط بأيدينا ، ويجى ويذهب بأرجلنا ، ويفعل بجوارحنا ، وزعموا ان الله تعالى أجل من أن يخلق الشرور والقبائح والاقذار والخنافس والحيات والعقارب ، بل هى كلها واقعة ضرورة باتصالات الـكواكب سعادة ونحوسة، واجتماعات العناصر صفوة وكدورة فما كان من سعد وخير وصفوة فهو المقصود من الفطرة ، فينسب إلى البارى سبحانه وتعالى، وما كان من نحوسة وشر وكدر فهو الواقع ضرورة، فلا ينسب اليه، بل هى إما اتفاقيات وضروريات وإما مستندة إلى أصل الشرور والاتصال المذموم ، والحرنانية ينسبون مقالتهم إلى اغناذيمون[1] وهرمس، وأعيانا

---

(١) القفطى غوثاذيمون وقيل اغثاذيمون وفى الفهرست اغاثا ذيمون : وهو شيث ابن آدم عليهما السلام . (القعطي ص٣ فهرست ص ٤٤٢)

وأوارى [١] أربعـة من الأنبياء ، ومنهم من ينسب إلى سولون جد أفلاطون لأمه ، ويزعم أنه كان نبيا وزعموا أن أوارى حرم عليهم البصل والكرنب والباقلى ، والصابئون كلهم يصلون ثلاث صلوات ويغتسلون من الجنابة ومن مس الميت ، وحرموا أكل الخنزير [٢] والجزور والكلب ومن الطير كل ماله مخلب ، والحمام . ونهوا عن السكر في الشراب . وعن الاختتان وأمروا بالتزويج بولى وشهود لا يجوزن الطلاق [٣] إلا بحكم الحاكم ، ولا يجمعون بين امرأتين ، وأما الهياكل التى بناها الصابئة على اسماء الجواهر العقلية الروحانية ، وأشكال الكواكب السماوية ، فمنها هيكل العلة الأولي ودونها هيكل العقل ، وهيكل السياسة وهيكل الصورة : وهيكل النفس مدورات الشكل ، وهيكل زحل مسدس ، وهيكل المشترى مثلث ، وهيكل المريخ مربع مستطيل ، وَهيكل الشمس مربع ، وهيكل الزهرة مثلث فى جوفه مربع ، وهيكل عطارد مثلث فى جوفه مربع مستطيل . وهيكل القمر مثمن

(١) فى القفطى أورين وفى الفهرست أرانى

(٢) كان لهم فى كل سنة يوم يضحون فيه بالخنازير ويقربونها لآلهتهم وكانوا يأكلون فى ذلك اليوم كل ما وقع فى أيديهم من لحوم الخنازير (فهرست ص ٤٥٤)

(٣) ولا طلاق الا بحجة بينة عن فاحشة ظاهرة . ولا يراجع المطلقه ولا يجمع بين امرأتين ولا يطؤهن إلا لطلب الولد (فهرست ص ٤٤٤)

الفلاسفة

الفلسفة[١] باليونانية محبة الحكمة والفيلسوف هو فيلاسوفا

(١) الرأى ، المأثور عن اشتقاق كلمة فلسفة أنها كلمة مكونة من مقطعين فيلوس ومعناها فى اليونانية محب ، وسوفيا ومعناها الحكمة ، فمعنى فيلسوف محب الحكمة ، ومعنى فيلسوفى حب الحكمة وعربها العرب ،بفلسفه ، وفيلسوف :

فمنشأ الحكيم يشعر بالشوق والتطلع إلى المعرفة والسعى اليها ، ولقد روى المؤرخ هيرودوت اليونانى . تصديقا لذلك ، أن كرسيس قال لسولون « لقد سمعت انك جبت كثيراً من البلدان متفلسفا أى متطلبا للمعرفة واستعملها بركليس فى معنى الجدوراء . التثقيف .

والباعث على التفلسف كمازعم أفلاطون وأرسطو الشعور بالدهشة ، ولقد فطرنا على حب الاستطلاع مما لا شك فيه ، ان بحثنا وراء المعرفة . والتطلع إلى حل الغاز هذا الكون ، وأحاجى هذا العالم المتعدد الظواهر المتقلب الأعاصير – نشأ منذ نشوء الفكر البشرى ، ولم يبرحه فى أى عصر من العصور فدرجت وتمشت الفلسفة فى كل حقبة متطورة بتطور الفكر الانساني ، وملازمة لكل جيل مطبوعة بطابع كل أمة فى العصور المتعددة المدنيات المتباينة المشارب والعادات ، والاعتقادات ، غير أن الدهشة ، على اطلاقها ، كما ذهب أفلاطون لا تكون الباعث على التفلسف فقد تعترينا الدهشة عند رؤية أى ظاهرة جديدة لأول مرة فمجرد تقصينا لها ومعرفتنا كنهها ، يزول العجب ، وتستروح النفس لذاك ، أما الباعث الحق على الفلسفة فهو الدهشة التى لا تخبو ، ولا تزول بمجرد تقصينا واعتيادنا بل هى التى تشككنا فيما اعتدناه ودرجنا عليه ، فهى الدافع لان نرتاب ونتشكك فيما نراه حولنا في كل وقت وآن . فالشك في الواقع كما رأي هربيرت ، هو موقظها ، ومشعل اوارها وباعث أثرها ؛ وكان موضوع الفلسفة مثارا للخلاف فطورا تتسع دائرته فما من علم أو فرع من العلوم الا وتنتظمه وقد تضيق فلا تتسع لغير بحث ما وراء الطبيعة وما يتصل به كالمنطق ، ونظريته المعرفة وأنا نجمل موضوعها · فى ثلاثة (١) مسألة الوحدة ، أعنى علة العلل القادرة على كل شيء التى تفيض الحياة على العالم ، وهذا يسمى ما وراء الطبيعة أو ما وراء المادة (٢) مسألة الكثرة أعنى مظاهر هذا العالم المتنوعة

وفيلا هو المحب وسوفا هو الحكمة أى هو محب الحكمة ، والحكمة قولية وفعلية[١] ، أما الحكمية القولية وهي العقلية أيضا كل مايعقله

وهو ما تسمى الفلسفة الطبيعية (٣) مسألة افراد المخلوقات التى أهمها عندنا الانسان ويشمل هذا النوع (ا) علم النفس أى علم الحياة العقلية للانسان (ب) علم المنطق يبحث فى الطريق التى يتبعها العقل للوصول إلى نتيجة صحيحة . (ح) علم الجمال ويبحث فى العاطفة ومقاييس الجميل والقبيح . وغاية ترقية فكرة الجمال (د) علم الأخلاق ويبحث في الرغبة والميل الخلق وهويدور حول فكرة الخيروالشر

(١) الحكمة تنقسم إلى قسمين قسم نظرى مجرد وقسم عملى والقسم النظرى هو الذى الغايةفيه حصول الاعتقاد اليقينى بحال الموجودات التى لا يتعلق وجودها بفعل الانسان ويكون المقصود انما هوحصول رأى فقط مثل علم التوحيد وعلم الهيئة والقسم العملى هوالذى ليس الغاية فيه حصول الاعتقاد اليقينى بالموجودات بل ربما يكون المقصود فيه حصول صحة رأى فى أمر يحصل بكسب الانسان ليكتسب ما هو الخير منه فلا يكون المقصود حصول رأيفقط بل حصول رأيلأجل عمل فغاية النظرى هو الحق وغاية العملى هو الخير وأقسام النظرية ثلاثة العلم الأسفل ويسمى العلم الطبيعى والعلم الأوسط ويسمى العلم الرياضي والعلم الأعلى ويسمىالعلم الالهى أماقسم الحكمة العملى فثلاثه ما هو خاص بتدبير الانسان نفسه ، من حيث كيف ينبغى أن تكون أخلاقه وأفعاله ، ليكون سعيدا فى الدارين . ويشتمل عليه كتاب أرسطو فى الاخلاق والثانى ما يعرف به كيف ينبغى أن يكون تدبيره لمشاركه كتدبيره لمنزله المشترك بينه وبين زوجه وولده ومملوكه لتنتظم حاله ويتمكن من كسب السعادة ، ويشتمل عليه كتاب أرونس (بربسون الفيثاغورى) فى تدبير المنزل والثالث ما يتعلق باجتماع مدنى مما يعرف به أصناف السياسات والرياسات والاجتماعات المدنية الفاضلة والردية ويعرف وجه استيفاء كل واحد منها وعلة زواله وجهة انتقاله ما كان يتعلق من ذلك بالملك فيشتمل عليه كتاب افلاطون وارسطوا فى السياسة وما يتعلق بالنبوة والشريعة فيشتمل عليه كتابان هما فى النواميس والناموس عند الفلاسفة هو السنة والمثال القائم الثابت ونزول الوحى والعرب تسمى الملك النازل بالوحى ناموسا (رسائل فى الحكمة والطبيعيات لابن سينا ص ٧٢)

العاقل بالحد ، وما يجرى مجراه مثل الرسم ، والبرهان ومايجرى مجراه مثل الاستقراء ، فيعبر عنه بهما ، وأما الحكمة الفعلية فكل فعل يفعله الحكيم لغاية كمالية فالأول الأزلي لما كان هو الغاية ، والكمال ، فلا يفعل فعلا لغاية دون ذاته ، وإلا فيكون الغاية وَالكمال هو الحامل ، والاول محمول وذلك محال ، فالحكمة في فعله وقعت تبعا لكمال ذاته وذلك هو الكمال المطلق فى الحكمة ، وفى فعل غيره من المتوسطات وقعت مقصودا للكمال المطلوب وكذلك فى أفعالنا

ثم إن الفلاسفة اختلفوا فى الحكمة القولية العقلية اختلافا لايحصى كثرة ، والمتأخرون منهم خالفوا الأوائل فى أكثر المسائل[١]

---

(١) مرت الفلسفة اليونانية بثلاثة أطوار طور النشوء وطور النضوج وطور الذبول وكان كل طور على وقتين يبدأ الطور الأول بالوقت المسمى عادة بما قبل سقراط وهو يمتاز بمحاولة تفسير العالم وفيه وضعت أسس الفلسفة النظرية أو القولية والوقت الثانى وقت السوفسطائيين وسقراط وبعض تلاميذه ويمتاز باتجاه الفكر إلى مناهج الجدل وأصول الأخلاق وفيه وضعت بذور الفلسفة العملية أو الفعلية والطور الثانى يملؤه افلاطون وأرسطو فاشتغل افلاطون بالمسائل الفلسفية كلها من نظرية وعملية ومحصها وزاد عليها وبلغ إلى حقائق جليلة ولكنه مزج الحقيقة بالخيال والبرهان بالقصة فلما جاء ارسطو عالج المسائل بالعقل الصرف ودفع إلى وضع الفلسفة باقسامها الوضع النهائى والطور الثالث لا يبين عن كبير ابتكار وانما هو يفيد من المذاهب السابقة فيجددها ويعدل فيها فيتجه الفلاسفة أولا إلى الأخلاق بتأثير الشرق ويجعلون منها محور الفلسفة ثم يشتد تأثير الشرق فيرى الفلاسفة أن يرتفعوا بالفلسفة إلى مقام الدين والتصوف ويساهم الشرقيون في الفلسفة بلغتها اليونانية فنشأت الفلسفة النظرية أو القولية في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد

وكانت مسائل الأولين محصورة فى الطبيعيات وَالالهيات ، وَذلك هو

وقد اتجه الفكر إلى طلب حقيقة الأشياء من تغير سواء أكان عرضيا أى انقلاب الشىء من حال إلى حال أو جوهريا أى تحول الشىء إلى شىء آخر كتحول الغذاء إلى جسم الحى والخشب إلى الرماد فيدرك أن الأجسام على اختلافها مصنوعة من مادة أولى هى محل التغييرات فيبحث عن هذه المادة التى تتكون منها الأجسام ثم تعود اليها . وأما أن يعنى بما فى تركيب الأجسام من نظام وفى أفعالها من اطراد ويعلم أن النظام فى العدد فيتصور العالم تصورا رياضيا وأما أن يرى فى ذات فكرة التغير تناقضا إذ يبدو له التغير صيرورة من لاشىء إلى شىء ومن شىء إلى لاشىء فينكره ويقول بالوجود الثابت وتلك هى الوجهات الثلاث التى يمكن تبينها فى الوجود وهى الوجهة الطبيعية والوجهة الرياضية والوجهة الميتافيزيقية فظهرت ثلاث مدارس متعاصرة . لكل منها مزاج ومذهب ظهرت مدرسة فى ايونية عالجت العلم الطبيعى ثلاثة من رجالها نشئوا فى ملطيه وهم طاليس وانكسميندريس وانكسيمانس ورابع نشأ فى افسوس هو هرقليطس ولكن الفرس أغاروا على ايونيه وأخضعوها فانتقلت الحياة العقلية إلى ايطاليا الجنوبية وصقلية فنبغ هناك فيثاغوراس صاحب الوجهة الرياضية وظهرت المدرسة الايليه القائلة بالوجود الثابت وكانت فلسفته متشبعة بعاطفة دينية قوية ومقتنعا بفكرة جليلة هى أن العالم وسيلة فعالة لتهذيب الاخلاق وتقديس النفس ثم نشأت فلاسفة أخذوا من كل وجهة بطرف وحاولوا التوفيق بينها وهم انباذ وقليس وديموقريطس وانكساغوراس الذى امتاز بانه يفسر الكون تفسيرا آليا حتى انه يعلل رقى الحيوان على النبات بانه طليق غير مرتبط بالأرض ، ورقى الانسان على الحيوان بان له يدين وأن اليد خير الآلات ونموذجها دون أن يضيف أى أثر للعقل الذى قال به علة محركة منظمة بحيث يمكن وصف مذهبه بانه آلية كيفية إلى تصور الوجود طبائع وماهيات أى أشياء عقلية ومعقولة وقد عد مذهبه طليعة الحركة السقراطية والفلسفة الروحية أما الفلسفة العملية أو الفعلية ، فنشأت فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد فانه بالرغم من عناية الفيثاغوريين بالأخلاق والايليين بالمبادىء العقلية والجدل كان الفكر اليونانى فى طوره الأول متجها نحو العالم الخارجى مستغرقا فيه اما العالم الداخلى الذى هو مصدر الأخلاق وموطنها وأما

الكلام في الباري تعالى والعالم، ثم زادوا فيها الرياضيات، وقالوا العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام علم ما وعلم كيف وعلم كم. فالعلم الذي يطلب فيه ماهيات الاشياء هو العلم الالهى، والعلم الذى يطلب فيه كيفيات الأشياء هو العلم الطبيعي، والعلم الذى يطلب فيه كميات الأشياء هو العلم الرياضى، سواء كانت الكميات مجردة عن المادة. أو كانت مخالطة فأحدث بعدهم أرسطوطا ليس الحكيم علم المنطق[1]. وسماه

العقل الذى هو مصدر المعرفة ومستقرها فلم يعن بها بالذات ولكن لم يلبث طويلا حتى طرأت عليه أحوال ساقته إلى الاشتغال بهذه الناحية من الفلسفة ذلك ان جماعة من معلمى البيان سموا بالسوفسطائية تشككوا فى العقل وفى أصول الأخلاق وحاربهم سقراط والتف حوله تلاميذه فخاضوا كلهم فى مسائل جدلية وخلقية كونت مواد الفلسفة العملية أو الفعلية. وكان هذا التطور مطابقا للتطور الطبيعي فى الفرد ينظر أولا إلى الخارج ولا يتجه إلى الداخل إلا فيما بعد (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٠ و ٤٤)

(١) وكتبه المنطقية ثمانية كتب (١) قاطيفورياس ومعناه المقولات، نقله حنين ابن اسحاق إلى العربية. وممن شرحه وفسره، فرفوريوس ويحي النحوى والفارابى (٢) بارى أرمانياس ومعناه العبارة، نقله حنين إلى السريانى واسحاق إلى العربى، وممن فسره الاسكندر ويحي النحوى، والفارابى والكندى (٣) انا لوطيقا ومعناه تحليل القياس، نقله ثيا دورس إلى العربى، وقد أصلحه حنين، الذى نقله إلى السريانى وممن فسره الاسكندر إلى الأشكال الجملية، تفسيرين احدهما أتم من الآخر؛ وللكندى تفسير له: (٤) أبو دقطيقا، وهو انا لوطيقا الثاني ومعناه البرهان نقله اسحاق إلى السريانى ونقل متى نقل اسحاق إلى العربى وممن فسره ثامسطوس ويحي النحوى والفارابى والكندى (٥) طوبيقا ومعناه الجدل نقله اسحاق إلى السريانى ونقل يحي بن عدى الذى نقله اسحاق إلى العربى وللفارابى تفسير له: وله مختصر فيه (٦) سوفسطيقا ومعناه المغالطين أو الحكمة المموهة نقله أبو بشر متى إلى

تعليمات ، وإنما هو جرده عن كلام القدماء ، وإلا فلم تخل الحكمة عن قوانين المنطق قط ، وربما عدها آلة العلوم ، فقال الموضوع فى العلم الإلهى هو الوجود المطلق ، ومسائله البحث عن أحوال الوجود من حيث هو وجود ، والموضوع فى العلم الطبيعى هو الجسم ومسائله البحث عن أحوال الجسم من حيث هو جسم ، والموضوع فى العلم الرياضى هو الابعاد والمقادير ، وبالجملة الكمية من حيث إنها مجردة عن المادة ومسائله البحث عن أحوال (أبعاد) الكمية من حيث هى (أبعاد) الكمية ، والموضوع فى العلم المنطق هو المعاني التى فى ذهن الانسان من حيث يتأدى بها إلى غيرها من العلوم ، ومسائلة البحث عن أحوال تلك المعانى من حيث هى كذلك .

قالت الفلاسفة ، ولما كانت السعادة هى المطلوبة لذاتها ، وإنما يكدح الانسان لنيلها ، والوصول إليها ، وهى لاتنال إلا بالحكمة ، فالحكمة إما ليعمل بها ، وإما لتعلم فقط ، فانقسمت الحكمة إلى قسمين علمى وعملى ، ثم منهم من قدم العملى على العلمى ، ومنهم من أخر كما سيأتى ، فالقسم العملى هو عمل الخير ، والقسم العلمى هو علم

السريانى ونقله أبو ناعمة إلى السريانى ونقل ابراهيم العشارى مانقله ابن ناعمة إلى العربى على طريق الاصلاح ؛ وللاسكندر والكندى تفسير لهذا الكتاب (٧) ريطوريقا ومعناه الخطابة نقله اسحاق الى العربى وفسره الفارابى (٨) أبوطيقاويقال بوطيقا ومعناه الشعر نقله أبو بشر متى من السريانى إلى العربي ونقله يحى بن عدى وللكندى مختصر له (فهرست ابن النديم ص ٣٤٧)

الحق ، قالوا وهذان القسمان مما يوصل إليه بالعقل الكامل ، والرأى الراجح : غير أن الاستعانة فى القسم العملى منه بغيره أكثر ، والأنبياء أيدوا بامداد روحانية ، لتقرير القسم العملى ، وبطرف ما من القسم العلمى ، والحكماء تعرضوا لامداد عقلية ، تقريرا للقسم العلمى ، وبطرف ما من القسم العملى ، فغاية الحكيم هو أن يتجلى لعقله كل الكون ويتشبه بالإله الحق تعالى بغاية الامكان ، وغاية النبى أن يتجلى له نظام الكون ، فيقدر على ذلك مصالح العامة ، حتى يبقى نظام العالم ، وينتظم مصالح العباد ، وذلك لايتأتى إلا بترغيب وترهيب ، وتشكيل وتخييل ، فكل ماوردت به أصحاب الشرائع والملل مقدر على ما ذكرناه عند الفلاسفة ، إلا من أخذ علمه من مشكاة النبوة ، فانه ربما بلغ إلى حد التعظيم لهم وحسن الاعتقاد فى كمال درجتهم[1]

---

(١) يكشف الشهرستانى ، بذلك ، الصلة بين الدين والفلسفة ، بما فيه من تشابه بين غاية الدين ، وغاية الفلسفة ، فكلاهما يرمى إلى تحقيق السعادة من طريق الاعتقاد الحق وعمل الخير وقد أشار الفارابى فى كتابه تحصيل السعادة ، إلى تقارب موضوعات الفلسفة . لموضوعات الدين . وأنها تكاد تكون واحدة ، فقال فالملة محاكية للفلسفة عندهم وهما تشتملان على موضوعات بأعيانها وكلاهما تعطى المبادىء القصوى للموجودات فانهما يعطيان علم المبدأ الأول والسبب الأول للموجودات وتعطيان الغاية القصوى التى لأجلها كون الانسان وهى السعادة القصوى والغاية القصوى فى كل واحد من الموجودات الأخر ، وكل ماتعطى الفلسفة فيه البراهين اليقينية فان الملة تعطى فيه الاقناعات والفلسفة تتقدم بالزمان الملة » هذا ، ويري هؤلاء الفلاسفة ، ان الدين والحكمة ، كلاهما بفيض ، عن واجب الوجود . على عقول البشر ، بواسطة العقل الفعال . إذ المعارف كلها صادرة عن واجب الوجود بواسطة العقل الفعال ،

فمن الفلاسفة حكماء الهند من البراهمة ، لايقولون بالنبوات أصلا ومنهم حكماء العرب ، وهم شرذمة قليـلة ، لأن أكثر حكمهم فلتات الطبع ، وخطرات الفـكر[1] ، وربمـا قالوا بالنبوات ، ومنهم حكماء

بوحى تلك المعارف أم بغيره فلا فرق بين الحـكمة والدين من جهة غايتهما . ولامن جهة مصدرهما وطريق وصولهما إلى الانسان . والفارابي . يفرق بينهما من جهة ان طرق الفلسفة يقينيه ، أما طريق الدين فاقناعى والفلسفة تعطى حقيقة الأشياء كما هى أما الدين فلا يعطها الا تمثيلا وتخيلا أما ابن سينا فيرى فرقا آخر وهوان وجهة الدين عملية أصالة ووجهة الفلسفة بالاصالة نظرية قال فى رسالة الطبيعات مبدأ الحـكمة العملية مستفاد من جهة الشريعة الالهية وكمالات حدودها تتبين بها وتتصرف فيها بعد ذلك القوة النظرية من البشر بمعرفة القوانين واستعمالها فى الجزئيات ومبادىء الحـكمة النظرية مستفادة من أرباب الملة الالهية على سبيل التنبيه ، ومتصرف على تحصيلها بالـكمال والقوة العقلية على سبيل الحجة) وفى معناه . قل الشهر ستانى (والأنبياء أيدوا إلى فى كمال درجتهم) والتشكيل والتخييل فى كلامه خاص بالأمور العلمية . وللفلاسفة مايتفق وهذا الرأي فقد ذكر ابن تيمية فى كتابة صريح المعقول لصحيح المنقول . عن فريق من الفلاسفة ، فقال فأهل الوهم والتخيل هم الذين يقولون ان الأنبياء أخبروا عن الله وعن اليوم الآخر ، وعن الجنة والنار وعن الملائكة بأمور غير مطابقة للأمر فى نفسه ، بل خاطبوهم بما يتخيلون به ويتوهمون به . ان الله تعالى جسم عظيم والأبدان تعاد ، والنعيم محسوس ، وان كان الأمر ليس كذلك فى نفس الأمر فمصلحة الجمهور فى خطابهم بما يتوهمون به ويتخيلون ، فمصلحة الجمهور لاتمكن الا بهذا الطريق . وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا ، ثم من هؤلاء من يقول النبي كان يعلم الحق ولـكن أظهر خلافه للمصلحة ، ومنهم أنه لايعلم الحق علم نظار الفلاسفة ، وهؤلاء فضلوا الفيلسوف الكامل على النبي ومنهم من يقولون إن النبي يعلم ذلك ، وهو أفضل من الفيلسوف لأنه علم ماعلمه الفيلسوف وزيادة إلى امكانه أن يخاطب الجمهور بما يعجز عن مثله الفيلسوف .

(١) يظهر من عبارة الشهرستانى انه يرمى إلى عجز العقل العربي عن النظر إلى

الروم ، وهم منقسمون إلى القـدماء الذين هم أساطين الحـكمة ، وإلى

الأشياء نظرة تامة كاملة محيطة شاملة ولـكن الذى أراه وتـكشف عنه حقيقة عبارته انها دالة على أنه يصف العرب بسرعة الذكاء وحدة الذهن حتى أنهم يتلقفون سراعا ما يحتاج فيه غيرهم إلى طول اناة وروية ويدل عليه قول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين إلا ان كل كلام للفرس وكل معنى للعجم فانما هو من طول فـكرة وعن اجتهاد وخلوة وعن مشاورة ومعاونة وعن طول التفـكر ودراسة الـكتب وحكاية الثانى علم الأول وزيادة الثالث فى علم الثانى حتى اجتمعت ثمار تلك الفـكر عند آخرهم وكل شيء للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكانه الهام هذا وان صاحب طبقات الامم قال كبار الأمم أربعة العرب والعجم والروم والهند ثم زاوج بين أمة وأمة فذكر أن العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء والحـكم باحـكام الماهيات والحقائق واستعمال الأمور الروحانية ، والروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم إلى تقرير طبائع الأشياء والحـكم باحكام الـكيفيات والـكميات واستعمال الأمور الجسمانية وما رمى اليه صاعد خلاف ما رمى اليه الشهرستانى وهـــذا يرجع إلى اختلاف نظرهما فى الفلسفة التى يتكلمان عنها فأن صاعدا ، يريد بالفلسفة النظر العقلى الموجه إلى تعرف الحقائق على أسلوب علمى إذ يذكر ما يذكره من علوم العرب كعلم لسانها وعلم الأخبار ومعرفة السير والأمصار ثم يذكر معرفتهم لمطالع النجوم ومغاربها وأنواء الـكواكب وأمطارها وان ذلك على حسب ما ادركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم إلى معرفة ذلك فى أسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق ولا على سبيل التدرب فى العلوم فهو يرى انه لم يكن عند العرب علم على طريق الحقائق والتدرب فى العلوم لا ما يسمي بالفلسفة وغيره أما الشهرستانى فانه بما نحاه فى كتابه يظهر أن الفلسفة عنده فى مقابلة أهل الديانات والنحل إذ سبق أن قال آنفا فالمستبدون بالرأى مطلقا هم المنـكرون للنبوات مثل الفلاسفة والصابئة والبراهمة وهم لا يقولون بشرائع وأحكام أمرية بل يضعون حدودا عقلية حتى يمكنهم التعايش عليها والمستفيدون هم القائلون بالنبوات هذا وقد كان عند العرب من غير الصابئه والبراهمة من يضعون لهم حدودا عقلية كفيلة بشيء من النظام والعدل وتوفير أسباب عيشهم هم حكماؤهم

المتأخرين منهـم ، وهم المشاءون[١] ، وأصحاب الرواق[٢] ، وأصحاب ارسطوطاليس ، وإلي فلاسفةالاسلام ، الذين هم حكماء العجم ، وإلا فلم ينقل عن العجم قبل الاسلام مقالة فى الفلسفة ، إذ حكمهم كلها كانت متلقاة من النبوات ، إما من الملة القديمة ، وإما من سائر الملل ، غير أن الصابئـة كانوا يخلطون الحـكمة بالصبوة ، فنحن نذكر مذاهب الحـكماء القدماء من الروم ، واليو نانيين على الترتيب الذى نقـل فى كتبهم ونعقب ذلك بذكر سائر الحـكماء ، فان الأصـل في الفلسفة والمبدأ فى الحـكمة للروم ، وغـيرهم كالعيال لهم

وحكامهم وهذ ما أسماه الشهرستانى فلسفة ما دام لم يعتمد فى سننه على أساس من الدين وإن لم يتوافر فيها النهج العلمى

(١) المشاءون هم أتباع أرسطوطاليس فانه لما عاد إلى أثينافى آواخر سنة ٣٣٥ ق م واستقر بها أنشأ مدرسة فى ملعب رياضى يدعى لوقيون وكان من عادته أن يغشى يمشى إلى جانب الملعب فيوافيه التلاميذ فيلقى عليهم دروسه وهو يتمشى وهم يسيرون حوله فلقب هو واتباعه بالمشائين وكانت دروسه الصباحية مخصصة لتلاميذه تدور على الفلسفة أماالمسائيةفكانت عامة تدور على الخطابة (تاريخ الفلسفة اليونانية ص١١٣)

(٢) أصحاب الرواق أو أهل المظال نسبة إلى الرواق المنقوش (ستودا بويكيلى) الذى كانت أعمدته مزدانة بنقوش من ريشة الرسام (پوليخبوط) وبذلك الرواق كانت تلقى المحاضرات الفلسفية فى ذلك العهد على ان زينون كان يعلم تلاميذه ماشيا كالمشائين والرواقية القديمة معاصرة للابيقوريه ولم تكن الرواقية مذهبا فلسفيا فحسب وانما كانت مهيع دين وخلق فانها كانت ثمرة الصلة الثقافية بين الشرق والغرب التى نشأت على أثر فتوح الاسكندر بله إن أكثر أنصار الرواقية هم من الشرقيين ويرجع أصلهم إلى أقطار ومدن شرقية كقبرص وصيدا (الفلسفة الرواقية ص ٥)

الحكماء السبعة

الذين هم أساطين الحكمة من الملطية[١] وساميا[٢] واثينية وهي بلادهم وأما أسماؤهم فتاليس الملطي ، وانكساغورس وانكسيمانس وانبذقلس وفيثاغورس وسقراط وأفلاطون، وتبعهم جماعة من الحكماء مثل فلوطرخيس وبقراط وديمقراطيس والشعراء[٣] والنساك ، وإنما

(١) ملطية بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهى من بناء الاسكندر (معجم ثامن ص ١٥٠)

(٢) ساميا هى جزيرة ساموس أو سيسام جزيرة ممتازة فى الأرخبيل الرومى موقعها إلى الغرب من آسيا الصغرى يفصلها عنها بوغاز ميقال وكانت اسم قصبتها ساموس وهى من أجمل مدن البلاد اليونانية وكانت أولا ملوكية ثم صار جمهورية إلى أن استولى عليها بوليكرانس سنة ٥٣٥ ق م (دائرة المعارف للبستانى تاسع ص ٤١١)

(٣) كان اليونانيون ، يعبدون تزوس . ويحجون إلى هيكله ، كما كانوا يأتون ذلف فى سفح جبل برناس . يستنزلون وحى أبولون ويبعثون بمندوبيهم فى الأعياد الكبرى بقربانهم . وكانت أعيادهم حرما ، توقف فيها الحروب . وتقام الألعاب الرياضية وأسواق الأدب والفن ، فينشد الشعراء ويغنى المغنون ، ويعرض المصورون والمثالون آياياتهم ، وقد بدأ الفكر اليونانى يتجلى بما تنتظمه تلك القصائد ، ومنها خرج العلم والفلسفة ومن أشهر شعرائهم هوميروس ؟ وقصائده الهوميرية أقدم ماوصل الينا من شواهد الفكر اليوناني وهى تؤلف قصتين كبيرتين هما الالياذه والاوذيسى ، وتنتظم القصتان أفكاراً فى الطبيعة والآلهة والانسان والاخلاق والشاعر هزيود وكان يجهر فى شعره بأحكام الضمير الانسانى المقدسة ، ويتكلم عن الدين والأخلاق ، وهزيود أقدم شاعر تعليمى فى الغرب ، نشأ فى يونيا فلاحا بعيدا عن بهرج الحضارة ونظم للفلاحين ديوانا اسماه الأعمال والأيام ملاه حكما وأمثالا تسودها فكرة العدالة ، وينقسم ديوانه إلى درس خلقى ، فنصائح فى الزراعة وإرشادات

يدور كلامهم فى الفلسفة على ذكر وحدانية البارى تعالى . وإحاطته علماً بالكائنات كيف هى ، وفى الابداع ، وتكوين العالم ، وأن المبادي الأول ما هى وكم هى ، وأن المعاد ما هو ومتى هو ، وربما تكلموا فى البارى عز وعلا ، بنوع حركة وسكون ، وقد أغفل المتأخرون من فلاسفة الاسلام ذكرهم ، وذكر مقالتهم رأسا إلا نكتة شاذة نادرة ، ربما اعترت على أبصار أفكارهم ، أشاروا اليها تزييفا ، ونحن تتبعناها نقلا ، وتعقبناها نقدا ، وألقينا زمام الاختيار اليك فى المطالعة ، والمناظرة بين كلام الأوائل والأواخر

رأى تاليس(١)

وهو أول من تفلسف فى الملطية ، قال إن للعالم مبدعا لاتدرك

فى الملاحة ، إلى مجموعة من الوصايا فى الزواج والعلاقات الاجتماعية والشعائر الدينية بله ما كشفه عن تقويم يدل على أيام السعد وأيام النحس ،ويحوى الشيء الكثير من الخرافات الشعبية ؛ وله ديوان آخر في أصل الآلهة ، يري بعض العلماء انه منحول وهو محاولة شعرية ، تؤلف مجموعه معقولة من الاساطير والمعارف القديمة ، وقد نبغ فى عهده ، وبعده بقليل غير واحد من الشعراء والكتاب الذين يدعوهم ارسطو باللاهوتيين لمعالجتهم العلم فى صورة الاسطورة والذين كانوا حلقة بين هوميروس وأوائل الفلاسفه (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٣)

(١) طاليس الملطى ولد فى السنة الأولى من الاولمياد الخامس والثلاثين أى قبل الميلاد بنحو ستمائة وأربعين سنة وقيل ٦٢٤ وهو من ذريه تورموس من صور من أعمال الشام وانتقل أهله الميطة التى ولد فيها طاليس بسبب جور ملوك بلادهم ، فأقاموا بمملكة مليطه اليونانية وهو أحد الحكماء السبعة انفرد بالعناية بالعلم وكانوا يعنون بالسياحة والاخلاق وقد جال فى الشرق وتوجه إلى مصر لشهرتها بالعلوم ، ومكث بها مدة من السنين ، تلقى فيها عن علماء البلاد وهم . القسادسة ، أصول دياناتهم معنياً ، بسائر العلوم ، لاسيما علم الهندسة وعلم الاستروثومية (يعنى علم الهيئة)

صفته العقول من جهة جوهريته ، وإنما يدرك من جهة آثاره ، وهو الذى لا يعرف اسمه فضلا عن هويته ، إلا من نحو أفاعيله وإبداعه ، وتكوينه الأشياء ، فلسنا ندرك له اسما من نحو ذاته ، بل من نحو ذاتنا ، ثم قال إن القول الذى لا مرد له ، هو انه المبدع ولا شىء مبدع ، فأبدع الذى أبدع ، ولا صورة له عندنا فى الذات ، لان قبل الابداع إنما هو فقط وإذا كان هو فقط فليس يقال حينئذ جهة وجهة ، حتى يكون هو وصورة أو حيث وحيث حتى يكون هو ذو صورة ، والوحدة الخالصة تنافى هذين الوجهين والابداع هو تأييس[1] ما ليس بأيس ، وإذا كان هو

وكان يحتال فى التلقى عن جميع الحكماء المصريين ، وكان لا يبنى المعارف فى الفلسفة إلا على التجربة مع وفور العقل والتدبير وكان قليل الكلام كثير التفكير . وكان يعنى بأمور بلاده . ولا يعنى بمصلحة نفسه فتبحر فى العلوم وعمل كمهندس حربى فى خدمة قارون آخر ملوك ليديا فى آسيا الصغرى وبرهن على ان الزوايا المرسومة فى نصف الدائرة فهى قائمة ، وقد انبا بكسوف الشمس الكلي الذى وقع فى ٢٨ مايو سنة ٥٨٥ قبل الميلاد ووضع تقويما للملاحين من أهل وطنه ضمنه ارشادات فلكية وجوية ومنها ان الدب الأصغر أدق الكواكب دلالة على الشمال . وقد أخذ بمصر علم المساحة . وشغل بمسألة فيضان النيل ودل اساتذته المصريين على طريقة لقياس ارتفاع الهرم وكانوا قد تعبوا فى البحث عنها فنبههم إلى أن ظل الشيء يساوى ارتفاعه فى وقت من النهار فطول ظل الأهرام فى ذلك الوقت هو مقدار ارتفاعها : وأن النسبة تبقى محظوظة بين طول الظل وارتفاع الشيء في أى وقت به وقد توفى فى الأولمبياد الثامن والخمسين . وعمره ثنتان وسبعون سنة (ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص ٣ تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٢)

(٧) تاييس ماليس بأيس ايجاد ماليس بموجوده قال الخليل إن العرب تقول جىء به من حيث أيس وليس ، لم تستعمل أيس الا فى هذه الكلمة وإنما معناها كمعنى

مؤيس الأيسيات ، فالتأييس لا من شيء متقادم ، فمؤيس الأشياء لا يحتاج إلى أن يكون عنده صورة الأيس بالأيسية ، وإلا فقد لزمه إن كانت الصورة عنده أن يكون منفردا عن الصورة التي عنده ، فيكون هو وصورة ، وقد بينا أنه قبل الابداع إنما هو فقط ، وأيضا فلو كانت الصورة عنده ، أكانت مطابقة للوجود الخارج ، أم غير مطابقة ، فان كانت مطابقة للكليات ، وجزئياتها مطابقة للجزئيات وليتغير بتغيرها كما تكثرت بتكثرها وكل ذلك محال ، لأنه ينافي الوحدة الخالصة ، وإن لم يطابق الموجود الخارج فليست إذا صورة عنه ، وإنما هو شيء آخر ، قال لكنه أبدع العنصر الذي فيه صور الموجودات والمعلومات كلها ، فانبعثت من كل صورة موجودا في العالم العقلي على المثال الذي في العنصر الأول فمحل الصورة ومنبع الموجودات كلها هو ذات العنصر ، وما من موجود في العالم العقلي والعالم الحسي إلا وفي ذات العنصر صورة له ومثال عنه قال ومن كمال ذات الأول الحق أنه أبدع مثل هذا العنصر فما يتصوره العامة في ذاته تعالى أن فيها الصور يعني صور المعلومات فهو من مبدعه ويتعالى بوحدانيته وهويته عن أن يوصف بما يوصف به مبدعه .

ومن العجب انه نقل عنه أن المبدع الأول هو الماء [1] ، قال الماء قابل

حيث هو في حال الكينونة والوجد ؛ وقال أن معنى لا أيس لا وجد ، ووجد الشيء عن عدم فهو موجود .

(١) فأثره في الفلسفة ، انه وضع المسألة الطبيعية وضعا نظريا بعد محاولات الشعراء واللاهوتيين ، فشق للفلسفة طريقها . فبدأت باسمه ، قال أن الماء هو المادة الأولى ،

لكل صورة ، ومنه أبدع الجواهر كلها من السماء والأرض وما بينهما وهو علة كل مبدع ، وعلة كل مركب ، من العنصر الجسمانى ، فذكر ان من جمود الماء تكونت الأرض ، ومن انحلاله تكون الهواء ، ومن صفو الهواء تكونت النار ، ومن الدخان والأبخرة تكونت السماء ،

والجوهر الأوحد الذى تتكون منه الأشياء ، وكان هذا القول مألوفا عند الأقدمين قال هوميروس : أن اقيانوس ، المصدر الأول للأشياء . ومن قبل جاء فى أسطورة بابليه (فى البدء قبل أن تسمى السماء وأن يعرف للأرض اسم . كان المحيط ؟ وكان البحر وجاء فى قصة مصرية فى البدء كان المحيط المظلم أو الماء الأول حيث كان اتون وحده الاله الأول صانع الالهة والبشر والأشياء) وجاء فى التوراة « فى البدء خلق الله السموات والأرض ، وكانت الأرض خاوية خالية وعلى وجه القمر ظلام وروح الله يرف على وجه المياه » ويعادل هذه الاقوال قول علمائنا الآن إن تكوين العالم بدأ منذ أن تحولت الأبخرة الأولى ماء . فالماء عند طاليس هو المادة الأولى التى صدرت عنها الكائنات وإليها تعود ، وقد ملأ عليه الماء شعاب فكره حتى خيل إليه أن الأرض قرص متجمد ، يسبح فوق لجج مائية ، ليس لابعادها نهاية ، وقد دعم رأيه بالدليل فقال : ان النبات والحيوان يغتذى بالرطوبة ، ومبدأ الرطوبة الماء فما منه يغتذى الشيء فهو يتكون منه بالضرورة ثم ان النبات والحيوان يولد من الرطوبة فإن الجراثيم الحية رطبة ومامنه يولد الشيء فهو مكون منه . بل أن التراب يتكون من الماء ويطغى عليه شيئا فشيئا ، كما يشاهد فى الدلتا المصرية وفى أنهر يونيه حيث يتراكم الطمى عاما بعد عام وما يشاهد فى هذه الأحوال الجوية ينطبق على الأرض بالاجمال فانها خرجت من الماء وصارت قرصا طافيا على وجهه كجزيرة كبرى فى بحر عظيم وهى تستمد من هذا المحيط اللامتنا هى العناصر الغاذية التى تفتقر إليها فالماء أصل الأشياء وأما أن الله تعالى يقول وجعلنا من الماء كل شيء أى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وقل آخرون بل يدخل فيه النبات والشجر لأنه من الماء صار ناميا وصار فيه الرطوبة والخضرة والنور والثمر فالله هو مبدع السكون ؛ وخالقه (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٢ قصة الفلسفة اليونانية ص ٢١ الرازى سادس ص١١٥)

ومن الاشتعال الحاصل من الأَثير تكونت الكواكب ، فدارت حول المركز دوران المسبب على سببه بالشوق الحاصل فيها اليه ، قال والماء ذكر والأرض أنثى ، وهما يكونان سفلا ، والنار ذكر والهواء أنثى ، وهما يكونان علوا ، وكان يقول ان هذا العنصر الذى هو أول وآخر ، أى هو المبدأ والكمال هو عنصر الجسمانية والجرمانية لا أنه عنصر الروحانية البسيطة ثم ان هذا العنصر له صفو وكدر ، فما كان من صفوه فإنه يكون جسماً ، وما كان من كدره فانه يكون جرما ، فالجرم يدثر والجسم لا يدثر ، والجرم كثيف ظاهر ، والجسم لطيف باطن ، وفى النشأة الثانية يظهر الجسم ، ويدثر الجرم ، ويكون الجسم اللطيف ظاهرا ، والجرم الكثيف داثرا ، وكان يقول إن فوق السماء عوالم مبدعة لا يقدر المنطق ان يصف تلك الأنوار ، ولا يقدر العقل على ادراك ذلك الحسن والبها ، وهى مبدعة من عنصر لا يدرك غوره ، ولا يبصر نوره ، والمنطق والنفس والطبيعة تحته ودونه ، وهو الدهر المحض من نحو آخره لا من نحو أوله ، واليه تشتاق العقول والانفس ، وهو الذى سميناه الديمومة والسرمد والبقاء فى حد النشأة[1] الثانية

(١) وكان أول من قال من الروم إن الأرواح غير فانية بل هي أزلية باقية . وقد دخل عليه رجل من أهل مليطيه فى بعض الأيام وسأله هل يمكن أن تخفى أسرارنا على الاله فقال له طاليس لاتظن هذا أبدا لأن جميع الأسرار الخفية لاتخفى على الاله الحكيم وكان يزعم أن الموت والحياة مستويان دائما فسئل لأى سبب لم تقتل نفسك فأجاب بقوله حيث كان الموت والحياة مستويين فما يحملنى على إيثار الموت على الحياة . وكان يقول ان الذى يسلينا عند حلول المصيبة من أحد علمنا بأن الذى أذانا بها هو أشق منا وأسوأ حالامنا (ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص ■)

وظهر بهذه الاشارات أنه إنما أراد بقوله الماء هو المبدع الأول أى هو مبدأ المركبات الجسمانية لا المبدأ الاول في الموجودات العلوية ، لكنه لما اعتقد أن العنصر الأول ، هو قابل كل صورة ، أي منبع الصور كلها فأثبت في العالم الجسمانى له مثالا يوازيه فى قبول الصور كلها ، ولم يجد عنصرا على هذا النهج مثل الماء ، فجعله المبدع الأول فى المركبات ، وأنشأ منه الأجسام والأجرام السماوية والأرضية ، وفى التوراة فى السفر الأول مبدأ الخلق ، هو جوهر خلقه الله تعالى ، ثم نظر اليه نظر الهيبة فذابت أجزاؤه ، فصارت ماء ثم ثار من الماء بخار مثل الدخان ، فخلق منه السموات وظهر على وجه الماء زبد مثل زبد البحر ، فخلق منه الأرض ، ثم أرساها بالجبال ، وكأن تاليس الملطى إنما تلقى مذهبه من هذه المشكاة النبوية ، والذى أثبته من العنصر الأول الذى هو منبع الصور ، شديد الشبه باللوح المحفوظ ، المذكور فى الكتب الإلهية ، إذ فيه جميع أحكام المعلومات وصور الموجودات ، والخبر عن الكائنات ، والماء على القول الثانى شديد الشبه بالماء الذى عليه العرش ، وكان عرشه [1] على الماء .

---

(١) وكان عرشه على الماء أى قبل خلق السموات والأرض ، ولم يكن حائل بين العرش والماء ، سواء كان بينهما فرجة ؛ أو موضوعا على متنه ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض قال كان فى عماء . ماتحته هواء ومافوقه هواء ، وخلق عرشه على الماء ، وقال أهل اليمن يارسول الله خبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان قال كان الله تعالى قبل كل شىء وكان عرشه على الماء وكتب فى اللوح المحفوظ ذكر كل شىء وخلق السموات والأرض ، وروى عن كعب من أنه سبحانه وتعالى خلق ياقوتة خضراء فنظر اليها بالهيبة فصارت

رأى انكساغورس (١)

وهو أيضا من الملطية ، رأي فى الوحدانية مثل ما رأى تاليس ، وخالفه

ماء ، ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ، ثم وضع العرش على الماء وهو آية على أن العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والأرض ، وكان الماء قائماً بقدرة الله تعالى على غير موضع قرار بل كان الله تعالى يمسكه بكمال قدرته وفى ذلك أعظم الاعتبار لأهل الانكار ، وقيل ان المراد بقوله عرشه بناؤه يدل عليه قوله ومما يعرشون أى يبنون والمعنى وكان بناؤه على الماء فان البناء على الماء أبدع وأعجب ، وذهب بعضهم إلى كون الماء بمعنى صفة الحياة ، وإنه تنبت منه الأجسام وذهب الرازى إلى ان الفائدة من ذكر ان عرشه كان على الماء ، إنما هو للدلالة على كمال القدرة من وجوه (١) أن العرش مع كونه أعظم من السموات والأرض كان على الماء فلولا انه تعالى قادر على امساك الثقيل بغير ممد لما صح ذلك ، (٢) انه تعالى أمسك الماء لا على قرار والالزام أن يكون أقسام العالم غير متناهية (٣) ان العرش الذى هو أعظم المخلوقات قد أمسكه الله تعالى فوق سبع سموات من غير دعامة ولا علاقة فوقه ، هذا . وكيفما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت أحوج إليه وإلى إمساكه

(١) انكسا غوراس ، أو أنا كسجوراس ، ولد فى كلازوميني من بلاد آسيا الصغرى بالقرب من أزمير ، ولد سنة ٥٠٠ ق م ، من أسرة نبيلة . وقد بسط الله له فى الرزق فكان واسع الثراء ، ولم يلهه غناه . وثراؤه عن طلب العلم . فرحل إلى أثينا ، بعد أن أخذ الفلسفة عن انكسمينيس أحد تلامذة طاليس . وقد أولع انكسا غوراس بالفلسفة . فغرس بذورها فى أثينا . فاصبحت مركزاً للفكر عند اليونان ، وقد توثقت أواصر الصلة بينه ، وبين أعلامها فكان صديقاً حميماً ، لبركليس ذلك السياسى العظيم . ويوريبيدس الشاعر المعروف ، وقد أقام فى اثينا ثلاثين سنة ، كان فى خلالها قطب الحركة الفكرية ، وأول من أشهر علم الفلسفة بطريقة جلية ، فى جميع اليونان دون سائر المعلمين من الحكماء . ولما أذن نجم صديقه بركليس إلى الافول ، كاد له خصوم صديقه ، فرموه بالألحاد لتحق عليه لعنة الله والناس واستشهدوا على اتهامهم إياه ، بما كان قد ذهب اليه من أن القمر أرض فيها جبال ووديان وان

في المبدأ الأول . قال إن مبدأ الموجودات هو متشابه الأجزاء ، وهى أجزاء لطيفة لايدركها الحس ، ولاينالها العقل ، منها كون الكون كله العلوى منه والسفلى ، لأن المركبات مسبوقة بالبسائط ، والمختلفات مسبوقة أيضا بالمتشابهات ، أليست المركبات كلها انما امتزجت وتركبت من العناصر وهى بسائط متشابهة الأجزاء ، وليس الحيوان والنبات وكل ما يغتذى من أجزاء متشابهة ، أو غير متشابهة فتجتمع فى المعدة فتصير متشابهة ، ثم تجرى في العروق والشريانات ، فتستحيل أجزاء مختلفة مثل الدم واللحم والعظم . (١)

الشمس والكواكب أجرام ملتهبة لاتختلف طبيعتها عن طبيعة الأجسام الأرضية كما يتبين من مقابلة الأحجار المتساقطة من السماء بما عندنا من أحجار . ولم يكن الأثينيون يطيقون مثل هذا القول . لاعتقادهم أن الشمس والقمر . والكواكب آلهة ، تنزل من قلوبهم اسمى منازل التقديس فأحضر على رءوس الأشهاد بين يدى القضاة . فحكموا عليه بالموت ، فلم يكترث لذلك وقال أنا أعلم أن الحكمة الإلهية حكمت بذلك منذ زمن طويل . ثم تدخل صديقه . وتلميذه بيريكليس . فى الأمر ، فخفف العقاب إلى غرامة مالية . ومن ثم اعتزم مغادرة أثينا . فغادرها إلى مصر . وغيرها من الجهات ، خالط فيها العلماء وتعرف أحوال البلاد ، ثم استقر به الأمر . إلى العودة إلى بلده ، فعاد اليها إلى أن مات فيها سنة ٤٢٨ ق م ، ولما قربت وفاته حضر عنده أكابر المدينة ، وسألوه هل لك فى شيء تأمرنا به فأوصاهم أنهم يجعلون للتلامذة في كل سنة مقداراً من الزمن ، يتنزهون ويتروحون فيه ويأذنون لهم باللعب فى كل عام فى مثل اليوم الذى يموت فيه ؟ (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٤١ قصة الفلسفة اليونانية ص ٨٢ ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص ٧٢) .

(١) هو يعتقد أن الأشياء متباينة فى الحقيقة كما تبدو لنا وأن قسمة الأجسام بالغة مابلغت تنتهى دائما إلى أجزاء مجانسة للكل تنتهى إلى لحم فى اللحم وعظم فى العظم .

وحكي عنه أيضا أنه وافق سائر الحكماء فى المبدأ الاول إنه العقل الفعال[١] غير أنه خالفهم فى قوله إن الاول الحق ساكن غير متحرك

فيزعم أن كل جسم مركب من أجزاء صغيرة متجانسة فالدم مثلا مركب من أجزاء صغيرة من الدم والماء من أجزاء صغيرة من الماء . وهكذا سائر الأشياء ، ومن ثم سميت الأقسام جنسية وقد أسس لوبرقه مذهبه على تلك القاعدة ، ومما اعترض به على هذا الفيلسوف فى هذا الزعم أنه بالضرورة كان يلزم أن تكون الأجسام مركبة من أجزاء غير متجالسة لأن عظم الحيوان يتزايد في الجرم مع أنه لايتغذى بعظم وكذلك عروقه تطول وتغلظ من غير أن يتعاطى العروق فى غذائه ويزيد دمه ويكثر من أن يشرب دما فأجابه بانا نسلم أنه عند التدقيق لايوجد فى الحقيقة جسم تام التجانس فى الأجزاء . بل لابد وان يختلط به أجزاء من غير جنسه ، فالحشيش مثلا فيه لحم ودم وعظم وعروق لأنا نرى الحيوانات تغتذى به فكل جزء من أجزاء الحيوان يجذب اليه ما فى الحشيش من جنسه وحينئذ فتسمية الجسم باسم حشيش أو خشب مثلا يكفى فى صحتها كون معظم أجزائه من نوع الحشيش أو الخشب لاشىء أخر ويكون ذلك العظم هو الساتر لسطح الجسم الأعلى المرئى (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٤١ ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص ٧٤) .

(١) فنراه قد خطا بالفلسفة خطوة جديدة ، سمت بها عن مستوى المادة فذهب إلى أن القوة التى تدفع المادة وتسيرها هى عقل حكيم رشيد ذكى بصير يولد الحركة فى المادة إقبالا وإدبارا حتى تتكون منها العوالم . ويرى أن ليس الفاعل القدر فما القدر إلا لفظ أجوف اخترعه الشعراء إنما الفاعل العقل وهو الطف الأشياء وأصفاها بسيط مفارق للطبائع كلها إذ لو كان ممتزجا لشىء آخر أيا كان لشابه سائر الأشياء ولما استطاع وهو ممتزج أن يفعل بنفس القدرة التى يفعل بها وهو خالص . عليم بكل شىء قدير على كل شىء متحرك بذاته . والعقل يفيض على كل مادة ما يليق بها من الصورة ، ولهذا سما حكماء عصره بالعقل لقوله به : ولم يكن قصده ان العقل أبرز الموجودات من عدم وإنما كانت فى حيز الوجود مفرقة فرتبها ويدل لذلك قوله بأن سائر الأشياء كانت جواهرها مختلطة بعضها ببعض ومكثت بهذا الوصف حتى ميزها العقل بعضها عن بعض أجناسا ورتب كل جنس فى مرتبتـه . وقد بين الشاعر

وسنشرح القول فى السكون والحركة له تعالى ، و نبين اصطلاحهم فى ذلك وحكى فرفوريوس [1] عنه أنه قال ، إن أصل الاشياء جسم واحد

أويديس هذا المذهب فى مبدأ قصائده السماة قصائد التناسخ فهو لا يقول بالوهية غير العقل المتقدم وشنع على جميع آلهة الجاهلية حتى قال بعضهم ان الله الصواعق أنزل على هذا الفليسوف صاعقة من السماء فاهلكه جزاء له على إنكاره (قصة الفلسفة اليونانية ص ٨٦ تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٤٢ ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص ٧٣) .

(١) فور فوريوس ، هو ملخوس السورى الملقب بفورفوريوس ، أظهر تلاميذ أفلاطين ولد فى صور سنة ٢٣٣ م ، وعرف أفلاطين فى روما سنة ٢٦٣ فلزمه واتبع طريقته . وقد شرح محاورات أفلاطون الكبرى وشرح من كتب أرسطو المقولات والأخلاق والطبيعة والالهيات وبعد وفاة أفلاطين جمع الرسائل وكانت أربعا وخمسين وقدم لها ترجمة لحياة أفلاطين ووزعها على ستة أقسام فى كل قسم تسع رسائل فسميت بالتساعيات وقد قال فى ذلك لم أر من المناسب أن أرتبها مختلطة حسب أوقات صدورها ولكنى وزعتها إلى ست تساعيات تكريما للعددين الكاملين ستة وتسعة فجمعت في كل تساعية الرسائل التى تعالج نفس الموضوع واضعا دائما فى الأول أقلها أهمية هذا والتساعية الأولى خاصة بالانسان والثانية والثالثة بالعالم المحسوس والرابعة بالنفس والخامسة بالعقل والسادسة بالوجود الدائم أو العالم العلوى . ووضع المدخل إلى المعقولات أجمل فيه الكلام على طبيعة النفس والعالم المعقول أخذا عن التساعيات وكتابا فى الامتناع عن اللحوم نزع فيه منزع الفيثاغورية وآخر فى أخبار الفلاسفة لغاية أفلاطون بقى منه أجزاء وله كتاب ايساغوجى فى المدخل إلى الكتب المنطقية وإلى مقولات أرسطو كتاب المدخل إلى القياسات الحملية نقله أبو عثمان الدمشقى وكتاب العقل والمعقول بنقل قديم وكتاب الرد على سحسوس فى العقل والمعقول سبع مقالات سريانى وكتاب الاستقسات بالسريانى . وقد كتب أيضا ضد النصرانية ودافع عن السحر والعرافة والتنجيم وكانت الكنيسة تحاربها توفى سنة ٣٠٥ (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٩٨ فهرست ابن النديم ص ٣٥٤) .

موضوع الكل لا نهاية له ، ولم يبين ما ذلك الجسم ، أهو من العناصر أم خارج من ذلك ، قال ومنه يخرج جميع الاجسام . والقوى الجسمانية والأنواع . والأصناف ، وهو أول من قال بالكمون والظهور ، حيث قدر الأشياء كلها كامنة فى الجسم الاول ، وإنما الوجود ظهورها من ذلك الجسم نوعا وصنفا ومقدارا وشكلا وتكاثفا وتخلخلا ، كما تظهر السنبلة من الحبة الواحدة ، والنخلة الباسقة من النواة الصغيرة ، والانسان الكامل الصورة من النطفة المهينة ، والطير من البيض ، وكل ذلك ظهور عن كمون ، وفعل عن قوة ، وصورة عن استعداد مادة ، وإنما الابداع واحد ، ولم يكن لشيء آخر سوى ذلك الجسم الأول .

وحكى عنه أنه قال كانت الأشياء ساكنه ، ثم إن العقل رتبها ترتيبا على أحسن نظام ، فوضعها مواضعها من عال ، ومن سافل ، ومن متوسط ثم من متحرك ، ومن ساكن . ومن مستقيم فى الحركة ، ومن دائر ، ومن أفلاك متحركة على الدوران ، ومن عناصر متحركة على الاستقامة ، وهى كلها بهذا الترتيب مظهرات لما فى هذا الجسم الأول من الموجودات ويحكى عنه أن المرتب هو الطبيعة وربما يقول المرتب هو الباري تعالى وإذا كان المبدأ الأول عنده ذلك الجسم ، فمقتضي مذهبه أن يكون المعاد إلى ذلك الجسم ، وإذا كانت النشأة الأولى هى الظهور ، فيقتضى أن تكون النشأة الثانية هى الكمون ، وذلك قريب من مذهب من يقول بالهيولى الاولى التى حدثت فيها الصور ، إلا أنه أثبت جسما غير متناه

بالفعل ، هو متشابه الاجزاء ، وأصحاب الهيولى لا يثبتون جسما بالفعل

وقد ردت عليه الحكماء المتأخرون فى إثباته جسما مطلقا لم يعين له صورة سماوية أو عنصرية ، وفى نفيه النهاية عنه ، وفى قوله بالكمون والظهور ، وفى بيانه سبب الترتيب وتعيينه المرتب ، وإنما عقبت مذهبه برأى تاليس لأنهما من أهل ملطيه ، متقاربان فى إثبات العنصر الاول والصور فيه متمثلة ، والجسم الاول والموجودات فيه كامنة ، وحكى ارسطوطاليس عنه أن الجسم الذى تكون منه الاشياء غير قابل للكثرة قال وأومى إلي أن الكثرة جاءت من قبل البارى تعالى

رأى انكسيمانس (١)

وهو أيضا من الملطيين المعروف بالحكمة المذكور بالخير عندهم قال إن البارى تعالى أزلى لا أول له ولا آخر ، هو مبدأ الأشياء ولا بدء له ، هو المدرك من خلقه أنه هو فقط ، وإنه لا هوية تشبهه ، وكل هوية فمبدعة منه ، هو الواحد ليس واحد الأعداد لأن واحد الأعداد يتكثر ،

---

(١) انكسيمانس ، هو تلميذ انكسيمندريس وقد كان أقل منه توفيقا فى العلوم وأضيق خيالا عاد إلى رأى طاليس فى الأرض فاعتقد أنها قرص مسطح قائم على قاعدة وأنكر حركة الشمس ليلا من تحتها واستبدل بها حركة جانبية حولها وعلل اختفاء الشمس من المساء إلى الصباح بأن جبالا شاهقة تحجبها عن الأنظار من جهة الشمال أو بأنها أبعد عن الأرض فى الليل منها فى النهار وقد كان مثل هذا القول معروفا عند المصريين واشتغل بالظواهر الجوية ولا يلوح أنه أفاد العلم من هذه الناحية وهو معدود من أعلام المدرسة اليونانية الثلاثة . طاليس وانكسمندريس وانكسمنيس وقد رأى طاليس أن الماء أصل الوجود وقل انكسمندريس بل هو مادة لا تحدها حدود وأعلن انكسمنيس أنه الهواء ولد سنة ٥٨٨ ق م . وتوفى سنة ٥٢٤ ق م (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٦ قصة الفلسفة اليونانية ص ٢٣) .

وهو لا يتكثر ، وكل مبدع ظهرت صورته فى حد الابداع ، فقد كانت صورته فى علمه الأول . والصور عنده بلا نهاية ، قال ولا يجوز فى الرأى إلا أحد قولين إما أن نقول إنما أبدع ما فى علمه ، واما أن نقول إنما أبدع أشياء لايعلمها وهذا من القول المستبشع ، وإن قلنا أبدع ما فى علمه . فالصورة ازلية بازليته وليس تتكثر ذاته بتكثر المعلومات ولا تتغير بتغيرها ، قال أبدع بوحدانيته صورة العنصر ، ثم صورة العقل انبعثت عنها بيدعة البارى تعالى فرتب العنصر فى العقل ألوان الصور على قدر ما فيها من طبقات الأنوار . وأصناف الآثار ، وصارت تلك الطبقات صورا كثيرة دفعة واحدة ، كما تحدث الصور فى المرآة الصقيلة ، بلا زمان ولا ترتيب بعض على بعض ، غير أن الهيولى لا تحتمل القبول دفعة واحدة إلا بترتيب وزمان ، فحدثت تلك الصور ، فيها على الترتيب ولم يزل العقل فى العالم بعد العالم على قدر طبقات العوالم ، حتى قلت أنوار الصور فى الهيولى ، وقلت الهيولى . وصارت منها هذه الصوره الرذلة الكثيفة التى لم تقبل نفسا روحانية ، ولا نفسا حيوانية ، ولا نباتية ، وكل ما هو على قبول حياة وحس ، فهو بعد فى آثار تلك الأنوار ، وكان يقول إن هذا العالم يدثر ، ويدخله الفساد والعدم ، من أجل أنه سفل تلك العوالم وثقلها ، ونسبتها اليه نسبة اللب إلى القشر ، والقشر يرمى ، قال وانما ثبات هذا العالم بقدر ما فيه من قليل نور ذلك العالم ، وإلا لما ثبت طرفة عين ، ويبقى ثباته إلى أن يصفى العقل جزءه الممتزج به ، وإلى

أن تصفى النفس جزءها المختلط فيه ، فاذا صفى الجزءان عنه دثرت أجزاء هذا العالم ، وفسدت وبقيت ظلمة قد عدمت ذلك القليل من النور فيها ، وبقيت الأنفس الدنسة الخبيثة فى هذه الظلمة بلا نور ولا سرور ولا روح ، ولا راحة ، ولا سكون ولا سلوة .

ونقل عنه أيضا إن أول الأوائل من المبدعات هو الهواء[1] ومنه يكون جميع مافى العالم من الأجرام العلوية والسفلية ، قال ما كون من صفو الهواء المحض لطيف روحانى لا يدثر ، ولا يدخل عليه الفساد ، ولا يقبل الدنس والخبث . وما كون من كدر الهواء كثيف

---

(١) إذا كان الماء الذى فرضه طاليس أصلا للكون لم يصادف من العقل اطمئنانا لأنه ليس من الشمول بحيث يسع الكون بأسره وإذا كانت مادة انكسمندريس التى ليس لها شكل ولا حدود لم تسلم من النقد . فقد نهض انكسمينس واختار مادة ثالثة فيها الشمول الذى ينقص الماء وفيها الصفات التى تعوز مادة انكسمندريس ألا وهى الهواء فهو ذو صفات معروفة لا تنكر وهو فى نفس الوقت يشيع فى كل أنحاء الوجود يغلف الأرض ويملأ فى نظره جوانب السماء . بل ويتغلغل فى الأشياء والاحياء مهما دقت أليست الحياة فى صميمها انفاسا من الهواء تترد فى الصدر شهيقا وزفيراً اذن فهو الجوهر الأول الذى صدرت عنه جميع الكائنات يتكاثف حينا . فيكون شيئا ويتخلخل حينا فيكون شيئا آخر والهواء إذا أمعن في تخلخله انقلب نارا فإذا ارتفعت كونت الشموس والاقمار وإذا هو أمعن فى التكاثف انقلب سحابا ثم انزل السحاب ماء ثم تجمد الماء فإذا هو تربة وصخور هذا وليست الأرض الا قرصا مسطوحا يسبح فى هواء . فقد اتفق مع طاليس فى أن العنصر الأول الذى نشأ منه الكون كان مادة معينة محدودة ، فهو قد تقدم بالفلسفة خطوة إلى الأمام بعد انكسمندر . وقد علل تنوع الأشياء بالتخلخل والتكاثف (قصة الفلسفة اليونانية ص ٢٦)

جسماني يدثر ، ويدخله الفساد ، ويقبل الدنس والخبث ، فما فوق الهواء من العوالم فهو من صفوه ، وذلك عالم الروحانيات ، وما دون الهواء من العوالم فهو من كدره ، وذلك عالم الجسمانيات ، كثير الأوساخ والأوضار يتشبث به من سكن اليه ، فيمنعه من أن يرتفع علوا ، ويتخلص منه من لم يسكن اليه ، فصعد إلى عالم كثير اللطافة ، دائم السرود ، ولعله جعل الهواء أول الأوائل لموجودات العالم الجسمانى ، كما جعل العنصر أول الأوائل لموجودات العالم الروحانى ، وهو على مثال مذهب تاليس ، إذ أثبت العنصر والماء فى مقابلته وهو قد أثبت العنصر والهواء فى مقابلته ، ونزل العنصر منزلة القلم الأول ، والعقل منزلة اللوح ، القابل لنقش الصور ، ورتب الموجودات على ذلك الترتيب ، وهو أيضا من مشكاة النبوة اقتبس ، وبعبارات القوم التبس

رأى انباذو قليس[1]

وهو من الكبار عند الجماعة ، دقيق النظر فى العلوم رقيق الحال

---

(١) انبا ذو قليس ولد ٤٩٠ ق م . وقد نشأ فى اغرينتا . وكانت من أعظم مدن صقلية عمرانا . وفى أسرة من أوسع أسر المدنية ثروة ونفوذا . وكان من أنبغ أهل زمانه وهو أول الحكماء الخمسة المعروفين بأساطين الحكمة وأقدمهم زمانا . والخمسة . هم انبذقليس هذا ثم فيثغورس ثم سقراط ثم أفلاطون ثم أرسطوطاليس فهؤلاء الخمسة هم المجمع على استحقاقهم اسم الحكمة عند اليونانيين وقد اشتهر بالفلسفة والطب والخطابة ؛ وقال أرسطوا انه منشىء علم البيان أشبه فيثاغورس فى كثير من النواحى . فكان قوى العاطفة الدينية الى حد ادعاء النبوة . وقد استخدم علمه فى سبيل الخير فصدق الناس دعواه وكانوا يتسابقون اليه اينما حل يسأله بعضهم ان يهديهم طريق الصلاح ويطلب إليه آخرون ان يكشف لهم عما فى الغيب . ويسأله

في الأعمال . وكان فى زمن داود النبي عليــه السلام ، مضى اليه وتلقى منــه ، واختلف إلى لقمان الحكيم ، واقتبس منــه الحـكمة ، ثم عاد إلى يونان ، وأفاد ، قال إن البارى تعـــالى لم يزل هويته فقط وهو العــلم المحض ، وهو الارادة المحضة . وهو الجود والعز

غيرهم الكلمة التى تشفى المريض وزاد في احترام الناس إياه . وتعلقهم به . أنه كان يعطف على الشعب . ويسعى لتحقيق المساواة . ويبذل ماله فى الاحسان فعرضوا عليه أن يتوج ملـكا على المدينة فأبى . ثم شرع يجوب أنحاء صقليه وايطاليا الجنــوبية . يؤدى رسالته وعبر البحر إلى المورة . وتوفى سنة ٤٣٠ ق م وقد كان فى زمان داود عليه السلام . وقيل أنه أخذ الحـكمة عن لقمان الحـكيم بالشام ثم انصرف إلى بلاد اليونان فتكلم فى خلقة العالم بما يقدح ظاهره فى أمر الميعاد فهجره بعضهم وله تضيف فى ذلك ، رأيته فى كتب الشيخ أبى الفتح نصر المقدسى التى وقفها على البيت المقدس ولأرسطو عليه كلام وردود ومن الفرقة الباطنية من يقول برأيه وينتمى فى ذلك إلى مذهبه . ويزعمون ان له رموزا قلما يوقف عليها . وهى فى غالب الظن ايهامات منهم . وممن اشتهر فى الملة الاسلامية بالانتماء إلى مذهبه محمد بن عبدالله الجبلى الباطنى من أهل قرطبة كان كلفا بفلسفته ملازما لدراستها فاتهم بالزندقة . ففر إلى المشرق ثم عاد إلى الأندلس واظهر النسك والورع واغتر الناس بظاهره فاختلفوا إليه وسمعوا منه وانقبض عنه بعضهم ولازمه آخرون ودانوا بنحلته وقد توفى سنة ٣١٩ والمشتهر عن انبذقليس انه أول من ذهب إلى الجمع بين صفات الله تعالى وأنها كلها تؤدى إلى شىء واحد وانه إن وصف بالعلم والجود والقدرة فليس هو ذا معان متميزة تختص بهذه الأسماء المختلفة . بل هو الواحد بالحقيقة الذى لا يتكثر بوجه ما اصلا بخلاف سائر الموجودات فان الوحدانيات العالمية معرضة لتتكثر إما بأجزائها واما بمعانيها وإما بنظائرها وذات البارى سبحانه وتعالى متعالية عن هذا كله. وإلى هذا المذهب في الصفات ذهب أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف البصرى (تاريخ الفلسفة اليونان ص ٣٥ أخبار الحـكماء ص ١٢)

والقدرة والعدل والخير والحق ، لا ان هناك قوى مسماة بهذه الاسماء ، بل هى هو وهو هذه كلها مبدعٍ فقط لا انه أبدع من شىء ولا أن شيئا كان معه ، فأبدع الشىء البسيط الذى هو أول البسيط المعقول ، وهو العنصر الأول ، ثم كثر الاشياء المبسوطة من ذلك النوع البسيط الواحد الأول ، ثم كون المركبات من المبسوطات ، وهو مبدع الشىء واللاشىء العقلى والفكرى والوهمى ، أى مبدع المتضادات والمتقابلات المعقولة الخيالية والحسية ، وقال ان البارى تعالى أبدع الصور لا بنوع إرادة مستأنفة ، بل بنوع أنه علة فقط وهو العلم والأرادة ، فاذا كان المبدع انما أبدع الصور بنوع انه علة لها ، فالعلة ولا معلول والا فالمعلول مع العلة معية بالذات ، فان جاز أن يقال إن معلولا مع العلة فالمعلول حينئذ ليس هو غير العلة ، وأن يكون المعلول ليس أولى بكونه معلولا من العلة ولا العلة بكونها معلولا أولى من المعلول ، فالمعلول إذا تحت العلة وبعدها ، والعلة علة العلل كلها ، أي علة كل معلول تحتها ، فلا محالة أن المعلول لم يكن مع العلة بجهة من الجهات البتة وإلا فقد بطل اسم العلة والمعلول ، فالمعلول الأول هو العنصر ، والمعلول الثاني يتوسطه العقل ، والثالث تتوسطه النفس ، وهذه بسائط ومتوسطات ، وبعدها مركبات ، وذكر أن المنطق لا يعبر عما عند العقل لأن العقل أكبر من المنطق من أجل أنه بسيط ، والمنطق مركب ، والمنطق يتجزأ والعقل يتحد ويحد فيجمع المتجزئات ، فليس للمنطق إذا

أن يصف البارى تعالى إلا صفة واحدة، وذلك ، أنه هو، ولا شىء من هذه العوالم بسيط ، ولا مركب ، فاذا قال هو ولا شىء فقد كان الشىء واللاشىء مبدعين ، ثم قال انبذقلس العنصر الأول بسيط من نحو ذات العقل الذى دونه ، وليس هو دونه بسيطا مطلقا أى واحدا بحتا من نحو ذات العلة ، فلا معلول إلا وهو مركب تركيبا عقليا أو حسيا ، فالعنصر فى ذاته مركب من المحبة والغلبة [(١)] ، وعنهما أبدعت الجواهر البسيطة الروحانية ، والجواهر المركبة الجسمانية ، فصارت المحبة والغلبة صفتين أو صورتين للعنصر مبدعين لجميع الموجودات ، فانطبعت الروحانيات كلها على المحبة الخالصة ، والجسمانيات كلها على الغلبة ، والمركبات منها على طبيعتى المحبة ، والغلبة ، والازدواج والتضاد ، وبمقدارهما فى المركبات يعرف مقادير الروحانيات فى الجسمانيات قال ولهذا المعنى ائتلفت المزدوجات بعضها ببعض نوعا بنوع ، وصنفا بصنف ، واختلفت المتضادات ، فتنافر بعضها عن بعض نوعا

---

(١) قرئ على أبى سليمان محمد بن طاهر السجستانى من كلام انبذقليس إذا استولت المحبة على الأجسام التى منها تركيب العالم كان منها العالم الكرى وإذا استولت الغلبة كان منها الاستقصات والعالم الكائن الفاسد فقال مفسرا إنه أراد باستيلاء المحبة على العالم استيلاء القوة العقلية فانها هى التى تحيط بجميع الموجودات احاطة كلية وتؤلف بينها تأليفا نظاميا موفقا بين جميع أجزائها وهذا الفعل منها شبيه بتأليف الاكر بعضها مع بعض واحاطة بعضها ببعض حتى لايتخللها شيء آخر . قال ومعنى قوله إذا استولت الغلبة حدث منها الاستقصات المتباعدة الأقطار المتميز بعضها من بعض المباين كل واحد منها غيرها وهذا تشبيه بالقوى الحسية المتشذبة المفارق بعضها بعضا فيما يخصها من الاكدادات مع مايقع فيها من الخطأ والغلط والزيادة والنقصان وهذه صفة الأشياء المتغالبة والمتنافرة (المقابسات ص ٢٨٢)

عن نوع ، وصنفا عن صنف ، فما كان فيها من الائتلاف والمحبة (فمن الروحانيات وما كاد فيها من الاختلاف والغلبة فمن الجسمانيات وقد) يجتمعان فى نفس واحدة باضافتين مختلفتين ، وربما أضاف المحبة إلى المشترى والزهرة ، والغلبة إلى زحل والمريخ ، وكأنهما تشخصا بالسعدين والنحسين ولكلام انبذقلس مساق آخر ، قال إن النفس النامية قشر النفس (البهيمية الحيوانية والنفس الحيوانية قشر النفس) المنطقية ، والمنطقية قشر العقلية وكل ما هو أسفل فهو قشر لما هو أعلى والاعلى لبه ، وربما يعبر عن القشر واللب بالجسد والروح ، فيجعل النفس النامية جسداً للنفس الحيوانية وهذه روحا له ، وعلى ذلك حتى ينتهى إلي العقل ، وقال لما صور العنصر الأول فى العقل ما عنده من الصور المعقولة الروحانية ، وصور العقل فى النفس ما استفاد من العنصر صورة النفس الكلية فى الطبيعة الكلية ما استفادت من العقل ، فحصلت قشور فى الطبيعة لا تشبهها ولا هي شبيهة بالعقل الروحانى اللطيف ، فلما نظر العقل اليها وأبصر الأرواح واللبوب فى الأجساد ، والقشور ، ساح عليها من الصور الحسنة الشريفة البهية ، وهى صور النفوس المشاكله للصور العقلية اللطيفة الروحانيه ، حتى يدبرها ويتصرف فيها بالتمييز بين القشور واللبوب ، فيصعد باللبوب إلى عالمها وكانت النفوس الجزئية أجزاء النفس الكلية كأجزاء الشمس المشرقة على منافذ البيت ، والطبيعة الكلية معلولة للنفس ، وفرق بين الجزء وبين المعلول ، فالجزء غير والمعلول (غير) ثم قال وخاصة النفس

الكلية المحبة ، لأنها لما نظرت إلى العقل وحسنه وبهائه أحبته حب وامق عاشق لمعشوقه ، فطلبت الاتحاد به ، وتحركت نحوه ، وخاصة الطبيعة الكلية الغلبية ، لأنها لما وجدت لم يكن لها نظر وبصر تدرك بها النفس والعقل فتحبهما وتعشقهما ، بل انبجست منهما قوى متضادة ، أما في بسائطها فمتضادات الأركان ، وأما فى مركباتها فمتضادات القوى المزاجية والطبيعية والنباتية والحيوانية فمردت عليها لبعدها عن كليتها ، وطاوعتها الاجزاء النفسانية مغترة بعالمها الغرار ، فركنت إلى لذات حسية ، من مطعم مرى ، ومشرب هنى ، وملبس طرى ، ومنظر بهى ، ومنكح شهى ، ونسيت ما قد طبعت عليه من ذلك البهاء والحسن والكمال الروحانى النفسانى العقلى ، فلما رأت النفس الكلية تمردها واغترارها أهبطت إليها جزءا من أجزائها ، هو أذكى وألطف وأشرف من هاتين النفسين البهيمية ، والنباتية ، ومن تلك النفوس المغترة بها فتكسر النفسين عن تمردهما ، وتحبب إلى النفوس المغترة عالمها ، وتذكرها ما قد نسيت ، وتعلمها ما جهلت ، وتطهرها عما تدنست فيه ، وتزكيها عما تنجست به ، وذلك الجزء الشريف هو النبى المبعوث فى كل دور من الأدوار ، فيجري على سنن العقل والعنصر الأول من رعاية المحبة والغلبة [1] ،

(١) فهو ير إنما تجتمع العناصر «الماء والهواء والتراب والنار» وتفترق بفعل قوتين كبريين يسميهما المحبة والكراهية ، أو كما ورد في الكتب العربية المحبة والغلبة والمحبة والعدوان فالمحبة تضم الذرات المتشابهة عند التفرق والكراهية تفصل بينها ، ويتغلب كل منهما حينا فى الدور الواحد من أدوار العالم دون أن تستقر الغلبة للمحبة فتسود

فيتألف بعض النفوس بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويشدد على بعضها بالقهر والغلبة، وتارة يدعو باللسان من جهة المحبة لطفا، وتارة يدعو بالسيف من جهة الغلبة عنفا ، فيخلص النفوس الجزئية الشريفة التى اغترت بتمويهات النفسين المزاجيتين عن التمويه الباطل ، والتسويل السايل ، وربما يكسو النفسين السافلتين كسوة النفس الشريفة ، فتنقلب صفة الشهوية إلى المحبة ، محبة الخير والحق والصدق ، وتنقلب صفة الغضبية إلى الغلبة فيغلب الشر والباطل والكذب ، فتصعد النفس الجزئية الشريفة إلى عالم الروحانيين بهما جميعا فيكونان جسدا لها فى ذلك العالم كما كانتا جسدا لها فى هذا العالم . وقد قيل إن كانت الدولة والجد لأحد أحبه

الوحدة الساكنة أو للكراهية فتسود الكثرة المضطربة فيمر العالم بدور محبة تتخلله الكراهية وتحاول افساده . ثم تدور كراهية تتخلله المحبة وتعمل على اصلاحه فتارة ترجع الكثرة إلى الوحدة وهى الكرة الأصلية الالهية تتحد فيها العناصر جميعها وطورا تتفرق الوحدة إلى الكثرة وتتعاقب الأدوار كل منها كما كان بالتمام إلى مالا نهاية والدور الذى نحن فيه تسيطر عليه الكراهية فهو يرى أن القوة التى تحرك المادة هى قوة خارجة عنها ، ولما كانت حركة المادة هى اما فى اتصال العناصر أو فى انفصالها ولما كان الاتصال والانفصال ضدين مختلفين فلا يمكن أن ينشآ عن قوة واحدة فلا بد إذن أن يكون ثمت قوتان متضادتان كذلك هما عند انباذوقليس قوتا الحب والبغض أو الحب والعدوان أو الحب والغلبة الحب الذى يؤدى إلى التناغم والتناسق والاتحاد بين العناصر والبغض الذى يؤدى إلى التنافر والتفكك والانحلال بينها وليس ذلك شططا فى القول فالحب والكراهيه اللذان هما من أخلاق الانسان ان هما إلا ضورة منعكسة من تينك القوتين المتضادتين اللتين تسيطران على الكون جميعا (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٣٦ قصة الفلسفة اليونانية ص ٧٠)

أشكاله ، فيغلب بمحبتهم له أضداده .

ومما نقل من انبذقلس انه قال العالم مركب من الاسطقسات الاربع[1] فانه ليس وراءها شيء أبسط منها ، وان الأشياء كامنة بعضها فى بعض ، وأبطل الكون والفساد والاستحالة والنمو .

وقال الهواء لا يستحيل نارا ولا الماء هواء ولكن ذلك بتكاثف وتخلخل ، وبكمون وظهور ، وتركيب وتحلل ، وانما التركيب فى المركبات بالمحبة يكون ، والتحلل في المتحللات بالغلبة يكون[2]

---

(١) الأسطقس فى اليونانية ، كالعنصر فى العربية وهو الأصل الذى تتألف منه الأجسام المختلفة الطبائع ، وجمعه الأسقطسات والعناصر ، وهى أربعة النار والهواء والماء والتراب وهذه الأربعة تسمى بأربعة أسماء ، العناصر والاسطقسات ، والأركان وأصول الكون والفساد ، لكن باعتبارات مختلفة ، فهذه الأربعة من حيث تتركب منها المركبات تسمى أسطقسات ومن حيث أنها تنحل اليه المركبات تسمى عناصر فلوحظ فى اطلاق لفظ الاسطقس معنى الكون وفى اطلاق العنصر معنى الفساد ، ومن حيث إنها أجزاء المركبات تسمى أركانا إذ ركن الشىء جزؤه ومن حيث انه ينقلب كل منهما إلى الآخر تسمى أصول الكون والفساد وأسامى جزء المركب باعتبارات مختلفة فى الداخل ، والعنصر ، خفيف وثقيل ، فالخفيف ما كان أكثر حركة إلى جهة الفوق فان كان جميع حركته إلى الفوق فخفيف مطلق وهو النار ، وإلا فخفيف بالاضافة وهو الهواء ، والثقيل ، ما كان حركته إلى الأسفل فان كان جميع حركته إليه فثقيل مطلق وهو التراب وإلا فثقيل بالاضافة وهو الماء .

(٢) العالم عند انباذوقليس سائر فى حلقة متصلة يبدأ من حيث ينتهي وينتهى من حيث يبدأ فقد بدأ الكون كتلة كرية ، كانت العناصر الأربعة فيها مؤتلفة متدخلا بعضها فى بعض ، مندمجة فى وحدة متماسكة فلم يكن الماء منفصلا عن الهواء ولا الهواء منفصلا عن التراب بل كانت كلها مزيجاً انمحت فيه شخصياتها ولو انتزعت منه قبضة وحللت إلى عناصرها لوجد أنها تتألف من كميات متساوية من تلك

ومما نقل عنه أيضا انه تكلم فى البارى تعالى بنوع حركة وسكون فقال إنه متحرك بنوع سكون ، لأن العقل والعنصر متحركان بنوع سكون وهو مبدعهما ، ولا محالة المبدع أكبر ، لأنه علة كل متحرك وساكن ، وشايعه على هذا الرأى فيثاغورس ، ومن بعده من الحكماء إلى افلاطن وامازينون الأكبر ، وذيمقراط ، والشاعريون

العناصر ، وقد كانت القوة المسيطرة على الكون إذ ذاك هى الحب الذى ألف بين هذه الاشتات فكانت خلقاً واحداً ولكن قوة أخرى أعنى قوة البغض التى تنحو بالكون نحو التفكك كانت تختبىء خارج حدود الكون تتحفز للسعى والعمل فأخذت تتسلل شيئاً فشيئاً من محيط الكون الخارجى حتى نفذت آخر الأمر إلى قلبه ومركزه وعندئذ أخذت تدب بين العناصر حركة التنافر ، والانفصال بعد أن كانت وحدة متآخية متعانقة ولبثت تلك القوة الهدامة تعمل بين عناصر الكون فاعتصم الشبيه بشبهه وأخذت كل ذرة تسعى إلى عنصرها وقبيلها، إلى أن تم الانفصال واستقل الماء كله فى وحدة ، واجتمعت النار كلها فى وحدة ثانية والتقى الهواء كله فى وحدة ثالثة وكون التراب مجموعة رابعة وبذلك تم الأمر وانعقد لواء النصر للبغض والتنافر واندحر الحب وانكمش ولكنه عاد فتغلغل في الكون ليعيد لنفسه النفوذ والسلطان وحاول أن يؤلف تلك العناصر المتنافرة وحدة متناسقة كما كانت أول أمرها ولم يزل فى سعيه لايثنيه يأس ولاقنوط حتى تم له ما أراد وهزم أمامه البغض هزيمة نكراء وعاد الكون سيرته الأولى مزيجا متحداً ولكنه لم يلبث أن عاد فبدأ الرحلة من جديد وتسلل البغض الى عناصر الكون حتى فصل بينها بعض الشيء وها هو ذا الكون يسير فى نفس الطريق طريق التنافر والانحلال وهو اليوم كما نرى فى مرحلة متوسطة بين الاتصال التام والانفصال التام وسط بين التآلف الكامل والتنافر الكامل إلاأن منطق السير قد قضى بأن ترجح كفة الكراهية حتي لنرى الكون أقرب إلى التفكك منه إلى الوحدة وهو لابد سائر فى الطريق إلى غايتها حتي تستقل العناصر بعضها عن بعض على ألا يقف الكون عند هذه الخاتمة ويجمد بل سيبدأ الشوط من جديد وهلم جراً (قصة الفلسفة اليونانية ص ٧١).

فصاروا إلى أنه تعالى متحرك ، وقد سبق النقل عن انكساغورس أنه قال ، هو ساكن لا يتحرك ، لأن الحركة لاتكون إلا محدثة ، ثم قال إلا أن يقولوا إن تلك الحركة فوق هذه الحركه ، كما إن ذلك السكون فوق هذا السكون ، وهؤلاء ماعنوا بالحركة والسكون النقلة عن مكان ، واللبث فى مكان ، ولا بالحركة التغير والاستحالة ، ولا بالسكون ثبات الجوهر والدوام على حالة واحدة فان الازلية والقدم ينافى هذه المعانى كلها ، ومن يحترز ذلك الاحتراز عن التكثر ، فكيف يجازف هذه المجازفة فى التغير .

فأما الحركة والسكون فى العقل والنفس فانما عنوابه الفعل والانفعال ، وذلك أن العقل لما كان موجودا كاملا بالفعل ، قالوا هو ساكن واحد مستغن عن حركة يصير بها فاعلا ، والنفس لما كانت ناقصة متوجهة إلى الكمال ، قالوا هى متحركة طالبة درجة العقل ، ثم قالوا العقل ساكن بنوع حركة ، أى هو فى ذاته كامل بالفعل ، فاعل مخرج النفس من القوة إلى الفعل ، والفعل نوع حركة فى سكون ، والكمال نوع سكون فى حركة ، أى هو كامل ومكمل غيره ، فعلى هذا المعنى يجوز على قضية مذهبهم اضافة الحركة والسكون إلى البارى تعالى

ومن العجب أن مثل هذا الاختلاف قد وجد فى أرباب الملل حتى صار بعض إلى أنه مستقر فى مكان ، ومستو على مكان ، وذلك اشارة إلى السكون ، وصار بعض إلى أنه يجىء ويذهب وينزل ويصعد

وذلك عبارة عن الحركة ، الا أن يحمل على معنى صحيح لائق بجناب القدس حقيق بجلال الحق .

ومما نقل عن انبذقلس فى أمر المعاد ، قال يبقى هـذا العالم على الوجه الذى عقدناه من النفوس التى تشبثت بالطبايع ، والارواح (التى) تعلقت بالشباك ، حتى تستغيث فى آخر الامر إلى النفس الكلية التى هي كلها ، فتتضرع النفس إلى العقل ، ويتضرع العقل إلي البارى تعالي ، فيسيح البارى ، على العقل ، ويسيح العقل على النفس ، وتسيح النفس على هذا العالم بكل نورها فتستضىء الانفس الجزئية ، وتشرق الأرض والعالم بنور ربها ، حتى تعاين الجزئيات كلها فيتخلص من الشبكة فتصل بكلياتها . وتستقر فى عالمها مسرورة محبورة (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) .

رأى فيثاغورس[1]

ابن منسارخس من أهل ساميا وكان فى زمن سليمان عليه السلام

---

(١) فيثاغوراس : ولد فى الجزيرة الايونيه ساموس ؛ التى يسميها الشهر ستانى ساميا، بين سنتي ٥٨٠ و ٥٧٠ ق م ، وقد نشأ بها وهي جزيرة زاهرة ببحريتها وتجارتها وتقدم الفنون فيها ، طوف فى أنحاء الشرق ، ولما ناهز الأربعين قصـد إلى إيطاليا الجنوبية وكان المهاجرون اليونان قد بلغوا فيها درجة عالية من المدنية والثقافة، ونزل ثغر اقروطونا ، حيث كانت مدرسة طبية شهيرة . ومالبث ان عرف بالعلم والفضـل ولقوة شخصيته الرائعة ، شاع عنه أساطير وقصص ، انتحل له فيهـا من الأخبار والمعجزات ، ما شاء وهم كاتبها . حتى اصبح فيثاغوراس اقرب إلى أبطال الخيال منه إلى أشخاص التاريخ وقد طلب إليه مجلس الشيوخ ان يعظ الشعب ففعل فذاع اسمـه

قد أخذ الحكمة من معدن النبوة ، وهو الحكيم الفاضل ذو الرأي المتين ، والعقل الرصين ، يدعى أنه شاهد العوالم بحسه وحدسه ، (الفلكى) وبلغ فى الرياضة إلى أن سمع حفيف الفلك ، ووصل إلي مقام الملك ، وقال ما سمعت شيئا قط ألذ من حركاتها ولا رأيت شيئا

وأقبل عليه المريدون من مختلف مدن إيطاليا الجنوبية ، وصقلية ومدن روما فأنشأ فرقة دينية علمية تشبه الجمعية الماسونيه فى وقتنا الحاضر فكانت الجمعية تدعو إلى الاصلاح الدينى ومكارم الأخلاق وطهارة النفس من الرجس والدنس وكان أعضاؤها يرتدون لباسا أبيض شعارا لهم . وقد آثروا في عيشهم الخشونة والتقشف لأن الجسم لم يكن فى رأيهم الاسجنا حبس فيه الروح . فينبغى أن نحطم من قيوده واغلاله ماوسعنا التحطيم ولا بد لنا أن نسلك بنفوسنا كل سبيل لتخليصها من سجنها على أن لا يكون الانتحار سبيلا مشروعا « لأن الانسان ملك لله » وما حداه . لانشاء هذه الجمعية إلا رغبة طمح إلى تحقيقها منذ شبابه . فان بوليكرانس حاكم ساموس كان طاغية جبارا يسوم رعيته الذل والعذاب مما حفز فيثاغوراس فى مستهل حياته إلى التفكير فى النظم الاجتماعية القائمة ومن أى نواحيها أصيبت بالفساد . فلما اكتمل نضوجه العقلى وكتبت له الزعامة حتى كون جماعة مثالية وثق بين أعضائها برباطة الأخاء ودعاهم إلى الطريق السوى . فاصطدمت شعائرهم ونظمهم بالسياسة مما أدى الى اضطهاد الحكومة للفيثاغوريين فاحرقت مكان اجتماعهم وفرقت شملهم . وقتلت بعضهم . وشردت آخرين غير أنهم استردوا قوتهم بعد ـ وقد كانت نزعتهم صوفية غامضة كما كانت لهم نزعه علمية وفنية تستحق التقدير . فرقوا بالصناعات والفنون والرياضة البدنية والموسيقى والطب والعلوم والرياضة حتى رووا أن فيثاغوراس ابتكر ٤٧ نظرية من نظريات اوقليدس . وحتى يرى بعضهم أن الجزء الأول من ابتكار فيثاغوراس . وكانت تلك الجمعية مفتحة الأبواب للرجال والنساء من اليونان والأجانب على السواء . وكانوا منظمين تنظيما دقيقا يصدعون بما يؤمرون غير ناظرين الا الى (ان المعلم قد قال) وقد توفى فيثاغوراس سنة ٤٩٧ ق م (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٩٠ قصة الفلسفة اليونانية ص ٢٩)

(قط) أبهى من صورها وهيآتها ، وقوله فى الالهيات إن الباري سبحانه وتعالي واحد لا كالآحاد[1] فلا يدخل فى العدد ، ولا يدرك من جهة العقل ، ولا من جهة النفس ، فلا الفكر العقلى يدركه ، ولا المنطق النفسي يصفه ، فهو فوق الصفات الروحانية ، غير مدرك من نحو ذاته ، وانما يدرك بآثاره وصنائعه وأفعاله ، وكل عالم من العوالم يدركه بقدر الآثار التي تظهر فيه فينعته ، ويصفه بذلك القدر الذى خصه من صنعه ، فالموجودات في العالم الروحانى قد خصت بآثار خاصة روحانية ، فينعته من حيث تلك الآثار ، ولا شك أن هداية الحيوان مقدرة على الآثار التي جبل الحيوان عليها ، وهداية الانسان مقدرة على الآثار التى فطر الانسان عليها فكل يصفه من نحو ذاته ويقدسه عن خصائص صفاته .

ثم قال الوحدة تنقسم إلى وحدة غير مستفادة من الغير ، وهى وحدة البارى تعالى ، وحدة الاحاطة بكل شىء ، وحدة الحكم ، على كل شىء وحدة تصدر عنها الآحاد فى الموجودات والكثرة فيها ، وإلى وحدة

(١) قال فى تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٤ ولم تصل الينا نصوص صريحة عن عقيدة الفيثاغوريين ، فى الألوهية ، أما ما يذكر من أنهم كانوا يضعون الواحد فوق الأعداد والموجودات ويجعلونه مصدرها جميعا فتأويل أفلاطونى وكل ما يمكن أنه يقال أنهم طهروا الشرك الشعبي من أدرانه ، ونزهوا الآلة عما ألحقت بهم المخيلة العامة من نقائص ، وذلك بتأويل الأساطير تأويلا مجازيا ، وفى ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة وأن فيثاغرس ، كان يحث تلامذته على التمسك بطاعة الاله وعبادته كما ينبغى .

مستفادة (من الغير) وذلك وحدة المخلوقات ، وربما يقول الوحدة على الاطلاق تنقسم إلى ، وحدة قبل الدهر ووحدة مع الدهر ، ووحدة بعد الدهر ووحدة قبل الزمان . ووحدة مع الزمان ، فالوحدة التى قبل الدهر وحدة البارى تعالى ، والوحدة التى هى مع الدهر وحدة العقل الاول ، والوحدة التى هى بعـد الدهر وحدة النفس ، (والوحدة التى قبل الزمان هى النفس) والوحدة التى هى مع الزمان وحدة العناصر والمركبات ، وربما تنقسم الوحدة قسمة أخرى فيقول الوحدة تنقسم ، إلى وحدة بالذات ، وإلى وحدة بالعرض ، فالوحدة بالذات ليست إلا لمبدع الـكل ، الذى تصدر منه الوحدانية فى العدد والمعدود ، والوحدة بالعرض تنقسم إلى ما هو مبدأ للعدد وليس داخلا فيه وإلى ماهو مبدأ للعدد وهو داخل فيه ، والاول كالوحدة للعقل الفعال ، لانه لا يدخل فى العدد والمعدود والثانى ينقسم إلى مايدخل فيه كالجزء له ، فان الاثنين إنما هو مركب من واحدين ، وكذلك كل عدد فمركب من آحاد لامحالة ، وحيثما ارتقى العدد إلى أكثر ، نزل نسبة الوحدة اليه إلى أقل ، وإلى مايدخل فيه اللازم له لا كالجزء فيه ، وذلك لان كل عدد معدود لن يخلو قط عن وحدة ، ملازمة ، فان الاثنين والثلاثة فى كونهما اثنين وثلاثة وحدة وكذلك المعدودات من المركبات والبسائط وحدة ، إما فى الجنس أو فى النوع ، أو فى الشخص ، كالجوهر فى أنه جوهر على الاطـلاق ، والإنسان فى أنه إنسان ، والشخص المعين مثل زيد فى أنه ذلك الشخص بعينه واحد ، فـلم تنفك الوحدة عن الموجودات قط ، وهذه وحدة

مستفادة من وحدة البارى تعالى لزم الموجودات كلها ، وإن كانت فى ذواتها متكثرة ، وانما شرف كل موجود بغلبة الوحدة فيه ، وكل ماهو أبعد من الكثرة فهو أشرف وأكمل .

ثم ان لفيثاعوس رأيا فى العدد والمعدود قد خالف فيها جميع الحكماء قبله ، وخالفه فيها من بعده ، وهو أنه جرد العدد عن المعدود تجريد الصورة عن المادة ، وتصوره موجود محققا وجود الصورة وتحققها ، وقال مبدأ الموجودات هو العدد[1] ، وهو أول مبدع أبدعه

---

(١) يرى الفيثاغوريون ان هذا العالم أشبه بعالم الأعداد منه بالماء أو النار أو التراب وقالوا ان مبادىء الأعداد هى عناصر الموجودات أو أن الموجودات اعداد وان العالم عدد ونغم أو قالوا أيضا ان الاعداد نماذج تحاكيها الموجودات دون ان تكون هذه النماذج مفارقة لصورها إلا فى الذهن ، والقولان يرجعان إلى واحد مؤداه التوحيد بين عالم الموحودات وعالم الاعداد وقد ساعد على هذا التصور انهم لم يكونوا يتمثلون العدد مجموعا حسابيا بل مقدارا وشكلا ولم يكونوا يرمزون له بالأرقام بل كانوا يصورونه بنقط على قدر مافيه من آحاد ويرتبون هذه النقط فى شكل هندسى فالواحد النقطة والاثنان الخط والثلاثة المثلث والأربعة المربع ، وهكذا وكانوا من ثمت يصفون الأعداد بالأشكال فيقولون الأعداد المثلثة والمربعة والمستطيلة التى تصور بنقط مرتبة بشكل مخصوص فخلطوا بين الحساب والهندسة ومددوا فى المكان مالا امتداد له وحولوا العدد أو الكمية المنفصلة إلى المقدار أو الكمية المتصلة ، ثم لم يجدهم ذلك شيئا في تفسير الطبيعة لأنهم إنما اصابوا خصائص الجسم الرياضى لا خصائص الجسم الطبيعى ولم يفسروا الحركة والكون والفساد وهي أمور بادية فى العالم المحسوس : ولم يبينوا علة ثقل التراب والماء وخفة النار وسائر الخصائص فى الأجسام المحسوسة ولكنهم ركبوا الأجسام الطبيعية من الأعداد ألا أنهم ركبوا أشياء حاصلة على الثقل والخفة . من أشياء ليس لها ثقل ولاخفة)

=

البارى تعالى ، فأول العدد هو الواحد ، وله اختلاف رأى فى انه هل يدخل فى العدد كما سبق ، وميله أكثر إلى أنه لا يدخل فى العـدد فيبتدىء العدد من اثنين . ويقول هو منقسم إلى زوج وفرد ، فالعدد البسيط الأول اثنان ، والزوج البسيط أربعة ، وهو المنقسم بمتساويين ولم يجعل الأثنين زوجا ، فانه لو انقسم إلى واحدين كان الواحد داخلا فى العدد ، ونحن ابتدأنا فى العدد من اثنين ، والزوج قسم من أقسامه فكيف يكون نفسه ، والفرد البسيط الأول ثلاثة ، قال وتم القسمة بذلك وما وراءه فهو قسمة القسمة ، فالأربعة هى نهاية العدد وهى الـكمال ، وعن هـذا كان يقسم بالرباعية . وحق الرباعية التى هى تدبر أنفسنا ، التى هى أصل الـكل ، وما وراء ذلك فزوج الفرد ، وزوج الزوج ، وزوج الزوج والفرد ، ويسمى الخمسة عددا دائرا . فانها

= وفى قصة الفلسفة اليونانية فكر فى كل شىء تر العدد أساسا له ؛ فنسبة الأشياء بعضها الى بعض عبارة عن عدد . فان قلت أن هذه الشجرة أطول من تلك كان معنى ذلك أن الوحدة الطولية فى الشجرة الأولى أكثر عددا من وحدات الشجرة الثانية وهذا النظام الذى يشمل الـكون هو فى حقيقته عدد ايضا لأنك حين تقول ان صفوف الجند مركبة منظمة فانما تعنى بقولك ان الجنود على ابعاد متساوية يفصل كل جندى عن الآخر . عدد من الوحدات القياسيةمساوللذى يليه وهكذا . ثم استمع إلى نغمات الموسيقى وفكر فى أمرها تجدها عدداً كذلك لأنها ليست فى الواقع إلا موجات صوتية ، واهتزازات وترية تقاس بوحدات معروفة فى علم الصوت ويقارن بعضها ببعض بعدد تلك الوحدات ، فلهذا لم تترددالمدرسة الفيثاغورية فى اعتبار العدد أساساً للـكون ، وأصلا لمادته (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٢ قصة الفلسفة اليونانية ص ٣٤) .

إذا ضربتها فى نفسها أبدا عادت الخمسة من رأس ، ويسمى الستة عددا تاما ، فان أجزاءها مساوية بجملتها ، والسبعة عددا كاملا ، فانها مجموع الفرد والزوج ، وهى نهاية (أخرى) والثمانية مبتدأة مركبة من زوجين ، والتسعة من ثلاثة أفراد ، والعشرة وهى نهاية أخرى من مجموع العدد من الواحد إلى الأربعة وهى نهاية أخرى ، فللعدد أربع نهايات ، أربعة ، وسبعة ، وتسعة ، وعشرة ، ثم يعود إلى الواحد فنقول أحد عشر ، وتعدد التركيبات فيما وراء الأربعة على انحاء شتى ، فالخمسة على مذهب من لا يرى الواحد (داخلا) فى العدد فهى مركبة من عدد وفرد ، وعلى مذهب من يري ذلك فهى مركبة من فرد وزوجين ، وكذلك الستة على الأول فمركبة من فردين أو عدد وزوج ، وعلى الثانى فمركبة من ثلاثة أزواج ، والسبعة على الأول فمركبة من فرد وزوج ، وعلى الثانى من فرد وثلاثة أزواج ، والثمانية على الأول فمركبة من زوجين ، وعلى الثاني فمركبة من أربعة أزواج ، والتسعة على الأول فمركبة من ثلاثة أفراد . وعلى الثانى من فرد وأربعة أزواج ، والعشرة على الاول فمركبة من عدد وزوجين ، أو زوج وفردين ، وعلى الثانى فما يحسب من الواحد إلى الأربعة وهو النهاية والكمال ، ثم الاعداد الأخر فقياسها هذا القياس .

قال وهذه هى أصول الموجودات ، ثم انه ركب العدد على المعدود والمقدار على المقدور ، فقال المعدود الذى فيه اثنينيه . وهو أصل المعدودات

ومبدؤها العقل ، باعتبار أن فيه اعتبارين ، اعتبار من حيث ذاته ، وأنه ممكن الوجود بذاته ، واعتبار من حيث مبدعه ، وَأنه واجب الوجود به ، فقابله الاثنان ، والمعدود الذى فيه ثلاثية هو النفس ، إذ زاد على الاعتبارين اعتبارا ثالثا ، والمعدود الذى فيه أَربعية هو الطبيعة إذ زاد على الثلاثة رابعا وتم النهاية ، يعنى نهاية المبادىء وما بعده المركبات فما من موجود مركب إلا وفيه من العناصر ، والنفس والعقل شىء إما عين أو أثر حتى ينتهى إلى السبع ، فيقدر المعدودات على ذلك ، وينتهى إلى العشرة وبعد العقل والنفوس التسعة بافلاكها التى هى أبدانها وعقولها المفارقة ، وكالجوهر وتسعة أعراض ، وبالجملة إنما يتعرف حال الموجودات من العدد ، والمقادير الأول ، ويقول البارى تعالى عالم بجميع المعلومات على طريق الإحاطة بالأسباب ، التى هى الأعداد والمقادير ، وهى لا تختلف فعلمه لا يختلف ، وربما يقول المقابل للواحد هو العنصر الأول ، كما قال انكسمانيس ويسميه الهيولى[1] الأولى وذلك هو الواحد المستفاد لأن

(١) الهيولى فى عرف الحكماء هى الجوهر القابل للاتصال والانفصال وهى محل للصورتين أى الجسميه والنوعيه وهى الهيولى الأولى وأما الهيولى الثانية فهى جسم تركب منه جسم آخر ، كقطع الخشب التى تركب منها السرير والهيولى لفظ يونانى معناه الأصل والمادة وقال بعضهم الهيولى فى الأصل هيئة أولى ، والهيئة ههنا بمعنى الجوهر ، وفى القابسات ، ما الهيولى ، والجواب هى قوة موضوعة تحمل الصور منفعلة وقال ابن سينا فى الرسالة الرابعة ، «أما الهيولى المطلقة فهى جوهر ووجوده بالفعل إنما يحصل بقبول الصورة الجسمية لقوة فيه قابلة للصور ، وليس له فى ذاته صورة تخصه ، الا معنى القوة ، ومعنى قولى لها هى جوهر هو أن وجودها حاصل لها بالفعل

الواحد الذى هو لا كالآحاد ، هو واحد يصدر عنه كل كثرة ، وتستفيد الكثرة منه الوحدة التى تلازم الموجودات ، فلا يوجد موجود إلا وفيه من وحدته حظ على قدر استعداده ، ثم من هداية العقل حظ على قدر قبوله ، ثم من قوة النفس حظ على قدر تهيئه وعلى ذلك آثار المبادىء فى المركبات فان كل مركب لن يخلو عن مزاج لا يعرى عن اعتدال ما وكل اعتدال عن كمال أو قوة كمال ، إما طبيعى إلى هو مبدأ الحركة وإما عن كمال نفساني ، هو مبدأ الحس ، فاذا بلغ المزاج الإنسانى إلى حد قبول هذا الكمال ، أفاض عليه العنصر وحدته ، والعقل هدايته ، والنفس نطقه وحكمته قال ولما كانت التأليفات الهندسية مرتبة على المعادلات العددية عددناها أيضاً من المبادىء ، فصارت طائفة من الفيثاغورسيين إلى أن المبادىء هى التأليفات الهندسية ، على مناسبات عددية ، ولهذا صارت المتحركات السموية ذات حركات متناسبة لحنية[1] ، هى أشرف الحركات ، وألطف

لذاتها ويقال هيولى لكل شىء من شأنه أن يقبل كمالا ماوأمراً ليس فيه ، فيكون بالقياس إلى ما ليس فيه هيولى ، وبالقياس إلى مافيه موضوع .

(١) من المأثور عن الفيثاغورسيين قولهم ان لحركات الأفلاك نغمات ، وحجتهم فى ذلك أن الجسم إذا تحرك بشىء من السرعة أحدث صوتاً هو صوت اهتزاز الهواء أو الأثير ، فلابد أن يكون لحركات الأفلاك فى الأثير العلوى أصوات ، وتتفاوت سرعة الأفلاك بتفاوت مسافاتها كما تتفاوت فى العود سرعة الاهتزازات بتفاوت طول الأوتار فلا بد أن يكون فى السماء ألحان كألحان العود ، وإن كنا لا نشعر بها ، فذلك لأننا نحسها باتصال والصوت لايشعر به إلا بالاضافة إلى السكوت ، ولايبعد أنهم كانوا يخرجون من هذا القول إلى مثل ماخرج اليه اخوان الصفاء حيث قالوا إعلم ياأخى أيدك الله وإيانا بروح منه أنه لولم يكن لحركات أشخاص الأفلاك أصوات ولا نغمات

التأليفات ثم تعدوا من ذلك إلى الأقوال ، حتى صارت طائفة منهم إلى أن المبادىء هى الحروف المجردة عن المادة ، وأوقعوا الألف فى مقابلة الواحد والباء فى مقابلة الاثنين ، إلي غير ذلك من المقابلات ، ولست أدرى قدروها على أى لسان ولغة ، فان الألسن تختلف باختلاف الأمصار والمدن ، أو على

لم يكن لأهلها فائدة من القوة السامعة الموجودة فيهم ، فان لم يكن لهم سمع ، فهم صم بكم عمى ، وهذه حال الجمادات ، الجامدات الناقصات الوجود ، وقد قام الدليل وصح البرهان بطريق المنطق الفلسفى أن أهل السموات وسكان الأفلاك هم ملائكة الله ، وخالص عباده ، يسمعون ويبصرون ويعقلون ويعلمون ويقرءون ويسبحون الليل والنهار لايفترون ، وتسبيحهم ألحان أطيب من قراءة داود للزبور فى المحراب ونغمات ألذ من نفحات أوتار العيدان الفصيحة فى الإيوان العالى ، وإذأن غذاءهم التسبيح وشرابهم التهليل وفاكهتهم الفكر والروية ، والعلم والشعور والمعرفة والاحساس واللذة والفرح والسرور والراحة فاستبان بما ذكرنا أن لحركات الأفلاك والكواكب نغمات وألحانا طيبة ، لذيذة مفرحة لنفوس أهلها ، وأن تلك النغمات والألحان تذكر النفوس البسيطة التى هناك سرور عالم الأرواح التى فوق الفلك والتى جوهرها أشرف من جواهر عالم الأفلاك ، وهو عالم النفوس ودار الحياة التى نعيمها كله روح وريحان فى درجات الجنان ، كما ذكر الله فى القرآن ، ولما وجد فى عالم الكون حركات منتظمة لها نغمات متناسبة ، دلت على أن فى عالم الأفلاك لتلك الحركات المنتظمة المتصلة نغمات متناسبة مفرحة لنفوسها ومشوقة لها إلى مافوقها ، وانه إذا تفكر ذواللب واعتبر تبين له ذلك ، وعلم بأن لها صانعاً حكيما صنعها ، ومركبا حاذقا ركبها ، ومؤلفاً لطيفا ألفها وتيقن بذلك فتزول الشبهة المموهة التى دخلت على قلوب كثير من المرتابين وترتفع الشكوك ، ويتضح الحق ويتبين له أيضا أن فى حركات تلك الأشخاص ، ونغمات تلك الحركات لذة وسروراً لأهلها مثل مافى نغمات أوتار العيدان لذة ، وسروراً لأهلها فى هذا العالم ، فعند ذلك تشوقت نفسه إلى الصعود إلى هناك والاستماع لها والنظر إليها ، كما صعدت نفس هرمس الثالث بالحكمة لما صفت ورأت ذلك ، وهو إدريس النبى عليه السلام واليه أشار بقوله ، (ورفعناه مكانا عليا) (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٦ رسائل اخوان الصفا جزء أول ص ١٥٢ ، ١٦٨)

أى وجه من التركيب، فان التركيبات أيضا مختلفة ،فالبسائط من الحروف مختلف، فيها والمركبات كذلك ، ولا كذلك عدد، فانه لايختلف أصلا وصارت جماعة منهم أيضا، إلي أن مبدأ الجسم هو الابعاد الثلاثة ،والجسم مركب عنها، وأوقع النقطة فى مقابلة الواحد ، والخط فى مقابلة الاثنين والسطح في مقابلة الثلاثة والجسم في مقابلة الأربعة وراعوا هذه المقابلات فى تراكيب الأجسام، وتضاعيف الاعداد ، ومما ينقل عن فيثاغوس أن الطبايع أربعة. والنفوس التى فينا أيضا أربعة، العقل والرأى والعلم والحواس ثم ركب فيه العدد على المعدود، والروحانى على الجسمانى ، قال أبو على بن سينا [1] وأمثل ما يحمل عليه هذا القول ، أن يقال كون الشيء واحدا غير

---

(١) الحكيم الوزير شرف الملك أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا البخارى ؛ كان أبوه من رجال بلخ ، من الكفاة والعمال ، وانتقل إلى بخارى ، أيام الأمير نوح ابن منصور ، واشتغل بالتصرف ، والعمل بقرية خرميثن ، من ضياع بخاري وتزوج بها ، فولد له أبو على فى صفر سنة سبعين وثلاثمائة ، ثم انتقل أبوه إلى بخارى ، وبها قرأ أبو على على معلم القرآن ، ومعلم الأدب فلما بلغ عشرين حفظ أشياء من أصول الأدب ، وأبوه كان يطالع ويتأمل رسالة إخوان الصفا ، وهو أيضاً ، أحيانا يتأملها وكان أبوه يوجهه إلى بقال يعرف حساب الهندسة والجبر والمقابلة ، وقد توجه تلقاء بخارى الحكيم أبو عبدالله الناتلى ، فانزله أبوه ، وآواه وأكرمه ، وقد ابتدأ أبو على بقراءة كتاب إيسا غوجى على الناتلى ، حتى أحكمه ، ثم كتاب اوقليدس ، ثم المجسطى ومن ثم اشتغل أبو على بتحصيل العلوم من الطبيعى والألهى ، ثم رغب فى علم الطب وتأمل الكتب المصنفة فيه ، فكان فيه منقطع النظير ، وكان يختلف اليه الأطباء ، وهو مع ذلك يختلف فى الفقه إلى إسماعيل الزاهد الفقيه ، ولما جاوز الثانية عشرة من عمره أقبل سنة ونصف سنة على العلوم ، فأعاد قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة ، ما نام ليلة بطولها ، ولا اشتغل فى نهاره بغير المطالعة ، وقد جمع بين يديه أسفارا فى ذلك ،

كونه موجودا أو انسانا ، وهو فى ذاته أقدم منهما ، فالحيوان الواحد

حتى أحكم جميع العلوم ، ثم أقبل على العلم الالهي ، وقرأ كتاب ما بعد الطبيعة ، أربعين مرة ، حتى استظهره ، ومع ذلك فلم يفهمه وأيس من نفسه . إلى أنه كان فى سوق الوراقين فعرض سقسير عليه كتاباً فرده أبو على رد متبرم ، معتقداً أن لافائدة في هذا العلم ، فقال الدلال اشتره فانه رخيص بثلاثة دراهم وصاحبه محتاج لثمنه فاشتراه فاذا هو كتاب للفارابى في أغراض مابعد الطبيعة ، فرجع لبيته ، وأسرع فى قراءته ، فانفتح عليه أغراض ذلك الكتاب ، ففرح وتصدق بالكثير شكرا لله تعالى ، ولما مرض الأمير نوح ، وعجز عن شفائه نطس الأطباء دل عليه ، فوسم بخدمته ، وصار أول حكيم توسم بخدمة الملوك ، وكانوا قبلا يترفعون ، عن ذلك ولايقربون أبواب السلاطين ، ثم سأل الأمير أن يأذن له فى الدخول ، إلى دار له فيها بيوت الكتب فأجابه ، فأقبل على مطالعة ما احتاج اليه ، فظفر بفوائدها وعرف مرتبة كل رجل في علمه من المتقدمين ، واتفق أن احترقت دار الكتب ، فاتهموه باحراقها ، ليضيف إلى نفسه علومها ، ونفائسها ، وقد صنف لجاره العروضى المجموع ، وللفقيه أبو بكر الخوارزمى ، كتاب المحصول ، ثم تصرفت به الأحوال وتقلد عملا من أعمال السلطان ولما اضطربت أمور السامانية خرج إلى كركانج عاصمة خوارزم ، فاثبت له فيها مشاهرة تقوم بكفاية مثله ، ثم انتقل عنها إلى بعض البلاد ، وكان يقصد الأمير شمس المعالى قابوس بن وشمكير فيكرم نزله ثم انتقل إلى الرى ، فقزوين ، فهمذان وعالج شمس الدولة ، وصار من ندمائه ، وتقلد له الوزارة ، ثم ابتدأ بالطبيعيات من كتاب الشفاء وكان يجتمع فى داره كل ليلة طلبته ، يدرسون عليه ليلا لاشتغاله نهارا فاذا فرغوا حضر المغنون واشتغل بالشراب ، ثم أخذ في التصنيف والتأليف ، وقد نزل فى قلعة همذان ، فكان يحضر فى ليالى الجمعات مجالس علاء الدولة . مع علماء البلدة وإذا تكلم استفادوا منه فى كل فن ، واشتغل باتمام كتاب الشفاء ، وصنف في الموسيقى ، والهيئة ، وغيرها ، وكان ينظر فى الكتب فى مواضيعها الصعبة ومسائلها المشكلة ، وحضر بين يدى الأمير فعرضت مسألة لغوية ، فشارك ، بمحضره فقال له أبو منصور الجبان إنك حكيم ، ولم تقرأ من اللغة ما يرضى به كلامك ، فاستنكف الشيخ ، وتوفر على درس كتب اللغة ثلاث سنين ، ونظر فى كتاب تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهرى . فبلغ فى اللغة طبقة قلما يتفق مثلها ، وأنشأ ثلاثة قصائد ، ضمنها ألفاظا

لايحصل واحدا إلا وقد تقدمه معنى الوحدة ، التى صار به واحداً ، ولولاه لم يصح وجوده ، فاذا هو الأشرف الأبسط الأول ، وهذه صورة العقل فالعقل يجب أن يكون الواحد من هذه الجهة ، والعلم دون ذلك فى الرتبة لأنه بالعقل . ومن العقل فهو الاثنان الذى يتفرد إلى الواحد ، ويصدر منه كذلك العلم يؤول إلي العقل ومعنى الظن والرأى عدد السطح ، والحس عدد المصمت ، إن السطح لكونه ذا ثلاث جهات ، هو طبيعة الظن الذى هو أعم من العلم مرتبة ، وذلك لأن العلم يتعلق بمعلوم معين . والظن والرأى ينجذب إلى الشىء و نقيضه ، والحس أعم من الظن ، فهو المصمت أى جسم له أَربع جهات ، ومما نقل عن فيثاغورس إن العالم إنما ألف من اللحون البسيطة الروحانية ، ويذكر أن الأعداد الروحانية غير منقطعة بل

غريبة ، وكتب ثلاثة رسائل على طريقة ابن العميد ، والصاحب والصابى ، وأمر بتجليدها واخلاق جلدها ، ثم سأل الامير عرضها على أبى منصور ، وذكر أنه ظفر بها فى الصحراء فنظر فيها أبو منصور ، وأشكل عليه كثير منها ، فأرشده إلى مواطنها من كتب معروفة ، ففطن أبو منصور أن القصائد والرسائل من إنشاء أبي على ، فاعتذر إليه . ثم صنف الشيخ كتابا فى اللغة سماه لسان العرب لم يصنف مثله فكان نادرة عصره فى علمه وذكائه وتصانيفه ومصنفاته تقارب مائة مصنف مابين مطول ومختصر وله رسائل بديعة ، انتفع الناس بكتبه وهو أحد فلاسفة المسلمين ، وينسب اليه البيتان اللذان ذكرهما الشهرستانى . هنا ، وفى أول كتاب نهاية الاقدام وهما

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها … وسيرت طرفى بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر … على ذقن أو قارعا سن نادم

وفضائله مشهورة . وتوفى بهمذان يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة (تتمة صوان الحكمة ص ٣٨ ابن خلكان أول ض ١٩٠)

اعداد متحدة تتجزأ من نحو العقل ، ولا تتجزأ من نحو الحواس ، وعد
عوالم كثيرة ، فمنه عالم هو سرور محض فى أصل الابداع ، وابتهاج وروح
فى وضع الفطرة ومنه عالم هو دونه ومنطقها ليس مثل منطق العوالم
العالية ، فان المنطق قد يكون باللحون الروحانية البسيطة ، وقد يكون
باللحون الروحانية المركبة ، والأول يكون سرور هادئا غير منقطع ، ومن
اللحون ما هو بعد ناقص فى التركيب ، لأن المنطق بعد لم يخرج إلى الفعل
فلا يكون السرور بغاية الكمال ، لان اللحن ليس بغاية الاتفاق ، وكل
عالم هو دون الاول بالرتبة ، وتتفاضل العوالم بالحسن والبهاء والزينة ، والآخر
ثفل العوالم وثقلها وسفلها ، وكذلك لم تجتمع كل الاجتماع ، ولم تتحد الصورة
بالمادة كل الاتحاد وجاز على كل جزء منه الانفكاك عن الجزء الآخر
إلا أن فيه نورا قليلا من النور الأول ، فلذلك النور وجد فيه نوع ثبات
ولولا ذلك لم يثبت طرفة عين ، وذلك النور القليل جسم النفس والعقل
الحامل لهما فى هذا العالم ، وذكر أن الانسان بحكم الفطرة واقع فى مقابلة
العالم كله ، وهو عالم صغير ، والعالم إنسان كبير ، ولذلك صار حظه من النفس
والعقل أوفر ، فمن أحسن تقويم نفسه ، وتهذيب أخلاقه ، وتزكية أحواله
أمكنه أن يصل إلى معرفة العالم ، وكيفية تأليفه ، ومن ضيع نفسه ، ولم يقم
بمصالحها من التهذيب والتقويم ، خرج من عداد العدد والمعدود ، وانحل
عن رباط القدر والمقدور ، وصار ضياعا همملا ، وربما يقول النفس[1] الانسانية

(١) أما النفس فقد وصلت الينا عن الفيثاغورسيين أقوال متباينة فيها فنحن نجد
عند أفلاطون رأيا لبعضهم يقول إن النفس نوع من النغم ومعنى ذلك أن الحى مركب

تأليفات عددية أو لحنية ، ولهذا ناسبت النفس مناسبات الالحان، والتذت بسماعها، وطاشت وتواجدت بسماعها وجاشت، ولقد كانت قبل اتصالها بالابدان قد أبدعت من تلك التأليفات العددية الأولي ، ثم اتصلت بالابدان، فان كانت التهذيبات الخلقية على تناسب الفطرة، وتجردت النفوس عن المناسبات الخارجة ، اتصلت بعالمها ، وانخرطت فى سلكها ، على هيئة أجمل وأكمل من الاول ، فان التأليفات الأول قد كانت ناقصة من وجه حيث كانت بالقوة وبالرياضة والمجاهدة فى هذا العالم ، بلغت إلى حد

من كيفيات متضادة (الحار والبارد واليابس والرطب) والنغم توافق الأضداد وتناسبها بحيث تدوم الحياة مادام هذا النغم وتنعدم بانعدامه ، وهذا من غير شك نظرية أطباء الفرقة أو نفر منهم صدروا فيها عن فكرتهم العامة (العالم عدد ونغم) وخالفوا أموراً جوهرية في مذهبهم فان النغم نتيجة توافق الاضداد ، فاذا كانت النفس نغما لزم من جهة أن ليس لها وجود ذاتي ، والفيثاغورية تؤمن بالخلود ولزم من جهة أخرى أن ليس لها وجود سابق على عناصر البدن والفيثاغورية تؤمن بالتناسخ على أن أرسطو إذ يذكر هذه النظرية لايعزوها للفياغوراسيين ولكنه يضيف اليهم صراحة قولين ، الواحد أن النفس هى هذه الذرات المتطايرة فى الهواء ، والتى تدق عن إدراك الحواس ، فلا تبصر إلاّ فى شعاع الشمس وتتحرك دائما حتى عند سكون الهواء ، فكأن أصحاب هـذا الرأى أرادوا أن يفسروا الحركة الذاتية فى الحيوان فاعتقدوا أن هذه الذرات المتحركة دائما تدخل جسمه وتحركه ولعلهم ظنوا أن هذا التطور يفسر أيضاً كون المولود يجد ساعة ميلاده نفسا تحل فيه وهم على كل حال يتابعون معاصريهم فيتصورون النفس مادية وان جعلوها مادة لطيفة جداً ويذهب القول الآخر إلى أن النفس هى المبدأ الذى تتحرك به هذه الذرات وهو قول يخيل الينا أن رأيهم الحق ، وهو أرقى من القولين السابقين وجامع لهما ، بحيث تكون النفس عندهم مبدأ أو علة توافق الاضداد فى البدن وعلة حركته جميعا

(تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٣)

الكمال ، خارجة عن حد القوة إلي حد الفعل، قال والشرائع التى وردت بمقادير الصلوات والزكوات ، وسائر العبادات ، إنما هى لإيقاع هذه المناسبات فى مقابلة تلك التأليفات الروحانية ، وربما يبالغ فى تقرير التأليف حتى يكاد يقول ليس فى العالم سوي التأليف ، والأجسام والأعراض تأليفات والنفوس والعقول تأليفات ، ويعسر كل العسر تقرير ذلك نعم تقدير التأليف على المؤلف، والتقدير على المقدر أمر يهتدى به، ويعول عليه وكان خرسبوس وزينون الشاعر متابعين لفيثاغورس على رأيه فى المبدع والمبدع ، إلا أنهما قالا البارى تعالى أبدع النفس والعقل دفعة واحدة ، ثم أبدع جميع ما تحتهما بتوسطهما، وفى بدء ما أبدعهما لا عوتان ، ولا يجوز عليهما الدثور والفناء وذكرا أن النفس إذا كانت طاهرة زكية من كل دنس، صارت فى العالم الاعلى إلى مسكنها الذى يشاكلها ويجانسها ، وكان الجسم الذى هو من النار والهواء جسمها فى ذلك العالم مهذبا من كل ثقل وكدر ، فأما الجرم الذى من الماء والأرض ،فإن ذلك يدثر ويفنى ،لانه غير مشاكل للجسم السماوي ، لأن الجسم السماوى لطيف لاوزن له ولا يلمس فالجسم فى هذا العالم مستبطن فى الجرم ،لانه أشد روحانية ، وهذا العالم لا يشاكل الجسم ، بل الجرم يشاكله ، وكل ما هو مركب والأجزاء النارية والهوائية عليه أغلب كانت الجسمية أغلب وهو مركب ، أو الاجزاء المائية والأرضية عليه أغلب كانت الجرمية ، أغلب وهذا ، العالم عالم الجرم ، وذلك العالم عالم الجسم ، فالنفس فى ذلك العالم

تحشر[1] فى بدن جسمانى لا جرمانى وأنها لايجور عليه الفناء والدثور ، ولذته

(١) فالفيثاغورية تؤمن بالتناسخ ، وكان يقول بأن الأرواح لا تفنى غير أنها تسوح فى الهواء من جهة إلى أخرى ، إلى أن تصادف جسما أيا كان فتدخل فيه فمثلا إذا خرجت الروح من جسد الإنسان ! فيتفق أن تدخل فى جسم فرس أو ذئب أو حمار ، أو فأر أو طائر ، أو سمكة أو غير ذلك من باقى أنواع الحيوانات كما يتفق أنها تدخل فى جسد الانسان أيضا من غير فرق كما أنها إذا خرجت من جسم أى حيوان تدخل فى جسم إنسان أو حيوان فلذلك كان فيثا غورس يشدد فى منع أكل الحيوانات ، وكان يزعم أن ذنب من يقتل الذبابة أو الزنبور أو غيرهما من الهوام مثل ذنب الذى يقتل إنساناً ، حيث ان سائر الأرواح ، واحدة متنقلة فى جميع الحيوانات ، وأراد فيثاغورس أن يثبت لجماعة مذهبه في تناسخ الأرواح فأخبرهم أنه كان سابقاً فى جسد اسمه ايثاليديس وادعى أنه كان ابن عطارد من آلهة اليونان وكان عطارد يقول له إذ ذاك سل منى ماتحب تعطه ماعدا البقاء واالدوام حتى يتم غرضك ومقصودك فطلب منه أن يعطيه قوة تذكر جميع الأشياء ، التى تحصل له فى الدنيا فى حياته وبعد مماته ، ومن ذلك الوقت صار عالما بجميع مايقع فى الدنيا ، وأخبرهم أيضا بأنه لما خرج من جسم ايثاليديس انتقل إلى جسم أوفوربه وكان حاضراً فى حصار مدينة ترواده وجرحه شخص يسمى منيلاس جرحا شديداً وبعد ذلك خرج إلى جسم هرموتيموس وفى هذا الزمن أراد أن يثبت للناس ماوهبه عطارد فذهب إلى بلد ايرانخيدس ودخل هيكل أوبولون وأراهم فيه درقته البالية التى كان سلبها ، مبنيلاس حين جرحه ونذرها لذلك الهيكل دليلا على نصرته ، ثم انتقل إلى جسم صياد يسمى بوروس ثم إلى ذلك الجسد الذى هو فيثاغورس ، وقد قال انه حين سفره في أودية جهنم رأى روح الشاعر هزيودس مسلسلة فى الأغلال ومصلوبة فى اسطوانة وتقاسى الشدائد ، ورأى أيضا روح هوميرس معلقة فى شجرة ، وقد احتاطت بها الأفاعى من كل جانب ، عقابا له على أكاذيبه التى كان ينسبها للآلهة ، ورأى أرواح الرجال الذين كانوا لايحسنون العشرة مع نسائهم ويسيئونهن ، فى شدة من العذاب ، فى أودية جهنم ، وهو يرى أن النفس بعد أن تهبط إلى الجحيم تتطهر بالعذاب ، ثم تعود إلى الأرض تتقمص جسما بشريا أو حيوانياً أو نباتياً ولاتزال مترددة بين الأرض والجحيم حتى يتم تطهرها ، مثل ماقالت الأورفية ، الذين ، ذهبوا إلى أنه سيأتى اليوم

تكون دائمة لاتملها الطباع والنفوس ، وقيل لفيثاغورس لمقلت بإبطال العالم ، قال لأنه يبلغ العلة التى من أجلها كان، فاذا بلغها سكنت حركته وأكثر اللذات العلوية هى التأليفات اللحنية وذلك كما يقال التسبيح والتقديس غذاء الروحانيين ، وغذاء كل موجود ، هو مما خلق منه ذلك الموجود

وأما ايراقليطس (١)

الذى تنجو فيه النفس الصالحة من دولاب الولادات وتستعيد طبيعتها الالهية فتحيا حياة روحية فى العالم غير المنظور ومن مبادئهم أيضاً احترام الحياة حيثما وجدت فى الانسان والحيوان والنبات (ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص ٦٣ تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٤ و ٧) .

(١) ايراقليطس ، أو هرقليطس ولد فى افسوس من أعمال آسيا الصغرى حوالى سنة ٥٤٠ أو سنة ٥٣٥ ق م ، من أسرة نبيلة لها منزلتها العالية بين أهل المدينة . وقد درج صعدا فى وظائف المدينة حتي حل أسمى مناصبها فكان حاكمها ذا السلطان وكان أبرز مافى خلقه شعوره بالعظمة والكبرياء ، فلم تكن عامة الشعب خليقة عنده بنظرة عطف ولا هى جديرة بأن ينزل الى مستواها من عليائه ليشاطرها أسباب العيش وهم فى رأيه قطعان غنم حقت عليهم الضعة والهوان . ولم يكن فى الحقيقة من تلاميذ أحد ، وإنما كانت معارفه العظيمة وفصاحته ، وبراعته ناشئة من عقله وقوة فطنته ، لا بالتلقى والحضور على معلم ، وكان يسمى بالفيلسوف المعمي ، لانه كثير الصمت ولا يتكلم الا بالالغاز ، ولهذا اعتبره من نقل عنه الشهرستانى ، أنه من تلاميذ فيثاغوراس لأنه احتذى طريقته فى الاشارات والالغاز ، هذا ، وقد كان هرقليطس يقول إنه يلزم طرد كتب اوميروس ، وارخيلوقوس من سائر المواضع . وكان دائم البكاء ، ويباين فى هذا دومقريطس فى استمرار ضحكه على الناس ، في أفعالهم وقد ألف هرقليطس كتاباً فى علم الطبيعة وجعله بهيكل ديانه وسلك فى كتابته طريقا صعبة بحيث لم يفهمه إلا أكابر العلماء وذلك خيفة من أن يطلع عليه عامة الناس فيرخص عندهم وتقل الرغبة فيه ، واشتهر شهرة عظيمة ، وقد سمع به دريوس ملك العجم .

واباسيس[١] فقد كانا من الفيثاغورسيين ، وقالوا إن مبدأ الموجودات هو النار ، فما تكاثف منها وتحجر فهو ، الأرض وما تحلل من

فطلبه يفهمه معانى الكتاب ، ويكافئه مكافأة عظيمة ، فلم يرض هيرقليطس بذلك ، وكتب رسالة نثرية ضمنها آراءه الفلسفية كانت معروفة فى عهد سقراط ، وقد توفي سنة ٤٧٥ ق م (قصة الفلسفة اليونانية ص ٥٦ ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص ٦٤).

(١) كان لفيثاغوراس ، تلامذة كثيرة ، وكان الملازمون له أكثر من ثلاثمائة تلميذ فتألف منهم جمهورية صغيره مرتبة ترتيباً حسناً ، وكان فيثاغوراس يقول ؛ إن جميع ما للمحبين شيوع بينهم ، وإن المحبة ترث المساواة بين الأحباب ، فلذلك كانت تلامذته متحدين ، لايتميز أحد منهم بشيء يخفيه بل كان كل مايملكونه لجميعهم فدراهمهم ودنانيرهم واحدة وكان التلميذ يمكث خمس سنواته الأول ، فى استماع أصول معلمه ، من غير أن يتفوه فى تلك المدة بكلمة واحدة ، ثم بعد هذا الامتحان الطويل ومقاساة تلك الشدة يؤذن له فى الكلام ، وأن يحضر عند فيثاغوراس لزيارته والمحاورة معه ، وكان يؤلف بين تلاميذه ويغرس فى نفوسهم حب بعضهم بعضاً ، وكان ربما علمهم وكلمهم بالاشارة كقوله لهم لاينبغى لكم ألا تقسطوا فى الميزان ، يعنى بذلك لاتخرجوا عن حد القوانين ولاتحيدوا عنها أبداً ، وكان يقول لاتجعلوا الزاد الحاضر وطاء كم يكنى بذلك عن عدم الاكتفاء بالحالة الراهنة ، بل ينبغى أن يستشرف إلى المستقبل ، ويجب الاهتمام به ، وكان دائماينبههم إلى أن كلا منهم ، وجب أن يختلى بنفسه وقتاً من آخر يومه ، يحاسب فيه نفسه ، ويخاطبها ، يانفس كيف قضيت يومك هذا وأين كنت فيه ، وماذا صنعت فيه ، من خير ، أو شر ، وكان يأمرهم ، بالاقتصاد فى ظواهر أحوالهم ، وموافقة بيئتهم وبير الوالدين وأن يتمرنوا على الألعاب الرياضية حتى لاتغلظ أجسامهم ، وأن يحترموا كبارهم ، ولايقتلوا أعمارهم فى السفر ، وقد كان لتلاميذه أثر كبير فى الفلسفة والعلوم ، ومن أشهر تلاميذه الأولين فيلولاس واباسيس ، ويعزو بعضهم كتبا إلى تلاميذه القدامى ، والحق أنها منحولة ، فلم تظهر كتب للفيثاغوراسيين إلا فى العهد الثانى (ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص ٦١ وتاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢١)

الأرض بالنار صار ماء ، وما تحلل من الماء بالنار صار هواء ، فالنار مبدأ وبعدها الأرض ، وبعدها الماء ، وبعدها الهواء ، وبعدها النار والنار هى المبدأ(١) وإليها المنتهى ، فنها الكون ، وإليها الفساد

وأما أبيقورس الذى تفلسف في أيام ديمقراطيس وكان يرى أن مبادىء(٢)

---

(١) كان هيرقليطس يزعم أن النار هى الأصل الأول لجميع الأشياء وكان يقول إن عنصر النار يتغير بالتكاثف حتى يصير هواء وهذا الهواء أيضا يتغير بالتكاثف أو يصير ماء وكذلك عنصر الماء يصير بالتكاثف تراباً ، ثم ينعكس التغير فاذا تفرق التراب تغير وصار ماء ثم الماء بالتفرق هواء والهواء نارابه . فالأصل الأول لجميع الأشياء هو النار ، وكان يقول أنه لايوجد فى العالم غير هذا ، وقد تم الايجاد فلاأبدع منه وأن هذا العالم قد نشأ وتركب من النار ، فليست هذه الحياة التى تدب فى الأحياء وهذا النشاط العقلى الذى يميز الانسان إلا قبسا من تلك النار فكلما كثرت النار فى جسم إزدادت حيويته ، واشتد نشاطه ، وكلما أظلم الشيء أى قل مافيه من نار . كان أقرب إلى الموت وادخل فى عالم اللاوجود . وإذا كانت هذه النفس الانسانية التى تحملها بين جنبيك شعلة من تلك النار الأبدية ، فهى بحاجة إلى وقود يغذيها وهى تحصل على غذائها هذا من طريقين ، الحواس ، والنفس ، فهما ينقلان اليها من الحياة الخارجية صوراً من ناحية وهواء أى ناراً ، من ناحية أخرى يعوضانهاماعساها أن تفقده فليست النفس الانسانية منفصله مستقلة عن الحياة العامة الكونية التى تغمر الوجود وتغلغل فى أجزائه ، وانحائه بل هى جزء منها مرتبطة بها وإذا ما انقطعت بينهما أسباب الاتصال فقدت النفس حيويتها وأدركها الموت وكان يزعم أن الكون ممتلىء من الجن والعقول . وأن الاله لما قضى أزلا بوجود هذه الأشياء تركها لتدبير خلقه . أما كلامه في الروح فكان يقول إنى أفنيت عمرى فى البحث عنها بلا طائل ، فلم أظفر بحقيقتها لشدة خفائها (ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص٧١ قصة الفلسفة اليونانية ص ٦٣)

(٢) اتفق الفلاسفة على أنه حسبما جرت به عادة الطبيعة ، لايصدر موجود عن معدوم ولا يؤول موجود إلى العدم لما قد صح بالتجربة أن الأجسام يتكون بعضها من آثار بعض . فينتج من هذا أن لها سبباً وهذا السبب هو الذى يسمونه مادة

الموجودات أجسام تدرك عقلا ، وهى كانت تتحرك من الخلاء فى الخلاء

أولية واختلفوا فى بيان هذه المادة الأولية فزعم أبيقور أنها الذرات يعنى أجسام دقيقة بسيطة ، فزعم أن سائر الأجسام تتركب منها ، وذهب أيضا إلى أصل ثان ، وهو الفراغ ولكن لم يجعله أصلا لتركيب الأجسام وانما يقول إنه أصل لحركاتها ، لأنه لو لم يكن للفراغات الصغيرة انتشار فى جميع الأجسام ، لم يمكن تحرك شىء بل كانت أجرام المادة تبقى متلاصقة ، بعضها ببعض ، كالصخرة الواحدة فلا يتولد عنها شىء وكان يقول بقدم هذه الذرات وانه لايعقل عدد صورها وأن أمكن حصره، ولكن لكل صورة من هذه الصور مالا يحصى ، من الذرات ، وزعم أن زنة الذرات هو السبب فى حركاتها فبتصادمها تشتبك بعضها ببعض ، وأن اختلاف طرق ترتيبها وانتظامها يتولد عنه مايشاهده فى الكون من الآثار المختلفة ، من غير أن يكون شىء من هذه الآثار معلولا لعلة غير تلك ، المصادمة التى تقع بين عدة مقادير من الذرات مختلفة الصور ، وكان يشبه هذه الذريات بحروف المبانى حيث يحدث عنها كلمات مختلفة على حسب اختلاف المادة التى تتركب منها الكلمات في الحروف ، مثلا كلمة بكر وركب وكرب وربك كلمات مختلفة مع اتحاد حروفها وليس اختلافها إلا من اختلاف هيئة التركيب بالتقديم والتأخير فكذلك الذرات التى يتقدم منها بعض الأجسام إذا كانت مرتبة على وجه معين تكون منها صورة كذا وإذا رتبت على وجه آخر تكونت منها صورة أخرى ، ولكن مع ذلك ، فلا يقول بأن جميع الذرات أيا ما كانت صالحة للدخول فى تركيب سائر الأجسام أيا كانت فمن الظاهر أن الذرات التي تكون فرو الصوف لاتصلح أن تكون للماس ، كما نشاهد أن كثيراً من الكلمات يباين غيره ، فى سائر حروفه ، وكان يزعم أن هذه الذرات الصغيرة دائمة الحركة ، وهذا هو العلة فى كون مافى الوجود من الحوادث لايدوم بحالة واحدة بل يصغر تارة ويعظم أخرى ، بما ينضم اليه مما نقص من الآخر وبعضها يقدم ، والآخر يأخذ فى الزيادة والقوة ، يوما فيوما فبناء على ذلك ، لايمر على الشيء الواحد إلا زمن واحد وكلما أخذ في الفساد انتزعت منه أجزاء وانضمت إلى آخر ، وصنعت فى العادة جسما يخالف ماتحللت منه ، فهذا لايفسد شىء أبداً ، وان لم يبق الا زمنا واحداً وانما يتراءى أن الشيء يزول للزوال كأنه انعدم بالكلية .

(ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص ١٧١)

لا نهاية له ، إلا أن لها ثلاثة أشياء الشكل والعظم والثقل

وديمقراطيس كان يري ان لها شيئين ، العظم والشكل فقط ، وذكر أن تلك الأجسام لا تتجزأ أى لا تنفعل ولا تنكسر ، وهي معقولة أى موهومة غير محسوسة ، فاصطكت تلك الاجزاء فى حركاتها اضطرارا وَاتفاقا ، فحصل من اصطكاكها صور هذا العالم ، واشكالها وتحركت على انحاء من جهات التحرك ، وذلك هو الذي يحكى ، عنهم أنهم قالوا بالاتفاق فلم يثبتوا لها صانعا أوجب الاصطكاك وأوجد هذه الصورة وهؤلاء قد أثبتوا الصانع وأثبتوا سبب حركات تلك الجواهر . واما اصطكاكها فقد قالوا فيها بالاتفاق ، فلزمهم حصول العالم بالاتفاق والخبطة[١] وكان لفيثاغورس تلميذان رشيدان يدعي أحدهما فلنكس ويعرف بمرزنوش قد دخل فارس ، ودعا الناس إلى حكمة فيثاغوس ،

(١) كان أبيقور يزعم أنه مر على الذرات زمن وهى متفرقة ، ثم اجتمعت مصادفة واتفاقا ولا تزال تتكون منها دنيا ، وبزوالها تتكون غيرها وهكذا وهذا الزوال إما بواسطة نار كما إذا دنت الشمس جداً من الأرض فاحرقتها وأما بهزة مهولة تقلب جميع الأشياء وتفسد دولاب العالم ، وبالجملة ، فهلاك كل دنيا يحصل بسبب من أسباب عديدة ولكن من آثار هلاكها تتركب دنيا أخرى ، والدنيا التى نحن بها الآن انما هى اجتماع آثار مابقى من حوادث مهولة وقعت فى سالف الأزمان كما يشهد لذلك مايشاهد فى البحار من المهاوى التي لاقاع لها وسلاسل الجبال الشامخة وطبقات الصخرات الطويله العريضة ، المختلفة الأوضاع المتباينة التقاطع ،ويشهد لذلك أيضا اختلاف مابباطن الأرض من المعادن ، والانهر التى تحت الأرض ، والبحيرات الكامنة فيها والمغارات والكهوف ويشهد لذلك أيضا مافوق سطح الأرض من التقاطع فانك تجدها مشقوقة بالبحار والبطائح والبواغيز والجزر والجبال .

(ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص ١٧٢)

وأضاف حكمته إلى مجوسية القوم ، والآخر يدعى قلانوس دخل الهند ودعا الناس إلى حكمة (فيثاغورس) وأضاف حكمته إلى برهمية القوم إلا أن المجوس كما يقال أخذوا جسمانية قوله والهند أخذوا روحانيته ومما أخبر عنه فيثاغوس وأوصى به ، قال إنى عاينت هذه العوالم العلوية بالحس بعد الرياضة[1] البالغة ، وارتفعت عن عالم الطبايع إلي عالم النفس وعالم العقل ، فنظرت إلى ما فيها من الصور المجردة ، ومالها من الحسن والبهاء والنور ، وسمعت مالها من اللحون الشريفة، والأصوات الشجيةالروحانية، وقال إن مافى هذا العالم يشتمل على مقدار يسير من الحسن لكونه معلول الطبيعة وما فوقه من العوالم أبهى وأشرف وأحسن ، إلى أن يصل الوصف إلى عالم النفس والعقل فيقف ، فلا يمكن المنطق وصف ما فيها من الشرف والكرم والحسن والبهاء ، فليكن حرصكم واجتهادكم على الاتصال بذلك العالم ، حتى يكون بقاؤكم ودوامكم طويلا بعد عالمكم من الفساد والدثور ، وتصيرون إلى عالم هو حسن كله وبهاء كله ، وسرور كله وعز وحق كله ، ويكون

(١) ذهب الفيثاغوراسيون فى تعاليمهمالدينية إلىالسعادة . يحصلعليها الانسان بصفاء نفسه . وتحررها بالاعتدال والنظام والتوافق ، وللحصول على مأربهم نصحوا بالرياضة . وكان فيثاغوراس . يذهب فىفلسفته ، إلى أن يحول الناس ، عن الامتلاء إلى التقليل لأنه الأولى بهم والأحسن لما يترتب عليه من الصحة وعدم شغل البال والفكر فيتفرغ العقل لوظائفه ، وأحب أن يضرب المثل بنفسه ، فكان لايكاد أن يشرب الا القراح . وكان لايتجاوز فى غذائه العيش والعسل والفاكهة والخضر ماعدا الفول فانه كان يتباعد عنه ولا يعلم لذلك سبب ، بله مافى التقليل من صفاء النفس . ونقائها ، إلى حضهم على التربية الموسيقية ، ليخرج الانسان من هذه الحياة إلى حياة هى روح وريحان ونعيم وإحسان ؟ .

سروركم ولذتكم دائمة غير منقطعة ، قال ومن كانت الوسائط بينه وبين مولاه أكثر ، فهو فى رتبة العبودية أنقص وإذا كان البدن مفتقرا فى مصالحه إلى تدبير الطبيعة ، وكانت الطبيعة مفتقرة فى تأدية أفعالها إلى تدبير النفس وكانت النفس مفتقرة في اختيارها الأفضل إلى إرشاد العقل ولم يكن فوق العقل فاتح إلا الهداية الالهية ، فبالحرى أن يكون المستعين بصريح العقل فى كافة المعارف مشهودا له بفطنة الاكتفاء بمولاه ، وأن يكون التابع لشهوة البدن المنقاد لدواعى الطبيعة والمواتى لهوي النفس بعيدا من مولاه ناقصا فى رتبته .

رأى سقراط

سقراط [1] بن سفرنيسقوس الحكيم الفاضل الزاهد ، من

---

(١) سقراط ويعرف بسقراط الحب ، لأنه سكن حبا وهو الدن مدة عمره ، ولد فى السنة الرابعة من الاولمبياد السابع والسبعين ، حوالى سنة ٤٧٠ ق م ؛ بأثينا من أب يحترف صناعة التماثيل وأم قابله ، واسم ابيه سوفروزين ، نشأ محبا للحكمة ، وقد وهبه الله خلقا كريما وحباه عقلا حكيما وكان مع هذا يعلن أنه لا يعرف شيئا ، وليس حكيما ولكنه فيلسوف (محب للحكمة) فكثيرا ما قال « أنا أعرف شيئا واحدا وهو أنى لا أعرف شيئا ، وقد أخذ يتلمس الحكمة من أى منحى ، وينشدها ممن يصادف . فأخذ عن انكسغوراس ، ثم على ارخيابوس . الطبيعي ، غير أنه رأى أن النظر فى الطبيعيات لا يجدى نفعا ، ولا تجعل للفلسفى خصالا حميدة فأخذ فى علوم الآداب والأخلاق . حتى قيل أنه واضع الحكمة العملية الأدبية ، وقد مهر فى طريقة الحوار حتى يستخلص منه النتيجة كأنها قضية صحيحة معروفة .

فاستخرج الفلسفة من حيز الخفاء كشف ما ينبغى احتذاؤه فاشتغل بالبحث عن حميد الخصال . وذميمها ، وعن الخير ، والشر ، وبعد عمايتعلق بالنجوم والكواكب لبعدها عن الادراك والمعرفة ، وأنه لا جدوى فى عرفانها ، لتهذيب الأخلاق ، ونقائها ، وكان أبعد الناس عن الشر ، والقتال ، وتحبب إلى الناس وكان يقول ينبغى للعاقل أن يسلك ما يرشده إليه العقل السليم والطبع القويم ، وقد اتهمه ماليطوس ، بتهم منها أنه لا يعتبر الآلهه المعبودة عند أثينا ، وأنه احدث له معبودا ولكن الواقع ، أن سقراط كان يأمر كل من يسأله فى شأن ذلك ، باتباع ما ينطق به كهنة هيكل الشمس دلفيس ، وهما معبودا الأثنيين وطريقته فى القربان كطريقتهم ، يقرب ما فى وسعه ، ويزعم أن قربان الفقراء أعظم وأقرب من قربان الأغنياء ، وأن المرضى عند المعبود ما يصدر من أهل الصلاح ويرى ان لا شيء أوفق للدين ، وأسهل من الصلاة والدعاء للمعبود على أنه ينبغى ، للداعي أن لا يطلب معينا ، بل يفوض إليه ، ما يكون فيه صلاح نفسه ، وإنه كان يذهب فى القضاء والقدر مذهب الموحدين المخلصين ، فوق ما ذكرناه ، من أنه يرى ، ان العلم انما هو العلم بالنفس لأجل تقويمها ، وقد اتخذ شعارا له كلمة قرأها في معبد دلف . وهى اعرف نفسك بنفسك ، وإنه من الناحية الخلقية كان يغالب مزاجه الحاد ويقسو على جسمه القوى ليروضهما على طاعة العقل . وقد عرف عنه انه لا يشغله عن الحق شاغل ، وكان عيوفا زاهدا ، يبذل حكمته بالمجان ، ويعلن كراهته لصلف الأعيان واستبدادهم ولنظام حكم الديموقراطيه ، مما جر عليه اتهامهم إياه ، بتهم ثلاث الأولى انكاره آلهة اليونان ، والثانية دعوته إلى آلهة جديدة ، والثالثة افساد الشباب الذى فتن به والتف حوله ، افتتانا بسحر حواره ، وكلها قائمة على أساس ينبو عن الصحة فالجريمة الأولى وهى انكار الآلهة ، فهى إن جاز توجيهها إلى من سبقه من الفلاسفة فانها لا يجوز أن يتهم بها سقراط ، فانه كان عف اللسان نحو الالهة . بل كثيرا ما ساهم فى تقديسهم ، أما الثانية وهى الدعوة لآلهة جديدة ، فانها قائمة على ما ذهب إليه من انه مسير بصوت باطنى يوحى إليه عما يقول وما يفعل ، وهذا لا كفاء فيه لاتهامه ، أما الثالثة وهى افساده للشباب ، فقول باطل مردود ، فلو كان لسقراط فى نفوس الشباب من أثر فهو التهذيب والاصلاح

أهل أثينية ، وكان قد اقتبس الحكمة من فيثاغورس[1] وارسالاوس

غير أنه لما كان قد هاجم الديموقراطية ، ونقد الاستقراطية ، نقم عليه مخالفوه ، وتقدم بالتهمة ضده ثلاثة من أعدائه ، وكان المألوف أن يقف المتهم أمام قضاته باكيا مستعطفا مسترحما وان يقدم زوجه وأبناءه اثارة للعطف والرحمة ولكن سقراط أبى ذلك على رجولته ، فى عزوف ، وشمم ، وقد زادت دهشة القضاء وثارت ثائرتهم عندما وقف سقراط بدافع عن نفسه ، غير منصرف لرد اتهامه ، أو تبرئة نفسه لكنه أخذ يرثى لقضاته فى موقفهم المخزى ويظهر توجعه لما أصاب النفس من فساد ويود أن لو استطاع أن يتمم المهمة التى بدأها وهى تطهير الشباب من نزعة الشر والفساد ، ولو أنه استرحم قضاته لظفر بالبراءة ولكنه تسامى عن ذلك فى شمم وإباء فصدر الحكم بثبوت التهمة عليه ، تمهيدا لحكم يليه يحدد فيه الجزاء ، وكان القانون ينص على أنه إذا ثبتت تهمة على متهم ، وجب أن يقترح المدعي عليه عقوبة أخرى ، ثم يترك للقضاء اختيارما يراه من العقوبتين ، فاقترح متهموه عقوبة الاعدام ، وطلب إلى سقراط ابداء اقتراحه ، فأجاب فى تهكم لاذع بأنه لم يرتكب جرما ولكنه عنى بالاصلاح ، وإذا كان لا بد من ابداء رأيه فيما يستحق من الجزاء فهو أن يتربع منصباً فى مجلس القضاء جزاء وفاقا لما قدم للشعب من خير ، فثارت ثائرة القضاة وقرروا إعدامه ، قضى سقراط فى سجنه ثلاثين يوما ينتظر تنفيذ الموت ، وكان أصدقاؤه يغرونه خلالها بالفرار ، وكان الفرار سهلا سهوا ، وقديما فر انا كسجوراس من سجنه بمعونة بركليز ، وان قليلا من الدنانير تقدم للحارس ، كانت تكفى لتمهيد الهرب فأبى ان يستمع إلى إغرائهم ، ورفض الفرار من الموت ، فذلك جبن وخور وواجب على الفرد طاعة القانون ، فاذا ما قضى بالموت ، وجب أن تقدم النفس طائعة ، فلما جاء اجله المحتوم قدم له قدح من السم تجرعه فى إقدام ، وكانت وفاته حوالى سنة ٤٠٠ ق م (ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص ٨٧ اخبار العلماء ص ١٣٥ قصة الفلسفة اليونانية ص ١٠٩)

(١) ما ذهب إليه الشهر ستانى ، من أن سقراط قد اقتبس الحكمة من فيثاغورس ، وما ذهب إليه القفطى من أنه كان من تلاميذ فيثاغورس ، يظهر منه ، أنه عاصر فيثاغورس ، وأخذ منه ولكن الواقع ان فيثاغورس توفى

واقتصر من أصنافها على الإلهيات والأخلاقيات . واشتغل بالزهد ورياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، وأعرض عن ملاذ الدنيا . واعتزل إلى الجبل ، وأقام فى غار به ، ونهى الرؤساء الذين كانوا فى زمانه عن الشرك ، وعبادة الأوثان ، فثوروا عليه الغاغة [١] والجأوا الملك إلى قتله ، فحبسه الملك ثم سقاه السم ، وقصته معروفة ،قال سقراط إن البارى تعالي لم يزل هويته فقط ، وهو جوهر فقط ، وإذا رجعنا إلى حقيقة الوصف والقول فيه وجدنا النطق والعقل قاصرا عن اكتناه [٢] وصفه ، وتحققه وتسميته

سنة ٤٩٧ ق م ، وسقراط ولد حوالى ٤٧٠ فولادة سقراط بعد موت فيثاغوراس بحوالى سبع وعشرين سنة ، والظاهر أنه لما كان لسقراط وصايا شريفة ، وآداب فاضلة ، وحكم مشهورة ومذاهب فى الصفات قريبة من مذاهب فيثاغوراس . فذهب الشهرستانى ، إلى أن حكمته مقتبسة منه ، كما ذهب القفطى أنه من تلاميذه ، وبخاصة أن الفيثاغوريين كانوا من مريديه ، وممن يلتفون حوله وبخاصة . أن ما بسطه أفلاطون فى محاورته اوطيفرون . من رأى في الدين ، يسنده إلى أستاذه سقراط . يتفق مع تعاليم الفيثاغورية

(١) الغاغة . الغوغاء . وأصل الغوغاء الجراد حين يخف للطيران ثم استعير للسفلة من الناس والمتسرعين إلى الشر ويجوز أن يكون من الغوغاء الصوت والجلبة لكثرة لغطهم وصياحهم . وفى حديث عمر قل له ابن عوف يحضرك غوغا . الناس

(٢) فسقراط يؤمن بإله واحد ، لا يمكن للعقل ان يكنهه ، ولا تنطبق المعرفة اليقينيه عليه ، فهو أزلى ابدى ، وتطبيق الزمان والمكان عليه يجعله حادثا فعرفاننا به ، إنما هى بآثاره وأفعاله ، كما أنه يعتقد أن هناك حياة ثانية ، وقد مال إلى هذه العقيدة . اذ وجد فيها شفاء من القلق ونجاة من الشك وصيانة من الظلم . وروحا نعيد الى الشباب الاثينيين ما أفقدهم إياه الشك . من قوة الايمان وأمان الفضيلة .

وادراكه ، لأن الحقايق كلها من تلقاء جوهره ، فهو المدرك حقا والواصف لكل شيء وصفا ، والمسمى لكل موجود اسما ، فكيف يقدر المسمى أن يسميه اسما ، وكيف يقدر المحاط أن يحيط به وصفا ، فيرجع فيصفه من جهة آثاره وأفعاله ، وهى اسماء وصفات إلا أنها ليست من الأسماء الواقعة على الجوهر المخبر عن حقيقته ، وذلك مثل قولنا إنه أى واضع كل شيء ، وخالق أى مقدر كل شيء ، وعزيز أى ممتنع أن يضام ، وحكيم أى محكم أفعاله على النظام . وكذلك سائر الصفات وقال إن علمه وقدرته وجوده ، وحكمته بلانهاية ، ولا يبلغ العقل أن يصفها ، ولو وصفها لكانت متناهية ، فالزم عليه انك تقول إنها بلانهاية ولا غاية وقد نري الموجودات متناهية . فقال انما تناهيها بحسب احتمال القوابل ، لا بحسب القدرة والحكمة والوجود ، ولما كانت المادة لم تحتمل صورا بلا نهاية فتناهت الصور لا من جهة بخل فى الواهب بل لقصور فى المادة ، وعن هذا اقتضت الحكمة الالهية انها وإن تناهت ذاتا وصورة وحيزا ومكانا إلا أنها لا تتناهى زمانا فى آخرها إلا من نحو أولها ، وان لم يتصور بقاء شخص ، فاقتضت الحكمة استبقاء الأشخاص ببقاء الأنواع وذلك بتجدد أمثالها ليستحفظ الشخص ببقاء النوع ويستبقى النوع بتجدد الأشخاص ، فلا تبلغ القدرة إلى حد النهاية ، ولا الحكمة تقف على غاية ثم من مذهب سقراط ان أخص ما يوصف به البارى تعالى هو كونه حيا قيوما ، لأن العلم ، والقدرة والجود والحكمة تندرج تحت كونه حيا

والحياة صفة جامعة للكل ، والبقاء والسرمد والدوام يندرج تحت كونه قيوما ، والقيومية صفة جامعة للكل ، وربما يقول هو حى ناطق من جوهره أى من ذاته ، وحياتنا ونطقنا لا من جوهرنا ، ولهذا يتطرق إلى حياتنا و نطقنا العدم والدثور والفساد ، ولا يتطرق ذلك إلى حياته و نطقه تعالى وتقدس ، وحكى فلوطرخيس[1] عنه فى المبادىء انه قال أصول الأشياء ثلاثة ، وهى العلة الفاعلة والعنصر والصورة ، فالله هو الفاعل ، والعنصر هو الموضوع الأول للكون والفساد والصورة جوهر لا جسم وقال الطبيعة أمة للنفس ، والنفس[2] أمة للعقل ، والعقل أمة للمبدع الأول من أجل ان أول مبدع أبدعه المبدع الأول صورة العقل ، وقال المبدع لا غاية له ولا نهاية ، وما ليس له نهاية ليس له شخص وصورة وقال اللانهاية فى سائر الموجودات لو تحققت لكان لها صورة واقعة ووضع وترتيب ، وما تحقق له صورة ووضع وترتيب صار متناهيا ، فالموجودات ليست بلا نهاية ، والمبدع الأول ليس بذى نهاية ، ليس على

---

(١) فلوطرخيس كان فيلسوفا مذكورا فى عصره . وله تصانيف مذكورة بين فرق الحكماء منها كتاب الآراء الطبيعية يحوى على آراء الفلاسفة فى الأمور الطبيعية وكتاب الرياضة وكتاب فى علم النفس (القفطى ص ١٧٠)

(٢) كان سقراط أول من استنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض . فانصرف إلى معرفة حقيقة الانسان ، وكان مكتوبا على معبد دلفى هذه الحكمة القديمة اعرف نفسك بنفسك ، فآمن بالخلود واعتقد أن النفس متمايزة عن البدن ، فلا تفسد بفساده ، بل تخلص بالموت من سجنها وتعود إلى صفاء طبيعتها .

انه هو ذاهب فى الجهات بلا نهاية كما يتخيله الخيال والوهم بل لا يرتقى اليه الخيال حتى يصفه بنهاية ولا نهاية . فلا نهاية له من جهة العقل إذ ليس يحده ، ولا من جهة الحس فليس يحده فهو ليس له نهاية فليس له شخص وصورة خيالية ، أو وجودية حسية ، أو عقلية تعالى وتقدس (١) .

---

(١) وكان سقراط يؤمن بالقدر ، فلم يكن يرى أنه مخير فيما يفعل ، بل كان يعتقد أنه مسير بوحى يملى عليه ما يقول . ويرسم له طريق المسير . ويطلعه على نتائج الأعمال قبل حدوثها وهو انما يؤدي رسالة فرضتها عليه الآلهة ليس له عن أدائها محيص وقد روى أفلاطون في أحد نصوله حديثا عما حدث لسقراط من وحى . هذا نصه ذهب شريفون حاجا إلى معبد دلفى . فسأل الكاهنة هل بين الرجال من هو أكثر حكمة من سقراط فاجابت لا قل سقراط فلما نمى الى الحديث . سألت نفسى ماذا يعنى الاله بهذا الجواب . والى أى شيء يقصد ولم يدر بخلدي قط أننى بلغت من الحكمة شيئا فماذا عساه يعنى حين أجاب بأننى اوسع الناس حكمة انه لا يجوز عليه الكذب فالكذب مستحيل على الله . ولقد لبثت في هذه الحيرة طويلا اسائل نفسى عن معنى ما نطق به الاله . وأخيرا بعد تفكير طويل قمت بالتجربة الآتية التمست رجلا ممن يتظاهرون بالحكمة وظننت أنى سأستطيع ان افند قول الالهة . وأبلغها أن قول الرجل قد بلغ من الحكمة ما لم ابلغ رغم قولك اننى احكم الناس . فما كدت أختبر الرجل ــ ولن اذكر اسمه ــ وكان مواطنا من أعلام اثينا ولم يكد الحديث يدور بيننا حتى قلت فى نفسى . ان هذا الرجل وان تظاهر بالحكمة أمام الناس وأمام نفسه لا يتصل بالحكمة فى قليل ولا كثير . وحاولت بعدئذ ان أدله على أنه ليس حكيما وان توهم فى نفسه الحكمة . فغضب منى كما غضب كثير ممن كانوا على مقربه منا . فانصرفت وقلت ، حسنا انني احكم من هذا الرجل على كل حال فقد لا يعرف أحد شيئا عن الجمال أو الخير ولكنه يظن أنه يعرف شيئا وهو لا يعرف . أما أنا فان كنت لا أدرى فلست أفرض على الأقل اننى ادرى واذا فأنا أحكم منه قليلا وقصدت بعدئذ رجلا آخر كان المعروف أنه احكم من سابقه وأجريت التجربة نفسها فغضب منى وغضب معه كثيرون ، وهكذا التمست

ومن مذهب سقراط ان النفوس الانسانية كانت موجودة قبل وجود الأبدان على نحو من أنحاء الوجود إما متصلة بكلها ، وإما متمايزة بذواتها وخواصها . فاتصلت بالأبدان استكمالا واستدامة والأبدان قوالبها وآلاتها ، فتبطل الأبدان وترجع النفوس إلي كليتها ، وعن هذا كان يخوف بالملك الذى حبسه انه يريد قتله ، فقال ان سقراط فى حب والملك لا يقدر إلا على كسر الحب ،فالحب[1] يكسر ويرجع الماء إلى البحر ،ولسقراط أقاويل فى مسائل الحكمة ، العلمية والعملية ومما اختلف فيه فيثاغو س وسقراط ان الحكمة قبل الحق أم الحق قبل الحكمة ، وأوضح القول فيه بان الحق أعم من الحكمة ، إلا أنه قد يكون جليا وقد يكون خفيا وأما الحكمة فهى أخص من الحق ، إلا انها لا تكون الا جلية فاذا الحق مبسوط فى العالم ، مشتمل على الحكمة المستفيضة فى ال الم ، والحكمة موضحة للحق المبسوط فى العالم . والحق ما به الشىء ، والحكمة ما لأجله الشيء ، ولسقراط ألغاز ورموز ألقاها إلى تلميذه ازخانس ،وحلها فى كتاب فاذن نحن نوردها مرسلة معقودة ، منها قوله عند ما فتشت علة الحياة

مدعى الحكمة واحدا فواجدا حتى أكملتهم جميعاً وعلمت الحقيقة آسفا . فايقن سقراط انه احكم أهل زمانه حقا بهذا التفسير وأيقن أنه مسير لا مخير .
(قصة الفلسفه اليونانيه ص ١١٢)

(١) الحب بضم الحاء . الجرة الضخمة والخابية والدن . قال ابن دريد هو الذي يجعل فيه الماء فلم ينوعه وهو فارسي معرب أصله خنب فعرب فقلبوا الخاء حاء وحذفوا النون فقالوا حب ومنه سمى الرجل خنبيا لانهم كانوا ينتبذون فى الأحباب وجمعه حباب وحببة .

أَلفيت الموت، وعندما وجدت الموت ألفيت الحياة الدائمة ،ومنها اسكت
عن الضوضاء الذى هو فى الهواء وتكلم بالليالى حيث لا يكون أعشاش
الخفافيش واسدد الخمس الكوى ليضىء مسكن العلة واملاء الوعاء طيبا
وافرغ الحوض المثلث من القلال الفارغة واجلس على باب الكلام ،وأمسكْ
مع الحذر اللجام الرخو ليلا يصعب فترى نظام الكواكب،ولا تأكل
الاسود الذنب، ولا تجاوز الميزان، ولا تسرطن النار بالسكين، ولا تجاس
على المكيال، ولا تشم التفاحة وأمت الحى يحيى بموته،وكن قاتله بالسكين
المرين أو غير المرين واحذر الأسود ذا الأربع، ومن جهة العلة كن أرنبا
وعند الموت لا تكن علة وعند ما يذكر دوران الحياة أمت الميت ليكون
ذاكرا، وكن مقضضا ولا تكن صديق شرايطى،ولا تكن مع أصدقائك
قوسا، ولا تنعس على باب أعدائك واثبت على ينبوع واحد متكئا على
يمينك، وينبغى أَن تعلم انه ليس زمان من الأزمنة يفقد فيه زمان الربيع
والخص عن ثلاث سبل فاذا لم تجدها فارض بان تنام لها نوم المستغرق
واضرب الاترجة بالرمانة واقتل العقرب بالصوم،وان أحببت أن تكون
ملكا فكن حمار وحش،وليست التسعة باكمل من الواحد،وبالاثنى عشر
اقتن اثنى عشر، وازرع بالأسود واحصد بالأبيض، ولا تسلبن الاكليل
ولا تهتكه، ولا تقفن راضيا بعدمك للخير وأنت موجود ذلك لك فى
أربع وعشرين مكانا، وان سألك سائل ان تعطيه من هذا الغذاء فميزه
وان كان مستحقا للغذاء المرى فأعطه، وان احتاج إلى غذاء يمينك فاصنعه

لأن اللون الذى يطلب ذلك من كمال الغذاء فهو للبالغين ، وقال يكفى من تأجج النار نورها ، وقال له رجل من أين لى أن هذا المشار اليه واحد فقال لأنى أعلم ان الواحد بالاطلاق غير محتاج إلى الثانى ، فمتى فرضته قريبا للواحد كنت كواضع ما لا يحتاج اليه البتة ، إلى جانب ما لا بد منه البتة ، وقال الانسان له مرتبة واحدة من جهة حده وثلاث مراتب من جهة هيئته ، وقال للقلب آفتان الغم والهم فالغم يعرض منه النوم والهم يعرض منه السهر ، وقال الحكمة إذا أقبلت خدمت الشهوات العقول ، وإذا أدبرت خدمت العقول الشهوات ، وقال لا تكرهوا أولادكم على آثاركم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم ، وقال ينبغي أن تغتم بالحياة وتفرح بالموت لانا نحيي لنموت ونموت لنحيى ، وقال قلوب المغترفين فى المعرفة بالحقائق منابر الملائكة ، وبطون المتلذذين بالشهوات قبور الحيوانات الهالكة وقال للحياة حدان أحدهما العمل والثانى الأجل ، فبالأول بقاؤها وبالآخر فناؤها ، وقال النفس الناطقة جوهر بسيط ذو سبع قوى يتحرك بها حركة مفردة وحركات مختلفة ، فاما حركتها المفردة فاذا تحركت نحو ذاتها ونحو العقل ، وأما حركتها المختلفة فاذا تحركت نحو الحواس الخمس واليونانيون بنوا ثلاثة أبيات على طوالع مقبولة ، أحدها بيت بانطاكية على جبلها وكانوا يعظمونه ويقربون القرابين فيه وقد خرب ، والثانى من جملة الاهرام التى بمصر بيت كانت فيه أصنام تعبد ، وهى التى نهاهم سقراط عن عبادتها ، والثالث بيت المقدس الذى بناه داود وأتمه سليمان

عليهما السلام ويقال ان سليمان هو الذى بناه والمجوس يقولون ان الضحاك بناه وقد عظمه اليونانيون تعظيم أهل الكتاب .

رأى أفلاطون [١]

الالهى ابن ارسطن بن ارسطو قليس من اثينية ، وهو آخر

(١) ولد افلاطون فى اثينا . أو فى أجينا الجزيرة الواقعة قبالة أثينا ، في السنة الأولى من الالمبياد الثامن والثمانين ، أى حوالى سنة ٤٢٧ ق م ، وأبوه اريسطون وقد سماه باسم جده ارسطوقليس لكنه لما كان ذا قامة طويلة ، عظيم الجبهة ضخما عريض الاكتاف سمى باسم افلاطون وشهر به ، وقد نشأ في أسرة عريقة ، من الأعيان ، ولبعض أفرادها شأن كبير فى السياسة الاثينية ، فثقف ثقافة عالية ، وقرأ الشعر اليونانى ، وبخاصة شعر هوميروس ، ونظم الشعر فى صباه ، فنظم أبياتا محزنة وقصيدتين يتوجع فيهما من عوادى الزمن وصروفه غير انه حين أخذ في الفلسفة ، أحرق بالنار نظيمه ولما ناهز العشرين سلمه أبوه لسقراط ، وأعجب به . فلزمه ، وما بلغ الثالثة والعشرين من عمره . حتى رغبت اسرته . فى أن يقلدوه أعمالا تناسبه فآثر الانتظار ، وأراد بعد أن يدخل فى غمار السياسة ولكن حين رأى ما لحق استاذه سقراط ، من قتله ، عاف السياسة ؛ وقد أيقن أن الحكومة العادلة لا ترتجل ارتجالا ، وانما يجب التمهيد لها بالتربية والتعليم ، فقضى حياته يفكر فى السياسة ؛ ويمهد لها بالفلسفة . ولم تكن له قط مشاركة عملية فيها ولما ناصبه دينيس العداء عير افلاطون بعض اعدائه بان دينيس الملك أهمله وطرحه من فكره فقال افلاطون ان دينيس لم يترك افلاطون بل أن افلاطون هو الذى ترك الملك وأهمله وقد عاش أعزب مدة حياته طاهر الأزار عفيفا بعيدا عن نزوات النفس وشهواتها مالكا لهواه رحيب الصدر كظيم الغيظ ما غضب أبدا وقد كان تعليمه لتلاميذه يتناول جميع فروع المعرفة وكان إلى جانب افلاطون وتحت رياسته عدد من العلماء كل منهم مختص بمادة فكانوا يشرحون الرياضيات والفلك والموسيقى والبيان والجدل والأخلاق والسياسة والجغرافية والتاريخ والطب والتنجيم فكانت مدرسة افلاطون جامعة

المتقدمين الاوائل الاساطين ، معروف بالتوحيد والحكمة ، ولد في زمان اردشير بن دارا فى سنة ست وعشرن ، من ملكه ، كان حدثا متعلما تتلمذ لسقراط ولما اغتيل سقراط بالسم ومات ، قام مقامه ، وجلس على كرسيه قد أخذ العلم من سقراط وطماوس والغريبين غريب اثينية وغريب الناطس[1] وضم اليه العلوم الطبيعية والرياضية حتى

التراث اليونانى العقلى وكان افلاطون يعنى عناية تامة بالهندسة ويقول ان ذلك لازم لتعلم الفلسفة ، حتى كتب على باب مدرسة لا يدخلها إلا الماهر فى علم الهندسة وقد ضاعت جميع مصنفاته وكتبه ولم يبق إلا بعض رسائله التى كانت على نهج المخاطبات وهى تنقسم إلى أنواع ثلاثة (١) فى رد شبه السوفسطائية (٢) فى طريقة تعليم الشبان (٣) فيما يليق بمن بلغ سن الرجولة وهذه المخاطبات منها ما حكاه عن نفسه ومنها ما هو بلسان أستاذه سقراط وكانت طريقته فى التأليف بليغة وسطا لم تنحط إلى رتبة النثر والحكايات ولم ترتق إلى رتبة الشعر فى صوغه وبلاغته قل قيقرون الأديب عبارة افلاطون شريفة منيفة فلو نزل شيء من الوحى على لسان البشر لما تميز عن كلامه وكان بانسيوس يسمى افلاطون هوميروس الفلاسفة أى بليغهم وقد مدح بعضهم حكمته فقال انها هوميروسية الهية وقد دون مذهبه من ثلاثة مذاهب من مذاهب الفلاسفة فتبع هيرقليطس فى الطبيعيات والمحسات وتبع فيثاغورس فيما وراء الطبيعة وفى العقليات وتبع سقراط فى القوانين والآداب وفضله على الاثنين فاقتدي به وحده في ذلك ، وكان الناس يقولون عن أفلاطون انه الهى وأنه يعرف الاله الحقيقى معرفة تامة ، أما من جودة ذهنه ، أو مما اطلع عليه من كتب العبرانيين وكان أفلاطون يعلم تناسخ الأرواح ، بالطريقة ؛ التى تعلمها عن فيثاغورس وقد أخذ الهندسة من المصريين وأدخلها اليونان ، واستخرج بذكائه علم الألحان وله رأى فى الالهيات والميعاد ، وتوفى حوالى ٣٤٧ ق م (ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص ٩٥ تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٦٢ اخبار العلماء ص ١٧٠)

(١) قد أخذ أفلاطون عن فلاسفه عديدين فانه بعد أن مات سقراط أخذ عن اقراطوليس ، الذى كان بتتبع طريق هيرقليطس ، واجتمع بهوموجينيس ، الذى

عنه قوم ممن شاهده وتلمذ له مثل ارسطوطاليس وطيماوس وثاوفرسطوس[١] ، انه قال إن للعالم[٢] محدثا مبدعا أزليا واجبا

كان يتبع طريق برمنيدس ، ثم غادر أثينا إلى ميغارى ، ليتلقى مع سائر تلامذة سقراط على اقليدس ، أكبر تلاميذ سقراط سنا ؛ ثم رحل إلى مدينة القيروان ، فتعلم فيها العلوم الهندسية على تيودورس ، ثم توجه إلى مملكة إيطاليا ، ليسمع ، الفيثاغوريين المشهورين وهم فيلوليوس ، وارخيطاس ، الطارنتى وأرينوس ، فلم يقنع ، بما تعلمه من هؤلاء الاساتذة الكبار ، فأزمع الرحيل الى مصر ، ليتلقى عن علمائها ، وحكمائها وكهنتها ، ، ما يشبع به نهمته العلمية ، وكان معتزما الذهاب إلى الهند ليأخذ عن حكمائها ، لولا حروب فى آسيا ، (ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص ٩٦)

(١) ثاوفرسطس ، الحكيم كان ابن أخي ارسطوطاليس وفى الفهرست انه ابن أخته ، وفى تاريخ الفلاسفة أنه صديقه ، هذا وقد كان أحد تلاميذه الآخذين الحكمة عنه ، وأحد الأصفياء الأوصياء الذين وصى اليهم أرسطوطاليس ، وهو الذى تصدر للاقراء ، بدار التعليم خلفه عليها بعد وفاته ، وكان فيهما عالما حاذقا مقصودا لهذا الشأن . وقرئت عليه كتب عمه ، وصنف التصانيف الجليلة واستفيد منه ونقلت عنه ، وتصانيفه كثيرة منها كتاب الآثار العلوية مقالة واحدة ، كتاب النفس مقالة واحدة ، كتاب الأدب مقالة واحدة كتاب ما بعد الطبيعة مقالة واحدة نقلها أبو زكريا يحي بن عدى ، كتاب الحس والمحسوس أربع مقالات وكتاب أسباب النبات نقلهما ابراهيم بن بكوس ، ومما ينحل إليه تفسير كتاب قاطيغورياس ، (أخبار العلماء ص ٧٥ فهرست ابن النديم ص ٣٥٣)

(٢) فإله أفلاطون ، هو الصانع الذى ابدع نظام هذا الكون ، فقد كانت المادة تتحرك حركة مشوهة مضطربة على غير نظام فنظمها الصانع ورتبها . وأبدع العالم من لا نظام إلى نظام فوق هذا العالم المحسوس عالم آخر هو عالم الصور المجردة وان الانسانية مثلا هى احدى هذه الصور . وهى خالدة لا تتبدل ولا تتغير ، أما

بذاته ، عالما بجميع معلوماته على نعت الأسباب الكلية ، كان فى الأول ولم يكن فى الوجود رسم ولا ظل ولا مثال عند البارى (تعالى) ، وربما يعبر عنه بالعنصر والهيولى ، ولعله يشير إلى صور المعلومات فى علمه ، قال فأبدع العقل الأول ، وبتوسطه النفس الكلى قد انبعثت عن العقل انبعاث الصورة فى المرآة ، وبتوسطهما العنصر ، ويحكى عنه أن الهيولى التى هى موضوع الصور الحسية غير ذلك العنصر ، ويحكي عنه أنه أدرج الزمان فى المبادىء ، وهو الدهر . وأثبت لكل موجود مشخص فى العالم الحسى ، مثالا موجودا مشخصا فى العالم العقلى ، يسمى ذلك المثل[1] الافلاطونية ، فالمبادىء الاول بسائط ، والمثل مبسوطات ،

الانسان الذى نراه ونشير إليه فهو في كل يوم على حال ؛ والمثل هى مبدأ المعرفة ثم ان لهذا المبدأ الأول عناية بالعالم فهو قد صنعه على مثاله مفعما بالخير ، وإذا قيل ان في العالم شرا قال أفلاطون كما قال ابن سينا فى النجاة أن هذا الشر نسبى وأنه لا وجود للشر المطلق وأنه ليس فى الامكان أبدع مما كان ، وأن على العاقل ان ينظر إلى الكل لا إلى الجزء ، فإذا نظر مجموع الأشياء وجد الخير فيها غالبا على الشر لأن الخير مقتضى بالذات أما الشر فمقصود بالعرض وهو عرض زائل لا يلحق إلا الوجود الجزئى ،

(١) المثل عند أفلاطون هى الحقائق الخالدة . والصور المجردة فى عالم الاله ، وهى لا تدثر ولا تفسد ولكنها أزلية أبدية والذى يفسد ويدثر إنما هو هذا الكائن المحسوس ، فيوجد إذن بالنسبة إلى أفلاطون وذلك الايداع غير زمانى . فالعالم اذن حادث بمعنى أن الصانع ، رتبه ونظمه والمادة قديمة إلا أنها مجردة عن كل حقيقة جوهرية لا بل هى كما قيل مقر الامكان والعدم ومصدر إشراقها . لأن العلم لا يقوم على الاحساس بل على التأمل والكشف والتذكر ، فيرتقى الفكر من الرأى

والاشخاص مركبات ، فالانسان المركب المحسوس جزء ذلك الانسان المبسوط المعقول ، وكذلك كل نوع من الحيوان والنبات والمعادن ، قال والموجودات فى هذا العالم آثار الموجودات في ذلك العالم ولابد لكل أثر من مؤثر يشابهه نوعا ما من المشابهة ، قال ولما كان العقل الانسانى من ذلك العالم أدرك من المحسوس مثالا منتزعا من المادة معقولا يطابق المثال الذى فى عالم العقل بكليته ، ويطابق الموجود الذى فى عالم الحس بجزئيته ، ولولا ذلك لما كان لما يدركه العقل مطابقا مقابلا من خارج ، فما يكون مدركا لشىء يوافق إدراكه حقيقة المدرك

إلى العلم لا عن طريق الاستقراء والمحاكمة بل عن طريق الحدس ، والمثل هى مبدأ الوجود لأنه لا حقيقة للاشياء المحسوسة إلا بما تحتوى عليه ماهياتها من الصور التى تصل بينها وبين عالم المثال ، أن فيدون مثلا أجمل من سقراط لا لأنه يحتوى على الجمال المطلق بل لأن فيه جمالا نسبيا يدل على أن نصيبه من معقول الجمال وحقيقته الخالدة اكثر من نصيب سقراط ، ان صورة الجمال المطلق ليست عبارة عن جمال أفلاطون النسبي ، بل هو فوق كل جمال جزئي ، هى حقيقة الجمال الخالدة التى لا تتبدل ولا تتغير ، هى معقول الجمال المفارق للاشياء المحسوسة ، ان الحقيقة ليست فى الحوادث والمادة ، بل فى الصور لأن المادة مقر العدم لا يمكن تثبيت العدم إلا بما يشرق عليه من الصور كأن حقائق الأشياء منسوجة من الصور التى تشرق عليها من عالم المثال ، فالصور الحسية فى نظر أفلاطون تتولد من المثل المفارقة وهى غير المعانى التى تجردها النفس من الأشياء المحسوسة ، ان المثل هى مبادىء الكليات العقلية لا بل هي نهاية كمالها ، الكليات العقلية تكون فى الذهن أما المثل فموجودة خارج الذهن ، وهى لاتنقسم بالرغم من صدور الصور المختلفة عنها ، أن قضاء المعقولات هو فوق قضاء الفكر ، والمثال الخالد لكل شىء هو خيره الخاص ، وفوق هذه المثل مثال أعلى هو مبدأ المثل كلها وغايتها التى توجد بينها وتنظمها وهذا المثال هو الخير الأعلى أو الاله (من أفلاطون إلى ابن سينا ص ١٠)

قال والعالم عالمان، عالم العقل وفيه المثل العقلية، والصور الروحانية، وعالم الحس، وفيه الأشخاص الحسية، والصور الجسمانية كالمرآة المجلوة التي تنطبع فيها صور المحسوسات. فان الصور فيها مثل الاشخاص كذلك العنصر في ذلك العالم مرآة لجميع صور هذا العالم يتمثل فيه جميع الصور، غير أن الفرق ان المنطبع في المرآة الحسية صورة خيالية يرى أنها موجودة تتحرك بحركة الشخص، وليس في الحقيقة كذلك فان التمثل في المرآة العقلية صور حقيقية روحانية هي موجودة بالفعل، تحرك الأشخاص ولا تتحرك، فنسبة الاشخاص اليها نسبة الصور في المرآة إلى الاشخاص، فلها الوجود الدائم ولها الثبات القائم، وهي تمايز في حقائقها تمايز الاشخاص في ذواتها، قال وانما كانت هذه الصور موجودة كلية باقية دائمة، لأن كل مبدع ظهرت صورته في حد الابداع فقد كانت صورته في علم الأول الحق، والصور عنده بلا نهاية، ولو لم تكن الصور معه ازلية في علمه لم تكن لتبقى، ولو لم تكن دائمة دوامها لكانت تدثر بدثور الهيولى، ولو كانت تدثر[1] مع دثور الهيولى لما كان رجاء ولا خوف، ولكن لما صارت الصور الحسية على

---

(١) ومن ذاك الصور والمثل التي تنسب إلى أفلاطون، انه يثبتهما وأرسطو على خلاف رأيه فيهما وذلك أن أفلاطون في كثير من أقاويله يومىء إلى أن للموجودات صورا مجردة في عالم الاله وربما يسميها المثل الالهية وانها لا تدثر ولا تفسد ولكنها باقية وان الذى يدثر ويفسد انما هي هذه الموجودات التي هي كائنة وأرسطو ذكر في جزئه فيما بعد الطبيعة، كلاما شنع فيه على القائلين بالمثل والصور

التى يقال إنها موجودة قائمة فى عالم الاله غير فاسدة وبين ما يلزمها من الشناعات انه يجب ان هناك خطوطا وسطوحا ، وأفلاكا ثم توجد حركات من الأفلاك والأدوار وأنه يوجد هناك علوم مثل علم النجوم وعلم الألحان وأصوات مؤتلفة ، وأصوات غير مؤتلفة وطب وهندسة ومقادير مستقيمة وأخري معوجة وأشياء حارة وأشياء باردة ، وبالجملة كيفية فاعلة ومنفعلة ، وكليات وجزئيات ومواد وصور وشناعات أخرى يطول ذكرها ؛ هذا وإن ارسطو فى كتابه فى الربوبيه المعروف باثولوجيا يثبت الصور الروحانية ويصرح بأنها موجودة فى عالم الربوبيه ، فلا يخلو ظاهر هذه الأقوال من احدى ثلاث . اما أن يكون بعضها مناقضا بعضا وإما أن يكون بعضها لارسطو وبعضها ليس له . واما أن يكون لها معان وتأويلات تتفق بواطنها وان اختلفت ظواهرها فتتطابق عند ذلك وتتفق فاما أن يظن أرسطوا مع براعته انه يناقض نفسه فى علم واحد وهو العلم الربوبى . فبعيد وإما أن بعضها لارسطو وبعضها ليس له فابعد لشهرة كتبه الناطقة بذلك . فبقى أن يكون لها تاويلات ترفع الحيرة فنقول . إنه لما كان البارى جل جلاله بانيته وذاتة مباينا لجميع ما سواه ذلك لأنه بمعنى اشرف وأفضل وأعلى بحيث لا يناسبه فى انيته ولا يشاكله ولا يشابهه حقيقة ولا مجازا ثم مع ذلك لم يكن بد من وصفه وإطلاق لفظ فيه من هذه الألفاظ المتواطئة عليه ، فان من الواجب الضرورى ان يعلم أن مع كل لفظة نقولها فى شيء من أوصافه معنى بذاته بعيد من المعنى الذى نتصوره من تلك اللفظة وذلك كما قلنا بمعنى أشرف وأعلى حتى اذا قلنا انه موجود علمنا مع ذلك أن وجوده لا كوجود سائر ما هو دونه ، وإذا قلنا أنه حى بمعنى أشرف من الحى الذى هو دونه وكذا الأمر فى سائر صفاته ولما كان الله تعالى حيا موجدا لهذا العالم بجميع ما فيه فواجب ان يكون عنده صور ما يريد إيجاده فى ذاته . جل الله عن اشتباه ، وأيضا فان ذاته لما كانت باقية لا يجوز عليه التبدل والتغير ، فما هو بحيزه أيضا كذلك باق غير دائر ولا متغير ، ولو لم يكن للموجودات صور وآثار فى ذات الموجد الحي المريد فما الذى كان يوجده وعلى أى مثال ينحو بما يفعله ويبدعه ، وانه على هذا أقوال أفلاطون فى كتاب طيماوس ، من كتبه فى أمر النفس والعقل وان لكل واحد منهما عالما

رجاء وخوف استدل به على بقائها ، وانما تبقى إذا كانت لها صور عقلية فى ذلك العالم ترجو اللحوق بها ، وتخاف التخلف (عنها) ، قال و إذا اتفقت العقلاء على ان حسا ومحسوسا وعقلا ومعقولا وشاهدنا بالحس جميع المحسوسات وهى محدودة محصورة بالزمان والمكان ، فيجب أن يشاهد بالعقل جميع المعقولات ، وهى غير محدودة ومحصورة بالزمان والمكان ، فتكون مثلا عقلية ، ومما يثبته أفلاطن موجودات محققة بهذا التقسيم ، قال انا نجد النفس تدرك أمور البسائط والمركبات ، ومن المركبات أنواعها وأشخاصها ، ومن البسائط ما هى هيولانية وهى التى تعرى عن الموضوع وهى رسوم الجزئيات ، مثل النقطة والخط والسطح والجسم التعليمى ، قال وهذه أشياء موجودة بذواتها ، وكذلك توابع الجسم مفردة مثل الحركة والزمان والمكان والاشكال ، فانا نلخصها باذهاننا بسائط مرة ، ومركبة أخرى ، ولها حقائق فى ذواتها من غير حوامل ولا موضوعات ، ومن البسائط ما ليست هى هيولانية مثل الوجود والوحدة والجوهر ، والعقل يدرك القسمين جميعا متطابقين عالمين متقابلين ، عالم العقل ، وفيه المثل العقلية التى تطابقها الأشخاص الحسية ، وعالم الحس وفيه المتمثلات الحسية التى تطابقها

سوى عالم الآخر وأن تلك العوالم متتالية بعضها أعلى وبعضها أسفل ، ولايريد بالعلو والسفل مكانية ، وإنما يريد بالأعلى والاسفل الفضيلة والشرف لا المكان السطحى ، وقوله عالم العقل ، كما يقال عالم الجهل ، وعالم العلم وعالم الغيب ويراد بذلك خير كل واحد منها (الجمع بين رأى الحكيمين للفارابى ص ٣١)

المثل العقلية ، فأعيان ذلك العالم آثار في هذا العالم ، وأعيان هذا العالم آثار في ذلك العالم ، وعليه وضع الفطرة والتقدير ، ولهذا الفصل شرح وتقرير وجماعة المشائين وأرسطوطاليس لا يخالفونه فى هذا المعنى الكلي ، إلا أنهم يقولون هو معنى فى العقل موجود فى الذهن الكلى من حيث هو كلى لا وجود له فى الخارج عن الذهن ، إذ لا يتصور أن يكون شيء واحد ينطبق على زيد وعلى عمرو وهو فى نفسه واحد ، وافلاطن يقول ذلك المعنى الذي أَثبته في العقل يجب أن يكون له شيء يطابقه فى الخارج فينطبق عليه ، وذلك هو المثال الذى فى العقل وهو جوهر لا عرض إذ تصور وجوده لا فى موضوع ، وهو متقدم على الاشخاص الجزئية تقدم العقل على الحس ، وهو تقدم ذاتى وشرفى معا . وتلك المثل مباديء الموجودات الحسية منها بدأت واليها تعود ويتفرع على ذلك أن النفوس الانسانية التى هى متصلة بالأبدان اتصال تدبير وتصرف كانت هى موجودة قبل وجود الأبدان وكان لها نحو من انحاء الوجود العقلى وتمايز بعضها عن بعض تمايز الصور المجردة عن المواد بعضها عن بعض ، وخالفه فى ذلك تلميذه أرسطوطاليس ومن بعده من الحكماء وقالت إن النفوس حدثت مع حدوث الابدان وقد رأيت فى كلام أرسطوطاليس كما يأتى فى حكايته انه ربما يميل إلى مذهب أفلاطون فى كون النفوس موجودة قبل وجود الأبدان [١]

---

(١) ذهب ارسطو لى ان النفس حادثة ، ويخالف فى هذا افلاطون الذى زعم ان

النفس قديمةلان الحادث لا يكون ابديا ولا عن المكان غنيا ، فلو لم تكن النفس أزلية لم تكن ابدية ، فالنفس عند افلاطون قد وجدت قبل وجود الجسد ، وهي شقيقة المثل هبطت على كره الى العالم المحسوس واتصلت بالجسد فهى إذن صورة من صور الملأ الأعلى . وقد ذهب ابن سينا إلى ان النفس حادثة ، وقدأوضح رأيه بقوله ان النفس صورة الجسد الا ان هذه الصورة لا تفيض إلى الجسد إلا عند حدوث الاستعداد لها ، وهذا شأن جميع الصور ، ان واهب الصور لا يرش النور إلا على مستحقيه فالطبيب مثلا لا يبدع صورة الصحة بل يهيء المادة لقبول صورة الصحة وكذلك الجسد فهو لا ينشىء النفس بذاته بل تفيض عليه النفس من العقل الفعال، فالنفس الفردية اذن حادثة ، وقد برهن على حدوثها بقوله والدليل علىأن النفس الانسانية حادثة مع حدوث البدن انها متفقة معه فى النوع والمعنى ، فان وجدت قبل البدن فاما ان تكون متكثرة الذات ، أو تكون ذاتا واحدة . وكل فرضية من هاتين الفرضيتين محالة . فالنفس لا تكون قبل البدن متكثرة الذوات لأن تكثرها اما ان يكون من جهة الماهية والصورة . واما ان يكون من جهة النسبة إلى العنصر والمادة ، ولبطل الأول لأن صورتها واحدة وهى متفقة فى النوع والماهية ، لا تقبل اختلافا ذاتيا ولبطل الثانى لأن البدن فرض غير موجود ، هذا والنفس لا يجوز ان تكون واحدة الذات بالعدد وتكون موجودة قبل البدن ، لأنه إذا حصل بدنان حصل فى البدنين نفسان فاما ان تكون كل نفس من هاتين النفسين قسما لتلك النفس الواحدة فيكون الشيء الواحد منقسما بالقوة . وهذا باطل لأن الشيء الذى ليس له عظم وحجم لا يكون منقسما . واما ان تكون النفس الواحدة بالعدد موجودة فى بدنين وهذا لا يحتاج إلى كثير تكلف فى إبطاله فالنفس إذن حادثة وهى تحدث كلما حدث الجسم الصالح لها ويكون الجسد مملكتها وآلتها . ويكون فى هيئتها نزاع طبيعى إلى الاشتغال به واستعماله والاهتمام بأحواله وهو سجن مظلم قد هبطت اليه النفس وأقامت فيه محجوبة عن الحس الظاهر .

قال ابن سينا .

هبطت اليك من المحل الأرفع   ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف   وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما   كرهت فراقك وهى ذات تفجع
أنفت وما أنست فلما واصلت   ألفت مجاورة الخراب البلقع

إلا أن نقل المتأخرين ما قدمنا ذكره ، وخالفه أيضا في حدوث العالم(١)

إلى أن يقول :

فلأى شيء أهبطت من شاهق سام إلى قعر الحضيض الاوضع
ان كان أرسلها الاله لحكمة طويت عن الفطن اللبيب إلا روع
فهبوطها ان كان ضربة لازب لتكون سامعة بما لم تسمع
وتعود عالمة لكل خفية في العالمين نخرقها لم يرقع

فالنفس قدفاضت عن واهب الصور ، ولم تحدث إلا بحدوث الجسد . وا كتسابها المعرفة ، واقتباسها العلوم انما يكون باشتراك الحس .

---

(١) ومما يظن بأرسطوطاليس انه يرى ان العالم قديم وبأفلاطون انه يرى ان العالم محدث ، فأقول ان الذى دعا هؤلاء إلى هذا الظن القبيح المستنكر بأرسطوطاليس الحكيم هو ما قاله فى كتاب طوبقيا انه قد توجد قضية واحدة بعينها يمكن ان يؤتى على كلا طرفيها قياس من مقدمات ذائعة ، مثال ذلك هذا العالم قديم أم ليس بقديم وقد وجب الرد على هؤلاء المختلفين ، أما أولا فبأن ما يؤتى به على سبيل المثال لا يجرى مجرى الاعتقاد ، وأيضا فان غرض أرسطو فى كتاب طوبقيا ليس هو بيان أمر العالم لكن غرضه أمر القياسات المركبة من المقدمات الذائعة ، وكان قد وجد أهل زمانه يتناظرون فى أمر العالم هل هو قديم أم محدث ، كما كانوا يتناظرون فى اللذة هل هى خير أم شر . وكانوا يأتون على كلا الطرفين من كل مسألة بقياسات ذائعة وقد بين أرسطو فى ذلك الكتاب وفى غيره من كتبه ان المقدمة المشهورة لا يراعى فيها الصدق والكذب لأن المشهور ربما كان كاذبا ولا يطرح في الجدل لكذبه وربما كان صادقا فيستعمل لشهرته فى الجدل ولصدقه فى البرهان ، فظاهر أنه لا يمكن أن ينسب اليه الاعتقاد بأن العالم قديم بهذا المثال الذى أتى به فى هذا الكتاب ،

ومما دعاهم إلى ذلك الظن أيضا ما يذكره فى كتاب السماء والعالم ان الكل ليس له بدء زمانى ، فيظنون عند ذلك انه يقول بقدم العالم وليس الأمر كذلك إذ قد تقدم فبين فى ذلك الكتاب وغيره من الكتب الطبيعية والإلهية ان الزمان إنما هو عدد حركة الفلك ، وعنه يحدث ، وما يحدث عن الشيء لا يشمل ذلك الشيء . ومعنى قوله ان العالم ليس له بدء زمانى انه لم يتكون أولا فأولا باجزائه كما يتكون البيت مثلا أو الحيوان الذي يتكون أولا فأولا . باجزائه ، فان أجزاءه يتقدم بعضها بعضا

فان أفلاطون تخيل وجود حوادث لا أول لها ، لأنك إذا قلت حادث فقد أثبت الاولية وما يثبت لكل واحد ثبت للكل ، وقال إن صورها لابدوان تكون حادثة ، لكن الكلام فى هيولاها وعنصرها فاثبت عنصرا قبل وجودها ، فظن بعض العقلاء انه حكم عليه بالازلية والقدم وهو إذا أثبت واجب الوجود لذاته ، وأطلق لفظ الابداع على العنصر فقد أخرجه عن الأزلية بذاته ، بل يكون وجود واجب الوجود كسائر المبادىء التى ليست زمانية ولا وجودها ولا حدوثها حدوث زمانى ، فالبسائط حدوثها إبداعى غير زمانى ، والمركبات حدوثها بوسائط البسائط حدوث زماني ، وقال إن العالم لا يفسد فسادا كليا ، ويحكى عنه فى سؤاله عن طيماوس ما الشىء الذى لا حدوث له ، وما الشىء الحادث وليس

بالزمان والزمان حادث عن حركة الفلك فمحال أن يكون لحدوثه بدء زماني ، ويصح بذلك أنه إنما يكون عن إبداع البارى جل جلاله إياه دفعة بلا زمان وعن حركته حدث الزمان ،

ومن نظر فى أقاويله في الربوبية فى الكتاب ، المعروف بأثولوجيا لم يشتبه عليه أمره في اثباته الصانع المبدع لهذا العالم فان الأمر فى تلك الأقاويل أظهر من أن يخفى وهناك تبين ان الهيولى أبدعها البارى جل ثناؤه لا عن شىء وأنها تجسمت عن البارى سبحانه وعن إرادته ثم ترتبت وقد بين فى السماع الطبيعى أن الكل لا يمكن حدوثه بالبخت والاتفاق ، وكذلك فى العالم جملة يقول فى كتاب السماء والعالم ويستدل على ذلك بالنظام البديع الذى يوجد لأجزاء العالم بعضها مع بعض ؛ ولامونيوس رسالة مفردة ، فى ذكر أقاويل أرسطو و أفلاطون فى إثبات الصانع مشهورة فهما قد أوضحا أمر الابداع بحجج واضحة مقنعة ، وانه لمستنكر أن يظن بهما فساد يعترى مايعتقدانه من إثبات الصانع وحدوث العالم (الجمع بين رأيي الحكيمين للفارابى ص ٢٦)

يباق ، وما الشيء الموجود بالفعل وهو أبدا بحال واحد . وانما يعنى بالأول وجود البارى ، و بالثاني وجود الكائنات الفاسدات ، التى لاتثبت على حالة واحدة ، وبالثالث وجود البسائط والمبادئ التى لاتتغير ومن أسئلته ماالشيء الكائن ولاوجود له ، وما الشيء الموجود ولا كون له يعنى بالأول الحركة المكانية والزمان لأنه لم يؤهله لاسم الوجود ، ويعنى بالثانى الجواهر العقلية التى هى فوق الزمان والحركة والطبيعة وحق لها اسم الوجود إذ لها السرمد والبقاء والدهر ، ويحكى عنه انه قال إن الاستقسات[١] لم تزل تتحرك حركة مشوهة مضطربة غيرذات نظم وان البارى تعالى نظمها ورتبها ، فكان هذا العالم ، وربما عبر عن الاستقسات بالأجزاء اللطيفة ، وقيل أنه عنى بها الهيولى الأزلية العارية عن الصور حتى اتصلت الصور والأشكال بها فترتبت وانتظمت ، ورأيت فى راموز[٢] له انه قال إن النفوس كانت فى عالم الذكر مغتبطة مبتهجة بعالمها وما فيه من الروح والبهجة والسرور فأهبطت إلى هذا العالم حتى تدرك الجزئيات وتستقبل ما ليس لها بذاتها بواسطة القوى الحسية

---

(١) الاسقطس هو الجسم الأول ، الذى باجتماعه إلى أجسام أولى مخالفة له فى النوع يقال له اسقطس لها فلذلك قيل أنه آخر ماينتهى اليه تحليل الأجسام فلا توجد فيه قسمه إلا إلى أجزاء متناهية وفى التعريفات للجرجانى الاسطقسات هو لفظ يونانى بمعنى الأصل وتسمى العناصر الأربعة التى هي المساء والأرض والهواء والنار اسطقسات لأنها أصول المركبات التى هى الحيوانات والنباتات والمعادن (رسائل فى الطبيعيات لابن سينا ص ٥٨ تعريفات ض ١٥) .

(٢) الراموز أصله : البحر العظيم لتموجه ، وقداستعمله المولدون في الأصل والنموذج نقله الصاغاني وقال انها كلمة مولدة

فسقطت وسقط رياشها قبل الهبوط ، واهبطت حتى يستوى ريشها وتطير إلى عالمها باجنحة مستفادة من هذا العالم ، وحكي أرسطوطاليس عنه أنه أثبت المبادى خمسة أجناس ، الجوهر والاتفاق ، والاختلاف والحركة ، والسكون ، ثم فسر كلامه فقال أما الجوهر فيعنى به الوجود ، وأما الاتفاق فلأن الأشياء متفقة بانها من الله تعالى ، وأما الاختلاف فلأنها مختلفة فى صورها ، وأما الحركة فلأن لكل شىء من الأشياء فعلا خاصا وذلك نوع من الحركة لاحركة النقلة ، وإذا تحركت نحو الفعل وفعل فله سكون بعد ذلك لامحالة ، قال وأثبت البخت أيضا شيئا سادسا وهو نطق عقلى وناموس لطبيعة الكل ، وقال جرجيس[(١)] أنه قوة روحانية مدبرة للكل وبعض الناس يسميه جداً ، وزعم الرواقيون أنه نظام لعلل الأشياء وللاشياء المعلولة ، وزعم بعضهم أن علل الأشياء ثلاثة المشترى والطبيعة والبخت ، وقال أفلاطن إن فى العالم طبيعة عامة تجمع الكل ، وفى كل واحد من المركبات طبيعة خاصة ، وحد الطبيعة بأنها مبدأ الحركة ، والسكون فى الأشياء ، مبدأ التغير وهو قوة سارية فى الموجودات كلها تكون السكنات والحركات بها فطبيعة الكل محركة للكل ، والمحرك الأول يجب أن يكون ساكنا

---

(١) هو جورجياس الفيلسوف السوفسطائى ، الذى كان يعلم البلاغة وعلم السياسة وكان جورجياس يستعير منهج زينون من قبله فى الجدل ويعتمد على بارمنيدز فى آرائه فى أصل السكون ليثبت بذلك بطلان المحسات ، وقد وضع كتابا عنوانه الطبيعة أو اللاوجود حاول فيه أن يقيم الدليل على هذه القضايا الثلاث لا شىء موجود ، ان وجد شىء فلا يمكن أن يعرف ، وإذا أمكن أن يعرف فلا يمكن إيصاله إلى الغير ، فهو من الشكاك ، أو من اللاأدريه (قصة الفلسفة اليونانية ص ١٠٢)

وإلا تسلسل القول فيه ، إلى ما لا نهاية له .

وحكى أرسطو طاليس فى مقالة الالف الكبري من كتاب ما بعد الطبيعة ان افلاطن كان يختلف فى حداثته إلى اقراطيلوس [١] فكتب عنه ما روى عن هرقليطس [٢] ان جميع الأشياء المحسوسة فاسدة وان العلم لا يحيط بها ، ثم اختلف بعده إلى سقراط ، وكان من مذهبه طلب الحدود دون النظر فى طبائع المحسوسات وغيرها ، فظن أفلاطن ، أن سقراط في غير الأشياء المحسوسة لأَن الحدود ليست للمحسوسات ، لأَنها إنما تقع على أشياء دائمة كلية أعني الاجناس والأنواع ، فعند ذلك ما سمى افلاطن الاشياء الكلية صورا لانها واحدة ورأى أن المحسوسات لا تكون إلا بمشاركة الصور إذا كانت الصور رسوما وخيالات لها متقدمة عليها [٣] ، وانما وضع سقراط الحدود مطلقا

(١) أقراطيلوس ، فيلسوف تتلمذ لهرقليطس وكان أحد اتباعه ، وقد أخذ عنه أفلاطون ، وقد انتهى اقراطيلوس إلى تحريم الكلام وكان يقتصر على تحريك أصبعه

(٢) ارقطس ، هو هيرقليطس الذى ولد في سنة ٥٤٠ قم وتوفي سنة ٤٧٥ قم .

(٣) فأفلاطون ، أول فيلسوف بحث مسألة المعرفة لذاتها ، وأفاض فيها من جميع جهاتها ، وجد نفسه بين رأيين متعارضين رأى بروتاغوراس وأقراطيلوس ، وأمثالهما من الهرقليطسيه الذين يردون المعرفة إلى الاحساس ويزعمونها جزئية متغيرة مثله ، ورأى سقراط الذى يضع المعرفة الحقة فى العقل ويجعل موضوعها الماهية المجردة الضرورية فاستقصي أنواع المعرفة فكانت أربعة الأول الاحساس ، وهو ادراك عوارض الأجسام أو اشباهها فى اليقظة وصورها فى المنام ، الثانى الظن وهو الحكم على المحسوسات بما هى كذلك والثالث الاستدلال وهو علم الماهيات الرياضية المتحققة فى المحسوسات والرابع التعقل وهو إدراك الماهيات المجردة من كل مادة وهذه الأنواع مترتبة بعضها فوق بعض ، تتادى النفس من الواحد إلى الذى يليه بحركة ضرورية

لا باعتبار المحسوس وغير المحسوس ، وأفلاطن ظن أن وضعها لغير المحسوسات فأثبتها مثلا عامة ، وقال افلاطن فى كتاب النواميس إن أشياء لا ينبغى للانسان أن يجهلها ، منها ان له صانعا ، وأن صانعه يعلم أفعاله ،وذكر أن الله تعالى إنما يعرف بالسلب، أي لاشبيه له ولامثال وأنه أبدع العالم من لا نظام إلى نظام ، وأن كل مركب فهو للانحلال وأنه لم يسبق العالم زمان ولم يبدع عن شيء ، ثم أن الأوائل اختلفوا فى الابداع والمبدع هل هما عبارتان عن معبر واحد ، أم لابداع نسبة إلى المبدع ، وكذلك فى الارادة أنها المراد أو المريد ، على حسب اختلاف

إلى أن يطمئن عند الأخير ، فالاحساس أول مراحل المعرفة ، ويدعى الهيرقليطون أن المعرفة مقصوره عليه ولو كان كذلك . لاقتصرت المعرفة على الظواهر المتغيرة ولم ندرك ماهيات الاشياء ، وهذا مردود ففينا قوة تدرك موضوعات ، لا تدركها الحواس : فليس يكفى لفهم اللغة مثلا رؤية ألفاظها أو سماعها ، وإنما الاحساس ينبه قوة فى النفس لولاها ما كان فهم أبداً . ومع اشتراك العالم والجاهل فى الاحساس فان العالم وحده يتوقع المستقبل بعلمه ويؤيد المستقبل توقعه ، مما يدل على وجود قوة تعلم وقوانين ثابته للاشياء وهذه القوة تضاهى الاحساسات بعضها ببعض وتصدر عليها أحكاما مغايرة للحس بالمرة

والحكم يختلف باختلاف موضوعه ، فاذا كان الموضوع المحسوسات المتغيرة من حيث هى كذلك كان الحكم ظنا ، أى معرفة غير مربوطة بالعلة ، لكن بالتعليم تتبين الأمور بعللها ، والظن ليس العلم الذى تتوق اليه النفس ، فقد يكون صادقا ، وقد يكون كاذبا والعلم صادق بالضرورة ، إلى رقى النفس . بدراسة الحساب والهندسة والفلك والموسيقى ،فهذه ولو أنها تبدأ من المحسوسات ويستعين بها إلا ان لها موضوعات متمايزة من المحسوسات ، هذا والتجارب الحسية والعلوم الرياضية تستحث الفكر على اطراد سيره . فيتدرج الفكر من الاحساس إلى الظن إلى العلم الاستدلالى إلى التعقل المحض مدفوعا بقوة باطنة وجدل صاعد ، لأنه فى الحقيقة يطلب العلم الكامل الذي يكفى نفسه ويصلح أساسا لغيره (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٦٩) .

متكلمى الاسلام فى الخلق والمخلوق والارادة أنها خلق أم مخلوقة أم صفة فى الخالق ، قال انكساغورس مذهب فلوطرخيس ان الارادة ليست هى غير المراد ولا غير المريد ، وكذلك الفعل لأنهما لا صورة لهما ذاتية ، وإنما يقومان بغيرهما ، فالارادة مرة مستنبطة فى المريد ومرة ظاهرة فى المراد، وكذلك الفعل، وأما أفلاطن وأرسطو طاليس فلا يقبلان هذا القول ، وقالا إن صورة الارادة وصورة الفعل قائمتان ، وهما أبسط من صورة المراد كالقاطع للشىء هو المؤثر وأثره فى الشىء ، والمقطوع هو المؤثر فيه القابل للأثر ، فالأثر ليس هو المؤثر ولا المؤثر فيه ، وإلا انعكس حتى يكون المؤثر هو الأثر ، والمؤثر فيه هو الأثر ، وهو محال فصورة المبدع فاعلة وصورة المبدع مفعولة ، وصورة الابداع متوسطة بين الفاعل والمفعول ، فللفعل صورة وأثر ، فصورته من جهة المبدع وأثره من جهة المبدع ، والصورة من جهة المبدع فى حق البارى تعالى ليست زائدة على ذاته حتى يقال صورة إرادة وصورة تأثير ، مفترقان بل هما حقيقة واحدة وأما برميندس [1] الأصغر فقد أجاز قولهم فى

---

(١) بارمنيدس الصغير ، كان تلميذا لسقراط الصغير ، وقد سأل أستاذه . هل هناك مثل للشعر والأقذار فأنكر سقراط فى جوابه أن يكون لمثل هذه الأشياء الوضيعة مثل . فيضحجه بارمنيدس قائلا انه إذا ارتفع إلى مرتبة الفلسفة العليا فلن يزدرى هذه الأشياء كما يزدريها الآن ؛ وقد ذهب فى فلسفته إلى أن الحقيقة لا يمكن أن يصل إليها الانسان إلا بطريق العقل ، وحده لأن الحواس غاشة خادعه (قصة الفلسفة اليونانية ص ١٦٦ و ٢١٣)

الارادة ، ولم يجز فى الفعل ، وقال إن الارادة تكون بلا توسط من الباري تعالى ، فجائز ما وضعه الله ، وَأما الفعل فيكون بتوسط منه ، وليس ما هو بلا توسط كالذي يكون بتوسط، بل الفعل فقط لن يتحقق إلا بتوسط الارادة ، ولا ينعكس فأما الأولون مثل تاليس وأنبذقلس قالوا الارادة من جهة المبدع هى المبدع ، ومن جهة المبدع هى المبدع وفسروا هذا بان الارادة من جهة الصورة هى المبدع ، ومن جهة الأثر هى المبدع ، ولا يجوز أن يقال إنها من جهة الصورة هي المبدع لأن صورة الارادة عند المبدع قبل أن يبدع فغير جائز أن يكون ذات صورة الشيء الفاعل هى المفعول بل من جهة أثر ذات الصورة هى المفعول ومذهب أفلاطن وأرسطوطاليس هذا بعينه ، وفى الفصل انغلاق

حكماء الاصول

الذين هم من القدماء الا انا ربما لم نجدلهم رأيا فى المسائل المذكورة غير حكم مرسلة عملية أوردناها لئلا تشذ مذاهبهم عن القسمة ، ولا يخلو الكتاب عن تلك الفوائد ، فمنهم الشعراء الذين يستدلون بشعرهم وليس شعرهم على وزن وقافية ، ولا الوزن والقافية ركنا فى الشعر عندهم ، بل الركن فى الشعر إيراد المقدمات المخيلة فحسب ، ثم قد يكون الوزن والقافية معينين فى التخيل ، فان كانت المقدمة التى يوردها فى القياس الشعرى مخيلة فقط تمحض القياس شعريا وان نضم اليها قول إقناعى تركبت المقدمة من معنيين شعرى واقناعي وإن كان الضميم إليه قولا يقينا تركبت المقدمة من شعرى و؛ هانى

ومنهم النساك ونسكهم وعبادتهم عقلية لاشرعية ، ويقتصرون من ذلك على تهذيب النفس عن الأخلاق الذميمة . وسياسة المدينة الفاضلة التى هى الجنة الانسانية ، وربما وجدنا لبعضهم رأيا فى بعض المسائل المذكورة أعنى المبدع والابداع ، وأنه عالم وإن أول ما أبدعه ماذا ، وان المبادىء كم هى وان المعاد كيف يكون وصاحب الرأى موافق للأوائل المذكورين ، أوردنا اسمه ، وذكرنا مقالته ، وان كانت كالمكررة ونبتدى بهم ونجعل فلوطرخس مبدأ آخر

رأى فلوطرخس(١)

قيل إنه أول من شهر بالفلسفة ونسبت إليه الحكمة تفلسف بمصر ثم سار إلى ملطية وأقام بها وقد يعد من الأساطين قال إن البارى تعالى لم يزل بالازلية التى هى أزلية لأزليات ، وهو مبدع فقط ، وكل مبدع ظهرت صورته فى حد الابداع فقد كانت صورته عنده اى كانت معلومة له والصور عنده بلا نهاية ، أى المعلومات بلا نهاية ، قال ولو لم تكن الصور عنده ومعه لما كان إبداع ولا بقاء للمبدع ، ولو لم تكن باقية قائمة لكانت تدثر بدثور الهيولى ولو كان كذلك لارتفع الرجاء والخوف ، ولكن لما كانت الصور باقية دائمة ، ولها

(١) فلوطرخس كان فيلسوفا مذكورا فى عصره يعلم جزءا متوفراً من هذا الشأن وله تصانيف مذكورة بين فرق الحكماء منها كتاب الآراء الطبيعية يحتوى على آراء الفلاسفة فى الأمور الطبيعية وهو خمس مقالات ، نقله قسطا بن لوقا البعلبكى ، وكتاب الغضب ، وكتاب إلى مورياليا فيما دله عليه من مداراة العدو والانتفاع به . وكتاب الرياضة نقله قسطا ، وهو مقاله ، وكتاب فى النفس ، وهو مقاله ، ولأبى بكر الرازى تفسير كتاب فلوطرخس لكتاب طيماوس ، (أخبار الحكماء ص ١٧٠ فهرست ابن النديم ص ٣٥٥ عيون الأنباء أول ص ٣١٩) :

الرجاء والخوف كان ذلك دليلا على أنها لا تدثر ولما عدل عنها الدثور ، ولم يكن له قوة عليها كان ذلك دليلا على أن الصور أزلية فى علمه تعالى قال ولا وجه الا القول بأحد الاقوال ، إما أن يقال إن الباري تعالى لا يعلم شيئا من البتة وهذا من المحال الشنيع ، وإما أن يقال يعلم بعض الصور دون بعض وهذا من النقص الذى لا يليق بكمال الجلال ، وإما أن يقال يعلم جميع الصور والمعلومات وهذا هو الرأي الصحيح ، ثم قال إن أصل المركبات هو الماء فاذا تخلخل صافيا وجد النار ، وإذا تخلخل وفيه بعض الثقل صار هواء ، وإذا تكاثف تكاثفا (بالغا) مبسوطا صار أرضا .

وحكى فلوطرخس ان ايرقليطس زعم أن الأشياء إنما انتظمت بالبخت ، وجوهر البخت هو نطق عقلى ينفذ فى الجوهر الكلى

رأى اكسنوفانس(١)

كان يقول أن المبدع الأول هوايته زلية دائمية ديمومية

(١) اكزنوفنس أو اكسانوفان أو اكسنوفانس ، ولد سنة ٥٧٠ ق م ، فى قولوفون من أعمال أيونيا ، بالقرب من أفسوس ، ويرجح ان غزو الفرس لبلاده هى التى حملته على مغادرتها فضرب فى مناكب الأرض ، يطوف فى انحاء العالم اليونانى ينشد الشعر فى المحافل والأعياد ، ولم يزل يجول ويطوف وينشد ويغنى حتى أوفى على التسعين وهو وان لم يقطع التاريخ بذهابه إلى إيليا أم لا لكنه سبق فى آرائه بارمنيدس ، المؤسس الحقيقى للمدرسة الإيليه ، الذى أخذ آراء اكسانوفان ، الذى أعلن أصل المذهب ، ثم وضعه هو فى صورته الكاملة وجاء بعده زينون . فنصب نفسه للدفاع عنه ، ثم مليسوس ، أدخل عليه بعض التعديل دون أن يمس جوهره وكلهم يقولون : ان العالم موجود واحد وطبيعة واحدة ، يقولون هذا لا كالطبيعية الذين يفرضون . موجودا واحدا (ماء أو هواء أو نارا) ويستخرجون منه كثرة الأشياء بالحركة والتغير العرضى ، (اجتماع وانفصال ، أو تكاثف وتخلخل) بل يقولون ان العالم

ساكن فهم ينكرون الكثرة والحركة ،

هذا وقد كان اكسانوفان شاعراً حكيما شريف النفس حر الفكر ، مر النقد قل ساخراً من تكريم الناس للمصارعين ، (ان حكمتنا خير وأبقى من قوة الرجال والخيل) وقال يتهكم على فيثاغوراس لاعتقاده بالتناسخ انه مر ذات يوم برجل يضرب كلباً فأخذته الشفقة فصاح وهو ينتحب أمسك عن ضربه ياهذا . انها نفس صديق لى ، لقد عرفته من صوته) .

وقد بث فى ثنايا أشعاره آراءه فى الدين والفلسفة جاءت منثرة ، كانها عرض غير مقصود ، وهو بالاصلاح الدينى أشد صلة منه بالفلسفة . فقد هاجم اليونان في دينهم هجوما عنيفا زعزع العقائد وزلزل الآلهة التى اتخذها اليونان . والتى صوروها فى الأساطير والأشعار القديمة فى صورة الشر ، فهى تمكر وتخدع وتسرق ، وتغضب وترضى ، وتبغض وتحب . فأخذ اكسانوفنس يسخر من هؤلاء الذين استباحت عقولهم . أن تسيغ آلهة تولد وتموت وتضطرب مع البشر ، فيما يضطربون فيه وينحو باللائمة المرة على هومر . وهزيود ، اللذين ساقا فى شعرهما تلك الصور الشائنة للالهة ، كلا انما رب الكون إله واحد . لأن الكمال لا يتعدد وهو لا يشبه البشر في الصورة ، أو فى نوع التفكير . فهو كله عين ، كله اذن وكله عقل . وهو إذا فكر فى الأشياء لا يلقى فى التفكير مشقة ، ولا عناء . لأن التفكير يصدر منه كما يصدر الضوء عن الشمس ، ولكنا إذا اتهمنا الانسان بأنه يصور الله على صورته هو لا على حقيقته كما هى فانا سنسائل أنفسنا وكيف السبيل إلى معرفة الحقيقة المطلقة مجردة عن فكر الانسان . وهنا يجيب اكسانوفنس نفسه فيقول لم تر الدنيا ولن تر إلى الأبد رجلا يستطيع أن يعرف الاله معرفة صحيحة دقيقة ، وحتى لو شاءت المصادفة لانسان أن يقول في الله الحق كاملا فهو نفسه لن يعرف أنه يقول الحق »

ولم يعتقد اكزنوفنس ان العالم شىء والله شىء آخر ، يحكمه ، وهو منفصل عنه كما يحكم القائد جيشه . بل الله والعالم حقيقة واحدة ، وإذن فقد كان مذهبه أقرب شىء إلى الحلول أو كأنه أخذ وحدة الوجود عن فلاسفة وطنه ايونيه وتصور الوجود تصورا روحيا ، وعلى أى ، فلعقيدته قيمتها ؛ وهى جديرة أن تجعل منه واضع العلم الالهى . وقد توفى سنة ٤٨٠ ق م .

(تاريخ الفلسفة اليونانيه ص٢٧ قصة الفلسفة اليونانيه ص ٤٠) .

القدم ، لا تدرك بنوع صفة منطقية ولا عقلية ، مبدع كل صفة وكل نعت منطقى وعقلى فاذا كان هذا هكذا فقولنا إن صور ما فى هذا العوالم المبدعة لم تكن عنده أو كانت أو كيف ابدع محال ، فان العقل مبدع والمبدع مسبوق بالمبدع ، والمسبوق لا يدرك السابق ابدا ، فلا يجوز أن يصف المسبوق السابق ، بل نقول إن المبدع أبدع كيفما أحب وكيفما شاء فهو ولا شىء معه ، وهذه الكلمة أعنى هو ولا شىء معه بسيط لا مركب معه ، وهو مجمع كل ما نطلبه من العلم لأنك إذا قلت ولا شىء معه فقد نفيت عنه أزلية الصورة والهيولى وكل مبدع من صورة وهيولى ، وكل مبدع من صورة فقط ، ومن قال ان الصورة أزلية مع أنيته فليس هو فقط بل هو وأشياء كثيرة ، فليس هو مبدع للصور بل كل صورة انما أظهرت ذاتها ، فعند إظهارها ذاتها ظهرت هذه العوالم ، وهذا أشنع ما يكون من القول وكان هرمس وعاذيمون يقول ليست أوائل البتة ولا معقول قبل المحسوس بحال بل مثل بدعة الأشياء مثل الذى يفرخ من ذاته بلا حدث ولا فعل ظهر فلا يزال يخرجه من القوة إلى الفعل حتى يوجد فيكمل فيحسه ويدركه وليس شىء بمعقول البتة والعالم دائم لا يزول ولا يفنى فان المبدع لا يجوز أن يفعل فعلا يدثر إلا وهو داثر مع دثور فعله وذلك محال

رأى زينون الاكبر[1]

كان يقول أن المبدع الأول كان فى علمه صورة ابداع كل جوهر

---

(١) زينون الكبير ، ان زينون الايلى ولد فى ايليا سنة ٤٨٩ ق م أو سنة

وصورة دثور كل جوهر ، فإن علمه غيرمتناه والصور التى فيه من حد الابداع غير متناهية ، وكذلك صور الدثور غيرمتناهية ، فالا والم في كل حين وفى كل دهر ، فما كان منها مشا كلالنا أدركنا حدود وجوده ودثوره بالحواس والعقل ، وما كان غير مشا كل لنا لم ندركه ، إلا أنه ذكر وجه التجدد ، فقال إن الموجودات باقية داثرة فأما بقاؤها فبتجدد صورها ، وأما دثورها فبدثور الصورة الأولى عند تجدد الأخرى ، وذكر أن الدثور قد يلزم الصور والهيولى (معا) ، وقال أيضا إن الشمس والقمر والكواكب تستمد القوة من جوهر السماء ، فاذا تغيرت السماء تغيرت النجوم أيضا ، ثم هذه

---

٤٩٠ ق م وهو تلميذ بارمنيدس : انتهت دراسته وعبثه إلى أن يذهب إلى أستاذه فيما ذهب اليه ، وأخذ يكتب فصولا لا يضيف فيها إلى الفلسفة جديدا بل يؤيد بها رأى استاذه فهو يرى ما ارتآه ، فى نظرية الوجود ، وفى أن عالم الحس وهم باطل يعتريه التغير والزوال ، مع أن الحقيقة الخالدة لاتتغير ولا تزول ، وزينون ، لا يكاد يعرف شيء من حياته سوى أن ائتمر بطاغيه مدينته فانكشف أمره ، فاذيق عذابا أليما ، احتمله بثبات عظيم حتى الموت ، وإذا أخذنا برواية أفلاطون قلنا إنه وضع كتابا فى شبابه قصد إلى تأييد مذهب معلمه ضد الذين سخروا منه وحاولوا ان يبينوا ان القول بالوحدة يستتبع نتائج مضحكة ومناقضة له وهؤلاء هم الفيثاغوريون الذين يؤلفون العالم من أعدادأى من وحدات منفصلة ، فحارب أصحاب الكثرة بان الزمهم المحالات وبين أن لمذاهبهم نتائج هي ادعى للضحك ، فهو قد نهج منهجا جدليا بحتا يقوم على برهان الخلف ويرمى إلى إفحام الخصم ولم يصل إلينا من المعلومات ما يكفى لتكوين فكرة مضبوطة عن كتابه وترتيب أقواله ولكن ارسطو أورد بعض حججه فى امتناع الكثرة ، والحركة . توفى سنة ٤٣٠ ق م (قصة الفلسفة اليونانية ص ٤٧ تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٣٠)

الصور كلها بقاؤها ودثورها فى علم البارى تعالى ، والعلم يقتضى بقاؤها دائما وكذلك الحكمة تقتضى ذلك لأن بقاءها على هذا الحال أفضل والبارى تعالى قادر على أن يفنى العوالم يوما ما إن أراد ، وهذا الرأى (١) قد

---

(١) ذهب مذهب استاذه ، فى أنه لم يلتمس علة الكون فى ماء ولا هواء مما يري بالعين ويحس باليد ، ولم يلتمسه في العدد الذى يتصل بالأشياء المحسة صلة وثيقة ، بل أنكر الأشياء جميعا واعتبرها فى حكم العدم واعترف بحقيقة واحدة لم نصل اليها بطريق الحواس ، بل بالعقل الحر الخالص ، اعنى بها الكينونة إلى الوجود إذ أنه نظر إلى الأشياء فأدرك أنه انما يحس منها صفاتها ، وهذه الصفات متغيرة فانية إلا اشيئا واحدا ثابتا هو الوجود ، فصفة الوجود هو جوهر الكون ، هى أصل الكائنات جميعا بل هى وحدها الحقيقه . وكل ماعداها وهم خادع ، وهو إذ ذكر الوجود فلا يدخل في حسابه الأشياء التى تقع تحت الحس لأنها فانية واذن فهى لاتستقيم مع خلود الوجود ، إنما يعني وجود أى كينونة ، لا يتغير ، ولا يصير ولا ينشأ ولا يفنى وليس له ماض ولا حاضر ولا مستقبل بل هو يمتد حتى يستوعب الابد والأزل ، دون أن يعرف معنى الزمن ، لأن الزمن تغير وتحول . والوجود وحدة لا تنقسم ولا تتجزأ ولا تدرأ عليها الحركة والاضطراب لانهما صورة للتحول وليس التحول من صفاته ، وليست للوجود صفات ، إلا صفة واحدة هى الوجود .

انظر إلى العالم الحى عالم الأشياء ، الأرض والسماء . وما يحويان من الجوامد والأحياء ، نلاحظ أنه متغير متحول ، وهو كثرة من الافراد والأنواع والأجناس وقلنا إن حقيقة الكون لا تعرف ذلك التغير والتحول ، ولاهذه الكثرة المتنافرة ، فهى ثابتة على صورة واحدة ، وهى شىء واحد لا كثرة ، أى أن جوهر الكون حقيقة لا تتحرك ولا تتعدد ، فاما الحركة ، والتعدد ، اللذين نراهما ، فهما من خدعة الحواس ، ولاحقيقة لهما ، فانه إن كانت الكثرة . أى ان الكون ليس شيئا واحدا بل وحدات كثيرة متراكمة ، لو أنه حقيقة . كان الكون لا متناهيا في الكبر ولا فى الصغر فى وقت واحد ، فادى ذلك إلى نتيجتين متناقضتين . فالكثرة باطلة ، أما بطلان الحركة ، فانك إذا أردت أن تقطع مسافة ما . فستقطع نصفها الأول

مال إليه الحكماء المنطقيون الجدليون دون الالهيين ، وحكى فلوطرخيس ان زينون كان يزعم أن الأصول هو الله تعالي والعنصر فقط ، فالله تعالى هو العلة الفاعلة والعنصر هو المنفعل .

(حكمه) قال أكثروا من الإخوان فإن بقاء النفوس ببقاء الإخوان كما إن شفاء الأبدان بالأدوية ، وقيل رأى زينون فتى على شاطىء البحر محزونا يتلهف على الدنيا . فقال له يا فتى ما يلهفك على الدنيا ، لو كنت في غاية الغنى وأنت راكب فى لجة البحر ، وقد انكسرت السفينة ، وأشرفت على الغرق كانت غاية مطلوبك النجاة ، ويفوت كل ما في يدك قال نعم ، قال لو كنت ملكا على الدنيا وأحاط بك من يريد قتلك كان مرادك النجاة من يده ؛ قال نعم قال فأنت الغنى وأنت الملك الآن

ويبقى أمامك نصفها الثانى ثم تقطع نصف هذا النصف ويبقى نصفه الآخر . وهكذا دواليك تقطع نصفا ويبقى نصف إلى ما لا نهاية . وإذن فلن تصل إلى غايتك . إلى الأبد واذا انطلق سهم فى الهواء . فلا بد أن يكون فى أية لحظة زمانية ثابتا فى مكان معين إذ لا يجوز أن يكون في اللحظة الواحدة فى مكانين مختلفين . لكن إذا كان السهم فى كل جزء زمنى ساكنا فى مكان بعيد لزم أن يكون فى مجموع الفترة الزمنيه ساكنا كذلك ، لان استمرار السكون ينتج سكونا ولا يولد حركته . فمن هذين يتضح أن الحركة مستحيله الحدوث وان خيل إلينا أنها حقيقة واقعة، لما ينتجه فرضها من التناقض وقد أثار زينون بفروضه مشكلة . لاتزال حتى اليوم مجال البحث والنظر ، هى مشكلة الزمان والمكان هل هما محدودان أم لا نهائيان ، أثار هذه المشكلة وهو بصدد البرهنة على استحالة الكثرة والحركة . وما دام فى فرضهما تناقض ، فلا يمكن أن تكونا حقيقتين ولا بد أن يكون فى الوجود كائن واحد هو الوجود نفسه في وحدة لا تعرف التعدد ، وفى سكون لا يعرف الحركة ، (قصة الفلسفة اليونانية ص ٤٤ وص ٤٧)

فتسلى الفتى ، وقال لتاميذه كن بما تأتى من الخيرمسروراً ، وبما تجتنب
من الشر محبوراً ، وقيل له أى الملوك أفضل ملك اليونانيين أم ملك
الفرس ، قال من ملك شهوته ، وغضبه ، وسئل بعد أن هرم ، ماحالك
قال (هوذا أموت) قليلا قليلا على مهل ، وقيل له إذا مت فمن يدفنك
قال من يؤذيه نتن جيفتى ، وسئل ما الذى يهرم قال الغضب والحسد وأبلغ
منهما الغم ، وقال الفلك تحت تدبيرى ، ونعى إليه ابنه فقال ما ذهب
ذلك على إنما ولدت ولدا يموت ، وما ولد ولد إلا ليموت ، وقال لا تخف موت
البدن ولكن يجب عليك أن تخاف موت النفس فقيل له لم قلت خف
موت النفس ، والنفس الناطقة عندك لا تموت ، فقال إذا انتقلت النفس
الناطقة من حد النطق إلى حد البهيمية وإن كان جوهرها لا يبطل فقد
ماتت من العيش العقلى ، وقال أعط الحق من نفسك ، فإن الحق
يخصمك إن لم تعطه حقه ، وقال محبة المال وتد الشر ، لأن سائر الآفات
يتعلق بها ، ومحبة (الشهوات) وتد العيوب لان سائر العيوب متعلقة بها ،
وقال أحسن مجاورة النعم فتنعم ، ولا تسىء بها فيسأ بك ، وقال إذا أدركت
الدنيا الهارب منها جرحته ، وإذا أدركها الطالب لها قتلته ، وقيل له ، وكان
لا يقتنى إلا قوت يومه ، إن الملك يبغضك فقال ، وهل يحب الملك من
هو أغنى منه ، وسئل بأي شىء تخالف الناس فى هذا الزمان البهائم قال
بالشرور ، قال وما رأينا العقل قط إلا خادما للجهل ، وفى رواية أخري
إلا خادما للجد ، والفرق بينهما ظاهر ، فإن الطبيعة ولوازمها إذا كانت

مستولية على العقل استخدمه الجهل ، وإذا كان ما قسم للأنسان من الخير والشر فوق تدبيره العقلى ، كان الجد مستخدما للعقل ، ويعظم جد الإنسان بالعقل ،وليس يعظم العقل بالجد ، ولهذا خيف على صاحب الجد ما لم يخف على صاحب العقل ، والجد أصم أخرس لا يفقه ولا ينقه ، وإنما هو ريح تهب ، وبرق يلمع ، ونار تلوح ، وصحو يعرض ، وحلم ينع ، وهذا اللفظ أولى ، فانه عمم الحكم فقال ما رأينا العقل قط وقد يعرض العقل أن يرى ولا يستخدمه الجهل وذلك هو الأكثر ، وقال زينون فى الجرادة خلقة سبعة جبابرة رأسها رأس فرس وعنقها عنق ثور وصدرها صدر أسد وجناحاها جناحا نسر ورجلاها رجلا جمل وذنبها ذنب حية .

رأى ديمقراطيس (١) وشيعته

فانه كان يقول فى المبدع الأول إنه ليس هو العنصر فقط

---

(١) ديموقريطس ، ولد سنة ٤٧٠ ق م فى أبديرا من أعمال تراقية . وقيل بملطية وهاجر إلى أبديرا ، تلقى العلم على الماجية والـكلديانية ،اللذين خلفهما الملك اجريكيس عند والد هذا الفيلسوف حين نزل عنده فى محاربة اليونان ، فأخذ عنهما المنطق ، والهيئة ، ثم تلقى الطبيعة على لوسيب ، واجتهد فى التلقي ، رغبة منه فى العلم ، رغبة حارة وقد وهبه الله بصيرة نافذة ، وفكرا ثاقبا فلا يقع أمامه نوع من أنواع المعرفة حتى يلتهمه التهاما فاذا هو جزء منه ، وقد حفزته الرغبة الملحة فى التحصيل ، إلى أن يطوف في الاقطار ، فزار مصر وجاس خلالها ، وعرج على بابل فطوف فى أنحائها واجتمع بعلماء الأقطار التى رحل اليها ، واستفاد وأفاد من حكماء الأمصار التى ساح فيها وقد ذكر عن نفسه « ان أحدا من أهل زمانه لم يقم بمثل ماقام به من رحلات ولم ير مثل ما رأى من بلدان ، ولم يستمع إلى مثل ما استمع إليه من أقوال العلماء »

ولا العقل فقط ، بل الأَخلاط الأربعة وهى الاستقصات أوائل الموجودات كلها (ومنها أبدعت الاشياء البسيطة كلها) دفعة واحدة ، وأما المركبة فانها كانت داءة دائرة إلا أن ديمومتها بنوع ودثورها بنوع ، ثم ان العالم بجملته باق غير داثر، إلا أنه ذكر أن هذا العالم متصل بذلك العالم الأعلى ، كما أن عناصر هذه الأشياء متصلة بلطيف أرواحها الساكنة فيها والعناصر وان كانت تدثر فى الظاهر فان صفوها من الروح البسيط الذى فيها ، فإذا كان كذلك فليس يدثر إلا من جهة الحواس ، فأما من نحو العقل ، فانه ليس يدثر فلا يدثر هذا العالم إذا

ولم يتفوق عليه في علم الهندسة حتى ولا المهندسون المصريون وفى مقدمة الذين استفاد بعلمهم ، لوقيبوس ، وقد أنشأ مدرسة فى أبديرا ولم يفرد له مكان فى تاريخ الفلسفة وأرسطو نفسه يقرن اسمه دائما باسم ديموقريطس تلميذه وصديقه . ويضيف إليهما مذهبا واحدا وكان ديموقراطيس دائم الضحك . ومنشأ كثرة ضحكه شدة تأمله فى ضعف الانسان ، وافتخاره الذى يخيل إليه فى الدنيا أشياء كثيرة هزئيه ظنا منه أن يدركها بتدبيره مع أن كل شىء فى الدنيا حصوله اتفاقى ناشىء من تلاقى ذرات العالم بعضها ببعض مصادفة . ولاستمراره على الضحك ظن أهل بلده أن به جنونا فأرسلوا له ابقراط لمعالجته ، فذهب إليه ابقراط فى مدينة أبديرة . ومعه الأدوية وقدم إليه أولا اللبن ، فلما نظره ديمقريطس ، قال ان هذا اللبن من عنزة سوداء بكر ، وكان الأمر كما قال ، فعجب ابقراط من عرفانه فأخذ فى حديثه . فعجب من حكمته الخارقة للعادة . وقال ان أهل مدينة أبديرة هم المحتاجون للعلاج ، والدواء ، لا هذا الفيلسوف كما ظنوا ، ثم رجع ابقراط وهو معجب به أشد العجب وقد تسبب عن ولوعه بدراسته أن أصابه العمي ، فانه وضع لوحا من نحاس جهة الشمس ، فكان يعكس على بصره أشعة الشمس ، فكان حر الأشعة . سببا فى ذهاب بصره ، وقد قيض له أن يعمر طويلا . فقد مات سنة ٣٦١ ق م وقد أوفى على التسعين . (ترجمة مشاهير قدماء الفلاسعة ص ٧٨ تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٣٨ قصة الفلسفة اليونانية ص ٧٣) .

كان صفو ها فيها ، وصفوه متصل بالعوالم البسيطة ، وإنما شنع عليه الحكماء من جهة قوله إن أول مبدع هو العناصر ، وبعدها أبدعت البسائط الروحانية فهو يرتقي من الأسفل إلى الأعلى ، ومن الأكدر إلى الأصفى (١) ومن شيعته

(١) مذهب ديمقريطس هو المذهب الذرى ، أو مذهب الجوهر الفرد ، وقد وضع أسه ليوسبس ، أما ديمقريطس فقد أقام بناءه وخرج منه فصوله وفروعه وهو أكمل النقص فى فلسفة أنباذوقليس ، التى وفقت بين فلسفتى بارمنيدز وهيرقليطس ، فاعترفت مع الأول بدوام الوجود وثبوته ومع الثاني بتحوله وضيرورته فخصت بالدوام مادة الوجود أو الذرات ، وبالتغير والتحول انضمام الأجزاء بعضها إلى بعض وانفصالها وقد رد انباذوقليس الكون إلى عناصر أربعة التراب والماء والهواء والنار والتئامها ونفورها بقوتى الحب والنفور ، والحب والغلبة وقد ذهب ليوسيس وديمقريطس إلى أن تحليل المادة يؤدى إلى وحدات لا تقبل التقسيم هى ما اطلق عليه الذرات أو الجواهر الفردة . وهى التى تتكون من مجموعها مادة الكون ، وهى لا نهائية العدد ، وتبلغ من الدقة حدا يتعذر معه ادراكها بالحواس ، وليست العناصر أربعة ، بل هى عنصر واحد متجانس إذ الذرات الأولى متشابهة متجانسة تتساوى فى انعدام الصفات والخصائص إلا أنها تختلف حجما وتتباين قالبا وشكلا ، غير أنه لا مناص من أن من أن نضيف اليها صفة أو صفتين فما دامت لا تقبل التجرئة فهى صلبة ، إلى أنها ذات ثقل ووزن ، وإذا كانت الذرات أجراما دقيقة لها سطوح محيطة بها فهى إذن منفصل بعضها عن بعض . ولابد أن يكون ثبها الفراغ المطلق أو الخلا وإذ أن الذرات سعى بعضها إلى بعض فتآلف أو تتنافر فهذه الحركة لا تتم إذا لم يكن ثمت فراغ ، فالكون ينتظم الذرات والفراغ أى المادة والعدم وهما يقابلان مايسمي عند المدرسة الايلية الوجود واللاوجود غير أن الايلية أنكرت اللاوجود . وذهبت إلى أن الوجود وحدة هو الموجود ، أما الذريون فاثبتوا هاتين الحقيقتين جنبا إلى جنب هذا والمادة متحركة ولا يطرأ عليها السكون ويرى ديمقريطس أن حركتها ليست وفقا لحركة مرسومة لكنها الضرورة الآلية العمياء وحدها هى التى يحركها . ومن ثمت كان لرأيه أثر عميق فى زعزعة دين اليونان وهدم آلهتهم فان العوالم إذ كانت تسير من

قلموخس إلا أنه خالفه فى المبدع الأول ، وقال بقول سائر الحكماء ، غير أنه قال إن المبدع الأول هو مبدع الصور فقطدون الهيولى ، فإنها لم تزل مع المبدع، فأنكروا عليه ،وقالوا إن الهيولى لو كانت أزلية قديمة لماقبلت الصور ولماتغيرت من حال، إلى حال ولماقبلت فعل غيرها، إذ الازلى لا يتغير وهذا الرأى مما كان يعزي إلى أفلاطون الالٰهى ، والرأى فى نفسه مزيف والعزوة اليه غير صحيحة .

ومما نقل عن ديمقراطيس وزينون الأكبر وفيثاغورس أنهم كانوا يقولون إن الباري تعالى متحرك[1] بحركة فوق هذه الحركة الزمانية ، وقد أشرنا إلى المذهبين ، وبينا أن المراد باضافة الحركة والسكون إليه

تلقاء نفسها فلم يكن للانسان في آلهته أمل يرجوه ، وقد أمعن فى كفره إلى أن زعم أن فكرة الآلهة إنما نشأت من الخوف من الظواهر الأرضية والسماوية من زلازل وبراكين وشهب ومذنبات ، وغيرها مما تنخلع لها قلوب البشر ، وذهب إلى أن النار من الذرات ، إلا أن ذراتها ناعمة مستديرة والنفس الانسانية ليست إلا قبسا ناريا وقد ذهب إلى أن المرتبات الخارجة تنبعث عنها صور تقع على الحواس فتؤثر فيها فتنعكس صورتها فى صفحة الذهن أما صفات الأشياء كاللون والطعم والرائحة ، فلا تقوم بالأشياء نفسها وإنما بانفعال الحواس (قصة الفلسفة اليونانية ص ٧٣) .

(١) مضى ديمقريطس بالمذهب الآلى ، إلى حده الأقصى .ووضعه في صيغته النهائية فقال إن كل شىء امتداد وحركة فحسب ، ولم يستثن النفس الانسانية كما لم يستثن الآلهة فذهب إلى أنهم مركبون من جواهر كالبشر ، الا أن تركيبهم أدق . فهم لذلك أحكم وأقدر ، وأطول عمرا بكثير ، ولكنهم لا يخلدون فانهم خاضعون للقانون العام ، أى للفساد بعد السكون واستئناف الدور على حسب ضرورة مطلقة ناشئة من المقاومة والحركة . والتصادم ، دون أية غاية أو علة خارجة عن الجواهر مثل المحبة والكراهية ، ودون أية علة باطنة مثل التكاثف والتخلخل ، ودون أية كيفية ، فالمذهب غاية فى البساطة ولكنه حافل بالصعوبات (تاريخ الفلسفة اليونانيه ص ٤٠)

تعالى ، ونزيده شرحا من احتجاج كل فريق على صاحبه ، قال أصحاب السكون إن الحركة أبدا لا تكون إلا ضد السكون ، والحركة لا تكون إلا بنوع زمان ، إما ماض وإما مستقبل ، والحركة لا تكون الامكانية منتقلة ، واما مستوية ، ومن المستوية تكون الحركة المستقيمة والمعوجة والمكانية تكون مع الزمان ، فلو كان البارى تعالى متحركا لكان داخلا فى الدهر والزمان ، قال أصحاب الحركة إن حركته أعلى من جميع ما ذكرتموه وهو مبدع الدهر والمكان ، وإبداعه ذلك هو الذى يعنى بالحركة ، والله أعلم .

رأى فلاسفة أقاذميا (١)

فإنهم كانوا يقولون إن كل مركب ينحل ، ولا يجوز أن يكون مركبا من جوهرين متفقين فى جميع الجهات وإلا فليس بمركب ، فاذا كان هذا هكذا فلا محالة أنه إذا انحل المركب حل كل جوهر ، فاتصل

---

(١) اقاذميا ، أو أكاديمية فافلاطون ، عاد إلى أثينا ، المرحلة الثالثة ، والاخيرة فى حياته ، خصص فيها نفسه للتفكير والتعليم وانتحى مكانا هادئا بعيدا عن جلبة المدنية وضجيجها ، هو أحد الملاعب الاثينية يقع قريبا من المدينة فى شمالها الغربى وكان يسمى باسم أحد أبطال القدماء هو اكاديمس فاطلق على الملعب اسم اكاديمى ، أو أكاديمية ، وهنا ألقى الفيلسوف عصاه ، والتف حوله طائفة من التلاميذ أخذ يعلمهم الحكمة فى مدرسته المدرسة الاكاذيمية ولما كان أتباعه يعرفون بالاكاذيميين كان كل من أقام منهم مدرسة يسميها اكاذيمية ، ويطلق هذا الاسم الآن عندالفرنجة إما على مدرسة عالية لتهذيب الشبان وإما على جمعية مؤلفة من العلماء تقام لإصلاح العلوم والآداب والفنون . (قصة الفلسفة اليونانية ص ١٤٧ دائرة معارف البستانى رابع ص ١٠٢)

بالأصل الذى كان منه ، فما كان منها بسيطاروحانيا لحق بعالمه الروحانى البسيط، والعالم الروحانى باق غير داثر ، وما كان منها حاسياغليظا لحق بعالمه أيضا وكل حاسى إذا انحل ، فإنما يرجع حتى يصل إلى ألطف من من كل لطيف ، فاذا لم يبق من اللطافة شيء اتحد باللطيف الأول المتحد به ، فيكونان متحدين إلى الأبد ، واذا اتحدت الأواخر بالأوائل وكان الأول هو أول مبدع ليس بينه وبين مبدعه جوهر آخر متوسط فلا محالة أن ذلك المبدع الأول متعلق بنور مبدعه فيبقى خالدا دهر الدهور ، وهذا الفصل قد نقل ، وهو يتعلق بالمعاد لا بالمبدأ ، وهؤلاء يسمون مشائى أقاذميا .

وأما المشاءون المطلق فهم أهل لوقين ، وكان أفلاطون يلقن الحكمة ماشيا تعظيما لها، وتابعه على ذلك أرسطوطاليس فيسمى هو وأصحابه المشائين وأصحاب الرواق وأهل المظال [١] وكان لافلاطون تعليمان أحدهما تعليم كليس [٢] وهو الروحانى الذى لا يدرك بالبصر ولكن بالفكرة اللطيفة ، وتعليم طاليس وهو الهيولانيات .

---

(١) ومع ذلك فيظهر من رواية ذيوجانس اللايرسى ، فى كتابه حياة الفلاسفة ، ان زينون شيخ الرواقية القدماء كان يعلم تلاميذه ماشيا كالمشائين .

(٢) لافلاطون ، كتب جعلها أقوالا يحكيها عن قوم ، ويسمى ذلك الكتاب باسم المصنف له ، ويظهر ان كليس ، محرفة عن تا اجيس ، وهو كتاب فى الفلسفة (فهرست ابن النديم ص ٣٤٤)

رأى هرقل الحكيم(٥)

فإنه كان يقول إن أول الأوائل النور الحق ، لا يدرك من جهة عقولنا ، لأنها أبدعت من ذلك النور الأول الحق ، وهو الله حقا ، وهو اسم الله باليونانية وانما يدل على أنه مبدع الكل ، وهذا الاسم عندهم شريف جدا ، وكان يقول إن بدء الخلق وأول شيء ابدع والذى هو أول لهذا العالم هو المحبة والمنازعة ، ووافق فى هذا الرأى انبذقلس حيث قال الأول الذى أبدع هو المحبة والغلبة ، وقال هرقل السماء (كرة) متحركة من ذاتها والأرض مستديرة ساكنة جامدة بذاتها ، والشمس حللت كل ما فيها من الرطوبة ، فاجتمعت فصار البحر ، والذى حجرت الشمس ونفذت فيه حتى لم تذر فيه شيئا ، من الرطوبة صار منه الحصى والحجارة والجبل ومالم تنفذ فيه الشمس أكثر ولم ينزع عنه الرطوبة كلها فهو التراب ، وكان يقول إن السماء فى النشأة الأخرى يصير بلا كواكب ، لأن الكواكب تهبط سفلا حتى تحيط بالأرض ، وتلتهب فتصير متصلا بعضها ببعض ، حتى تكون الدائرة حول الأرض ، وانما هبط منها ما كان من أجزائها نارا محضة ، ويصعد ما كان نورا محضا ، فتبقى النفوس الشريرة الدنسة الخبيثة فى هذا العالم الذى أحاط به النار إلى الابد فى عقاب السرمد ، وتصعد النفوس

---

(٥) هرقل ، أو إيرقليس الهادى ، من حكماء اليونان ، وممن عنى فى نفع الناس واجتهد فى ذلك (عيون الأنباء أول ص ١٨)

الشريفة الخالصة الطيبة ، إلى العالم الذى تمحض نورا وبهاء وحسنا فى ثواب السرمد . وهناك الصور الحسان لذات البصر ، والالحان الشجية لذات السمع . ، ولأنها أبدعت بلا توسط مادة ، وتركيب استقصات، فهى جواهر شريفة روحانية نورانية . وقال إن البـارى يمسح تلك الأنفس فى كل دهر مسحة فيتجلى لها حتى تنظر إلى نوره المحض الخارج من جوهره الحق ، فحينئذ يستلذ عشقها وشوقها ومجدها فلا يزال ذلك دائما أبد الأبد.

رأى أبيقورس[1]

(١) ولد أبيقور ، فى ساموس سنة ٣٤١ ق م من أسرة أثينية ، وكان أبوه معلما وكانت أمه ساحرة تعزم فى المنازل للتطبيب والتطهير ، ولما بلغ الثانية عشرة قصد إلى أثينا ، فقضي بها عاما واحدا . ثم قصد إلى كولوفون بآسـيا الصغرى ، وقد أخذ أولا عن المعلم بمفيلس الأفلاطونى ولما لم تطمئن نفسه لهذا المذهب . خرج من مكتبه وأخذ فى الدراسة ، والبحث معلما نفسه بنفسه وكان يسر من كتب ديمقريطس ، التى انتفع بها كثيرا . وساعدته على تدوين مذهبه ، وما بلغ الثانية والثلاثين حتي أخذ فى دراسة الفلسفة . ثم عاد إلى أثينا وافتتح بها مدرسة سنة ٣٠٦ ، فى داره وحديقته ، وأوصي قبل موته . أن تخصص للمدرسة ، ومن ثم أطلق على تلاميذه فلاسفة الحديقة . وقد جمعت بين أفرادها كثيرا من النساء والعبيد أقبلوا عليه يتعلمون منه حياة اللذة السهلة . وكان أكثر اجتماعهم فى الحديقة ، وكان أبيقور خلقه الصداقة . وصفاء النفس وكان لين الجانب محبوبا لجميع الناس ، وكان ذا شفقة على أهله وأصحابه ، وكان معهم بظاهره وباطنه . مادا يده إليهم بما عنده وكان يعطف على مماليكه . يعاملهم معاملة الحر ويأذن لهم فى التعلم ويهتم بتعليمهم بنفسه . ويعنى بهم عنايته بتلاميذه ، وكان قوى النفس ، كثير . الاعتـداد بنفسه ، يعلن أن مذهبه وليد فكره ، ولا يعترف لأحد ممن تقدمه ولا ممن عاصره بفضل،

خالف الأوائل فى الأوائل ، قال المبادىء[١] اثنان الخلاء والصور

وقد هجاهم جميعا وقد كان ذا شخصية محبوبة ، فقد نظر إليه تلاميذه نظرة التقديس ولم يذهب موته بمنزلته ، بل ازدادوا له بعد موته حبا وإجلالا وبقيت مدرسته نحوا من ستة قرون ، وهو الذى وضع أساس مذهبه وأكمله ، فلم يزد معتنقو مذهبه شيئا ذا قيمة على ما وضعه هو ، ولا غيروا من آرائه وقد ألف كثيرا ، وأخرج ثلاثمائة مجلد ، عبث الزمان بمعظمها ، ولم يبق منها إلا القليل ، ومن أهم كتبه كتاب (في الطبيعة) يقع فى سبعة وثلاثين جزءا ، ووضع ملخصا لفلسفته ، رغب فى استظهارها ولعل هذا ، كان سببا فى ذيوع آرائه وسيرورة كلماته بين الناس إلى عهد طويل بعد وفاته ، وقد كتب نظريته المعروفة في كتاب عنوان المدفع أما الأخلاق فأشهر كتبه، فيها ، فى الخير الأسمى ، وما يجب أن نتجنبه ، وفى أنواع الحياة ، ثم الأفكار الرئيسية وهى عبارة عن ملخص المذهب ، فى إحدى وعشرين ومائة فكرة، إحدى وثمانون منها ، كشفت سنة ١٨٨٨ وأربعون كانت معروفة من قبل ، وكان يبعد بنفسه عن الدخول فى حكم الجمهور مؤثرا عزلته ، بفلسفته ، وقد مرض أربعة عشر يوما ، ثم مات سنة ٢٧٠ ق م وقد أوصى أصدقاءه وتلاميذه الحاضرين وقت موته ، بأن لا ينسوه ولا ينسوا أصول مذهبه (ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص ١٦٤ تاريخ الفلسفه اليونانيه ص ٢١٤ قصة الفلسفة اليونانية ص ٣٠٩)

(١) ذهب أبيقور إلى أن المبادىء أو المادة الأولية هى الذرات أي أجسام دقيقة بسيطة تتركب منها سائر الأجسام وأصل ثان ، هو الفراغ أو الخلاء ، لكن لم يجعله أصلا لتركيب الأجسام وإنما يقول إنه أصل لحركاتها لأنه لو لم يكن للفراغ أو الخلاء انتشار فى جميع الأجسام لم يمكن تحرك شىء بل كانت أجرام المادة تبقى متلاصقة بعضها ببعض، كالصخرة الواحدة فلا يتولد عنها شىء ، وكان يقول بقدم هذه الذرات وأنه لا يعقل عدد صورها وان أمكن حصره ، ولكن لكل صورة من هذه الصور مالا يحصى من الذرات ، وان ثقل الذرات هو السبب فى حركاتها فبتصادمها يشتبك بعضها ببعض وان اختلاف طرق ترتيبها ، وانتظامها يتولد عنه ما نشاهده فى الكون من الآثار المختلفة . من أن يكون شىء من هذه الآثار معلو لا لعلة غير تلك المصادمة التى تقع بين عدة مقادير من الذرات مختلفة الصور ، وكان يشبه هذه الذرات بحروف المبانى ، حيث يحدث عنها كلمات مختلفة على حسب اختلاف المادة التى تتركب منها

الكلمات فى الحروف ، فتختلف باختلات هيئة التركيب بالتقديم والتأخير فكذلك الذرات يتقدم منها بعض الأجسام إذا كانت مرتبة على وجه معين تكون منها صورة كذا ، وإذا رتبت على وجه آخر تكونت منها صورة أخرى ، على أن الذرات ليست جميعها صالحة للدخول فى تركيب سائر الأجسام فمنها ما يكون فرو الصوف ولا تصلح أن يكون الماس كما نشاهد كثيرا من الكلمات يباين غيره سائر حروفه ، وهذه الذرات الصغيرة دائبة الحركة ، وهذا هو السر في كون ما فى الوجود من الحوادث ، لا يدوم على حالة واحدة ، بل يصفر تارة ويعظم أخرى بما ينضم اليه مما نقص من الآخر وبعضها يقدم والآخر يأخذ فى الزيادة والقوة يوما فيوما ، فلا يمر على الشيء الواحد إلا زمن واحد وكلما أخذ فى الفساد انتزعت منه أجزاء وانضمت إلى آخر ومنعت فى العادة جسما يخالف ما تحللت فيه وبهذا لا يفسد شيء أبدا . وان لم يبق إلا زمنا واحدا ، وانما يتراءى أن الشيء يؤول للزوال كأن انعدم كلية ، وكان يذهب إلى أن العالم لا نهاية له . وان هذا العالم العظيم لا وسط ولا أطراف له وان أى نقطة نتصورها فى العالم فانه ثمت أماكن أخرى تقطع ولا يوجد لها آخر ، فكان أبيقور ماديا فلا يرى ثمت أرواحا مجردة ، ولا شيئا غير المادة ، وكل الأشياء مكونة من ذرات كما هو مذهب ديمقريطس وهذه الذرات عند أبيقور تختلف فى شكلها ووزنها لا في كيفيتها والنفس ذاتها ليست إلا ذرات تتفرق عند الموت ويقول إنه لا يصح أن نفكر فى آخرة ، وهذا يجعلنا سعداء ويحررنا من الخوف منها وليس الموت شرا لأننا إذا متنا فلا نكون وإذا كنا فلا موت . وقد أخذ المتنبي هذا المعنى فقال :

والأسى قبل فرقة الروح عجز   والأسى لا يكون بعد الفراق

فاذا جاء الموت فلا شعور لأن الموت نهاية الشعور ، ومن الحكمة ألا نخاف مما نعلم أن عندما يجيء لا نشعر كذلك ذهب أبيقور إلى أنه لا معنى للخوف من الآلهة وهو لم ينكر وجودها ، بل قد اعترف بآلهة لا تعد ولكنه قال إن لها أشكال الانسان لأن شكله أجمل شكل فى الوجود وهم يأكلون ويشربون ويتكلمون اللغة اليونانية وجسمهم يتكون من عنصر كالضوء ، وهم يعيشون عيشة سعيدة هادئة أبدية وهم لا يتدخلون فى شئون هذا العالم لأنهم فى سعادة فلم يزجون أنفسهم فى ضوضاء هذا العالم يحملون عبء حكمه إذن فلا خوف من الموت ولا خوف من الآلهة لا شيء على الانسان إلا أن يبحث كيف يعيش سعيدا فى أيامه التي يعيش على ظهر

أما الخلاء فمكان فارغ ، وأما الصور فهي فوق المكان والخلاء ، ومنها أبدعت الموجودت وكل ما يكون منها فانه ينحل إليها فمنها ، المبدأ واليها المعاد ، وربما يقول الكل يفسد وليس بعد الفراق حساب ولا قضاء ولا مكافأة ولا جزاء ، بل كلها تضمحل وتدثر . والانسان كالحيوان مرسل مهمل فى هذا العالم ، والحالات التى ترد على الانفس في هذا العالم كلها من تلقائها على قدر حركاتها وأفاعيلها ، فان فعلت خيرا وحسنا فيرد عليها سرور وفرح ، وإن فعلت شرا وقبيحا فيرد عليها حزن وترح ، وانما سرور كل نفس بالانفس الأخرى وكذا حزنها مع الانفس الأخري بقدر ما يظهر لها من أفاعيلها وتبعه جماعة من التناسخية على هذا الرأى .

الأرض ، والبحث فى هذا وظيفة علم الأخلاق ، فذهب أبيقور إلى أن أساس الأخلاق اللذة . فاللذة وحدها غاية الانسان وهى وحدها الخير والألم وحده هو الشر الذى يفر منه الانسان ويتجنبه والفضيلة ليست لها قيمة ذاتية وإنما قيمتها فيما تشتمل عليه من اللذة ، ولم يقتصر على اللذة الجسمية . بل قال إن اللذة العقلية أكبر قيمة من اللذة الجسمية لأن الجسم لا يحس إلا باللذة الحاضرة أما العقل فيستطيع أن يتلذذ بذكرى لذة ماضية ويأمل فى لذة مستقبلة ، وذهب إلى أن الفرار من الألم خير من السعى فى تحصيل اللذة . فعدم الألم وهدوء النفس وأمنها أفضل من العمل على إيجاد اللذة الايجابية ، وهكذا جاهدت الابيقورية بنزعتها المادية وإلحادها الصريح بمعاداة الدين وتهجمت على قدسيته ، لأنها اعتبرت التماس الأمن مثلها الا على مما أدى بها إلى أن التوقف عن الاعتقاد فى الدين ادعى للايمان من الايمان به فالايمان بالدين خطيئة بل سدر بعض الابيقوريين فى غلوائه إلى أن الايمان بالدين مبعث كل شر (ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص ١٧١ قصة الفلسفة اليونانية ص ٣١٤ قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص ٦٩) .

حكم سولون الشاعر(١)

وكان عند الفلاسفة من الأنبياء العظام بعد هرمس ، وقبل

(١) ولد سولون ، بمدينة أثينا ، سنة ٦٤٠ ، وكان من نسل ملك يونانى يسمى قدروس ، سافر فى صباه لمصر ، وكانت ميدانا للعلم ، فتعلم عن حكمائها ، وألم بما يلزم من الشرائع وعاد البلاد ثم عاد إلى أثينا ، فصار من أصحاب العز والجاه ، وتسنم أرفع المناصب ، وكان ذا عقل حكيم وجسم سليم ، مع صدق وثبات ، وكان شاعرا ماهرا وخطيبا مفوها ، وفقيها عيلما ، ملما بالقوانين ، شجاعا فى الحرب ، وقد أمضى حياته فى الذب عن وطنه ، وحريته . وقد صرف همته فى علم الأخلاق والسياسة وله الحكمة المشهورة ، وهي خير الأمور أوسطها ، ولما سمع بطاليس رحل إليه ، وأخذ عنه ، وقد قال لطاليس ، إنى عجبت من عدم زواجك فهلا تزوجت ، فتكون لك ذرية تثقفهم ، وتعلمهم ، فلم يجبه ، وبعد أيام احضر رجلا ، أوهمه أنه غريب ، وأنه من أثينا ، فسأله سولون عن أخبارها ، فقال ما عندى إلا أنى حضرت جنازة شاب ، شهد جنازته أهل أثينا جميعا ، لأنه ابن رجل عظيم فى قومه ، غائب ، ورأوا كتم الخبر عن أبيه ، خوفا عليه من الحزن والأسى ، إذ هو رجل كثير الحكمة فأخذ أفلاطون الذعر والهلع ، والقلق والجزع . فقال له سولون ، هل سمعت أن أب الشاب يسمى سولون فقال الغريب على البديهة نعم إنه سولون ، ثم أخذ يمزق ثوبه ، وينتف شعره ، ويضرب رأسه ويبكى بحرقة . فسأله تاليس عما دهاه ، فقال إنما أبكى موت ولدى ، لأن هذا أمر لا دواء له ، فأخذ تاليس فى الضحك ، وقال يا أخى ، هذا هو الذى منعنى من الزواج . فاني أعرف ، أن أثبت الرجال ، لا ملاك له على الحب ، وتربية الأولاد ولا قوة له على فقدهم . فلا تأس ، فحكاية ولدك مخترعه ، فسرى عنه وأدرك غرض استاذه ، ثم إنه قاد ، جنود وطنه ، وأخذ بثارها من أهل سلامينا ، وولاه قومه إمرتهم ، فصرف جهده فى تسكين الفتنة بأثينا وأحسن تدبيرها ، وساسها أحسن سياسة ، وغير القوانين التى ترمى إلى الشدة والقسوة ونظم شئون الدولة ووضع لها الشرائع والقوانين ، التى تنظم صلاحهم ، وقد كتبت على الألواح ، وعاهد منفذيها على احترامها والعمل بها ، ثم انه اعتزل الملك ، وسار لمصر ، ومكث بهامدة ، بديوان الملك اسيس ثم الح عليه قومه فى الرجوع إلى أثينا . فتوجه سولون إلى مدينة ساروس بضراعة اكرسوس ملكها ، لرغبة الملك فيه ، وحبه إياه ، فأكرمه وأجله ، ثم

سقراط ، وأجمعوا على تقديمه والقول بفضائله ، قال سولون لتلميذه ، تزود من الخير وأنت مقبل خير لك من أن تتزود وأنت مدبر ، وقال من فعل خيرا فليجتنب ماخالفه وإلا دعى شريرا ، وقال إن أمور الدنيا حق وقضاء فمن أسلف فليقض ومن قضى فقد وفى ، وقال إذا عرضت لك فكرة سوء فادفعها عن نفسك ولا ترجع باللائمة على غيرك لكريم رأيك بما أحدث عليك ، وقال إن فعل الجاهل فى خطئه أن يذم غيره ، وفعل طالب الأدب أن يذم نفسه وفعل الأديب أن لا يذم نفسه ولا غيره وقال إذا انصب الدهن وأريق الشراب وانكسر الاناء فلا تغتم بل قل كما ان الأرباح لا تكون إلا فيما يباع ويشترى كذلك الخسران لا يكون إلا فى الموجودات فانف الغم والخسارة عنك ، فإن لكل ثمنا وليس يجىء بالمجان ، وسئل أيما أحمد فى الصبي الحياء أم الخوف قال الحياء ، لأن الحياء يدل على العقل ، والخوف يدل على المقة والشهوة (١) ، وقال لابنه دع المزاح فان المزاح لقاح الضغائن

نقم عليه فطرده ، فقابله ايزوب الذى هو لقمان الحكيم وقد تأثر له وقال يا سولون لا ينبغى القرب من الملوك ، فان كان لا بد فلا تخبرهم بما يستعظمونه ، فان ذلك يحنقهم ، فقال سولون لا ينبغى القرب من الملوك فاذا قرب المرء منهم ، فينبغى أن ينصحهم بقدر طاقته ، ولا يقول لهم إلا الحق ، ثم رحل إلى مدينة تيليقيا ، وبنى مدينة عظيمة سماها باسمه ،ثم توجه ، إلى قبرص ، وصحب أمير مدينة أونيا ، فأشار عليه ببناء مدينة أخرى ، اختار له سولون موقعها ، فباشر له عمارتها فنسبت إليه اعترافا بيده ، وقد أدركه الموت بجزيرة قبرص سنة ٥٦٢ ق م ، وقد أقام له الاثينيون تمثالا من صفر ، ممسكا بيده كتاب القانون الذى وضعه . وأهل سلامينا أقاموا له تمثال خطيب (ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص ٩)

(١) فى الكلم الروحانية والخوف يدل على الجبن .

وسأله رجل قال هل ترى ان أتزوج أو أدع قال أى الأمرين فعلت ندمت عليه ، وسئل أى شىء أصعب على الانسان قال ألا يعرف عيب نفسه وأن يمسك عما لا ينبغى أن يتكلم به ، ورأى رجلا عثر فقال له تعثر برجلك خير من أن تعثر بلسانك ، وسئل ما الكرم فقال النزاهة عن المساوى وقيل له ما الحياة قال التمسك بأمر الله تعالى ، وسئل ما النوم فقال النوم موتة خفيفة والموت نومة طويلة ، وقال ليكن اختيارك من الأشياء جديدها ومن الإخوان أنفعهم ، وقال أنفع العلم ما أصابته الفكرة وأقله نفعاً ما قلته بلسانك . وقال ينبغى أن يكون المرء حسن الشكل فى صغره وعفيفا عند إدراكه وعدلا فى شبابه وذا رأى فى كهولته وحافظا للسنن عند الفناء حتى لا تلحقه الندامة ، وقال ينبغى للشاب أن يستعد لشيخوخته مثل ما يستعد الانسان للشتاء من البرد الذى يهجم عليه ، وقال يا بنى احفظ الأمانة تحفظك وصنها حتى تصان وقال جوعوا إلى الحكمة واعطشوا إلى عبادة الله تعالى قبل أن يأتيكم المانع منهما ، وقال لتلامذته لا تكرموا الجاهل فيستخف بكم ، ولا تتصلوا بالأشراف فتعدوا فيهم ، ولا تعتمدوا الغنى إن كنتم تلامذة الصدق ، ولا تهملوا من أنفسكم فى أيامكم ولياليكم ولا تستخفوا بالمساكين فى جميع أوقاتكم[1] . وكتب اليه بعض الحكماء

---

(١) قيل لسولون ، كيف تتخذ الأصدقاء فقال أن يكرموا إذا حضروا ويحسن ذكرهم إذا غابوا ، وقال : لا يضبط الكثير من لا يضبط نفسه الواحدة ، الجزع أتعب من الصبر ، إذا أضاقت حالك فلا تستشيرن الافلاس ، فانه لا يشير عليك بخير سئل ، ما أصعب الأشياء فقال ، ان يعرف الانسان نفسه ويكتم سره ، قيل له ما الذى يفسد الأخلاق فقال الدرهم ، وسئل من الجواد فقال من جاد بماله وصان نفسه عن مال غيره (لباب الآداب والكلم الروحانية) .

يستوصفه أمر عالمى العقل والحس ، فقال أما عالم العقل فدار ثبات وثواب وأما عالم الحس فدار بوار وغرور ، وسئل مافضل علمك على علم غيرك قال معرفتى بأن علمى قليل وقال أخلاق محمودة وجدتها فى الناس إلا أنها إنما توجد فى قليل ، صديق يحب صديقه غائبا كمحبته حاضرا ، وكريم يكرم الفقراء كما يكرم الأغنياء ، ومقر بعيوبه إذا ذكر ، وذاكر يوم نعيمه في يوم بؤسه ، ويوم بؤسه فى يوم نعيمه ، وحافظا لسانه عند غضبه .

حكم أوميروس الشاعر(٢)

وهو من القدماء الكبار الذى يجريه أفلاطون وأرسطوطاليس فى

---

(١) أوميروس ، أو هوميروس أو هومر ، شاعر يونانى كبير ، عاش بين القرنين العاشر والحادى عشر قبل الميلاد والقصائد الهوميرية أقدم ماوصل الينا من شواهد الفكر اليونانى ، وهى تؤلف قصتين كبيرتين هما الالياذة والاوذيسى ، وذهب بعضهم إلى أنهما لطبقتين من الشعراء وأن هوميروس ، أشهر أولئك الشعراء ، حفظها وأنشدها فنسبت إليه باعتباره الجامع لها فان اسمه يعنى المنسق ، ويذهب آخرون إلى أنه هو ناظمها . وعلى أى رأى فالقصتان تنتظمان افكارا ، فى الطبيعة والالهية والانسان والاخلاق .

فالطبيعة عنده حية مريدة ، فلا غرابة فى تأليهه الأرض وأنها ولدت الجبال الشاهقة وان اقيانوس ولد الأنهار ، وان اقيانوس المصدر الأول للاشياء ، وتلك مخيلة شاعر . قد تخفى وراءها مقاصد ، معنلها فى باطنه ، اما الآلهة ، فهم فى قمة الأولمب يؤلفون حكومة ملكية على رأسها تزوس ، وكلهم فى صورة بشرية إلا أن فى عروقهم مايكفل لهم الخلود ، وهم أقوى من الأبطال وأسرع حركة ، يظهرون ويختفون كما يشاءون ، ويقضون حياة رغدة فى نعيم مقيم ، حادثون وجدوا فى الزمان ، لهم أهواؤهم ، يتفرقون أحزابا ، ويتدخلون فى نزاع البشر ، ولا يرعون من البشر إلا من يتقرب اليهم ، أما الانسان فمركب من نفس وجسد ، الجسد من ماء وتراب ينحل اليهما بعد الموت ، والنفس هواء لطيف متحد بالجسد يتشكل بشكله ينطلق بالموت شبحا دقيقا لايحسه الأحياء فينزل إلى مملكة الأموات فى جوف الأرض ، وقد احتفظ بالشعور ، وفقد الحركة وليس فى عالمه هذا ثواب ولاعقاب إلا فى النادر ،

أعلى المراتب ويستدل بشعره، لما كان يجمع فيه من إتقان المعرفة ومتانة الحكمة وجودة الرأى وجزالة اللفظ، فمن ذلك قوله لا خير فى كثرة الرؤساء، وهذه كلمة وجيزة تحتها معان شريفة، لما في كثرة الرؤساء من الاختلاف الذي يأتى على حكمة الرياسة بالإبطال، ويستدل بها فى التوحيد أيضا لما في كثرة الآلهة من المخالفات التى تعكر على حقيقة الإلهية بالإفساد وبالجملة لو كان أهل بلد كلهم رؤساء ما كان رئيس البتة ولو كان كلهم رعية ما كانت رعية البتة.

(ومن حكمه) قال إني[1] لأعجب من الناس إذ كان عكنهم الاقتداء بالله عز وجل فيدعون ذلك إلى الاقتداء بالبهائم، ثم قال له تلميذه لعل هذا إنما يكون لأنهم قد رأوا أنهم يموتون كما تموت البهائم فقال له بهذا السبب يكثر تعجبى منهم من قبل أنهم يحسبون بأنهم لابسون بدنا ميتا ولا يحسبون ان فى ذلك البدن نفسا غير ميتة وقال من يعلم أن الحياة لنا مستعبدة والموت معتق مطلق آثر الموت على الحياة، وقال العقل نحوان طبيعى وتجريبي وهما مثل الماء والأرض وكما أن النار تذيب كل صامت وتخلصه وتمكن من العمل فيه كذلك العقل يذيب الأمور ويخلصها ويفصلها ويعدها للعمل، ومن لم يكن لهذين النحوين فيه موضع فإن خير أموره له قصر العمر، وقال إن الإنسان

يوزعمهما الآلهة فيحابون أصدقاءهم وينكلون بأعدائهم، غير ان الأوذيسى تنتظم احتراما للآلهة، وتذكر عدل تزوس وهي أكثر تقديرا للفضيلة تمجد الرجل الحكيم، الشجاع الصبور، وتمدح الزوجة الوفية، والابن البار والخادم الأمين. (قصة الفلسفة اليونانية ص ٣ تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢)

(١) فى الكلم الروحانية وقال إنى لأعجب من الناس أن مكنهم الله من الاقتداء بالملائكة فيدعون ذلك ويميلون للاقتداء بالبهائم

الخير أفضل من جميع ما على الأرض ، والإنسان الشرير أخس وأوضع من جميع ماعلى الأرض ، وقال لن تنبل [1] ، واحلم تفز ، ولا تكن معجبا فتمتهن ، واقهر شهوتك فإن الفقير من انحط إلى شهواته ، وقال الدنيا دار تجارة والويل لمن تزود عنها الخسارة ، وقال الأمراض ثلاثة أشياء الزيادة والنقصان فى الطبائع الأربع وما تهيجه الاحزان ، فشفاء الزائد والناقص فى الطبائع الأدوية ، وشفاء ما تهيجه الاحزان كلام الحكماء والاخوان ، وقال العمى خير من الجهل ، لأن أصعب ما يخاف من العمي التهور فى بئر ينهد منه الجسد ، والجهل يتوقع منه هلاك الأبد وقال مقدمه المحمودات الحياء ومقدمة المذمومات القحة ، وقال برقليطس أن أوميرس الشاعر لما رأى تضاد الموجودات دون فلك القمر قال ياليته هلك التضاد من هذا العالم ومن الناس والسادة ، يعنى النجوم واختلاف طبائعها وأراد بذلك أن بطل التضاد والاختلاف حتى يكون هذا العالم المتحرك المتنقل داخلا فى العالم الساكن القائم الدائم ، ومن مذهبه أن بهرام واقع الزهرة فتولدت من بينهما طبيعة هذا العالم وقال إن الزهرة هى علة التوحد والاجتماع ، وبهرام علة التفرق والاختلاف ، والتوحد ضد التفرق ، فلذلك صارت الطبيعة ضدا تركب وتنقض وتوحد وتفرق ، وقال الحظ شيء أظهره العقل بوساطة العلم ، فلما قابل النفس عشقته بالعنصر

هذه حكمه وأما مقطعات أشعاره قال ينبغي للانسان أن يفهم الأمور الانسانية ، إن الأدب للانسان ذخر لا يسلب : ارفع من عمرك

---

(١) فى لباب الآداب « لن تنل ؛ واحلم تنبل ، ولا تكن معجبا فتمتهن » .

ما يحربك ، ان أمور العالم تعلمك العلم ، إن كنت ميتا فلا تحقر عداوة من لا يموت ، كل ما يختار فى وقته يفرح به ، إن الزمان يبين الحق ويميزه ، اذكر نفسك أبدا أنك انسان ، إن كنت انسانا فافهم كيف تضبط غضبك ، إذا نالتك مضرة ، فاعلم أنك كنت أهلها ، اطلب رضا كل أحد لا رضا نفسك فقط ، إن الضحك فى غير وقته هو ابن عم البكاء ، إن الارض تلد كل شيء ثم تسترده ان الرأى من الجبان جبان . انتقم من الاعداء نقمة لا تضرك ، كن حسن الجرأة ولا تكن متهورا ، ان كنت ميتا فلا تذهب مذهب من لا يموت ، إن أردت ان تحيا فلا تعمل عملا يوجب الموت ، إن الطبيعة كونت الاشياء بارادة الرب تعالى ، من لا يفعل شيئا من الشر فهو إلهي ، آمن بالله فانك توفق فى أمورك ، إن مساعدة الاشرار على أفعالهم كفر بالله ، إن المغلوب من قاتل الله والبخت ، اعرف الله واعقل الأمور الانسانية ، إذا أراد الله خلاصك عبرت البحر على البادية ، ان العقل الذى يناطق الله لشريف ، إن قوام السنة بالرئيس ، إن لفيف الناس وإن كانت لهم قوة فليس لهم عقل ، إن السنة توجب كرامة الوالدين مثل كرامة الاله ، رأى ان والديك آلهة لك ، إن الأب من هو ربي لا من ولدني ، إن الكلام فى غير وقته يفسد العمر كله ، إذا حضر البخت تمت الأمور ، ان سنن الطبيعة لا تتعلم ، إن اليد تغسل اليد والإصبع الإصبع ، ليكن فرحك بما تدخره لنفسك دون ما تدخره لغيرك يعني بالمدخر لنفسه العلم والحكمة ، والمدخر لغيره المال ، وقال الكرم يحمل

ثلاثة عناقيد عنقود الالتذاذ وعنقود الشكر وعنقود الشيم ، خير أمور العالم الحسى أوساطها ، وخير أمور العالم العقلى أفضلها ، وقيل إن وجود الشعر فى أمة يو نان كان قبل الفلسفة ، وإنما أبدعه اوميرس وثاليس كان بعده بثلاثمائة واثنتين وثمانين سنة ، وأول فيلسوف كان منهم فى سنة تسعمائة واحدي وخمسين من وفاة موسى عليه السلام وهـذا ما أخبر به كورفس فى كتابه وذكر فرفوريوس ان ثاليس ظهر فى سنة ثلاث وعشرين ومائة من ملك بختنصر .

حكم أبقراط(١)

واضع الطب الذى قال بفضله الأوائل والأواخر كان أ كثر

(١) بقراط ،أبو الطب، ولد بجزيرة كوس سنة ٤٦٠ ق م ، من أشرف بيت ، من أسرة قريساميس الملك ، وتعلم صناعة الطب من أبيه ، ايرقليدس ، ورأى أن صناعة الطب كادت تبيد ، فرأى أن يذيعها فى جميع الأرض وينقلها إلى سائر الناس ، ويعلمها مستحقيها ، حتى لاتبيد . إذكانت صناعة الطب قبله ، كنزا أو ذخيرة يكنزها الآباء ويذخرونها للأبناء ، فكان بقراط أول من علم صناعة الطب ، وكان الطب في الملوك والزهاد فقط ، يقصدون به الاحسان إلى الناس بالمجان ، ولم يزل كذلك إلى أن نشأ ابقراط ، فى كوس ؛ وذمقراط فى أبديرا وكانامتعاصرين ، فأما ذمقراط فتزهد وترك تدبير مدينته ، وأما ابقراط فرأى أهل بيته ، قد اختلفوا فى صناعة الطب ، وتخوف أن يكون ذلك سببا لفساد الطب ، فعمد على أن دونه باغماض فى الكتب ، وكان له ولدان فاضلان وهما ثاسلس وذراقن وتلميذ فاضل وهو فولوبس ،فعلمهم هذه الصناعة وشعر أنها قد تخرج ، عن أسرته أسرة اسقليبيوس ، جده السابع عشر ، إلى غيرهم فوضع عهداً استحلف فيه المتعلم لها على أن يكون لازما للطهارة والفضيلة ثم وضع ناموساً عرف فيه من ينبغى له أن يتعلم صناعة الطب ثم وضع وصية عرف فيها جميع مايحتاج اليه الطبيب فى نفسه ، وقد كان فى زمن بهمن ابن اردشير ، وكان بهمن قد اعتل فأنفذ الى أهل بلد بقراط يستدعيه فامتنعوا من ذلك ، وقالوا إن أخرج بقراط

من مدينتنا خرجنا جميعا وقتلنا دونه فرق لهم بهمن وأقره عندهم ، ومما يدل على فضله . أن افليمون ، صاحب الفراسة كان يزعم فى فراسته أنه يستدل بتركيب الانسان على أخلاق نفسه ، فاجتمع تلاميذ ابقراط ثم وقال بعضهم لبعض هل تعلمون فى دهرنا أفضل من هذا المر. الفاضل ، فقالوا مانعلم فقال بعضهم تعالوا نمتحن به افليمون . فيما يدعيه من الفراسة فصوروا صورة ابقراط ثم نهضوا بها إلى افليمون فقالوا له أيها الفاضل انظر إلى هذا الشخص واحكم على أخلاق نفسه من تركيبه فنظر اليه وقرن اعضاءه بعضها ببعض ثم حكم فقال هذا رجل يحب الزنا ، فقالوا له كذبت هذه صورة ابقراط الحكيم فقال لهم لابد لعلمى أن يصدق فاسألوه فان المرء لايرضى بالكذب فرجعوا إلى ابقراط وأخبروه بالخبر . وما صنعوا وما قال لهم افليمون ، فقال ابقراط صدق افليمون أحب الزنا ولكنى أملك نفسى ، فهذا يدل على فضل بقراط وملكه نفسه ورياضته لها بالفضيلة وحكى أنه أقبل بالتعليم على حدث من تلامذته فعاتبه الشيوخ على تقديمه إياه عليهم . فقال لهم ألا تعلمون ما السبب فى تقديمه عليكم قالوا لافقال لهم .ما اعجب مافى الدنيا ، فقال أحدهم السماء والأفلاك والكواكب وقال آخر الأرض وما فيها من الحيوانات والنبات وقال آخر الانسان وتركيبه ولم يزل كل واحد فيهم يقول شيئا ، وهو يقول لا ، فقال للصبى ، ما أعجب مافى الدنيا فقال أيها الحكيم إذا كان كل مافى الدنيا عجبا فلا عجب فقال الحكيم لأجل هذا قدمته لفطنته ، هذا وابقراط هو أول من دون صناعة الطب وشهرها وأظهرها وقد جعل أسلوبه فى تأليف كتبه على ثلاث طرائق من طريق التعليم احداها على سبيل اللغز ، والثانية على سبيل الايجاز والاختصار والثالثة على طريق التساهل والتبيين ، والذى انتهى الينا ذكره ووجدناه من كتب ابقراط الصحيحة يكون نحو ثلاثين كتابا والذى يدرس من كتبه لمن يقرأ صناعة الطب، إذا كان درسه على أصل صحيح وترتيب جيد . اثنا عشر كتابا . وهى المشهورة من سائر كتبه منها كتاب الأجنة ؛ وكتاب طبيعة الانسان وكتاب الأهوية والمياه والبلدان . وقد استخرجه الدكتور شبلى شميل إلى العربية ، وكتاب الفصول . وغيرها من الكتب ، وقد توفى سنة ٣٦٥ ق م (عيون الأنباء أول ص ٢٤) .

حكمته فى الطب وشهرته به ، فبلغ خبره بهمن بن اسفنديار بن كشتاسف ، وكتب إلى فيلاطس ملك قوّ وهو بلد من بلاد اليونانيين يأمر بتوجيه بقراط اليه ، وأمر له بقناطير من الذهب ، فأبي ذلك وتلكأ عن الخروج اليه ، ضنا بوطنه وقومه ، وكان لا يأخذ على المعالجة أجرة من الفقراء ، وأوساط الناس ، وقد شرط أن يأخذ من الاغنياء أحد ثلاثة أشياء طوقا أو إكليلا أو سوارا من ذهب ، فمن حكمه أَنه قال استهينوا بالموت فإن مرارته فى خوفه ، وقيل له أى العيش خير . قال الأمن مع الفقر خير من الغنى مع الخوف ، وقال الحيطان والبروج لا تحفظ المدن ولكن يحفظها آراء الرجال وتدبير الحكماء ، وقال ليداو كل عليل بعقاقير أرضه ، فإن الطبيعة متطلعة إلى هوائها ونازعة إلى غذائها[1] ولما حضرته الوفاة ، قال ، خذوا جامع العلم مني من كثر نومه ، ولانت طبيعته ، ونديت جلدته طال عمره ، وقال الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع ، وقال لو خلق الإنسان من طبيعة واحدة لما مرض لأنه لم يكن هناك شيء يضادها فيمرض ودخل على عليل فقال له أنا وأنت والعلة ثلاثة ، فإن أعنتني عليها بالقبول لما تسمع مني صرنا اثنين وانفردت العلة فقوينا عليها ، والاثنان إذا اجتمعا علي واحد غلبا ، وسئل ما بال الانسان أثور[2] ما يكون

(١) فى الكلم الروحانية ليداو كل مريض بعقاقير أرضه ، فان الطبيعة تتطلع لهوائها وتنزعج إلى غذائها ، وقال غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها (ص ٩٩)

(٢) أثور : افعل من ثار ، ثورا ، أى هاج ، فأثور أهيج ، ويقال ثار ثائره وفار فائره .

بدنه إذا شرب الدواء ، قال مثل ذلك مثل البيت أكثر ما يكون غبارا إذا كنس ، وحديث ابن الملك إذ عشق جارية من حظايا أبيه فنهك بطنه ، واشتدت علته . فأحضر بقراط فجس نبضه ونظر إلى تفسرته فلم ير أثر علة ، فذاكره حديث العشق ، فرآه يهش لذلك ويطرب فاستخبر الحال من خاصته ، فلم يكن عندها خبر ، وقالت ما خرج قط من الدار ، فقال بقراط للملك مر رئيس الخصيان بطاعتى فأمره بذلك فقال أخرج على النساء فخرجن وبقراط واضع إصبعه على نبض الفتى ، فلما خرجت الحظية اضطرب عرقه وطار قلبه وحار طبعه فعلم بقراط أنها المعينة لهواه فسار إلى الملك فقال ابن الملك قد عشق لمن الوصول اليها صعب قال الملك ومن ذاك ، قال هو يحب حليلتى ، قال انزل عنها ولك عنها بدل ، فتحازن بقراط ووجم ، وقال هل رأيت أحدا كلف أحدا طلاق امرأته لاسيما الملك في عدله ونصفته يأمرنى بمفارقة حليلتى ومفارقتهامفارقة روحى ، قال الملك انى أوثر ولدى عليك وأعوضك منى أحسن منها فامتنع حتى بلغ الأمر إلى التهديد بالسيف قال بقراط إن الملك لايسمى عدلا حتى ينصف من نفسه ماينتصف من غيره ، أرأيت لو كانت العشيقة حظية الملك قال يابقراط عقلك أتم من معرفتك فنزل عنها لابنه وبرىء الفتى ، وقال بقراط إنك تأكل ماتستمرىء ، أما مالا تستمرىء فانه يأكلك ، وقيل لبقراط لم ثقل الميت قال لأنه كان اثنين أحدهما خفيف رافع ، والآخر ثقيل واضع ، فلما انصرف أحدهما وهو

الخفيف الرافع ثقل الثقيل الواضع » وقال الجسد يعالج جملة على خمسة أضرب ، مافي الرأس بالغرغرة ، ومافى المعدة بالقيء ، ومافي البدن باسهال البطن ، وما بين الجلدتين بالعرق ،ومافى العمق وداخل العرق بارسال الدم . وقال الصفراء بيتها المرارة ، وسلطانها فى الكبد ، والبلغم بيته المعدة وسلطانه فى الصدر ، والسوداء بيتها الطحال ، وسلطانها فى القلب والدم بيته القلب ، وسلطانه فى الرأس ، وقال لتلميذ له ليكن أفضل وسيلتك إلى الناس محبتك لهم ، والتفقد لأمورهم ، ومعرفة حالهم واصطناع المعروف إليهم . ويحكى عن بقراط قوله المعروف ، العمر قصير ، والصناعة طويله ، والزمان جديد ، والتجربة خطر » والقضاء عسر [١] ، وقال لتلاميذه اقسموا الليل والنهار ثلاثة أقسام ، فاطلبوا فى القسم الاول العقل الفاضل ، واعملوا في القسم الثانى بما أحرزتم من ذلك العقل ، ثم عاملوا فى القسم الثالث من لاعقل له ، وانهزموا من الشر ما استطعتم [٢] ، وكان له ابن لا يقبل الآداب ، فقالت امرأته إن ابنك هو منك فأدبه ، فقال لها هو منى طبعا ، ومن غيرى نفسا ، فما أصنع به ، وقال ما كان كثيرا فهو مضاد للطبيع فلتكن الأطعمة والأشربة والنوم والجماع والتعب قصدا ، وقال إن صحة البدن إذا كان فى الغاية كان أشد

(١) فى الكلم الروحانية العمر قصير والصناعة طويلة ، والوقت ضيق والتجربة خطر ، والقضاء عسر (ص ٩٩) .

(٢) ومن حكمه النفس المنفرده بطلب الرغائب وحدها تهلك ، من صحب السلطان فلا يجزع من قسوته كما لا يجزع الغواص من ملوحة البحر . من أحب لنفسه الحياة أماتها . من كثر أدبه شرف وإن كان وضيعا وساد وإن كان غريبا . وكثرت الحاجة اليه وإن كان فقيراً (لباب الآداب) .

خطراً ، وقال إن الطب هو حفظ الصحة بما يوافق الأصحاء ، ودفع المرض بما يضاده ، وقال من سقى السم من الأطباء وألقى الجنين ، ومنع الحبل واجترأ على المريض ، فليس من شيعتى ، وله أيمان معروفة على هذه الشرائط ، وكتبه كثيرة فى الطب ، وقال فى الطبيعة إنها القوة التى تدبر جسم الانسان . فتصوره من النطفة إلى تمام الخلقة ، خدمة للنفس فى إتمام هيكلها ، ولا يزل هو المدبر له ، غذاء من الثدى . وبعده مما به قوامه من الأغذية ، ولها ثلاث قوى ، المولدة والمربية والحافظة ، ويخدم الثلاث أربع قوى ، الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة .

حكم ديمقراطيس

وكان من الحكماء المعتبرين فى زمان بهمن بن اسفنديار وهو وبقراط كانا فى زمان واحد قبل أفلاطون ، وله آراء فى الفلسفة ، وخصوصا فى مبادئ الكون والفساد ، وكان أرسطو طاليس يؤثر قوله على قول أستاذه أفلاطون الالهى وما أنصف ، قال ديمقراطيس إن الجمال الظاهر يشبه به المصورون بالأصباغ ، ولكن الجمال الباطن لا يشبه به الا من هو له بالحقيقة ، وهو مخترعه ومنشئه وقال ليس ينبغى أن تعد نفسك من الناس مادام الغيظ يفسد رأيك ويتبع شهوتك ، وقال ليس ينبغى أن تمتحن الناس فى وقت ذلتهم ، بل في وقت عزتهم وتملكهم ، وكما أن الكير يمتحن به الذهب كذلك الملك يمتحن به الانسان فيتبين خيره من شره وقال ينبغى أن تأخذ فى العلوم بعد أن تنقى نفسك عن العيوب وتعودها الفضائل فانك إن لم تفعل هذا لم تنتفع بشىء من العلوم ، وقال من أعطى

أخاه المال فقد أعطاه خزائنه ، ومن أعطاه علمه و نصيحته فقد وهب له نفسه وقال لا ينبغى أن تعد النفع الذى فيه الضرر العظيم نفعا ، ولا الضرر الذى فيه النفع العظيم ضررا ، ولا الحياة التى لا تحمد أن تعد حياة ، وقال مثل من قنع بالاسم كمثل من قنع عن الطعام بالرائحة ، وقال عالم معاند خير من جاهل منصف ، وقال ثمرة الغرة التوانى وثمرة التوانى الشقاء ، وثمرة الشقاء ظهور البطالة . وثمرة البطالة السفه والعنت والندامة والحزن ، وقال يجب على الانسان ان يطهر قلبه من المكر والخديعة كما يطهر بدنه من أنواع الخبث ، وقال لا تطمع أحد أن يطأ عقبك اليوم فيطأك غدا وقال لا تكن حلوا جدا لئلا تبلع ، ولا مرا جدا لئلا تلفظ ، وقال ذنب الكلب يكسب له الطعام ، وفمه يكسب له الضرب[1] وكان بأثينية نقاش غير حاذق ، فأتى ديمقراطيس وقال جصص بيتك فأصوره قال صوره أولا حتي أجصصه ، وقال مثل العلم مع من لا يقبل وان قبل لا يعلم كمثل دواء مع سقيم وهو لا يداوى به ، وقيل له لا تنظر فغمض عينيه ، قيل له لا تسمع فسد أذنيه ، قيل له لا تتكلم فوضع يده علي شفتيه ، قيل له لا تعلم قال لا أقدر ، إنما أراد به أن البواطن لا تندرج تحت الاختيار . فأشار الى ضرورة السر واختيار الظاهر ، ولما كان الانسان مضطرا لحدوث كان معزول الولاية عن قلبه ، وهو

---

(١) قيل لديموقريطس ، لم اخترت امرأة دميمة ، قبيحة الوجه وأنت وسيم جسيم ، قال اخترت من الشر أقله (الكلم الروحانية ص ١١٦)

بقلبه أكثر منه بسائر جوارحه فلهذا لم يستطع ان يتصرف فى أصله لاستحالة أن يكون فاعل أصله ، ولهذا الكلام شرح آخر وهو أنه أراد التميز بين العقل والحس، فان الادراك العقلى لا يتصور الانفكاك عنه وإذا حصل لن يتصور نسيانه بالاختيار والإعراض عنه بخلاف الادراك الحسى وهذا يدل على ان العقل ليس من جنس الحس ولا النفس من حيز البدن وقد قيل الانسان مركب من انفعالين أحدهما انفعال نقيصة ، والثانى انفعال تكامل ، وهو إلى الانفعال الأول أميل بحكم الطبيعة والمزاج ، والآخر ضعيف فيه ، إلا إذا وصل إليه مدد من جهة العقل والتمييز والنطق ، فينشىء الرأى الثاقب ، ويحدث الحزم الصائب فيحب الحق ويكره الباطل ، فمتى وقف المدد من القوة الاختيارية كانت الغلبة للانفعال الآخر ، ولولا تركب الاختيار عن هذين الانفعالين وانقسامه إلى هذين الوجهين لتأتي للانسان جميع ما يقصده بالاختيار بلا مهلة ، ولا ترجح ، ولا هنية ، ولا تريث ولا استشارة ، ولا استخارة

وهذا الرأى الذى رآه هذا الحكيم لم أجد أحدا أبه له ولا عثر عليه ، أو حكم به وأومأ إليه

حكم أوقليدس (١)

وهو أول من تكلم فى الرياضيات وأفرده علما نافعا فى العلوم ،

---

(١) اقليدس ، المهندس النجار الصورى ، المظهر للهندسة ، المبرز فيها ، ويعرف بصاحب جومطريا واسم كتابه فى الهندسة باليونانى الاسطروشيا ومعناه أصول الهندسة

حكيم قديم العهد يونانى الجنس ، شامى الدار ، صورى البلد ، نجار الصنعة . وقيل انه ولد فى الاسكندرية وان أباه دمشقى الوطن ، واسمه نوقراطس ،واستوطن اقليدس اغريقية قبل الميلاد بثلاثمائة سنة ، وإذ ذاع صيته . ووصل إلى بطليموس فيلادلفوس اجتهد أن يحصل عليه فى بلاطه . فاستدعاه اليه ، فدخل اقليدس الأسكندرية، وفتح هناك مدرسة لتعليم الرياضيات . فصارت في وقت قصير ، أول مدرسة بمصر ، وكان بطليموس نفسه يحضر ويسمع الدروس . وحصل له بين التلاميذ مقام ممتاز، ويحكى ان بطليموس استصعب يوما الدرس ، واتعبه الاصغاء إلى الشرح فقال لاقليدس ، أما يوحد طريق أسهل من هذه تؤدى إلى تعلم الرياضيات فأجابه اقليدس ، ليس فى الرياضيات طريق ملكية ، وروى أنه قال ليس للملوك طريق إلى الرياضيات خاصة .

وكان اقليدس لطيف العشرة ، فى احتشام وتودد ،حسن القيام على عمله . وكان موضع اهتمامه كل من يسعى فى تقدم الرياضيات ويسره نجاحه ، كما يسره نجاح نفسه، وقد ألف فى الرياضيات تآليف عدة ، قد فقد أكثرها ، ومن أشهرها كتابه المعروف بأصول اقليدس ، أو باقليدس ، أو كتاب اقليدس ، وهو مقسم إلى خمسة عشر كتابا ، على شكل معلمة للفنون الرياضية ومع انه ألف منذ ٢٣ قرنا ، فانه لم يزل يعتبر دستورا لتلك الفنون ، وقسمه الهندسى ، باق إلى الآن ، أساسا ، للتعليم والتآليف الهندسية ، لما فى براهينه من الدقة ، والتنسيق والترابط .

ولم يكن قبل اقليدس إلا رسائل منثره ، فى الأبواب الهندسية فجمعها جميعها في كتاب واحد وصحح براهينها وزاد فيها ما كشفها ، فى أسلوب سهل ، ونظام حسن، وقد شرحه ثيون وبروكلوس ثم العرب ، فى شروح كثيرة ، وهو كتاب جليل القدر عظيم النفع ، أصل فى هذا النوع ، لم يكن ليونان قبله كتاب ، جامع فى هذا الشأن ، ولا جاء بعده إلا من دار حوله وقال قوله . وقد عنى به جماعة من رياضي يونان والروم والاسلام فمن بين شارح له ومتكل عليه ، ومخرج لفوائده ومافى القوم إلا من سلم إلى فضله ، وشهد بغزير نبله ، ولقد كانت حكماء يونان يكتبون على أبواب مدارسهم لايدخلن مدرستنا من لم يكن مرتاضا ، يعنون بذلك لايدخلنها من لم يقرأ كتاب اقليدس ، ولاقليدس فى هذا النوع كتاب المفروضات وكتاب المناظر وكتاب تأليف اللحون وغير ذلك .

منقحا للخاطر ، ملقحا للفكر ، وكتابه معروف باسمه ، وكذلك حكمته
وقد وجدنا له حكما متفرقة فأوردناها على سوق مرامنا ، وطرد كلامنا ،
فمن ذلك قوله ، الخط هندسة روحانية ظهرت بآلة جسمانية ، وقال له
رجل يهدده إني لا آلو جهدا فى أن أفقدك حياتك ، قال أوقليدس
واني لا آلو جهدا فى أن أفقدك غضبك ، وقال كل أمر تصرفنا
فيه وكانت النفس الناطقة هى المقدرة له فهو داخل فى الأفعال
الإنسانية ، وما لم تقدره النفس الناطقة فهو داخل فى الأفعال البهيمية
قال ومن أراد أن يكون محبوبه محبوبك ، وافقك على ما تحب ، فاذا
اتفقتما على محبوب واحد صرتما إلى الاتفاق ، وقال افزع إلى مايشبه الرأى
العام التدبيرى العقلي وأتهم ماسواه ، وقال كل ما أستطيع على خلعه ولم
يضطر إلى لزومه المرء فلم الاقامة على مكروهه ، وقال الأمور جنسان
أحدهما يستطاع خلعه والمصير إلى غيره ، والآخر توجبه الضرورة
فلا يستطاع الانتقال عنه ، والاغتمام والأسف على كل واحد منهما غير
سائغ فى الرأى ، وقال إن كانت الكائنات من المضطر فما الاهتمام
بالمضطر إذ لا بد منه وإن كانت غير مضطرة فلم الهم فيما يجوز الانتقال
عنه ، وقال الصواب إذا كان عاما كان أفضل لأن الخاص يقع بالتجزى
ويلقاه أمر ما ، وقال العمل على الانصاف ترك الاقامة على المكروه وقال

وكان اقليدس أقدم من ارشميدس وغيره وهو من الفلاسفة الرياضيين واما كتابه فى أصول الهندسة فقد نقله الحجاج ابن يوسف بن مطر الكوفى نقلين الهاروني والمأموني ، ونقله اسحاق بن حسنين وأصلحه ثابت بن قره الحرانى (اخبار العلماء ص ٤٥ دائرة معارف البستانى رابع ص ٩١)

إذا لم يضطرك إلى الإقامة عليه شيء فان أقمت رجعت باللائمة عليك ، وقال الحزم هو العمل على أن لا تثق بالأمور التى فى الامكان، عسيرها ويسيرها وقال كل فائت وجدت فى الأمور منه عوضا . وأمكنك اكتساب مثله فما الأسف على فوته ، وإن لم يكن منه عوض ولا يصادف له مثل فما الأسف على ما لا سبيل إلى مثله . ولا إمكان فى دفعه ، وقال لما علم العاقل أنه لا ثقة بشيء من أمر الدنيا ، ألقى منها ما منه بد ، واقتصر على ما لا بد منه ، وعمل بما يوثق به بأبلغ ما قدر عليه ، وقال إذا كان الأمر ممكنا فيه التصرف فوقع بحال ما تحب فاعتده ربحا ، وإن وقع بحال ما تكره فلا تحزن فانك قد (كنت) عملت فيه على غير ثقة بوقوعه على ما تحب ، وقال لم أر أحدا إلا ذا ماللدنيا وأمورها إذ هى على ما هى من التغير ، والتنقل فالمستكثر منها يلحقه أن يكون أشد اتصالا بما يذم ، وإنما يذم الإنسان ما يكره والمستقل (منها) مستقل مما يكره ، وإذا استقل مما يكره ، كان ذلك أقرب إلى ما يحب ، وقال أسوأ الناس حالا من لا يثق بأحد لسوء ظنه ، ولا يثق به أحد لسوء فعله ، وقال الجشع بين شرين ، الاعدام يخرجه إلى السفه والحدة تخرجه إلى الشر . وقال لا تعن أخاك على أخيك فى خصومة فإنهما يصطلحان على قليل وتكتسب المذمة

حكم بطليموس[1]

---

(١) بطليموس القلوذى ، صاحب المجسطى وغيره إمام فى الرياضة كامل ، فاضل من علماء يونان ، ولد فى بيلوسيوم ، ونشأ فى الاسكندرية فى القرن الثانى بعد الميلاد

هو صاحب المجسطى ، الذى تكلم فى هيئة الفلك وأخرج علم

وقد انتهى إلى بطليموس علم حركات النجوم .ومعرفة أسرار الفلك ، وعنده اجتمع ما كان متفرقا من هذه الصناعة بأيدى اليونانيين والروم وغيرهم ، من ساكنى أهل الشق الغربى من الأرض وبه انتظم شتيتها وتجلى غامضها وما أعرف أحداً بعده تعرض لتأليف مثل كتابه المعروف بالمجسطى ولا تعاطى معارضته بل تناوله بعضهم بالشرح والتبيين كالفضل بن أبى حاتم التبريزى ، وبعضهم بالاختصار والتقريب كمحمد بن جابر التبانى ، والبيرونى . وكان غاية العلماء بعده التى يجرون اليها وثمرة عنايتهم التى يتنافسون فيها فهم كتابه على مرتبته ، وإحكام جميع أجزائه على تدريجه ، ولا يعرف كتاب ألف فى علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب أحدها كتاب المجسطي وهو فى علم هيئة الفلك وحركات النجوم والثانى كتاب ارسطو طاليس فى علم صناعة المنطق والثالث كتاب سيبويه البصرى فى علم النحو العربى ، وأول من عنى بتفسير المجسطى وأخرجه إلى العربية يحى بن خالد بن برمك ، فسره له جماعة فلم يتقنوه ولم يرض ذلك ، فندب لتفسيره أبا حسان وسلم صاحبى بيت الحكمة فأتقناه واجتهدا في تصحيحه بعد أن أحضرا النقاد المجودين ، فاختبرا نقلهم وأخذا بأفصحه وأصحه ، وبطليموس ، هو أول من عمل الاسطرلاب الكرى والآلات النجومية والمقاييس والأرصاد ، وقيل أنه رصد النجوم قبله جماعة منهم ابرخس وقيل إنه أستاذه وعنه أخذ والرصد لايتم إلا بآلة . فالمبتدىء بالرصد هو الصانع للآلة ومما اشتهر من كتب بطليموس وخرج إلى العربية كتاب كتبه إلى سورى تلميذه . نقله إبراهيم بن الصلت وأصلحه ، حنين بن إسحاق وكتاب المواليد ، وكتاب الحرب والقتال ، وكتاب استخراج السهام وكتاب تحويل سنى العالم ؛ وغير أولئك من الكتب وله كتاب الجغرافية فى المعمورة من الأرض نقله الكندى إلى العربية نقلا جيداً ويوجد سريانيا . وقد بقيت جغرافيته إلى القرن السادس عشر دستورا لهذا الفن ، وكان هو أول من استعمل كلمتى طول وعرض . ومنها عين مواقع البلاد وبرهن أن الأرض كرية ، وقد حفظت هذه الجغرافية مع مصورها بعده بقرون ، كثيرة ، إلى أن أضيف اليها ماحسنها وفصلها وقد اشتهر أيضا بفن الموسيقى وبالآليات والتاريخ والتنجيم (أخبار العلماء ص ٦٧ فهرست ابن النديم ص ص ٣٧٤ دائرة معارف البستانى خامس ص ٤٧٤) .

الهندسة من القوة إلى الفعل ، (فمن حكمه) أنه قال ما أحسن بالإنسان أن يصبر عما يشتهى ، وأحسن منه أن لا يشتهى إلا ما ينبغى ، وقال الحكيم الذى إذا صدق صبر ، لا الذى إذا قذف كظم ، وقال لمن يغنى الناس ويسأل أشبه بالملوك ممن يستغنى بغيره ويسأل ، وقال لأن يستغنى الإنسان عن الملك أكرم له من أن يستغنى به ، وقال موضع الحكمة من قلوب الجهال كموقع الذهب (والجوهر) من ظهر الحمار ، وسمع جماعة من أصحابه وهم حول سرادقه يقعون فيه ويثلبونه ، فهز رمحا كان بين يديه ليعلموا أنه يسمع منهم ، وأن يتباعدوا عنه قيد رمح ثم يقولوا ما أحبوا ، وقال العلم فى موطنه كالذهب فى معدنه لا يستنبط إلا بالدؤوب والتعب ، والكد والنصب ، ثم يجب تخليصه بالفكر كما يخلص الذهب بالنار ، وقال بطليموس دلالة القمر فى الأيام أقوى ، ودلالة الشمس والزهرة فى الشهور أقوى ، ودلالة المشتري وزحل فى السنين أقوى ، ومما ينقل عنه أنه قال ، نحن كائنون فى الزمن الذى يأتى بعد ، وهذا رمز إلى المعاد إذ الكون و لوجود الحقيقى ذلك الكون والوجود في ذلك العالم

حكماء أهل المظال[1]

(١) يلاحظ ، أن الشهرستانى وغيره ، ممن تعرض لفلاسفة اليونان وحكمائها ؛ لم يذكروا عن أصحاب الرواق أو أصحاب المظال ، ومنهم زينون ، وخريسبوس ، إلا شذرات قليلة وعبارات مقتضبة ، لا تغنى فى معرفة الفلسفة الرواقية شيئا ، ولا تقوم لها بحقها ، من البحث والتنقيب ، مع ما للرواقيين فى تاريخ الفلسفة من شأن خليق أن لا يستهان به وأن لهم فى تاريخ الفكر منزلة وطيدة ، وإنهم ليزاحمون المشائين ،

(ومنهم) خرسبس[1] وزينون هذا وقولهما الخالص ، البارى الأول

بل قديفوقونهم فى مسائل لها خطرها ، قال رديبه (إذا كان أرسطو يعتبر المعلم الأول (كماقيل) فإن أ كبر أثره لايعدو مجال المنطق والفلسفة النظرية أما من ناحية الأخلاق والفلسفة العملية بوجه عام فيحق القول بأن الانسانية المفكرة إنما عاشت على المذهب الرواقى وقال منتسكيو ، فى كتابه روح القوانين ، استطاعت الرواقية وحدها ان تربى مواطنين أحرارا ، وان تنشىء رجالا عظاما . وأن تخرج أباطرة كبارا وللفلسفة الرواقية كغيرها من المذاهب القديمة غاية عامة هى بلوغ السعادة ، لكنهم نظروا ، فرأوا أن مايشتغل الناس به من العلوم الخاصة قاصرة فى أ كثر الأحيان ، عن بلوغ هذا المقصد ، فكل علم معين ، إنما هو لكشف حقيقة من الحقائق الجزئية ، لكنه لايفيدنا أية معرفة عن الحياة ، ولا عن الحب ، ولا عن الحرب ، ولا عن أى أمر ، من أمثال هذه الأمور ذات الخطر فى الحياة الانسانية ، وهذه الحقائق وان كانت نافعة لكنها لاتسد حاج الانسان ، الذى يتطلع إلى معرفة أرقى ، وحقيقة أ كمل وأشمل سواء أ كان فيما يتصل بنفسه ، أم بما هو خارج عنه . والذى يكفل له هذا إنما هو بالحكمة ، وهى لاتواتيه إلا بعد تأمل ، ودرس شاق ، يسمى الفلسفة ، والفلسفة ، في نظرهم علم الأمور الالهية والأمور البشرية ، ولما كان العقل عندهم ، هو العنصر المشترك ، بين العالم الالهي ، والعالم البشرى ، فصح لهذا ، ان يقال فى تعريف الفلسفة انها علم الموجودات العاقلة ، أو علم الأشياء جميعها لأن الأشياء الطبيعية ، مندمجة فى الأشياء الالهية ،

ويظهر أن الشهرستانى وغيره . لم يذكروا عن أهل المظال إلا القليل لأن التاريخ لم يحفظ لنا مما كتبه الفلاسفة الرواقيون فى ثلاثة القرون الأولى ، من حياة مدرستهم إلا أجزاء قليلة متناثرة ، على كثرة ماسطرت أقلامهم كثرة خصبة وافرة ، حتى قيل عن أحدهم كريسبس إنه ألف وحده ، نحو سبعمائة كتاب ، إلى مناقضتها لفلسفة سقراط وأفلاطون وأرسطو ، مما نأى بالكتاب الاسلاميين عن العناية بهم وبفلسفتهم

(١) خرسبس ، أو كما قال القفطى كرسفس ، هو كرسبوس ، أو كريسبس ، ولد حوالى سنة **٢٧٧** قبل الميلاد ، فيلسوف مشهور الذكر فى زمانه بأرض يونان ، يفيد الفلسفة الأولى التى لم تتحقق قواعدها ، ولم تعذب مواردها وأصحابه الذين ينسبون

واحد محض هو هو انما فقط أبدع العقل والنفس دفعة واحدة ، ثم أبدع جميع

إلى القراءة عليه والأخذ منه هم أصحاب المظلة من جملة الفرق السبعة . وإنما سموا بذلك لأنه كان يعلمهم فى رواق هيكل بمدينة أثينة . وهو تلميذ كليانتس . وآخر ممثلى الرواقية القديمة ، وأكبرهم انتاجا عقليا ، أكمل جوانب النقص فى المذهب ، ولولاه لما أمكن أن تقوم لمدرسة الرواق قائمة .

وكانت ولادته فى صول بجزيرة قبرص ، التى كانت فى ذلك الحين مسرحا للمنازعات السياسية ، بين البطالمة حكام مصر من جهة وبين ديمتريوس ، وانطيغوناس من جهة أخرى ، مما دفع بكروسبوس ، إلى مثله الأعلى ، وان ينادى بأن الفيلسوف لاوطن له أو ان وطنه الكون كله وكان له قوة جدلية حتى قيل في عصره ، لو كان بالآلهة حاجة إلى فن الجدل لاصطفوا جدل كروسبوس ، وكان يقول انه ليس بحاجة إلى شيء أكثر من تقرير المسألة وهو كفيل بان يجد البرهان عليها ، وقد عيب عليه انه لم يجار الجمهور في الدهاب لسماع أرسطون ، فاجاب ، لو أننى كنت تابعت الجمهور لما درست الفلسفة ، وهذا آية على ثقته واعتداده بنفسه . وكان واسع الاطلاع كثير التأليف ، أراد أن ينشىء فى علوم زمانه معلمة تحل محل معلمة أرسطوطاليس فألف فى المنطق والطبيعيات والخلقيات . نيفا وسبعمائة كتاب لم يبق منها إلا اشذور قصيرة ، وقد جهد فى التوفيق بين نظرية القضاء والقدر وبين فكرة المسئولية والحرية الخلقية . فقال : ان القضاء المحتوم إنما ينصب على العلل الثانية أما ميولنا وهى العلل الأولى ، فهى فى مقدورنا ونحن أحرار فى توجيهها . وعيب عليه إسرافه فى نظرية الرواق عن الأشياء السواء أعنى الأشياء التى ليست خيرا ولا شرا ، كالحياة واللذة ، وكسب العيش . كما أخذ عليه إباحته الزواج من الأقربين . كزواج الاب من ابنته . والابن من امه ، والأخ من أخته . وقد أباح للناس أن يأكلوا لحوم البشر ، وقد تفوه فى بعض كتبه بألفاظ لاتليق بجلال الآلهة ، على أنه حمل عبء التراث الرواقى . ونافح عن مذهبه . ولم تكل عزيمته عن مناصرة المدرسة الرواقية ، التى تولى رياستها بين سنتى ٢٣٢ وسنة ٢٠٤ ق م مما كان سببا إلى تدعيم الرواقيه ، ومكنها قرابة خمسة قرون حتى جاء افلاطين الاسكندرى فقوض بفلسفته جميع المذاهب المادية

(أخبار الحكماء ص ١٧٤ قصة الفلسفة اليونانية ص ٢٩١ الفلسفة الرواقية ص ٣٠).

ماتحتهما بتوسطهما ، وفى بدء ما أبدعهما ، أبدعهماجوهرين ، لايجوزعليهما الدثور والفناء ، وذكروا أن للنفس جرمين ، جرم من النار والهواء ، وجرم من الماء والأرض ، فالنفس متجسدة بالجرم الذى هو من النار والهواء ، والجرم الذى هو من النار والهواء ، متجسد بالجرم الذى هو من الماء والارض ، فالنفس تظهر أفاعيلها فى ذلك الجرم . وذلك الجرم ليس له طول ولا عرض ولا قدر مكانى ، وباصطلاحنا سميناه جسما ، وأفاعيل النفس فيها نيرة بهية ، ومن الجسم إلى الجرم ينحدر النور والحسن والبهاء ، ولما ظهرت أفاعيل النفس عندنا بتوسطين كانت أظلم ، ولم يكن لها نور شديد ، وذكروا أن النفس إذا كانت طاهرة زكية استصحبت الأجزاء النارية والهوائية ، وصار جسمها فى ذلك العالم ، جسما روحانيا نورانيا علويا طاهرا مهذبا من كل ثقل وكدر ، وأما الجرم الذي هو من الماء والأرض فيدثر ويفنى ، لأنه غير مشاكل للجسم السماوى ، لأن ذلك الجسم خفيف لطيف لا وزن له ولا يلمس ، وإنما يدرك من البصر فقط ، كما تدرك الأشياء الروحانية من العقل ، فألطف مايدرك الحس البصرى من الجواهر النفسانية ، وألطف مايدرك من إبداع البارى تعالى الآثار التى عند العقل ، وذكروا أن النفس إنما هى مستطيعة ماخلاها البارى تعالى أن تفعل ، وإذا ربطها فليست بمستطيعة ، كالحيوان الذى إذا خلاه مدبره أعنى الانسان ، كان مستطيعا فى كل ما رعاه وتحرك إليه ، وإذا ربطه لم يقدر حينئذ أن يكون مستطيعا .

وذكروا أن دنس النفس وأوساخ الجسد إنما تكون لازمة للانسان من جهة الأجزاء، وأما التطهير والتهذيب فمن جهة الكل، لأنه إذا انفصلت النفس الكلية من النفس الجزئية. والعقل الجزئى من العقل الكلي غلظت، وصارت من حيز أجرم، لأنها كلما سفلت اتحدت بالجرم من حيز الماء والأرض. وهما ثقيلان يذهبان سفلا، وكلما اتصلت النفس الجزئية بالنفس الكلية، والعقل الجزئى بالعقل الكلى ذهبت علوا، لأنها تتحد بالجسم والجسم من حيز النار والهواء وكلاهما لطيف، فيذهبان علوا وهذان الجرمان مركبان. وكل واحد منهما من جوهرين، وباجتماع هذين الجرمين يوجب الاتحاد شيئا واحدا عند الحس البصرى، فأما عند الحواس الباطنة، وعند العقل فليست شيئا واحدا فالجسم فى هذا العالم مستبطن فى الجرم، لأنه أشد روحانية، ولأن هذا العالم ليس مشاكلا له ولا مجانسا، والجرم مشاكل ومجانس لهذا العالم، فصار الجرم أظهر من الجسم، لمجانسة هذا العالم وتركيبه، وصار الجسم مستبطنا فى الجرم، لأن هذا العالم غير مشاكل له، وغير مجانس، فأما فى ذلك العالم فالجسم ظاهر على الجرم، لأن ذلك العالم عالم الجسم لأنه مجانس ومشاكل له، ويكون لطيف الجرم الذى هو من لطيف الماء والأرض، والمشاكل لجوهر النار والهواء مستبطنا فى الجسم، كما كان الجسم مستبطنا فى هذا العالم فى الجرم، فاذا كان هذا فيما ذكروا هكذا كان ذلك الجسم باقيا دائما لا يجور عليه الدثور والفناء، ولذته دائمة

لا تملها النفوس ولا العقول ، ولا ينفد ذلك السرور والحبور

ونقلوا عن أفلاطون أستاذهم ، لما كان الواحد لابدء له صار نهاية كل متناه ، وانما صار الواحد لا نهاية له لأنه لابدء له ، لا لأنه لا نهاية له ، وقال ينبغي للمرء أن ينظر كل يوم الى وجهه فى المرآة ، فان كان قبيحا لم يفعل قبيحا فيجمع بين قبيحين ، وان كان حسنا لم يشنه بقبيح . وقال إنك لن تجد الناس الارجلين إما مؤخرا فى نفسه ، قدمه حظه ، أو مقدما في نفسه ، أخره دهره ، فارض بما أنت فيه اختيارا ، والا رضيت اضطرارا[1]

(١) أساس الفلسفة الرواقية ، أن ليس فى الوجود غير المادة ، ويتفق هذا ورأيهم فى المعرفة ، فالمعرفة لاتأتى إلا من طريق الحس ، فمالم يحس فلا يعرف ، وكل موجود مادة . حتى ، الروح . وحتى الله تعالى ، لأن وحدة الوجود تتطلبه والعالم واحد . نشأ عن مبدأ واحد هو ، المادة . ولأن الجسم والنفس ؛ والعالم والله متفاعلان ، فالجسم يؤدى إلى أفكار فى النفس ، والنفس تبعث على حركات فى الجسم وهذه غير ممكنة ، إذا لم يكن الجسم والنفس من عنصر واحد ، وذهبوا مذهب هرقليطس إلى أن النار أساس كل شىء ، ومزجوا رأيهم المادى بالحلول فقالوا إن الله هو النار الأولى ونسبة الله إلى العالم كنسبة روحنا الينا ، والنفس نار . مقتبسة من النار الالهية ، منبثة فى الجسم ، كما أن الله منبث فى العالم ، إلا أن له مركزاً رئيسيا ممتازا ، وموقعه من الكون فى محيطه الخارجى ، أو فى قلب العالم ، ومن جميع أنحاء الكون ، وهو خالق العالم وبارئه . وجوهره ، وحقيقته . فالله والطبيعة اسمان يدلال على حقيقة شاملة واحدة ، والله تعالى علة الأشياء . والله روح العالم ، ولما كان العالم كامل الوحدة فليس هنالك إلاإله واحد . وهو الموجود الأزلى ، الباقى العاقل السعيد الكامل المبرأ من كل نقص ، الخالد ، مبدع الأشياء وصانعها ، لم يكن باديء الأمر فى الوجود غير الله ، فى هيئته فتحرك ، وتحركت تلك النار الالهية . وحولت جزءاً منها إلى هواء ثم جزءاً من الهواء إلى ماء ، ثم سوى جزءاً من الماء

أرضا . فالهواء والماء والأرض ، إن هى إلا صور من الله تعالى ، حول نفسه اليها عمدا ، وأبقى من نفسه جزءاً إلهياً خالصاً ، هو مستقر فى محيط الكون الخارجى ، أو فى القلب ، وكأنه قد أوجده الله منفصلا عن هذا العالم يسيره ويدبره . وهما فى الواقع شىء واحد ، والعالم ، لن يلبث على صورته إلى الأبد ، بل إنه سيعود ، بعد أن يقطع شوطه ، فيتحول إلى نار عظيمة ، ويعود الله أوزيوس فيحتضن العالم ولا يكون فى الوجود إلا هو فى صورة واحدة ، ولن يلبث ، حتى يعيد العالم سيرته الأولى ، فالعالم بين هدم وبناء إلى مالا نهاية ، على أساس ، من النظام والقانون ، تأتى . متشابهة ، فيما وقع لسالفه من آحداث ، في دقة وانضباط ، إذ السبب هو هو . والقانون بذاته لا يتغير . ولا يعتريه نقص ولا زيادة ، والعالم مسير لا مخير ، وبالرغم من ماديته فقد قالوا إن الله هو العقل المطلق ، وهم . لم يعدلوا عن ماديتهم ، إذ ذهبوا إلى أن النار الالهية عنصر عاقل ، وإذ كان الله عاقلا ، فالعالم مسير . بالعقل والحكمة ، وينتج من هذا ،

١ — أن العالم سائر إلى غايته ، بنظام وجمال وثبات .

٢ — أن العالم خاضع لقوانين ثابتة يسيره حتما قانون العلة والمعلول والسبب والمسبب ، ونفس الانسان جزء من النار الالهية . ولهذا كانت نفسا عاقلة فانبعثت من النار الالهية نفس الانسان الأول ، ثم انتقلت من الأصل إلى الفرع على طريقة التوالد ، وتستمر النفس بعد الموت ، خيرة أم شريرة — أو الخيرة منها ، — حية متصلة بالفرد إلى أن يحصل الاحتراق العام ، فتعود هى وكل شىء إلى الله ، وذهبوا إلى أن كل جسم مكون من مواد دقيقة ، تشبه الهواء أو البخار ، يسمونها أنفاساً وهذه المواد تطوف دواما من مركز الجسم إلى أطرافه وتتحرك حركة غير منقطعة انتشاراً وانقباضاً وإلى حركة الانقباض خاصة ، ترجع وحدة الأشياء وبقاؤها ، وكل مادة تتحرك على هذا النحو غير أن تيار الأنفاس التى يتألف الجسم منها تتداخل وتتغلغل أجزاؤها بعضها فى بعض ، بحيث يحتوى كل جزء منها على جميع الأجزاء الأخرى ، حتى يستطيع أصغر الأجسام أن يداخل أكبرها جرما وأن ينتشر خلاله ، ولا تماس فى الأجسام . وإنما هي تمازج وتتداخل بعضها فى بعض تداخلا تاما محتفظة بخواصها كاملة . وهم يخلعون صفة الحياة على جميع ما فى الكون ، لا فرق فى ذلك بين جماد ونبات وحيوان ، فالعالم عندهم هو مجموع الأشياء المؤلفة من السماء والأرض وما فيهما

الحكماء الذين تلوهم في الزمان وخالفوهم في الرأى

مثـل ارسطوطاليس ومن تابعه على رأيه مثل الاسكندر الرومي والشيخ اليوناني وديوجانس الكلبي وغيرهم وكلهم على رأى أرسطوطاليس في المسائل التي نوردها عن القدماء ونحن نذكر من آرائه ما يتعلق بغرضنا من المسائل التي شرعت فيها الأوائل، وخالفهم المتأخرون ومخصوها في ست عشرة مسئلة .

رأى أرسطوطاليس(١)

ابن نيقوماخوس من أهل اسطاخرا وهو المقدم المشهور ، والمعلم

من أجناس وطبائع والعالم يحيط به خلاء وليس فيه نفسه خلاء ، وللعالم نفس لأن العالم كائن حي مفكر عاقل ، ونفس العالم منبثة في كل مكان وأما السكون فهو ينتظم العالم ، والخلاء اللانهائي في المحيط به . وكما أن للعالم بداية فسيكون له كذلك نهاية لـكن العالم لايكاد ينتهى حتى يعود ، فهو لايفنى بعد احتراقه بلهب الاله زيوس ، إذأنه يعود سيرته الأولى ولم تزل الأشياء تذهب ثم تعود ، ولاجديد تحت الشمس ، وليس في الامكان أبدع مما كان .وللانسان نفس ، ونفسه ذات اتصال ببدنه واتصالها مما يثبت أنها جسم ، إذ لايمكن اتصال الجسم إلا بجسم والنفس مبدأ الحياة ومبدأ حركاته وأفكاره فاذا مات فارقته ، لـكنها تبقى بعد فنائه حتى يحترق العالم والعقل الذى أبدع الأشياء جميعا ، هو الله خالق العالم وبارئه . وجوهره ، وحقيقته وهو كامن في الانسان كمونه في كل شيء ، وإذ أن العالم كامل فليس هناك إلا إله واحد ، وما الآلهة العديدة التي يقول بها الدين الشعبي إلاأسماء مختلفة ، تطلق على الله لقدرته وجبروته (قصة الفلسفة اليونانية ص ٢٩٨ الفلسفة الرواقية ص ١٢٣) .

(١) ولد أرسطوطاليس سنة ٣٨٤ ق م ، في مدينة اسطاغيرا ، وهى مدينة أيونيه ، ومرفأ من بلاد مقدونيا ، على بحر ايجه وكان أبوه نيقوماخوس ، طبيبا للملك المقدونى . امنتاس الثانى جد الاسكندر ، مما وصل أرسطو ، صلة وثيقة بالبلاط المقدونى فنشأ فيه ، وتعلم مع فيلبس ، أبي الأسكندر ، مما كان له أثر كبير في حياته . وقد مات أبوه وهو فتى . فلما ناهز الثامنة عشر أرسله ولى أمره . برقسانس إلى

الأول والحكيم المطلق عندهم ، وإنما ولد فى أول سنة من ملك أردشير بن دارا ، فلما أتت عليه سبع عشرة سنة أسلمه أبوه إلى أفلاطون فمكث عنده نيفا وَعشرين سنة ، وإنما سموه بالمعلم الأول ، لأنه واضع التعاليم المنطقية ، ومخرجها من القوة إلى الفعل وحكمه حكم واضع النحو وواضع العروض ، فان نسبة المنطق إلى المعانى التى في الذهن نسبة

أثينا ليتم تعلمه ، وكانت مركز الحياة العقلية فى العالم ، فالتحق باكاديمية أفلاطون فلزمها عشرين سنة ، إلى أن توفي أفلاطون . وقد اتهمه بعضهم بكفران نعمة أستاذه ورووا أنه نغص عليه أواخر أيامه بما أثاره ، من منازعات ومخاصمات في مدرسة افلاطون ، والحق إنه ليس ثمت مايؤيد ذلك ، وبخاصة . وان أرسطو بقى فى المدرسة إلى توفى افلاطون ، بله مايذكره في كتبه من آيات الاكبار والاجلال لأستاذه ، مما يبعد ذلك الرأى ، وربما دعا إليه ان أرسطو ، كان ذا شخصية ممتازة وعقل مجتهد غير مقلد ، فكان يزن أقوال أستاذه وينقدها ويحللها فذهب الظن أن هذا تجريح لأستاذه وكفران لنعمته ، وهو وان نقد تعاليم افلاطون نقدا قويا قاسيا ، لكنه من غير غمز ، ولقد قال كلمته المشهورة ، أحب الحق وأحب افلاطون ، وأوثر الحق على افلاطون . ولما توفى افلاطون سنة ٣٤٧ ق م . وانتخب ابن أخيه سبيسبوس رئيسا للاكاذيمية . ترك أرسطو أثينا ، وقصد إلى هرمياس ، ملك أترنوس فى آسيا الصغرى ، وكان هرمياس من أصل وضيع ، ولكنه ذو نفس عالية ، وكان تلميذا لأفلاطون مع أرسطوا فرحب بأرسطو ، وأنزله منزلا كريما . وأقام فى أترنوس ثلاث سنين تزوج فى خلالها بنت أخى هرمياس ، وقد ماتت ، فتزوج بأخرى ، أولدها نيقوماخوس ثم قتل هرمياس . فذهب أرسطو إلى ميتلين ، فبقى فيها بضع سنين ، فاستدعاه فيلبس المقدونى ليتولى تربية ابنه الاسكندر الأكبر وكان فى الثالثة عشرة من عمره ، فلبث يعلمه قرابة خمس سنوات ، وقد لقى من الملك وولى عهده تبجيلا واكراما حتى ليقصون . بأن البلاط المقدونى أعانه على بحثه بمال جزيل : وبآلاف من الرقيق يجمعون له النماذج ، وهذا . وإن كان فيه مبالغة إلا أن المحقق ان القصر أعانه اعانة كبرى على بحثه .

ولما ناهز الاسكندر العشرين من عمره ، ولى الملك بعد أبيه ، الذى قتل غيلة ، فانتهت بذلك تربية أرسطو له فعاد إلى أثينا ، ولم يكن رآها منذ توفى أفلاطون ، فرأى المدرسة الافلاطونية مزدهرة ، وتعاليم أفلاطون سائدة ، فأنشأ مدرسة فى ملعب رياضى ، يسمى لوقيون ، وسمى أتباعه بالمشائين ، أخذا من عادته ، إذ كان يلقى عليهم دروسه وهو يمشى ، وهم يسيرون من حوله ، وقيل ان دروسه صباحية خاصه بتلاميذه تدور على الفلسفة ، ومسائيه عامة تدور على الخطابة ، وأنشأ مكتبة كانت الأولى من نوعها فى العصر القديم ، ومعملا للتاريخ الطبيعى ، وقد ظل ثلاث عشرة سنة يدير مدرسته ويحرر كتبه ، وأشهر مؤلفاته وأهمها كتب في هذا العهد ، ولما مات الاسكندو سنة **٣٢٣** ق م ، فى بابل ، وسط انتصاراته ، فعاودت ديموستين وحز به آمالهم ، وكانوا أعداء المقدونيين ، فعادوا إلى نشاطهم ، واتجهت أنظارهم إلى أرسطو ، مع أنه لم يشتغل بالسياسة فدبروا ، له تهمة الالحاد فخاف الاضطهاد ، وأن يفعل به أهل أثينا ، مافعلوا بسقراط ففر إلى مدينة خلسيس ، وفى أول سنة من إقامته بها أصيب بمرض مات به وعمره ٦٣ سنة ، وذلك فى سنة **٣٢٢** ق م وقد روى أن أرسطو ألف قرابة ، أربعمائة كتاب ، ويقل عجبنا ، إذا عرفنا أن الكتاب قد يطلق على فصل به ، أو مقالة ، أو باب ، وقد فقد أكثر من ثلاثة أرباع مؤلفاته ولكن من حسن الحظ أن مابقى هو أهم ما كتب . وأكثر الظن أنه بدأ كتابته بالمنطق ثم بالعلوم الطبيعية ثم بالأخلاق والسياسة ثم بما بعد الطبيعة ، ولم يكن فيلسوفا فحسب . بل كان واسع المعرفة بفروع العلم المختلفة أحاط علما بما أثر عمن قبله . ونبذ منه مارآه باطلا ، وزاد على ماصح عنده منها نظريات جديدة . وآراء مبتكرة . وما كان من الحقائق التي وصل اليها لاعلم له اخترع له علما ، كما فعل بالمنطق وعلم الحيوان الذى كان شغوفا به ، حتي عدوا ما كان يعرف من أنواع الحيوان نحوا من خمسمائة نوع ، وكان إذا سئل ماذا اكتسبت من الفلسفة يقول ، هو عملى بالاختيار مالا يعمله غيرى إلا بالخوف من الشرائع ، وكان إذا سئل عن الفرق بين العلماء والجهال يقول كما بين الأحياء والأموات ، وكان يقول إن العلوم زينة فى العز وملجأ فى الشدة ومن أحسن تربية الأطفال فهو أولى بهم من آبائهم لأنهم لم ينفعوهم بغير المعيشة وأما المربون فقد علموهم ماينتظمون به فى سلك السعداء وقد صنع له أهل مدينته استاجيب مزارا وقربوا له القربان كالآلهة (قصة الفلسفة اليونانية ص **٢٢١** تاريخ الفلسفة اليونانية ص **٢١١** ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص ١٢٨) .

النحو إلى الكلام والعروض إلى الشعر ، وهو واضعه لا بمعنى أنه لم تكن المعانى مقومة بالمنطق قبله فقومها ، بل بمعنى أنه جرد آلته عن المادة فقومها تقريبا إلى أذهان المتعلمين ، حتى تكون كالميزان عندهم يرجعون اليه عند اشتباه الصواب بالخطأ والحق بالباطل لا أنه أجمل القول اجمال الممهدين ، وفصله المتأخرون تفصيل الشارحين ، وله حق السبق ، وفضيلة التمهيد ، وكتبه فى الطبيعيات والإلٰهيات والاخلاق معروفة ، ولها شروح كثيرة ونحن اخترنا فى نقل مذهبه شرح ثامسطيوس الذى اعتمده مقدم المتأخرين ورئيسهم أبو على بن سينا وأوردنا نكتا من كلامه فى الإلٰهيات وأحلنا باقى مقالاته فى المسائل على نقل المتأخرين إذ لم يخالفوه فى رأى ولا نازعوه فى حكم كالمقلدين له المتهالكين عليه ، وليس الأمر على ما مالت إليه ظنونهم .

(المسألة الاولى)

فى إثبات واجب الوجود الذى هو المحرك الاول[1] ، قال في

---

(١) يقرر ، أن المحرك الأول ، واجب الوجود ، وهو البارىء سبحانه وتعالى وهو غير متحرك أصلا لا بالذات ، ولا بالعرض ، فيرى أن الله محيط بالعالم ولكن التماس غير ضرورى ليحرك الله العالم كعلة فاعلية ، والله غير جسمى ، إذ أنه ليس له مكان . وقد ذهب إلى أنه إذا كان الفاعل يماس المنفعل دائما ، فالعكس لا يصدق على الفاعل غير المادى . بحيث يكفى أن يماس الله العالم دون أن يماسه العالم ، ولا يدع فكيف يماس اللامادى . المادى ، فالله علة غائية لحركة العالم . والله منزه عن الحركة لأنه إذا كان متحركا وجب أن يفتقر إلى محرك ، وهذا المحرك هو بدوره مفتقر إلى

كتاب اثولوجيا من حرف اللام إن الجوهر يقال على ثلاثة أضرب اثنان طبيعيان وواحد غير متحرك ، قال انا وجدنا المتحركات ، على أثر اختلاف جهاتها وأوضاعها ولا بد لكل متحرك من محرك فاما ان المحرك يكون متحركا فيتسلسل القول فيه ولا ينحصر ،وإلا فيستند إلى محرك غير متحرك، ولا يجوز أن يكون فيه شيء ما بالقوة، فانه يحتاج إلى شيء آخر يخرجه من القوة إذ هو لا يتحرك من ذاته من القوة إلى الفعل فالفعل إذاً أقدم على القوة وما بالفعل أقدم على ما بالقوة وكل جائز وجوده في طبيعته معنى ما بالقوة وهو الامكان والجواز فيحتاج إلى واجب به يجب وكذلك كل متحرك فيحتاج إلى محرك فواجب الوجود بذاته ذات وجودها غير مستفاد من وجود غيره وكل موجود فوجوده مستفاد عنه بالفعل وجائز الوجود له في نفسه وذاته الامكان وذلك إذا أخذته بشرط علته فله الوجوب وإذا أخذته بشرط لا علته فله الامتناع .

(المسالة الثانية)

في أن واجب الوجود واحد[١] أخذ ارسطوطاليس يوضح

محرك ، حتي نهوى فى حضيض التسلسل ، وهو باطل ، فيستقر الأمر ، بأن لحركة العالم علة أولى ثابتة غير متحركة ،

(٢) أرسطو ، وان كان حلوليا ، ففى مذهبه لمعة من الوحدانية ، وقبسة من الالهية التى تكشف عن وجود إله واحد ، بدبر هذا الكون . هذا وقد ذكر الفارابى فى كتابه الجمع بين رأيى الحكيمين ، بأن أرسطو بين فى كتاب أوثولوجيا أن الواحد موجود فى كل كثرة ، لأن كل كثرة لا يوجد فيها الواحد لاتتناهى أبداً

أن المبدأ الاول واحد من حيث إن العالم واحد ، ويقول إن الكثرة بعد الاتفاق في الحد ليست هي كثرة العنصر ، وأما ما هو بالآنية الأولى فليس له عنصر ، لأنه تمام قائم بالفعل لا يخالط القوة فاذا المحرك الأول واحد بالكلمة والعدد أى الاسم والذات ، قال فمحرك العالم واحد لأن العالم واحد هكذا نقل ثامسطيوس وأخذ من نصر مذهبه يوضح أن المبدأ الأول واحد من حيث إنه واجب الوجود لذاته ، قال ولو كان كثيرا لحمل واجب الوجود عليه وعلى غيره بالتواطؤ فيشملهما جنسا وينفصل أحدهما عن الآخر نوعا ، فيتركب ذاته من جنس وفصل فيسبق أجزاء المركب على المركب سبقا بالذات ، فلا يكون واجباً

البتة وبرهن على ذلك ببراهين واضحة مثل قوله إن كل واحد من أجزاء الكثير ، إما أن يكون واحداً ، وإما أن لايكون واحدا . فان لم يكن واحدا ، لم يخل من أن يكون ، إما كثيرا وإما لاشيء ، وإن كان لاشيء لزم أن لاتجتمع منها كثرة . وان كان كثيرا فما الفرق بينه وبين الكثرة ، ويلزم أيضا من ذلك أن مايتناهي أكثر مما لايتناهى ، ثم بين أن مايوجد فيه الواحد من هذا العالم فهو لاواحد إلا بجهة وجهة ، فاذا لم يكن فى الحقيقة واحدا . بل كان كل واحد فيه موجودا كان الواحد غيره . وهو غير الواحد ، ثم بين أن الواحد الحق هو الذى أفاد سائر الموجودات الواحدية ثم بين أن الكثير بعد الواحد لامحالة . وأن الواحد يقدم الكثرة ثم بين أن كل كثرة تقرب من الواحد الحق ،كان أول كل كثرة مما يبعد عنه وكذلك بالعكس . هذا ، فارسطو يرى أن لهذا الكون إلها واحدا ، ويبرهن على هذه الوحدانية ، بأنه لو كان هناك عوالم عدة لكان هناك مبادىء محركة عدة ، متفقة بالنوع ، مختلفة بالعدد . ولكن الموجود الأول بريء عن المادة فلا يمكن أن يتكثر ، من حيث إن المادة هى التى تكثر الصور . فالمحرك الأول وهو واجب الوجود واحد ، والعالم واحد .

بذاته ولأنه لو لم يكن هو بعينه واجب الوجود لذاته لا شيء عنه، فالأمر خارج عنه واجبا بذاته، فكان واجب الوجود بذلك الأمر الخارج فلم يكن واجبا بذاته هذا خلف.

المسألة الثالثة

فى أن واجب(١) الوجود لذاته لا من عينه بل أمر عقل لذاته، وعاقل ومعقول لذاتِه، عقل من غيره أو لم يعقل، إما أنه عقل فلانه مجرد عن

(١) قال فى النجاة، وإذا قد ثبت واجب الوجود، فنقول إنه بذاته عقل، وعاقل ومعقول، أما أنه معقول الماهية فلانك تعرف أن طبيعة الوجود بما هى طبيعة أقسام الوجود بما هى كذلك، غير ممتنع عليها أن تعقل وإنما يعرض لها أن لا تعقل إذا كانت فى المادة، أو مكنوفة بعوارض المادة، فانها من حيث هى كذلك، محسوسة أو متخيلة، والوجود إذا جرد عن هذا العائق، كان وجودا وماهيته معقولة. وكل ماهو بذاته مجرد عن المادة والعوارض، فهو بذاته معقول، والأول الواجب الوجود مجرد عن المادة وعوارض المادة، فهو بما هو هوية مجردة عقل وبما يعتبر له أن هوية المجردة لذاته فهو معقول لذاته: وبما يعتبر له أن ذاته لها هوية مجردة هو عاقل ذايته ومن فكر قليلا علم أن العاقل يقتضى شيئا معقولا، وهذا الاقتضاء لايتضمن أن ذلك الشيء آخر، أو هو هو، هذا، وانا انعلم يقيناً، ان لناقوة نعقل بها الأشياء فإما أن تكون القوة التى تعقل هذا المعنى، هو هذه القوة نفسها، فتكون هى بعينها تعقل ذاتها، أو تعقل ذلك قوة أخرى. فتكون لنا قوتان قوة نعقل الأشياء بها وقوة نعقل بها هذه القوة ثم يتسلسل الكلام إلى غير النهاية فيكون فينا قوة تعقل الأشياء بلا نهاية بالفعل، فقد بان أن المعقول لايوجب أن يكون معقول شىء آخر، ولهذا يتبين أن ليس يقتضى العاقل أن يكون عاقل شيء آخر. بل كل مايوجد له الماهية المجردة فهو عاقل، وكل ماهو ماهيته متجردة توجد لشىء فهو معقول، فالماهية لذاتها عاقل ومعقول، ولايوجد ذلك أن يكون اثنان فى الذات ولافى الاعتبار، وكونه عاقلا ومعقولا لايوجب فيه كثرة البتة فالعاقل فيه والمعقول والعقل واحد، (النجاة ص ٣٩٨)

المادة منزه عن اللوازم المادية ، فلا يحتجب ذاته عن ذاته ، وأما أنه عقل لذاته فلانه مجرد لذاته ؛ وأما أنه معقول لذاته فلأنه غير محجوب عن ذاته بذاته وبغيره ، قال الاول يعقل ذاته ثم من ذاته يعقل كل شيء ، فهو يعقل العالم العقلى دفعة واحدة ، من غير احتياج إلى انتقال وتردد ، من معقول إلى معقول ، وأنه ليس يعقل الأشياء على أمور خارجة عنه فيعقلها منها ، كحالنا عند المحسوسات بل يعقلها من ذاته ، وليس كونه عاقلا وعقلا بسبب وجود الأشياء المعقولة ، حتى يكون وجودها ، قد جعله عقلا بل الأمر بالعكس ؛ أى عقله للأشياء جعلها موجودة وليس للأول شيء يكمله ، فهو الكامل لذاته المكمل لغيره ؛ فلا يستفيد وجوده من وجود كمالا ، وأيضا فانه لو كان يعقل الأشياء من الأشياء ، لكان وجودها متقدما على وجوده ويكون جوهره فى نفسه وفى قوامه وطباعه أن يقبل معقولات الاشياء ، فيكون فى طباعه ، ما بالقوة من حيث يكمل بما هو خارج عنه حتى يقال لولا ما هو خارج عنه لم يكن له ذلك المعنى ، وكان فيه عدمها فيكون الذى له فى طباع نفسه وباعتبار نفسه من غير إضافة إلى غيره أن يكون عادما للمعقولات ومن شأنه أن يكون له ذلك ، فيكون باعتبار نفسه مخالطا للامكان والقوة ، وإذا فرضنا أنه لم يزل ولا يزال موجودا بالفعل ، فيجب أن يكون له من ذاته الأمر الأكمل الأفضل لا من غيره ، قال وإذا عقل ذاته عقل ما يلزم لذاتها بالفعل ، وعقل كونه مبدأ ، وعقل كل ما يصدر عنه ، على ترتيب

الصدور عنه، وإلا فلم يعقل ذاته بكنهها قال وإن كان ليس يعقل بالفعل فما الشيء الكريم الذي له، وهو الكون الناقص كماله، فيكون حاله كحال النائم، وإن كان يعقل الأشياء من الأشياء فتكون الأشياء متقدمة عليه بتقدم ما تعقله ذاته، وإن كان يعقل الأشياء من ذاته فهو المرام والمطلب، وقد يعبر عن هذا الغرض بعبارة أخرى تؤدي قريباً من هذا المعنى فيقول ن كان جوهره العقل وأنه يعقل، فاما أن يعقل ذاته أو غيره، فإن كان يعقل شيئا آخر فما هو فى حد ذاته غير مضاف إلى ما يعقله، وهل لهذا المعتبر بنفسه فضل وجلال مناسب لأن يعقل بأن يكون بعض الأحوال أن يعقل له أفضل من أن لا يعقل، وبان لا يعقل يكون له أفضل من أن يعقل، فإنه لا يمكن القسم الآخر، وهو أن يكون بعقل الشيء الآخر أفضل من الذى له فى ذاته من حيث هو فى ذاته شيء يلزمه أن يعقل، فيكون فضله وكماله بغيره وهذا محال[1]

---

(١) هذا مما شرع فيه أرسطو من بيان صفات الاله جلت قدرته وعظمته فيقول : وأما كيف يكون هذا المبدأ فى ذاته وفى عقله لذاته ففيه صعوبة فانه ان كان ليس تعقله بالفعل فما الشيء الكريم الذى له، بل يكون ذا حالة كحالة النائم عندنا وان كان يعقل الأشياء فتكون الأشياء متقدمة عليه فيتقوم بما تفعلها ذاته ويكون جوهره فى نفسه، فى قوته وطباعه ان يقبل معقولات الأشياء فيكون فى طباعه مابالقوة من حيث يكمل بما هو خارج عنه من حيث انه لولا ماهو خارج عنه لم يكن له ذلك المعنى وكان فيه عدمها فيكون الذى له فى طباع نفسه وباعتبار نفسه من غير إضافة إلى غيره أن يكون عادما للمعقولات ومن شأنه أيضا أن يكون له والا لم يكن البتة، فهو باعتبار نفسه مخالط للامكان والقوة وان فرضنا انه لا يزال موجودا بالفعل فلا يكون الذى له من ذاته الأمر الأفضل الأكمل، بل من غيره ويكون كماله من جهة

المسألة الرابعة

فى أن واجب الوجود لا يعتريه تغير وتأثر من غيره بأن يبدع أو يعقل ، فإن الباري تعالى عظيم الرتبة[١] جدا غير محتاج إلي غيره ،

الشىء الذى يعقله ، فانه لولا ذلك الشىء لما كان يعقله . وقد يعبر عن هذا الغرض بعبارة تؤدى قريبا من هذا المعنى فيقول وأيضا ان كان جوهره العقل وان يعقل فلذلك هو : اما بأن يعقل ذاته أو غيره فان كان يعقل شيئا آخر فما هو فى حد ذاته غير مضاف إلى مايعقله وهل لهذا المعتبر بنفسه فضل وجلال مناسب لأن يعقل بأن يكون بعض أحوال ان يعقل له أفضل من بعض أحوال الا يعقل الشىء الآخر . بل أن لايعقل يكون له أفضل من أن يعقل ، فانه لايمكن له القسم الآخر وهو أن يكون تعقل الشىء الآخر أفضل من الذى له في ذاته من حيث هو في ذاته شىء يلزمه أن يعقل ، فيكون فضله وكماله بغيره ومن المحال أن يكون عاقلا لغيره ، فانه فى نفسه وفى رتبة وجوده الذى يخصه غير معتبر من جهة غيره عظيم الرتبة جدا لايحتاج إلى غيره ولا يتغير . (كتاب الانصاف شرح كتاب اللام لابن سينا)

(١) أخذ يبرهن على ماذهب اليه في الثالثة من أنه من المحال أن يكون عاقلا لغيره لعظم رتبته ، إذ أنه عظم الرتبة جدا فلا يحتاج إلى غيره ، ولايتغير سواء كان التغير زمانيا أو كان تغيرا بارادته يقبل من غيره أثرا وان كان دائما فى الزمان لكنه بعد الذات فى الرتبة الذاتية . وانما لايجوز له أن يتغير كيفما كان لأن انتقاله إنما يكون إلى الشر لاإلى الخير لأن كل رتبة غير رتبته فهى دون رتبته ، فكل شىء يناله ويتوصف به فهو دون نفسه ، ويكون شيئا مناسبا للحركة خصوصا ان كانت بعدية زمانية وهذا معنى قوله ، فان التغير إلى الذى هو أشر ، ثم ما ادعاه من أن تتابع العقل له متعب خطأ ونسي أنه نفسه قال فى العقل الهيولانى أنه يزداد بالتعقل قوة ، ولايتعب فى جوهره ، بل يسبب مايحتاج اليه فى العقل المنفعل وفى آلة العقل المنفعل وفى آلة العقل المنفعل وهو لايدعى فى نفس الانسان أنه بالفعل عقل . ثم ليس إذا استكمل الشىء يجب أن يكل ويتعب ، أنما التعب هو أذى يعرض بسبب خروج عن الحالة الطبيعية . وانما يكون ذلك إذا كانت الحركات التى تتولى مضادة لمطلوب الطبيعة اما الشىء الملائم واللذيذ المحض الذى ليس فيه منافاة بوجه فلم يجب

ولا متغير بسبب من غيره ، سواء كان التغير زمانيا أو كان تغيرا بان ذاته تقبل من غيره أثرا وإن كان دائما فى الزمان ، وإنما لا يجوز له أن يتغير كيفما كان ، لأن انتقاله إنما يكون إلى الشر لا إلى الخير ، لأن كل رتبة غير رتبته فهو دون رتبته . وكل شىء يناله ويوصف به فهو دون رتبته ، وكل شىء يناله ويوصف به فهو دون نفسه ، ويكون أيضا شيئا مناسباً للحركة ، خصوصا إن كانت بعدية زمانية . وهذا معنى قوله إن التغير إلى الشىء الذى هو شر ، وقد ألزم على كلامه أنه إذا كان العقل الأول يعقل أبدا ذاته ، فانه يتعب ويكل ويتغير ويتأثر وأجاب ثامسطيوس عن هذا بأنه إنما لا يتعب لأنه يعقل ذاته وكما لا يتعب من أن يحب ذاته فانه لا يتعب من أن يعقل ذاته قال أبو على ابن سينا ليست العلة أنه لذاته يعقل أو لذاته يحب بل لأنه ليس مضاد الشىء فى الجوهر العاقل فان التعب هو أذى يعرض لسبب خروج عن الطبيعة ، وإنما يكون ذلك إذا كانت الحركات التى تتوالى مضادة لمطلوب الطبيعة فأما الشىء الملائم واللذيذ المحض ليس فيه منافاة بوجه فلم يجب أن يكون تكرره متعبا .

ان يكون تكرره متعبا ، ولا أيضا مايقوله ثامسطيوس حق فانه يقول إنه إنما لايتعب لأنه يعقل ذاته كما ان الشيء لايتعب من أن يحب ذاته ، فان العلة ليس هو أنه لذاته أو لغير ذاته بل لأنه ليس مضادا لشيء في جوهر العقل . (من كتاب الانصاف شرح كتاب حرف اللام لابن سينا)

المسألة الخامسة

في أن واجب الوجود حي بذاته[١] باق بذاته، أي كامل في أن يكون بالفعل مدركا لكل شيء، نافذ الأمر في كل شيء، وقال إن الحياة التي عندنا، فانه يقترن بها من إدراك خسيس وتحريك خسيس. فأما هناك فالمشار اليه بلفظ الحياة وهو كون العقل التام بالفعل الذي يتعقل من ذاته كل شيء، وهو باقي الدهر أزلي فهو حي بذاته باق بذاته عالم بذاته (قادر بذاته) وإنما يرجع جميع صفاته إلى ما ذكرنا من غير تكثر ولا تغير في ذاته.

المسألة السادسة

في أنه لا يصدر عن الواحد إلا واحد[٢] قال الصادر الأول هو

---

(١) ثم ان أرسطو يقول وهي حياة، أي حي بذاته، أي كامل في أن يكون بالفعل مدركا لكل شيء نافذ الأمر في كل شيء فان الحياة التي عندنا إنما تسمى حياة لما يقترن بها من إدراك خسيس وتحريك خسيس وأما هناك فالمشار إليه لفظ الحياة هو كون العقل التام بالفعل وذلك هو العقل وخصوصا العقل الذي من ذاته يتعقل كل شيء من ذاته، ثم قال فاذن هو حياة وبصر متصل أزلي أي حي بذاته باق بذاته فان هذا هو الإله (من كتاب الانصاف شرح كتاب حرف اللام لابن سينا)

(٢) المبدأ الأول واحد وانه يحرك الحركة الأولى الدائمة الأزلية، وبعد ذلك المبدأ جواهر كثيرة حالها هذه الحال والقياس يوجب ذلك والحس شهد عليه، وكل متحرك فحركته من محرك، فالعلة الأولى يجب ضرورة أن تكون واحدة غير متحركة واما الجواهر المحركة للاجسام التي بعدها فيجب ضرورة أن تكون كثيرة بحسب الأجسام المتحركة، وأن تكون في ذاتها غير متحركة لكن تتحرك بالعرض، كما أوجبه القول في أمر النفس وأن تكون أزلية، إلا أن الوقوف على كثرة القوى يقصد إلى تعرفه من علم النجوم ويجب أن يكون عدد القوى المحركة بحسب عدد الأجسام المتحركة، والذي تدل عليه النجوم من عدد الأفلاك المتحركة خمسة وخمسون أو سبعة وأربعون فلتكن الحركات هذا العدد، إلا أن الحكم الضروري في ذلك

العقل الفعال لأن الحركات إذا كانت كثيرة ولكل متحرك محرك فيجب أن يكون عدد المحركات بحسب عدد المتحركات ، فلو كانت المتحركات والمحركات ينسب اليه لا على ترتيب أول وثان بل جملة واحدة لتكثرت جهات ذاته إلى محرك محرك ومتحرك متحرك فتتكثر ذاته وقد أقمنا البرهان على أنه واحد من كل وجه ، فلن يصدر عن الواحد من كل وجه إلا واحد وهو العقل الفعال ، وله في ذاتِه وباعتبار ذاته امكان الوجود ، وباعتبار علته وجوب الوجود فتتكثر ذاته لا من جهة علته فيصدر عنه شيئان ثم نزيد التكثر فى الاسباب فتتكثر المسببات والكل ينسب اليه .

المسالة السابعة

فى عدد المفارقات(١) قال إذا كان عدد المتحركات مترتبا علي عدد

فللذى يتنجم ، فهو أقوى على ذلك فيجب أن يكون عدد الحركات كعدد الأفلاك المتحركة . وأن يكون عدد العلل المحركة كعدد الحركات ثم يقول انه ان كان العالم أكثر من واحد فيجب أن تكون العلل الأولى أكثر من واحد والأشياء التى صورتها واحدة وعددها كثرة ، يكون السبب فى كثرتها المادة والعنصر والمحرك الأول لاتشوبه الهيولى ولاهو ذوجسم فيجب أن يكون المحرك الأول واحدا فى الحد والعدد . والجسم المتحرك أيضا ان كان متصل الحركة يجب أن يكون واحداً فالعالم واحد (من شرح ثامسيطوس لحرف اللام) .

(١) ثم ان أرسطو أخذ يبحث ، هل المحرك المفارق الذي ليس بجسم واحداً أو أكثر من واحد فيقول إذا كانت الحركات كثيرة ، والمتحرك الواحد محركه واحد فيجب أن يكون عدد الحركات المفارقة كثيرة ، بحسب عدد المحركات الأزلية ، ولم يبين لم يحتاج المتحرك من محرك كالمشتهى إلى أن يكون خاصا يحركه محرك وأخذ ذلك مسلماً . ثم ينتج عن كلامه مقدمة فى أن الجواهر المفارقة كثيرة ، على ترتيب أول

المحركات فتكون الجواهر المفارقة كثيرة على ترتيب أول وثان . فلكل كرة متحركة محرك مفارق غير متناهى القوة ويحرك كما يحرك المشتهى والمعشوق ،ومحرك آخر مزاول للحركة ، فيكون صورة للجرم السماوى فالأول عقل مفارق والثانى نفس مزاول . فالمحركات المفارقة تحرك على أنها مشتهاة معشوقة ، والمحركات المزاولة تحرك على أنها مشتهية عاشقة ، ثم يطلب عدد المحركات من عدد حركات الأكر ، وذلك شىء لم يكن ظاهرا فى زمانه ،وإنما ظهر بعد ، والأكر تسعة لما دل الرصد

وثان قال هذا حق ؛ ولكنه ليس بينا مما قاله ، فان المتبلغ الذى قاله لايمنع من أن يكون محرك مفارق يحرك كالمشتهى والمتحركون عنه كثيرون ، فيجب أن يهتدى للسبب الموجب لذلك ، وقوله (على ترتيب أول وثان) ان عنى بالترتيب أن يكون بعضها علة لبعض فما بان من كلامه ، فان كلامه أوجب على سبيل المساعدة أن ههنا محركات ، مفارقة كثيرة ، ولم يتأت له أن يبين كيف أتينا بها إلى الأول الحق فى الوجود ، أتينا ببعضها إلى بعض . وهل هى معانى الذات ، فلا يتعلق بعضها ببعض في الوجود أو تتعلق معا ؛ أو على ترتيب ، ويجب ان يعرف أن الرجل يرى ان لكل كرة محركا مفارقا غير متناهى القوة ، ويحرك كما يحرك المشتهى ، ليتأمل أن المشتهى لايكون مبدأ الحركة والمتولى للحركة ، بل يكون آخر هو الذى يحرك كالعاشق والمشتهى للاتصال أو التشبه أو النيل ، أو غير ذلك من المشتهى ، وان ذلك هو المحرك بمعنى مبدأ الحركة المزاول للحركة فانه لامحالة صورة للجرم السماوى مشاركة فهى نفس ، فان الجرم نفسه بما هو جرم لايتحرك بذاته فان سلمنا أنه يتحرك بذاته فليس يكون المتحرك على أنه مدرك معنى معقولا يشتهى شهوة عقلية أو شبيهة بالعقليه فقد بان عن مذهب أرسطو أنه يقول بمحركات تحرك على أنها مشتهاة ومفارقة . ومحركات فى أجسام السموات ، تحرك على أنها مشتهية ومتشبهة ، ثم انه يطلب عدد المحركين من عدد حركات الأكر وذلك شىء لم يكن ظاهراً بعد فى زمانه وإنما ظهر بعد (من كتاب الإنصاف شرح كتاب حرف اللام لابن سينا) .

عليهافالعقول المفارقةعشرة ، تسعة منها مدبرات النفوس التسعة المزاولة، وواحد هو العقل الفعال

المسالة الثامنه

فى أن الأول مبتهج[1] بذاته . قال أرسطوطاليس اللذة فى المحسوسات هو الشعور بالملائم ، وفى المعقولات الشعور بالكمال الواصل إليه ، من حيث يشعر به ، فالأول مغتبط بذاته متلذذ بها ، لأنه يعقل ذاته على كمال حقيقتها وشرفها . وإن جل عن أن ينسب إليه لذة انفعالية ، بل يجب أن يسمي ذلك بهجة وعلاء وبهاء ، كيف ونحن نلتذ بادراك الحق ونحن مصروفون عنه ، مرددون فى قضاء حاجات خارجة عما يناسب حقيقتنا التى نحن بها ناس ، وذلك لضعف عقولنا وقصورنا فى المعقولات ، وانغماسنا فى الطبيعة البدنية ، لكننا نتوصل إليها على

(١) قال أرسطو : والطبيعة لنا كحال صالحة ، وما بعده يشير بهذا إلى أنه مثل هذا المبدأ الذى يعقل ذاته ويعقل كمال حقيقتة وشرفها . فهو مغتبط بذاته . ملتذ بها وان جل عن أن تنسب اليه اللذة الانفعالية بل يجب أن تسمى بهجة أو شيئا آخر فانه لامحالة له بهاء ذاته ، وعلاء ذاته ، وهو مدرك لها وليس المعنى الذى يسمى فى المحسوسات لذة الأنفس الشعور بالملائم والكمال الواصل من حيث يشعر به ومن حيث هو كذلك ، فكيف الادراك الأول ، للكمال الخفى بالغاية وكيف ونحن نلتذ بادراك الحق ونحن مصروفون عنه مرددون فى قضاء حاجات خارجية عما يناسب حقيقتنا التى بها نحن ناس فنقول انا نحن مع ضعف تصورنا للمعقولات القوية وانغماسنا فى الطبيعة البدنية قد نتوصل على سبيل الاختلاس فيظهر لنا اتصال بالحق الأول فتكون كسعادة عجيبة فى زمان قليل جدا ، وهذا الحال له أبدا ، وهو لنا غير ممكن لأننا بدنيون ولا يمكننا أن نشيم تلك البارقة الالهية إلا خطفة وخلسة (من كتاب الأنصاف شرح كتاب حرف اللام لابن سينا) .

سبيل الاختلاس ، فيظهر لنا اتصال الحق بالأول ، فيكون كسعادة عجيبة ، فى زمان قليل جدا ، وهذه الحالة له أبدا ، وهو لنا غير ممكن ، لأنا بدنيون ، ولا يمكننا أن نشيم [١] تلك البارقة (الالٰهية) إلا خطفة وخلسة

المسالة التاسعه

فى صدور نظام الكل وترتيبه [٢] عنه ، قال قد بينا أن الجوهر على

---

(١) من شام ، يشيم ، شيما ، وشام السحاب والبرق شيما ، نظر اليه ، إين يقصد وإن يمطر وقيل بل هو النظر اليهما من بعيد ؛ وشمت مخايل الشيء إذا تطلعت نحوه ببصرك منتظرا له والبارقة سحابة ذات برق .

(٢) أخذ أرسطو ، يوضح الحال فى ترتيب الكل من حيث الأفضل والأحسن ومن حيث النظام والعدل فيقول مامعناه ، ليعلم كيف الخير إن وجود الصانع والفاضل فى طباع الكل أهو كما نظر قوم أنه مفارق ، أو هو موجود فى ذوات الترتيب أو هو على أنه جنس لنوعين مفارق ومخالط ، فإنا نعلم أن الترتيب الجيد يكون له نظام جيد ويكون فيه مبدأ هو أول الترتيب ليس هو لأجل الترتيب بل الجنس والترتيب كله لأجله ؛ ثم يقول : وقد ترتبت الأشياء كلها فى طباع الكل على نوع ماليس على ترتيب المساواة فليس حال السباع كحال الطائر ، ولا حالها كحال النبات ، وليس مع ذلك مطلقة منفصلة منقطعة لا يتصل بعضها ببعض ولا يضاف بعضها إلى بعض . بل هناك مع الاختلاف اتصال وإضافة جامعة للكل تجمع الكل إلى الأصل الأول الذى هو المبدأ الذى يفيض عنه الجود والنظام على ما يمكن فى طباع الكل أن يترتب عليه ، ثم يقول مامعناه إن ترتيب الطباع فى الكل كترتيب المنزل فى أن الاحرار والارباب فيها لا يطلق لهم أن يعملوا كل شىء كما اتفق بل يكون لهم أفعال مخصوصة مرتبة على النظام وأما المماليك والعبيد والكلاب والسنانير فقلما تشارك الأولين فى أعمالهم ، بل أكثر ما يعملونه جار على ما يتفق ، وخارج عن الترتيب المحفوظ . ومع ذلك فان بدء الكل واحد من جملة أجزاء البيت ، وهو رب المنزل فكذلك يجرى الحال فى الطبع ، فى أن يكون هناك أجزاء أول مسودة ونفيسه ، لها أفعال مخصوصة مثل

ثلاثة أضرب اثنان طبيعيان ، وواحد غير متحرك ، وقد بينا القول فى الواحد الغير المتحرك وأما الاثنان الطبيعيان فهما الهيولى والصورة ، أو العنصر والصورة ، وهما مبدأ الأجسام الطبيعية ، وأما العدم فيعد من المبادىء بالعرض لا بالذات ، فالهيولى جوهر قابل للصورة ، والصورة معنى ما يقترن بالجوهر فيصير به نوعا ، كالجزء المقوم له لا كالعرض الحال فيه ، والعدم مايقابل الصورة ، فانا متي توهمنا أن الصورة لم تكن فيجب أن ، تكون فى الهيولي عدم الصورة ، والعدم المطلق مقابل الصورة المطلقة ، والعدم الخاص مقابل للصورة الخاصة قال . وأول الصورة التى تسبق إلى الهيولى هى الأبعاد الثلاثة فيصير جرما ذا طول وعرض وعمق ، وهو الهيولى الثانية ، وليست بذات كيفية ، ثم تلحقها الكيفيات الأربعة التى هى الحرارة والبرودة الفاعلتان ، والرطوبة واليبوسة المنفعلتان فتصير الأركان والاستقصات الأربعة ، التى هى النار والهواء والماء والأرض ، وهي الهيولى الثالثة ، التى تتكون منها المركبات التى تلحقها الأعراض والكون والفساد ، ويكون بعضها هيولى بعض

قال وإنما رتبنا هذا الترتنب فى العقل والوهم خاصة دون الحس ، وذلك أن الهيولى عندنا لم تكن معراة عن الصورة قط ، فلم تقدر فى

السموات ومحركاتها ومدبراتها ، وما قبلها وأجزاء خسيسة متأخرة يجرى أكثر أمورها على الاتفاق المخلوط بالطبع ، والارادة وان كان المصير فى كل حال إلى رأس واحد ، (من كتاب الأنصاف شرح كتاب حرف اللام لابن سينا) .

الوجود جوهرا مطلقا قابلا للأبعاد ثم تلحقها الأبعاد ، ولا جسما عاريا عن هذه الكيفيات ثم عرض لها ذلك ، وإنما هو عند نظرنا فيما هو أقدم بالطبع ، وأبسط فى الوهم والعقل ، ثم أثبت طبيعة خامسة وراء هذه الطبائع ، لاتقبل الكون ولاالفساد ، ولا يطرأ عليها الاستحالة والتغير ، وهى طبيعة السماء ، وليس يعنى بالخامسة طبيعة من جنس هذه الطبائع ، بل معنى ذلك أن طبائعها خارجة عن هذه ، ثم هى على تركيبات يختص كل تركيب خاص بطبيعة خاصة ، ويتحرك بحركة خاصة ، ولكل متحرك محرك مزاول ، ومحرك مفارق ، والمتحركات أحياء ناطقون ، والحيوانية والناطقية لها بمعنى آخر ، وإنما يحمل ذلك عليها ، وعلى الانسان بالاشتراك ، فترتب العالم كله علويه وسفليه على نظام واحد ، وصار النظام فى الكل محفوظا بعناية المبدأ الأول ، على أَحسن ترتيب ، وأحكم قوام ، متوجها إلى الخير ، وترتيب الموجودات كلها فى طباع الكل على نوع نوع ، ليس على ترتيب المساواة ، فليس حال السباع كحال الطائر ، ولا حالها كحال النبات ، ولاحال النبات كحال الحيوان ، وليس مع هذا التفاوت منقطعا بعضها عن بعض بحيث لا ينسب بعضها إلى بعض ، بل هناك مع الاختلاف اتصال وإضافة جامعة للكل يجمع الكل إلى الأصل الأول ، الذى هو المبـــدأ لفيض الجود والنظام فى الوجود على ما يمكن فى طباع الكل أَن يترتب عنه

قال وترتيب الطباع فى الكل ، كترتيب المنزل الواحد بين الأرباب

والأَحرار والعبيد والبهائم والسباع ، فقد جمعهم صاحب المنزل ، ورتب لكل واحد مكانا خاصا ، وقدر له عملا خاصا ، ليس قد أطلق لهم أن يعملوا ما شاءوا وأحبوا ، فإن ذلك يؤدى إلى تشويش النظام ، فهم وإن اختلفوا فى مراتبهم ، وانفصل بعضهم عن بعض بأشكالهم وصورهم منتسبون إلى مبدأ واحد ، صادرون عن رأيه وأمره ، مصرفون تحت حكمه وقدرته ، فكذلك يجرى الحال في العالم، بأن يكون هناك أجزاء أول مفردة مقدمة لها أفعال مخصوصة ، مثل السموات ومحركاتها ، ومدبراتها وما قبلها من العقل الفعال وأجزاء مركبة متأخرة، تجرى أكثر أمورها على الاتفاق المخلوط بالطبع والارادة والجبر الممزوج بالاختيار ، ثم ينسب الكل إلى عناية البارى (تعالى) جلت عظمته .

المسئلة العاشرة

فى أن النظام فى الكل متوجه إلي الخير[1]. والشر واقع فى القدر

(١) وإنما توجه . النظام إلى الخير ، لأن البارى تعالى خير محض ، وقد قال ابن سينا فى النجاة ، وكل واجب الوجود بذاته فانه خير محض ، وكمال محض ، والخير بالجملة هو مايتشوقه كل شىء ويتم به وجوده . والشر لاذات له بل هو أما عدم جوهر أو عدم صلاح حال الجوهر ، فالوجود خيرية وكمال الوجود خيرية الوجود ، والوجود الذى لايقارنه عدم لاعدم جوهر ولاعدم شىء للجوهر ، بل هو دائم بالفعل ، فهو خير محض ، والممكن الوجود بذاته ليس خيراً محضا لأن ذاته بذاته لايجب له الوجود فذاته بذاته تحتمل العدم وما احتمل العدم بوجه ما فليس من جميع جهاته بريئا من الشر والنقص فاذن ليس الخير المحض إلا الواجب الوجود بذاته وقد يقال أيضا خير لما كان نافعا ومفيدا لكمالات الأشياء ، والواجب الوجود يجب أن يكون لذاته مفيدا لكل وجود ، ولكل كمال وجود ، فهو من هذه الجهة خير أيضا لايدخله نقص ولاشر هذا والشرور أمور

بالعرض ، وقال لما اقتضت الحكمة الالهية نظام العالم على أحسن إحكام وإتقان ، لا لانه بإرادة وقصد (إلى أمر) فى السافل ، حتى يقال إنما أبدع العقل مثلا لعرض فى السافل حتى يفيض مثلا على السافل فيضا ، بل لأمر أعلى من ذلك ، وهو أن ذاته أبدع ما أبدع لذاته لا لعلة ولا لغرض ، فوجدت الموجودات كاللوازم واللواحق ، ثم توجهت إلى الخير لأنها صادرة عن أصل الخير ، وكان المصير فى كل حال إلى رأس واحد ، ثم ربما يقع شر وفساد من مصادمات فى الأسباب السافلة ، دون العالية ، التى كلها خير مثل المطر الذى لم يخلق إلا خيرا و نظاما للعالم فيتفق أن يخرب به بيت عجوز كان ذلك واقعا بالعرض لا بالذات ، أو بأن لا يقع شر جزئى في العالم لا يقتضى الحكمة أن لا يوجد خير كلى ، فان فقدان المطر أصلا شر كلى وتخريب بيت عجوز شر جزئى والعالم للنظام الكلى لا الجزئى فالشر إذا وقع فى القدر بالعرض ، وقال إن الهيولى قد لبست الصورة على درجات ومراتب وإنما يكون الكل درجة ما تحتمله فى نفسها ، دون أن يكون فى الفيض الأعلى إمساك عن بعض ، و إفاضة على بعض ، فالدرجة الأولى احتمالها على نحو أفضل ، والثانية دون ذلك والذى عندنا من العناصر دون الجميع ، لأن كل ماهية من ماهيات هذه الأشياء ، إنما تحتمل ما يستطيع أن يلبس من الفيض على النحو الذى يعنى له ، ولذلك

اضافية مقيسة إلى أفراد شخصية معينة ، وأما في نفسها وبالنسبة إلى ما يجب أن يكون عليه الكل من النظام فلا شر أصلا ، وفى النجاة (فالخير مقتضى بالذات ، والشر مقتضى بالعرض وكل بقدر) (النجاة ص ٣٧٣ و ص ٤٧٤) .

تقع العاهات والتشويهات في البدن ، لما يلزم من ضرورة المادة الناقصة التى لا تقبل الصورة على كمالها الأول والثاني ، قال إنا إن لم نجر الأمور على هـذا المنهاج ألجأتنا الضرورة إلى أن تقع فى محالات وقع فيها من قبلنا كالثنوية[١] وغيرهم

المسالة الحاديه عشر

فى كون الحركات سرمدية[٢] وأن الحوادث لم تزل ، قال إن

---

(١) ثم يقول : ومبدأ كل واحد منها الذى ينبنى عليه أمره هو احتماله فى نفسه ، هو على ذلك ، فان الدرجة الأولى ، امكانها على نحو أفضل والثانية دون ذلك والثالثة التى للاجرام السماوية دون ذلك ؛ والتى عندنا دون الجميع ، وإذا لم يكن فى احتماله لم يكن ذلك بسبب المفيدلفيض للوجود بل لأن كل ماهية من ماهيات هذه الأشياء إنما تستطيع أن تلبس الوجود وكماله على هذا النحو ولذلك تقع العاهات والتشويهات فى الأمراض لما يلزم من ضرورة المادة الناقصة التى لاتقبل الصورة على كمالها الأول والثانى بل إما أن لاتقبلها أصلا أو تقبل منها الكمال الأول دون الثانى ، وليطلب كمال هذا الكلام وتمامه من المشرقيين ، ثم أنه يقول وصدقا يقول : انا ان لم نجر الأمور على هذا المنهاج التجأنا ضرورة إلى أن نقع في محالات وقع فيها الذى قبلنا ويعد بعد هذا مذاهب الثنوية ويفندها (من كتاب الأنصاف شرح كتاب حرف اللام لابن سينا)

(٢) يذهب فى هذا ، إلى مانقل عنه من القول بقدم العالم ، فالحركة أو الصيرورة التى هى ظاهرة وجوده هى سرمدية قديمة مثله ، إلا أنه يعتقد أن هذه الحركة لاتحمل فى ثنيتها علةوجودها لأن المشاهد أن هذه الحركة أثر لتلك العلة ، فلا يمكن أن ينتظم الأثر المؤثر ، ويحمله فى ثنيته ، ولا يمكن أن يكون المؤثر جزءا من أثره ، فيجب إذن أن نبحث عن العلة الأولى لجميع المعلومات والحركات وهى العلةالتى تؤثر ، ولا تتأثر وتخضع الحركات لناموسها ، ولا تخضع هى لتلك الحركات وهو المحرك الأول الذى لايتغير ، ولا يتحرك ، والذى تنزه عن الزمان والمكان والصيرورة والمحرك الأول ، كما ذكر آنفا ، هو واجب الوجود وهو الله عز وجل ،

صدور الفعل عن الحق الاول، إنما يتأخر لا بزمان بل بحسب الذات ، والفعل ليس مسبوقا بعدم ، بل هو مسبوق بذات الفاعل فقط ، ولكن القدماء لما أرادوا أن يعبروا عن العلة ، افتقروا إلى ذكر القبلية ، والقبلية فى اللفظ تتناول الزمان ، وكذلك فى المعنى عند من لم يتدرب وأوهمت عبارتهم أن فعل الأول الحق فعل زماني ، وأن تقدمه تقدم زماني ، قال ونحن أثبتنا أن الحركات تحتاج إلى محرك غير متحرك ، ثم تقول الحركات لا تخلو إما أن تكون لم تزل ، أو تكون قد حدثت بعد أن لم تكن ، وقد كان المحرك موجودا لها بالفعل قادرا ليس يمنعه مانع من أن يكون عنه ، ولا حدوث حادث فى حال ما أحدثها فرغبه فى الفعل وحمله على الفعل إذا كان جميع ما يحدث إنما يحدث عنه ، وليس شىء غيره يعوقه أو يرغبه ، ولا يمكن أن يقال قد كان لا يقدر أن يكون عنه

وقد استتبع هذا ، رأيه ، أنه لما كانت الحركة سرمدية ، كان المحرك الأول سرمديا وإذا كانت هناك حركات أزلية عدة ، وجب القول بمحركين أوائل أزليين ؛ على رأسهم أول ، هو مبدأ حركة سائر الأشياء ، والواقع أنه توجد إلى جانب الحركة الأولى الدائمة الواحدة الصادرة عن المحرك الأول حركات أخرى خاصية للسيارات قد فصل فى حسابها إلى ، ٥٥ ، أو ٤٧ فهناك مثل هذا العدد من الجواهر غير المتحركة والعقيدة القديمة تذهب إلى أن الكواكب آلهة والكواكب إلهية . بشرط أن تنظر اليها فى أنفسها مجردة عما أضيف اليها فيما بعد من أساطير وتصاوير بشرية وحيوانية ، لاقناع العامة وخدمة القوانين والمصالح المشتركة ، لكن المحرك الأول غير متحرك أصلا لا بالذات ولا بالعرض ، وأن المحركين الآخرين متحركون بالعرض مع أفلاكهم كالنفس تنتقل بانتقال جسمها الذى تحركه ، هذا وقد ذكرنا آنفاً ، أن ارسطو طاليس ، لا يخالف افلاطون فى أن العالم حادث ، فحركته مثله ، فهو لم يذكر قدم العالم إلا على سبيل المثال ، وما يؤتى به على سبيل المثال ، لا يجرى مجرى الاعتقاد.

فقدر ، أو لم يرد فأراد ، أو لم يعلم فعلم ، فإن ذلك كله يوجب الاستحالة ، ويوجب أن يكون شيء آخر غيره هو الذى أحاله ، وإن قلنا إنه منعه مانع ، يلزم أن يكون السبب المانع أقوى ، والاستحالة والتغير عن المانع حركة أخرى استدعت محركا ، وبالجملة كل سبب ينسب اليه الحادث فى زمان حدوثه بعد جوازه فى زمان قبله وبعده ، فانما ذلك السبب جزئى خاص ، أوجب حدوث تلك الحادثة التى لم تكن قبل ذلك وإلا فالارادة الكلية ، والقدرة الشاملة ، والعلم الواسع العام ليس يخصص بزمان دون زمان ، بل نسبته إلى الزمان كلها نسبة واحدة فلا بد لكل حادث من سبب حادث ، ويتعالى عنه الواحد الحق الذى لا يجوز عليه التغيز والاستحاله ، قال وإذ لا بد من محرك للحركات ومن حامل للحركات وتبين أن المحرك سرمدى ، فالحركات سرمدية فالمتحركات ، سرمدية ، ولو قيل إن حامل الحركة وهو الجسم لم يحدث لكنه تحرك عن سكون ، وجب أن نعثر على السبب الذى يعبر من السكون إلى الحركة ، فان قلنا إن ذلك الجسم حدث ، تقدم حدوث الجسم حدوث الحركة ، فقد بان أن الحركة والمتحرك والزمان الذى هو عاد إلى الحركة أزلية سرمدية ، والحركات إما مستقيمة وإما مستديرة والاتصال لا يكون إلا للمستديرة لان المستقيمة تنقطع ، والاتصال أمر ضرورى للاشياء الازلية ، فإن الذى يسكن ليس بأزلى ، والزمان متصل لانه لا يمكن أن يكون من ذلك قطع مبتورة فيجب من ذلك أن تكون الحركة متصلة ، وكانت المستديرة هى

وحدها متصلة فيجب أن تكون هى أزلية فيجب أن يكون محرك هذه الحركة المستديرة أيضا أزليا ، إذ لا يكون ماهو أخس علة لماهو أفضل ، ولا فائدة فى حركات ساكنة غير محركة كالصور الافلاطونية فلا ينبغى أن نضع هذه الطبيعة بلا فعل ، فتكون متعطلة غير قادرة على أى تحرك وتحيل .

المسألة الثانية عشر

فى كيفية تركب العناصر(١) حكى فرفوريوس عنه أنه قال كل

---

(١) من الفلاسفة من يزعم أن جميع العناصر من مادة واحدة ويفترضونها الهواء ، أو النار ، أو جسما ما ، وسطا بينهما ، وآخرون يرون أنه يوجد أكثر من عنصر واحد ، فهؤلاء النار والأرض . وأولئك الهواء ، وثالثا مع العنصرين المتقدمين وآخرون يرون الماء كعنصر رابع ، وقد ذهب أرسطو إلى أنه يوجد مادة ما للأجسام المحسة منها يأتى مايسمى بالعناصر ، ليست منعزلة البتة ، بل هى توجد دائما مع أضداد ، والمادة هى المبدأ . والمبدأ الأول للأشياء ، فان الحار مثلا ليس هو مادة البارد ، ولا البارد مادة الحار ، ولكن المادة هي موضوع الاثنين ،والعناصر أربعة الهواء والنار والأرض والماء ، فالهواء والنار هما من المكان المائل نحو الحد الأقصى ، والأرض والماء ، بالمكان الذى هو نحو المركز . والعناصر الطرفية والخالصة أكثر من غيرها ،هي الناروالأرض ، والعناصر الوسطى والأكثر ممازجة هى الماء والهواء ، وكل العناصر لها تقابل بعضها بالنسبة إلى البعض الآخر ، لأن فصولها أضداد ، والعناصر تتغير . وهذا التغير يكون بكثير أو قليل من السرعة أو السهولة وكلما كان بين العناصر نقط ارتباط . تحولت بعضها إلى بعض سراعا وما ليس بينهما نقط ارتباط تتغير ببطء فالهواء يأتى من النار بتغير أحد الكيفين ، ليس إلا ، مادام أن أحدهما يابس وحار والثانى حار وسائل وإذا غلب اليابس بالسائل يكون الهواء ومن الهواء يتكون الماء ، إذا غلب الحار بالبارد ، وبهذه الطريقة تأتى الأرض

موجود ففعله مثل طبيعته ، فما كانت طبيعته بسيطة ، ففعله بسيط ففعل الله تعالى واحد بسيط ، وكذلك فعله الاختلاف إلى الوجود ، فانه موجود لكن الجوهر لما كان وجوده بالحركة كان بقاؤه أيضا بالحركة ، وذلك أنه ليس للجوهر أن يكون موجودا من ذاته بمنزلة الوجود الأول الحق لكن من التشبيه بذلك الأول الحق فكل حركة إما أن تكون مستقيمة أو مستديرة ، فالحركة المستقيمة يجب أن تكون متناهية والجوهر يتحرك فى الأقطار الثلاثة ، التى هى الطول والعرض والعمق ، على خطوط مستقيمة حركة متناهية ، فيصير بذلك جسما ، ويبقى عليه أن يتحرك بالاستدارة على الجهة التى يمكن فيها حركة بلا نهاية ، ولا يسكن في وقت من الأوقات . إلا أنه ليس يمكن أن يتحرك بأجمعه حركة على الاستدارة ، وذلك أن الدائرة تحتاج إلى شيء ساكن فى وسط منه كالنقطة ، فانقسم الجوهر فتحرك بعضه على الاستدارة ، وهو الفلك وسكن بعضه في الوسط ، قال وكل جسم يتحرك فماس جسما ساكنا ، وفى طبيعته قبول التأثير منه ، أحدث سخونة فيه ، فإذا

من الماء . والنار من الأرض لأن هذين العنصرين لهما ، أحدهما قبل الآخر نقطة جمع ووصل ، فالماء سائل وبارد ، والأرض باردة ويابسة ؛ فاذا غلب السائل تكونت الأرض ، وإذا فسد البارد من الأرض تتكون النار ، والماء يمكن أن يأتى من النار والأرض من الهواء . وبالعكس يمكن أن يأتي الهواء والنار من الماء ومن الأرض ولكن هذا التحول هو أصعب ، وإذا فسد حار الهواء مع يابس الأرض يكون الماء وإذا انعدم سائل الماء وبارد الأرض تكونت النار وبالاجمال فكل عنصر يتولد من كل عنصر يتحول بعضها إلى بعض (الكون والفساد ص ٢٠٢) .

سخن لطف وانحل وجف ، فكانت طبيعة النار تلى الفلك المتحرك ، والجسم الذى يلى النار يبعد عن الفلك ويتحرك بحركة النار ،فتكون حركته أقل فلا يتحرك باجمعه لكن جزء منه فيسخن دون سخونة النار ، وهو الهواء ، والجسم الذى يلى الهواء لا يتحرك لبعده عن المحرك له ، فهو بارد بسكونه ، ورطب بمجاورة الهواء الحار الرطب ، ولذلك انحل قليلا ، والجسم الذى فى الوسط فلانه بعد فى الغاية عن الفلك ولم يستفد من حركته شيأ ، ولا قبل منه تأثيرا فسكن وبرد وهو الأرض وإذا كانت هذه الأجسام تقبل التأثير بعضها من بعض وتختلط فيتولد عنها أجسام مركبة ، وهي المركبات المحسوسات التى هى المعادن والنبات والحيوان والانسان ، ثم تختص بكل نوع طبيعة خاصة تقبل فيضا خاصا على ما قدره البارى جلت قدرته .

المسألة الثالثة عشر

فى الآثار(١) العلوية ، قال ارسطوطاليس الذى يتصاعد من الأجسام

---

(١) العالم ، عند أرسطو ينقسم ، بالنسبة لفلك القمر إلى قسمين ،

١ — ما تحت فلك القمر ، وهو الأرض وما حولها ويسوده الكون والفساد إلى صفات أخرى .

٢ — وما فوق فلك القمر أو العالم الا على ، وهو عالم الكواكب . ويمتاز ، بأن لا يوجد فيه كون . وفساد ؛ وحركته الوحيدة . هى الحركة البسيطة ، وهى إما أن تكون دائرية أو مستقيمة ؛ وإذا كانت الحركة ، البسيطة الدائرية أزلية أبدية وكان تحرك الأفلاك السماوية والكواكب بهذه الحركة ، ومادتها لا تحتمل غير الحركة المكانية ؛ ولضمان أزليتها وأبديتها ، وجب خلوها من كل تضاد ، وهذه

السفلية إلى الجو ، ينقسم قسمين (الأول) أدخنة نارية باسخان الشمس وغيرها ، والثانى أبخرة مائية فتصعد إلى الجو وقد صحبتها أجزاء أرضية فتتكاثف وتجتمع بسبب ريح أوغيرها ، فتصير ضبابا أوسحابافتصادفها برودة فتعصر ماء وثلجا وبردا ، فينزل إلى مركز الماء ، وذلك لاستحالة الأركان بعضها إلى بعض ، فكما أن الماء يستحيل هواء فيصعد ؛ كذلك الهواء يستحيل ماء فينزل ، ثم الرياح والأدخنة إذا اختفت فى خلال السحاب ، واندفعت بمرة سمع لها صوت ، وهو الرعد ، ويلمع من اصطكاكها وشدة صدمتها ضياء ، وهو البرق ، وقديكون من الأدخنة ما تكون الدهنية على مادتها أغلب فيشتعل فيصير شهابا ثاقبا وهي الشهب ، ومنها مايحترق فى الهواء فيتحجر فينزل حديدا وحجرا ، ومنها مايحترق (فيصير) نارا فيدفعها دافع فينزل صاعقة ، ومن المشتعلات مايبقى فيه الاشتعال ، ووقف تحت كوكب ، ودارت به النار الدائرة بدوران

المادة هى وحدها مادة الأفلاك والكواكب ، وهذه الكواكب حية ، بل هى أكثر حياة من الانسان ، وهى تنعم بهذه الحياة التى تحياها كما ينعم الانسان وبدرجة أعظم بكثير ، كما أن لها طبيعة ، والقول بأن لها طبيعة ، يثير ، عدة أمور منها ، ماهو خاص بماهية هذه الطبيعة ، فان أرسطو ، يضيف إلى كل كوكب فلكا معه ، ولهذا الفلك نفس . فما الصلة بين النفس والطبيعة ، وأيهما المحرك . عقل الفلك أو طبيعة الكواكب ، وأنه يمكن القول بأن المحرك هوعقل الفلك والطبيعة تشاركه فى حركته ، كما تشارك العين فى حياة النفس الحية ، ومنها ماهو متعلق بنوع الحركة التى تصدر ، فانه يشاهد أن نفس الانسان مثلا لاتأتي بحركات طبيعية باستمرار بل لقد تأتى بحركات قسرية فهل تكون الحركة طبيعية أم قسرية ، ويمكن أن يقال أن الطبيعة محركة بالقوة ، والنفس محركة بالعقل . أرسطو ص ٢٢١ .

الفلك ، فكان ذنبا له ، وربما كان عريضا فرؤى كانه لحية كوكب .
وربما وقع على صقيل الظاهر من السحاب صور النيرات وأضواؤها ،
كما يقع على المرائى والجدران الصقيلة فيرى ذلك على ألوان مختلفة بحسب
اختلاف بعدها من النير وقربها وصفائها وكدورتها ، فيرى هالة
وقوس قزح وشموس وشهب والمجرة ، وذكر أسباب[1] كل واحد من
هذه في كتابه المعروف بالآثار العلوية والسماء والعالم وغيرها .

المسألة الرابعة عشر

فى النفس[2] الانسانية الناطقة واتصالها بالبدن ، قال النفس الانسانية
ليست بجسم ولا قوة فى جسم ، وله فى اثباتها مآخذ ، منها الاستدلال

---

(١) والقدماء مختلفون فى الأجرام العلوية هل هى بذواتها مضيئة أم لا فبعضهم قالوا ليس فى العالم جرم مضىء ، بذاته سوى الشمس ، وكل ما سواها من الكواكب يستضىء منها واستدلوا على صحة قولهم بالقمر والزهرة ، فانهما يكسفان الشمس حين يمران فيما بينها وبين البصر ، وبعضهم قالوا ان جميع الكواكب الثابتة مضيئة بذواتها وأن السيارة مستضيئة من الشمس ، فعلى أى هاتين الجهتين كان ، فان تأثيرها بتوسط أضوائها الذاتيه والمكتسبة غير مستنكر ولا مدفوع (النكت للفارابى ص ٨٢)

(٢) فأرسطو يرى النفس هى الصورة الأولى للجسم الطبيعى ، المركب الذى يمنحه الحياة والقدرة واذن فالنفس فى رأيه هى العلة التصويرية والغائية للجسم ، واذن فهى بعيدة كل البعد عن أن تكون ناتجة منه ، لأن علة وجود الشىء ليست بعضه بالبداهة ، ومع ذلك ، فمن حيث أن الصورة عند أرسطوا لا يمكن أن تستقل بنفسها فى الخارج فحياة النفس بعيدة عن الجسم فى نظره ، لا تزيد على أنها نظرية منطقية لا تتحقق فى الخارج تحققا واقعياً البتة . وهو لهذا يقول ان الروح لاتعرف لها وجودا بغير الجسم فهى وإن لم تكن جسما إلا أنها صورة للجسم .

على وجودها بالحركات الاختيارية ، ومنها الاستدلال عليها بالتصورات العلمية ، أما الأول فقال لانشك أن الحيوان يتحرك إلى جهات مختلفة حركة اختيارية ، إذ لو كانت حركاته طبيعية أو قسرية ، لتحركت إلى جهة واحدة لا تختلف البتة فلما تحركت إلى جهات متضادة علم أن حركاته اختيارية ، والانسان مع أنه مختار فى حركاته كالحيوان إلا أنه يتحرك لمصالح عقلية يراها فى عاقبة كل أمر ، فلا تصدر عنه حركاته إلا إلى غرض وكمال ، وهو معرفته فى عاقبة كل حال ، والحيوان ليست حركاته بطبعه على هذا النهج ، فيجب أن يتميز الانسان بنفس خاص كما تميز الحيوان عن سائر الموجودات بنفس خاص ، وأما الثاني وهو المقول عليه ، قال لانشك انا نعقل ونتصور أمرا معقولا صرفا مثل المتصور من الانسان أنه انسان كلى يعم جميع أشخاص النوع ، ومحل هذا المعقول جوهر ليس بجسم ، ولا قوة فى جسم أو صورة لجسم ، فإنه إن كان جسما فإما أن يكون محل الصورة المعقولة طرفا منه لا ينقسم ، أو جملته المنقسمة ، وبطل أن يكون طرفا منه غير منقسم ، فإنه لو كان كذلك لكان المحل كالنقطة التى لاتميز لها فى الوضع عن الخط فان الطرف نهاية الخط ، والنهاية لا تكون لها نهاية أخرى ، وإلا تسلسل القول فيه ، فتكون النقط متشابهة ، ولكل نهاية وذلك محال ، وان كان يحل العقول من الجسم شىء منقسم ، فيجب أن ينقسم المعقول بانقسام محله ، ومن المعلومات مالا ينقسم البتة فإن ما ينقسم يجب أن يكون شيأ

كالشكل أو المقدار ، والانسانية الكلية المتصورة فى الذهن ليست كشكل قابل للقطع ولا كمقدار قابل للفصل فبين أن النفس ليست بجسم ولا صورة (لجسم) ولاقوة فى جسم

المسألة الخامسة عشر

فى وقت اتصالها بالبدن ووجه اتصالها[1] قال إذا تحقق أنها ليست بجسم لم تتصل بالبدن اتصال انطباع فيه ولا حلول فيه ، بل اتصلت به اتصال تدبير وتصرف ، وإنما حدثت مع حدوث البدن لاقبله ولا بعده قال لأنها لو كانت موجودة قبل وجود الأبدان لكانت اما متكثرة بذواتها أو متحدة ، وبطل الأول فان التكثر إما أن يكون بالماهية والصورة ، وقد فرضناها متفقة فى النوع لا اختلاف فيها فلا تكثر ولا تمايز ، وإما أن تكون متكثرة من جهة النسبة إلى العنصر والمادة المتكثرة بالامكنة والأزمنة . وهذا محال أيضا ، فاما إذا افرضناها قبل البدن ماهية مجردة لانسبة لها إلى مادة دون مادة ، وهى من حيث إنها ماهية لا اختلاف فيها ، وأن الاشياء التي ذواتها معان فتكثر نوعياتها بالحوامل والقوابل والمنفعلات عنها ، وإذا كانت مجردة فمحال أن يكون

---

(١) فالنفس ، شىء عقلى مجرد الذات عن المادة ، قد صارت له صورة شوق إلى العالم الحسى فبما صارت له هذه الصورة — وبها تتصل بالعالم الحسى — تكون نفسا ، وإنها إنما هى نفس لأنها كمال نفس طبيعى آلى ، (تفسير كتاب اثولوجيا من الأنصاف لابن سينا)

بينها مغايرة ومكاثرة ، ولعمري إنها تبقى بعد البدن متكثرة ، فإن الأنفس قد وجد كل منها ذاتا منفردة باختلاف موادها التى كانت ، وباختلاف أزمنة حدوثها وباختلاف هيئات وملكات حصلت عند الاتصال بالبدن ، فهى حادثة مع حدوث البدن تصيره نوعا كسائر الفصول الذاتية ، وباقية بعد مفارقة البدن بعوارض معينة له ، لم توجد تلك العوارض قبل اتصالها بالبدن وبهذا الدليل فارق استاذه وفارق قدماءه ، وانما وجد فى أثناء كلامه ما يدل على أنه كان يعتقد أن النفس كانت موجودة قبل وجود الأبدان ، فحمل بعض مفسرى كلامه قوله ذلك على أنه أراد به الفيض والصور الموجود بالقوة فى واهب الصور، كما يقال إن النار موجودة فى الخشب ، أو الإنسان موجود فى النطفة، والنخلة موجودة فى النواة ، والضياء موجود فى الشمس

ومنهم من أجراه على ظاهره ، وحكم بالتمييز بين النفوس بالخواص التى لها ، وقال اختصت كل نفس انسانية بخاصية لم يشاركها فيها غيرها فليست متفقة بالنوع أعنى النوع الاخير ومنهم من حكم بالتمييز بالعوارض التى هي مهيئة نحوها ، وكما أنها تمايز بعد الاتصال بالبدن بأنها كانت متمايزة فى المادة ، كذلك تمايز بأنها ستكون متمايزة بالابدان والصنائع والأفعال ، واستعداد كل نفس لصنعة خاصة وعلم خاص فتنهض هذه فصولا ذاتية أو عوارض لازمة لوجودها .

المسألة السادسة عشر

في بقائها[١] بعد البدن وسعادتها في العالم العقلي ، قال إن النفوس الانسانية إذا استكملت قوتى العلم والعمل تشبهت بالاله تعالى .

(١) النفس ، لما وجب لها ان لا تكون مجردة عن البدن تجرد الأمور العقلية المذكورة فيما بعد الطبيعة بل وجد لها في الطبع علاقة وميل مع البدن في أول الأمر هذا والنفس ، مفارقة للبدن عند انتقاضه وتحلله .

فالنفس النقية الطاهرة لم تتدنس ولم تتسخ باوساخ البدن فانها إذا فارقت البدن رجعت إلى عالمها باهون سعى ، وسبيل النفس أن تجعل البدن والآلات البدنية ، مكاسب ، يكتسب بها الكمال الخاص بها فقط ومن المعلوم أن اشتغال النفس بالجانب الأدنى يصده عن الجانب الأعلى ، كما أن إقباله على الجانب الأعلى يصده عن الجانب الأسفل . فان النفس ليست مخالطة للبدن حتى يكون البدن بالمخالطة يصدها عن الكمال العلوى إذ لم يقع استعمالها على الوجه الذى ينبغى بل بهيئة تعرض للنفس من الاقبال ، فاذا صارت النفس بدنية وتمكنت فيها هيئات انقيادية للامور البدنية من الشهوة والغضب وغير ذلك ، بل صارت هذه الهيئات ملكات فيها ، كانت النفس تعد البدن على الجملة التى كانت فى البدن فتكون مصدودة عن العالم العلوى . ويعنى بالأوساخ زوائد رديئة غير طبيعية ولا مناسبة . تلزم الشيء الذى هو بالقياس اليها نقى ، فاذا فارقت النفس البدن وهيئتها استعلائية بقيت متصلة بالعالم الأعلى ، لابسة الجمال الأبهى ، منقطعة عن العالم الذى كانت فيه ، فاذا فارقت البدن لم تتصل إلا بتعب شديد أى تقاسى عذابا شديدا كبيرا ، حتى ينمحى عنها كل دنس ، ووسخ يعلق بها من البدن ، لأنها إنما تستبقى بالأفعال الرديئة . فاذا تعطلت جاز أن يبطل بل وجب والنفس كما تتجرد عن البدن تتخلص عن تلك الأوساخ ، ثم ترجع إلى عالمها الذي خرجت منه ، أى تبقى مختصة بجهة عالمها الذى منه ابتدأ وجودها من غير أن تهلك أو تبيد والعالم الأعلى فى حيز السرمد والدهر وهو عالم ثباتى ليس عالم التجدد الذى فى مثله يتأتى أن يقع الفكر والذكر ، إنما عالم التجدد عالم الحركة والزمان فالمعانى العقلية الصرفه والمعانى العقلية التى تصير جزئية مادية كلها هنا بالفعل فكذلك حال انفسنا (تفسير كتاب أثولوجيا من الانصاف لابن سينا)

ووصلت إلى كمالها، وانما هذا التشبه بقدر الطاقة، يكون إما بحسب الاستعداد، وإما بحسب الاجتهاد، فإذا فارق البدن اتصل بالروحانيين وانخرط فى سلك الملائكة المقربين، ويتم له الالتذاذ والابتهاج وليس كل لذة فهى جسمانية، فان تلك اللذات لذات نفسانية عقلية، وهذه اللذة الجسمانية تنتهى إلى حد وتعرض للملتذ سآمة وكلال وضعف وقصور، ان تعدي عن الحد المحدود، بخلاف اللذات العقلية، فانها حيثما ازدادت ازداد الشوق والحرص والعشق اليها، وكذلك القول فى الآلام النفسانية، فانها تقع بالضد مما ذكرنا، ولم يحقق المعاد إلا للانفس ولم يثبت حشرا ولا نشرا (١) ولا انحلالا لهذا الرباط المحسوس من العالم ولا ابطالا لنظامه كما ذكره القدماء، فهذه نكت كلامه استخرجناها

(١) هذا ، وقد ظن بعضهم بأرسطو، أنه لا يرى و لا يعتقد أمر المجازاة والثواب والعقاب وذلك وهم فاسد به فان أرسطو صرح بقوله ان المكافأة واجبة فى الطبيعة ويقول فى رسالته التى كتبها إلى والدة الاسكندر حين بلغها نعيه وجزعت عليه، وعزمت على التشكك بنفسها ، وأول تلك الرسالة ، فاما شهود الله فى أرضه التى هى الأنفس العالمة فقد تطابقت على أن الاسكندر العظيم من أفضل الأخيار ، الماضين ، وأما الآثار الممدوحة فقد رسمت له فى عيون أماكن الأرض وأطراف مساكن الأنفس بين مشارقها ومغاربها ولن يؤتى الله أحدا ما أتاه الاسكندر الا من اجتباء واختيار والخير من اختاره الله تعالى ، فمنهم من شهدت عليه دلائل الاختيار . ومنهم من خفيت تلك فيه ، والاسكندر أشهر الماضين والحاضرين دلائل ، وأحسنهم ذكرا وأحمدهم حياة وأسلمهم وفاة ، يا والدة اسكندر إن كنت مشفقة على العظيم اسكندر فلا تكسبن ما يبعدك عنه ، ولا تجلبي على نفسك ما يحول بينك وبينه حين الالتقاء فى زمرة الأخيار ، واحرصى على ما يقربك منه وأول ذلك توليتك بنفسك الطاهرة أمر القرابين فى هيكل ذيوس ، فهذا وما يتلوه من كلامه يدل دلالة واضحة على أنه كان يوجب المجازاة معتقدا فما أغنى أولئك الذين يتهمونه فى عقيدته، ويعتقدون ذلك

من مواضع مختلفة وأكثرها من شرح ثامسطيوس والشيخ أبى على ابن سينا الذى يتعصب له وينصر مذهبه ولا يقول من القدماء إلا به وسنذكر طريقة ابن سينا عند ذكر فلاسفة الاسلام.

ونحن الآن ننقل كلمات حكمية[1] لأصحاب ارسطوطاليس ومن نسج

الظن به عن متابعة الظنون الفاسدة والاوهام المدخولة واكتساب الوزر، بما ينسب اليه مما هو منه براء، وعنه بمعزل وها هو ذا يقول لما خلق الله العدل الذى جعله سبيل العروج إلى جنابه عارضه الشيطان بالتقصير والافراط فجعلهما سبيلا إلى جهنم، وهو إنما يعنى بالعدل الافعال الواجبة على العبد، التى الزيادة فيها افراط والنقصان منها تفريط وتقصير، ويعنى بالعروج الرجوع إلى الله جل وعز الذى هو المعاد والجنة (الجمع بين رأى الحكيمين ص ٣٨ الكلم الروحانية ص ٦٩)

(١) ومن حكم أرسطوطاليس أصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعا لك، العلم دليل العقل، والعقل قائد الخير، العالم يعرف الجاهل لأنه قد كان جاهلا، والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالما، من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس إماما.

ومر برجل قطعت يده، فقال أخذ ما ليس له، فأخذ ماله،

وقال: كفى بالتجارب تأدبا، وبتقلب الأيام عظة، قيل له ما يزين المرء بين اخوانه أيها الحكيم، فقال الأدب يزين غنى الغنى، ويستر فقر الفقير فقيل له وما البلاغة فقال اقلال فى ايجاز، وصواب مع سرعة جواب. وقال كما أنه ليس من المروءة أن تقتصر من الأموال والعقد على ما فيه الحاجة، وتدعو إليه الضرورة، بل أن تتخذ الأشياء الشريفة التى للبهاء والتجمل، فكذلك العلوم ليس من المروءة أن تقتصر منها على ماتحتاج لضرب من النفقة، دون أن تكتسب تشريف السناء بها وقال: كما لا ينبت المطر الشديد الصخر كذا لا ينتفع البليد بكثرة التعليم، الجاهل عدو لنفسه فكيف يكون صديقا لغيره،

وقال لصديق له وقد رآه ظالما، هبنا نقدر على محاباتك فى أن لاتقول إنك ظالم هل تقدر أنت على، أن لا تعلم أنك ظالم، وقليل الحق أجدى عليك من كثير الظلم. وسمع يقول ليس أنفع للعلم ما علمته فقط، بل ما استعملته أيضا، كل قول حق واجب، وكل خلاف له باطل، الشغل برد ما لا رجوع له جهل، ما أكثر ما نعاتب غيرنا على الظنون، ونترك عتاب انفسنا على اليقين، ما أحرصنا على ستر

أفعالنا الرديئة عن غيرنا ، وهى لنا منكشفة ، فغيرنا أفضل عندنا من أنفسنا ، من استعمل الخوف من المكاره مع وقوع المحاب سلم ، من صير الأمور الحادثة قبله موعظته نجا ، ما أكثر ما يلحق الفساد للخاص بفساد العام ، وإن طالت مدته ، ما أقل البقاء مع فساد السياسة ، نعم المعين اظهار الغضب للدين ، ما أدل الحلم على العلم ، من لم يحتمل السفه ، صار سفيها ، ودخل فى أمر قد كرهه من غيره ، أحق من حذر الأشرار ، من وضع الدواء فى غير موضعه ضيعه ، ومن وضعه فى موضعه نفعه من لم يكن معه من مطالب الأشياء غير تمنيها فاتته ، مع إقامة العقوبات هدية الرعية ما أشد الحاجة إلى الحذر فى أوقات الأمن ما أشد بغبة الاحتقار للمعاداة ، ما أجهل من لا يبالى أن يراه الناس مسيئا ، ما أستر السكوت على الجهل ، إذا بعثك الاقتدار على الظلم فاذكر قدرة الله عليك ، أردى ما فى الكريم صنع الخير وأحسن ما فى الشرير كف الشر ، ما أهدم الامتنان فى الصانع ، أوجب الصيانات على الأنسان صيانة نفسه ليس بحكيم من اشتغل بعمل عما هو أهم منه ، ما عجز الصدق عن إصلاحه فالكذب أعجز منه ، ما أشد ما يظهر المشوره جد عقل المستشار ، من فضيلة العقل إن كل إنسان يحب ان يرى بصورته ومن رذيلة الجهل ان ليس أحد يحب أن ينظر اليه بصورته أو بسماته ، علة وقوع الحزن فقد المقتنيات ، ما أبين فعل العدل فى قوام العالم ما أقوى فى تكثير الأعداء الاستطالة على الاكفاء ليس بين الفضيلة ، والرذيلة مرتبة ثالثة فمن تكن أقواله دون أعماله فضائل فلا شك أنها رذائل ، قيل له أن فلانا يقول ، انك انما تمسك عنه خوفا منه ، فقال أما خوفا منه فلا ، ولكن خوفا أن أكون مثله ، وقال له رجل يلغنى أنك اغتبتنى ، فقال ما بلغ قدرك عندى ان أدع لك خلة من ثلاث قال وما الثلاث ، قال إما علم أعمل فكرى فيه ، واما لذة أعلل فيها نفسى وإما إقبال على عمل صالح ، ليس طلبي للعلم طمعا فى بلوغ قاصية ، والاستيلاء على غاية ولكن التماساً علما لا يسع جهله ولا يحسن بالعاقل خلافه من انتجعك من بلاده فقد ابتدأك بحسن الظن بك والثقة بما عندك ، وكتب إلى الاسكندر ، ان املك الرعية بالاحسان إليها تظفر بالمحبة منها فان طلبك ذلك منها باحسانك هو أدوم بقاء منه باعتسافك واعلم أنك انما تملك الأبدان فاجمع لها القلوب بالمحبه ، أن اعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول ، قدرت على ان تفعل ، فاجتهد ألا تقول تسلم من أن تفعل (لباب الآداب)

على منواله بعده دون الآراء العامية ، إذ لا خلاف بينهم في الآراء والعقائد ووجدت فصولا وكلمات للحكيم أرسطوطاليس ، من كتب متفرقة فنقلتها علي الوجه وإن كان في بعضها ما يدل على أن رأيه على خلاف ما نقله ثامسطيوس واعتمده ابن سينا

منها في حدوث العالم ، قال الأشياء المحموله أعني الصور المتضاده فليس يكون أحدهما من صاحبه بل يجب أن يكون بعد صاحبه فيتعاقبان على الماده ، فقد بان أن الصور تبطل وتدثر ، فاذا دثر معنى وجب أن يكون له بدء ، لأن الدثور غاية وهو أحد الجائيين ما دل على أن جائيا جاء به ، فقد صح أن الكون حادث ، لا من شيء ، وأن الحامل لها غير ممتنع الذات من قبولها ، وحمله اياها ، وهي ذات بدء ، وغاية يدل على أن حامله ذو بدء وغاية وأنه حادث لا من شيء ويدل على محدث لا بدء له ، ولا غاية لأن الدثور آخر ، والآخر ما كان له أول فلو كانت الجواهر ، والصور لم تزالا فغير جائز استحالتهما ، لأن الاستحالة دثور الصورة ، التي كان بها الشيء وخروج الشيء من حد إلى حد ومن حال إلى حال يوجب دثور الكيفية ، وتردد المستحيل في الكون والفساد يدل على دثوره ، وحدوث أحواله يدل على ابتدائه ، وابتداء جزء يدل على بدء كله ، وواجب أن قبل بعض ما في العالم الكون والفساد أن يكون كل العالم قابلا له ، وكان له بدء يقبل الفساد ، وآخر يستحيل إلى كون فالبدء

والغاية يدلان على مبدع[١]

وقد سأل بعض الدهرية ارسطوطاليس وقال إذا كان لم يزل ولا شيء غيره ثم أحدث العالم فلم أحدثه ، فقال له لم غير جائزة عليه ، لأن لم يقتضي علة ، والعلة محمولة فيما هى علة له من معل فوقه ولا علة فوقه ، وليس بمركب فتحيل ذاته العلل فلم عنه منفية ، فانما فعل ما فعل لأنه جواد

فقيل فيجب أن يكون فاعلا لم يزل لأنه جواد لم يزل ، قال معنى لم يزل ان لا أول ، وفعل يقتضي أولا ، واجتماع أن يكون ما لاأول له وذو أول فى القول والذات محال متناقض

قيل له فهل يبطل هذا العالم قال نعم ، قيل فاذا أبطله بطل الجود قال يبطله ليصوغه الصيغة التى لا تحتمل الفساد ، لأن هذه الصيغة تحتمل الفساد ، تم كلامه ، ويعزى هذا الفصل إلى سقراطيس قاله لبقراطيس وهو بكلام القدماء أشبه ، ومما نقل عن ارسطوطاليس تحديده العناصر الأربعة قال الحار ما خلط بعض ذوات الجنس ببعض ، وفرق بين بعض ذوات الجنس من بعض ، وقال البارد ماجمع بين ذوات الجنس وغير ذوات الجنس لأن البرودة إذا أجمدت الماء حتى صار جليدا اشتملت على الاجناس

---

(١) قال أفلاطون يوما لتلميذه أرسطوطاليس ما الدليل على وحدة البارى ، فقال ليس شيء من خلقه بأدل عليه من شيء أوجده ، وقال أبو العتاهية

أيا عجباً كيف يعصى الالـــه أم كيف يجحده جاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

(الـكلم الروحانيه ص ٧٨)

المختلفة من الماء والنبات وغيرهما قال والرطب العسير الانحصار من نفسه اليسير الانحصار من ذوات غيره، واليابس اليسير الانحصار من ذاته العسير الانحصار من غيره، والحدان الأولان يدلان على الفعل، والآخران يدلان على الانفعال.

ونقل أرسطوطاليس عن جماعة من الفلاسفة، إن مبادى الأشياء هي العناصر الاربعة، وعن بعضهم إن المبدأ الأول هو ظلمة وهاوية وفسروه بفضاء وخلاء وعماية، وقد أثبت قوم من النصارى تلك الظلمة وسموها الظلمة الخارجة

ومما خالف أرسطوطاليس أستاذه أفلاطون أن قال افلاطون من الناس من يكون طبعه مهيئا لشيء لا يتعداه فخالفه، وقال إذا كان الطبع سليما صلح لكل شيء، فكان افلاطون يعتقد أن النفوس الانسانية أنواع يتهيأ كل نوع لشيء ما لا يتعداه وارسطوطاليس يعتقد أن النفوس الانسانية نوع واحد، وإذا تهيأ صنف لشيء تهيأ له كل النوع.

حكم الاسكندر الرومى[1]

وهو ذو القرنين الملك، وليس هو المذكور فى القرآن بل هو

---

(١) الاسكندر بن فيلبس المقدونى، ولد فى بلا سنة ٣٥٦ ق م، ويلقبه الفرنجة بالكبير، عهد بتربيته أولا إلى ليساخوس اليونانى وكانت الياذة هوميروس

ابن فيلفوس الملك ، وكان مولده فى السنة الثالثة عشر من ملك دارا الأكبر ، سامه أبوه إلى ارسطوطاليس الحكيم المقيم ، بمدينة اينياس فأقام عنده خمس سنين يتعلم منه الحكمة والأدب حتى بلغ أحسن المبالغ ، ونال من الفلسفة مالم ينله سائر تلامذته فاسترده والده حين استشعر من نفسه علة خاف منها ، فلما وصل اليه جدد العهد له وأقبل عليه ، واستولت العلة فتوفى منها ، واستقل الاسكندر بأعباء الملك ، فمن حكمه أنه سأله معلمه وهو فى المكتب إن أفضى اليك هذا الأمر يوما أين تضعنى ، قال حيث تضعك طاعتك ذلك الوقت ، وقيل له إنك تعظم مؤدبك أكثر من تعظيمك والدك قال لأن أبي كان

أول شيء تعلمه ، ولما بلغ الثالثة عشر من عمره · قرأ على أرسطو طاليس وأخذ عنه مدة ثلاث سنين وكلف بحبه ، ولما بلغ العشرين ، جلس على عرش أبيه ، بعد وفاته وكان شجاعا موفقا ، فى حروبه ، وغزا غزوات ، كان فيها النصر حليفه ، وقد بنى الاسكندرية وقد تزوج بابنة ملك همذان سنة ٣٢٧ق‌م وقد أمر الاسكندر اليونان ، وأهالى آسيا بأن يسجدوا له ويعبدوه ، فأجابه إلى ذلك بعض فلاسفة اليونان ، وكان فى مقدمتهم انكسرخوس ، أما كليستينس صديق أرسطوطاليس ، فقد أبى ، واستكبر فاتهم بمؤامرة ، وعذب عذابا شديدا وقتل وقد فتح فتوحا عظيمة ولما دخل بابل أخذ يلاحظ الآجام المجاورة لها فأصابته حمى شديدة ، ومع ذلك ، لم يمتنع عن الشراب ، والتهام شهى الطعام ، والانغماس فى لذاته ، فمات سنة ٣٢٣ق‌م ، ولم يعين خلفا له ، إلا أنه قبل وفاته دفع بخاتمة إلى برديكاس ، ومع ما كان عليه الاسكندر من الشجاعة ، وحدة المزاج ، كان يقظا في حروبه ، لا يستهين بأمر من الأمور ، وكانت نفسه عالية طماحة ، تستشرف إلى الفتوح ، فوسع ملكه ، ولم يكن يحب أمة دون أخرى ، وقد نشأ عن فتوحه انتشار الآداب اليونانية ، فى البلاد التى أخضعها لسلطانه (دائرة المعارف للبستانى جزء ثالث ص ٥٤٥)

سبب حياتى الفانية ، ومؤدبى سبب حياتى الباقية وفى رواية لأن أَبى كان سبب كونى ، ومؤدبى سبب تجويد حياتي ، وفى رواية لأن أبى كان سبب كونى ومؤدبى كان سبب نطقي ، وقال أبو زكريا الصيمرى لو قيل لى هذا القلت ، لأن أَبى كان قضي وطرا بالطبيعة التى اختلفت بالـكون والفساد ، ومؤدبي أفادنى العقل الذى به انطلقت إلى ماليس فيه الـكون والفساد ، وجلس الاسكندر يوما فلم يسأله أحد حاجة ، فقال لأصحابه والله ما أعد هذا اليوم من أيام عمري فى ملـكى قيل ولم أيها الملك قال لأن الملك لايوجد التلذذ به الا بالجود على السائل ، وإغاثة الملهوف ، ومكافأة المحسن ، وإلا باناله الراغب واسعاف الطالب .

وكتب إليه أرسطوطاليس (١) فى كلام طويل اجمع فى سياستك

---

(١) وكتب ارسطوطاليس إلى الاسكندر : أن املك الرعية بالاحسان إليها ، تظفر بالمحبة منها ، فإن طلبك ذلك منها باحسانك هو أدوم بقاء منه باعتسافك واعلم أنك إنما تملك الأبدان ، فاجمع لها القلوب بالمحبة . واعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول قدرت على أن تفعل فاجتهد ألا تقول تسلم من أن تفعل

وكان الاسكندر لا يدخل مدينة إلا هدمها وقتل أهلها حتى مر بمدينة كان مؤدبه فيها . فخرج إليه ، فألطفه الاسكندر وأعظمه فقال له أصلح الله الملك أن أحق من زين لك أمرك وأعانك على كل ما هويت لأنا وإن أهل المدينة قد طمعوا فيك لمكانى منك فأحب أن تشفعنى فيهم وأن لا تخالفنى في كل ما سألتك لهم . فأعطاه من العهود والمواثيق على ذلك ما لا يقدر على الرجوع عنه ، فلما توثق منه قال فإن حاجتى إليك أن تهدمها وتقتل أهلها . قال ليس إلى ذلك سبيل ولابد من مخالفتك فقال له ارحل عنا وكتب ارسطوطاليس إليه

إنك قد أصبحت ملكا على ذوى جنسك وأوتيت فضيلة الرياسة عليهم فيما تشرف به رياستك وتزيدها نبلا أن تستصلح العامة لتكون رأسا لخيار محمودين لا لشرار مذمومين ورياسة الاغتصاب وإن كانت تذم لخصال شتى ، فإن أول ما فيها من المذمة أنها تحط قدر الرياسة وذلك أن الناس في سلطان الغاصب كالعبيد لا كالأحرار ورياسة الأحرار أشرف من رياسة العبيد ، ومن تخير رياسة العبيد على رياسة الأحرار كمن تخير رعى البهائم على رعى الناس ، وهو يظن أنه قد أصاب وغنم . فحال الغاصب فيما يركب من الغصب هذه الحال لأنه يطلب محل الملك وشرفه . وليس شيء أبعد من شرف الملك من الاغتصاب لأن الغاصب فى شكل المولى . والملك فى شكل الأب اللطيف ومما يضع قدر الرياسة ما كان يصنع ملك فارس ، فانه كان يسمى أباه وكل أحد من رعيته عبدا . والرياسة على الأحرار والأفاضل وان قلوا خير من التسلط على العبيد ، وإن كثروا ، وهى عند الناس جميعا أولى ، ولا سيما لذوى الفهم والاخطار . وأنت حقيق أن تسل سخيمة العامة بما تذيقهم من رفق تدبيرك وتضعه عنهم من مكروه العنف والخصاصة فان العبيد إذا عرضوا على المشترين لا يسألون عن يسارهم وجاههم وإنما يسألون عن أخلاقهم ، وهل فيهم فظاظة ، فالأحرار أجدر أن يتعرفوا ذلك . وأن يعروا منه إذا كان ذلك في السلطان ، ولذلك ما يصيرون إلى خلعه والوثوب عليه ، وإذا ظهرت على فئة فضع من أوزار الحرب وأوزار الغضب . لأنهم فى تلك الحال كانوا عدوا وفى هذه الحال صاروا خولا فقد ينبغى أن تبدلهم من الغضب رحمة وعطفا وقد ينبغى للسلطان أن يعرف مقدار الغضب فلا يكون غضبه شديدا طويلا ، ولا ضعيفا قصيرا فان ذلك من أخلاق السباع وهذا من أخلاق الصبيان ومن كبر الهمة أن يكون الملك متعطفا على الناس ، فانه بالعطف والرحمة ينبل ويبعد صيته ، وأنا أعرفك على هذا المذهب ولكنى لا آمن أن تتوانى فيه . مما جرى عليك من ناس كثير من سوء المشورة ، فان كثيرا من الناس يشيرون إذا استشيروا بغير ما يشاكل المشار عليه بل بما يشاكلهم ، وليس بما ينتفع به فى الأمر الحادث ولكن بما يخصهم نفعه فى أنفسهم وأنا أحب لك أن تقتدى برأى اسندوس حيث يقول إن فعل الخير فى الجهلة أفضل من فعل الشر ومن يستطع أن يغلب الشر بالخير دون الشر فهى أشرف الغلبتين . لأن الغلبة

بين بدار لاحدة فيه ، وريث لاغفلة معه ، وامزج كل شى بشكله حتى يزداد قوة وعـزة (وأزحه) عن ضده حتى يتميز لك بصورته ، وصن وعدك من الخلف فانه شين ، وشب وعيدك بالعفو فانه زين ، وكن عبدا للحق فان عبد الحق حر ، وليكن وكدك الاحسان إلى جميع الخلق ، ومن الاحسان وضع الاساءة فى موضعها ، وأظهر لأهلك أنك منهم ، ولأَصحابك أنك بهم ، ولرعيتك أنك لهم ، وتشاور الحكماء فى أَن يسجدوا له إجلالا وتعظيما فقال لا سجود لغير بارئ الكل بل يحق له السجود على من كساه بهجة الفضائل .

وأغلظ له رجل من أهل أثينية فقام اليه بعض قواده ليقابله

بالشر جلد ، والغلبة بالخير فضيلة واعلم أنه قد أمكنك أن تودع الناس من حسن أثرك ما ينشر ذكره فى آفاق البلاد ، ويبقى على وجه الدهر . فافترص ذلك فى أوانه ، واعلم أن الذى يتعجب منه الناس ، الجزالة وكبر الهمة ، والذى يحبون عليه التواضع ولين الجانب ، فاجمع الأمرين ، تستجمع محبة الناس لك ، وتعجبهم منك ، ولاتمتنع أن تتكلم بما يطيب قلوب العامة فإن الناس ينقادون للكلام أكثر من انقيادهم بالبطش ولاتحسب أن ذلك يضع من قدرك ، بل يزيده نبلا ، أن تنطق بالخير إذا أنت على الشر قادر . واعلم أن التودد من الضعيف يعد ملقا والتودد من القوى يعد تواضعا وأكبر همة فلا تمتنع أن تتود إلى العامة لتحصل لك محبتهم وتنال الطاعة منهم واعلم أن الأيام تأتى على كل شىء ، فتخلق الأفعال وتمحو الآثار وتميت إلا مارسخ فى قلوب الناس لمحبة تتوارثها الأعقاب فاجتهد أن تظفر بالذكر الذى لايموت بأن تودع قلوب الناس محبة يبقى بها ذكر مناقبك وشرف مساعيك ولاينبغى للمدبر أن يتخذ الرعية مالا وقنية ولكن يتخذهم أهلا وإخوانا ولا ترغب فى الكرامة التى تنالها من العامة كرها ولكن التى نستحقها بحسن الأثر وصواب التدبير (العقد الفريد أول ص٢٨ و ١٤٥ لباب الآداب ص ٤٩)

بالواجب ، فقال له الاسكندر دعه لاتنحط إلى دناءته ، ولكن ارفعه إلى شرفك ، وقال من كنت تحب الحياة لأجله فلا تستعظم الموت بسببه ، وقيل له ان روشنك امرأتك ابنة دارا الملك وهى من أجمل النساء فلو قربتها إلى نفسك ، قال أكره أن يقال غلب الاسكندر دارا وغلبت روشنك الاسكندر[1] ، وقال من الواجب على أهل الحكمة ، أن يسرعوا إلى قبول اعتذار المذنبين ، وأن يبطئوا عن العقوبة وقال سلطان العقل على باطن العاقل أشد تحكما من سلطان السيف على ظاهر الأحمق ، وقال ليس الموت بألم للنفس بل للجسد ، وقال الذى يريد أن ينظر إلى أفعال الله (عز وجل) مجردة فليعف عن الشهوات ، وقال إن نظم جميع ما فى الأرض شبيه بالنظم السماوي ، لأنها أمثال له بحق ، وقال العقل لا يألم فى طلب معرفة الأشياء بل الجسد يألم ويسأم ، وقال الناظر فى المرآة يرى رسم الوجه ، وفى أقاويل الحكماء يرى رسم النفس

---

(٢) لما استولى الاسكندر على ملك دارا ، ملك الفرس ، وصفت له بناته ، فرغب أن يراهن ثم قال : يقبح أن نغلب رجالا مقاتلة ، فتغلبنا نساء فى حالة أسر ، ودخل إليه بطارقته فقالوا : قد بسط الله ملكك ، فأكثر من النساء ليكثر ولدك فقال لا يحسن بمن غلب الرجال ! أن تغلب عليه النساء ، وحاصر بعض المدن فتأهب النساء لمحاربته فكف عن الحرب وقال هذا جيش إن غلبناه ، لم يكن لنا فيه فخر ، وإن غلبنا كانت الفضيحة إلى آخر الدهر . وأشير عليه ببنات الفرس فقال ليس يليق بالملك أن يسرق للظفر (الكلم الروحانية ص ٩١)

ووجدت فى عضده صحيفة فيها قلة الاسترسال إلى الدنيا أسلم ، والاتكال على القدر أروح ، وعند حسن الظن تقر العين ، ولا ينفع مما هو واقع التوقى ، وأخذ يوما تفاحة فقال ما ألطف قبول هـــذه الهيولى الشخصية لصورتها وانفعالها لما تؤثر الطبيعة فيها من الأَصباغ الروحانية ، من تركيب بسيط ، وبسيط مركب حسب تمثل العقل لها ، كل ذلك دليل على ابداع مبدع الكل ، واله الكل ، ولو قيل الطف منها قبول هذه النفس الانسانية لصورتها العقلية ، وانفعالها لما تؤثر النفس الكلى فيها من العلوم الروحانية من تركيب بسيط ، وبسيط مركب ، حسب تمثل العقل لها : كل ذلك دليل على إبداع مبدع الكل (وإله الكل) .

وسأله اذوسايس الكلبى أن يعطيه ثلاث حبات ، فقال الاسكندر ليست هذه عطية ملك فقال الكلبى أعطنى مائة رطل من الذهب فقال ولا هذه مسئلة كلبي ، وقال بعضهم كنا عند شبرا المنجم إذ وصل الينا أيها الملك ، وأقامنا فى جوف الليل ، وأدخلنا بستانا ليرينا النجوم ، فجعل شبر يشير اليها بيده ، ويسير حتي سقط في بئر ، فقال من تعاطي علم ما فوقه بلى بجهل ما تحته ، وقال السعيد من لا يعرفنا ، ولا نعرفه ، لأنا إذا عرفناه أطلنا يومه وأطرنا نومه ، وقال استقلل كثير ما تعطى ، واستكثر قليل ما تأخذ ، فان قرة عين الكريم فيما يعطى ، ومسرة اللئيم فيما يأخذ ، ولا تجعل الشحيح

أمينا ، ولا الكذاب صفيا ، فانه لاعفة مع شح ، ولا أمانة مع كذب وقال الظفر بالحزم ، والحزم باجالة الرأى ، واجالة الرأى بتحصين الأسرار . (١)

---

(١) أتاه جاسوس له ، فأخبره بوفور العسكر الذين جهزوا إليه فقال إن الذئب وإن كان واحدا لا تهو له الأغنام الكثيرة ، وإن كانت كثيرة ، وقيل له إن الجيش الذى عبأه دارا فيه ثلاثون ألف مقاتل فقال القصاب وإن كان واحدا لاتهوله الأغنام وإن كانت كثيرة .

وقال لجلساتة ينبغى للرجل أن يستحى من إتيان القبح ، أما فى منزله فمن أهله ، وأما فى غير منزله فمن يلقاة ، وأما حيث يأمن من يلقاه فمن نفسه ، فإن لم يجعل نفسه أهلا لأن يستحى منها في خلوته . فليستحى من الله تغالى ، وسعى إليه برجل فقال للساعى : مذ كم تعرفه ، قال منذ كذا ، قال انصرف فإنى أقدم معرفة به منك ،

ورأى رجلين من أصحابه تخاصما وهتك كل واحد منهما صاحبه وكانا قبل ذلك متصافيين فقال لجلسائه ينبغى للرجل إذا آخى مصافيا ألا يسترسل إليه فيما يشينه ويتوقى مفاسدته ، قال ابن الرومى :

احــذر عدوك مرة واحذرصديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديـ ـق فـكان أعلم بالمضرة

ونعى إليه صديق له فقال ما يحزنى موته كما يحزننى انى لم أبلغ من بره ما كان يستحقه منى ، فقال له بعض من حضره : أيها الملك ما أشبه قولك بقول فلان حين أصابته الطعنة وهو يجود بنفسه ويقول : ما يحزنى موتى كما يحزننى ما فات من ظهور بأسى وبلائى للعدو ، وقال انتفعت بأعدائى أكثر مما انتفعت بأحبائى . لأن أعدائى كانوا يعيرونى بالخطأ وينبهونى عليه وأصدقائى كانوا يزينون لى الخطأ ويشجعوني عليه وقيل له بم نلت هـذا الملك العظيم على حداثة السن ، قال باستمالة الأعداء وتفقد الأصدقاء وكنت لا أغفل فى عمرى شعر اوميرس الشاعر وقوله لا ينبغى للرئيس أن ينام الليل كله ، ورأى رجلا ردىء السيرة اسمه اسكندر، فقال يا هذا بدل اسمك

ولما توفى الاسكندر برومية المدائن وضعوه فى تابوت من ذهب وحملوه إلي الاسكندرية ، وكان قد عاش اثنتين وثلاثين سنة وملك اثنتى عشرة سنة ، وندبه[1] جماعة من الحكماء الندبة ، فقال بليموس

أو سيرتك ، وشي اليه رجل برجل فقال الاسكندر أتحب أن نقبل منه عليك . ومنك عليه قال لا ، قال فكف الشر يكف عنك الشر ، ولما قصد نحو فارس تلقاه جماعة من أساورتهم برأس ملكهم يتقربون إليه به فأمر بقتلهم لسوء رعيهم وقلة شكرهم لملكهم ومن أنعم عليهم ، وقال من غدر بملكه كان بغيره أغدر (الكلم الروحانية ص ٩٢ العقد الفريد ثان ص ٣٣٣ التاج ص ١٠٩) .

(٢) قال أبو حيان فى كتاب الزلفة ، أن لما صحت وفاة عضد الدولة كنا عند أبي سليمان السجستانى وكان القومسى حاضرا ، والنوشجانى . وأبو القاسم غلام زحل وابن المقداد والعروضى والأندلسى والصيمرى فتذاكروا الكلمات العشرة المشهورة التى قالها الحكماء العشرة عند وفاة الاسكندر ، فقال الأندلسى ، لو قد تقوض مجلسكم هذا بمثل هذه الكلمات ، لكان يؤثر عنكم ذلك . فقال أبو سليمان ما أحسن ما بعثتم عليه أما أنا فأقول ، لقد وزن هذا الشخص الدنيا بغير مثقالها ، وأعطاها فوق قيمتها . وحسبك انه طلب الربح فيها فخسره روحه فى الدنيا وقال الصيمرى . من استيقظ للدنيا فهذا نومه ومن حلم بها فهذا انتباهه ، وقال النوشجانى ، مارأيت غافلا فى غفلته ، ولا عاقلا فى عقله مثله ، لقد كان ينقض جانبا وهو يظن أنه مبرم ، ويغرم . وهو يرى أنه غانم وقال العروضى أما إنه لو كان معتبرا فى حياته لما صار عبرة فى مماته ، وقال الأندلسى الصاعد فى درجاتها إلى سفال ، والنازل من درجاتها إلى معال . وقال القومسى من جد للدنيا هزلت به ومن هزل راغبا عنها جدت له ، انظر إلى هذا كيف انتهى أمره ، وإلى أى حضيض وقع شأنه وأنى لأظن أن الرجل الزاهد الذى مات فى هذه الأيام ودفن بالشونيزية أخف ظهرا وأعز ظهيرا من هذا الذى ترك الدنيا شاغرة ورحل عنها بلا زاد ولا راحلة ، وقال غلام زحل . ما ترك هذا الشخص استظهارا بحسن نظره وقوته ، ولكن غلبه ما منه كان وبمعونته بان ، وقال ابن المقداد أن ماء أطفأ هذه النار لعظيم وأن ريحا زعزعت هذا الركن لعصوف ، فقال أبو سليمان

هذا يوم عظيم العبرة أقبل من شره ما كان مدبرا وأدبر من خيره ما كان مقبلا ، فمن كان با كيا على من قد زال ملكه فليبكه ، وقال سيلاطوس خرجنا إلى الدنيا جاهلين ، وأقمنا فيها غافلين ، وفارقناها كارهين وقال زينون الأصغر ياعظيم الشأن ما كنت إلا ظل سحاب اضمحل ، لما أظل فما نحس للملك أثرا ، ولا نعرف له خبرا ، وقال افلاطون الثانى أيها الساعى المتعصب جمعت ماخذلك وتوليت ماتولى عنك فلزمتك أوزاره ، وعاد على غيرك مهناه وثماره ، وقال فوطس ألا تتعجبوا ممن لم يعظنا اختيارا حتى وعظنا بنفسه اضطرارا ، وقال مطور قد كنا بالامس نقدر على الاستماع ، ولا نقدر على القول ، واليوم نقدر على

ماعندى فى هذا الحديث أحسن ماسمعت سمعت أبا اسماعيل الخطيب الهاشمى لما نعاه على المنبر يوم الجمعة يقول فى خطبته كيف غفلت عن كيد هـذا الأمر حتى نفذ فيك ، وهلا اتخذت دونه جنة تقيك فاذا منعت بأموالك والعبيد ورجالك والجنود وبهولك العتيد وبدهرك الشديد ، هلا صانعت من جعلك على السرير وبذلت له من القنطار إلى القطمير من اين أتيت وكنت شهما حازما ، وكيف مكنت من نفسك وكنت قويا صارما ، من ذا الذى واطأ على مكروهك ، وأناخ بكلكله على ملكك . لقـد استضعفك من طمع فيك . ولقد جهلك من سلم العز لك ، كلا ولـكن ملكك من أخسرك بالتمليك وسلبك من قدر عليك بالقهر لك ، إن فيك لعبرة للمعتبرين وإنك لآية للمستبصرين . جافى الله جنبك عن الثرى وتجاوز عنك بالحسنى ونقل روحك إلى الدرجات العلى وعرفنا من خلفك خيرا وعدلا يكثر من أجلهما دعاؤنا وثناؤنا عليك انه على ذلك قدير وهو عليـه بصير ، قال سبط ابن الجوزى فى كتابه مرآة الزمان بين كلام هؤلاء وأولئك المتقدمين المتكلمين على تابوت الاسكندر كما بين الملكين فى المساواة (المقابسات ص ٨٨) .

القول ، فهل نقدر على الاستماع ، وقال ثاون انظروا إلى حلم النائم كيف انقضى ، وإلى ظل الغمام كيف انجلى ، وقال سوس كم قد أمات هذا الشخص لئلا يموت ، فمات فكيف لم يدفع الموت عن نفسه بالموت وقال حكيم طوى الأرض العريضة فلم يقنع حتى طوى منها فى ذراعين وقال آخر ما سافر الاسكندر سفرا بلا أعوان ولا آلة ولا عدة إلا سفره هذا ، وقال آخر ما أرغبنا فيما فارقت ، وأغفلنا عما عاينت ، وقال آخر لم يؤدبنا بكلامه كما أدبنا بسكوته ، وقال آخر من ير هذا الشخص فليتق ، وليعلم أن الديون هكذا قضاؤها ، وقال آخر قد كان بالأمس طلعته علينا حياة ، واليوم النظر اليه سقم ، وقال آخر قد كان يسأل عما قبله ولا يسأل عما بعده ، وقال آخر من شدة حرصه على الارتفاع انحط كله ، وقال آخر الآن تضطرب الاقاليم لأن مسكنها قد سكن

حكم ديوجانس[1] الكلبى

وكان حكيما فاضلا متقشفا لا يقتنى شيئا ولا يأوى إلى منزل ، وكان

---

(١) ديوجانس ، أو ديوجينس ولد بمدينة سينوب من بلاد يافيغونيا ، سنة ٤١٣ ق م ، وكان يلقب بالكلبى ، وأبوه ايزيسوس كان صيرفيا وقداتهم ، مع أبيه بأنه كان يصنع الدراهم الخارجية فقبض على أبيه إلى أن مات فى سجنه ، أما ديوجنيس فمن رعبه فر إلى أثينا ، فلما وصل إليها ذهب إلى انتيثينوس ، فلم يقبله بل وكزه بعصاه ، لأنه كان معتزما أن لا يقبل تلامذة أصلا ، فلم يرجع ديوجينيس ، بل طأطأ رأسه وقال له اضرب ولا تخش شيئا فإنك لا تجد عصا يابسة تطردنى عنك ما دمت حيا وتميز فيه اتيثينوس الصدق فى قوله فقبل أن يتخذه تلميذا ، فاضطر إلى أن يعيش

عيش غربة ، وحاجة لا يجد من يعاونه فى منفاه وقد رأى فى ذات يوم فارة ، تجرى آمنة من جهة إلى أخرى ، ولم تخش دخول الليل عليها بلا قوت ، ولا ثقب تبيت فيه فتسلى بها على فقره ، وخصاصته واعتزم أن لاينهمك فى تحصيل معاشه ، وأن يترك كل مالا تتوقف عليه حياته ، ثم بطن بته ، فاذا التف عليه ، كان وطاءه وغطاءه ، وليس له من المتاع سوى عصا وغرارة ، وقعب ، فكان لا يمشى بدونها ، لكنه لا يتوكأ على عصاه ، إلا إذا سرح فى الفضاء أو كان مريضا . وكان يقول ليس الاصم الأعمى بمعيب من الرجال ، إنما المعيب من لا غرارة له ، وكان حافى القدمين لم ينتعل أبدا ، ولو غطى وجه الأرض بالثلج ، وأراد أن يروض نفسه على أكل اللحم نيئا فلم يستطع ذلك وقد أولع بعلوم الأدب زاهدا فى العلوم الأخرى ، وكان حاد الذهن ثاقب الادراك ، وكان إذا تكلم لا يدع لحاضره مقالا وكان يذم أرباب الموسيقى والألحان على تحملهم المشقة فى تطبيق الموسيقى والألحان بعضها ببعض مع أن عقولهم سيئة الترتيب ، وكان الأولى بهم أن يبدءوا بتوفيق أحوال عقولهم ، وكان يذم أرباب الرياضة على تسليهم برصد الشمس والقمر والكواكب ، مع انهم يجهلون حقيقة ما تحت أرجلهم وكان يعجب من علماء الأديان من اشتغالهم بالوقوف على الوقائع الخرافية والهزلية ، مما لا طائل تحته وهم يتركون أنفسهم لا يلتفتون اليها مع ماهم فيه من بؤس وسوء حال وكان أقل لوما على الخطباء الذين لا هم إلا التنوق وتزويق الكلام وهم يقولون بما لا يفعلون وكان يلوم البخلاء الذين يظهرون الزهد والقناعة ويثنون خيرا على من زهد فى الدنيا . مع أن همهم ليس إلا السعى فى جمعها ، وقد كان من أساطين المدرسة الكلبية ، ويعد أحسن مثال لمدرستها ، وقد أضيفت اليه أقاصيص وحكايات تكشف عن شخصيتين متمايزتين ، احداهما لشخص ملحد مستهتر ، والثانية لآخر فاضل جليل . والأرجح أن ديوجنيس كان ذلك الشخص الثانى لما عرف عن الكلبيين من الزهد فى الحياة والبعد عن الشهوات ، وأكبر الظن أن هذه الأقاصيص والروايات التى تمثله مستهترا ، إنما وضعت بعده بزمن طويل ، لما ظهر من بعض الكلبيين من ميل للذة واستباحتهم اياها ، جهرة دون استحياء ، وكان كما ذكرنا يحتقر العلوم كاستاذه ويشبه فلسفته بالفنون الآلية ، ويريد الناس على أن يروضوا أنفسهم على الفضيلة فيجيدها كما يجيد الصانع الذى يزاول مهنته فالرياضة

من قدرية الفلاسفة لما يوجد فى مدارج كلامه من الميل إلى القدر ، قال ، ليس الله علة الشرور ، بل الله علة الخيرات والفضائل والجود والعقل جعلها بين خلقه ، فمن كسبها وتمسك بها نالها ، لأنه لا يدرك الخيرات إلا بها ، سأله الاسكندر يوما فقال بأى شىء يكتسب الثواب قال بأفعال الخيرات ، وإنك لتقدر أيها الملك ان تكتسب فى يوم واحد مالا يقدر الرعية أن تكتسبه فى دهرها ، وسألته عصبة من أهل الجهل ما غذاؤك ؛ قال ما عفتم يعنى الحكمة ، قالوا فما عفت قال ما استطبتم ، يعنى الجهل ؛ قالوا كم عبد لك قال أربابكم يعنى الغضب والشهوة والاخلاق الردية الناشئة منهما ، قالوا فما أقبح صورتك قال لم أملك الخلقة الذميمة فألام عليها ولا ملكتم الخلقة الحسنة فتحمدوا عليها ، وأما ما صار فى ملكى وأتى عليه تدبيري فقد استكملت تزيينه وتحسينه بغاية الطوق وقاصية الجهد ، واستكملتم شين ما فى ملككم قالوا فما الذى فى الملك من التزيين والتهجين قال أما التزيين فعمارة الذهن بالحكمة وجلاء العقل بالادب وقمع الشهوة بالعفاف وردع

سبب الفلاح ووسيلة الخلاص من رق الأهواء ، ويعنى بالرياضة البدنية فيها والنفسية الواحدة متممة الأخرى وكل منهما مرب للارادة ، وكان يحتقر العرف ويقول بالطبيعة الانسانية يستوحيها الحكيم ويتبع قوانينها دون القوانين الوضعية والاصطلاح السائر وكان ينظر إلى الفرد مستقلا عن الجماعة وماهيته منفصلة ويرى الفضيلة ممكنة له بهذا الاعتبار على عكس افلاطون وأرسطو اللذين كان يجعلان المدينة شرط الفضيلة وقد مات بمدينة قورنته سنة ٣٢٨ ق م (ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص ١٢٣ تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢١٢) .

الغضب بالحلم وقطع الحرص بالقنوع وإماتة الجسد بالزهد وتذليل المرح بالسكون ورياضة النفس حتى تصير مطية قد ارتاضت فتصرف حيثما صرفها فارسها فى طلب العليات وهجر الدنيات ، ومن التهجين تعطيل الذهن من الحكمة ، وتوسيخ العقل بضياع الأدب وإثارة الشهوة باتباع الهوى ، واضرام الغضب بالانتقام وامداد الحرص بالطلب ، وقدم إليه رجل طعاما وقال له استكثر منه فقال عليك بتقديم الأكل وعلينا باستعمال العدل ، وقال زمام العافية بيد البلاء ، ورأس السلامه تحت جناح العطب وباب الامن مستور با وف فلا تكوين فى حال من هذه الثلاث غير متوقع لضدها ، وقيل له مالك لا تغضب قال أما غضب الانسانية فقد أغضبه وأما غضب البهيمية فانى تركته لترك الشهوة البهيمية ، واستدعاه الملك الاسكندر إلى مجلسه يوما فقال للرسول قل له إن الذى منعك من المصير الينا (هو الذى) منعنا من المصير اليك منعك عنى استغناؤك بسلطانك ، ومنعني عنك استغنائي بقناعتى ، وعاتبته والسةاليونانية بقبح الوجه ودمامة الصورة فقال منظر الرجل بعد المخبر ومخبر النساء بعد المنظر فخجلت وتابت ، ووقف عليه الاسكندر يوما فقال له ما تخافنى قال أنت خير أم شرير قال بل خير قال فما لخوفى من الخير معنى بل يجب على رجاؤه ، وكان لأهل مدينة من يونان صاحب جيش جبان وطبيب لم يعالج أحدا إلا قتله ، فظهر عليهم عدو ففزعوا إليه فقال اجعلوا طبيبكم صاحب لقاء العدو ، واجعلوا صاحب جيشكم طبيبكم وقال

أعلم بأنك ميت لامحالة فاجهد أن تكون حيا بعد موتك لئلا تكون لميتتك ميتة ثانية وقال كما أن الأجسام تعظم فى العين يوم الضباب كذلك تعظم الذنوب عند الانسان في حال الغضب ، وسئل عن العشق فقال سوء اختيار صادف نفسا فارغة ، ورأى غلاما معه سراج فقال له تعلم من أين تجيء هذه النار قال له الغلام إن أخبرتنى إلى أين تذهب أخبرتك من أين تجيء هذه النار وأفحمه بعد ان لم يكن يقوى عليه أحد ، ورأى امرأة قد حملها الماء فقال على هذا المعنى جرى المثل دع الشر يغسله الشر ، ورأى امرأة تحمل نارا فقال نار على نار وحامل شر من محمول ورأي امرأة متزينة فى ملعب فقال هذه لم تخرج لتري ولكن لترى ورأى ، نساء يتشاورون فقال على هذا جرى المثل هو ذا الثعبان يستقرض من الأفاعى سما ورأى جارية تتعلم الكتابة فقال يسقى هذا السهم سما لترمى به يوما[1] .

---

(١) رأى شابا أحمق عليه خاتم ذهب ، فقال ما وضع الذهب منك أكثر مما زينك وقال ليس الخير من يكف عن الشر لكن الخير من عمل الخير ، رأى غلاما لقيطا يرمى بالحجارة فقال لاترم فلعلك تصيب أباك وأنت لاتدرى ، وفى هذا قال الشاعر

لاتهجون أسن منك فربما ... تهجو أباك وأنت لاتدرى

وسمع رجلا يذكره بسوء ، فقال ما علم الله منا أكثر مما تقول ورأى رجلا حسن الأدب قبيح الوجه فقال سلبت فضائل نفسك محاسن وجهك سئل عن وقت الطعام فقال أما لمن يمكنه فاذا جاع وأما لمن ليس له فاذا وجد وسئل عن الاصدقاء فقال نفس واحدة فى أجساد متفرقة ورأى قوما يدفنون امرأة فقال نعم الصهر صاهرتم وما أعجب توارد العقول فانه روى عن على رضي الله عنه أنه قال نعم الختن القبر وقيل

له لم تأكل فى السوق فقال لأنى جعت فى السوق ورأى امرأة قد حملها السيل فقال زادت كدرا على كدر والشر بالشر يهلك ورأى امرأة تحمل نارا فقال نار على نار وحامل شر من محمول ، ورأى امرأة تشاور امرأة ، فقال ثعبان تقترض سما من أفعى . ورأى امرأة صغيرة القد جميلة الوجه فقال خير صغير وشر عظيم ، ورأى جارية تتعلم وهى حدثة جميلة فقال سيف يسن للشر ، ورأى معلما يعلم جارية فقال لا تزد الشر شرا ، ورأى رجلا شديد الاقبال على مصلحة ماله شديد التواني عن تأديب ولده فقال له ياهذا عملك عمل من يخلف ولده على ماله لا عمل من يخلف ماله على ولده وقال باستواء الحال بين الناس تسوء حالهم وقال العمر القصير مع الفضيلة خير من العمر الطويل مع الرذيلة ، وقال ما أولى بنا القبول ممن عمل بالسنة وأمر بها وقال ليس كل لذيذ نافع ، ولكن كل نافع لذيذ وقال لابنه عليك باقتناء مالا يمكنك استعارته ولا شراؤه وقال ما أجلب المزح للسخر ، وقال ليس مع طاعة الله خوف ولا مع معصيته أمن . وقال ما أذهل المحسود عما فيه الحاسد وقال ليس بفاضل من عمل الفضائل وهو لا يعلم أنها فضائل وقال ليكن قولك مالا يحتاج إلى الاعتذار وفعلك ما لا تبالى عليه الانتشار وقال الخرس خير من قول يحوجك إلى اعتذار أو شفيع ، وقال العمل بالفضائل ملذة ، والعمل بالرذائل مذلة وقال أشد من التلف سوء الخلف ورأى إنسانا يبكى لموته فى الغربة فقال أيها الفانى لماذا تبكى ، فى كل مكان الأرض التى كانت منزلك هى قبرك وعض سفيه رأسه ، ثم انهزم ، فعدا تلاميذه فى طلبه فاعجزهم فانصرفوا مغضبين فلما سكنوا قال لهم مادعاكم إلى طلب الهارب قالوا لنقتص لك منه ، قال أرأيتم لو أن بغلا رمحنى ، أكنتم رامحيه ، فقالوا لا ، قال ولو أن كلبا عضنى أكنتم عاضيه ، قالوا لا فهذا بمنزلتهما فدعوا أخلاق البهائم والتشبه بفعلها واعمروا الحكمة بالوقار . وأطفئوا نار الغيظ بالكظم واغلبوا الاساءة بالاحسان واستبدلوا بطلب الثأر العفوان أردتم استكمال الحكمة بالقول والفعل وقال للاسكندر أيها الملك عليك بالاعتدال في الأمور فان الزيادة عيب . والنقصان عجز وسئل أي الخصال أحمد عاقبة قال الايمان بالله عز وجل ، وبر الوالدين ومحبة العلماء وقبول الأدب ، وقال تيجان الملوك سريعة العطب كالزجاج وحب الظهور ما هو إلا فخر المجانين ، سمع ذات يوم من ينادى ، أن ديوكسيبس غلب جماعة من أعاظم الرجال في الألعاب الأولمبية ، فقال بل نادء أنه غلب جماعة

حكم الشيخ اليونانى (١)

وله رموز وأمثال منها قوله أن أملك رءوم لـكنها فقيرة

من الارقاء المساكين ، لأن الذى غلب الرجال انما هوانا ، فحسب وكان إذا سمع متكلما فى علم الهيئة والنجوم يقول له متى كان نزولك من السماء ، ورأى رجلا ينغمس فى الماء ليتطهر فقال له يا مسكين لو اغتسلت إلى غد بهذا الماء لم يعصم لسانك عن الخطأ فكيف يطهرك من الذنوب ، وقال صلحاء الناس هم مظهر الآلهة . وسئل ما أسوأ الحالات فقال الهرم مع الفقر وسئل ما سبب اصفرار الذهب فقال كثرة حساده ، وسئل أى شىء حسن فى الدنيا ، قال الحرية (الـكلم الروحانية ص ١٠٥ لباب الأداب ص ٥٧ – ٤٤٧ العقد الفريد ثان ص ٤٢٤ ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ص ١٣٤)

(١) الشيخ اليونانى يطلقه الشهرستانى ، على افلوطين ، تلميذ أمونيوس ؛ سكاس أول المعلمين الاسكندريين الذين حاولوا التوفيق بين تعاليم أرسطو ، وافلاطون وأكبر مؤيديه والمنتصرين لمذهبه تلميذه افلاطين وبما عد مؤسس المذهب ، وقد ولد سنة ٢٠٥ م فى نيقوبوليس « أسيوط » ولا نعرف شيئا عن أسرته ؛ لأنه كان يخجل من وجوده فى جسم ، ويأبى أن يذكر شيئا عن أهله ووطنه كما يقول فورفوريوس تلميذه ، والمترجم لحياته ، تثقف فى مدينته ، على أستاذ كان يعلم القراءة والكتابة والحساب والاجروميه ويشرح شعـــر الشعراء ، وفى الثامنة والعشرين قصد إلى الاسكندرية وأخذ يختلف إلى أساتذتها . فلم يرقه منهم أحد ، حتى أخذ به أحد أصدقائه إلى امونيوس ، فما استمع اليه حتى قال ؛ هذا هو الرجل الذى كنت أطلبه ولزمه إحدى عشرة سنة ، ثم سافر مع الحملة التى أخرجها الامبراطور جورديان لمحاربة الفرس رجاء أن يتعلم الفلسفة الفارسية والفلسفة الهندية من أصولهما ، ولـكن هزيمة الجيش فى الغريمة ، أجاءته إلى انطاكية ، ثم انه فى سنة ٢٤٥ رحل إلى روما حيث استقر بها ، وأسس مدرسته التى قام عليها حتى مات فى كامبايا سنة ٢٧٠ ، وكان مجلسه بروما ، حافلا بالعلماء وكبار رجال المدينة حتى تتلمذ له الامبراطور وزوجه وذلك لسمو روحه وعظم حكمته فى ارشاد مريديه فى الحياة الروحية وقد ألف افلوطين كتبا كثيرة حفظت عنه ويطلق عليها عادة اسم التاسوعات ، وقد تفرع

مذهبه إلى فروع كثيرة ، فكان منه فرع فى الاسكندرية ، وفرع فى الشام وفرع فى اثينا ، ولقد كان افلاطين فى حياته محببا إلى النفوس ، مقربا من العظماء ، وكان الامبراطور جالينوس ينزله من نفسه منزلة سامية ويقدره أعظم تقدير حتى قيل إنه اعتزم أن يقطعه منطقة كامبانيا ليقيم عليها مدينة فاضلة تحكم على مثال ما ارتأى أفلاطون فى الدولة هذا وقد عهد اليه فريق كبير من علية القوم بالقيام على تربية أولادهم فضلا عن أفواج الشبان التى كانت تؤم بيته وتحضر مجلسه ويقال إنه كانت لا فلاطين بصيرة نافذة فى الطبائع البشرية حتى استطاع أن يتنبأ لكثير من الأطفال الذين كان يتعهد تربيتهم بمستقبلهم اما فشلا واما نجاحا ولم يبدأ افلوطين فى كتابة ما كتب إلا وهو فى سن الثامنة والأربعين حين الح عليه تلاميذه ورأى هو بعض تلاميذ امونيوس قد تحللوا من عهدهم ونشروا آراءهم فكان يكتب أو يملى على عجل رسائل متفاوتة الطول هى صورة لتعليمه الشفوى وكان تعليمه شرحا على نص لافلاطون أو لارسطوطاليس أو لواحد من شراحهما ، أو على قضية رواقية أو على دعوى شكيه أو جوابا عن سؤال أو ردا على اعتراض أو تعقيبا على رأى فليست رسائله عرضا منظما لمذهبه ولكنها سلسلة محاضرات لكشف ما غمض من مذهبى افلاطون وأرسطو وتنتظم غير ذلك فالرسائل كانت شبه معلمة تنتظم فلسفات وديانات ، إلى سحر وتنجيم وعرافة وعلم طبيعى وموضوعاته المأثورة هى شرح أقوال افلاطون فى الخير والجمال والحب والجدل . موضوعه الرئيسى النجاة نجاة النفس من سجنها المادى وانطلاقها من عالم الظاهر إلى موطنها الأصلى عالم الوجود والحقيقة وبعد وفاته جمع فورفوريوس الرسائل وكانت أربعا وخمسين وقدم لها بترجمة لحياة افلاطون ووزعها على ستة أقسام فى كل قسم تسع رسائل ومن ثم سميت بالتساعيات أما حياته الشخصية فبنيت على الزهد والتقشف لتطهير الروح من أدران الجسد فلم يكن ينعم بالنوم إلا بقدر ما تضطره اليه الحاجة اضطرارا ولم يكن يبيح لنفسه من الطعام إلا ما يقيم أوده وقد حرم على نفسه أكل اللحوم ومما يذكر عنه أنه لم يسمح لفنان بتصويره بحجة أن المصور لا يزيد بصورته على أن يثبت ظلا لظل وقد تنازل عن كل ثروته وفك رقاب من كان يملك من رقيق وكان يسرد فى صومه (قصة الفلسفة اليونانية ص ٣٣٢ تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٨٦)

رعناء وأن أباك لحدب لكنه جواد مقدر، يعنى بالأم الهيولى وبالأب الصورة وبالرعوم انقيادها، وبالفقر احتياجها إلى الصورة وبالرعونة قلة ثباتها على ما تحصل عليه، وأما حدابة الصورة أي هي مشرفة لك بملابسة الهيولى، وأما جودها أى النقص لا يعتريها من قبل ذاتها، فانها جواد لكن من قبل الهيولى فانها إنما تقبل على تقدير، هذا ما فسر به رمزه ولغزه، وحمل الأم على الهيولى صحيح مطابق للمعني، وليس حمل الأب على الصورة بذلك الوضوح بل حملها على العقل الفعال الجواد الواهب الصورة على قدر استعدادات القوابل أظهر، وقال لك نسبان نسب إلي أبيك ونسب إلى أمك أنت باحدهما أشرف وبالآخر أوضع فانتسب فى ظاهرك وباطنك إلى من أنت به أشرف وتبرأ فى باطنك وظاهرك ممن أنت به أوضع، فان الولد الفسل يحب أمه أكثر مما يحب أباه وذلك دليل على أنه دخل العرق والفساد المحتد، قيل أراد بذلك الهيولى والصورة أو البدن والنفس أو الهيولى والعقل الفعال، وقال قد ارتفع اليك خصمان منك يتنازعان بك أحدهما محق والآخر مبطل، فاحذر أن تقضي بينهما بغير الحق فتهلك، أنت الخصمان أحدهما العقل والثانى الطبيعة، وقال كما أن البدن الخالى من النفس يفوح منه نتن الجيفة كذلك النفس الخالية من الأدب يحس نقصها بالكلام والأفعال وقال الغائب المطلوب فى طى الشاهد الحاضر.

وقال أبو سليمان السجزى(١) مفهوم هذا الاطلاق ان كل ما هو

(١) محمد بن طاهر بن بهرام أبو سليمان السجزى ، أو السجستانى المنطقى نزيل بغـداد ، قرأ على متى بن يونس وأمثاله وتصدر لافادة هذا الشأن وقصده الرؤساء والاجلاء وكان منزله مقيلا لأهل العلوم القديمة وله أخبار وحكايات وسؤالات وأجوبة فى هذا الشأن وكان عضد الدولة فناخسرو شاهنشاه يكرمه ويفخمه وله كتب صنفها منها رسالة فى مراتب قوى الانسان ورسائل إلى عضد الدولة عدة فى فنون مختلفة من الحـكمة وشرح كتاب أرسطو طاليس ، وكان أبو سليمان أعور وبه وضح نسأل الله السلامة وكان ذلك سبب انقطاعه عن الناس . ولزومه منزله ، فلا يأتيه إلا مستفيد وطالب علم وكان يشتهى الاطلاع على أخبـار الدولة وعلم ما يحدث فيها بمكان من يغشاه من الاجلاء ينقل إليه بعض أخبارها . وكان أبو حيان التوحيدى من بعض أصحابه المتصمين به وكان يغشى مجالس الرؤساء ، ويطلع على الأخبار ومهما علمه من ذلك نقله اليه وحاضره به ولأجله صنف كتاب الامتاع والمؤانسة نقل له فيه ما كان يدور فى محلس أبى الفضل عبد الله بن العارض الشيرازى عندما تولى وزارة صمصام الدولة بن عضد الدولة ، وهو كتاب ممتع على الحقيقة لمن له مشاركة فى فنون العلم فانه خاض كل بحر وغاص كل لجة ، وما أحسن ما رأيته على ظهر نسخة من كتاب الامتاع بخط بعض أهل جزيرة صقلية وهو ابتـدأ أبو حيان كتابه صوفيا وتوسطه محدثا وختمه سائلا ملحفا ، وقد سئل أبو سليمان عن النحو العربى والنحو اليونانى وأصل استنباطهما كيف كان فقال نحو العرب فطره ونحونا فطنة ، وقال فى تتمة صوان الحكمة . هو مصنف كتاب صوان الحكمة كان حكيما له تصانيف كثيرة أكثرها فى المعقولات منها رسالة فى اقتصاص طرق الفضائل ، ومنها رسالة فى المحرك الأول . ومن كلماته قوله الحسود لا يرجى الاستمتاع به وكيف يرجي الاستمتاع بمن مضرته تنال القريب فضلا عن الغريب . الفضيلة فى ذى الأخطار زينة العالم ، لسان العلم أفصح من كل لسان . كفى بالعلم نفاسة أنه يفخر به من لا يعرفه ، وكفى بالجهل ذلا انه يأنف منه من يعرفه من نفسه . الانسان موزون بين كفتى النفس والطبيعة ، الاصرار على الشر مع تمنى الاقلاع عنه زيادة فى الشر إحرص على أن تعمل جيدا لا على أن تقول جيدا لا تنازع من هو فوقك ولا تقـل ما لا تعلم استصغر الـكبير فى طلب المنفعة واستعظم الصغير

عندنا بالحس بين فهو بالعقل لناهناك ، إلا أن الذى عندنا ظل ذلك ، ولأن من شأن الظل كما يريك الشيء الذى هو ظله ، مرة فاضلا على ماهو عليه ومرة ناقصا عماهو به ، ومرة على قدره عرض الحسبان والتوهم ، وصارا مزاحمين لليقين والتحقيق ، فينبغى أن تكون عنايتنا بطلب البقاء الأبدي والوجود السرمدى أتم وأظهر ، وأبق وأبلغ ، فبالحق ما كان الغائب فى طى الشاهد وبتفصح هذا الشاهد يضح ذلك الغائب .

وقال الشيخ اليونانى النفس [1] جوهر كريم شريف يشبه دائرة قد دارت على مركزها ، غير أنها دائرة لا بعد لها ، ومركزها العقل

عند دفع المضرة ، أعط من دونك ما تحب أن يعطيك من فوقك ، النظر فى أعمال الأخيار وسنتهم جلاء العقول ، لا تأس على ما فاتك أسى قنوط ولا تفرح بما أتاك فرح أشرا، فهو من حكماء القرن الرابع . وترجح وفاته حوالى سنة ٣٨٠ ه (أخبار العلماء ص ١٨٥ تتمة صوان الحكمة ص ٧٦) .

(١) يرى أفلوطين أن النفس جوهر شريف يختلف عن الجسم ، وهو من عنصر اسمى من عنصر الجسم ، هبط إليه من العالم الأعلى ليتخذه مقرا له ، ردحا من الزمن ثم يغادره إلى عالمه الآخر ، وهو بهذا يخالف أرسطو الذى يرى أن النفس ليست إلا صورة بسيطة للجسم بدون عقل ولا إرادة ، ولا حساسية إلا وهى فيه ويخالف الاستونيسيين الذين يقولون بأن النفس مكونة من عنصر النـــار الذى تتكون منه كل العناصر الأخرى وهى عند أفلوطين خالدة به ، فاذا فارقت الجسم ذهبت إلى عالمها . وهى فى هذا لا تفقد شيئا من جوهرها ، بل إنما تفقد شخصيتها واستقلالها إذ أنها تصبح جزءا من النفسية العامة أما تعقلها وإرادتها واحساسها ، فهى ثابتة . لا شك فى ذلك به وآية نشاطها المستمر الدائم الذى نشاهده عليها ، غير أنها تستمد هذه الصفات كلها من النفس العامة التى هى متصلة بها اتصالا دائما حتى فى أثناء وجودها فى الجسم . لكن هذه النفس يمكن أن تهوى إلى حضيض الآثام

وكذلك العقل دائرة استدارت على مركزها ، وهو الخير الأول المحض (١)

إذا تركت ذاتها تنسحب مع تيار اللذات ، خاضعة لحكم الشهوات ، فاذا انغمست فى هذا وشربت هواها ، فلا تطهر إلا باعادتها بعد موتها إلى جسم أحط مما كانت فيه وقت اثمها ، وقد يتكرر هذا إلى حد معين ترجع بعده النفس الانسانية إلى اللحوق بالنفس العامة ، وهكذا يعود إليها نقاؤها وبهاؤها الذى هو جوهرها الأول والنفس البشرية إذا أرادت أن تفوز بنقائها وبهائها ، وأن تستمع بصوت عالمها السماوى وجب عليها أن لا تصيخ إلى سماع الأصوات الأرضية ، وأن لا تشغلها زخارف الحياة وزخاريها ، فتزهد فى لذات الحياة ومتعها ، هذا وان افلوطين فى تناسخه متأثر برأى فيثاغوراس فى تناسخه .

(١) يرى ، افلوطين ؛ أن أول شىء أنيق من الواحد ، هو العقل وهذا العقل له وظيفتان ، وظيفة التفكير فى الله ، ووظيفة التفكير فى نفسه ، وقد خلع أفلوطين على هذا العقل شيئا من خصائص المثال الذى شرحه أفلاطون ، من هذا العقل انبثقت نفس العالم ، وهى ليست مجسدة ولا قابلة للقسمة ، ولهذا النفس ميلان فيمتل علوا إلى الواحد وتميل سفلا إلى عالم الطبيعة ، وقد انبثقت منها النفوس البشرية التى تسكن هذا العالم فنفس العالم كالعقل تنمى إلى العالم الالهى الروحانى الذى يقع فوق الحس ، وهى تعيش عيشة خالدة لا تحدها حدود الزمن إلا أنها دون العقل درجة فهى تقف على هامش العالم الروحانى قريبة من حدود هذا العالم المحسوس ، ولو أنها ليست جثمانية فى ذاتها إلا أنها تميل إلى الأشياء الجثمانية فتنظر إليها وهى تقف بين الأشياء من جهة ومن العقل من جهة أخرى وسيطا تنقل العلل والأسباب التى تبدأ من العقل فتوصلها إلى الأشياء ، من هذه النفس الأولى أو نفس العالم خرجت نفس ثانية أسماها أفلوطين بالطبيعة وهذه النفس الثانية هى التى تشترك ، وحدها مع العالم المادى كما تمتزج نفوسنا مع جسومنا ، وهذه النفس الأخيرة التى هى عبارة عن النفوس الجزئية ، الموزعة على الكائنات هى أدنى مراتب العالم الروحانى ، والخطوة التى تليها مباشرة هى المادة التى هى أبعد الكائنات عن الكمال ويقول أفلوطين إن انبثاق النفوس الجزئية عن نفس العالم هو كانبثاق الضوء من مركزه ، وكلما بعد عن المركز ضعف حتى يصير ظلاما وهذا الظلام التام الذى انحسرت عنه ضوء النفس ، هو المادة ، فالمادة ضوء سلبى ، وهكذا يسبح أفلاطين فى خيالاته الشعرية (قصة الفلسفة اليونانية ص ٣٣٦)

غير أن النفس والعقل وإن كانا دائرتين ، لـكن دائرة العقل لا تتحرك أبدا ، بل هي ساكنة دائمة شبيهة بمركزها ، وأما دائرة النفس فانها تتحرك على مركزها ، وهو العقل حركة الاستكمال ، وعلى أن دائرة العقل ، وإن كانت دائرة شبيهة بمركزها ، لـكنها تتحرك حركة الاشتياق ، لأنها تشتاق إلى مركزها ، وهو الخير الأول ، وأما دائرة العالم السفلى فإنها دائرة تدور حول النفس ، واليها تشتاق ، وانما تتحرك بهذه الحركة الذاتية ، شوقا إلى النفس ، كشوق النفس إلى العقل ، وشوق العقل إلي الخير المحض الأول ، ولأن دائرة هذا العالم جرم ، والجرم يشتاق إلي الشيء الخارج منه ، ويحرص إلى أن يصير اليه فيعانقه ، فلذلك يتحرك الجرم الأقصى الشريف حركة مستديرة لأنه يطلب النفس من جميع النواحي لينالها فيستريح اليها ويسكن عندها .

وقال ليس للمبدع [1] الاول تعالي صورة ولا حلية ، مثل صور

---

(١) فأفلوطين قد رفع الاله المبدع الأول عن عدم استحداثه للعالم ، وعن جهله به اللذين هفا فيهما أرسطو ، ونزهه عن مرادفته الطبيعة وحلولية الجزئية ، اللتين سقطت فيهما المدرسة الاستونيسية وقد أكبره ، وأجله عن هذا ، وأحاطه بسياج من التعظيم ، والتقديس ، فقال عن المبدع الأول : هو الوحدة المطلقة وهو الاله الذى يستحيل وصفه كما يستحيل حده فلا هو عقل ولا روح ولا متحرك ولا ثابت وليس له زمان ولا مكان لأنه يتجاوز بعظمته وجلاله كل الادراكات البشرية تجاوزا لآيتنا هى ، وهو الواحد الاوحد وهو مع كونه كل شئ ليس واحدا من هذه الأشياء ، لأنه لا يمكن أن يكون أحد الـكائنات التى هو جوهرها جميعها .

الأشياء العالية، ولا مثل صور الأشياء السافلة، ولا له قوة مثل قواها لكنه فوق كل صورة وحلية وقوة، لانه مبدعها بتوسط العقل، وقال المبدع الحق ليس شيئا من الاشياء بل هو جميع الاشياء، لأن الاشياء منه، وقد صدق الأفاضل الأوائل فى قولهم مالك الاشياء كلها هو الأشياء كلها، إذ هو علة كونها بانه فقط وعلة شوقها اليه وهو خلاف الأشياء كلها، وليس فيه شىء مما أبدعه ولا يشبه شيئا منه، ولو كان ذلك لما كان علة الأشياء كلها، وإذا كان العقل واحدا من الأشياء فليس فيه عقل ولا صورة ولا حلية، بل إنه أبدع الاشياء فقط، وبانه يعلمها ويحفظها ويدبرها لا بصفة من الصفات (١)، وإنما وصفناه بالحسنات والفضائل لأنه

بله إن الاله، متصف بكل صفات الكمال من قدرة وعلم وجمال وانسجام، وهو عندها منشىء الكون ومحركه والعالم بكل دقائقه وخفاياه. وأن خلقه إياه تفضل منه وإحسان، وليس خضوعا لضرورة أو إذعانا لطبيعة، أو تكميلا لصفات كانت تظل ناقصة لو لم يخلق العالم ولهذا يقول افلوطين فى المقالة الخامسة «لو لم يكن للعالم وجود لما وجدت في ذات المبدأ قصور.

(١) فهو يرى أن الذى صدر عنه العالم واحد لا تدركه العقول، ولا تكنهه الأفكار، لا يحده حد وهو أزلى أبدى، قائم بنفسه فوق المادة وفوق الروح، وفوق العالم الروحانى خلق الخلق، ولم يحصل فيما خلق. بل ظل قائما بنفسه على خلقه، ليس ذاتا وليس صفة، هو الارادة المطلقة لا يخرج شىء عن إرادته، هو علة العلل ولا علة له وهو فى كل مكان، ولا مكان له، ولما كان الشبه منقطعا بينه وبين الاشياء، لم نستطع أن نصفه إلا بصفات سلبية فهو ليس مادة، وهو ليس حركة

علتها وأنه الذى جعلها فى الصور فهو مبدعها ، وقال إنما تفاضلت الجواهر العالية العقلية لاختلاف قبولها من النور الأول (جل وعز) . فلذلك صارت ذوات مراتب شتى ، فمنها ما هو أول فى المرتبة ، ومنها ما هو ثان ، ومنها ما هو ثالث ، فاختلفت الأشياء بالمراتب ،

وليس سكونا ، وليس فى زمان ولا فى مكان وليس صفة لأنه سابق لكل الصفات . ولو أضيفت إليه صفة ما ، لكان ذلك تشبيها له بشىء من مخلوقاته فلسنا نعلم عن طبيعة الله شيئا ، إلا أنه يخالف كل شىء ، ويسمو على كل شىء ولأن الله فوق المعالم ، ولأنه غير محدود ، لا يمكنه أن يخلق العالم مباشرة وإلا لاضطر إلى الاتصال به مع أنه بعيد عنه ولا ينزل إلى مستواه ، ولأنه واحد لا يمكن أن يصدر عنه العالم المتعدد ، ولا يستطيع أن يخلق الله العالم لأن الخلق عمل ، أو إنشاء شىء لم يكن وذلك يستدعى التغيير فى ذات الله تعالى ، والله لا يتغير ، وهو يذهب إلى أن الكون قد انبثق من الله تعالى : انبثاقا طبيعيا بحكم الضرورة ، ولكن ليس فى هذه الضرورة اى معنى من معانى ، الاضطرار والالزام وليس فى الخلق معنى الحدوث ، وليس تقتضى تغييرا في الله ومن هذا يرى ، وأفلوطين من أعلام الأفلاطونية الحديثة ، أنه يحاول لوضع فلسفة دينية ، أو دين مفلسف ، إذ أنه قد تأثر بأفكار الشرق . فكانت آراؤه فلسفية ودينية ، يونانية وشرقية ، وساعده على هذا . ودفعه اليه ، انتشار مذهب الشك فى عصره ، فاذا أيقن العقل أنه لا يستطع الوصول إلى الحق . بتفكيره . وبحثه ، حاول أن يعرفه بكشفه ولقافته،وزكانته ولقانته فلجأ الى الكشف والالهام ، وإذ أنه يرى أن التفكير المنطقى لم يفده ، أمل فى أن تفيده الغيبوبه الروحية والصفاء النفسي فكان مذهبه يدفعه إلى ان يبحث بحثا مشوبا بالألهام ، غارقا فى بحره ، مستشرفا ، إلى الاطلاع على المغيبات وخوارق العادات . واستعان على ذلك بما كان منتشرا ، فى عصره من العناية ، بالسحر والتنجيم ، والطلسمات والتعزيم ، والأدعية . ونحو ذلك ; مما هو قريب من الفكرة الشرقية المتأثرة بالأثر الدينى ، فذهبه أقرب إلى النمط الدينى منه الى النمط الفلسفى ،

والفصول لا بالمواضع ، والأماكن . وكذلك الحواس تختلف بأماكنها؛ على أن القوى الحاسة فانها مما لا تفترق بمفارقة الآلة .

وقال المبدع ليس بمتناه ، لا كأنه جثة بسيطة ، وانما عظم جوهره بالقوة والقدرة لا بالكمية والمقدار ، فليس للاول صورة ولا حلية ، ولا شكل ، فلذلك صار محبوبا معشوقا تشتاقه الصور العالية والسافلة وإنما اشتاقت اليه صور جميع الأشياء ، لأنه مبدعها ، وكساها من وجوده حلية الوجود ، وهو قديم دائم على حاله لا يتغير والعاشق يحرص على أن يصير اليه ، ويكون معه ، وللمعشوق الأول عشاق كثيرون ، وقد يفيض عليهم كلهم من نوره من غير أن ينقص منه شيء ، لأنه ثابت قائم بذاته لا يتحرك ، وأما المنطق الجزئي فانه لا يعرف الشيء إلا معرفة جزئية . وشوق العقل الأول إلى المبدع الأول أشد من شوق سائر الأشياء؛ لأن الاشياء كلها تحته ، وإذا اشتاق اليه العقل لم يقل للعقل لم صرت مشتاقا إلى الأول ، إذ العشق لا علة له ، فأما المنطق الذى يختص بالنفس فيفحص عن ذلك ، ويقول إن الأول هو المبدع الحق ، وهو الذى لا صورة له ،وهو مبدع للصور ، فالصور كلها تحتاج اليه فتشتاق اليه ، وذلك أن كل صورة تطلب مصورها وتحن اليه .

وقال إن الفاعل الاول أبدع الاشياء كلها بغاية الحكمة ، لا يقدر أحد أن يتأول علل كونها ولم كانت على الحال التى هى الآن عليها ،

ولا أن يعرفها كنه معرفتها ، ولم صارت الارض فى الوسط ، ولم كانت مستديرة ولم تكن مستطيلة ولا منحرفة ، إلا أن يقول إن البارى صيرها كذلك ، وإنما كانت بغاية الحكمة الواسعة لكل حكمة ، وكل فاعل يفعل بروية وفكرة لا بانيته فقط ، بل بفضل منه فلذلك يكون فعله لا بغاية الثقافة والاحكام ، والفاعل الأول لا يحتاج فى ابداع الاشياء إلى روية وفكرة ، وذلك أنه ينال العلل بلا قياس بل يبدع الأشياء ويعلم عللها قبل الروية والفكر والعلل والبرهان والعلم والقنوع وسائر ما أشبه ذلك إنما كانت أجزاء ، وهو الذى أبدعها وكيف يستعين بها وهي لم تكن بعد .

حكم ثاوفرسطيس(١)

كان الرجل من تلامذة أرسطوطاليس وكبار أصحابه ، واستخلفه

---

(١) ثاؤ فرسطس ، أو ثيوفرستوس . فيلسوف يوناني ولد في افسس فى جزيرة لسبوس حوالى سنة ٣٧٢ ق م وكان اسمه الأصلى ثيرتاموس ، وربما لقب بثيوفرستوس لفصاحته ، وقد أخذ العلم فى أثينا عن أفلاطون وأرسطو ، وخلف أرسطو فى الليسيوم وكانت تلامذته من جميع بلاد اليونان وقد بلغت تلاميذه فى وقت من الأوقات ألفى تلميذ ، وقد كان له نفوذ عظيم فى الأمور العامة ، مما أثار عليه حربا من حاسديه ومنافسيه فدبروا له تهمة وقفته فى الاريوباغوس ، فدافع عن نفسه أمام قضاته دفاعا حارا ، فاطلق سبيله ، ومن ثم أخذ يعلم ويلقن تلاميذه فى سكون وهدوء إلى سنة ٣٠٥ ق م إلى أن وضع سوفكلس بن امفيكليذس قانونا يمنع الفلاسفة من تعليم الفلسفة دون أمر من الحكومة ، ومن خالف فعقابه الموت ، فخرج ثيوفرستوس

على كرسى حكمته بعد وفاته ، فكانت المتفلسفة تختلف إليه وتقتبس منه ، وله كتب الشروح الكثيرة ، والتصانيف المعتبرة وبالخصوص في الموسيقا فمما يؤثر عنه أنه قال ، الالهية لا تتحرك ، ومعناه لا تتغير ولا تتبدل لا فى الذات ولا فى صفات الأفعال ، وقال السماء مسكن الكواكب والأرض مسكن الناس ، على أنهم مثل وشبه لما فى السماء فهم الآباء (والعناصر) والمدبرون ولهم نفوس وعقول مميزة ، وليس لها أنفس نباتية فلذلك لا تقبل الزيادة والنقصان ، وقال الغناء فضيلة في المنطق

من أثينا ولكن فى السنة التالية سنة ٣٠٤ ق م ، ألغى هذا القانون فرجع إلى أثينا وقد عاد سيرته الأولى ، وقد ألف تآليف عدة فى السياسة والشريعة والقضاء والخطابة وقد عفى عليها الزمن وذهبت ضياعا ، وقد ألف خطابا فى الحواس والتخيل وكتابا فيما وراء الطبيعة والأخلاق وكتابين فى النبات أحدهما فى تاريخه والآخر فى علله ولا يزالان محفوظين . وكتابه فى الأخلاق يتضمن ثلاثين صفة من صفات الرذائل العامة فى البشر ، وقد طبع ما بقى من تآليفه أولا مع تآليف أرسطو فى البندقية سنة ١٤٩٥ وسنة ١٤٩٨ وقد ترجمت الى الفرنسية وطبعت سنة ١٦٨٨ والى الانكليزية وطبعت فى لندن سنة ١٨٢٤ ويقول فى أخبار الحكماء ثاو فرسطس الحكيم كان ابن أخى أرسطو طاليس وأحد تلاميذه الآخذين عنه وأحد الأصفياء الأوصياء الذين أوصى إليهم أرسطو طاليس وهو الذى تصدر بعده للاقراء بدار التعلم وكان فهما عالما حاذقا وقرئت عليه كتب عمه . وصنف التصانيف الجليلة واستفيدت منه من نقلت عنه ، وتصانيفه كتاب الآثار العلوية مقالة واحدة وكتاب الأدب مقالة واحدة وكتاب ما بعد الطبعة مقالة واحدة نقلها يحى بن عدى وكتاب الحس والمحسوس نقله ابراهيم بن بكوس أربع مقالات وكتاب أسباب النبات نقله ابراهيم بن بكوس ، ومما ينحل اليه كتاب قاطيفورياس هذا وقد توفى سنة ٢٨٧ ق م (دائرة معارف البستانى سادس ص ٣٤٤ أخبار الحكماء ص ٧٥) .

أشكلت على النفس ، وقصرت عن تبين كنهها فأبرزتها لحونا ، وأثارت بها شجونا ، وأضمرت فى غرضها فنونا وفتونا وقال الغناء شيء يخص النفس دون الجسم فيشغلها عن مصالحها كما أن لذة المأكول والمشروب شيء يخص الجسم دون النفس ، وقال إن النفوس إلى اللحون إذا كانت محجبة أشد اصغاء منها إلى ما قد تبين لها وظهر معناه عندها ، وقال العقل نحوان أحدهما مطبوع والآخر مسموع فالمطبوع منها كالأرض والمسموع منها كالبذر والماء ، فلا يخلص للعقل المطبوع عمل دون أن يرد عليه العقل المسموع ، فينبهه من نومه ، ويطلقه من وثاقه ، ويقلقله من مكانه ، كما يستخرج البذر والماء ما في قعر الأرض ، وقال الحكمة غنى النفس ، والمال غنى البدن ، وطلب غنى النفس أولى لانها إذا غنيت بقيت ، والبدن إذا غنى فني ، وغناء النفس ممدود وغناء البدن محدود ، وقال ينبغي للعاقل أن يدارى الزمان مداراة رجل لا يسبح فى الماء الجارى إذا وقع ، وقال لا تغبطن بسلطان من غير عدل ، ولا يغني من غير حسن تدبير ، ولا ببلاغة فى غير صدق منطق ، ولا بجود فى غير اصابة موضع ، ولا بأدب فى غير إصابة رأي ، ولا بحسن عمل في غير خشية .

شبه برقليس[1]

فى قدم العالم ان القول فى قدم العالم وأزلية الحركات بعد إثبات

(١) وبرقلس أو بروكلوس فيلسوف يونانى أفلاطونى ، ولد فى القسطنطينية سنة

الصانع والقول بالعلة الأولى إنما ظهر بعد ارسطوطاليس ، لأنه خالف القدماء صريحا وأبدع هذه المقالة على قياسات ظنها حجة وبرهانا ،

---

٤١٢ م أقام فى صباه فى زنتوس من ليسيا ثم أقام عدة سنين فى الاسكندرية يأخذ عن أشهر المدرسين وقبل أن يصل إلى العشرين رحل إلى أثينا وخلف سريانوس فى مدرسة أثينا بعد وفاته ، ومن ثم يعرف أحيانا بديادوفس أى الخلف وتمسك بمذهب التزهد الذى كان شائعا فى المدرسة الأفلاطونية وامتنع عن الأطعمة الحيوانية ورفض الزواج وصرف أمواله بسخاء في الأعمال الخيرية ، وكان يحافظ على الصيام وأحياء الليل وكان يعبد الشمس والقمر وأرواح الأبطال والفلاسفة حتى أرواح جميع البشر وكان يقوم بجميع الأعياد الدينية الهامة في أى أمة من الأمم ، وفوق رياضاته الدينية يقوم كل يوم بخطب خمس وكان مشهورا فى الرياضيات والعلوم اللغوية وتآليفه الباقية أكثرها شروح وبخاصة شروحه على كتب أفلاطون ومن تآليفه الأصلية كتاب عنوانه اثنان وعشرون برهانا ضد المسيحيين ، حاول به أن يثبت أبدية الكون . وكانوا يعتبرون تآليفه من أبين تآليف أهل مذهبه ، وأما فلسفته فلم تكن ذات شهرة واعتبار كبيرين ، ولم تصل إلينا من تآليفه وكتاباته مجموعة كاملة وقد ترجمت منها عدة إلى الانكليزية ، وفى أخبار العلماء برقلس أفلاطونى وهو القائل بالدهر الذى تجرد للرد عليه يحي النحوى بكتاب كبير صنفه فى ذلك وذكر يحي فى المقالة الأولى من الرد عليه أنه كان فى زمان دقلطيانوس القبطى وكان برقلس متكلما عالما بعلوم القوم أحد المتصدرين فيها ، وله تصانيف كثيرة فى الحكمة منها كتاب حدود أوائل الطبيعيات وكتاب شرح أفلاطون ان النفس غير مائتة وكتاب الثاؤلوجيا وهى الربوبية وكتاب فى المثل الأفلاطونية وغيرها . وفى المنارة التاريخية فروقلوس ، وقد حضر إلى الاسكندرية للدرس فيها ، فقرأ فلسفة أرسطو على أولمبيودوروس والرياضيات على هيرو والبيان على ليوناس والمنطق على أوريون الذى كان يفتخر بأنه من نسل كهنة ثيبة ودرس اللغة اللاتينية بمدرسة الرومان ونبغ فيها ، ثم مال لدرس فلسفة أفلاطون فلحق بسيرانوس فى أثينا ، وفيها صنف كتبه الرياضيات والفلسفة الأفلاطونية على منهج خاص له وقد توفى بأثينا سنة ٤٨٥ م (دائرة معارف البستاني خامس ص ٣٩٣ أخبار العلماء ص ٦٣ المنارة التاريخية ص ١٧٥) .

فنسج على منواله من كان من تلامذته ، وصرحوا القول فيه ، مثل الاسكندر الافروديسى وثامسطيوس وفرفوريوس وصنف[١] برقلس المنتسب إلى أفلاطون فى هذه المسئلة كتابا وأورد فيه هذه الشبه ، وإلا فالقدماء إنما أبدوا فيه ما نقلناه سابقا .

(الشبهة الأولى) قال البارى تعالى جواد بذاته وعلة وجود العالم جوده ،ووجوده قديم لم يزل فيلزم أن يكون وجود العالم قديما[٢] لم يزل

---

(١) قد نظم شبههفي كتاب ، وهذا الكتاب وكتابه فى العناية وفى القدر ، وكتابه فى الشرور وقيامها بأنفسها ، هذه الكتب الثلاثة ضاعت أصولها اليونانية ولم يبق سوى ترجمتها اللاتينية بقلم جيوم دى موريكى فى القرن الثالث عشر (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٩٩) .

(٢) ذهب فى قدم العالم كما يزعمونه لأرسطو . من أنه يقول بقدم العالم ، وقد بينا آنفا أنه ذكر ذلك القول على سبيل المثال . لا على سبيل العقيدة وابن سينا يميل فى اشاراته الى رأى الفلاسفة من القول بقدم العالم وينافح عنه . والقول بقدم العالم يتجانف وأصول الدين ، اذ أنه يؤدى الى اثبات قديمين . ويمنع البارى . من صفة الابداع وهو الذى أبدع كل شىء خلقه . والابداع هو خروج من العدم إلى الوجود . وآيته ما نراه . من بدائع صنع الله . وقد قال علماء الكلام ذلك . واستدلوا على وجود الله عز وجل بحدوث العالم . قالوا اذا كان العالم حادثا فهو بحاجة الى محدث لأنه لا يعقل أن يحدث العالم من غير أن يكون . له مبدع فالا له اذن موجود لان العالم حادث هذا الى أن المتكلمين . يذهبون إلى أن العالم لو كان قديما لكان كل حادث يفرض موجودا يكون مسبوقا بحادث ، وهكذا الى غير نهاية فيلزم من ذلك أن نقول بحوادث لا نهاية لها فى الوجود والقول بحوادث لا نهاية لها باطل لان كل حادث منها فهو موجود . فتكون لها كلية حاصرة لافرادها ومنحصرة فى الوجود والانحصار فى الشىء يتنافى مع كونه غير متناه فان قيل أن الحوادث متعاقبة فليست

ولا يجوز أن يكون مرة جوادا ومرة غير جواد ، فانه يوجب التغير في ذاته فهو جواد لذاته لم يزل قال ولا مانع من فيض جوده ، إذ لو كان مانع لما كان من ذاته بل من غيره وليس لواجب الوجود لذاته حامل على شيء ولا مانع من شيء .

(الشبهة الثانية) قال ليس يخلو الصانع من أن يكون لم يزل صانعا بالفعل ، أولم يزل صانعا بالقوة ، بان يقدر أن يفعل ولا يفعل ، فإن كان الاول فالمصنوع معلول لم يزل وإن كان الثاني فما بالقوة لا يخرج إلي الفعل إلا بمخرج ومخرج الشيء من القوة إلى الفعل غير ذات الشيء فيجب أن يكون له مخرج من خارج مؤثر فيه فلذلك ينافي كونه صانعا مطلقا لا يتغير ولا يتأثر .

(الشبهة الثالثة) قال كل علة لا يجوز عليها التحرك والاستحالة فإنما يكون علة من جهة ذاته ، لا من جهة الانتقال من غير فعل إلى فعل ، وكل علة من جهة ذاته فمعلولها من جهة ذاتها ، وإذا كانت ذاتها لم تزل فمعلولها لم يزل .

منحصرة من حيث هي كلية قلنا ان لم تكن منحصرة فهي في حكم المنحصرة اذ قد وجد فرد من أفرادها وثمة آية على بطلان القول بحوادث لانهاية لها . فانه لايمكن مع هذا أن يوجد حادث بعد ذلك . لتوقفه على ما لانهايه له من الحوادث التي قبله . وكيف تنقضي وهي أمور مرتبة غيرمتناهية . هذا والعقل يحكم بزيادة عدد الحركات . كلما جد حادث لم يكن ، فانه قلنا بحوادث لا نهاية لها . فكيف تقبل الزيادة وغير المتناهي لا يزيد كما أنه لا ينقص فالقول بحوادث لا نهاية لها باطل . لاستحالة ما يترتب عليه والقول بالقدم المستلزم له باطل أيضا . فلا ريب في أن العالم حادث وليس بقديم

(الشبهة الرابعة) قال إن كان الزمان لا يكون موجودا الا مع الفلك ولا الفلك إلا مع الزمان ، لان الزمان هو العاد لحركات الفلك ، ثم لا جائز أن يقال متى وقبل الا حين يكون الزمان موجودا ، وَمتي وقبل أبدى فالزمان أبدى ، فحركات الفلك أبدية فالزمان أبدي .

(الشبهة الخامسة) قال إن العالم حسن النظام ، كامل القوام ، وصانعه جواد خير ، ولا ينقض الجيد الحسن الاشرير ، وصانعه ليس بشرير ، وليس يقدر على نقضه غيره ، فليس ينتقض أَبدا ، وما لا ينتقض أَبدا كان سرمديا .

(الشبهة السادسة) قال لما كان الكائن لا يفسد إلا بشيء غريب يعرض له ، ولم يكن شيء غير العالم خارجا منه يجوز أَن يعرض فيفسد ، ثبت أنه لا يفسد ، وما لا يتطرق اليه الفساد لا يتطرق اليه الكون والحدوث فان كل كائن فاسد .

(الشبهة السابعة) قال إن الأشياء التى هى فى المكان الطبيعى لا تتغير ولا تتكون ولا تفسد ، وإنما تتغير وتتكون وتفسد إذا كانت فى أماكن غريبة فتتجاذب إلي أماكنها ، كالنار التى فى أجسادنا تحاول الانفصال إلى مركزها فينحل الرباط ، فيفسد فاذا الكون والفساد ، إنما يتطرق إلي المركبات لا إلى البسائط التى هى لأركان فى أماكنها ولكنها هى بحالة واحدة وما هو بحال واحد فهو أَزلى .

(الشبهة الثامنة) قال العقل والنفس والأفلاك تتحرك على الاستدارة

والطبائع تتحرك إما على الوسط، وإما إلى لوسط على الاستقامة، وإذا كان كذلك كان التفاسد فى العناصر إنما هو لتضاد حركاتها والحركة الدورية لاضد لها، فلم يقع فيها فساد، قال وكليات العناصر إنما تتحرك على استدارة، وإن كانت الاجزاء منها تتحرك على الاستقامة فالفلك وكليات العناصر لا تفسد، وإذا لم يجز أن يفسد العالم لم يجز ان يتكون وهذه الشبهات هى التى يمكن أن تقال فتنقض وفى كل واحدة منها نوع مغالطة وأكثرها تحكمات[١] وقد أفردت لها كتابا[٢] أوردت فيه

---

(١) فبرقلس، قد غلا فى المزج بين الفلسفة والرياضيات، وكان يجل أساطير اليونانيين والشرقيين وعقائدهم وقد حفلت بها كتبه فى جدل دقيق. وأهم نقطة جوهرية فى مذهبه ان كل حد من حدود الصور فهو قائم فى مبدئه ثم خارج منه. ثم راجع إليه. فان كلا منها حاصل على شىء مشترك بينه وبين مبدئه المباشر طبقا لمقتضى العلية وعلى شىء مباين يميزه منه. فبموجب الاشتراك يظل فى مبدئه وبموجب التمييز يخرج منه. وبموجب شوقه إلى الخير بالذات يتوجه صوب مبدئه أى يرجع إليه فكل حد ينقسم قسمة ثلاثية وهكذا فى إسراف كبير. أما وجود الشر فى العالم فلم ترده الآلهة فالشر ناشىء من نقص المراتب الوسطى والدنيا وقصورها عن قبول الخير الالهى وهذا النقص ضرورة ميتافيزيقية من حيث ان المنقسم والكثير يجىء بالضرورة بعد الواحد البسيط والمتحرك بعد الثابت والممتزج بعد النقى ولا يمكن أن نقول إن المادة رديئة وأن نضيف الشر اليها لأنها هى أيضا خلقتها الآلهة لضرورتها للعالم (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٣٠٠)

(٢) وليحيى النحوى رسالة عنوانها فى قدم العالم تضمنت الرد على برقلس فيما ذهب اليه من القول بقدم العالم. وهو رأى ادعى أخذه عن الأفلاطونيين وفى هذا الرد اعتمد يحيى النحوى على محاولة لغوية له كى يحمل أفلاطون فى نص من نصوص كتابه طيماوس متعلقا بالعالم على أن أفلاطون يريد أن العالم فى نشأته مسبوق بزمان

شبهات أرسطوطاليس وهذه تقريرات أبي على ابن سينا ، وقد نقضتها على قوانين منطقية ، فليطلب ذلك .

ومن المتعصبين لبرقلس من مهد عذرا فى ذكر هذه الشبهات[1] وقال إنه كان يناطق الناس منطقين ، أحدهما روحاني بسيط ، والآخر جسمانى مركب ، وكان أهل زمانه الذين يناطقونه جسمانيين ، وإنما دعاه إلى ذكر هذه الأقوال مقاوَمتهم إياه ، نخرج عن طريق الحكمة ، وَالفلسفة من هذه الجهة ، لأن من الواجب على الحكيم أن يظهر العلم على طرق كثيرة ، يتصرف فيها كل ناظر بحسب

وبجانب تعويله على أفلاطون فى اثبات حدوث العالم والرد على قدمه ، ذكر شيئا من نصوص الانجيل حتى تكون الحكمة موافقة للدين والدين موافقا للحكمة فيما ذهب إليه ، وحتى يثبت بالتالى نتيجة إيمانه بالمسيحية واشتغاله بالفلسفة . وكتابه الرد على برقلس ثمان عشرة مقالة ، وكان يحيى قويا فى علم النحو والمنطق والفلسفة (الجانب الالهى من التفكير الاسلامى أول ص ١٧٢ طبقات الاطباء أول ص ١٠٥) .

(١) فهو بشبهاته يذهب بما يذكره فيها من أدلة إلى قدم العالم ، ويدلل عليه بما يذكره مازجا أدلته بعقيدة وجود الخالق عز وجل وهذا ما تأباه طبيعة الدين وما ينطق به القرآن الكريم ، من الآيات الصريحة التى تثبت الاختيار لله عز وجل وليس ما يدعو إلى القول بالقدم دون الحدوث وهذا يساير طبيعة الخلق وما ثبت لله عز وجل من إرادة واختيار ، وقد تعلقت ارادة الله تعالى منذ الأزل أن يخلق العالم فى وقت معين ، فاذا جاء الوقت تم الخلق ولا يتوقف ذلك على حدوث أمر آخر هذا وقدم العالم يتنافى مع كونه مخلوقا فوق ما ذكرناه من أنهما تتنافى ، وطبيعة الدين التى تكشف عن ارادة الله واختياره يتصرف فى كونه كما يشاء ، ويفعل فى خلقه كما أراد فهو مالك الملك بيده الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين .

نظره ويستفيد منها بحسب فكره ، واستعداده ، فلا يجدوا على قوله مساغا ولا يصيبوا مقالا ولا مطعنا ، لأن برقلس لما كان يقول بدهرية هذا العالم وأنه باق لا يدثر ، وضع كتابا فى هذا المعنى ، فطالعه من لم يعرف طريقته ، ففهموا منه جسمانية قوله دون روحانيته ، فنقضوه على مذهب الدهرية ، وفى هذا الكتاب يقول لما اتصلت العوالم بعضها ببعض ، وحدثت القوى الواصلة فيها ، وحدثت المركبات من العناصر حدثت قشور واستبطنت لبوب ، فالقشور داثرة ، واللبوب قائمة دائمة ، ولا يجوز الفساد عليها لأنها بسيطة وحيدة القوى ، فانقسم العالم إلى عالمين ، عالم الصفوة واللب ، وعالم الكدورة والقشر ، فاتصل بعضه ببعض ، وكان آخر هذا العالم من بدء ذلك العالم ، فمن وجه لم يكن بينهما فرق ، فلم يكن هذا العالم داثرا إذا كان متصلا بما ليس يدثر ، ومن وجه دثرت القشور ، وزالت الكدورة ، وكيف تكون القشور غير داثرة ولا مضمحلة ، وما لم تزل القشور باقية كانت اللبوب خافية .

وأيضا فإن هذا العالم مركب ، والعالم الأعلى بسيط ، وكل مركب ينحل حتى يرجع إلى البسيط الذى تركب منه ، وكل بسيط باق دائما غير مضمحل ولا متغير ، قال الذى يذب عن برقلس هذا الذى نقل عنه هو المقبول عن مثله ، بل الذى أضاف اليه هذا القول الأول لا يخلو من أحد أمرين إما أنه لم يقف على مرامه ، للعلة التى ذكرنا فيما سلف ، وإما

أنه كان محسودا عند أهل زمانه لكونه بسيط الفكر، وسيع النظر سائر القوى، وكان أولئك أصحاب أوهام وخيالات، فانه يقول فى موضع من كتابه، إن الأوائل منها تكونت العالم، وهى باقية لا تدثر ولا تضمحل، وهي لازمة الدهر، ما سكة له، إلا أنها من أول واحد لا يوصف بصفة، ولا يدرك بنعت، ونطق؛ لأن صور الأشياء كلها منه وتحته وهو الغاية، والمنتهى[1] التى ليس فوقها جوهر، هو أعظم منها إلا الأول الواحد، وهو الأحد الذي قوته أخرجت هذه الأوائل، وقدرته أبدعت هذه المبادي.

---

(١) فهو يذهب فيما يتعلق بتطور الأصول مما هو وراء هذا العالم وما تتصل به اتصال تأثير وتدبير، وفيما يتعلق بنشأة العالم أن المعلول كامن فى العلة. منها يظهر وإليها يعود فيبرز من الأصل وبوجهة الخير يتجه نحو العلة الأصلية التى أخرجت الوجود جميعا بواسطة علته القريبة منه فقط، فنشأة العالم وتطوره كمون فى الأصل وخروج عنه وعود إليه، والأصل الأول الذى يخرج عن العالم هو الطبيعة القديمة أو الأول، أو الأول القديم أو العلة الأصلية أو الخير القديم ووجوده ضرورى البتة والحكم به ليس متوقفا على نظر الانسان وتأمله وكل كثرة فى هذا الكون انما مرجعها إلى هذا الواحد، وكل معلول فى هذا الكون فمرجعه فى نهايته إلى العلة الأخيرة وكل خير فى هذا الوجود فمرجعه إلى الخير المطلق، غير أنه يرى أن التعبير بالواحد أو بالعلة الأصلية أو بالخير عن الطبيعة الأولى الموحدة لم يكن من الدقة التى يعبر بها عنها، فان هذه الطبيعة الأولى فوق كل تعبير ودونها كل ما تنتظمه اللغة فانها لا تدرك، ولا تستكنه ولا يمكن وصفها بصفة أو نعتها بنعت بله أنه لا يستطاع التحدث عنها إذ هى الغاية والمنتهى وليس في طوقنا أن ننعتها أو نذكر كنهها، غير انا حين نصفها انما يكون بطريق التمثيل أو بالسلب كان نقول ليست هذا أو هى غير هذا، فهى فوق العقل وجلت عن التشبيه والمثال.

وقال أيضا الحق لا يحتاج إلى أن يعرف ذاته لانه حق حقا بلا حق ، وكل حق حقا فهو تحته إنما هو حق حقا ، اذ حقيقة الموجب له الحق ، فالحق هو الجوهر الممد ، للطباع ، الحياة والبقاء ، وهو أفاد هذا العالم بدءا وبقاء بعد دثور قشوره ، وزكي البسيط الباطن من الدنس الذى كان فيه قد علق .

وقال إن هـذا العالم إذا اضمحلت قشوره وذهب دنسه صار بسيطا روحانيا ، وبقى بما فيه من الجواهر الصافية النورانية فى حد المراتب الروحانية ، مثل العوالم العلوية التى بلا نهاية ، وكان هذا واحدا[1] منها وبقي جوهر كل قشر ودنس وخبث ، ويكون له أهل يلبسه ، لانهُ غير جائز أن تكون الانفس الطاهرة التى لاتلبس الادناس والقشور ، مع الانفس الكثيرة القشور فى عالم واحد ، وإنما يذهب من هذا العالم ما ليس من جهة المتوسطات الروحانية وما كان القشر والدنس عليه أغلب ، وأما ما كان من الباري تعالى بلا متوسط أو كان من متوسط بلا قشر ، فإنه لا يضمحل .

---

(١) فهو يرى أن هذا العالم مآله وآخر أمره إلى الصفاء والخيرية شبيها بالعالم الروحى فالشر ليس أبديا ، بل هو عارض . فبرأ الأول وهو البسيط الباطن من دنس العالم المنتشر فيه والعالق به إذ أن العالم إذا ماتغيرت قشوره وذهب دنسه ورجسه لحق بعالمه وصار بسيطا روحانيا تشع فيه الجواهر الصافية النورانية إذا ما تسنم المنزلة الروحية كعالمه الأعلى الذى هو بلا نهاية . وكان هذا العالم واحدا منها ، وفى هذا ما يطمئن النفوس على مستقبل هذا العالم ، لأن نهايته إلى صفاء وخير .

قال وإنما يدخل القشر على شيء من غير المتوسطات، فيدخل عليه بالعرض لا بالذات، وذلك إذا كثرت المتوسطات وبعد الشيء عن الإبداع الأول. لأنه حيثما قلت المتوسطات فى الشيء كان أنور وأقل قشورا ودنسا، وكلما قلت القشور والدنس كانت الجواهر أصفى والأشياء أبقى (١).

ومما ينقل عن برقلس أنه قال إن البارى عالم بالأشياء كلها أجناسها وأنواعها وأشخاصها وخالف بذلك ارسطوطاليس فإنه قال إنه يعلم أجناسها وأنواعها دون أشخاصها الكائنة الفاسدة، فإن علمه يتعلق بالكليات دون الجزئيات كما ذكرنا.

---

(١) وان نظرية برقلس فى النفس قد وردت عند فورفوريوس ويامبليخوس وغيرهما. ولكنه يبدو أنه أكثر تعمقا فيها وشرحا لها، فهو يذهب إلى أن وظيفة النفس أحياء الجسم. وهذه قضية أرسطو طاليه فيلزم أن يكون للنفس جسم دائم مثلها تؤدى فيه وظيفتها، وهو غير هذا الجسم المادى، وهذا الجسم يجب أن يكون أثيريا أو نورانيا وسطا بينها وبين جسمها المادى أو هو من المادية واللامادية كغلاف لها وهو غير حادث وغير فان وغير منفصل عنها، فهو يضع جسما آخر بين الجسم النورانى والجسم المادى مسايرة لمبدأ التوسط أو التدرج المتصل فوضع صلته فيهما وهذه الصلة هى الغلاف الذى يذكره، وهذا مبدأ أساسى فى الأفلاطونية الجديدة بله إنه يضيف إلى الجسم النورانى رؤية التجليات الآلهية التى تبدو لنا فى حالتى اليقظة والنوم. لأنه يرى أن هذه الرؤية ليست من فعل الجسم المادى. من حيث إن الآلهة لا ماديون وهو بناء على أن الصلة نورانية يرى أن الجسم النورانى يسمح للنفوس بالتعارف وتكون معرفة النفوس بعضها بعضا أوضح مما يسمح به الجسم المادى إذ أن غلاف الأشياء مادى مظلم (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٣٠٠).

ومما ينقل عنهُ فى قدم العالم قوله لن يتوهم حدوث العالم إلا بعد أن لم يكن فأبدعه البارى (تعالى)، وفى الحالة التى لم يكن لم يخل من حالات ثلاث، إما أن البارى (تعالى) لم يكن قادرا فصار قادرا وذلك محال لأنه قادر لم يزل، وإما أنه لم يرد فأراد، وذلك محال أيضا لأنه مريد لم يزل وإما أنه لم يقتض الحكمة وذلك محال أيضا لأن الوجود أشرف من العدم على الاطلاق فاذا بطلت هذه الجهات الثلاث تشابها فى الصفة الخاصة وهى القدم على أصل المتكلم أو كان القدم بالذات له دون غيره وان كانا معا فى الوجود والله الموفق.

رأى ثامسطيوس[1]

وهو الشارح لكلام أرسطوطاليس، وإنما يعتمد شرحه إذ كان

(١) ولد ثامسطيوس سنة ٣١٧ م. وقد تثقف بالقسطنطينيه، وعلم بها، وبمدن أخرى غربها. فأصاب شهرة واسعة، ونال حظوة كبيرة لدى الأباطرة المسيحيين وخاصة عند قسطنطين وتيودوس، فتقلد مناصب سياسية عالية مع بقائه على وثنيته ولما ولى الامبراطور ليوليانس أوجوليان، كان كاتباله، وكان قد ارتد إلى مذهب الفلاسفة عن النصرانية، وكان ثامسيطوس قد زين له ذلك، وحبذ بعثه الوثنية. وأيده. وكان من المحبذين له والمؤيدين، أما مصنفاته فقد ضاع الكثير منها. وقد فسر وشرح مؤلفات لأرسطو ففسر مقالتين من الكلام على أبو لوطيقا وهو تحليل العباس وشرح أثولوطيقا وهو البرهان شرحا تاما، وفسر مواضع من كتاب طوبيقا وهو علم الجدل، ويقال ان فى أبو طيقا وهو الشعر كلاما لثامسطيوس وفسر كتاب السماع وغير أولئك من كتب أرسطو، ولم يبق من شروحه على أرسطو سوي التحليلات الثانية والسماع الطبيعى والنفس السماء ومقالة اللام وهى الثانية عشر الخاصة بالإلهيات

أهدى القوم إلى إشاراته ورموزه، وهو على رأى أرسطوطاليس في جميع ما ذكرنا، من إثبات العلة الأولى. واختار من المذاهب فى المبادئ الأولى قول من قال إن المبادئ ثلاثة، الصورة والهيولى والعدم، وفرق بين العدم المطلق، والعدم الخاص، فان عدم صورة بعينها عن مادة يقبلها مثل عدم السفينة عن الحديد ليس كعدم السفينة عن الصوف، فإن هذه المادة لا تقبل هذه الصورة أيضا، وقال إن الأفلاك حصلت من العناصر الأربعة لأن العناصر حصلت من الأفلاك ففيها نارية وهوائية ومائية وأرضية، إلا أن الغالب على الأفلاك النارية، كما أن الغالب على المركبات السفلية هو الأرضية والكواكب نيرات مشتعلات حصلت تراكيبها على وجه لا يتطرق اليها الانحلال، لأنها لا تقبل الكون والفساد، والتغير والاستحالة، والا فالطبائع واحدة، والفرق يرجع إلى ما ذكرنا.

وتقل ثامسطيوس عن أرسطوطاليس وأفلاطون وثاوفرسطيس

من كتاب ما بعد الطبيعة، وقد شرح كتب أرسطو مع انه كان من رجال الأفلاطونية الحديثة، وقد كان يجمع بين أرسطو وأفلاطون ويرى أن مواضع الخلاف بينهما ليست شيئا يذكر بجانب المواضع المشتركة ويستشهد أحيانا بأفلاطون ويناصره، كما كان بعض أفلاطوني الاسكندرية يناصر أرسطو أحيانا فالعصر عصر تخير أو عصر توفيق بين آراء المدرسة اليونانية وكان له من الكتب غير التفاسير والشروح كتاب ليوليانس فى التدبير وكتاب الرسالة إلى يوليان الملك وكتاب النفس مقالتين (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٣٠٣ أخبار الحكماء ص ٧٥ فهرست ابن النديم ص ٣٥٥).

وفرفريوس وفلوطرخيس ، وهو رأيه فى أن العالم أجمع طبيعة واحدة عامة ، وكل نوع من أنواع النبات والحيوان مختص بطبيعة خاصة وحد الطبيعة العامة أنها مبدأ الحركة فى الأشياء والسكون فيها على الأمر الأول من ذواتها ، وهى علة الحركة فى المتحركات ، وعلة السكون فى الساكنات ، زعموا أن الطبيعة هى التى تدبر الأشياء كلها فى العالم حياته ومواته : تدبيرا طبيعيا ، وليست هي حية ولا قادرة ولا مختارة ، ولكن لا تفعل إلا حكمة وصوابا ، وعلى تمام صحيح وترتيب محكم .

قال ثامسطيوس قال أرسطوطاليس فى مقالة اللام إن الطبيعة تفعل ما تفعل من الحكمة والصواب وإن لم تكن حيوانا لأنها ألهمت من سبب هو أكرم منها وأومي ألا إن السبب هو الله (عز وجل)

وقال أيضا إن الطبيعة طبيعتان طبيعة مستعلية على الكون والفساد بكلياتها وجزئياتها ، يعنى الفلك والنيرات ، وطبيعة تلحق جزئياتها الكون والفساد لا كلياتها ، يريد بالجزئيات الأشخاص وبالكليات الاستقصات [١] .

رأى الاسكندر الافروديسى [٢]

---

(١) ما ذكره ثامسطوس ، هو من الفصل الثالث من مقالته اللام لأرسطو ، وشرح ثامسطيوس مفقود من قبل الفصل السادس ولا يوجد منه إلا شذرات منثرة فى كتب الفلسفة والذى يرجع إلى ما هو موجود من شروح ثامسطيوس على أرسطو فانه يرى أنها تمتاز بالوضوح والبساطة وهى فقرات كاشفة أكثر منها شروحا شارحة .

(٢) الاسكندر الأفروديسى ولد فى أفردوسيا من أعمال آسيا الصغرى ، كان فى

أيام ملوك الطوائف بعد الاسكندر الملك وقد رأى جالينوس واجتمع معه وكان يلقب جالينوس رأس البغل لأنه اجتمع به وناظره ، وجرت بينهما محاورات ومشاغبات ومخاصمات فسمى جالينوس إذ ذاك رأس البغل لقوة رأسه حال المناظرة والمنافرة ، وقد تفقه فى الفلسفة على أساتذة أرسطو طاليين أشهرهم أرسطوقليس وفيما بين سنتى ١٩٨ و ٢١١ م علم الأرسطوطاليين فى أثينا ، فكان أكبر شراح أرسطو أثرا وأبعدهم صيتا حتى لقبه خلفاؤه بأرسطو الثانى ، فقصد فى شروحه إلى تفسير آراء أرسطو وتبريرها أمام المدارس الأخرى وبخاصة الرواقية ولكنه فى الواقع انحرف عن أرسطو فى مواضع هامة ، أخصها متصل بمسائل النفس والعقل فكان فيلسوفا متقنا للعلوم الحكمية بارعا فى العلم الطبيعى وله مجلس عام يدرس فيه الحكمة . وشروحه لكتب أرسطو يرغب فيها فى الأيام الرومية . وفى الملة الاسلامية . قال يحيى بن عدى الفيلسوف ان شرح الاسكندر للسماع الطبيعى كله ولكتاب البرهان رأيتهما فى تركة ابراهيم بن عبد الله الناقد النصرانى وان الشرحين عرضا على بمائة دينار وعشرين دينارا فمضيت لأحتال بالدنانير وعدت وأصبت القوم قد باعوا الشرحين في جملة كتب على رجل خراساني بثلاثة آلاف دينار وقيل ان هذه الكتب التى أشار اليها يحيى كانت تحمل فى الكم وقال يحيى المذكور التمست من ابراهيم بن عبد الله الناقد المتقدم ذكره فص سوفسطيقا وفص الخطابة وفص الشعراء بنقل اسحق بخمسين دينارا فلم يبعها وأحرقوها وقت وفاته . وهذه همة عالية للقوم فى ذلك العصر فى تحصيل العلوم والاجتهاد فى حفظها وبذل النضار فى اقتنائها وللاسكندر من الكتب تفسير كتاب قاطيفورياس وباريمينياس وانالوطيقا وطوبيقا والسماع الطبيعى والكون والفساد والآثار العلوية وكلها لأرسطوطاليس ، وله كتاب النفس والعناية فى الفرق بين الهيولى والجنس ومقالة فى الماليخوليا ومقالة فى الأجناس والأنواع ومقالة في الرد على جالينوس فيما طعن على أرسطو طاليس ان كل ما يتحرك فانما يتحرك عن محرك وكتاب آراء الفلاسفة فى التوحيد وغير أولئك ، وقد استخرج اسحق بن حنين من كتاب الاسكندر فى العقل رسالة العقل والمعقول التى كانت أصلا نسج عليه الفلاسفة الاسلاميون نظرياتهم في العقل (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٣٠٢ أخبار الحكماء ص ٤٠ طبقات الأطباء أول ص ٦٩) .

وهو من كبار الحكماء رأيا وعاما وكلامه أمتن ومقالته أرصن ، وافق أرسطوطاليس فى جميع آرائه ، وزاد عليه فى الاحتجاج ، على أن البارى عالم بالاشياء كلها كلياتها وجزئياتها[١] على نسق واحد ، وهو عالم بما كان وبما سيكون ، ولا يتغير علمه بتغير المعلوم ، ولا يتكثر بتكثره .

ومما انفرد به أن قال كل كوكب ذو نفس وطبع ، وحركة من جهة نفسه وطبعه ، ولا يقبل التحريك من غيره أصلا ، بل إنما يتحرك بطبعه واختياره ، إلا أن حركاته لا تختلف ، لأنها دورية ، وقال لما كان الفلك محيطا بما دونه ، وكان الزمان جاريا عليه ، لأن الزمان هو العاد للحركات أو هو عدد الحركات ، ولما لم يكن يحيط بالفلك شيء آخر ولا كان الزمان جاريا عليه . لم يجز أن يفسد الفلك ، ويكون ، فلم يكن قابلا للكون والفساد ، ومالم يقبل الكون والفساد كان قديما أزليا ، وقال فى كتابه فى النفس ان الصناعة تتقبل الطبيعة ، وإن الطبيعة لا تتقبل الصناعة ، وقال للطبيعة لطف وقوة وإن أفعالها تفوق فى البراعة واللطف كل أعجوبة يتلطف فيها بصناعة من الصناعات[٢] .

---

(١) رأيه هذا يتفق وماجاء به الدين من أن الله يعلم الجزئيات المتغيرة . علمه بالأمور الكلية فالعلم بالجزئيات جاء علم الله بها صراحة فى كتابه الكريم قال الله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين .

(٢) يذهب الاسكندر إلى أن أفعال الطبيعة فوق الأفعال التى تكون بالصناعات

وقال فى ذلك الـكتاب ، لا فعل للنفس دون مشاركة البدن حتى التصور بالعقل فانه مشترك بينهما وأومأ إلى أنه لا يبقى للنفس بعد مفارقتها قوة أصلا حتى القوة العقلية ، وخالف أستاذه أرسطوطاليس فانه قال ، الذى يبقى مع النفس من جميع مالها من القوى ، هي القوة العقلية فقط ، ولذتها فى ذلك العالم مقصورة على اللذات العقلية فقط ، إذ لا قوة لها دون ذلك فتحس وتلتذ بهاوالمتأخرون يثبتون بقاءها على هيئات أخلاقية استفادتها من مشاركة البدن ، فتستعد بها لقبول الهيئات الملـكية في ذلك العالم .

رأي فرفوريوس

وهو أيضا على رأى أرسطوطاليس ووافقه فى جميع ما ذهب اليه ،

كما قال يحيى النحوى ان الطبيعة قوة تنفذ فى الأجسام وتدبرها وقد وصفها من لف لفهم أو تابعوه في رأيه انهم يصفون الطبيعة بما يصفون به الحى المختار العالم الحـكيم فيقولون أنها لا تفعل إلا حكمة وصوابا وانها تقصد غرضا وتفعل شيئا لشيء يكون كفعلها للجنين العين النظر واليد للبطن والاضراس للطحن وانها تضع جميع الأشياء مواضعها وترتبها على ما يجب أن ترتبها عليه وانها تصور الجنين فى الرحم وتدبره ألطف تدبير حتى يكمل ثم تدبر الانسان وتجلب له الصحة وتنعى عنه الاسقام وهم قد زعموا انها أموات غير حية ولا حساسة ولا قادرة ولا مختارة ولا عالمة . وهذه مناقضة بينة واحالة ظاهرة لأن ما وصفوها به لا يكون إلا للحى المختار وكيف تـكون هذه الأفعال العجيبة العادلة الشأن للموات العاجز وتـكون الأفعال التى هى دونها للحى القادر المختار وكيف يكون الموات حكيما ولا يكون مميزا وناطقا ومحسا وكيف يأتى الترتيب والنظر من غير المميز الحى لاريب ان هذا خلط وخبط ووصف للشيء بغير صفته (رسائل فلسفية للراري ص ١١٨ وص ١٢٠) .

ويدعى أن الذى يحكى عن أفلاطون من القول بحدوث العالم غير صحيح[١]
قال فى رسالته إلى انابانو وأما ما فرق به أفلاطون عندكم من أنه يضع
للعالم ابتداء زمانيا فدعوى كاذبة وذلك ان أفلاطون ليس (يرى) أن
للعالم ابتداء زمانيا لكن ابتداء على جهة العلة، ويزعم أن علة كونه
ابتداؤه، وقد رأى أن المتوهم عليه فى قوله أن العالم مخلوق وإنه حدث
لا من شىء، وإنه خرج من لانظام إلى نظام فقد أخطأ وغلط، وذلك
أنه لا يصح دائما، أن كل عدم أقدم من الوجود فيما علة وجوده شىء
آخر غيره ولا كل سوء نظام أقدم من النظام وإنما يعنى أفلاطون أن
الخالق أظهر العالم من العدم إلى الوجود[٢]، وجد انه لم يكن

---

(١) ففرفريوس يدافع عن فكرة قدم العالم وأن ليس له بداية زمنية كما كافح بشدة نقد فلوطرخس الاثينى لهذه الفكرة (قدم العالم) وبهذا الكفاح انضم إلى اكزنيوقراطيس مع آخرين فيما نقلوه من فهم لا فلاطون فى كتابه طيماوس حول العالم، أقديم هو أم حادث، يؤيدهم فى أن افلاطون فيما ذكره فى هذا الكتاب متعلقا بالعلم يبغى قدمه لا حدوثه . وقد اختلف الشراح فى فهم غاية افلاطون ايبغى القدم أم الحدوث للعالم، فقد حمله اكزنيوقراطيس ومن شايعه على نسبة القول بالقدم لافلاطون، وأيدهم فيه فورفوريوس وقد كشفنا آنفا، رأى الفارابي فى أن افلاطون لا يعتقد قدم العالم وما جاء من قوله كان على سبيل التمثيل لا العقيدة .

(٢) فى محاولة طيماوس يذكر لنا افلاطون كيف أنه فى البدء جاء الصانع فصنع من المتشابه واللامتشابه النفس الكلية ومن النفس الكلية صنع العناصر الأربعة الماء والهواء والنار والتراب، ومن الأخير صنع الانسان وبقية الاحياء والكائنات التى تحت فلك القمر وقد خلق الكواكب عن طريق النفس الأولى فهو يصور خلق الله للمادة، ثم من بعدها خلق سائر الأشياء على أنه يتحدث فيما رآه بعضهم عن أزلية النفس فالمادة أزلية والنفس لاتوجد الا باتصالها بجسم وقد تكون النفس التى

من ذاته لكن سبب وجوده من الخالق ، وقال فى الهيولي إنها أمر قابل للصورة ، وهى كبيرة وصغيرة ، وهما فى الموضوع والحد واحد ، ولم يبين العدم كما ذكره أرسطوطاليس ، إلا أنه قال الهيولى لا صورة له ، فقد علم أن عدم الصورة فى الهيولى ، وقال ان المكونات كلها إنما تكون بالصور على قبول التغير وتفسد بخلو الصور عنها ،

وزعم فرفوريوس أن من لأصولى الثلاثة التي هى الهيولى والصورة والعدم أن كل جسم إما ساكن ، وإما متحرك ، وها هنا شيء يكون

يريدها افلاطون هى نفس عقلية غير متصلة بشيء من المادة ، وان تعارض هذا مع ما يقوله صريحا من أن النفس توجد دائما مع جسم ، على أنه يذكر قبل ، وبعد مما يتضمن الزمان فهو يقول . قبل أن تخلق النفس الكلية وهذا آية على أنه ثمت زمان سابق على النفس الكلية وتنشا مشكلة ، الزمان هل هو مخلوق ، أم أزلى أبدى ، وقد اضطربت أقوال شراحه كما اختلفوا فى رأيه فى المادة أهى أزلية ، أم حادثة والحق أن عقيدة افلاطون فى حدوثها وحدوث الزمان ، هذا وهو في تفسيره نشأة الأشياء تحدوه فكرتان . فكرة الغائية وفكرة الكمية ، فمن الناحية الأولى لا بد أن يكون العالم مرئيا وملموسا ، ولكى يكون مرئيا ، لا بد من وجود النار ولكى يكون ملموسا لابد من وجود التراب وبين هذين لا بد أن يوجد ثالث يكون النسبة بينهما ويكون من عنصرين هما الهواء والماء اللذان نسبة أولهما إلى النار نسبة الثانى إلى التراب أما من ناحية الكمية فيلاحظ أن هذه العناصر الأربعة ترجع في اختلافها إلى اختلاف فى الكم فيقول مع فيلولاوس أن النار هرمية الشكل والهواء مثمن والماء ذو عشرين وجها والتراب مكعب وفى هذا نرى تأثره بالفيثاغورية والكم عند افلاطون يتعلق بالسطح وحده لأن الجسم يتركب عنده من سطوح لا من ذرات جسمية كما يقول الذريون ولهذا يقول ان الأجزاء النهائية للجسم هى السطوح الفردة أى غير القابلة للقسمة لا الجواهر الفردة (افلاطون ص ١٨٩)

مايتكون ويحرك الأجسام وكل ما كان واحدا بسيطا ، ففعله واحد بسيط ، وما كان كثيرا مركبا ، فأفعاله كثيرة مركبة وكل موجود ففعله مثل طبيعته ، ففعل الله بذاته فعل واحد بسيط ، وما فى أفعاله يفعلها بتوسط فمركب

وقال كل ما كان موجودا فله فعل من الأفعال مطابق لطبيعته ، ولما كان البارى تعالى موجودا ففعله الخاص هو الاختلاف إلى الوجود ففعل فعلا واحدا ، وحرك حركة واحدة ، وهو الاختلاف إلى شبهه ، يعنى الوجود ، ثم إما أن يقال كان المفعول معدو ما يمكن أن يوجد ، وذلك هو طبيعة الهيولى بعينها ، فيجب أن يسبق الوجود طبيعة ماقابلة للوجود ، وإما أن يقال لم يكن معدوما يمكن أن يوجد بل أوجده عن لا شىء ، وأبدع وجوده من غير توهم شىء سبقه ، وهو ما يقوله الموحدون .

قال فأول فعل فعله هو الجوهر ، إلا أن كونه جوهرا وقع بالحركة فوجب أن يكون بقاؤه جوهرا بالحركة ، وذلك أنه ليس للجوهر أن يكون بذاته بمنزلة الوجود الأول ، لكن من التشبه بذلك الأول ، وكل حركة تكون فاما على خط مستقيم ، وإما على الاستدارة ، فتحرك الجوهر بهاتين الحركتين ، ولما كان وجود الجوهر بالحركة وجب أن يتحرك الجوهر فى جميع الجهات ، التى يمكن فيها الحركة فتتحرك جميع الجواهر فى جميع الجهات حركة مستقيمة على جميع الخطوط ، وهي ثلاثة الطول والعرض والعمق ، إلا أنه لم يمكن أن يتحرك على هذه

الخطوط بلا نهاية ، إذ ليس يمكن فيما هو بالفعل أن يكون بلا نهاية فيحرك الجوهر فى هذه الأقطار الثلاثة حركة متناهية ، على خطوط مستقيمة ، وصار بذلك جسما وبقى عليه أن يتحرك بالاستدارة على الجهة التى يمكن فيه أن يتحرك بلا نهاية ولا يسكن وقتا من الأوقات ، إلا أنه ليس يمكن أن يتحرك بأجمعه حركة على الاستدارة ، لأن الدائر يحتاج إلى شىء ساكن فى وسط منه ، فعند ذلك انقسم الجوهر فتحرك بعضه على الاستدارة ، وسكن بعضه فى الوسط .

وقال كل جسم يتحرك فيما بين جسم ساكن ، فى طبيعته قبول التأثير منه له حركة معه ، وإذا حركه سخن ، وإذا سخن لطف وانحل وخف فكانت النار تلى الفلك ، والجسم الذى يلى النار يبعد عن الفلك ويتحرك بحركة النار ، فتكون حركته أقل فلا يتحرك لذلك أجمعه ، لكن جزء منه ، فيسخن دون سخونة النار وهو الهواء والجسم الذي يلى الهواء ، لا يتحرك لبعده عن المحرك ، فهو بارد لسكونه وحار حرارة يسيرة لمجاورة الهواء ، ولذلك انحل قليلا ، وأما الجسم الذى في الوسط فلأنه بعد فى الغاية عن الفلك ، ولم يستفد من حركته شيئا ولا قبل منه تأثيرا سكن وبرد ، وهذه هي الأرض ، وإذا كانت هذه الأجسام تقبل التأثير بعضها من بعض اختلطت ، وتولد عنها أجسام مركبة ، وهذه هي الأجسام المحسوسة ، وقال الطبيعة تفعل[١] بغير فكر

(١) ان فرفوريوس يناقض رأى الاسكندر فى رأيه هذا من أن الطبيعة تفعل

بغير عقل ولا فكر ولا ارادة وليس تفعل بالاتفاق وقد تفعل شيئا من أجل شيء لأن هذا لا يكون إلا من العاقل المميز المريد ولم أر أحدا منهم أطلق عليها لفظ الاختيار الا ما حكاه يحيي النحوى عن فلوطنيس فان كان هذا قد جعلها مختارة وهى موات فقد بلغ الغاية فى المناقضة وقد استدل فرفوريوس وغيره فى المقالة الثانية من سمع الكيان ، على أن الطبيعة انما تفعل ما تفعل لغرض ومن أجل شيء من الأشياء فان قال ان الطبيعة أجل من المهنة وأعظم قدرا كما أن الانسان الحى الذى هو طبيعى أجل قدرا من الانسان المصور قال وإذا كان ذلك كذلك وكان صاحب المهنة يفعل ما يفعل من أجل شيء ما فكذلك الطبيعة انما تفعل ما تفعل من أجل شيء ما لاتجيء بالخبط والاتفاق فيقال له أليس صاحب المهنة انما يفعل من أجل شيء ما وهو حى قادر مريد مفكر عالم لما فى الشيء الذى يقصده ويفعل من أجله من المنفعة فلابد من نعم يقال له افكذلك الطبيعة فان قال نعم نقض قوله وأن قال لا فقد خالف موضوعه مثله وقيل له ما تنكر من أن تكون المهنة يفعل ما يفعل بها لغرض ما ومن أجل شيء ما ولا تكون الطبيعة كذلك ويقال لهم أن المهنة عندنا لا تفعل شيئا ولكن ذا المهنة هو الذى يفعل لأن الفاعل هو النجار والبناء لا البناء والنجارة والنجار والبناء حيان وهما أعلى من الطبيعة الموات وإذا كان الانسان الحى هو الفاعل فهو الطبيعى عندكم فكأنكم قستم الشيء على نفسه واحتجوا أيضا ببناء الخطاف لوكره والزنابير لبيوتها وبآثار الحكمة فى ذلك وأنها فعلت ذلك لغرض ما وأن فعلها ذلك بالطبع فيقال لهم إنكم تخالفون فى ذلك لأن فعل هذا الحيوان ليس هو بالطبع لأن الحى لا يفعل بالطبع وانما المطبوعات كالنار وما جرى مجراها فكيف يكون أمثال هذه بالطبع ولها أفعال مختلفة كالطيران إذا احتاجت اليه أو السكون إذا تعنت واستغنت عن الطيران وكاختيارها كل شيء مما يغذيها دون غيره وتخيرها لأوكارها المواضع العالية السكنينة ولكن الحيوان وان كان غير مطبوع فله اختيار ما وتميز وان لم يكن له كل التميز ولا يبلغ منزلة العقلاء بعد فهذه حية فاجعل الطبيعة حية والا فقد خالفت حكم ما استشهدت به فأرنا في الطبيعة وقصدها مثالا من الاشياء الموات كحرارة النار وهوى الحجر والافدع التلبيس فان قالوا ان الطبيعة تدبر تدبيرا طبيعيا وتقصد وتفعل قصدا وفعلا طبيعيا قيل لهم افصلوا ممن زعم أنها تختار اختيارا طبيعيا ،

ولا عقل ولا ارادة ولكنها ليست تفعل بالبخت والاتفاق والخبط، بل لا تفعل إلا ماله نظم وترتيب وحكمة، وقد تفعل شياء من أجل شيء كما يفعل البر لغذاء الانسان ويهيء أعضاءه لما يصلح له.

وقسم فرفوريوس مقالة أرسطوطاليس فى الطبيعة خمسة أقسام أحدها العنصر، والثانى الصورة، والثالث المجتمع منهما كالانسان، والرابع الحركة الحادثة في الشيء بمنزلة حركة النار الكائنة الموجودة فيها إلى فوق، والخامس الطبيعة العامة للكل لأن الجزئيات لا يتحقق وجودها إلا عن كل يشملها، ثم اختلفوا فى مركزها فمن الحكماء من صار إلى أنها فوق الكل، وقال آخرون إنها دون الفلك قالوا وأما الدليل (١) على وجودها أفعالها وقواها المنبثة فى العالم الموجبة للحركات

وتؤثر شيئا على شيء ايثارا طبيعيا وأن النار تحرق إحراقا اختياريا، وهذا يتم وليس يجوز أن يفعل ويقصد ويريد ويؤثر الا المختار الحى والمطبوع الموات لا يوصف بذلك (رسائل فلسفية للرازى ص ١٢١)

(١) زعم أرسطوطاليس ومن فسر كتبه فى المقالة الثانية من السماع الطبيعى، أن الطبيعة لا تحتاج إلى دليل لظهورها واعتراف الناس بها واقرارهم بوجودها وزعم من شاهدنا من الفلاسفة أن الدليل على وجودها أفعالها، وقواها المنبثة فى العالم الموجبة للافعال كذهاب النار والهواء من المركز، وذهاب الماء والأرض اليه فيعلم أنه لولا قوى فيها أوجبت تلك الحركات وكانت مبدأ لها (لما كانت تلك الحركات توجد فيها. أو لم تكن) توجد فيها، وكذلك قالوا فيما يوجد فى النبات والحيوان من قوة الغذاء وقوة النمو فأما قولهم إنهم لم يدللوا على وجود الطبيعة لاقرار الناس بها، فالشيء لا يصح لاقرار الناس به. كما لا يفسد لاختلافهم فيه، ولو كان حقا

والأفعال كذهاب النار والهواء إلى فوق ، وذهاب الماء والأرض إلي تحت ، فنعلم يقينا لولا قوى فيها أوجبت تلك الحركات كانت مبدأ لها لم توجد فيها ، وكذلك ما يوجد فى النبات والحيوان من قوة الغذاء وقوة النمو والنشوء.

انتهى بتوفيق الله عز وجل وعونه الجزء الثانى ويتلوه ان شاء الله تعالى الجزء الثالث مفتتحا بذكر المتأخرين من فلاسفة الاسلام ، والله المعين على اكماله ، وهو على كل شيء قدير .

لاقرار من أقربه لكان فاسدا باطلا لامتناع من امتنع منه فيكون الشيء فاسدا صحيحا فى حال وباطلا حقا في حال وهذا محال . ويقال لهم لم زعمتم أن الطبيعة لا تحتاج إلى دليل وقد خالفكم فى وجودها قوم من الفلاسفة القدماء وما رأيتم أن قال خصماؤكم إنهم لايحتاجون على قولهم – إنه لاطبيعة – إلى دليل ، وإنما لاتحتاج إلى دليل الأشياء المشاهدة وأوائل البرهان العقلية وليس الطبيعة بمحسوسة ولا العلم بها أول فى العقل . وأما استدلالهم بالقوى التى ادعوها فيقال لهم ما أنكرتم أن يكون الله جل وعز هو الموجب بذاته لقوى سائر الأفعال ولطبائع الأشياء وان لم تقل بنسق قولكم فى الطبيعة فتكون له لا لها ، ويقال لهم ان كانت حركة الأشياء وسكونها بطبيعة واحدة كحركة الحجر وسكونه ونمو الانسان ووقوفه فقد صارت الطبيعة الواحدة توجب شيئين متضادين وهذا محال وان قالوا إن تحرك الأشياء بقوة أخرى ، قيل فيجب أن تكو هذه الحركة قد بطلت من الساكن ، وإذا جاز أن تبطل جاز أن تبطل أيضا قوة السكون وجاز أن تبطل الطبيعة من الأشياء ، وإذا جاز أن يتحرك الحجر ويسكن بقوتين فما أنكرتم ان تبرد النار وتسخن بقوتين تردان عليها فان قالوا إن قوة فى الأرض بها تحركت نحو المركز لم تكن أولى بذلك من النار قيل لهم فانفصلوا ممن زعم أنه لولا أن قوة في جرم الأرض بها قبلت القوة التى فيها جاز أن تحلها القوة الذاهبة بالنار عن المركز

(رسائل فلسفية للرازى ص ١١٦) .

كشـــاف

مجمل لموضوعات الجزء الثانى ، من كتاب الملل والنحل ، أما الكشاف التفصيلى فسيكون جامعا للاجزاء الثلاثة فى نهاية الجزء الثالث ان شاء الله تعالى .

المستدرك

صحيفة	سطر	الخطأ	صواب
٩	٢١	أن	أى
١٢	٢	والخير	والجبر
١٥	٦	تجويزه وفى	تجويره وفى
		التجويز	التجوير
١٧	١٠	منهم	بينهم
١٩	١٤	وغصن	وغض
٢١	٢٣	يغفر	نغفر
٢٢	٢١	قد	قد جاء
٢٧	٥	ملك	ملكا
٣٥	٢١	وهم	وهى
٤٨	٤	والدسم	والدم
٦٣	١٣	ولاينقص	ولا ينقضى
٦٨	٢	لهواسب	لهراسب
٩٠	٧	وشىء	شىء
٩٦	٢٧	كوكويه	كركويه
١٣٢	٢٠	الموردة	المردة
١٣٦	١٩	عرفات	العرفان
١٨٣	١١	وجود	وجوده

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٨٩	٢	الـكلام	الـكمال
١٨٩	٨	رحية	دحية
١٩٣	٢١	ما يحدثوا	ما إن يحدثوا
٢٢٥	١٥	مصر	مضر
٢٤٤	٦	وليتغير	وتتغير
٢٦٨	١٩	الآلة	الآلهة
٢٧٣	١٩	تحمل	تجعل
٢٩٣	٥	انه	انه عالم
٣٠٦	١٢	نلخصها	نلحظها
٣٠٦	٢٠	خير	حيز
٣٣٦	٤	٦٤٠	٦٤٠ ق م
٣٥٢	٢١	حسنين	حنين
٣٥٣	١٥	والحدة	والجدة
٣٦٨	٨	وإذا قد	واذ قد
٣٩٩	١٩	العرنجة	الفرنجة
٤١٣	١٠	يتشاورون	يتشاورن
٤٢٠	١١	نيق	انبثق
٤٢٠	١٤	فيمثل	فيميل






DATE DUE
JUN 0 1 2012
MAR 1 4 2012
MAR 1 4 2012
GAYLORD
PRINTED IN U.S.A.



